غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد المئة والواحد

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

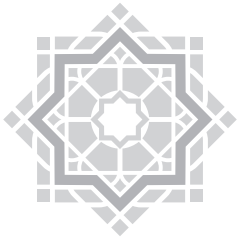

المجلد الثاني عشر

المحاضرات

١٩٤ محاضرات الإمام القرضاوي

٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحـور الثاني عشر

المحـاضـرات

١٩٤

محـاضرات الإمام القرضاوي

٦

نسخة تجريبية

الإمـام يوسف القرضاوي

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفَ القَرَضَاوِيِّ

الصحوة الإسلامية

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١].

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن معاوية قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك**». متَّفق عليه.

عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ المؤمنَ للمؤمنِ كالبُنيانِ يَشُدُّ بَعْضُه بَعْضًا**» وشبَّك أصابعه. متَّفق عليه.

عن أبي هريرة، فيما أعلم، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**». رواه أبو داود.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

١

الصحوة الإسلامية مظاهرها وخصائصها[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيها الإخوة تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

الصحوة الإسلامية حديث الساعة:

فالحديث عن الصحوة الإسلامية حديث الساعة، حديث الحاضر، وحديث المستقبل أيضًا، ولا بدَّ لأهل العلم والفكر أنْ يتحدثوا عن هذه الصحوة ليبينوا حقيقتها، ويكشفوا عن خصائصها، ويجنبوها الزلل، ويرَشِّدوا خُطاها، حتى تؤتي أكلها وتؤدي رسالتها، فلا بدَّ لهذه الصحوة إنْ شاء الله أن يكون لها في واقع المسلمين دور أي دور، ومهمة أي

(١) ألقيت بجمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، في منتصف الثمانينيات.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مهمة: أن تعود بالمسلمين إلى الإسلام الصحيح، لا بدَّ أن تعمل هذه الصحوة على أن يُحكم المسلمون بالإسلام، وعلى أن يصبح الإسلام واقعًا حيًّا في حياة المسلمين، ويزول التناقض القائم بين العقيدة والسلوك، بين الفكرة والواقع، بين ما يؤمن به المسلم في أعماق ضميره وما يجده في الحياة مخالفًا لذلك، لا بدَّ أن نعمل على أن تؤدي هذه الصحوة ثمراتها، وهذا واجبنا جميعًا كلٌّ في حدود إمكانه وطاقاته، ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

لا بدَّ أن نتحدث عن الصحوة الإسلامية؛ ما هي؟ وما مظاهرها؟ وما مميزاتها؟ وما الأخطار عليها؟

الصحوة وغفلة المسلمين:

هل هناك صحوة إسلامية؟ لا شكَّ أنَّ الإجابة هنا بالإيجاب، هناك صحوة إسلامية، فما معنى صحوة؟ الصحوة من صحا يصحو؛ إذا أفاق بعد سُكْر، أو استيقظ بعد نوم.

ولا شك أنَّ المسلمين قد مرت عليهم فترات من الزمن غابوا فيها عن الحياة، وعن المشاركة العالمية الواجبة عليهم ولهم، ناموا نومًا عميقًا: نومة أهل الكهف؛ حتى دخل عليهم العدو من كلِّ جانب، واحتُلت ديار الإسلام، وطُرد الإسلام من ميادين شتى: ميدان التشريع والتقنين، وميدان التوجيه، وميدان السياسة الداخلية والخارجية؛ بل من ميدان التعليم والتربية، ميادين كثيرة طُرد منها الإسلام، في فترة من الفترات كان المسلمون في مرحلة الهزيمة، ولم تكن هزيمة نفسية فقط، ولا سياسية فقط، ولا فكرية فقط، ولا عسكرية فقط؛ بل كانت كل ذلك.

QaradawiBooks.com

الهزيمة السياسية والعسكرية:

بعد الحرب العالمية الثانية هُزم المسلمون عسكريًّا وسياسيًّا، دخل القائد الإنجليزي اللنبي في سنة (١٩١٧م) القدس، وقال كلمته الشهيرة في حقد وتشفٍّ: اليوم انتهت الحروب الصليبية[١]. لم تنتهِ الحروب القديمة إلا في ذلك اليوم، بعد أن عاد الغرب، الذي حاولها من قبل، في تسع حملات فعل فيها الأفاعيل، وخاض الدماء إلى الركب، لم يكتفِ بتلك الحرب القديمة؛ لأنَّه طُرد ولم يحقق أحلامه، فعاد من جديد اليوم يقول: اليوم انتهت الحروب الصليبية. قال هذا القائد الإنجليزي، وقال مثله القائد الفرنسي غورو، أمام قبر القائد المسلم المجاهد صلاح الدين، الذي استرد بيت المقدس من الصليبيين بعد تسعين عامًا، قال: ها قد عدنا يا صلاح الدين[٢]!

وتمزقت البلاد الإسلامية، واقتُسمت الدولة العثمانية: تركة الرجل المريض؛ كما كانوا يُطلقون عليها، وأصبحت بلاد المسلمين ممزقة في أيدي الاستعمار، كل بلاد المسلمين مُزقت ما عدا السعودية واليمن، وكل البلاد كانت تحت النفوذ الإنجليزي، والفرنسي، والإيطالي، والبلجيكي، والهولندي، حتى هولندا التي كانت نحو خمسة ملايين كانت تحكم إندونيسيا.

الهزيمة الفكرية والروحية:

وهكذا انهزم المسلمون عسكريًّا، وانهزموا سياسيًّا، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فانهزموا فكريًّا وروحيًّا؛ فقام في بلاد المسلمين من يلغي

(١) دروس وتأملات في الحروب الصليبية لأبي فارس صـ٣٥، نشر دار جهينة، الأردن، عمان، ط١، ٢٠٠٢م.

(٢) دور نور الدين محمود في نهضة الأمة لعبد القادر أحمد أبو صيني صـ٢٢٢، رسالة دكتوراه، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا.

QaradawiBooks.com

الخلافة الإسلامية! ألغيت الخلافة، وحُطِّمت هذه القلعة التي كانت تمثل آخر تجمع للمسلمين تحت راية «لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله»، على ما كان عليها من مآخذ، وما كان فيها من نقاط ضعف؛ كانت الخلافة الإسلامية تمثل التجمع الإسلامي تحت لواء العقيدة الإسلامية، ولذلك تآمر عليها المتآمرون، وتألَّب عليها المتألبون وأُسقطت الخلافة العثمانية سنة (١٩٢٤م). أسقطها كمال أتاتورك، الذي كان يحارب الحلفاء بقوة الإسلام، وكان معه المسلمون يقاتلون بقوة الإيمان، وكانوا يسمُّونه «الغازي مصطفى كمال»، وكان شوقي يمدحه بقصائده المعروفة:

الله أكبرُ كَم في الفتحِ من عجبِ يا خالدَ التُّرك جَدِّدْ خالدَ العربِ[1]

كان الناس يظنون أنَّه يقود المعارك للإسلام؛ لأنَّه كان يقودها بالمسلمين وبالروح الإسلامية، ثم انقلب على الإسلام وعلى المسلمين بعد ذلك، وقال شوقي نفسه بعد أنْ تبيَّن له الزيف وانكشف أمامه القناع، قال قصيدته المعروفة التي ينعى فيها الخلافة:

عادتْ أغاني العُرسِ رَجْعَ نواحِ ونُعيتِ بينَ معالمِ الأفراحِ

أي لم نكد نفرح بالنصر الذي ظنناه نصرًا للإسلام؛ حتى انقلب العُرس مأتمًا بزوال الخلافة.

كُفِّنتِ في يوم الزِّفافِ بثوبه ودُفنتِ عند تبلجِ الإصباحِ
ضجَّتْ عليكِ مآذنٌ ومنائرٌ وبكتْ عليكِ ممالكٌ ونواحِ
الهندُ والهةٌ ومصرُ حزينةٌ تبكي عليكِ بمدمعٍ سحَّاحِ[2]

إلى آخر هذه القصيدة، التي يجب أن يحفظها الشباب المسلم.

---

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٥/١ ـ ١٠٦).

QaradawiBooks.com

هُزم المسلمون عسكريًّا، وهُزموا سياسيًّا، وأكثر من هذا الهزيمة النفسية والهزيمة الفكرية أمام الغرب، حتى وُلد من أبناء المسلمين من يدعو إلى تقليد الغرب في كلِّ شيء، وقال قائل: إنَّه لا سبيل إلى نهضتنا إلا أن نأخذ بالحضارة الغربية: خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحَب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب[1]! قال ذلك قائلون في مصر، وقال ذلك قائلون في الهند، وقال ذلك قائلون في بلاد شتى، أصبح كمال أتاتورك مثلًا يُحتذى عند كثير من الزعماء، فكانت هزيمة!

ظهور قوة الإسلام وقت الشدائد:

وكان لا بدَّ حسب سنن الله تعالى أن تقوم للإسلام قائمة، وأن ترتفع رايته من جديد، فقد علمنا التاريخ أنَّ الإسلام أشد ما يكون قوة، وأصلب ما يكون عودًا، وأقوى ما يكون مقاومة؛ حينما تلمُّ به الأحداث من كل جانب، وحينما تحيط به الخطوب من هنا وهناك، هنالك تظهر قوة الإسلام الحقيقة، هنالك يتحدى ويتصدى، ويُظهر من جديد أنَّه لا زال الدين الحق.

حروب الردة:

ظهر هذا في مواقف كثيرة من التاريخ، في فجر تاريخ الإسلام، في عهد أبي بكر؛ حينما تنبَّأ المتنبئون، وظهر الكذابون: مسيلمة، وسجاح، وطُليحة الأسدي، والأسود العنسي، وغيرهم ممن ادَّعوا النبوة، واتبعهم أقوامهم عصبية وحمية، حتى قال مَنْ قال: كذَّاب ربيعة أحب إلينا من

(١) هو طه حسين، انظر: مستقبل الثقافة في مصر صـ٣٩، نشر دار المعارف، ط٢، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

صادق مُضر[١]. ومنع الزكاة مَنْ منعها، ولكن الإسلام أبَى إلا أن يظهر من جديد، ويظفر بهؤلاء جميعًا.

وقف رجل بكَّاء خاشع، ربما يحسبه الناس أنَّه ليس لمثل هذا الموقف، ولكن هذا الرجل البكَّاء الخاشع المتعبد: وقف وقفة الجبل الأشم، وأبَى إلا أن يقاتل هؤلاء المتنبئين والمرتدين، والمانعين للزكاة، وقال: والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه[٢]. وجهَّز أحد عشر لواءً؛ حتى أعاد هؤلاء إلى حظيرة الإسلام، وانتصر الإسلام.

مواجهة التتار:

وبعد ذلك كانت حروب التتار، وكانت حروب الصليبيين، وظنَّ الناس أنَّ الإسلام قد طُوي بساطه، وأنَّ الصليبيين قد تمكنوا، وأنَّ التتار قد أصبحت لهم الصولة والدولة، تصوروا في سنة (٦٥٦هـ) دخل التتار بغداد، وحطَّموا عاصمة الخلافة العباسية، وأجروا الدماء أنهارًا؛ حتى سالت الميازيب التي تنزل بمياه المطر عادة، سالت بالدماء في طرقات المسلمين، حتى كان المثل السائر في ذلك الوقت: إذا قيل لك إنَّ التتار قد انهزموا فلا تصدق! نفس الذي كان يُسمع إلى اليوم عن أسطورة القوة التي لا تُقهر.

ولكن بعد سنتين فقط في سنة (٦٥٨هـ) أراد الله أن يكون للمسلمين واقعة جديدة، يثبتون فيها وجودهم، ولا تقوم بعدها للتتار قائمة، وهي واقعة عين جالوت، التي قادها المظفر سيف الدين قطز: القائد المملوكي

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٢١٦/٢)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الصالح، قادها في يوم جمعة في الخامس والعشرين من رمضان، وكان يقول لجنوده وقواده: انتظروا لا تبدؤوا المعركة حتى تفيء الظلال، وتهب الرياح، ويصلي المسلمون الجمعة في بلاد المسلمين، ويدعو لنا الخطباء بالنصر، ويقول المسلمون في كل مكان: آمين!

وفي أول المعركة انهزم بعض المسلمين، أو أدبروا وترددوا؛ فرمى الرجل بخوذته على الأرض وصاح صيحته التاريخية المعروفة: وا إسلاماه! فكانت هذه الصيحة إعلانًا جديدًا؛ بأن المعركة قد اتخذت اتجاهًا جديدًا! تغير اتجاه الريح؛ فعاد الشاردون، وثبت المترددون، وأقدم المحجمون، وكانت الدائرة على أعداء الله، وكانت للمسلمين في النهاية.

حدثت معركة عين جالوت، كما حدثت كذلك معركة حطين وفتح بيت المقدس وغيرها، فالإسلام أقوى ما يكون عندما تحيط به الحوادث.

المصلحون والمجددون في الأمة:

ومن سنة الله لهذه الأمة أنَّها لا تجتمع على ضلالة، ولا بدَّ أن يكون فيها من يقول بالحق ويهدي به، ﴿ **وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٨١]، و«**لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرها من خذلها، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»[(١)]. ولا زال في كلِّ جيل من يحمل علم النبوة، «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[(٢)].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.

(٢) رواه ابن وضاح في البدع (١)، والبيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨)، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري. والحديث ذكره الإمام =

QaradawiBooks.com

ولذلك لا عجب بعد أنْ سقطت الخلافة، وهُزم المسلمون أمام المعسكر الغربي الزاحف بقوته المادية والعسكرية، والسياسية والفكرية، والذي خَلَب الألباب، وبهر الأبصار؛ بما عنده من علم وتكنولوجيا وحضارة، لا عجب بعد هذا أن هيَّأ الله لأمة الإسلام من قام يدعو إلى الإسلام، في سائر بلاد المسلمين.

قام هناك دعاة صادقون، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، قاموا يجددون روح الإسلام وشباب الإسلام. قاموا يدعون إلى الإسلام الصحيح: الإسلام كله، والإسلام وحده، خالصًا بلا شركة، كاملًا بلا تجزئة، بعد أن جزَّأه الناس، وابتدعوا فيه ما ابتدعوا!

كان لا بدَّ من دعوة خالصة للإسلام؛ فقام الدعاة المجددون: قام في مصر الشهيد حسن البنا، وفي تركيا الشيخ سعيد الدين النورسي، وفي شبه القارة الهندية أبو الأعلى المودودي. في شتى بلاد الإسلام قام دعاة يجمعون الأمة من شتات، ويحيونها من موات، ويوقظونها من سُبات، ينفخون في روح الأمة، ويقاومون روح اليأس التي تخللت الصدور والنفوس، بعد تلك الهزائم العسكرية والسياسية، ولم تذهب صيحات هؤلاء سُدًى، بل كان لهم آثارهم في الأنفس والعقول، وفي الفكر والسلوك، وفي الحياة هنا وهناك.

= ابن القيم وقوَّاه لتعدُّد طرقه في مفتاح دار السعادة (١٦٣/١، ١٦٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. وكذلك العلَّامة ابن الوزير الذي استظهر صحَّته أو حُسْنه، لكثرة طرقه مع ما نقل من تصحيح الإمام أحمد له، والحافظ ابن عبد البر، وترجيح العقيلي لإسناده، مع سعة اطلاعهم وأمانتهم، فهذا يقتضي التمسك به. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (٢١/١ ـ ٢٣)، نشر دار المعرفة، بيروت. وانظر كلامنا عن هذا الحديث في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة صـ٣٦ ـ ٤١، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

المحن التي يتعرض لها المصلحون:

صحيح أنَّ أعداء الإسلام كانوا لهم بالمرصاد، لم يدَعوا هؤلاء يؤدون رسالتهم عفوًا صفوًا، لا، فالقوى المعادية ليست نائمة، إنَّها حساسة راصدة، لها أجهزتها، ولها رقباؤها، فهي تعمل ليل نهار، وهي كالشيطان الذي لا يكل ولا يمل ولا ينام؛ كما قيل للحسن البصري رضي الله عنه: هل ينام الشيطان؟ فقال: لو نام لاسترحنا[1]!

فهذه قوى شيطانية لا تنام، تعمل بلا توقف، ولذلك حاولت أن تضرب الحركات الإسلامية في كل مكان ضربات وحشية متكررة، كلما خرجت من ضربة تلقت ضربة، وكلما أفاقت من محنة وقعت في محنة؛ ليرهبوا الأجيال الجديدة من عواقب العمل للإسلام، فليس وراء العمل للإسلام إلا التعذيب والتشريد والتجويع، وإلا كذا وكذا!

ولادة الصحوة الإسلامية من رحم المحن:

ولكن شاء الله سبحانه وتعالى أنْ تكون هذه المحن المتوالية للحركات الإسلامية الصادقة: وقودًا يغذي الفكر الإسلامي الجديد، ويغذي الجيل الإسلامي الجديد، لم تُخف الشبابَ المسلم هذه النكبات ولا هذه المحن، ولا هذه الكوارث المتتالية، ولا هذه الضربات الموجعة المتتابعة، لا، بل كانت مصدر قوة له، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ولهذا لا نعجب أن نرى الصحوة الإسلامية، واليقظة الإسلامية، والبعث الإسلامي، سمه ما تسميه: يقظة، صحوة، بعث، إحياء، هذه

(١) إحياء علوم الدين (٣١/٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

الحركة الإسلامية التي نرى مظاهرها في كل اتجاه، وعلى كل مستوى، وفي كل مكان.. هي هذه الصحوة الإسلامية.

هذه طبيعة الإسلام أنَّه لا يستسلم، ولا يُهزم، ولا ينام نوم الموت، لا، ينام ويستيقظ، ويعثر وينهض، ويضعف ثم يقوى، هذه طبيعة هذا الدين، إنَّه دين غالب بطبيعته، دين مقاوم، دين القوة. ففي الإسلام قوة ذاتية تجعله لا ينهزم أبدًا، فيه قوة الإصرار، قوة الحق، يستمد قوته من الحق الذي يدعو إليه، من الله ﷻ الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، من الأمة التي آمنت به وأصرَّت على أن تعيش به وتموت به، وتعيش له وتموت له، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ولذلك كانت هذه الصحوة الإسلامية، صحوة رأيناها، ورأينا مظاهرها في جوانب شتى: في الجانب العلمي والفكري، وفي الجانب الفكري والسلوكي، وفي الجانب العسكري والجهادي، وفي الجانب التشريعي والسياسي، وفي الجانب الاجتماعي والتربوي، وفي الجانب المالي والاقتصادي.

مظاهر الصحوة في الجانب العلمي والفكري:

في الجانب العلمي والفكري رأينا المكتبة الإسلامية ـ والحمد لله ـ حافلة بالعديد من الكتب، في شتى جوانب الفكر الإسلامي: في الشريعة، وفي الاقتصاد، وفي المالية الإسلامية، وفي التاريخ الإسلامي، وفي السيرة النبويَّة، وفي التفسير، وفي الحديث.

لو نظرتم إلى الجانب الأكاديمي وحده، رسائل الماجستير والدكتوراه في كلية الشريعة في الأزهر، والكليات الشرعية، وفي كليات الحقوق وغيرها، في القاهرة وغيرها ـ تجدون مئات الرسائل في موضوعات

QaradawiBooks.com

إسلامية تخدم الفكر الإسلامي، نُشر بعضها والكثير منها لم يُنشر، ولكن المد الإسلامي وجَّه إلى خدمة الثقافة الإسلامية، والدراسات الإسلامية في موضوعات شتى.

لو نظرتم إلى موضوعات الفقه المقارن بالقانون؛ تجدون مئات الموضوعات في كلية الشريعة بالأزهر، وفي كلية دار العلوم، وفي كلية الحقوق بالقاهرة وعين شمس، وفي كليات كثيرة أخرى.

الجانب العلمي والفكري جعل الأفكار تتجه لخدمة الفكر الإسلامي، لم يعد الفكر الإسلامي مطمورًا كما كان، ولم يعد دفينًا في بطون الكتب الصفراء كما كان بعض الناس يقول، لا، لقد ظهر إلى حيز الوجود، واعتُرف به في أعلى المراكز العلمية الرسمية، وأصبح الكتاب الإسلامي هو الكتاب الأول في سوق التوزيع، هذا أمر أصبح مُعترفًا به، وأثبتت الإحصاءات في معارض الكتب: أنَّ الكتاب الإسلامي هو الكتاب الأول في سوق التوزيع بالفعل، وهذا يدلُّ على أنَّ الصحوة الإسلامية الحديثة صحوة علم وتفقه، وليست مجرد انفعال وعاطفة، فللصحوة الإسلامية آثارها في الجانب العلمي والفكري.

مظاهر الصحوة في الجانب الخُلقي والسلوكي:

كما أنَّ للصحوة الإسلامية آثارها في الجانب الخُلقي والسلوكي، آلاف الشباب والشابات أصبحوا يلتزمون بالإسلام: يلتزمون به اعتقادًا، ويلتزمون به فكرًا، ويلتزمون به عبادة، ويلتزمون به عملًا وخُلقًا وسلوكًا، ولذلك لا نعجب إذا رأينا هذا الشباب في كل مكان يحرصون على الصلوات، ويقيمون من أنفسهم ـ عاملين لدين الله ﷻ ـ الآداب الإسلامية التي كانت مهجورة مثل إطلاق اللحية وكذا: أصبحت شائعة،

QaradawiBooks.com

لم تعد ظاهرة شاذة، لم يعد حجاب المرأة المسلمة أمرًا مُستنكرًا، كما كان في وقت من الأوقات.

أقول لكم بصراحة: بعد أنْ ضُربت الحركة الإسلامية في بعض البلاد، كانت الفتيات يتبرأن من أي شيء يتصل بالحجاب؛ خشية أن تُتهم بأنها من هذه الجماعة أو تلك، فكنت تمشي في بعض العواصم؛ فلا تكاد ترى فتاة محجبة، حتى العجوز الشمطاء، التي أكل الدهر عليها وشرب تلبس «الجابونيز» و«الميني جب». الآن ترى آلاف الفتيات في الجامعات والكليات، والمعاهد والمدارس، وفي الشوارع والطرقات: يلبسنَ الحجاب في كل مكان، هذا من آثار الصحوة الإسلامية.

ترى هذا الشباب القوَّام الصوَّام، ممن يصوم الاثنين والخميس، ويقوم الليل، ويتلو كتاب الله، وممن يتعبد بإقامة فرائض الله ﷻ، ولا يكتفي بالفرائض، بل له حظ من النوافل، وكما جاء في الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به**»[1]. فللصحوة الإسلامية آثارها في الجانب الخلقي والسلوكي.

مظاهر الصحوة في الجانب الجهادي:

وللصحوة الإسلامية آثارها في الجانب العسكري والجهادي من قديم، لأنَّ الصحوة الإسلامية تربي الشباب على الخشونة، وتربيه على تحمل التبعة، وتربيه على انتزاع نفسه من الفردية والأنانية؛ ليفنى عن حظ نفسه في سبيل الله، ليكون لله ﷻ، ليكون الله تعالى غايته، وليكون رضوان

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الله تعالى مُبتغاه، وليضع نصب عينيه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ولهذا نجد شباب الصحوة الإسلامية سراعًا إلى كل جهاد، عندما نادى المنادي لحرب فلسطين من قديم من سنة (١٩٤٨م). سارع الشباب المسلم إلى التطوع، لا زلت أذكر أخًا صديقًا لي كان زميلًا لي في معهد طنطا الثانوي، وكان يشتاق إلى أنْ يكون له حظ من الجهاد في فلسطين، وكان يتيمًا تُوفي والده، وكانت والدته تحبه وتحرص عليه، وتخشى فراقه؛ فلم تأذن له بالجهاد. ومن حبه للجهاد قال لي: أريد أنْ تذهب معي إلى والدتي لتحدثها عن فضل الجهاد، وفضل المجاهدين، وعن أمهات المسلمين في الزمن الأول؛ حتى ترضى بأن أذهب. وفعلًا ذهبت معه أنا وبعض الإخوة إلى قريته، وتحدثنا مع أمه، وقصصنا عليها قصص المؤمنات المجاهدات، والأمهات الصالحات؛ من أمثال الخنساء وغيرها، فلم يسَعِ المرأة إلا أن بكت وقبلت أن يذهب ابنها ليقاتل في سبيل الله، وذهب هناك وكان ممن كتب الله له الشهادة.

كان الشباب المُسلم قد رُبِّي على الجهاد في سبيل الله، ولذلك اقترنت الصحوة الإسلامية بالجهاد، قال أحد الضباط الإسرائيليين لضابط مصري مسلم، كان قد أُسِر في إسرائيل سنة (١٩٤٨م). قال له: أصارحك بشيء، نحن لا نخاف من الجيوش العربية كلها، وإنَّما لا يخيفنا شيء كما يخيفنا جماعة الله أكبر. قال: وما يخيفكم منهم؟ إنهم ليسوا أحسن تدريبًا، ولا أحسن تسليحًا!

قال: لا يهمنا التدريب ولا التسليح، ولكن نحن جئنا من بلاد العالم إلى هذا المكان لنعيش، وهم جاؤوا إلى هذا المكان ليموتوا!

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

جاؤوا يطلبون الشهادة، فالصحوة الإسلامية ربَّت شبابها من قديم على الجهاد في سبيل الله، ولذلك تجدهم عندما يدعو الداعي أسرع الناس إليه.

الجهاد الآن في أفغانستان يقوم عليه المؤمنون، والذين بدؤوا المعركة في أفغانستان هم شباب الصحوة الإسلامية، الذين قاوموا الفساد من أول الأمر، وقاوموا الشيوعية، وقاوموا الانحراف، ودخلوا السجون.. هؤلاء هم شباب الصحوة الإسلامية، ولا زالوا يجاهدون إلى اليوم القوة العظمى الثانية في العالم، قوة السوفييت.

والذين يجاهدون في الفلبين يجاهدون باسم الإسلام، في أماكن كثيرة كان الجهاد الإسلامي، فللصحوة الإسلامية آثارها في الجانب العسكري والجهادي.

مظاهر الصحوة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي:

وللصحوة الإسلامية آثارها في الجانب الاجتماعي والخيري، هذا الذي نراه في العمل الخيري، والعمل الاجتماعي والإصلاحي، والجمعيات الأهلية والمؤسسات الخيرية.. هو من آثار الصحوة الإسلامية.

وأيضًا للصحوة الإسلامية آثارها في الجانب الاقتصادي، هذه البنوك الإسلامية، وبيوت التمويل الإسلامية، والشركات الإسلامية، هذا تجسيد للصحوة الإسلامية في مجال الاقتصاد والمال. كان هناك أناس يقولون: إنَّه لا يمكن أنْ يقوم اقتصاد بغير بنوك، ولا تقوم بنوك بغير فائدة. ولذلك في وقت من الأوقات قالوا: دعُونا من مسألة الربا هذه، فهذا أمر واقع ما له من دافع، لا بدَّ من بنوك، ولا بدَّ للبنوك من الربا.

QaradawiBooks.com

مسألة تحريم الربا:

وللأسف في وقت من الأوقات انهزم بعض المسلمين فكريًّا أمام هذه الفلسفة الرأسمالية، وحاولوا أنْ يجُرُّوا النصوص من تلابيبها لتبرر الربا القائم، فقال بعضهم: الربا المحرم هو ما يكون أضعافًا مضاعفة، لكن هذه الفائدة البسيطة يمكن التجاوز عنها. وقال بعضهم: الربا المحرم هو ربا الجاهلية، وهذه الفائدة ليست ربا الجاهلية. وقال بعضهم: الربا المحرم هو ربا الاستهلاك، من يستدين ويستقرض ليأكل أو يشرب، أمَّا من يستقرض ليتاجر فهذا هو ربا الإنتاج الذي لا حرج فيه. وقال بعضهم: الضرورات تبيح المحظورات، إلى آخر ما قالوا، وهو من آثار الهزيمة أمام الحضارة السائدة: حضارة النظام الرأسمالي المسيطر.

ولكن كان من بركات البعث الإسلامي والصحوة الإسلامية: أنْ وقف العلماء والدعاة الصادقون أمام هذا كله، وقالوا: الربا حرامٌ حرامٌ حرامٌ، بل هو من الموبقات السبع، بل إنّ الله تعالى لم يأذن في معصية بحرب من الله ورسوله إلا الربا. ولذلك كانوا صرحاء في تحريم الربا قليله وكثيره.

البديل الإسلامي عن الربا:

ومنذ سنين قام المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي في مكة المكرمة، وقرَّر الحاضرون بالإجماع ـ ومنهم علماء في الشريعة، وعلماء في الاقتصاد، وعلماء في القانون ـ أنَّ الفائدة حرام، وهي الربا الذي لا شكَّ فيه.

وقرَّر هذا مؤتمر الفقه الإسلامي، وقرر هذا مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، وانتهى الأمر بأنَّ الربا لا مجال له، وأن الفائدة هي الربا، كان هذا من الناحية النظرية شيئًا لا بدَّ منه.

QaradawiBooks.com

بقي شيء آخر أنَّه لا بدَّ من بديل شرعي، فكتب الكاتبون عن البدائل الشرعية وإمكانية إقامة بنوك بلا ربا، ثم جاء دور التطبيق العملي، وقامت البنوك الإسلامية بدائل للبنوك الربوية، وهي الآن في سبيل التطوير والتحسين، حيث أخذت تكثر وتنمو وتمتدُّ، وتُكوِّن شبكة للاقتصاد الإسلامي، فللصحوة الإسلامية آثارها في الجانب الاقتصادي.

مظاهر الصحوة في الجانب التشريعي:

وللصحوة الإسلامية آثارها في المجال التشريعي والتقنيني، كان هناك من يقول: لا بدَّ أن نقبل بروح العصر، ولا يمكن أن نقيم الحدود، ونقطع يد السارق، ونجلد شارب الخمر، ونفعل كذا وكذا!

الآن والحمد لله أصبح هناك أصوات تنادي في كل مكان بتطبيق الشريعة الإسلامية، حتى الحكومات التي لا تضمر خيرًا للشريعة الإسلامية تنافق شعوبها، تتملق الشعوب وترضَّاها بذلك، بأنه لا بدَّ من تطبيق الشريعة الإسلامية، وتؤلف لجانًا، وتماطل وتفعل كذا؛ لأنَّ الرأي العام كله يطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية.

وأصبحنا نرى في أماكن شتى محاولات في هذا الاتجاه، ظهر قانون مدني مستمد من الفقه الإسلامي في الأردن، وظهرت تشريعات إسلامية في السودان، ونادت حكومة السودان بوجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، وكذلك في باكستان، وهكذا.

هذا كله من آثار الصحوة الإسلامية الآن، فالصحوة الإسلامية حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها، ومظاهرها واضحة ملموسة أمام أعيننا في كلِّ جوانب الحياة ومجالاتها.

QaradawiBooks.com

من خصائص الصحوة الإسلامية:

وهي صحوة متميزة لها خصائصها، فقد نقلتنا من أسلوب الاعتذار إلى أسلوب المواجهة، كنا فيما مضى ننظر إلى الإسلام كأنه في قفص الاتهام، ونحاول الدفاع عنه، مهمتنا مهمة المحامي الذي يدافع عن متهم، فإذا ذُكر الطلاق أو تعدد الزوجات، أو الربا أو الخمر أو غير ذلك؛ نحاول أن نبرر ذلك، وأن ندافع عن الإسلام، ونتحدث كأن هذا أمر يُعتذر عنه!

هذه المرحلة انتهت، وأصبحنا الآن في مرحلة المواجهة مع الحضارة الغربية، أصبحنا في مرحلة كشف زيف هذه الحضارة، وأننا نحن أصحاب الحقِّ، وأنَّنا لا نستحي من أنَّ ديننا يبيح الطلاق ويجيز التعدد، وأنَّ ديننا فيه الحدود، وأنَّ ديننا فيه الجهاد، وأنَّه دين القوة، وأنَّه كذا وكذا، لا نستحي من شيء من هذا، انتقلنا إلى أسلوب المواجهة لهذه الحضارة، فهذا من مميزات الصحوة الإسلامية المعاصرة.

صحوة قائمة على علم وفكر:

ومن مميزات الصحوة الإسلامية أنَّها ـ كما قلت لكم ـ ليست صحوة عاطفية، وليست صحوة انفعالية، وليست مجرد حماس وقتي تنطفئ جمرته بعد حين، لا، ليست مبنية على حماس مؤقت يثيره واعظ من الوعاظ، أو خطيب مُصْقع يثير النفوس، ويُبكي العيون، ويهز القلوب، ثم بعد ذلك يبرد هذا كله، ويفتر هذا الحماس! لا، إنَّها صحوة قائمة على علم وفكر ودراسة، بدليل أنَّ الكتاب الإسلامي ـ كما قلت لكم ـ هو أكثر الكتب مبيعًا في سوق الكتب، فهي صحوة علم ودراسة وتفقه، فهذا من خصائص هذه الصحوة.

QaradawiBooks.com

الانتقال من القول إلى العمل:

ومن خصائص هذه الصحوة أيضًا أنَّها انتقلت من مرحلة القول إلى مرحلة العمل، بدأنا العمل بالفعل، لم يعد الأمر مجرد كلام يُقال، ولا خطبة تُلقى، ولكن أصبحنا نعمل، ونعمل لا بارتجال ولكن بتخطيط، وإن لم نخطط في الحقيقة نفكر في التخطيط، وهذه المحاضرة كما رأيتم ضمن سلسلة في موسم عنوانه «الصحوة الإسلامية واقعًا ومستقبلًا»، أي بدأنا نفكر في المستقبل، ماذا نعمل للغد؟ لا بدَّ أن نخطط للغد، لا بدَّ أن نعرف ماذا يريد عدونا حتى نفسد عليه تخطيطه، ونحبط عليه مؤامراته، ولا نظل نقول: إنَّ أعداءنا يخططون، ونحن واقعون في مخطط كذا. إلى متى يُخطَّطُ لنا، ولا نُخطِّط لأنفسنا؟! فهذا من خصائص الصحوة.

الانتقال من الفردية إلى الجماعية:

ومن خصائص هذه الصحوة أيضًا الانتقال من الفردية إلى الجماعية، كان هناك تديُّن فرديٌّ، ثم انتقلنا إلى العمل الجماعي، لا يمكن أن نقاوم التجمع على الباطل إلا بتجمع على الحقِّ، أعداؤنا يتجمعون على باطلهم؛ فلا بدَّ أن نتجمع نحن على حقنا، الله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]. أي إلا يوالي بعضكم بعضًا كما يفعلون، ويساند بعضكم بعضًا، ويتكتل بعضكم مع بعض؛ تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، لماذا؟ لأنَّه سيكون هناك تجمع في جانب الباطل، وتفرق في جانب الحق! إيجابية في جانب الباطل، وسلبية في جانب الحق! عمل في جانب الباطل وفراغ في جانب الحق! وهذا هو الخطر، ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

QaradawiBooks.com

ميــزة الصحوة الإســلامية إذن أنَّها تعمــل بطريقة جماعيــة، طريقة الجماعات والمنظمات، لا بطريقة الأفراد المتدينين فحسب، فهذا وحده لا يكفي، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته، ولهذا لا بدَّ أن نعمل فــي جماعة، فيد الله مــع الجماعة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشــدُّ بعضه بعضًا**»[(١)]، ومن هنا كان من مزايا الصحوة الإسلامية أنَّها نقلتنا إلى العمل الجماعي.

مزايا الصحوة الإسلامية كثيرة، لا يتسع المقام لأتحدث عن كل مزايا هذه الصحوة، إنَّما أقــول: إنَّها والحمد لله صحــوة إيجابية، صحوة لها مميزاتها، ولها خصائصها، ولها ثمراتها، فلهذا فواجبنا أن نحافظ عليها، نحافظ عليها من الأخطار التــي تهددها. وهذه الأخطار أخطار خارجية، وأخطار داخلية.

الأخطار الخارجية:

هناك الأخطار الخارجية: القوى المعادية للإســلام، التي ترصد هذه الصحــوة، ترصدها من قريب ومــن بعيد، هناك أجهــزة تنظر إلى هذه الصحــوة بالميكروســكوب، تريد أن تعرف كل شــيء فيهــا! كان في الكويت منذ شــهور رجل أمريكي ممن يدرســون الحركات الإسلامية، فلما ســأله بعض الناس: ماذا تفعل هنا؟ قال: أدرس الجماعات الدينية والخلافات بينها!

(١) متَّفق عليــه: رواه البخاري فــي الصلاة (٤٨١)، ومســلم في البر والصلــة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

هل يدرسها لوجه الله، أم ليضعها على مشرحة التحليل ليستفيد، ويحاول توسيع الفجوة بين الجماعات العاملة في الحقل الإسلامي؟! الناس يرصدون الملايين للتعرف على الحركة الإسلامية، وعلى أشخاصها، وعلى المؤثرات فيها، وعلى جوانبها الإيجابية والسلبية.

جامعات ترصد هذا، ومؤسسات في الغرب ترصد مكافآت وجوائز وميزانيات لهذا العمل، وهناك إحصاءات طويلة بهذا الأمر، فالقوى المعادية ليست نائمة ولا غافلة، هي ـ كما قلت لكم ـ كالشيطان لا ينام، وهي لا يسرها أبدًا أن تمضي هذه الصحوة في طريقها، وأن تصل إلى غايتها، ولذلك تعمل بكل وسيلة على تعويق طريقها، وعلى عرقلة مسيرتها، وعلى تمزيق صفوفها، وتعمل بكل وسيلة على ألا تصل الصحوة إلى أهدافها.

والعجيب أنَّ هؤلاء القوم يختلفون فيما بينهم، ولكنهم يتفقون على ضرب الصحوة الإسلامية، وعلى معاداتها، يمكن أن يكون منهم يمين ويسار، وشرق وغرب، ورأسماليون وشيوعيون، ويهود ونصارى، وملحدون ووثنيون، ولكنهم يتفقون جميعًا على ضرب الصحوة الإسلامية، كما قال فقهاؤنا: الكفر كله ملة واحدة. وكما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الجاثية: ١٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣].

هذا هو الواقع، القوى المعادية للإسلام تريد تعويق هذه الصحوة الإسلامية، وتريد أن تشغلها بأنفسها عن عدوها الحقيقي، وأن تحرفها عن طريقها السليم، لا بدَّ أن نعرف هذا، ونعرف من هم أعداؤنا ومن هم أصدقاؤنا، ومن لنا ومن علينا!

QaradawiBooks.com

الأخطار الداخلية:

وهذا الخطر الخارجي لا نخافه؛ لو تنبهنا إلى الأخطار الداخلية، لأنَّ هؤلاء لا يتمكنون منا إلا بواسطة الخطر الداخلي: أنْ يمزِّقونا من الداخل، وأن يغزونا من داخلنا، وأنْ يشغلوا بعضنا ببعض؛ بأنْ يمزِّقوا صفوفنا، ويشغلونا بالمعارك الجانبية عن المعركة الكبرى، هذا هو الخطر.

ولذلك من المهم جدًّا أن نعرف قضايانا المصيرية الكبرى: قضية الوجود الإسلامي، قضية وجود الأُمَّة الإسلامية، وتوحيد الأُمَّة الإسلامية، وتحرير الأمة الإسلامية من كل الطواغيت، وتوجيه الأمة الإسلامية إلى الحكم بكتاب الله وسُنَّة رسوله، لا بدَّ أن نعرف قضايانا المصيرية الكبرى.

ولا بدَّ أن نعرف الأهم من المهم، والمهم من غير المهم، ولا بدَّ أن نتنازل فيما بيننا. إنَّ أعداء الصحوة الإسلامية يتناسون خلافاتهم في ساعات الحسم ويتجمعون. مع أنَّ لكل منهم أهدافه ومصالحه الخاصة؛ ولكنهم يتجمعون لضرب الحركة الإسلامية، والصحوة الإسلامية بكل اتجاهاتها، لا يفرقون بين العناوين بعضها وبعض، لا، كلهم في نظرهم إسلاميون.

أهمية أنْ يقف المسلمون صفًّا واحدًا:

ولهذا أولى بالمسلمين أن يدركوا هذه الحقيقة، ويقفوا صفًّا واحدًا، يتناسون فيه كل خلافاتهم في مواجهة المعركة الحقيقية، يجب أن نتبنى هذا الشعار الذي رفعه المجدد الكبير السيد رشيد رضا، وتبنَّاه الشهيد حسن البنا وهو: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه[1].

(١) انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧)، نشر دار المنار، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وما اتفقنا عليه كثير، وكثير جدًّا، يمكن أن يشغل الجهود والأوقات، والأفراد والجماعات، ولهذا يجب أن نصحو، يجب أن نتنبه لأنفسنا، يجب أن نعرف أنَّ المعركة تتطلب تعبئة كلِّ القُوى، وأن نتنبه للأخطار، ونتنبه للأعين المراقبة لنا، ونتنبه لمؤامرات أعدائنا، وندرس ذلك بعناية، ونعمل على توحيد صفوفنا، وعلى كسب عموم المسلمين بجانبنا، وعلى كسب الرأي العام بجانبنا، ونعتقد أنَّ المسلمين جميعًا معنا، كل مسلم ما دام ولاؤه للإسلام، وما دام لم يُجهَّل ولم يُغز فكريًّا فهو مع الإسلام، نعتبر أنَّ القاعدة الشعبية معنا، وعلينا أن نبصرها بذلك، وأن نعرفها بحقيقة ما يُدار خارج بلاد الإسلام، من كيد للإسلام وللمسلمين، كل من قال: لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله. فهو صديقنا وحبيبنا، ونحن نعمل من أجله.

مواجهة القوى المعادية بمثل أسلحتها:

يجب أن تتضح الصورة أمامنا أيها الإخوة، يجب أن نعايش الناس وننزل إليهم ونعمل من أجلهم، نحن في حاجة أن نواجه القوى المعادية بمثل أسلحتها، كما قال أبو بكر لخالد: حاربهم بمثل ما يحاربونك به: السيف بالسيف، والرمح بالرمح[1]. نحن أيضًا علينا أن نحاربهم بمثل أسلحتهم؛ ولكن لا نستخدم الباطل في تأييد الحق، لأنَّ عندنا من الحق ما يُغني، ولأن الغاية عندنا لا تبرر الوسيلة، ولكن إذا استخدموا العلم نستخدم العلم، وإذا استخدموا التخطيط نستخدم التخطيط، وإذا استخدموا الإعلام نستخدم الإعلام، وإذا استخدموا الرأي العام نستخدم الرأي العام، ولا يفل الحديد إلا الحديد، وحديدنا أقوى من حديدهم، لأنَّ حديدنا هو حديد الحقِّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(١) انظر: تفسير المنار (٢٠٤/٥)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

ترك المعارك الجزئية والخلافات الجانبية:

يا أيها الإخوة، الصحوة الإسلامية بخير؛ إذا تنبَّه رجالها لما يُكاد لهم، وما يُحاط حولهم من مؤامرات، وإذا تنبهوا للأخطار الداخلية والأخطار الخارجية، وإذا أحسنوا الظن بالمسلمين وعايشوهم، وإذا تركوا تلك المعارك الجزئية والخلافات الجانبية، ووحدوا الصف في مواجهة قوى الكفر واللادينية، والإلحادية والعلمانية، ووقفوا كما يحب الله تعالى أنْ يقفوا صفًّا كأنهم بنيان مرصوص، إنَّ الإسلام بخير، وإنَّ الصحوة الإسلامية بخير إذا فقهنا ذلك، ونحن إن شاء الله فاقهون، ولغدنا عاملون، ولن يضيع الله إيماننا ولا جهادنا، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣].

أقول قولي هذا أيها الإخوة، وأستغفر الله لي ولكم، وندَع المجال للأسئلة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإجابات عن أسئلة المحاضرة

السؤال الأول: هناك شبهة تقول: إنَّ الإسلام مضى له ألف وأربعمائة سنة؛ فما بال المصارف الإسلامية لم تظهر إلا الآن؟

الجواب: هذا مثل من يقول: للإسلام ألف وأربعمائة سنة؛ فلماذا لم تظهر ميكروفونات إلا الآن؟ هذه المؤسسات اقتضتها الأنظمة الحديثة، ومن قال: إنَّ المصارف الإسلامية شيء حديث؟ الصرف نفسه موجود، حتى إنَّ هناك في الفقه بابًا اسمه الصرف، تبادل العملات، بيع العملة بالعملة، والنقد بالنقد، هذه الأشياء كانت موجودة؛ ولكن بطريقة مبسطة، لم تكن هناك تعقيدات، ثم تطور الأمر إلى أن أصبحت هذه المصارف، كما تطور الأمر بالنسبة للمدارس والجامعات. لم تكن في الزمن الأول مثلما هي في زمننا هذا، لم يكن هناك مسرح مثل هذا الذي نجلس فيه، ولكن كل هذه الأشياء اقتضاها تطوُّر الزمن، فلا مانع أنْ يجدد الناس في هذه الأمور؛ ما دامت لا تشتمل على حرام ولا على باطل.

السؤال الثاني: من تقصد بالجاحدين والمتطرفين، في كتابك «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف»؟

الجواب: أقصد بالجاحدين الذين ينكرون الصحوة الإسلامية، وينكرون الدعوة الإسلامية، وينكرون أن يكون للإسلام وجود في هذا العصر، ويريدون للمسلمين أن يكونوا عالة على غيرهم، ليس لهم اقتصاد خاص بهم، وليس لهم تشريع خاص بهم، وليس لهم تعليم خاص بهم، وليس لهم إعلام خاص بهم، وإنَّما يتبعون الغرب شبرًا

QaradawiBooks.com

بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضبٍّ لوجب أن يدخله المسلمون وراءهم، فهؤلاء الذين يريدون أن نقلد الغرب، سواء أكان الغرب الليبرالي، أو الغرب الاشتراكي، هؤلاء هم الجاحدون لمهمة الإسلام في هذا الوقت.

وأقصد بالمتطرفين المغالين في الناحية الدينية، وأنا وضعت في كتابي «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف» ست علامات للتطرُّف؛ لأنَّ بعض الناس يريد أنْ يجعل كل من يتمسك بالدين متطرفًا، فإذا رأى أحدًا يطيل لحيته، أو يحافظ على الصلاة في المسجد؛ يعتبره متشددًا متطرفًا! بل أحيانًا يَعتبر مَنْ يحافظ على الفرائض متطرفًا، والفتاة التي تحافظ على الحجاب تصبح متطرفة، هل هذا هو التطرُّف؟ لا، ليس هذا تطرُّفًا.

ولهذا وضعت ست علامات للتطرف يمكن الرجوع إليها في الكتاب، وذكرت منها أن ينكر الإنسان رأي الآخرين في الأمور الاجتهادية، وأن يتعصب لرأيه ولا يعترف بالرأي الآخر. افرض أنَّ أحدًا يرى أنَّ لبس النقاب واجب فهذا من حقه، فيأمر زوجته بالنقاب، أو ترى ذلك إحدى الأخوات فتغطي وجهها، مثل هذا لا أعتبره تطرفًا وإنْ عدَّه آخرون تطرُّفًا، لا، ليس تطرفًا، لأنَّه إن كنت أراه واجبًا؛ فليس من حقك أنْ تجبرني أن أشتري النار وأبيع الجنة، من أجل إرضاء خاطرك، لا، أنا أفعل ما أراه واجبًا، بل ما أراه أفضل.

لكن متى يكون هذا تطرفًا؟ إذا أردت أن أُلزمك بهذا الرأي، وإذا قلتُ: إنَّ الوجه ليس بعورة كما قال ابن عباس وعائشة وأنس وفلان وفلان. فأنكرت حقي في أنْ آخذ برأي آخر مخالف لرأيك؛ فأنت متطرف.

QaradawiBooks.com

ومن علامات التطرف أن يلزم الإنسان التشديد دائمًا، على نفسه وعلى الناس. لكن لو شدَّد على نفسه وأخذ بالأحوط، فجزاه الله خيرًا! لكن إذا أراد أن يلزم الناس جميعًا، ولا يفرق بين طبقات الناس ودرجاتهم؛ فهذا الذي يمكن أن نسميه تطرفًا.

النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَمَّ الناس فليخفف؛ فإنَّ فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة**»[(١)]. وكان النبي ﷺ إذا صلى بنفسه طول ما شاء، وإذا صلى بالناس خفَّف، فالإنسان قد يشدد على نفسه لكن مع الناس نحن مطالبين بالتيسير؛ وخاصة في عصرنا، حيث رقَّ الدين، وضعف اليقين، وأصبح الناس في حاجة إلى الرخص، ولذلك على من يفتي الناس أن يُراعي هذا، كما ينبغي أن يراعى الإنسان الحديث عهدٍ بإسلام، والحديث عهد بتوبة، لا تثقل عليه حتى لا يهرب، خفف عنه، «**إنَّ الله يحب أنْ تُؤتى رخصه، كما يحب أنْ تُؤتى عزائمه، وكما يكره أنْ تؤتى معصيته**»[(٢)].

وهناك أيضًا من علامات التطرف التي ذكرتها الخشونة والغلظة، والفظاظة في الدعوة، الله تعالى يقول: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. لكن هناك من يستعمل الحماقة بديلًا عن الحكمة، ويستعمل العبارة الخشنة بديلًا عن الموعظة الحسنة، وبدل أنْ يجادل بالتي هي أحسن يجادل بالتي هي

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠٤)، ومسلم في الصلاة (٤٦٦)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٢) رواه أحمد (٥٨٦٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وابن خزيمة في الصيام (٢٠٢٧)، وابن حبان في الصلاة (٢٧٤٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٥٦٤)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

أخشـــن، وبدل الكلمة الطيبة والوجه المستبشـــر يقابلك بوجه متجهم، يا أخي ليست الدعوة هكذا.

دخل أحدهم على المأمون فقال: يا ظالم، يا فاجر، يا كذا. فقال له: هوِّن عليك، إنَّ الله بعث من هو خيرٌ منك إلى من هو شـــرٌّ مني، وأمره بالرفق. قال: من؟ قال: بعث موسى وهارون وهما خير منك، إلى فرعون وهو شر مني، فكان مما أوصاهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤][1]. فهناك عدة علامات تحدد لنا ما هو المقصود بالتطرف.

السؤال الثالث: ما هي نصيحتك لأشـــبال الصحوة الإسلامية في هذا البلد الطيب؟

الجواب: أنا ذكـــرت في هذا عدة نصائح أيضًا فـــي كتاب «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف»، فيمكن للإخوة أنْ يقرؤوها، وأعتقد أنَّ الإخوة في كلية الآداب عملوا مختصرًا من هذا الكتاب، وهو مختصر نافع مفيد إنْ شاء الله.

وأنا أيضًا أدعو إلى التزام الحكمة، وإلى معايشة الناس، وإلى احترام التخصص واحتـــرام العلماء واســـتفتائهم فيما يُشـــكل على الإنســـان، لا يجعل الإنسان من نفسه عالمًا بكل شيء، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، وأنْ يحســـن الظنَّ بالناس، والثبات إنْ شاء الله على الإسلام، مهما وقع في ســـبيله من عقبات، ومهما وقف في طريقه الواقفون، فالنصر إن شاء الله في النهاية للمؤمنين، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢].

(١) إحياء علوم الدين (٢/٣٣٣ ـ ٣٣٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

السؤال الرابع: أين جماعة الله أكبر، التي كانت في لبنان سنة (١٩٧٦م) و(١٩٨٤م)؟ أين هم في فلسطين بعد معسكرات الشيوخ؟ أين هم الآن من القضية الفلسطينية؛ خاصة مع ضرب منظمة التحرير؟ أين المسلمون من الجهاد في ساحة فلسطين والشعب الفلسطيني؟

الجواب: أعتقد أنَّ كل وقت له ظروفه، وأعتقد أنَّ الجماعات الإسلامية هي التي سيكون لها الدور المستقبلي للجهاد في فلسطين، وقد بدأ هذا بالفعل، كان يُظن أنَّ المسلمين في داخل الأرض المحتلة قد انتهوا تمامًا؛ فإذا هناك صحوة إسلامية حقيقية، وإذا هناك شباب مؤمن ملتزم صائم قائم، وقد قاموا ببعض الأعمال الجيدة، ونشر ذلك الناشرون، وضجت إسرائيل بذلك، ولكن الأمر يحتاج أيضًا إلى نوع من التخطيط، وأعتقد أنَّ المعركة الفاصلة ستكون على يد هؤلاء إن شاء الله، وهي المعركة التي أشار إليها النبي ﷺ في حديث البخاري ومسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود؛ فيقتلهم المسلمون، فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، أو يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فتعالَ فاقتله**»[1]. لا بدَّ أنْ تأتي هذه المعركة التي يكون القتال فيها باسم الإسلام، وتحت راية العبودية لله، «**يا مسلم، يا عبد الله**»، سيأتي هذا، لكن لعلَّ الظروف الآن لا تتيح ذلك.

وأحبُّ أنْ أقول: إنَّ الحركات المقاوِمة في فلسطين كانت بدايتها من الصحوة الإسلامية في الأصل، حركة فتح مثلًا كان أصلها إسلامي، لكن حصل ما حصل، والمقام لا يتسع لهذا!

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٩٣)، ومسلم في الفتن (٢٩٢١)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

السؤال الخامس: ذكرت فيما ذكرت المد الفكري الإسلامي الأكاديمي، ولكن أين الركائز أو الخطوط العامة التي تتبناها الحركة الإسلامية، في الاقتصاد والتربية والإعلام إلى آخره؟ إن هناك دراسات؛ ولكن ليس هناك وضوح في الرؤية يشمل ركائز في جميع المجالات، تتبنَّاها الحركة على مستوى العالم، وتدعمها وتبين وجهة نظرها أمام المبادئ الأخرى؟

الجواب: الحقيقة هذا سؤال يرد كثيرًا: أين المناهج؟ أين الرؤية الواضحة في كذا وفي كذا؟ وعندما كنت في الإمارات الأسبوع الماضي سُئلت نفس السؤال في الحقيقة.

أحبُّ أنْ أقول: على مستوى الرؤية ليست هناك مشكلة، بعض الناس يقول: لو قامت حركة إسلامية الآن وحكمت أين القوانين؟ أين الأنظمة التي ستقيم عليها شؤون الحكم؟ الأمر ليس معضلًا، القوانين وهذه الأشياء سهلة؛ لأنَّ الدراسات الأكاديمية موجودة، يمكن أن تتكوَّن لجان وتتبنى من هذه الدراسات ما هو أفضل، فهذا سهل وليس من الصعب إطلاقًا.

وكثير من الناس حكموا ولم يكن عندهم أي مناهج، الماركسية نفسها التي حكمت روسيا، الناس الذين تحدثوا عن ماركس قالوا: إن ماركس كان بخيلًا جدًّا في تحديد مواصفات المجتمع المقبل. وحينما كانوا يسألونه يقولون: أعطنا صورة كيف يكون الاقتصاد؟ وكيف تكون السياسة؟ وكيف تكون التربية؟ فكان يرفض ويقول: إنَّ مهمتي أنْ يُهدم المجتمع الرأسمالي أو البرجوازي القائم، ويقوم مجتمع البروليتاريا، وحينما يقوم سينظم نفسه.

QaradawiBooks.com

والعجيب أنَّهم يرون هذا ويعرفونه، لكنهم يقولون للإسلاميين: أين مناهجكم؟ وأين برامجكم التفصيلية؟ ومع هذا نحن عندنا الرؤى والمناهج والأنظمة، الآن إذا نظرت إلى ما كُتب في الاقتصاد الإسلامي تجد قائمة مذهلة جدًّا: رسائل ماجستير ودكتوراه، وكتب كثيرة في مختلف النواحي، والآن هناك مركز لأبحاث اقتصاد العالم الإسلامي في جدة، ومركز في كلية التجارة بالأزهر في القاهرة، وجمعية الاقتصاد الإسلامي في القاهرة، هذا كله يمكن أن يُتبنى فيها ومنها، والتبني سهل جدًّا، وهناك أشياء متبناة بالفعل.

وأنا في كتابي «الحل الإسلامي» ذكرت بعض معالم الحل الإسلامي المنشود في جوانب شتى، تعتبر نقاطًا رئيسية. وإخواننا في سوريا وضعوا منهاجًا للدولة الإسلامية، وضعوا أيضًا معالم ونقاط، وهكذا في أكثر من مكان، فالأمر ليس مشكلة.

المهم أنْ توجد الإرادة الجماعية المتجهة إلى تطبيق الإسلام، وأن يوجد الرأي العام الإسلامي والقاعدة الجماهيرية، وتوجد الركائز البشرية الإسلامية؛ فهي التي ستفعل كل شيء، وعندنا الآن رصيد كافٍ، لو قارنت بين ما هو موجود الآن وما كان موجود من ثلاثين سنة؛ تجد فرقًا شاسعًا جدًّا، الآن عندنا والحمد لله رصيد كبير لكل من يريد أن يعمل بالإسلام، أهم شيء هو الرصيد الإنساني، الموارد البشرية، فهي التي ستفعل كلَّ شيء إنْ شاء الله.

السؤال السادس: ذكرت ضرورة الانتقال من مرحلة الارتجال إلى التخطيط، ولكن أين ذلك في سوريا؟ أين التخطيط في الكويت؟ أين التخطيط في مصر والعمل الجامعي صار منفتحًا؛ حتى جاءته ضربة

QaradawiBooks.com

كبيرة، وكل يوم يخرج علينا الأستاذ عمر التلمساني والإخوان بكلام استسلامي ـ حتى وإن كان مزوَّرًا ـ فأين التخطيط والتنظيم، الذي يرد على هذا التزوير؟

الجواب: لعلكم لاحظتم حينما تكلمت قلت: بدأنا في التخطيط. لم أقل: إننا انتقلنا إلى مرحلة التخطيط. لا، بل بدأنا نؤمن بالتخطيط، بدأنا نقتنع بأنَّ التخطيط لازم، هذا السؤال نفسه يدل على أننا نشعر بأن التخطيط ضرورة، وأنا ذكرت في كتابي «الحل الإسلامي فريضة وضرورة» أنَّ التخطيط ضرورة لا بدَّ منها، لا بدَّ أن نخطط لأنفسنا. والذين يزعمون أنَّ هذا ينافي التوكل أو ينافي الإيمان بالقدر؛ فهذا وهْم لا أساس له من تعاليم الإسلام، والنبي ﷺ كان يعمل للمستقبل، والهجرة كانت تخطيطًا للمستقبل، ومن يدرس سيرته يرى أنَّها كانت تخطيطًا للمستقبل بالفعل، فلا بدَّ أن نخطط، ونحن نؤمن بالتخطيط. صحيح أننا لم ننتقل تمامًا إلى مرحلة التخطيط، ولكن أصبحنا مؤمنين بهذا، وبدأنا نفكر في هذا، ويجب أن نفكر.

ولكن هناك شيء أحب أن أقوله: ليس معنى التخطيط أن نقول: بعد خمس سنوات سيحدث كذا، وبعد عشر سنوات سيحدث كذا. كما قال بعض الناس: بعد ثلاث عشرة سنة سنقيم الدولة الإسلامية. لماذا؟ قالوا: لأنَّ النبي ﷺ أقامها بعد ثلاث عشرة سنة في مكة. ثم قالوا: لا، سنقيمها بعد ثلاث وعشرين سنة. جمعوا العهد المكي مع العهد المدني، ثم فاتت المدة ولم يقيموها، هذا لا يمكن، نحن لا نتألَّى على الله، نحن فقط نخطط بقدر ما نستطيع، نحاول أن نعرف قوتنا، نحاول أن نعرف قوة عدونا، نحاول أن نعرف ما لنا وما لهم؛ عن طريق البيانات والدراسات والإحصاء. النبي ﷺ بعد الهجرة كما روى البخاري ومسلم

QaradawiBooks.com

قال: «**أحصوا لي عدد من يلفظ بالإسلام**». فأُحصوا له؛ فكانوا ألفًا وخمسمائة[١]، فكما نقول: كان يريد أن يعرف القوة الضاربة؛ فبدأ بالإحصاء، فعلينا أن نبدأ بالتخطيط.

والتخطيط مطلوب من الجميع، ليس من جماعة واحدة، الكل يجب أن يخطط وبالتعاون، فمشكلتنا أيضًا أننا نعمل متفرقين كما قلت لكم، لا يجوز هذا التفرق في صف العاملين للإسلام، أضرب لكم مثلًا: كتب إلي بعض الناس من الهند، وأخذ فقرات لي من كتابي «درس النكبة الثانية، لماذا انهزمنا وكيف ننتصر؟»، وقال: هذا الكلام لا ينطبق إلا على جماعة التبليغ، وأنَّها كذا وكذا.

وكنت قد تلقيت رسالته وأنا مسافر إلى الهند لزيارة ندوة العلماء، وكان هذا الأخ يدرس هناك ماجستير، وقابلته وقلت له: لا أمانع أنَّ جماعة التبليغ جيدة، أناس يقولون: نصلي، ونقوي محبة المسلم للمسلم، ونعين المسلم على ذكر الله، وندعو إلى الله، ليس عندي مانع.

ولكن الخطر أن نقف عند هذا الحد، وننكر على الآخرين. تقول له: إياك أن تقرأ كتابًا للمودودي، إياك كذا. الخطر أن تهدم الجماعات الأخرى، البلوى أن يكون هناك شخص في جماعة مثل هذه، ويأتي في الانتخاب وينتخب مرشحًا علمانيًّا، ضد مرشح إسلامي، كيف يكون هذا؟! أمَّا إذا ربيت المسلم على أن يفتح أفقه على الآخرين، ويتعاون معهم فهذا هو المطلوب، نحن نريد تخطيطًا على مستوى العاملين للإسلام جميعًا، نعرف كيف نستغل قوتنا، ويضع كل منا يده في يد أخيه، فيجب أن نخطط وأن نتعاون.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٤٩)، عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

ويجب أيضًا أن نعترف بنقاط الضعف عندنا، ومن نقاط الضعف أننا لا نُمكَّن، سرعان ما نُضرب، وأحيانًا تكون الأمور أكبر منا، والأنبياء منهم من قُتل، ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمُ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]، وهذا الذي قال: يجب أن ننتصر بعد ثلاثة عشر عامًا. قلت له: لماذا؟ سيدنا نوح ظل يدعو ألف سنة إلا خمسين عامًا، ومع هذا لا يُعتبر أنَّه انتصر؛ لأنَّه ما آمن معه إلا قليل، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٥، ٦]، حتى ابنه لم يؤمن، وحتى زوجته لم تؤمن، فعلى صاحب الدعوة أن يدعو، والنتائج على الله، ابذر الحب وارجُ الثمار من الرب، نحن زُرَّاع نزرع ونبذل الجهد، فإذا جاءت آفة سماوية؛ فما لنا حيلة! فنحن نعمل لله ولنا الأجر، وهذا فرق بين يعمل لإرضاء الله، ومن يعمل لغير الله، فمن جعل الله غايته؛ إذا انقطع في الطريق ولم يصل إلى نهاية الطريق، فإنه لن يُحرم من الأجر؛ ما دام مجتهدًا، فالمجتهد إذا أخطأ لن يُحرم من الأجر.

علينا أن نخطط ونعمل ونجتهد، وليس معنى هذا أننا استنفذنا جهدنا، نحن مقصرون في التخطيط، يجب أن نظل ندعو إلى التخطيط بكل ما نستطيع، والتخطيط الجماعي، ونستخدم أحدث أساليب العصر، أصبح الناس يخططون عن طريق الكمبيوتر، وعن طريق بنوك المعلومات، أقول بصراحة: نحن للأسف لا زلنا متخلفين، قامت معركة بين أحد الدعاة وأحد العلمانيين اللادينيين، فذهب هذا العلماني إلى الأراشيف الموجودة عندهم، وأخرج القديم والجديد وأخذ يهاجم الداعية، لكن نحن ليس عندنا أرشيف للذين يعادون الإسلام: عن تواريخهم ومواقفهم، وقضاياهم السابقة، وآراء الناس فيهم، ينبغي أن يكون عندنا ملف لكل واحد.

QaradawiBooks.com

وما يقوله الأخ السائل عن الأستاذ عمر التلمساني، ويقول: حتى لو كان هذا زيفًا فأين التخطيط؟ كثيرًا فعلًا ما يُفترى على الناس، وتريد أن ترد عليهم فلا تُمكَّن من الرد، هذا واقع في الحقيقة. وعلى كل حال أنا مع الأخ السائل: أننا لا زلنا في حاجة إلى تخطيط، وتخطيط قوي، نحن الآن في مرحلة الإيمان بضرورة التخطيط والشروع في التخطيط، وبعض الناس بدؤوا فعلًا، ولكن في ظنـــي أنَّها بداية متواضعة، يجب أن تكون على مستوى أكبر، وعلى مستوى عالمي، وأن نستفيد من إمكانات هذا العصر، وإذا صدق العزم وضح السبيل إن شاء الله.

السؤال السابع: هل صحيح أنَّ جمال عبد الناصر عمل على تأخير الدعوة الإسلامية والقضاء عليها؟ ولماذا عمل ذلك؟ وما قصة حادثة المنشية؟

الجواب: طبعًا أنا لا أحب أن أتكلم عن الأموات، ولكن الأشخاص الذين لهم صفة العموم يكون الكلام عنهم من حق الناس جميعًا، لا شك أنَّ موقـــف عبد الناصر من الدعوة الإســـلامية ومن الحركة الإســـلامية موقف مؤلم، لا شكَّ أنَّه أصابها بجراح خطيرة، قُتل مَنْ قُتل، وشُرِّد مَنْ شُرِّد، وجاع مَنْ جاع، مات الناس تحت العذاب، أنا رأيت بنفسي أناسًا ماتوا تحت ســـياط التعذيب. ولم يقتصر الأمر على هذا، أنا أعرف أحد الناس شُلَّت والدته حين بلغها الخبر بأخذه، وظل معتقلًا عشر سنوات، ويشـــاء الله أنْ يخرج بعد أن تتوفـــى والدته بأســـبوع، حُرمت حتى من رؤيته، وزرتها وهي لا تستطيع أنْ تتكلم؛ شُلَّت حركتها ولسانها!

ضحايا هؤلاء كثيرة، فلا شـــكَّ أن هؤلاء الناس وقفوا فـــي وجه الدعوة الإســـلامية، وكانوا يظنون أنَّ هذا ســـينهي الدعوة الإســـلامية، ولن تقوم لها قائمة، ولكن الحمد لله لم تنتهِ الدعوة الإسلامية، صحيح أُخِّرت لكنها لم تنتهِ.

QaradawiBooks.com

وهناك قضية أحب أن أنبّه عليها: وهي أنَّ الدعوة الإسلامية تنتعش في ظل الحرية، حينما يوجد جو حر تنتعش الدعوة والحركة الإسلامية؛ لأنَّ الدعوة الإسلامية دعوة الفطرة، فإذا تُرك لك المجال لتدعو؛ ستجد الاستجابة من الناس، ولذلك الأوقات التي انتعشت فيها الدعوة ونمت وانتشرت في آفاق واسعة هي أوقات الحرية، وما ضُرب الإسلام ودعوته في كل البلاد إلا تحت وطأة الاستبداد.

كيف قضى أتاتورك على الدعوة والحركة الإسلامية في تركيا؟ فعل هذا بالحديد والنار، الشعوب فطرتها مع الإسلام، وقلوبها مع الإسلام، فإذا وُجِد الاستبداد استطاع أن يؤخر الدعوة الإسلامية.

ولما حدث شيء من الحرية بعد عبد الناصر، وأُغلقت المعتقلات عدة سنوات: انتعشت الدعوة، وقامت الجماعات الإسلامية، وقام الشباب المسلم، وقامت حركة إسلامية كبيرة ضخمة، هذا في ظل الحرية! أمَّا الاستبداد الذي يمنعك أن تتكلم، ولا يسمح لك بصحيفة، ولا يسمح لك بمنبر، ولا يسمح لك بتجمع، إذا اجتمع خمسة أشخاص اعتبر هذا جريمة، وفي نفس الوقت يُسمح للشيوعيين ولغيرهم بأن تكون لهم حركتهم، ويكون لهم وجودهم، وأن يقفزوا على أجهزة الإعلام، وعلى الصحافة وعلى كذا، فهذا هو الخطر كل الخطر.

السؤال الثامن: ذكرت أنَّ الإمام الشهيد حسن البنا كان يعرف فن الخلاف، فاذكر لنا بعض المواقف التي تدل على ذلك؟

الجواب: أنا قلت: إنَّ الإمام حسن البنا يعرف أدب الخلاف. هناك فقه الخلاف وأدب الخلاف، لا يمكن للناس أن يتفقوا على رأي واحد، هناك أشياء أساسية يجب أن يتفق عليها الناس؛ مثل العقائد الأساسية،

QaradawiBooks.com

ومثل الفرائض، ومثل المحرمات القطعية، ومثل أصول الفضائل، ومثل أصول العبادات، ومثل مكارم الأخلاق.. هذه مفاهيم أساسية يتفق عليها الناس.

وبعد ذلك هناك أشياء كثيرة هي مجال للاختلاف، والله تعالى هو الذي أراد هذا، لأنَّه قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]. لو أراد ألا يختلف الناس؛ لأنزله كله مُحكمًا، وجعل كل الأحكام قاطعة لا مجال فيها لرأي أو خلاف، لكنَّه تعالى أراد هذا حتى يكون الناس في سعة، ولذلك اختلف الصحابة بعضهم مع بعض في الفروع.

في الأصول كانوا متفقين، أمَّا في الفروع فكانوا مختلفين، فكان لأبي بكر رأي في توزيع العطاء: أن يجعل الناس سواسية. وعمر يقول: لا، أنا لا أجعل من قاتل رسول الله يومًا كمن قاتل معه، السابقون لهم فضلهم، وآل البيت لهم فضلهم، والرجل وبلاؤه، والرجل وسابقته، والرجل وحاجته، إلى آخره[١].

واختلف بعض الصحابة في الميراث؛ فكان عمر يخالف زيد بن ثابت في بعض المسائل، فقيل له: لماذا لا تنفذ رأيك وأنت أمير، لماذا لا تترك زيد بن ثابت ورأيه؟ قال: لا، لو كنت أرده إلى كتاب الله وسنة رسول الله فعلت، ولكنَّه رأي والرأي مشترك[٢]. صحيح أنا أمير المؤمنين؛ لكنَّه فقيه، وأنا فقيه، فالخلاف كان قائمًا بين الصحابة.

---

(١) الخراج لأبي يوسف صـ٥٣، ٥٤، تحقيق طه عبد الرؤوف وسعد حسن محمد، نشر المكتبة الأزهرية للتراث.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١٦١٤)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

وللخلاف أسبابه الكثيرة: أسباب من النص نفسه، فهناك من يأخذ بالحقيقة، وهناك من يأخذ بالمجاز، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]. ابن عباس يرى أنَّ الملامسة كناية عن الجماع، وقال: المس واللمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع، إنَّ الله حيي كريم، يكني عما شاء بما شاء[١]، فالمس في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [مريم: ٢٠]. كناية عن الجماع. لكن ابن عمر قال: لا، المقصود لمس البشرة للبشرة على وجه الحقيقة[٢]. فأخذ أحدهم بالحقيقة، وأخذ الآخر بالمجاز.

وكان ابن عمر وابن عباس يمثلان شخصيتين متمايزتين: ابن عمر متشدد يأخذ نفسه بالشدة، ويفتي بالشدة، وابن عباس متساهل ميسر، ولذلك كان ابن عمر إذا أراد أنْ يتوضأ يدخل الماء باطن عينيه لأنَّه يرى ذلك من الوجه، وإذا اقترب منه الأطفال الصغار أبعدهم عنه خشية أنْ يسيل لعابهم عليه! وابن عباس يُقرِّبهم ويقبِّلهم ويقول: إنَّما هم رياحين نشمها.

ولذلك لما طلب أبو جعفر من الإمام مالك أن يؤلف «الموطأ» قال له: تجنب فيه شدائد ابن عمر، ورخص ابن عباس[٣]. فلكل واحد شخصية متمايزة، تجد المشدد والمُيسِّر والمتوسط، والظاهري كابن حزم، وصاحب الرأي كأبي حنيفة، والمتوسط بينهما.

---

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٨٢٦).

(٢) رواه مالك في الصيام (١٠٢٩)، ت الأعظمي.

(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (٢/٧٢، ٧٣)، نشر مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ط١.

QaradawiBooks.com

هكذا كان الصحابة، فكان الإمام الشهيد حسن البنا يفقه هذا، ويرى أنَّه لا يمكن أن يجتمع الناس على رأي واحد، وذكر هذا في أكثر من رسالة من رسائله، مثل رسالة «دعوتنا»، ورسالة «نحو النور»، وغيرهما، فكان يتميز بفقه الاختلاف، وأدب الاختلاف، وتبنَّى القاعدة الذهبية: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه[1].

ولما ذهب إلى إحدى القُرَى يلقي فيها محاضرة، وكان أهل البلد مختلفين في صلاة التراويح، انقسموا إلى فريقين، جماعة يرون أنَّها ثماني ركعات، وجماعة يرون أنَّها عشرون ركعة، وكادوا أن يقتتلوا، فلما جاءهم الإمام البنا قالوا له: احكم بيننا. فقال: أريد أنْ أسألكم سؤالًا: ما حكم صلاة التراويح؟ قالوا: سنة. قال: وما حكم الأُخوَّة بين المسلمين؟ قالوا: فريضة. قال: أمِنْ أجل سُنَّة تضيعون فريضة؟ أيعادي بعضكم بعضًا، ويقاتل بعضكم بعضًا من أجل سنة؟!

لو ذهبتم إلى بيوتكم وصليتم التراويح منفردين، وبقيتم متحابين لكان أفضل. كل واحد يعمل بالرأي الذي رجح واقتنع به، فمن يرى أنَّ صلاة التراويح ثمانية، وعنده من الأدلَّة ما يؤكد هذا فليصلِّها ثمانية، ومن يرى أنَّها عشرون، وعنده من الأدلة ما يؤكد هذا فليصلِّها عشرين، ولا تختصموا! فهذا من أدب الخلاف الذي يجب أن نعرفه.

يجب أنْ يكون عندنا نوع من العذر للمخالفين، الإمام ابن تيمية ألف رسالة لطيفة وجيزة مركزة؛ سمَّاها «رفع الملام عن الأئمَّة الأعلام»، قال: ليس هناك إمام تعمد أنْ يخالف النبي ﷺ ويترك السُّنَّة، لا، ولكن لا بدَّ أنَّه خالف بتأويل عنده، إما أنَّ الحديث لم يثبت عنده، أو أنَّه يرى

(١) سبق تخريجه صـ٢٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أن هذا الحديث عام خصص بحديث آخر، أو مطلق قيَّده حديث آخر، أو عارضه معارض آخر، أو يراه منسوخًا، أو يراه لا يدلُّ على هذا الأمر، إلى آخره. فهذا هو أدب الخلاف الذي ندعو إليه.

السؤال التاسع: بالنسبة لكتابكم «الحلال والحرام في الإسلام» فيه أنَّ الغناء حلال، وكذلك الاستمناء؛ فما هي الأدلَّة على ذلك، وخصوصًا أن هناك كثيرين يستدلون على حلية هذه الأمور من هذا الكتاب؟

الجواب: بالنسبة للغناء؛ أولًا المبيح ليس عليه دليل، الدليل على المُحرِّم، لأنَّ الأصل في الأشياء الإباحة، فمن قال عن شيء: حرام. فعليه الدليل، كما جاء في حديث أبي الدرداء: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو؛ فاقبلوا من الله عافيته؛ فإن الله لم يكن لينسى شيئًا**». ثم تلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤][(١)]. فالأصل الحل، وما عدا ذلك فهو في دائرة العفو، فالذي يُحرِّم هو الذي يلزمه الدليل.

ومع هذا دللت على ذلك بأشياء، منها أنَّ النبي ﷺ أباح الغناء في الأعراس ونحوها وسمح بها، والحقيقة أنَّه لم يقم دليل صحيح صريح على حرمة الغناء، هناك أدلة صحيحة غير صريحة، أو صريحة غير صحيحة، إنَّما لا يوجد دليل صحيح صريح معًا، هناك حديث من معلقات البخاري: «**ليستحلن ناس من أمتي الحِرَ والحرير، والخمر والمعازف**»[(٢)].

(١) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير، وإسناده حسن، ورجاله موثقون.

(٢) رواه البخاري في الأشربة (٥٥٩٠) معلقًا، عن أبي مالك الأشعري. وانظر كتابنا: فقه الغناء والموسيقى صـ٤٠ ـ ٤٤، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

وهذا غير صريح، لأنَّه ليس معروفًا هل المحرم كل فرد من هذه الأشياء، أم الصورة مجتمعة؟!

الحِـرُ، والحرير، والخمـر، والمعازف مجتمعة تـدل على مجتمع متحلل، كما جـاء في نفس هذا الحديث عن ابـن ماجه، من رواية أبي مالك الأشعري: «**ليشربن قوم من أمتي الخمر، يسـمونها بغير اسمها، تضرب على رؤوسهم القيان والمعازف**»[(١)]. فهنا القيان والمعازف مكملة لصورة المجتمع المتحلل.

ولهذا إذا كان الغناء غير مقترن بمحرم، لأني لم أبحه إباحة مطلقة، لا، بل أبحته بقيود: ألا يقترن بحرام، وأن يكون موضوعه حلالًا، وليس كمن يقول: «الدنيا سيجارة وكاس». أو من يقول: «أبو عيون جريئة». الله تعالى يقول: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ**﴾ [النور: ٣٠]. وهذا يجرِّئ العيون على النظر! وكذلك طريقة الأداء نفسها يجب ألا يكون فيها تكسر وإغراء، وبعد هذا كله ألا يسرف في سماع الغناء، لا يظل الإنسان طول نهاره يسـمع الغناء؛ كما يفعل الناس في عصرنـا، لا، هذا لهو، واللهو ينبغي أن يكون له حد معقول، إذا كان الإسـلام يقول في العبادة نفسها: لا تسرف. لو أسرفت فيها يقول: «**إنَّ لبدنك عليك حقًّا**»[(٢)]. فكيف يفتح الباب على مصراعيه في اللهو؟ ولذلـك هناك حدود لإباحة اللهو، وقد ذكرت عدة حدود للغناء في كتابي «الحـلال والحرام»، وكتابي «فتاوى معاصرة»[(٣)].

---

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠٢٠)، وابن حبان في التاريخ (٦٧٥٨)، وقال الأرناؤوط: إسـناده ضعيف. وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٤٧)، عن أبي مالك الأشعري.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) وكتابنا: فقه الغناء والموسيقى.

QaradawiBooks.com

وكذلك موضوع الاستمناء أيضًا لم أبحه مطلقًا غير مقيد، إنَّما أبحته لمن يخشى على نفسه الوقوع في الحرام؛ أخذًا برأي الحنابلة أنَّهم أجازوا هذا لمن يخاف على نفسه الوقوع في المعصية؛ ولم يستطع أن يعف نفسه بالزواج، فقلت: إذا كان شابٌّ يعمل غريبًا عن وطنه، وأمامه الإغراءات بالحرام ميسرة، ويخاف أن يقع في المعصية: يمكن أن يفعل هذا؛ على ألَّا يتخذ ذلك ديدنًا وعادة، لا يكون عادة سرية كما يقولون! وقلت أيضًا: وأفضل من ذلك أن يتجه إلى ما أرشد إليه الحديث: «**فمن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجاء**»[1].

السؤال العاشر: ذكرت أنَّ للصحوة الإسلامية خصائص فما هي؟

الجواب: ذكرت هذه الخصائص، قلت: إنَّها أصبحت صحوة علمية وليست صحوة عاطفية، هي صحوة علم وعقل وفكر، وأنَّها ليست صحوة ارتجالية، بل أصبحت تؤمن بالتنظيم، وليست صحوة فردية، بل تؤمن بالعمل الجماعي، وأنَّها صحوة عملية بالفعل، وليست صحوة كلام، أصبحت تمارس العمل والسلوك الإسلامي والخلق الإسلامي، وتمارس نشاطها في كافة المجالات، ذكرت عدة خصائص.

ومن الخصائص التي نسيت أن أذكرها أنَّها صحوة عالمية، وليست صحوة محلية، ليست صحوة في الكويت فقط، ولا صحوة في مصر فقط؛ بل هي والحمد لله أصبحت صحوة عامة في كل مكان، وحيثما ذهبت في أرض الإسلام أجد ثمار هذه الصحوة، بل في غير أرض الإسلام: في أوروبا وأمريكا، وفي بلاد الشرق الأقصى وجدت هذه الصحوة.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

بل أقول لكم: هذه الصحوة في أوروبا وأمريكا قد تكون أقوى ما تكون، لأننا في بلاد الإسلام قد لا نستطيع أن نفعل ما يفعله الناس في بلاد الكفر، ولعل بعض الشباب هنا حضر بعض المعسكرات الكبيرة التي تُقام في أمريكا وغيرها. أنا حضرت من سنتين معسكر لرابطة الشباب المسلم العربي في إحدى المدن الأمريكية، اتخذوا من الأعياد التي يسميها الناس «الكريسماس» هذه الأربعة أيام التي يقضيها الناس في الفجور والخمور، اتخذوها للعمل الإسلامي، عملوا مخيمًا حضره حوالي أربعة آلاف من الرجال والنساء، واستأجروا فندقين، فندقًا للرجال وفندقًا للنساء، وقاعة رياضية تُقام فيها المحاضرات والندوات، والأنشطة وصلوات الجماعة، والأناشيد الإسلامية، عمل من قبل الفجر، الحجرات التي كان يُشرب فيها الخمور يُتلى فيها القرآن، ويدوى كدوي النحل، ثم تقام صلاة الجماعة في أعلى الفندق وأسفله، وحينما يطلع الصباح تُفتح الصالة الرياضية، ويبدأ فيها النشاط طول اليوم. الصلوات الجماعية والأذان يُرفع في قلب أمريكا!

مثل هذه المعسكرات لا تستطيع للأسف أن تقوم بها في معظم البلاد الإسلامية، فمن خصائص هذه الصحوة أنَّها صحوة في كل مكان، وأنَّها صحوة شباب، وشباب مثقف، الطابع العام لها أنَّ الشباب الذين كانوا بعيدين عن هذه الناحية هم العدة في هذه الصحوة، وخاصة الشباب الجامعي، والشباب المثقف، فهذا أيضًا من الخصائص الأساسية للصحوة الإسلامية.

السؤال الحادي عشر: ما رأيكم فيمن يدَّعي أنَّ التعدُّد والاختلاف الموجود بين الجماعات الإسلامية أمر صحي؛ لمواجهة التيارات المختلفة؟

الجواب: تعدد الجماعات الإسلامية يمكن أن يكون صحيًّا، ويمكن أن يكون مَرَضيًّا، يكون صحيًّا إذا كان تعدُّد تنوُّع، كما يقول ابن تيمية

QaradawiBooks.com

عن الخلاف بين المفسرين، مثل اختلافهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]. واحد يقول: الصراط هو الإسلام. وثانٍ يقول: الصراط هو القرآن. وثالث يقول: الصراط هو السُّنَّة. فيقول ابن تيمية عن هذا الاختلاف: هو اختلاف تنوُّع، وليس اختلاف تضاد. ليس اختلاف تناقض.

ومن هنا إذا كان اختلاف الجماعات الإسلامية اختلاف تنوع، فجماعة تهتم بتصحيح العقيدة ومحاربة الخرافات وكذا، وجماعة تهتم بالعبادة والسلوك والتربية الإيمانية وكذا، وجماعة تهتم بالعمل الاجتماعي والخيري وإطعام الفقراء وكذا، وجماعة تهتم بالعمل الثقافي والفكري والتربوي وكذا، وجماعة تهتم بالعمل السياسي والتشريعي ودخول البرلمانات، إذا كان هذا الاختلاف من هذا القبيل تنوع الاهتمامات والاختصاصات فلا مانع، على أن يعاون بعضنا بعضًا، ويكون الجميع صفًّا واحدًا في القضايا المصيرية، حينما يواجهنا عدو نكون جميعًا يدًا واحدة، مثل هذا يكون تعددًا صحيًّا.

أمَّا إذا حاول كل منا أن يهدم الآخر، وأن تكون مهمة كلٍّ منا أن يشوه الآخرين هنا يكون التعدد ظاهرة مرضية، لكن تعدد التنوع والتخصص ليس فيه أي خطر، بل هو خير إن شاء الله.

السؤال الثاني عشر: ما هي الوسائل الممكنة لجمع الجماعات الإسلامية وهل لديكم جهود في هذا السبيل؟

الجواب: جهودي هي جهود فكرية، وأنا أدعو إلى هذا في كتاباتي ما استطعت، وقد أخذت مني مجلة «الأمة» القطرية حديثًا تعرضت فيه لهذه الناحية، يمكن أن يُنشر الشهر القادم، ومجلة «الإصلاح» في دبي

QaradawiBooks.com

أخذت مني حديثًا قريبًا أيضًا وتعرضت فيه لهذه الناحية، فنحن نحاول فعلًا أن نجمع العاملين للإسلام بقدر الإمكان، وهذا جهد فردي، ولكن عندنا أيضًا جهود كبيرة.

أنتم تعرفون أن مما يشغلنا الآن أيضًا موضوع المؤسسة الخيرية الإسلامية العالمية، التي ناديت بها هنا العام الماضي، أنَّه كما رصد المبشرون ألف مليون دولار لتنصير المسلمين في العالم قلنا: لماذا لا نرصد ألف مليون دولار لحماية المسلمين في العالم؟ نحن أغنياء ولسنا فقراء، فيجب أن نعمل لحماية المسلمين، هؤلاء يستغلون فقر المسلمين وجوعهم، وجهلهم ومرضهم؛ ويتسللون إليهم في أفريقيا وآسيا وغيرها، فقلنا: لا بدَّ أن نحاول جمع ألف مليون دولار؛ لا لنوزعها، ولكن لنستثمرها وننفق من ريعها، يمكن أن يأتي لنا من ريعها مائة أو مائة وعشرون مليونًا نستطيع أن ننفق منه على المشروعات الإسلامية، والبلاد الإسلامية والمراكز الإسلامية، نحن قادرون وعندنا آلاف الملايين.

وقلنا: إنَّ المسلمين في العالم ألف مليون، لو دفع كل واحد دولارًا واحدًا نجمع الألف مليون، ولذلك كان شعارنا: ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا. كان اليهود يقولون في الأربعينيات: ادفع دولارًا تقتل عربيًّا. ونحن نقول: ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا.

أرسل لي أحد الإخوة من السعودية يقول: ربما لا نستطيع أن نصل إلى كل مسلم ليدفع لنا دولارًا، فبدلًا من هذا نحصي مليون مسلم من أوساط الناس وكل واحد يدفع ألف دولار. وكثيرون يستطيعون أن يدفعوا ألف دولار، فهذا ممكن إذا صدقت النيات وخططنا كما يطالب

QaradawiBooks.com

الأخ الذي يطالبنا بالتخطيط والتنظيم، نستطيع أن نقف أمام الشيوعية، وأمام التبشير، وأمام غيرهما.

مشكلتنا أننا لم يعد عندنا خليفة، حُطِّمت الخلافة، لو كان بيننا خليفة لقال: يا مسلمون في العالم، كل واحد يدفع دينار. وليس عندنا بابا كما عند النصارى، ليس عندنا قيادة دينية، قديمًا كان هناك منصب شيخ الإسلام، لكن لم يعد هناك أحد تستطيع أن تقول عنه: شيخ الإسلام؛ لأنَّ السياسة حطمت العلماء وأفسدتهم، فلم يعد أمامنا إلا أن نعمل العمل الجماعي، عن طريق الجماعات والتنظيمات، هذا هو المشروع المهم في الحقيقة الذي ينبغي أن يكون كل منكم جنديًّا فيه إن شاء الله، حتى نحمي المسلمين من التنصير ومن الشيوعية.

السؤال الثالث عشر: الإسلام هو المطالِب الأول لحرية الإنسان؛ فلماذا لا يُطالب بحرية المرأة أيضًا؟ أم أنَّ الإسلام فرَّق بين إنسانية المرأة وإنسانية الرجل؟ أم أنَّ المرأة خُلقت لكي تُعزل بالحجاب عن العالَم؟

الجواب: الإسلام طبعًا هو أول من حرَّر المرأة، كانت المرأة في الجاهلية كأنها شيء من الأشياء، كانت تُورث ولا تَرث، يرث الرجل من أبيه دابته وحماره وامرأته، إن شاء تزوَّجها، وإنْ شاء عضلها لتفدي نفسها منه. فلا يتزوجها ولا يتركها؛ إلا دفعت له «إتاوة»، وكانت تُجبر أحيانًا على الزواج ممن تكره!

وكانت تُوأد وهي مولودة، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، فجاء الإسلام وجعل الأنثى منذ ولادتها هبة من الله، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]، حتى شاع عند المسلمين أن خير النساء من بكَّرت بأنثى، استبشارًا بهذه الآية، التي بدأ فيها بالإناث.

QaradawiBooks.com

حرَّر الإسلام المرأة من صغرها؛ فحماها من الوأد، وجعل لها رأيًا في الزواج، لا يملك الأب أن يجبر ابنته على أنْ تتزوج من يشاء! وجاءت إحدى النساء قالت: يا رسول الله، إنَّ أبي يريد أن يزوجني من ابن أخيه، وأنا له كارهة. فقال لها: «**أجيزي ما صنع أبوك**». فقالت: لا. فكرَّر عليها، وهي تقول: لا. فجعل الأمر إليها. فقالت: أجزت ما صنع أبي يا رسول الله، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء[(١)].

فلإسلام حرر المرأة وكرَّمها: كرَّمها بنتًا، وكرَّمها زوجة، وكرَّمها أمًّا، وكرَّمها إنسانًا، وكرَّمها عضوًا في المجتمع، لم يعزلها كما يقول صاحب السؤال أو صاحبة السؤال لا أدري، لا لم يعزلها، الله تعالى يقول: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١].

وقالت المرأة لعمر وهو على المنبر: لا يا عمر، كيف تقول هذا والقرآن يقول كذا. فقال: أصابت المرأة وأخطأ عمر[(٢)]. لم يقل لها: اسكتي يا امرأة، لماذا تتكلَّمين؟ والقرآن قصَّ علينا قصة ابنتي الشيخ

---

(١) رواه أحمد (٢٥٠٤٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن ماجه (١٨٧٤)، والنسائي (٣٢٦٩)، كلاهما في النكاح، والدارقطني في السنن (٣٣٤/٤ ـ ٣٣٦)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٤٨/١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها. قال الدارقطني: هذه كلها مراسيل، ابن بريدة لم يسمع من عائشة شيئًا. وكذا قال البيهقي عقبه: وفي إجماع هؤلاء على إرسال الحديث دليل على خطأ رواية من وصله والله أعلم.

(٢) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٠٥٩)، والبيهقي في الصداق (٢٣٣/٧)، وقال: منقطع. ورواه من طريق آخر عن بكر بن عبد الله المزني، عن عمر، وقال عقبه: مرسل جيد. وساقه ابن كثير في تفسيره (٢٤٣/٢، ٢٤٤) بإسناد أبي يعلى، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عمر، وقال عقبه: إسناده جيد قوي. وكذلك قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٩٦/١، ٢٩٧)، والسخاوي في المقاصد (٨١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٢١/٤، ٥٢٢): رواه أبو يعلى في الكبير وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف وقد وثق.

QaradawiBooks.com

الكبير في سورة القصص، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٣ ـ ٢٥]، كلمته وكلمها، لم يقل أحد: إنَّها بنت قليلة الأدب، وكيف تذهب لرعاية الغنم وسقيها؟ ما دامت الأسرة تحتاج إلى عمل المرأة فللمرأة أن تعمل.

فالإسلام كرَّم المرأة وحررها، وحماها وأعطاها حقها، غاية ما في الأمر أنَّ الإسلام لم يقبل أن يجعل المرأة بضاعة رخيصة، أن يجعلها لحمًا يُباع في الأسواق، تستغل أنوثتها في كل اتجاه، لا، المرأة إنسان مُكرَّم، وهي كالرجل، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، فالرجل من المرأة، والمرأة من الرجل، وهي تكمل الرجل، والرجل يكملها.

ليست هناك عداوة بين الرجل والمرأة كما يُراد أن يُفهموا الناس: أن للمرأة قضية، من هي المرأة؟ هي ابنتي وزوجتي، وأختي وأمي، وعمتي وخالتي، فليس هناك معركة بين الرجل والمرأة في الإسلام.

صحيح أنَّ هناك بعض الأزواج يظلمون نساءهم، وهناك آباء يظلمون بناتهم، والرسائل تأتيني في برنامج الفتاوى الذي يُبث من قطر، عن بعض هذه المآسي، لكن تصرفات المسلمين لا تُحسب على الإسلام بحال من الأحوال.

السؤال الرابع عشر: يُقال: إنَّ أسباب تفرُّق الجماعات الإسلامية هي أسباب عقدية فما هو ردك على ذلك؟

الجواب: هذا ليس صحيحًا، طبعًا هناك خلافات فكرية بين

QaradawiBooks.com

الجماعات العاملة للإسلام، التي تؤمن بالأساسيات الإسلامية، لكن بعد ذلك هناك أشياء كل واحد له رأي فيها، وليست أسبابًا عقائدية.

لكن لو هناك أناس يؤمنون بالشركيات والخرافات أو كذا؛ فممكن أن تكون هنا أمور عقائدية، أمَّا الذين يؤمنون بالإسلام من القرآن والسُّنَّة، يؤمنون بالأساسيات الإسلامية؛ فأعتقد أنَّ الجماعات العاملة للإسلام يمكن أن تتفق، والفروق الفكرية بينها يمكن أن يُتغاضى عنها، وهذا معنى «نتعاون فيما اتفقنا عليه»، لأن ما اتفقنا عليه جزء كبير يسند الوحدة التي لا بدَّ منها، والأشياء الأخرى المخالف عليها يعذر بعضنا بعضًا فيها؛ لأنَّها أشياء تتعلق بالفرعيات، وليست بالعقائد الأساسية.

السؤال الخامس عشر: هل يمكن للصحوة الإسلامية أن تنمو بمساعدة تيارات أخرى غير إسلامية، كما حصل للإخوان مع حزب الوفد، وهل حزب الوفد حزب إسلامي؟

الجواب: نعم يمكن للصحوة الإسلامية أن تتفق فعلًا مع بعض الحركات الأخرى لمقاومة حركات أشد منها خطرًا، هذا يدخل في باب واسع جدًّا، للأسف يجهله كثير من الإسلاميين اسمه «باب السياسة الشرعية»، وهي السياسة التي تقوم أساسًا على الموازنات بين المصالح والمفاسد، بين المضار والمنافع، بين المكاسب والخسائر، ترتكب أخف الضررين، وتفوت أدنى المصلحتين، وتحتمل الضرر الخاص من أجل الضرر العام، تتحمل الضرر الأدنى من أجل دفع الضرر الأعلى، تتعاون مع واحد بعيد عن الإسلام لمقاومة واحد أبعد عن الإسلام منه، وهكذا.

QaradawiBooks.com

الكفر نفسه درجات، هناك كفر دون كفر؛ كما قال عطاء[١]، كما أن هناك ظلم دون ظلم، بعض الكفر أشد من بعض، حينما انتصر الفرس على الروم والمسلمون في مكة حزن المسلمون، وفرح المشركون، مع أنَّ الفرس والروم كلاهما كافر، لكن هناك ناس أقرب من ناس.

الروم البيزنطيون نصارى فهم أهل كتاب؛ فيُعتبرون أقرب إلى المسلمين، والمجوس يعبدون النار؛ فهم أقرب إلى الوثنيين المشركين، ولذلك المشركون أنفسهم فقهوا هذا؛ ففرحوا بانتصار الفرس على الروم، وحزن المسلمون، وقامت بينهم معارك جدلية، ورهان وأشياء، ونزل القرآن في ذلك يقول: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٢ ـ ٥]. نصر الله هو نصر الروم على الفرس، فيجب أن نوازن بين درجات الناس بعضها وبعض، ومدى قربهم من الإسلام وبعدهم عنه.

ومن هنا تحالف الإخوان في مصر مع حزب الوفد؛ لأنَّهم وجدوه أقرب الناس إليهم، لم يلقوا على يده تعذيبًا كما لقوا على أيدي الآخرين.

ثم إنَّ من الأشياء المهمة الآن كما قلت لكم بالنسبة للحركة الإسلامية في كل بلد: أن يوجد للناس جو يتنفسون فيه الحرية، والوفد كان دائمًا من دعاة الحرية، ولذلك لم يحدث في عهده ضغط ولا تعذيب، فنحن مع الوفد نعمل من أجل مرحلة، ليس من أجل الهدف النهائي.

---

(١) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٥٧٥)، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

QaradawiBooks.com

فمن التخطيط الذي يطالب به بعض الإخوة أن تقسم مطالبك إلى مراحل، فيمكن في مرحلة معينة أتحالف مع بعض الناس؛ حتى أصل إلى هدف مُلِحٍّ، وهو أنْ أزيل النظام الاستبدادي، وأُوجِد نظامًا حرًّا. فلا مانع من هذا التحالف، والسياسة الشرعية تجيز للإنسان هذا، والتحالف يجوز حتى مع الكفار.

والنبي ﷺ حالف خُزَاعة، تعرفون أن من شروط صلح الحديبية أن من أراد أن يدخل في حلف قريش دخل في حلفها، ومن أراد أن يدخل في حلف محمد دخل في حلفه، فدخلت بكر مع قريش، ودخلت خزاعة مع النبي ﷺ، فهذا أمر تجيزه السياسة الشرعية، وهو مبني على الاجتهاد، والاجتهاد في هذه الأمور باب واسع كما قلت لكم، وحتى لو أخطأ الإنسان فيه، ولم تجئ النتيجة كما يريد؛ فهو مأجور على كل حال.

السؤال السادس عشر: يصفك كثيرون بأنك متساهل في كتابك «الحلال والحرام»، وخصوصًا في التصوير واللحى وغيرها فما رأيك؟

الجواب: هناك أناس يصفوني بأنِّي متساهل، وآخرون يصفوني بأنِّي متشدد، فالأمر على حسب الناس، وأنا أخبركم عن منهجي: منهجي التشديد في الأصول، والتيسير في الفروع. في الأمور الأصولية الأساسية لا كلام فيها، أمَّا الأمور الفرعية التي فيها مجال للرأي والاختلاف أنا أيسر على الناس فيها؛ لأنني أكتب لعموم الناس، الأصل أنِّي كتبت «الحلال والحرام» ليُترجم إلى الإنجليزية لغير المسلمين؛ فلا بدَّ أن أراعي عموم الناس، أمَّا تفتي الناس جميعًا بالتشديد فلا!

وأنا على كلِّ حال لا أتساهل أبدًا في شيء في نصوص محكمة، أمَّا الشيء الذي فيه مجال للتساهل أتساهل فيه، فإذا وجدت قولين

QaradawiBooks.com

متكافئين: أحدهما أحوط، والآخر أيسر؛ أفتي بالأيسر، لماذا؟ لأني أفتي لعموم الناس، لو أراد أحد أن يأخذ بالأحوط لنفسه فليفعل، أمَّا أنا فأفتي لعموم الناس ـ وفيهم القوي والضعيف ـ فأفتيهم بالأيسر، وحجتي في هذا أنَّ النبي ﷺ ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا[1]. والناس في عصرنا، في عصر ضعف فيه الدين؛ فهم محتاجون إلى التيسير والترخيص، حتى لا يهرب الناس ويتفلتوا من الدين.

وأنا لم آتِ برأي لا سلف لي فيه، كل هذه الآراء التي ينكرها بعض الناس هناك من قال بها، وأنا آتي بأدلة فيما أورده من مسائل؛ فمن أراد أن يأخذ بها فليفعل، ومن أراد أن يأخذ بالرأي المتشدد فليفعل، لكنِّي أفتي بهذا لجمهور الناس، وعلى كل حال.. سيظل أهل الفقه فيهم المتشددون، وفيهم الميسرون، وكما قلت لكم: هناك شدائد ابن عمر، ورخص ابن عباس، فمن لم تعجبه رخص ابن عباس؛ يذهب لشدائد ابن عمر، وهذه سنة الله في الناس، وكما نقل الإمام النووي في مقدمات «المجموع» عن الإمام سفيان بن سعيد الثوري هذه الكلمة: إنَّما الفقه الرخصة من ثقة، أمَّا التشديد فيحسنه كلُّ أحد[2]. ما أسهل أن يقول أي أحد: حرام.. حرام. لكن من يحاول أن يوجد للناس مخرجًا قائمًا على الأدلة وليس بالهوى؛ فهذا هو الفقيه! ونرجو أن يجعل الله لنا حظًّا في الفقه، ويجعلنا من أهل الفقه والعمل إن شاء الله.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٠)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٧)، عن عائشة.
(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٤٦٧).

QaradawiBooks.com

٢

واجبات الصحوة الإسلاميَّة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبفضله تتنزَّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات. والصلاة والسلام على مَنْ أرسله ربُّه رحمةً للعالمين، وحُجةً على الخلق أجمعين، سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتبعوا النور الَّذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون. ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فخير ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة والأخوات تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأشكر للأستاذ الدكتور عمَّار الطالبي ـ رئيس جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة ـ كلمته في تقديمي، وأسأل الله تعالى أن أكون عند حُسن الظن، وأن يغفر لي ما لا يعلم، وما لا تعلمون.

(١) ألقيت بجامعة الأمير عبد القادر بالجزائر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كما أشكر لأسرة الجامعة: أن هيَّأت لي هذه الفرصة؛ لألتقي بأبناء هذه المدينة الحبيبة إليَّ، العزيزة عليَّ، التي أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يومها خيرًا من أمسها، وأن يجعل غدها خيرًا من يومها، وأن يجعلها دائمًا حاملةً لراية الإسلام، وقد قامت بذلك منذ عهد الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس، وإلى اليوم والغد إن شاء الله تعالى.

يا أيُّها الإخوة، حديثي إليكم ـ كما أشار الأخ الدكتور عمَّار ـ عن الصحوة الإسلاميَّة، كيف نستفيد منها؟ وكيف نرشدها؟ ونسدد خطاها؟

مفهوم الصحوة:

ما المراد بالصحوة الإسلاميَّة؟ الصحوة الإسلاميَّة، هي تلك اليقظة التي سرَت في العالم الإسلامي؛ بل سرَت في المسلمين خارج العالم الإسلامي، إنَّها صحوة ويقظة عامة، جاءت بعد نومٍ طال واتصل مُددًا طويلة، وظنَّ الناس بالإسلام الظنون، ظنُّوا أن صفحة الإسلام قد طُويت، وظنُّوا أن شمس الإسلام قد غربت، وظنُّوا أن جذوة الإسلام قد انطفأت، وخاب ظنُّهم، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، فالإسلام لا تنطفئ جذوته، ولا تسقط رايته.

قد ينام أهله مدة من الزمن، ولكن طبيعة الإسلام تأبى إلا أن توقظ النائم، وأن تُحرِّك الهامد، وأن تُحيي الميت، طبيعة الإسلام طبيعة حيَّة، مُحْيِية، مُحركة، مُوقظة، لهذا لا يمكن أن يستمر المسلمون نيامًا كما نام أهل الكهف، لا بدَّ أن يصحوا، وأن يستيقظوا.

تحمل الصحوة معنيَيْن في اللغة العربية، إمَّا صحوة بعد نوم، أو صحوة بعد سُكْر، وقد يفقد الإنسان وعيه بعوامل طبيعية، أو عوامل صناعية، وكما يحدث فقدان الوعي أو غيابه للفرد؛ يحدث كذلك للأمم وللجماعات.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الاستعمار الحديث:

وقد فقدت أمتنا في فترة من الزمن وعيها؛ لأن هذه الأمة أمة مسلمة، فإذا لم تعش الإسلام، وإذا لم تعش للإسلام، وإذا لم تعش بالإسلام، وإذا لم تستمد من الإسلام؛ فهي غائبة الوعي، وهذا ما حدث للأمة في فترة من الفترات.

حينما دخل الاستعمار بلاد المسلمين، كان المسلمون في فترة تخلُّف وانحطاط، والتخلُّف والانحطاط والبعد عن الإسلام؛ كثيرًا ما يكون سببًا لتسلط الأعداء على المسلمين. فالفساد في الداخل سبب لتسلط العدو من الخارج، كما أشارت إلى ذلك أوائل سورة الإسراء بما حدث لبني إسرائيل، اختلت أحوالهم فاحتُلت أوطانهم.

وهذا ما أصيب به المسلمون، كان لديهم ما سمَّاه المفكر الجزائري مالك بن نبي: القابلية للاستعمار، وجد الاستعمار بينهم مَنْ يقبله، وجد أرضية ممهَّدة له، فدخل الاستعمار بلاد المسلمين في غفلةٍ من الزمن، وتتابعٍ من المحن.

حركات التَّحَرُّر:

ولكن الإسلام بطبيعته يأبى الاستكانة، ويأبى الاستسلام، فوقف ضد الاستعمار، وخاض المسلمون المعارك في أوطانهم مشرقًا ومغربًا، وشمالًا وجنوبًا، كان الإسلام هو المُحرِّكَ الأول لتحرير الأوطان الإسلاميَّة من براثن الاستعمار، في كل البلاد، لعل في الجزائر كان ذلك أوضح ما يكون، المليون ونصف المليون شهيد الذين قدموا أرواحهم، ووضعوا رؤوسهم على أكفِّهم، هؤلاء كان الإسلام هو الدافع الأول لوقوفهم في وجه الاستعمار الاستيطاني الفرنسي، كان الإنسان الجزائري

QaradawiBooks.com

العادي يخوض المعركة باسم الإسلام، منذ أثار الشيخ عبد الحميد بن باديس وإخوانه في قلبه الجذوةَ:

شَعْبُ الجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وإلى العُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ[1]

هكذا بالعروبة والإسلام حرَّك هذا الشيخ إخوانه من العلماء والدعاة، هذا الشعب الَّذي أريد له أن يُذوَّب، ويصبح جزءًا من الإمبراطورية الفرنسية، الَّذي أبقى على الشعب الجزائري أن لا يذوب، وأبقى عليه شخصيته وذاتيته هو الإسلام، واللغة العربية، وهي لغة الإسلام، ولغة القرآن، ولغة العبادة، ولغة الثقافة الإسلاميَّة، ولغة التفاهم بين المسلمين.

قاد الإسلام المعارك في الجزائر، وفي غيرها من البلدان، وإلى اليوم، في أفغانستان، وفي أرض المقدسات والنبوات في فلسطين، الإسلام هو المُحرِّك الأوَّل.

الإسلام يزرع والعِلمانيَّة تحصد:

ولكن أقولها بمرارة وحرارة وأسى: الإسلام دائمًا يزرع، والعِلمانيَّة أبدًا تحصد، الإسلاميون يغرسون، ولكن الَّذي يقطف الثمرة غير الإسلاميين، حدث هذا منذ عهد أتاتورك في تركيا.

كان أتاتورك يقود الشعب التركي باسم الإسلام، وكان الناس يخوضون المعارك وهم يعتقدون أنَّها معارك إسلاميَّة، وكان العالم الإسلامي كله في كل مكان يستقبل هذه الانتصارات على أنَّها انتصارات إسلاميَّة، وكانوا يسمون مصطفى كمال أتاتورك الغازي مصطفى كمال،

(١) انظر: آثار ابن باديس (٣٣٤/٤)، تحقيق عمار الطالبي، نشر دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط١، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

الغازي المجاهد، وفي إحدى المعارك سجَّل ذلك أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته الشهيرة:

اللهُ أكبرُ كمْ في الفَتحِ من عَجَبِ يا خالدَ التُّرْكِ جَدِّدْ خَالِدَ الْعَرَبِ[1]

شبَّهه بخالد بن الوليد، يا خالد الترك، جدِّد خالد العرب.

ولكن خالد الترك سرعان ما انتفض على الإسلام، وقلب له ظهر المجن، ووقف يحارب هذا الدين كله، من أَلِفِهِ إلى يائِه، يحُارب أفكاره، ويحارب تقاليده، ويحارب أنظمته وقوانينه، حتَّى قوانين الأحوال الشخصية، حتَّى اللغة العربية لم تسلم، كانت اللغة التركية تُكتب بالأحرف العربية، فحرَّم هذا الحرف العربي؛ ليفصل بين الأجيال الجديدة وبين تراثها.

وحتى الأذان لم يسلم، فقد منع الأذان باللغة العربية، وكان الأذان بالتركية، وظل ذلك حتَّى عهد عدنان مندريس رحمه الله تعالى، فهو الَّذي أعاد الأذان باللغة العربية، وعندما سمع إخواننا الأتراك الأذان باللغة العربية، لأول مرة يسمعون كلمة الله أكبر من فوق المآذن، فكان الناس يسجدون لله شكرًا في الشوارع، على الأرض، وعلى الطين، ويبكون فرحًا، بعد أن حُرموا من سماع كلمة الله أكبر الله أكبر، أشهد أنَّ لا إلٰه إلا الله، أشهد أنَّ محمدا رسول الله، فالعِلمانيَّة استطاعت أن تقطف ثمار العمل الإسلامي، والجهاد الإسلامي، والتضحيات الإسلاميَّة.

وكانت النتيجة أن ما يُسمَّى الحكم الوطني في كثير من بلاد المسلمين بعد الاستقلال وقف من الإسلام موقفًا لا يسُرُّ أحباء الإسلام، وإنَّما يسُرُّ أعداء الإسلام، وعُطِّلت الشريعة الإسلاميَّة، أحيانا ينصُّ على

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أن دين الدولة هو الإسلام، ولكنها كلمة للتبرُّك فقط، أو لذرِّ الرماد في العيون، ديـــن الدولة؛ ولكن ديـــن الدولة لا يحكم الحيـــاة، ولا يضبط مسيرتها بمفاهيمه، وقوانينه، وتقاليده!

ظهور حركات التجديد:

من هنا كان لا بدَّ أن يعمل العاملون في شتى بلاد المسلمين؛ لإعادة الناس إلى الإســـلام، وخصوصًا بعد أن ألغيت الخلافة الإسلاميَّة، التي كانت تجمع شمل المســـلمين تحت راية العقيدة. كانت الخلافة ـ على ما بها من عيوب ونقاط ضعف ـ آخر تجمع للأمة الإسلاميَّة تحت راية لا إلٰه إلا الله، محمد رســـول الله، ثم انفرط العقد وأُلغِيت الخلافة، فلم يعد هناك ما يجمع المسلمين.

كنت أقول لبعض الإخوة للأسف: المفروض نحن المسلمين عندنا خلافة تجمعنا دينيًّا ودنيويًّا، وليس عندنا فرقٌ بين الدين والدنيا، وليس عندنا ســـلطتان: ســـلطة روحية، وســـلطة زمنية؛ إنَّما هي سلطة واحدة، ففقدنـــا هذه الســـلطة، وليس لها ســـلطة بديلة، ليس عندنـــا بابا يقول: يا مسلمون افعلوا كذا، انهضوا إلى كذا، ليس عندنا شيء من هذا، فبقي هناك فراغ.

كان لا بدَّ أن يعمل المُجَدِّدون في ســـائر بلاد المســـلمين لإحياء الإســـلام في العقول والأنفس؛ ليجددوا هذا الدين، كما في الحديث: «**إنَّ الله يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأس كل مائة سنة من يُجدد لها دِينَها**»[1].

(١) رواه أبـــو داود في الملاحـــم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوســـط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وســـكت عنه. ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (١٨٤٥)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ومن يُجدد دين الأمة في نظري ليس شخصًا واحدًا ينتظره الناس، فكلمة (مَنْ) تصلح للجماعة، كما تصلح للفرد، فمن هنا قد يكون التجديد على يد فرد، وقد يكون على يد مجموعة، وقد يكون على يد حركة، أو مدرسة، أو جمعية، أو جماعات متعددة.

وهنا يكون سؤال كل مسلم: ما دوري في التجديد؟ بدل أن يسأل: متى يظهر المجدد، متى يأتي المجدد؟ لا؛ فلكل إنسان نصيب من التجديد، وعليه واجب في حركة التجديد الإسلامي، ولذلك يجب أن يسأل نفسه: ماذا أعمل لكي أقوم بدوري، وبمهمتي في تجديد حركة الإسلام؟

في العصر الحديث ظهرت في بلاد شتى حركات إسلاميَّة، ومدارس إسلاميَّة، وجماعات إسلاميَّة، ومصلحون إسلاميون، ومصلحون مجددون، ظهر في الجزيرة العربية أوَّل المجددين الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وظهر في ليبيا الإمام السنوسي، وظهر في مصر الإمام محمد عبده، وظهر قبله في العالم الإسلامي شيخه جمال الدين الأفغاني، وتلميذه السيد رشيد رضا، وظهر الإمام الشهيد حسن البنَّا، وظهر هنا في الجزائر الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس، وظهر في تركيا بديع الزمان الشيخ سعيد النورسي.

ظهر مصلحون مجددون، كل منهم له نصيب من حركة التجديد، استطاعوا أن يعيدوا الثقة إلى الأنفس، وأن يحيوا الآمال التي ظن الناس أنَّها ماتت، واستطاعت هذه الجهود المتعددة أن تهيئ لوجود هذه الصحوة وظهورها، فهي جهود لمصلحين كثيرين، منهم من قضى نحبه: من قدم دمه في سبيل الله، مثل الشهيد حسن البنا، والشهيد سيد قطب، والشهيد عبد القادر عودة، وغيرهم، أناس قدموا رقابهم لله ﷻ؛ ومنهم أحياء لهم نصيب في حركة التجديد، هؤلاء عملوا حتَّى قامت هذه الصحوة الإسلاميَّة.

QaradawiBooks.com

ظهور الصحوة:

هذه الصحوة لمستها بنفسي، ورأيتها بعيني، رأيت أبناءها وبناتها، داخل العالم الإسلامي، وخارج العالم الإسلامي، في أوروبا، وفي أمريكا، وفي كوريا، وفي اليابان، وفي بلاد الشرق الأقصى، حيث توجد الأقليات الإسلاميَّة، وحيث يكون الإسلام مغتربا هناك، ولكن أبناء الصحوة، وشباب الصحوة في كل مكان والحمد لله، إنَّها صحوة عميقة الجذور، ليست شيئًا سطحيا يمكن أن يُقتلع بسهولة، وقد حاول أعداء الإسلام أن يقتلعوا هذه الصحوة، وأن يضربوها وأن يهدموها، ولكن الصحوة كانت أكبر منهم وأعمق.

صحوة عقول:

هذه الصحوة الموجودة في كل مكان هي صحوة عقول تقرأ وتدرس، فالكتاب الإسلامي الآن هو أول كتاب في سوق التوزيع، ما أقيم معرض للكتب، أو سوق للكتب في بلد من البلاد العربية أو الإسلاميَّة إلا وكان الكتاب الإسلامي هو الكتاب الأول، يضرب الرقم القياسي، ومن يقرؤه؟ إنَّه الشباب المثقف، والبنات المثقفات، إنَّه الجيل الجديد، وهذا دليل أنَّ الصحوة صحوة عقول، تريد أن تعي وأن تعرف.

صحوة عواطف:

وهي صحوة عواطف وقلوب، عواطف متحمِّسة، ومشاعر متأجِّجة، ولا بد للصحوة من مشاعر وعواطف، الخطر في أن تغلب العاطفة على العقل، وأن تقودنا المشاعر وحدها بعيدًا عن الوعي، فلا بد من الأمرين معا، نحتاج إلى العقل الذكيِّ وإلى القلب النقيِّ، وإلى الشعور الأبي، نحتاج إلى هذا كله، فهذه الصحوة صحوة أفكار وعقول، وصحوة مشاعر وقلوب.

QaradawiBooks.com

صحوة عزائم:

وهي كذلك وصحوة عزائم وإرادات، هذه الصحوة التي نراها اليوم تتمثل في العمل والجهاد في الأرض المقدسة، في الانتفاضة الإسلاميَّة بفلسطين، هذه الانتفاضة منطلقها المساجد، ورياتها المصاحف، وشعاراتها الأولى بدأت من المآذن، كانوا يصعدون على المآذن ويقولون: حيَّ على الجهاد.

يسمون هذه الصحوة في فلسطين انتفاضة، وهي أكبر من مجرد انتفاضة، لأن الانتفاضة أمر طارئ، ولكنها أعمق من هذا، هذه الانتفاضة أساسها الإسلام، ومُحرِّكها الأول هو الإسلام، لقد كان الأطفال ينشدون ويقولون:

خَيْبر خيبر يا يهودْ جيشُ مُحمد سوفَ يعودْ

بعد أن كان اليهود في وقت من الأوقات يقولون: محمد مات، وخلّف بنات! يقصدون أنَّه لم يخلِّف رجالًا وراءه، وقد كذب اليهود، فمحمد ﷺ لم يمت إلا جسده، ولكن دينه ورسالته وأمته وسُنَّته باقية إلى ما شاء الله، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ووراءه رجال يحملون دينه ويدافعون عنه.

والمعركة مستمرة بيننا وبين اليهود إلى أن يأتي اليوم الَّذي يتحقق فيه ما رواه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى يقاتلَ المسلمون اليهودَ، فيقتلهم المسلمون، حتَّى يختبئَ اليهوديُّ وراءَ الحجر والشجر، فيقول الحجرُ أو الشجرُ: يا مسلمُ، يا عبدَ الله، هذا يهوديٌّ خلفي، فتعالَ فاقتُلْه. إلَّا الغرقد، فإنَّه من شَجَرِ اليهود**»[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢)، واللفظ له.

QaradawiBooks.com

هل ينطق الحجر بلسان المقال، أم بلسان الحال؟ أيًّا كان، فمعناه أنَّ كل شيء سيكون في صف المسلمين، هذه الصحوة تمثلت الآن في هذا الجهاد الفلسطيني.

كما تمثلت الصحوة في الجهاد الأفغاني، جهاد أولئك الفلاحين البسطاء الذين ترى معظمهم أميِّين، ولكنهم أصرُّوا على أن يعيشوا مسلمين أحرارًا، وألا يعيشوا عبيدًا للروس، وقد سلطت عليهم تلك القوى أعتى قوة ملحدة في الأرض، لم يرَ التاريخ قوة في عتو هذه القوة الملحدة، جندوا كل ما عندهم من جنود، ومن أدوات بريَّة وجويَّة وصواريخ.

ولكن هؤلاء الأفغان صمموا على ردهم، بدؤوا جهادهم ببضع بنادق عتيقة من مُخلَّفات الحرب العالمية الثانية، وبعد ذلك كانوا يأخذون سلاحهم من عدوِّهم، حتَّى جاءتهم الأسلحة بعد ذلك، ظلوا مددا طويلة يعتمدون على الله، ثم على أسلحتهم الضئيلة، وما يغنمونه من أعدائهم، حتَّى اضطر الروس الآن إلى أن تنسحب، وهم الآن في المرحلة الدقيقة التي نسأل الله تبارك وتعالى أن يباركها ويسددها حتَّى يفتحوا كابول ويقيموا دولة الإسلام هناك.

قلت للإخوة القادة هناك: نحن ننتظر هذا اليوم، لقد قُدِّر لجيلنا أن يرى هزائم شتى، نريد أن تكتحل أعيننا بنصر للإسلام، نريد أن نرى اليوم الَّذي تتحقق فيه دولة الإسلام، تطبق شرع الله، وتعلي راية التوحيد، نحن ننتظر هذا اليوم، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤ ـ ٥]، فالصحوة الإسلاميَّة صحوة أثبتت وجودها بهذا الجهاد الأفغاني.

QaradawiBooks.com

صحوة شباب:

الصحوة الإسلاميَّة هي في طبيعتها صحوة شباب، العمود الفقري لها هم الشباب من الجنسين، الشبان والشابات، وكانت المرأة بعيدة عن العمل الإسلامي، وعن الدعوة الإسلاميَّة، وعن الحركة الإسلاميَّة، ولكنها ساهمت في الصحوة، ولذلك هي صحوة الجنسين، ليست صحوة الرجال وحدهم.

والمرأة دائمًا لها مكانها في الدعوة الإسلاميَّة، فأوَّل صوت ارتفع بتأييد رسول الله ﷺ كان صوت امرأة: صوت خديجة بنت خويلد[١]، وأول شهيد أريق دمه في الإسلام كان دم امرأة: دم سميَّة أم عمَّار بن ياسر[٢] رضي الله عنهم جميعا، وقد مرَّ النبي ﷺ عليهم وهم يُعذَّبون ثلاثتهم ـ ياسر، وابنه عمار، وزوجه سمَيَّة ـ فلم يملك إلَّا أن قال لهم: «**صبرًا آلَ ياسرٍ؛ فإنَّ موعدكم الجنَّة**»[٣]. واستشهد ياسر وزوجه سمية تحت العذاب، فالصحوة صحوة للجنسين.

هذه الصحوة الإسلاميَّة التي نراها ونشهد آثارها، إقبالًا على الإسلام، وعلى الله، وعلى العبادة، بالأمس والله سررت حينما صليت المغرب مع الإخوة في مسجد التقوى هنا في المدينة، ورأيت الناس يتدفقون كأنهم

---

(١) وذلك حين قالت: والله ما يخزيك الله أبدًا. جزء من حديث متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

(٢) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٦٨٩)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٨٣/٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٩٢): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

سيول إلى المسجد، من هنا ومن هناك، لقد انشرح صدري، واطمأن قلبي أن هذه الأمة بخير، ما دام رواد المساجد بهذه الكثرة.

وهذه مواسم الحج والعمرة أصبحت حافلة بالشباب، كان الناس قديما لا يذهب إلى الحج والعمرة إلا الشيوخ، الذين أكل عليهم الدهر وشرب، وأصبحوا على حافَّة القبر، ويقولون: إنَّ الحج هو تمام الأمر، وختام العمر. أمَّا الآن فمعظم الذين يحجون ويعتمرون من الشباب.

منذ مدة قريبة كنت في العمرة، وكان هناك عدد كبير من الشباب الجزائري، ومن شباب الجامعة يعتمرون، وشباب من دول شتى من العالم الإسلامي، هذا كله أثر من آثار هذه الصحوة، الصحوة إذن حقيقة واقعة.

واجب الأمة نحو الصحوة:

هناك أناس مكابرون، يقولون: أين هذه الصحوة التي تكثرون من ذكرها، وما لنا لا نرى آثارها؟ هذه آثارها، لكن بعض الناس يريدون أن تقوم الصحوة بالمستحيلات، وتصنع المعجزات.

قلت لهذا البعض، إن معنى كلمة صحوة: يعني يقظة، يعني بداية حركة، الإنسان يصحو ليعمل، فمعناه أنَّه في أوِّل الطريق، فهذه الصحوة هي عملية انتفاضة لهذه الأمة من نومٍ، ومن سُكْرٍ، ومن غيابِ وعيٍ، ومع هذا لقد قدمت ولا زالت تقدم الكثير، ولكن كل همِّ هؤلاء أن يلوموا الصحوة، ويقولون: ماذا صنعت؟ ولا يسألون أنفسهم: ماذا صنعنا نحن؟ كأن الصحوة شيء غيرهم، الصحوة جزء من الأمة، فكل من يقول: ماذا صنعت الصحوة؟ يجب أن يسأل نفسه: ماذا صنعت أنا؟!

QaradawiBooks.com

ومنذ مدة من الزمن سُئل أحد الدعاة؛ قيل له: صار لكم أربعون سنة، وأنتم تدعون الناس إلى الإسلام وتقولون: الإسلام دين ودولة، ومصحف وسيف، وكذا، وكذا؛ أربعون سنة وأنتم تتكلمون، فماذا صنعتم؟

فكان جواب هذا الداعية: وأنتم صار لكم أربعون، أو خمسون سنة تسمعون فماذا صنعتم؟ كأن التبعة والمسؤولية لا تقع إلا على المتكلم وحده، وليس على السامع منها شيء! إنَّ المتكلم والسامع شريكان في المسؤولية؛ فلا معنى لأن يقول بعض الناس: ماذا صنعت الصحوة، وهم يعرقلون طريقها، ويعيقون سيرها؟ الصحوة لا تعمل إلا بمساندة من الأمة، لا بدَّ أن يُمهَّد لها الطريق حتَّى تعمل، وأن تُسانَد وتؤيَّد حتَّى تشق طريقها إلى الغاية.

واجبات الصحوة:

ومع هذا أقول: إنَّ الصحوة أيضا عليها مسؤولية، وأعني بالصحوة الشباب الذين يمثلون ـ كما قلت ـ سند هذه الصحوة، وعمودها الفقري، على هؤلاء الشباب واجبات، وهذه الواجبات تتلخص في حسن فهم الإسلام، وحسن العمل به، ويتجلى هذان الأمران فيما يلي:

(١) أخذ الإسلام بشموله:

يجب على أبناء الصحوة أن يفهموا الإسلام الَّذي يدعون إليه فهمًا جيدًا، وأن يحسنوا فقهه وفهمه، فلا يكتفوا بأخذ بعضٍ من الإسلام دون بعض، وإنَّما عليهم أن يأخذوا الإسلام شاملًا، الإسلام الَّذي جاء به القرآن، وجاء به محمد ﷺ، لا نريد إسلام فلان أو علان، نحن نريد الإسلام الأوَّل، الإسلام كما جاء في القرآن، وكما جاء في السنة، وكما فهمه الصحابة وأهل القرون الأولى، فهم أفقه الناس لهذا الدين.

QaradawiBooks.com

نريد الإسلام الشامل، الَّذي قال الله عنه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. لا نريد إسلامًا في جهة، ونترك بقية الجهات، نريد رسالة الإسلام شاملةً، تلك الرسالة التي عبَّر عنها الإمام الشهيد حسن البنَّا في بعض ما كتبه، فقال: إنَّها الرسالة التي امتدت طولًا حتَّى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتَّى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عُمقًا حتَّى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة[١].

هذا هو الإسلام، امتداد طولي شمل الزمن كله، وامتداد عرضي شمل آفاق الأمم، لأنَّه ليس إسلامًا لجيل دون جيل، ولا لشعب دون شعب، ولا لإقليم دون إقليم، وإنَّما هو للعالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. فهو يمتد عرضًا حتَّى يشمل الأمم جميعا، ويمتد عمقا حتَّى يستوعب شؤون الدنيا والآخرة.

فلا يجوز أن نهمل شؤون الدنيا من أجل الآخرة، ولا أن نهمل شؤون الآخرة من أجل الدنيا، وإنَّما نكون كما كان الصحابة يقولون؛ كما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا[٢]. وكما علَّمنا القرآن أن نقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

---

(١) مقال من وحي حراء للإمام حسن البنا، جريدة الإخوان المسلمون اليومية، السنة الأولى، صـ١، العدد (١٦٨)، بتاريخ ٢٧ ذو الحجة ١٣٦٥هـ ـ ٢١ نوفمبر ١٩٤٦م، وانظر: سلسلة من تراث الإمام لجمعة أمين عبد العزيز (١٨١/٥)، نشر دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) رواه الحارث في مسنده (١٠٩٣) كما في البغية.

QaradawiBooks.com

وكما كان يدعو النبيُّ ﷺ: «**اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عصمةُ أمري، وأصلحْ لي دُنياي الَّتي فيها معاشي، وأصلحْ لي آخرتي الَّتي إليها معادي، واجعلِ الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خير، واجعلِ الموتَ راحةً لي من كلِّ شرٍّ**»[(١)]. فهو يطلب صلاح دينه، وصلاح دُنياه، وصلاح آخرته كلها في وقت واحد، هذا هو الإسلام.

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**إن قامت الساعة وفي يدِ أحدِكم فسيلةٌ؛ فإن استطاع ألَّا تقوم حتَّى يغرسها فلْيَغْرِسْها**»[(٢)]. القيامة ستقوم، وفي يده فسيلة ـ نخلة صغيرة ـ يريد من الإسلام أن يغرسها، فإن استطاع ألا تقوم الساعة حتَّى يغرس هذه النخلة، يشتلها في الأرض، فليغرسها!

لماذا يغرسها والساعة ستقوم؟ هو لن يأكل منها، ولن يأكلها أحد من بعده، كما قال ذلك الرجل الكبير ـ الذي كان يغرس شجرة زيتون ـ لمن سأله: تغرس شجرة الزيتون وأنت شيخ كبير على حافة الموت؟! قال: غرس لنا مَنْ قبلنا فأكلنا، ونغرس ليأكل مَنْ بعدنا. ولكن عندما تقوم الساعة مَنْ يأكل؟!

المقصود هنا أن يظل الإنسان المسلم عاملًا منتجا؛ حتَّى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، ولو لم ينتفع بهذا العمل أحد، فهو تكريم للعمل، لذات العمل، اغرس وازرع. وللأسف نحن المسلمين اليوم أهملنا الغرس وأهملنا الزرع، حتَّى إن معظم بلاد المسلمين زراعية؛ ومع هذا كثير من البلاد تستورد أكثر من نصف قوتها، ليس عندها ما يكفيها لقوتها

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠) عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

اليومي، بعض البلاد الإسلاميَّة الزراعية تستورد سبعين في المائة (٧٠٪) مما تقتاته، ولو أن أعداءهم لم يقدموا إليهم القمح والدقيق؛ لن يجدوا شيئًا يأكلونه، فنحن نريد الإسلام الشامل.

(٢) الموازنة بين الحقوق والواجبات:

ومما يجب على أبناء الصحوة الموازنة بين الحقوق والواجبات، فالتوازن سمة أساسية في الإسلام، ومن آفات الحضارة الغربية المعاصرة أنَّها حضارة الحقوق، وليست حضارة الواجبات! الحضارة الغربية علمت الإنسان دائمًا أن يقول: ماذا لي؟ ولا يقول: ماذا عليَّ؟ يطلب حقه، ولا يؤدي واجبه، ولذلك اشتهر ما يسمى بحقوق الإنسان، وحقوق العمال، وحقوق المرأة، وحقوق الفلاح، في كل شيء حقوق.

لكن هناك ما يقابل الحقوق، وهو الواجبات، وقد رعى الإسلام الحقوق من حيث تؤدى الواجبات، أي لو أنَّ كل إنسان أدَّى واجبه لرُعِيت حقوق الآخرين، لأن حق الولد على الوالد، يعني واجب الوالد نحو ولده، وبالعكس كذلك، وحقوق الرعية على الراعي تعني واجب الراعي نحو الرعية، تعني العدل، والقسمة بالسوية، والشورى، وغيرها، وحقوق العامل نحو رب العمل تعني واجب رب العمل نحو العامل: أن يعطيه أجره قبل أن يجف عرقه، وأن يعطيه الأجر العادل، ولو أنَّ الناس أدوا الواجبات لرُعيت الحقوق.

رعاية الحقوق في الإسلام:

ليس معنى هذا أن يهمل الإنسان الحقوق، لا، الإسلام يعطي الحقوق أهمية كبرى؛ بل يقاتل في سبيلها، فأول دولة في التاريخ رعت حق الفقراء، وقاتلت من أجلهم هي الدولة الإسلاميَّة، لم يعرف التاريخ

QaradawiBooks.com

دولة قبل أبي بكر الصديق رضي الله عنه تُقرِّر للفقراء حقًّا، لا مجرد تبرُّعٍ أو إحسانٍ أو صدقةٍ، يؤديها مَنْ شاء ويمنعها مَنْ شاء؛ بل هو حقٌّ معلومٌ، وحقٌّ مقرَّرٌ، لا يتم الإيمان إلا به، ولا يصح الإسلام إلا به، ولا يدخل الإنسان في دائرة الأخوة الإسلاميَّة إلا به، ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١].

فمن أبى أن يدفعه طوعا؛ أُخذ منه كرها، ومن تمرد وكان ذا شوكة؛ قُوتل بحد السيف حتَّى يُؤدي للفقراء حقوقهم، ولهذا قال أبو بكر رضي الله عنه كلمته التاريخية: والله لأُجَاهِدنَّهم ما استمسك السَّيفُ في يدي، وإن مَنَعوني عَقَالًا[1]. فقاتل مانعي الزكاة كما قاتل المرتدين والمتنبئين سواءً بسواء، فالإسلام يرعى الحقوق: حق الإنسان في الحياة، وحق الإنسان في العيش الكريم، وحق الإنسان في حُرمة دمه وماله وعرضه، وحقه أن يأمن على نفسه وعلى أهله وعلى حرماته، وألا يُتجَسس عليه، إلى آخره.

روي أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتحم على بعض الشباب البيت، تسوَّر عليهم الجدار، وكانوا يلهون ببعض اللهو، وأنكر عليهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين إذا كنا قد ارتكبنا خطأ فقد ارتكبت ثلاثا. قال: وأيُّ شيء ارتكبته؟ قالوا: الله تعالى قال: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]. وقد تسوَّرت علينا الجدار!

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]. وأنت لم تستأنس ولم تسلم!

(١) سبق تخريجه صـ١٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢]. وأنت تجسست علينا. فقال لهم أمير المؤمنين عمر: أصبتم، واصطلح معهم على أن يدعوا ما هم فيه، وأن يعفيهم من العقاب[١].

إلى هذا الحد يجابه هؤلاء الشباب أميرَ المؤمنين، فليس من حقه أن يقتحم عليهم بيتهم، وإن اشتبه فيهم، فحرمة الإنسان في الإسلام مصونة، لا يجوز لأحد أن ينتهك حرمة أخيه المسلم، فلا يجوز أن تُهدَر حرمة الإنسان.

بل لا يجوز أن تُهدَر حرمة الحيوان، وفي الحديث: «**عُذِّبَتْ امرأةٌ في هرَّة سجنتها حتَّى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتْها ولا سقتها إذ حبستْها، ولا هي تركتها تأكلُ من خشاش الأرض**»[٢]. فما بالكم بمن يحبس البشر بالألوف، ويدعهم تحت أقبية السجون يهلكون، أو يضيعون، أو يعذبون؟! لا يقبل الإسلام بحال من الأحوال إهانة البشر، فالتوازن بين الحقوق والواجبات من الإسلام الَّذي ندعو إليه.

(٣) الريادة في العلوم والصناعات:

ومما يجب على أبناء الصحوة الريادة في العلوم والصناعات، فالإسلام الَّذي ندعو إليه هو إسلام العلم، بعض الناس يظنون أنَّ العلم الحديث من مبتكرات الغرب، وأننا حينما ندعو إلى الإسلام نريد أن يبقى المسلمون في دائرة التخلف، لا والله، لا يقبل الإسلام هذا، لا يقبل ما حكاه لي بعضهم أن بعض الذين يتزيَّون بزي المسلمين للأسف

(١) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٤٤٨)، عن ثور الكندي.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

يقول: الحمد لله الَّذي سخَّر لنا الإفرنج ليخدمونا بالعلم والتكنولوجيا، وسخرنا نحن لعبادته سبحانه. هذا كلام لا يُقبل.

من فقهاء المسلمين وأصوليِّيهم مَنْ قال: كل علم يحتاج إليه المسلمون، وكل صناعة يحتاج إليها المسلمون يجب عليهم أن يتقنوها، ويتفوقوا فيها، حتَّى لا يكونوا عالة على غيرهم، حتَّى تكون لهم السيادة.

كيف تكون سيدًا وأنت محتاج إلى غيرك، إذا كان غيرك هو الَّذي يصنع لك هذا الميكروفون، والكهرباء، ويصنع لك الطائرة، ويصنع لك كذا، فماذا تملك أنت؟! السيادة أن تملك أنت أزِمَّة العلم، وتصبح أنت الموجِّه والمتحكِّم، هذا هو الَّذي ينبغي أن يفهمه المسلمون، أن ديننا ليس ضد العلم؛ بل العلم عندنا دين، والدين عندنا علم.

العلم عندنا دين لأنَّه عبادة في الإسلام، من طلب العلم يتقرب به إلى الله فهو يتعبد لله بالعلم، والدين عندنا علم، لأن الدين عندنا يدعو إلى القراءة، ويتبع البرهان، وينشد الدليل، ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

ليس في الإسلام ما في المسيحية التي تقول: اعتقد وأنت أعمى، أو أغمض عينيك ثم اتبعني، أو الجهالة أُمُّ التقوى! أمَّا الإسلام فلا يقبل إيمان المقلد عند المحققين من علمائه، حتَّى يكون إيمانه عن بصيرة، ليس كمن قال: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]. فلا بد أن يكون الإيمان عن اقتناعٍ وبيِّنةٍ، لا عن تقليدٍ أعمى، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [محمد: ١٤]، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

QaradawiBooks.com

من هنا كان الإسلام الَّذي ندعو إليه هو إسلام العلم، ونحن نريد من شباب الصحوة: أن يخوض بحار العلم، ويتفوق في كل ناحية من نواحيه، ويتقرب إلى الله ﷻ بذلك، كل أحد وما تخصص فيه.

كنت أنكر على بعض الشباب الَّذي تخصص في الطب أو في الهندسة فيترك تخصصه ليدرس في كلية أصول الدين، أو في كلية الشريعة، وأقول له: يا أخي كلٌّ ميُسَّر لِما خُلِق له، تستطيع أن تخدم الإسلام بالتفوق في مهنتك، بدل أن نكون عالة على الخواجات هنا وهناك، نكون نحن سادة أنفسنا، فالذي هيأه الله وتخصص في الشريعة، أو في أصول الدين يخدم الإسلام بهذا، كلٌّ واحد في مكانه.

والإسلام ليس فيه كهنوت، ليس هناك من يُسمون رجال الدين، كلمة رجال الدين خطأ، لأن كل مسلم رجل لدينه، نعم يوجد رجال العلم، والعالم الديني في الإسلام ليس كهنوتيا، لا يتحكم في ضمائر الناس؛ وإنَّما هو معلم، وكل إنسان يستطيع أن يكون عالما، ليس الأمر بالوراثة ولا بالزِّيِّ، بل تستطيع أن تدرس بالطريق غير الرسمي، كم من العلماء تعلموا بغير الطريق الرسمي، وبلغوا مبلغا كبيرا، هذا ممكن لأن باب العلم مفتوح للجميع.

إننا نريد لأمتنا أن تتخطى مرحلة التخلف الَّذي تعاني منه للأسف، منذ عهد قريب كنت قد خطبت خطبة جمعة في قطر، عندما استطاعت إسرائيل أن تصنع قمرًا صناعيًّا، وأعلنوا عن قمر يتجسس على البلاد العربية، ويعرف كل شيء فيها، وقلت لهم: للأسف إسرائيل صنعت هذا القمر لتصور كل شبر في أرضنا، ونحن لا يزال فينا من يتجادل: هل التصوير حلال أم حرام؟ يتجادلون وإسرائيل تصنع كل شيء!

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

والعالم الآن يصنع الكمبيوتر، والكمبيوتر حافظ العصر، ومنظم العصر، وإنسان العصر الآلي الجديد، هذه الآلة العجيبة، لقد أصبح الناس في عصر الصناعة الثاني، ما يسمى عصر الثورة الصناعية الثانية.

كانت مهمة الآلة في عصر الصناعة الأوَّل أن توفِّر الجهد العضلي والبدني للإنسان، بدل أن يحمل الإنسان الأشياء تأتي الآلة فتحمل أضعاف أضعاف ما يحمله، أمَّا مهمة الآلة في عصر الصناعة الثاني ـ عصر الكمبيوتر ـ فهي توفير الجهد الذهني، الجهد العقلي للإنسان، فالشيء الَّذي كنت تحسبه في سنين يحسبه الكمبيوتر الآن في لحظة واحدة الآن، وصل القوم إلى هذا الحد، صنعوا الكمبيوتر، ونحن لا زلنا مختلفين: ماذا نسمي الكمبيوتر؛ أهو الحاسوب، أم المحساب، أو الحسَّابة، أو الحاسب الآلي؟ إذا أردنا أن تنهض الصحوة بأمتنا يجب أن نقطع الفجوة التي بيننا وبين القوم، نريد لشبابها أن يهتم بالإتقان والتفوق والريادة، في العلوم والصناعات.

(٤) العطاء والعمل:

من أجل هذا كان من الواجبات على أبناء الصحوة: الاجتهاد في العطاء والعمل، لا المِراء والجدل، فالإسلام الَّذي ندعو إليه ليس كلامًا يُتشدَّق به، الإسلام عمل واجتهاد، ولذلك قلت: نحتاج إلى علم وعمل، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. لا بدَّ من العمل، «إذا أراد الله بقومٍ خيرًا رزقهم العمل وحرمهم الجدل، وإذا أراد الله بقومٍ سوءًا رزقهم الجدل وحرمهم العمل»[(١)]، يظلون يتجادلون في أبسط

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٦١/٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٦٩٢)، عن معروف الكَرْخي.

QaradawiBooks.com

الأشـــياء، كما كان أهل بيزنطة يتجادلون فيما بينهـــم: الملائكة ذكور أم إناث؟ والدجاجة خُلقت قبـــل البيضة، أم البيضة خلقت قبل الدجاجة؟! هل كانت دجاجة ثم باضت، أم باضت وفقست؟! ثم دخل عليهم محمد الفاتح وفتح القسطنطينية؛ وهم يتجادلون فيما بينهم! وهذا ما عُرف في التاريخ بالمناقشات البيزنطيَّة.

وللأسف صار الجدل كثيرًا عند كثير من شبابنا، في الأمور الخلافية التي لا تنتهي، وهيهات أن يجتمـــع الناس على رأي واحد، لقد اختلف الصحابة، وما ضرَّهـــم أن يختلفـــوا، واختلف الأئمـــة، وما ضرهم أن يختلفوا، ذهب الإمام الشافعي إلى بغداد وكان من رأيه أن يقنت المسلم في صلاة الصبـــح، ولكنَّه حين كان فـــي بلد الإمام أبـــي حنيفة وقدمه أصحابه للإمامة ترك القنوت في الصبح[١]!

وقال الإمـــام ابن تيمية: إذا ذهب المســـلم إلى بلـــد، ووجد الناس يجهرون بالبسملة فليجهر بالبسملة من أجلهم[٢]، لأن عدم فعل ذلك قد يثير خلافا، وخاصة عند العوام الذين لا يعرفون المذاهب.

إنَّ الاختلاف بين المذاهب أمر قديم، وســـيظل موجودًا، يمكن أن نصل إلى تمحيص القضايا بالدليل، ولكـــن لا نجعل من الخلاف فيها معركة بين المختلفين بعضهم وبعض، لا بدَّ إذن من الاجتهاد في العمل، وترك المِراء والجدل.

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٤٣٣/٢)، نشر مير محمد كتب خانه، كراتشي.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٤٤/٢٢، ٣٤٥)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاســـم، نشـــر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

(٥) رعاية فقه الأولويات:

ومما يجب على أبناء الصحوة: رعاية فقه الأولويات، فنحن في حاجة حقيقية إلى نوعين عظيمين من أنواع الفقه: فقه الأولويات، وفقه السنن، فالفقه ليس حفظ الأحكام فقط؛ لا، بل الفقه الَّذي ذكره القرآن، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]. يشمل الأمرين معًا.

الفقه الأول المنشود هو فقه الأولويات، بأن نعرف الأمر الَّذي يستحق أن يُقدَّم، والأمر الَّذي يستحق أن يُؤخَّر، نعرف رقم واحد في سلم الأولويات ورقم عشرة في هذا السلم، يجب أن نسأل أنفسنا في بعض الأمور: هذا الأمر الَّذي يختلف الناس فيه، في أي شُعبة من الشعب هو؟ فالنبي ﷺ عندما قال: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون** ـ أو بضع وستُّون ـ **شعبةً، أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان**»[1]. فبين الشعبة الأعلى والشعبة الأدنى؛ شعب كثيرة ينبغي أن نعرفها، وأن نضعها في موضعها.

بعض الناس يتركون الأمور الكبيرة، ويقيمون معارك من أجل أمور جزئيَّة وهامشيَّة وخلافيَّة، يمكن أن يسع الناس فيها بعضهم بعضا، يقف الإسلام في معركة ضد اليهوديَّة العالميَّة، وضد الشيوعيَّة الدوليَّة، وضد الصليبيَّة الغربيَّة والشرقيَّة، وضد الماسونيَّة، وضد العلمانيَّة اللادينيَّة، وضد الإلحاد والإباحيَّة، وهؤلاء مشغولون بتلك الأمور الجزئيَّة!

آفتنا أنَّنا نحاول أن نُوجد أسباب الخلاف بيننا، مع أنَّه ينبغي أن ننسى كل أسباب الخلاف، ونقف صفًّا واحدًا، والله تعالى يقول:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]. فعند المعركة يجب أن يُنسى كل خلاف، وأن يقف الجميع صفًّا واحدًا، وكل العالم الإسلامي يقف الآن في معركة، معركة بناء، ومعركة تحرير، ومعركة تطوير، ومعركة ضد اللادينيَّة، ومعركة ضد الإباحيَّة، فلا بدَّ أن نقف صفًّا واحدًا، وننسى كل ما يفرق بين المسلمين صفوفهم.

وهذا التفرق يأتي من عدم فقه الأولويات، فيجب أن نفقه الأولويات، لا يجوز أن نُقدِّم النافلة على الفريضة، ولا يجوز أن نُقدِّم فرض الكفاية على فرض العين، ولا يجوز أن نُقدِّم فرض العين الَّذي هو حق الفرد على فرض العين الَّذي هو حق الأمة، لكل شيء مرتبة، فينبغي أن نضع كل شيء في مرتبته!

لقد جعل الإسلام لكل أمر سعرًا خاصا، فيجب أن نضع كل أمرٍ في سعره المناسب، لا نُضخِّم الأمر البسيط، ولا نُبسِّط الأمر الضخم، ولا نُصغِّر الأمر الكبير، ولا نُكبِّر الأمر الصغير، هذا هو فقه الأولويات، فعلينا أن نراعي هذا الفقه، «إنَّ الله لا يقبل النافلة حتَّى تؤدَّى الفريضة»[1].

هناك مَنْ يجلس يُسبِّح الله تعالى مائة مرة؛ ولا يستجيب لأبيه ولا لأمه في حاجتهم الماسَّة، أو مَنْ يصوم الاثنين والخميس؛ ويذهب إلى عمله متكاسلًا متباطئًا، وربما كان موظفا في وزارة من الوزارات، ويأتيه الناس لقضاء مصالحهم فيؤجلها؛ لأنَّه متعب من الصيام!

يا أخي لا داعي لصيام النافلة؛ إذا كان حقًّا يعطلك عن أداء عملك، وقضاء مصالح الناس، فلا يجوز أن تصوم النافلة، ولا تقوم بعملك الَّذي

(١) رواه ابن أبي شيبة في زهد الصحابة (٣٥٥٧٤)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١١٤)، من قول أبي بكر.

QaradawiBooks.com

تتقاضى عليه أجرًا، فالواجب عليك أن تؤدي عملك على أكمل وجه، الرسول ﷺ يقول: «**لا يحلُّ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلا بإذنه**»[1]. لماذا؟ لأن للزوج حقًّا، صومها نافلة من حقها، ولكنَّه تعارض مع حق أكبر، هو حق الزوج على زوجته؛ فإذا أعاقت النافلة حقًّا لا تؤدى النافلة، «إنَّ الله لا يقبل النافلة حتَّى تُؤَدَّى الفريضة»، يجب أن نتعلم سُلَّم الأولويات، ومن أولى الأولويات أن نجمع صفوف الأمة في المعركة، ضد أعداء الإسلام في الخارج والداخل، ونحشدها دومًا من أجل قضاياها المصيريَّة.

(٦) رعاية فقه السنن:

ومن الفقه المنشود الَّذي يجب على أبناء الصحوة رعايته هو فقه السنن، فقد أقام الله تعالى هذا الكون على سُنن وقوانين، هذا الكون لا يمشي (سبهللًا)، أو اعتباطًا، أو جزافًا.

إنَّ الله سبحانه تعالى نظَّم هذا الكون بشبكة من الأسباب والمسبَّبات، كل سبب يؤدِّي إلى مسبَّبه، وكل مقدمة تؤدي إلى نتيجتها، فلا بد أن نراعي هذه السنن، فلا يمكن أن تحصد إذا لم تزرع، لا تنتظر جنًى بغير غرس، ولا تنتظر أن تزرع الشوك وتجني العنب، لا، إنَّما يجني العنب من غَرَس العنب وهكذا، فكما تزرع تحصد، وكما تغرس تجني.

ثم إنَّ الله ﷻ جعل لكل حصاد توقيتًا يعلمه، لا يجوز أن تنتظر الحصاد بمجرد الزرع، لا بدَّ أن تصبر على البذرة حتَّى تنبت، وتصبر على النبتة حتَّى تورق، وتصبر على الورقة حتَّى تزهر، وتصبر على الزهرة حتَّى تثمر، وتصبر على الثمرة حتَّى تنضج، فإذا نضجت كان من حقك أن تقطفها، أمَّا أن تبذر اليوم وتريد أن تجني الثمرة الأسبوع القادم فهيهات!

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٩٥)، ومسلم في الزكاة (١٠٢٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وبعض الناس يزرع اليوم ويريد أن يحصد غدًا، وبعض الناس يريد أن يزرع في الصباح، ويحصد في المساء! هذا ضد سنن الله تعالى، لا بدَّ أن نراعي السنن، وآفة كثير من شباب الصحوة أنَّهم يستعجلون الأمور قبل أوانها، ولا يصبرون عليها حتَّى تنضج، والعجلة دائمًا من الشيطان، لا بدَّ أن نتعلم الأناة، فالأناة من الرحمن والعجلة من الشيطان.

لقد ظلَّ النبي ﷺ بعد البعثة ثلاثة عشر عامًا في مكة صبورًا على القوم، يطوف بالكعبة وحولها ثلاثمائة وستون صنمًا، ظل يصلي هناك ولم يفكر أن يحمل الفأس ليضرب هذه الأصنام هو وأصحابه في عملية فدائية انتحارية، أن يكسر الأصنام وليكن ما يكون!

لماذا لم يفعل ذلك؟ لأنَّه لو فعل ذلك لكانت النتيجة أن يدخل في معركة انتحار، معركة فناء مع القوى الطاغية، وهو لا يزال محدود القوة.

ثم إنَّ المسألة ليست في كسر الأصنام، المسألة هي تحرير هذه العقول التي تعبد تلك الأصنام، لأنك إذا كسرت الأصنام، وبقيت العقول كما هي؛ فإن هذه العقول بعد كسر الأصنام ستنحت في الغد أصناما أحسن منها، أو تكلف النحاتين أن ينحتوا لها، أو تشتري أصناما بِحُرِّ مالها.

لهذا يجب قبل أن تذبح العجل الَّذي يُعبد اذبح الفهم الخاطئ الَّذي في العقول التي تعبد العجل، حرِّر العقول، فقد كان هذا التحرير هو عمل النبي ﷺ، وظلت هذه الأصنام حتَّى بعد عمرة القضاء في السنة السابعة، إلى أن جاء الوقت المناسب، حينما دخل النبي ﷺ مكة فاتحًا، آن الأوان لأن تكسر هذه الأصنام؛ فكان يضربها برمحه ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

QaradawiBooks.com

كلمة ختام:

إنَّ الصحوة ـ أيها الإخوة والأخوات ـ تحتاج إلى هذه المعاني لكي تسير سيرة راشدة، لكي تعرف غايتها وتعرف طريقها، نريد من أبناء الصحوة أن يحسنوا الفهم للإسلام، ويحسنوا العمل بالإسلام، ويحسنوا العمل للإسلام.

عليهم أن يفقهوا أولويات هذا الدين، وأن يفقهوا سنن الله تبارك وتعالى، وأن يقفوا صفًّا واحدا في المعركة ضد أعداء الله، وأعداء الإسلام، وأن ينسوا كل خلافاتهم، وأن يُجنِّدوا أنفسهم لخدمة هذه الأمة.

وعليهم أن يخلصوا نياتهم لله تبارك وتعالى في كل ذلك، فالله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، قد تبني مسجدا، ولكنك لم تقصد به وجه الله تعالى، فينهار بنيان هذا المسجد عليك، كالذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا، وتفريقًا وإرصادًا وكذبًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ۞ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧ ـ ١٠٩]. فلا بد من التقوى، ولا بد من مراقبة الله تعالى، لا بدَّ من الإخلاص.

أكتفي بهذا القدر وأستغفر الله لي ولكم، وصلَّى الله وسلَّم على محمد وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣

الحركة الإسلاميَّة وإنجازاتها[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالَمين، والعاقبة للمُتَّقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلوات وسلامه على المبعوث رحمة الله للعالمين، سيِّدنا وإمامنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الَّذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

فإنَّ الموضوع الَّذي عُهِد إليَّ بالحديث عنه هو «الحركة الإسلاميَّة وإنجازاتها»، ولكن لا أدري لماذا غيَّر الإخوة العنوان وجعلوه «الحركة الإسلاميَّة وآفاق المستقبل»، لعلَّ في ذلك خيرًا، ونحن لا نستطيع أن نتحدَّث عن المستقبل ما لم نتحدَّث عن الحاضر والماضي أيضًا، فهذه

(١) ألقيت في بداية التسعينيات.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأزمنة الثلاثة متداخلة، أمس واليوم والغد، الماضي والحاضر والمستقبل، كلها أزمنة مترابطة.

غير مرخصة للطباعة

مفهوم الحركة الإسلاميَّة:

قبل أن نتحدَّث عن الحركة الإسلاميَّة لا بدَّ أن نعرف ماهيَّة هذه الحركة، يقولون في علم المنطق الَّذي درسناه في الأزهر: الحكمُ على الشيء فرعٌ عن تصوُّره. ولذلك لا تستطيع أن تحكم للحركة الإسلاميَّة أو عليها ما لم تعرف ما هي الحركة الإسلاميَّة؟ ما معنى حركة إسلاميَّة؟ فتحديد المفاهيم أمرٌ مهمٌّ ومطلوب، هناك الحركة الإسلاميَّة، وهناك الصحوة الإسلاميَّة، هل هما بمعنًى واحدٍ؟ هل هما مترادفان؟ أم لكل منهما معنًى؟

الحقيقة أنَّ الحركة الإسلاميَّة مصطلح، مفهوم أصبح مصطلحًا، تطلق الحركة الإسلاميَّة على العمل الإسلامي، الجماعي، الشعبي، المنظَّم، المحتسِب، للعودة بالإسلام إلى المجتمع وتوجيه الحياة.

العمل الشعبي:

إذن الحركة الإسلاميَّة عمل، وليست مجرد كلام يقال، أو يكتب، أو خطب تلقى، وإن كان هذا كله مطلوبًا، لكن الحركة الإسلاميَّة عمل، فالحركة هي الحياة، والسكون هو الموت، وهي عمل شعبي، ليست عملًا رسميًّا، ولا حكوميًّا.

هناك أعمال رسميَّة ربما تقوم بها بعض وزارات الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، وبعض المؤسَّسات الرسميَّة في عدد من البلدان، ولكن هذا لا يُكوِّن حركة، ولا يطلق عليه حركة.

QaradawiBooks.com

العمل الَّذي نقصده هو عمل شعبيٌّ طوعيٌّ، ينْبثق انْبثاقًا ذاتيًّا من أبناء الشعب أنفسهم، نتيجة التوتر الَّذي يحس به الإنسان المسلم، حينما يجد التناقض بين إيمانه من جهة وواقع الأمَّة من جهة أخرى، فلا بدَّ أنْ يستجيب لإزالة هذا التناقض حتى يستقيم أمره، ويتكيف المجتمع مع عقيدته، من هنا كان هذا العمل انبعاثًا ذاتيًّا طوعيًّا من أبناء الشعب، وليس عملًا رسميًّا.

العمل الرسمي:

قد يكون في العمل الرسمي نفع ما، ولكنَّه قاصر ومعيب من عدَّة أوجه: أنَّ العمل الرسمي يكون في دائرة السياسة المحليَّة التي تنفق عليه، ولا يستطيع أنْ يخرج من إطارها، ومن ناحية ثانية أنَّ الَّذين يعملون في هذا ليسوا أناسًا يفرزهم الميدان، ويبرزهم العمل، ويصهرهم الجهاد، ولكنهم أناس يأتي بهم التَّعيين، عُيِّنوا من جهة الحكومة التي توظِّفهم، بخلاف الَّذين يفرزهم العمل الشعبي نفسه.

ثم من ناحية ثالثة كثيرًا ما يكون العمل الرسمي مُوجَّهًا لخدمة السياسة المحليَّة، لخدمة أهداف النظام الحاكم نفسه، فالنيَّة الصَّالحة قلَّما تتوفر، ومن ناحية رابعة أنَّ هذا كله يجعل هذا العمل متَّهمًا عند الناس، أي عمل يتَّصل بالحكومة يقولون: وراءه المخابرات، أو وراءه كذا.

العمل الجماعي الشعبي:

الحركة الإسلاميَّة إذنْ هي العمل الشعبي الطَّوْعي، ولكن العمل لا يكون حركة إلَّا إذا كان عملًا جماعيًّا مُنظَّمًا، فالعمل الفردي لا يمكن أن يكون حركة، وإن كان هناك أناس طيِّبون كثيرون يعملون لخدمة

QaradawiBooks.com

الإسلام، هناك خطباء مجيدون يخطبون، وهناك كُتَّاب يكتبون، وهناك وجوه تظهر في التليفزيون تعمل لخدمة الإسلام، وللدعوة الإسلاميَّة، وهذه كلها ـ لا شكَّ ـ أعمال نافعة ومؤثِّرة، ولكن هذه الأعمال الفرديَّة لا تُكوِّن حركة، الَّذي يكوِّن حركة إسلاميَّة لا بدَّ أنْ يكون عملًا جماعيًّا.

العمل الجماعي فريضة وضرورة:

والعمل الجماعي ـ كما أقول دائمًا ـ هو فريضةٌ وضرورةٌ، فريضةٌ يلزم بها الدين، وضرورة يحتِّمها الواقع، وقد جاءت نصوص الدين بأنَّ يدَ الله مع الجماعة[1]، وبقوله تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقوله: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ**﴾ [المائدة: ٢]. إلى آخر ما جاء من أوامر الدين وتوجيهاته وتعليماته التي تحثُّ على التجمُّع، وتنهى عن التفرُّق، وتنهى عن الشذوذ، حتى في المظهر، كما في الحديث: «**لا صلاةَ لمُنْفَرِدٍ خلف الصفِّ**»[2]. لا بدَّ أنْ يدخل في الصف ما أمكنه ذلك.

هذا كله للدلالة على أهميَّة الجماعة، ويد الله مع الجماعة، والمرءُ قليلٌ بنفسه كثير بإخوانه، ضعيفٌ بمفرده قويٌّ بجماعته، فالجماعةُ أمر مهمٌّ جدًّا للإنسان، الجماعة قوة على الطاعة، وحفظ من المعصية، أنت وحدك قد تكسل عن طاعة الله وعبادته، ولكنك مع أخيك كل منكما يحمس الآخر، تقول له: أيقظني لصلاة الفجر، أو تعال نصم يوم

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٦)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في إصلاح المساجد (٦١)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٦٢٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات. وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٠٣)، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٤/٤٧٤): قال الإمام أحمد: حديث حسن. وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٨٢٢)، عن علي بن شيبان.

QaradawiBooks.com

الخميس مثلًا ونفطر معًا. وهكذا، كما جاء في دعاء سيدنا موسى في القرآن الكريم: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۞ هَٰرُونَ أَخِي ۞ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۞ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۞ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۞ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٤]. أنا وأخي نكون أكثر عبادةً لك، ولذلك قال الله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥].

لهذا كانت الجماعة قوَّةً على الطاعة، وكانت حفظًا من المعصية، فالإنسان الفرد يمكن أنْ يضيع، كما ورد: «**الشيطانُ ذئبُ الإنسان، وإنَّما يأكل الذئبُ من الغنم الشاردةَ**» أو «**القاصية**»[(١)]. فالشاةُ في وسط القطيع مَحميَّة به، ولكنها إذا شذَّت عنه التهمها الذئب.

ونحن نجد كثيرًا من أبناء المسلمين يضيعون حينما يشذون عن المجتمع، ويعيشون وحدهم، ولكن وجودهم في المجتمع حماية لهم، ومن أجل هذا كانت الجماعة فريضةً وضرورة لإعانةِ الفرد على الطاعة، ولحمايته من المعصية، ولتقْويته على أداء الواجب المهم، واجب الدعوة، فلا يستطيع أنْ يقومَ بالدعوة وحده، فاليد وحدها لا تصفِّق، و«**المؤمنُ للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضًا**»[(٢)].

وإننا نجد أنَّ خصوم الإسلام لا يعملون فرادى، وإنَّما في شكل كتل، جماعات قويَّة متراصَّة، ومن أجل هذا، لو لم يفرض علينا ديننا لفرض علينا الواقع أن نعمل كما يعمل الآخرون متجمِّعين، أنت وحدك ضعيف، قويٌّ بإخوانك.

سأل الإمام الشهيد حسن البنا إخوانه ذات مرة وهو يتكلم عن غزوة بدر: كم كان عدد المقاتلين في بدر من أصحاب النَّبي ﷺ؟ قالوا:

(١) رواه أحمد (٢٢٠٢٩)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والطبراني (١٦٤/٢٠)، عن معاذ بن جبل.
(٢) سبق تخريجه صـ ٢٧.

QaradawiBooks.com

ثلاثمائة وثلاثة عشر، أو وأربعة عشر. فقال: هذا هو العدد الظاهري، ولكن كل واحد من هؤلاء يقاتل بقوَّة الثلاثمائة والثلاثة عشر.

لو قاتل اثنان معًا، يكره بعضهما بعضًا، فسيقاتل كلُّ واحد منهما عن نفسه، أمَّا إذا قاتل إنسانٌ مع أخيه فسيقاتل عن نفسه وعن أخيه، فسيقاتل بقوَّة اثنين، فحينما تكون في جماعة تعمل بقوَّة أضخم، تستطيع أن تضرب اللبنة وحدها فتكسرها، لكن إذا كانت اللبنة نفسها في جدار تكون أقوى ما تكون وأمتن، وهذا معنى الحديث: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا**». ومعنى الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]. لهذا كانت الحركة الإسلاميَّة عملًا جماعيًّا.

ثم إننا لا يمكن أن نحقِّق الأهداف الكبرى التي نسعى إليها ـ وهي ليست أهدافًا إقليميَّة ولا محليَّة، وإنَّما هي أهداف عالميَّة ـ إذا كنا فرادى مبعثرين، هذه الأهداف الكبرى لا يمكن أنْ يحققها عمل الأفراد، مهما كانوا طيبين صالحين، إنَّما العمل الجماعي هو الَّذي يستطيع أنْ يحقِّق الأهداف الكبيرة التي نصبو إليها.

العمل الجماعي المُنَظَّم:

ولا بدَّ أنْ يكون العمل الجماعي مُنَظَّمًا، ومعنى عمل مُنَظَّم أنْ يكون له قيادة وجنود، فيه قمَّة وقاعدة، وأمر، وطاعة، وشورى، ونصيحة، لأنَّ الإسلام دين النظام، الإسلام لا يقبل الفوضى، وهذا سرّ ما نراه في صلاة الجماعة، إنَّ الله لا ينظر إلى الصف الأعوج، «**سدُّوا الفُرَج، وسوُّوا الصفوف**»[1].

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٣٢)، وأحمد (١٧١٠٢)، عن أبي مسعود الأنصاري.

QaradawiBooks.com

«**تسوية الصفوف من تمام الصلاة**»[١]، «**لِينُوا بأيدي إخوانكم**»[٢]، المنكب إلى جوار المنكب، والقدم إلى جوار القدم. كُلها عمليَّة تنظيم، فالجماعة طاعة ونظام، وهذه الصلاة الإسلاميَّة تعطينا صورة عن الحياة الإسلاميَّة، ومن هنا كان لا بدَّ أنْ يكون العمل الإسلامي جماعيًّا ومنظَّمًا، فحينما نقول: الحركة الإسلاميَّة. فإنها تعني العمل الشَّعبيَّ، الجماعيَّ، المنظَّم، لخدمة الإسلام، والعودة به إلى قيادة الحياة من جديد، ويوجه المجتمع من جديد، هذا هو معنى الحركة الإسلاميَّة.

بين الحركة والصحوة:

والحركة الإسلاميَّة طبعًا غير الصحوة الإسلاميَّة، ليس بينهما تباين أو تناقض، ولكن ـ كما يقول المناطقة ـ بينهما عمومٌ وخصوص، أي أنَّ كلَّ حركة صحوة، وليس كل صحوةٍ حركة، فالصحوة عمل تلقائي انبعاثي عام، يشمل العمل الفردي، والعمل الجماعي، والعمل الشعبي، والعمل الرسمي، كله يدخل في الصحوة، كل ما نراه من أعمال لخدمة الإسلام يدخل في مفهوم الصَّحوة، أمَّا الحركة الإسلاميَّة فهي العمل المنظَّم الَّذي يريد أنْ يعيد الإسلام قائدًا للحياة.

دوافع قيام الحركة الإسلاميَّة:

كان الإسلام هو قائد الأمة، ومنظِّم سَيْرها، كانت الأُمَّة تعود في كلِّ أمورها إلى الإسلام، حتى جاء الاستعمار فعزل الإسلام عن القيادة، فأصبح المسلمون يحكمون بقوانين غير إسلاميَّة، وأنظمة غير إسلاميَّة،

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٣٣)، وأحمد (١٣٦٦٤)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٥٧٢٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الصلاة (٦٦٦)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٠٩١)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وبأفكار غير إسلاميَّة، فكان لا بدَّ من عمل جدّي حتى يعود الإسلام إلى ما كان عليه، وهذا هو سبب قيام الحركة الإسلاميَّة المعاصرة، وخصوصًا بعد سقوط الخلافة، بعد أنْ أسقطت هذه القلعة الإسلاميَّة وهُدمت على أيدي أعداء الإسلام، ولم تعد هناك مظلَّة تظلُّ المسلمين.

كانت الخلافة العثمانيَّة ـ على ما كان بها من عيوب ونقاط ضعف ـ تمثل آخر تجمُّع للمسلمين تحت راية لا إلٰه إلا الله، محمَّد رسول الله، وبعد سقوط الخلافة أصبح هناك تمزُّق في هذه الأمَّة، دول ودويلات هنا وهناك، تحت رايات وشعارات وطنيَّة وقوميَّة وإقليميَّة وعصبيَّات مختلفة، هنا كان لا بدَّ من شيء جديد يردُّ الناس إلى الإسلام.

سقطت الخلافة الإسلاميَّة سنة ١٩٢٤م، وقامت الحركة الإسلاميَّة الحديثة الأم سنة ١٩٢٨م، أسَّسها ذلك الشاب المؤمن الَّذي كان يتحرَّق لنصرة الإسلام، والذي كان يفكر ـ منذ كان طالبًا دون العشرين ـ كيف يعمل على إعادة الإسلام إلى القيادة من جديد؟ ولذلك قامت أولى الحركات الإسلاميَّة وأكبرها، وهي حركة الإمام الشهيد حسن البنا، حركة الإخوان المسلمين.

حركة الإخوان المسلمين:

وليست هذه الحركة هي الحركة الوحيدة، هناك حركات إسلاميَّة مختلفة، وأنا من دعاة التقريب بين هذه الحركات وجمعها لتعمل معًا ضد خصوم الإسلام، وما أكثرهم! فهم يتجمَّعون علينا رغم اختلافهم، وأوْلى بنا أن نتجمَّع نحن رغم اتفاقنا في الأصول، وفي القبلة، وفي الوجهة الأساسية.

QaradawiBooks.com

لكن أنا أتحدَّث عن هذه الحركة باعتبارها أم الحركات من ناحية، وكبرى الحركات كما قال مؤرخها الدكتور إسحاق موسى الحسيني، ولأنَّ هذه الحركة هي أوسع الحركات انتشارًا ـ والحمد لله ـ في العالم كله، هذه الحركة التي أريد لها يومًا من الأيام أنْ تُوأد، وأنْ تُخنق، وأنْ تُقتل، شاء الله ﷻ أنْ تنتشر في الآفاق، أرادوا أمرًا، وأراد الله أمرًا آخر، حتى الاضطهاد والمحن كانت سببًا في انتشار هذه الحركة.

كنا في السجن الحربي في سنوات ١٩٥٤، ١٩٥٥، ١٩٥٦م، وأصبنا بما أصبنا به، وبعد خروجنا من السجن الحربي خرج كثير من إخواننا، ومن الشباب ـ الَّذين كان بعضهم في الجامعة، وكان بعضهم في المرحلة الثانويَّة ـ وانطلقوا في الآفاق للدراسة والعمل، وذهب بعضهم إلى أوربا، وبعضهم إلى أمريكا، وبعضهم إلى أستراليا، وبعضهم إلى الشرق الأقصى، وكل واحد من هؤلاء حمل دعوته معه، وبذروا بذورًا أنبتها الله ﷻ، وأخرج منها ثمارًا طيِّبة، تؤْتي أكلَها كلَّ حين بإذن ربِّها، فانتشرت هذه الدعوة في الآفاق والحمد لله.

ولذلك إذا تحدَّثت عن حركة الإخوان أكثر من غيرها فليس هذا تعصُّبًا، وإنَّما لهذه المعاني، ولشيء آخر: أنَّها الحركة التي نشأتُ فيها وعشتُ فيها، فأنا أعرف عنها ما لا أعرف عن غيرها، وكلُّ إنسان يحكي عن خبرته.

من إنجازات الحركة الإسلاميَّة:

كان للحركة الإسلاميَّة التي أنشأها الإمام حسن البنا فضلُها الكبير في إعادة الثقة للإسلام من جديد، بعد أن فقد الناس ـ في وقت من الأوقات ـ الثقة في هذا الدين، وبعد أنْ وفدت تيَّارات، وأفكار، ودعوات، وفلسفات، تريد أنْ تقتلع الإسلام من جذوره، ولكن حينما قام

QaradawiBooks.com

حسن البنا بحركته الإسلاميَّة الجديدة استطاع ـ بحمد الله تبارك وتعالى ـ أنْ يحقق أشياء مهمة جدًّا.

(١) تصحيح الفهم للإسلام:

من هذه الأشياء أنَّه عمل على تصحيح فهم المسلمين للإسلام، فقد أُسيء فهم الإسلام للأسف، إما زِيد عليه ما ليس منه، محدثات وبدع وشوائب ألحقت بالإسلام، وهي ليست من الإسلام في شيء، «**إيَّاكم ومُحدثاتِ الأمور، فإن كل مُحدثة بدعة، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة**»[1]، أو نقصت من الإسلام أشياء هي من صلبه، وهذا هو أكثر ما حدث.

الانتقاص من الإسلام:

كان تشويه الإسلام في الزمن الماضي بالزيادة عليه، والابتداع فيه، أمَّا في الأزمنة الحديثة فكان تشويه الإسلام بالنقص منه، بتر أشياء من جسم الإسلام، أرادوا أنْ يكون الإسلام عقيدةً بلا شريعة، وسلامًا بلا جهاد، وحقًّا بلا قوَّة، ودينًا بلا دولة، وزواجًا بلا طلاق، أشياء معيَّنة أرادوا أنْ يفصلوها عن الإسلام، ولذلك كان لا بدَّ من تصحيح فهم الإسلام بإعادة ما بتر من جسم الإسلام إليه من جديد، أنْ يفهم الإسلام فهمًا شاملًا.

اختلال النِّسب:

ثم هناك شيء آخر أيضًا: أنَّ هناك أشياء اختلت فيها النِّسب، قدَّم الناس ما حقُّه التأخير، وأخَّروا ما حقُّه التقديم، كبَّروا الأمور الصغيرة،

(١) رواه أحمد (١٧١٤٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في العلم (١/١٧٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، عن العرباض بن سارية.

QaradawiBooks.com

وصَغَّروا الأمـــور الكبيرة، هناك أمور المفـــروض أنْ تكون ـ مثلًا ـ رقم عشـــرة، فجعلوها رقما ســـبعين، وقد جاء في الحديث: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شُعْبة، والحياء شُعْبةٌ من الإيمان**»[١].

هذه الشـــعب مرتَّبة ترتيبًا مقصودًا، فجاء أناس إلى الشعبة السبعين وأرادوا أنْ تكون هي الشـــعبة الأولى، قلبوا ترتيب الموضوعات، فهناك أمور هامشيَّة جعلوها أساسيَّة، وهناك أمور أساسيَّة جعلوها فرعيَّة، وهذا خطأ، لا بـــدَّ أن نحتفظ بمراتب الأشـــياء، ومراتب الأعمـــال، ومراتب الأحكام، لقد جعل الإسلام لكلِّ عمل تســـعيرة ـ إذا صحَّ هذا التعبير ـ فلا يصح أن نقلب هذه الموازين، ونغيِّر مراتب الأشياء.

لكن هذا ما حدث للأســـف عند كثير من المســـلمين، قدَّموا النافلة على الفريضة، وقدَّموا فرائـــض الكفاية على فرائـــض الأعيان، وقدَّموا الفرائض العينيَّة الفرديَّة على الفرائـــض العينيَّة الاجتماعيَّة، ولذلك كان لا بدَّ من تصحيح فهم الإسلام من جديد.

شمول الإسلام:

حاول حسن البنَّا أنْ يعيد بين المســـلمين الفهم الحقيقي للإسلام، القائم على كتاب الله، وعلى سُـــنَّة رســـوله ﷺ، وأوَّل ما قام قال بعض الناس: لقد خلط الدِّين بالسياسة.

ومَنْ قال: إنَّ الدين لا سياسة فيه؟! كيف لا تكون في الدِّين سياسة؟ وهل كان مع النبيِّ ﷺ أحدٌ يسوسُ الأمَّة غيره؟ كان هو النَّبي، وكان هو القائد، وكان هو الحاكم، وكذلك كان خلفاؤه من بعده فيما عدا النبوَّة، وكان المسجد للدين والسياسة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وحينما قام أبو بكر في أول خطبة له فقال: أيُّها الناس، إنِّي وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، إنْ رأيتموني على حقٍّ فأعينوني، وإنْ رأيتموني على باطل فقوِّموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإنْ عصيته فلا طاعة لي عليكم[1]. هذا كلام في صميم السياسة، وفي قلب المسجد، فلا يستطيع أحد فصل الدين عن السياسة.

ولكن الناس أول ما قامت الحركة الإسلاميَّة استنكروا هذا، فظل الإمام حسن البنا يجوب القرى والآفاق، ويلتقي بالناس ويعلمهم أنَّ الإسلام نظام شامل، هو دين ودولة، وعقيدة وشريعة، وعبادة وقيادة، وصلاة وجهاد، ومصحف وسيف.

هكذا كان يعلِّم النَّاس أنَّ في الإسلام شعبة تتَّجه إلى النفس فتصلحها بالإيمان والتزكية، وتتَّجه إلى المجتمع فتصلحه بالعدالة، وتتَّجه إلى الحكم فتصلحه بالشورى، وتتَّجه إلى الكون فتصلحه بالعمارة والحضارة، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

لهذا كان من أهم الأمور التي صنعتها الحركة الإسلاميَّة هو تصحيح فهم الناس للإسلام، وإعادة هذا الفهم الشامل العميق لهذا الدين العظيم.

(٢) تكوين جيل جديد:

ولم تكتفِ الحركة الإسلاميَّة بهذا، بل عملت على تكوين جيلٍ مسلم يقوم على أساس هذا الفهم العميق، جيل مسلم متكامل الشخصيَّة، ولذلك فإنَّ الإمام الشهيد في بعض عباراته يقول: مهمتنا تكوين جيل

(١) ذكره ابن هشام في السيرة (٦٦١/٢)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م، وابن كثير في البداية والنهاية (٤١٥/٩)، وصحَّح إسناده، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

جديد يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا، ويؤمن به إيمانًا عميقًا، ويوجِّه النهضة إليه، ويصبغها به، ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة: ١٣٨].

استخلاص العناصر:

وتكوين هذا الجيل يكون باستخلاص العناصر من القاعدة الجماهيريَّة العريضة التي كُوِّنت بالدعوة العامة، عن طريق المحاضرات، وعن طريق الخطب، وعن طريق الأحاديث والدروس، وعن طريق الرسائل، وعن طريق المؤتمرات، وعن طريق اللقاءات، فلا بدَّ من رأي عام، ولا بدَّ من قاعدة عريضة، فلا يمكن أنْ يعمل الناس والقاعدة الشعبيَّة ضدهم.

ولكن هذه القاعدة الجماهيريَّة لا تصلح وحدها، لا بدَّ من استخلاص العناصر القويَّة الصالحة القادرة على حمْل الرسالة منها، لا بدَّ من جيل جديد يقوم بما قام به أصحاب محمد ﷺ من قديم، تكوين الصحابة الجدد، تكوين هذا الجيل هو الَّذي حرص عليه الإمام حسن البنا، فقد أيقن أنَّه لا حركة دون أنْ يكون لها طلائع تجتمع على الفهم الدقيق، والإيمان العميق، والحب الوثيق، لأنَّ الإسلام لا ينتصر وحده، وإنْ كان حقًّا، فسُنَّة الحقِّ أنْ ينتصر بأهله ورجاله، كما قال الشاعر قديمًا:

وعادةُ السَّيْفِ أنْ يُزهى بجَوْهَرِهِ ... وليس يعملُ إلَّا في يَدَيْ بَطَلِ[1]

السيف لا يعمل وحده، ولا يقاتل وحده، إنَّما يقاتل في يدي بطل، والحقُّ لا ينتصر وحده، إنَّما ينتصر إذا نصره المؤمنون، ولهذا قال الله تعالى

(١) انظر: ديوان الطغرائي صـ٣٠٧، لامية العجم، تحقيق د. علي جواد طاهر ود. يحيى الجبوري، نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط٢، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

لرسوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]. إنَّما ينصر الله الحقَّ بالمؤمنين المؤتلفين المترابطين.

جيل متكامل:

كان الإمام حسن البنا حريصًا على تربية هذا الجيل النموذجي، الجيل الَّذي تكاملت شخصيته، تكوَّن روحيًّا بالعبادة، وعقليًّا بالثقافة، وخُلقيًّا بالفضيلة، وجسميًّا بالرياضة، وعسكريًّا بالخشونة، واجتماعيًّا بالخدمة والمشاركة الاجتماعيَّة، وسياسيًّا بالوعي والاهتمام بأمر المسلمين، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

الربَّانيَّة أبرز معالم التربية:

هذا الجيل الجديد لا بدَّ أنْ يتربَّى، وأول ما يتربَّى عليه هو الربَّانية، أنْ يكون جيلًا ربَّانيًّا يحيا لله ﷻ، ويعمل لله، لا للدنيا، ولا للشهرة، ولا للمجد، ولا للظهور، قد يعمل لأهداف دنيويَّة الأصل، فهو يريد إقامة الدولة، والحكم الإسلامي، لكن لماذا يريد هذا كله؟ لأنَّه يريد أنْ يرضي الله تبارك وتعالى، ولهذا علَّم حسن البنَّا أبناءَه هذا الشعار الأول الَّذي يهتفون به، أنْ يقولوا: الله غايتنا. فالله تعالى غايةُ الغايات، قد يكون من أهدافنا الحكم، والدولة، والوحدة، إلى آخره، ولكن هدف الأهداف، وغاية الغايات من وراء ذلك كلِّه أنْ يرضى الله تبارك وتعالى عنا، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

حرص الإمام البنَّا على أنْ يغرس هذه المعاني الربَّانيَّة في الأنفس، حتى يتربَّى جيلٌ مؤمنٌ صادقُ الإيمان، مخلصٌ لله تبارك وتعالى، شعارُه: ﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحۡيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

QaradawiBooks.com

في مواجهة المحن:

وهذه التربيـــة الربَّانية هـــي التي جعلـــت هذا الجيـــل يصمد أمام العواصف، ويصبر على الأذى واللأواء، ويدخل السجون فتصهره المحنة ويخرج منها كما يخرج الذهب من النار، أشد صفاءً ولمعانًا، وصدق الله العظيـــم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

كان يمكن للمحن أنْ تصـــرع هذا الجيل، ولكنها لـــم تزده إلا قوَّة وثباتًا، ونحمد الله تبارك وتعالـــى أنْ آتت هذه التربيـــة أُكلَها، وأثمرت ثمرها في تنشئة هؤلاء المؤمنين الشباب، الَّذين اختلطت السياط بدمائهم ولحومهم فظلوا رجالًا، والرجال قليل.

لقد كان هذا التكوين لجيل مســـلم ربَّاني أخلاقـــي صادق الإيمان، يعيش للإســـلام، ويموت على الإسلام، الإسلام محياه والإسلام مماته، الإســـلام هدفه والإســـلام طريقه، لا يعيش إلا لهذا الدين، ولا يعتز إلا بهذا الدين، كما قال الشاعر:

أبـــي الإســـلامُ لا أبَ لي ســـواهُ إذا افتخـــروا بقيـــسٍ أو تميمِ[1]

كان هذا التكوين للشخصيَّة المســـلمة، للعقليَّة الإسلاميَّة، والنفسيَّة الإســـلاميَّة، والكينونة الإســـلاميَّة المتوازنة في كلِّ أمورها ممَّا أنجزته الحركة الإسلاميَّة.

هذا الجيل الَّذي نجده ـ والحمد لله ـ في كلِّ مكان، والله لقد رأيت في كل مكان هذا الجيل المؤمن، جيل القرآن، والسُّنَّة، والمأثورات، والدعاء

(١) من شعر نهار بن توسعة، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٥٢٨/١)، نشر دار الحديث، القاهرة.

QaradawiBooks.com

إلى الله تبارك وتعالى، وصيام الاثنين والخميس، وقيام الليل، هذا الجيل رأيته في كلِّ مكان، إلى هذا الحد كانت آثار الحركة الإسلاميَّة، فالعمل إذا كان لله دام واتَّصل، وإذا كان لغير الله انقطع وانفصل، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فتكوين هذا الجيل هو من الإنجازات التي أنجزتها الحركة الإسلاميَّة.

(٣) إحياء معنى الجهاد:

ومن الإنجازات التي أنجزتها الحركة الإسلاميَّة: ربط هذا الجيل بمعاني الجهاد، إحياء معنى الجهاد في الأنفس، ومع أنَّ الجهاد ذروة سنام الإسلام، إلا أنَّ المسلمين أتت عليهم فترة من الزمن أغفلوا فيها المعاني الجهاديَّة، ونُسي هذا الجهاد، لقد شهدت بنفسي المشايخ والعلماء الَّذين يدرسون للناس دروس العلم، إذا أتوا إلى حديث فيه معنى الجهاد قفزوا، كأنَّ هذا الأمر لا يعني الناس، كأنَّه أمر قديم ولا حاجة إليه، وقد قامت حركة نبوَّة مزعومة مكذوبة في الهند هي القاديانية مهمتها أنْ تقرَّ مبدأين: طاعة ولي الأمر الكافر، وإلغاء الجهاد. فالجهاد هو الَّذي أقضَّ مضاجع أعداء الإسلام.

حتى جاء حسن البنا ليعيد إلى الناس معنى الجهاد بكلِّ الوسائل، في رسائله يكتب عن الجهاد، وفي أحاديثه وخطبه يتكلم عن الجهاد، وفي الشعارات والهتافات، ونحن نعرف شعار: الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

وأذكر أنَّ أوَّل ما لفت نظري في دعوة الإخوان المسلمين، وأنا طالب في السنة الأولى الابتدائيَّة بمعهد طنطا الديني، أنِّي رأيت شبابًا يجوبون الشوارع يحملون مصحفًا كبيرًا، ويحملون علمًا هو عبارة عن

QaradawiBooks.com

مصحف يحوطه سيفان، وتحتهما كلمة «وأعدوا»، إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وهؤلاء الشباب يجوبون الشوارع يهتفون: الله أكبر ولله الحمد، اللهُ غايتنا، والرسولُ زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا. فهزَّني وأنا صبي صغير هذا الهتاف، وسألت: مَنْ هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء جوَّالة الإخوان المسلمين. حتى الهتافات كانت تحمل معاني الجهاد، حتى الشعار أو العلم مصحف يحوطه سيفان والإشارة إلى آية ﴿وَأَعِدُّواْ﴾، حتى الأناشيد التي كان يحفظها الكشَّافة في ذلك الوقت:

هو الحقُّ يحشدُ أجنادَهُ ... ويعتدُّ للموقفِ الفَاصِلِ
فصفُّوا الكتائبَ آسادَه ... ودكُّوا به دولةَ الباطلِ[1]

كلُّ هذا يعني أنَّ حسن البنا استخدم كلَّ شيء: الرسالة، والحديث، والهتاف، والشعار، والنشيد، والقصة، ليذكر الناس بمعاني الجهاد، واستخدم ذكريات الغزوات النبويَّة، بدر، والأحزاب، والفتح، وغيرها، ليذكِّر الناس بمعاني الجهاد.

كانت هذه الأمور غائبة، وإن كنا نراها الآن حاضرة ومعروفة، لكنها في ذلك الوقت لم تكن معروفة إطلاقًا، ولا زلت أذكر وأنا طالب في كليَّة أصول الدين حين ذهبت في السابع عشر من رمضان ـ ذكرى غزوة بدر ـ بعد صلاة التراويح إلى بلدة من البلدان التابعة لمدينة المحلة الكبرى لإحياء هذه الذكرى، ووقفت وتحدثت عن الدروس المستفادة

(١) من شعر عبد الحكيم عابدين في ديوانه البواكير، انظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ لمحمود عبد الحليم (١٨٤/١)، نشر دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

من غزوة بدر، والعبر منها، وكيف نصر الله رسوله ﷺ والمؤمنين ـ وهم القلة القليلة ـ على المشركين ـ وهم الكثرة الكثيرة ـ إلى آخره.

وبعد أنْ أتعبت نفسي، وظننت أنِّي أجدْتُ وأفدت، جاءني إمام المسجد، وقال لي: جزاكم الله خيرًا يا شيخ، أحسنت، ولكن ألم يكن من الأفضل أن تعلِّم الناس ـ بدلًا من ذلك ـ شيئًا من أمور دينهم. قلت: أمور دينهم! وماذا كنتُ أفعل؟! قال: أعني تعلِّمهم الطَّهارة والوضوء، فإن هناك أناسًا لا يعلمون كيف يستنجون ويتوضؤون؟ قلت: ألا يعلمون كيف يغسلون أكفَّهم ووجوههم؟ قال: لا، بل لا يعلمون الأدعية الواردة مع الوضوء. قلت: هذه الأدعية لم يرد فيها شيء صحيح.

وأخذت أناقشه، قلت: عمَّ كنت أتحدّث؟ قال: في غزوة بدر. قلت: حسنا، لقد كنت تريد أنْ أتحدَّث في الطهارة، ففي كم آية ذكرت الطهارة في القرآن؟ فاحتار، قلت: ذكرت في آيتين، ذكرت مُجْملة في آية في سورة النساء، ومُفصَّلة في آية في سورة المائدة، هذا كل نصيب الطهارة من القرآن الكريم، أمَّا الجهاد ففي كم سورة ذكر في القرآن؟ قال: كثير.

قلت: سأعدُّ لك فقط أسماء السور التي تدلُّ أسماؤها على الجهاد، مثل سورة الأنفال، وهي الغنائم التي تأتي عن طريق الجهاد، وسورة التوبة، أي توبة الَّذين تخلَّفوا عن الجهاد، وسورة الحشر تتحدَّث عن غزوة بني النَّضير، وسورة الفتح تتحدَّث عن صلح الحديبية، وسورة النَّصر تتحدث عن فتح مكة، وأخذت أذكر له عددًا من السور التي يوحي مجرد اسمها بالجهاد، مثل سورة الصف، هذا غير مئات الآيات في القرآن التي تحدثت عن الجهاد، وقلت: تريد أنْ أترك هذا كله،

QaradawiBooks.com

وأتكلم عن الطهارة، وهي التي كان الرجل يأتي من البادية إلى النبي ﷺ فيتعلم الطهارة والصلاة في جلسة أو جلستين، ثم يعود إلى قومه معلمًا؟

للأسف هذا هو الَّذي كان حاصلًا قديمًا، ورأيته من صغري، فأنا حريص ـ والحمد لله ـ على حضور مجالس العلماء، كان الشيخ في ذلك الزمن يظل من أول رمضان إلى آخره يدرس للناس الطهارة، يظل ثلاثين ليلة ـ كما قلت ضاحكًا ـ لا يخرج من دورة المياه. كان هذا موجودًا، أمَّا الجهاد والغزوات فلم يكن يعرفها أحد، كانت مهجورةً أو ميتة، حتى جاء حسن البنَّا والحركة الإسلاميَّة فأحيَت معنى الجهاد، وربطت الأُمَّة بالجهاد، وجعلت من هذه الغزوات مدارسَ لربْط الأُمَّة بهذه المعاني، ولذلك حينما جدَّ الجدُّ، ونادى المنادي أن يا خيل الله اركبي، ويا كتائب الله سيري، ويا ريح الجنة هبي، حينما نُودي للجهاد من أجل فلسطين جاءت هذه الكتائب من أبناء الإسلام الَّذين رُبُّوا على هذه المعاني، ولولا هذا ما رأينا مَنْ يتطوَّع للجهاد.

لقد رأيتُ من إخواني وزملائي مَنْ كان يتحرَّق شوقًا إلى الجهاد في فلسطين، كان لي زميل يتيم، توفي أبوه، وكان يحلم بفلسطين كأنه قيس وهي ليلاه، ليس عنده شيء إلا فلسطين، يريد أنْ يجاهد، ولكنَّ أُمَّه ضنينة به، حريصة عليه، فوسَّطَني أنا والدكتور أحمد العسال ـ كنا من زملائه ـ أن نذهب إلى أمِّه فنقصَّ عليها قصص أمَّهات المجاهدين، وأمَّهات الشهداء، حتى تأذن له ليذهب إلى الجهاد وهي راضية، هكذا كان أثر إحياء معاني الجهاد في نفوس هذا الجيل.

وكان حسن البنا يريد إحياء معاني الجهاد لأمرين: تحقيق الفكرة الإسلاميَّة، وتحرير الأرض الإسلاميَّة، ليست الأرض المصرية في وادي

QaradawiBooks.com

النيل فقط، بل كل أرض إسلاميَّة، وهذا هو المعنى الثالث الَّذي أريد أنْ أذكره، وهو إحياء معنى الأُمَّة الإسلاميَّة.

(٤) إحياء معنى الأُمَّة:

من إنجازات الحركة الإسلاميَّة: إحياء معنى الأُمَّة الإسلاميَّة، فبعد زوال الخلافة زادت النَّعرات الوطنية، ثم النَّعرات القومية، وبولغ في هذا، حتى إنَّنا نجد رجلًا مثل شوقي، رغم نزعته الإسلاميَّة الواضحة في شعره من غير شك، غلبت عليه النزعة الوطنية في بعض الأحيان، حتى قال في إحدى قصائده:

وجْه الكِنانَةِ ليس يُغضِبُ رَبَّكم أنْ تَجعَلوه كوَجْهِه معبودَا[١]

وهذا القول شرك، وأخفُّ منه قوله:

وطني لو شُغِلت بالخُلدِ عنه نازَعتنِي إليهِ في الخُلدِ نَفْسِي[٢]

طبعًا هذا الكلام يمكن اعتباره مبالغة، لكن الكلام الأول مبالغة شديدة، فقد كانت النزعات الوطنية طاغية، ونسي الناس معها معنى الأمَّة الإسلاميَّة.

ولذلك كانت مهمة الحركة أنْ تعيد معنى الأمَّة، أننا جزء من أُمَّة كبيرة، من الوطن الإسلامي، من دار الإسلام، هذا المعنى أريد له أنْ يغيب، وأنْ تكون مصر للمصريين، وسوريا للسوريين، وكل جماعة لوطنها، ويُنسى الوطن الأكبر، تُنسى الأُمَّة الإسلاميَّة، فكان لا بدَّ من إحياء هذا المعنى، أننا جزء من أُمَّة إسلاميَّة ينبغي أن نظل نحس بإحساسها، فنفرح لفرحها، ونألم لألمها.

---

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١١١/١).

(٢) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٤٦/٢).

QaradawiBooks.com

هذا المعنى نجده واضحًا في رسائل حسن البنا وتعاليمه، وفي تربيته لأبنائه، وفي مقالاته، وخطبه، ومحاضراته، وفي أحاديثه بصفة عامة، ليتأكد معنى أمة الإسلام، كان هذا أمرًا مهمًّا جدًّا، سعيًا لإحياء الخلافة الإسلاميَّة المنشودة، والوحدة الإسلاميَّة المفقودة، كما يقول في بعض رسائله. ولهذا شغل بقضية فلسطين أكثر مما شغل بقضية مصر.

وقد نشأنا منذ كنا تلاميذ في المرحلة الابتدائية، في كلِّ مناسبة نخرج من أجل فلسطين، في ٢ نوفمبر من كلِّ عام، احتجاجًا على وعد بلفور، نُسيِّر المظاهرات، ونلقي القصائد، ونُحمِّس الشباب، ونلتقي أحيانًا بالبوليس فيصْطدم بنا، ونذهب إلى أقسام الشرطة ونبيت فيها، إلى آخره.

قال الأستاذ حسن الهضيبي ـ المرشد الثاني ـ في مرَّة من المرات، وتندَّر بقوله بعض دعاة الوطنية: القضايا الإسلاميَّة عندنا كلها في مرتبة واحدة، وقد نجد أنَّ الأنسب في هذه المرحلة أن نقاتل دفاعًا عن تونس، ونؤخِّر القضية المصرية في هذا الوقت. قال هذا الكلام ونُشر، وتندَّر به البعض، ولكنَّه كلام يعبِّر عن حقيقة مهمة، أننا نحن جزء من أمَّة هي أُمَّتنا، وأننا نقاتل عن كلِّ جزء فيها، ولذلك حفظ أبناء الحركة هذه الأبيات التي تقول:

ولستُ أرضى سوى الإسلام لي وطنًا الشامُ فيه ووادي النيل سِيَّانِ
وحيثما ذُكر اسم الله في بلدٍ عددتُ أرجاءه من لُبِّ أوطاني[1]

فإحياء معنى الأمة من أهمِّ إنجازات الحركة الإسلاميَّة.

(١) البيتان من قصيدة بين القاهرة وبغداد لعبد الحكيم عابدين.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(٥) مقاومة تيار التغريب:

ومن أهمِّ ما صنعته الحركة الإسلاميَّة في هذه الناحية: مقاومة تيار التغريب، التيار الَّذي كان يريد أنْ يقتلع الأُمَّة من جذورها، أنْ يجعلها أمَّة غربية، كما قال الخديوي إسماعيل أنَّه يريد أنْ تكون مصر قطعة من أوربا، وليست من إفريقيا.

لقد ساد تيار التغريب وانتشر، وتغلغل، وكان له دعاتُه وفلاسفته في الفكر، والثقافة، والتقاليد، والتَّشريع، والأدب، في كلِّ ناحية من النواحي، ولذلك وجدنا أمثال سلامة موسى في مصر، وجميل المعلوف في الشام، وطه حسين بعد ذلك، الَّذي ذكر في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» أنَّ مصر ليست من الشرق، بل هي من حوض البحر الأبيض، لا تنتسب إلى بلاد الشرق، وإنَّما تنتسب إلى روما، وإلى أثينا، وإلى فرنسا، وإلى هذه المنطقة، يريد بهذا أنْ يسلخها من هُويتها الإسلاميَّة، وقال عبارته المشهورة والمحفوظة: إنَّ سبيل النهضة بيِّنة واضحة، لا عوج فيها ولا أمت، وهي سبيل الأخذ بالحضارة الغربية، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحَبُّ منها وما يُكْرَه، ما يُحمد منها وما يُعاب[1].

هذا هو الَّذي ساد في هذه المرحلة، مرحلة محاولة تغريب الأُمَّة، وإخراجها عن هُويتها، ولذلك ساد التيَّار العلماني، وعطِّلت الشريعة الإسلاميَّة، ولم يبقَ منها إلا جزء صغير، وهو ما يسمَّى الأحوال الشخصية، وما يتعلَّق بقوانين الأسرة، هذا كلُّ ما بقي للتشريع الإسلامي، أصبح للإسلام ركن أو زاوية معينة، ركن الدين في الإذاعة، وبعد ذلك في التليفزيون، بداية بالقرآن الكريم، وختام به، وحديث

(١) انظر: مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين صـ٣٩.

QaradawiBooks.com

ديني، وفي الصحافة صفحة دينيَّة يوم الجمعة، حتى إنَّها لا ترتقي لتكون صفحة إسلاميَّة، صفحة باسم الدين، وليست كاملة، وهي صفحة موجَّهة، وحتى المسجد لا يجوز له أنْ يتعدَّى طوره ليتدخل في شؤون الدولة، والسياسة، وينقد الحكام، فهو مسجد موجَّه، ومنبر موجَّه، هكذا أُريدَ للتيار العلماني أنْ يسود الحياة، ويغلب عليها، ولا يكون للدين إلا هذا الركن الضعيف، وحتى هذا الركن لا يُترك حرًّا لأصحابه.

كانت مهمَّة الحركة الإسلاميَّة مقاومة هذا الزحف التَّغريبي العلماني، الَّذي انتصر في وقت من الأوقات، حتى استطاع ـ في بلد مثل مصر ـ أنْ يدخل الأزهر، ويكسب واحدًا من العلماء في ذلك الوقت، هو الشيخ علي عبد الرازق، الَّذي ألَّف كتابه الشهير «الإسلام وأصول الحكم»، أراد به أنْ يُجرِّد الإسلام من الحكم، وأنَّ الحكم ليس من الإسلام في شيء، وأنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن حاكمًا، وإنَّما هو نبيٌّ، إلى آخره، كلُّ هذا لخدمة العلمانية.

تصوروا أنَّ هذه القلعة الإسلاميَّة تحاول أنْ تدخلها العلمانية، صحيح أنَّ الأزهر لم يستسلم، بل ثار على هذا الرجل، وعقد له كبار علماء الأزهر محاكمة علمية، وحكموا بإخراجه من الأزهر، وسحب الشهادة العالمية منه، طبعًا الأزهر لا يستطيع أنْ يفعل ذلك هذه الأيام، لأنَّ الأزهر ـ في ذلك الوقت ـ كان أزهرًا، وكان العلماء علماء.

وقد دخل التيَّار العلماني الأزهر مرتين، مرة على يد الشيخ علي عبد الرازق، ومرة أخرى على يد الشيخ خالد محمد خالد، حينما كتب كتابه أيضًا «من هنا نبدأ»، وتكلم في فصل منه عن قوميَّة الحكم، وأنَّ الحكم يجب أنْ يكون قوميًّا لا إسلاميًّا، وتكلم عن الحكومة الدينيَّة،

QaradawiBooks.com

وغرائز الحكومة الدينيَّة، وأنَّها حكومة تقوم على الغموض والقهر والاستبداد، إلى آخره، مستندًا إلى الحكومات الكهنوتيَّة الغربية المعروفة في التاريخ، مع أننا في الإسلام ليست عندنا حكومة دينية، وإنَّما عندنا حكومة مدنيَّة إسلاميَّة، لا تقوم على كهنوت، فهذا التعبير خطأ، ولذلك رد عليه في ذلك الوقت الشيخ الجليل محمد الغزالي في كتابه «من هنا نعلم»، وشرَّحَ كتاب «من هنا نبدأ».

ولكن نحمد الله ﷻ أنَّ الشيخ خالدًا قد هداه الله في السنوات الأخيرة، وألَّف كتابه «الدولة في الإسلام»، وعاد إلى أصله، فقد كان أصله من دعاة الإسلام، كان مع الشيخ الغزالي والشيخ السيد سابق قد ألفوا لجنة اسمها «لجنة النشر للأزهريين»، وكان لها شعار اسمه «الدين في خدمة الشعوب»، ليردوا بذلك على الشعار الَّذي يقول: الدين أفيون الشعوب. وهو شعار الماركسيين، وقد أدال الله دولتهم، فهم قالوا: لا، بل الدين في خدمة الشعوب ونصرتها.

وكان الشيخ خالد في ذلك الوقت قد نوَّه بكتاب اسمه «يا أربعة مائة مليون هُبُّوا»، لكن للأسف دخلنا نحن المعتقل سنة ١٩٤٩م، وكنا نقرأ هذا العنوان ضمن لافتة: انتظروا الكتب التالية، للغزالي كذا، ولخالد محمد خالد «يا أربعة مائة مليون هُبُّوا». وكان هذا الرقم هو الَّذي يقال عن تعداد المسلمين في ذلك الوقت، فإذا بنا نفاجأ بكتاب «من هنا نبدأ»، حتى عاد الشيخ خالد إلى قواعده، والحمد لله.

الذي نريد أن نقوله: إنَّ تيَّار التغريب كان يمكن له أنْ يكتسح الأُمَّة، وكان يمكن أنْ يقتلعها من أساسها، لولا مقاومة الحركة الإسلاميَّة، المقاومة الفكريَّة، والمقاومة العلميَّة، والمقاومة التربويَّة.

QaradawiBooks.com

التهوين من إنجازات الحركة:

هذه ـ أيها الإخوة ـ بعض ملامح لما صنعته الحركة الإسلاميَّة من إنجازات، لا يجوز لأحد إغفالها، بعض الناس يُهوِّن من إنجازات الحركة الإسلاميَّة، يقول: صار للحركة الإسلاميَّة ستون سنة أو أكثر، فماذا قدمت؟ لقد قدمت هذا كلَّه، وهذا ليس بالشيء الهيِّن، نحن نعتبر أنَّ كلَّ مسلم يُنتشل من الجاهليَّة إلى الإسلام، فتنقذه وتنقله من صفِّ الجاهليَّة إلى صفِّ العمل الإسلامي هو مغنم كبير، لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك ممَّا طلعت عليه الشمس وغربت. هذا عن المسلم الواحد، فكيف بآلاف وملايين المسلمين في كل مكان؟!

يقول البعض: ولكنَّكم لم تقيموا الدولة الإسلاميَّة؟

ولكنَّنا فعلنا الكثير، لقد حدثت انتصارات إسلاميَّة بفضل الحركة الإسلاميَّة، فلا شك أنَّ الجهاد الَّذي حدث في أفغانستان إنَّما قام به ـ أول ما قام ـ هم أبناء الحركة الإسلاميَّة، وقاوموا الاتحاد السوفيتي، وبدؤوا البدايات البسيطة التي عرفناها وسمعنا عنها، برهان الدين ربَّاني، وحِكمتْيار، وعبد رب الرسول سيَّاف، وغيرهم، هؤلاء كلُّهم من أبناء الحركة الإسلاميَّة.

وحينما ذهبت إلى الفلبين وجدت الَّذين يقودون الجهاد هم من أبناء الحركة الإسلاميَّة الَّذين تعلموا في مصر في الأزهر، وفي الجامعات الأخرى، حتى إنِّي وجدتهم أيضًا يعلمون أبناءهم: الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن شرعتنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا، هذا كلُّه من ثمار الحركة الإسلاميَّة.

QaradawiBooks.com

وهناك الدولة التي تقوم في السودان تطبِّق شرع الله ﷻ، وقد كنت في السودان مشاركًا في ندوة عن الزكاة أيام نكبة الخليج، حتى قامت الحرب وأنا هناك لا أستطيع العودة، وقُدِّر لي أنْ أرى كيف تعمل ثورة الإنقاذ هناك، ويجب أن نقول الحق، ولا نخشى في الله لومة لائم، فبعض الإخوة يريدوا أنْ يهوِّنوا مما قام في السودان، لقد قامت فيه ثورة تطبق الإسلام، وتربِّي الناس على معاني الإسلام، فجيش الدفاع الشعبي الَّذي أُنشئ في السودان هو جيش يُربَّى فيه أبناءُ البلاد على معاني الإيمان والتُّقى، والخشونة والجهاد، والله لقد قال لي أحد الإخوة وعيناه تذرفان الدموع: أيَّام كُنَّا في الكشَّافة، وننشد نشيد: هو«الحقُّ يحشد أجناده»[1]، وفيه نقول:

نبيَّ الهُدى قد جَفَوْنا الكَرَى وعِفْنا الشهيَّ من المَطْعَمِ
نَهَضْنا إلى الله نجلو السُّرى برَوْعة قرآنه المُحْكَمِ

كنا نقول هذا الكلام، ولم نكن قد جفونا الكرى، ولا عفنا الشهي من المطعم، بل كنا ننام ملء جفوننا، ونأكل ملء بطوننا. يقول: لكننا الآن جفونا الكرى فعلًا، نقوم من قبل الفجر بساعة نتهجد، ونصلي الفجر، ثم نقوم بتدريبات، وكذا. يقول: نعيش والله المعاني الإسلاميَّة. ولذلك استطاع هذا الجيش أنْ يخيف جون جارنج وأمثاله.

ورأيت الناس هناك يسجدون لله شكرًا حينما أُعلن عن تطبيق الشريعة الإسلاميَّة، وقال بعض الناس الَّذين كانوا يعارضون: لم يبقَ أمامنا إلا أن نؤيِّد الدولة، فما دامت الدولة سجدت لله بهذا الإعلان والإقدام فعلينا أن

(١) من شعر عبد الحكيم عابدين في ديوانه البواكير، انظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (١٨٤/١).

QaradawiBooks.com

نعينها على هذا. ففي السودان قامت دولة تحاول أنْ تقيمَ العدل بين الناس، ولأول مرة تزرع القمح والذرة، وحدثني بعض الإخوة أنَّ موسم الذرة نجح حتى فاض والحمد لله، حتى إنهم أعطوا للطلاب في المدرسة إجازة موقوتة، لأنَّ المشكلة في السودان أنَّ المحصول لا يجد من يجمعه أو يجنيه، وتبرعوا للإخوة حولهم في إريتريا ـ وعندهم مجاعة ـ بمليون جوال من الذرة.

النقد الذاتي للحركة:

نحن نقول: إنَّ الحركة الإسلاميَّة استطاعت أنْ تُنجز كثيرًا من الإنجازات، وليس معنى هذا أنَّها خالية من العيوب، أو مبرَّأة من المساوئ، لا، بل نحن لنا انتقادات على الحركة الإسلاميَّة، وأنا من دعاة النقد الذاتي، فيجب أن ننقد أنفسنا بأنفسنا.

هم الآن يسموه النقد الذاتي، ونحن نسميه باللغة الإسلاميَّة محاسبة النفس، يجب أن نحاسب أنفسَنا، وأنْ يحاسب بعضُنا بعضًا، والدين النصيحة، لنحاول أن ننتقل من حسن إلى أحسن، ومن أحسن إلى ما هو أحسن منه، والإنسان لا يقف عند حدٍّ في طلب الكمال، ونحن ننشد الكمال للحركة الإسلاميَّة.

آفاق المستقبل:

نحن نعتقد أنَّ المستقبل لنا، صحيح أنَّ هناك غيومًا كثيرة، وخصوصًا بعد ما أصابنا من زلزال الخليج، ولكن نحن نعتقد أنَّ المستقبل لنا، وليس لغيرنا، في وقت من الأوقات كان القرن السابق قرن الرأسماليَّة، وهذا القرن هو قرن الشيوعيَّة، وأعتقد أنَّ القرن القادم ـ إن شاء الله ـ هو قرن الإسلام.

QaradawiBooks.com

لكن يجب على الحركة الإسلاميَّة أنْ تنظر وتوازن بين الأمور، وتنقد نفسها بنفسها، وتفرغ من أبنائها العاملين المخلصين، وتجنِّدهم لخدمة الإسلام، وأنا دعوت إلى أمرين ونحن في ندوة «المستقبل الإسلامي»، في الجزائر، دعوت إلى إنشاء معهد لإعداد قادة المستقبل، فنحن نحتاج إلى قياداتٍ للمستقبل، مُعدَّةٍ إعدادًا متكاملًا، وهذا ما ينبغي أن نسهَر عليه ونعمل له، كما دعوت إلى مركز للبحوث والمعلومات عن المسلمين في العالم، وعن أحوالهم، وقلت: هذا ما ينقصنا. ولا زلنا ننادي بهذا.

المستقبل ـ أيُّها الإخوة ـ مفتوحٌ أمامنا، ونحن نعتقد أننا الوَرَثة لكلِّ ما هو موجود، نحن الوارثون، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، لقد فشلت الرأسماليَّة، وفشلت الشيوعيَّة، وعجزت المسيحية، ولم يبقَ إلا الإسلام سفينةً للإنقاذ، وحبلًا للنجاة، فكونوا أيها الإخوة والأبناء عند حسن الظن بكم، احملوا هذه الراية كما حملها أصحاب محمَّد ﷺ، فإنَّ العالم أحوج ما يكون إلينا، وعالمنا الإسلامي بالذات أحوج ما يكون إلينا.

لم تستطع الأنظمة والحلول المستورَدَة من الشرق والغرب أنْ تقدِّم لأُمَّتنا شيئًا، أنْ تُغنيها من فقر، أنْ تُطعمها من جوع، أنْ تُؤمِّنها من خوف، أنْ تُقويها من ضعف، أنْ تجمعها من شتات، أنْ تنصرها على عدو، أنْ تحقِّق لها الرَّخاء والازدهار، لم تستطع شيئًا من ذلك، فلم يبقَ إلا الإسلام، جربنا تلك الأنظمة، فلنتجه إلى الإسلام، فعقد الإيمان يفرض علينا أن نعود إلى الإسلام، والطريق مفتوح أمامنا، فعلينا أن نحمل هذه الرسالة إلى المسلمين في كلِّ مكان، وخصوصًا أبناء هذه

QaradawiBooks.com

الرابطة، الشباب المؤمن المثقف المتعلم، الَّذي عليه من العبء بمقدار ما علمه الله وآتاه من مواهب.

أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجعل هذا الشباب عند حُسن الظنِّ به، وأنْ يجعله من الَّذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، وأنْ يجعلَنا من الَّذين يعلمون فيعملون، ويعملون فيُخلصون، ويُخلصون فيُقبلون.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمّدٍ، وعلى آله وصحبه، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية

٤

الصحوة الإسلامية وماذا نريد منها؟[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين: سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيها الإخوة تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حديثنا عن الصحوة الإسلامية، وماذا نريد منها؟ ولا بدَّ أن نقف بعض الوقفات لنلقي بعض الضوء على مفهوم الصحوة الإسلامية.

الأُمَّة الإسلامية لا تموت:

الصحوة الإسلامية هي تلك اليقظة، أو هذا البعث، أو الإحياء والتجديد، هي حركة الإحياء والتجديد والبعث والإيقاظ، التي شملت المسلمين منذ عقود من السنين، على أيدي رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. أيقظوا الأُمَّة بعد ركود: أيقظوها من سُبات، وأحيوها من موات، ونفخوا فيها من روح الإيمان والإسلام والإحسان!

(١) ألقيت في المركز الإسلامي للدعوة والإرشاد بدولة قطر، عام ١٩٨٥م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذه الصحوة ليست غريبة عن الأمة الإسلامية؛ فطبيعة هذه الأمة أنَّها لا يمكن أن تمـوت، وإذا نامت فلا تنـام طويلًا، فلا بـدَّ أن تجد من يُوقظها، هذه طبيعة هذه الأمة، وكذلك طبيعة هذا الدين: أنَّه دين موقظ محيي، ومن هنا يبعث الله ما بين الحين والحين مـن يجدد لهذه الأُمَّة دينها[١]. ولا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على الحق حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء[٢]، طبيعة هذه الأمة أنَّها لا يمكن أن تنام نومة أهل الكهف، لا بدَّ أن تستيقظ وإن نامت، ولا بدَّ أن يتجدد دينها، ويتجدد شبابها وعزمها، على أيدي الأئمة المجددين الصادقين.

ميلاد الصحوة من رحم الآلام:

ومن هنا ظهـرت هذه الصحوة بعـد أن ظن النـاس الظنون، حين ضُربت الحركات الإسـلامية ضربات موجعة، وحسب بعض الناس أنَّها لن تقوم لها قائمة، وأن الإسلام سيُطوى بساطه، وستنزل أعلامه، ولكن شاء الله أن يظهر هذا النور، وينبثق هذا الفجر، وينشق عمود هذا الصباح، وتظهر هذه الصحوة الإسلامية.

صحوة عالمية:

ظهرت هذه الصحوة التي نلمس ونحس آثارها في كل مكان، وهذه إحدى خصائصها، أنَّها صحوة عالمية، ليسـت صحـوة في قطر، أو في

(١) إشارة إلى حديث: «إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سَنَة من يُجدِّد لها دينها». سبق تخريجه صـ ٦٥.

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٢٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والطبراني (١٤٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٤٨): رواه عبد الله وجادةً عن خط أبيه، والطبراني، ورجاله ثقات. عن أبي أمامة الباهلي.

QaradawiBooks.com

الخليج، أو في بلاد العرب؛ بل هي صحوة في بلاد الإسلام جميعًا، حتى خارج بلاد الإسلام رأيناها في أوروبا وأمريكا، وبلاد الشرق الأقصى، وفي التجمعات الإسلامية في بلاد الأقليات الإسلامية، وحيث يهاجر المسلمون الذين يهاجروا مضطهدين من ديارهم، شاء الله أن يقيم على أيديهم يقظة وصحوة في بلاد الكفر!

رأينا هذا في أوروبا وأمريكا، رأينا شبابًا ذهبوا من بلادهم الإسلامية وهم قليلو الصلة بالإسلام، قليلو المعرفة به، وقليلو الالتزام به، فعادوا أشد ما يكونون حماسًا، وأصفى ما يكونون جوهرًا، وأقوى ما يكونون التزامًا بالإسلام ودعوة إليه، رأينا هذا، وكثير منكم رأى هذا، رآه في نفسه ورآه فيمن يعرف، فهي صحوة عالمية.

صحوة شاملة:

ومن خصائصها كذلك أنَّها صحوة شاملة والحمد لله، أعني أنَّها صحوة فكر، وصحوة عاطفة، وصحوة سلوك، ليست مجرد صحوة عقلية كما وصفها بعض الناس، أي إنَّها عادت تقرأ عن الإسلام، وانتشرت كتب الإسلام، وأصبح الكتاب الإسلامي هو الأول في سوق التوزيع كما تدل على ذلك الأرقام والإحصاءات، كنت في الجزائر وأقيمت بعض معارض الكتاب في الجزائر، وقيل لي: كان هناك بعض الشباب يأتون من مدن بعيدة ليبيتوا في عاصمة الجزائر أمام المعرض؛ ليدخلوا أول من يدخل، حتى يشتروا الكتب الإسلامية قبل أنْ تنفذ!

هي صحوة عقلية، ولكنها أيضًا صحوة عاطفية: ولاء للإسلام، وحماس للإسلام، وحب للإسلام وللعاملين للإسلام، هذا المعنى العاطفي قائم أيضًا في هذه الصحوة.

QaradawiBooks.com

والمعنى العملي قائم أيضًا في هذه الصحوة: الالتزام بالإسلام وآدابه، وبسلوكه وسننه، وبعض السنن التي كانت مهجورة رأيناها عادت؛ مثل سُنَّة اللحية، وبعض الآداب التي كانت قد نُسيت في بعض البلاد، مثل ظاهرة الحجاب عادت من جديد. في بعض الأوقات كنت أسير في بعض عواصم البلاد الإسلامية الكبرى؛ فلا أكاد أجد امرأة محجبة، حتى النساء الكبيرات في السن، تجد امرأة أكل الدهر عليها وشرب، ومع هذا تلبس ما يسمونه «الجابونيز» أو «الميني جب»! ثم أصبحت ظاهرة الحجاب منتشرة والحمد لله بين الفتيات والطالبات، فمن خصائص هذه الصحوة أنَّها صحوة شاملة، فكرية وعاطفية وعملية.

صحوة تنتشر بين الشباب:

ومن خصائص هذه الصحوة: أنَّها أكثر وأبرز وأظهر ما تكون بين الشباب، وبخاصة الشباب المثقف: شباب الجامعات، والمعاهد العليا، والمدارس الثانوية؛ بنين وبنات، شبانًا وشابات، فالعمود الفقري لهذه الصحوة هم هؤلاء الشباب، ومعروف أنَّ الشباب دائمًا هم الذين تنهض بهم الأمم، وتقوم على كواهلهم الدعوات والرسالات.

وهل كان أصحاب النبي ﷺ إلا شبابًا؟ أكبر واحد نعرفه من أصحاب النبي ﷺ هو أبو بكر الصديق، وكان في الثامنة والثلاثين عندما أسلم، وعمر أصغر منه بعشر سنوات، وعليٌّ كان دون العاشرة، والزبير بن العوام، كل هؤلاء كانوا شبابًا. وأصحاب الأنبياء كانوا شبابًا، وكما قال الله تعالى عن أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]. فمن خصائص هذه الصحوة أنَّها صحوة شباب.

QaradawiBooks.com

أهمية ترشيد الصحوة:

هذه الصحوة حقيقة واقعة، لا يستطيع أحد أن ينكرها، ولكننا أيها الإخوة نريد من هذه الصحوة أن تمضي في طريق راشد، وأن تستمر ولا ينقطع بها الطريق، وألا تُضلل عن أهدافها، ولا يُلوى زمامها عن طريقها.

ومن هنا كان الواجب على أهل الفكر وأهل الدعوة، وأهل التربية وأهل العلم: أن يرشدوا هذه الصحوة، وألا ينعزلوا عنها، وأن ينيروا طريقها حتى لا تتيه أو تضل السبيل، وهناك قوى كثيرة في الداخل والخارج، يهمها أن تضل هذه الصحوة!

التحذير من الانحراف بالصحوة عن طريقها:

ولست من الذين يحبون دائمًا أن يردوا الأحداث إلى قوى أجنبية، وعوامل خارجية، فكثيرًا ما ينتهي بنا هذا الأمر إلى أننا مُسيَّرون لا مخيرون، أو أحجار على رقعة الشطرنج؛ كما كتب من كتب في ذلك، لا نريد أن نصل إلى هذا الحد!

ولكن الذي يستقرئ الأحداث يجد أن هناك أيدٍ خفية تلعب من وراء ستار، وتحرِّك بعض العملاء لتضليل هذه الصحوة عن هدفها، وعن طريقها الحقيقي؛ لتنشغل بالتافه عن العظيم، وتنشغل بالجزئيات عن الكليات، وبالفروع عن الأصول، وبصغائر الأمور عن كبائرها، وتتنازع فيما بينها حتى يأكل بعضها بعضًا؛ فتتآكل من الداخل، ثم تُضرب من الخارج.

هؤلاء ينبغي أن نحذر منهم، إنهم يريدون أن يشغلوا هذه الصحوة بما لا ينفعها، يريدون أن يشغلوا بعضها ببعض، وأن يمزقوا شملها،

QaradawiBooks.com

يريدون أن يشغلوها بأمور ليست هي من صلب الإسلام، ولا هي من أركانه الأساسية لا في العقيدة ولا في العمل.

ومن هنا كان علينا أن ننبه، وكان علينا أن ننذر، وأن نضع إشارة الخطر الإشارة الحمراء؛ حتى لا تُخدع هذه الصحوة، ولا تسير في طريق يريد لها أعداؤها أن تسير فيه، ومن هنا كان الحديث عن: ماذا نريد للصحوة الإسلامية؟

خطوات مهمة نحو تجاوز المعوقات:

الحقيقة أنِّي عرضت لعناوين هذا الموضوع، وأنا في ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر الشقيقة، في شهر شوَّال الماضي، كنت أتحدَّث عن «مستقبل الصحوة الإسلامية.. بين الأمل فيها، والخوف عليها»، وذكرت أنَّه لكي تتجاوز الصحوة الإسلامية المخاوف، ولكي تحقق الآمال ينبغي أن تنقل تركيزها واهتمامها من دائرة إلى دائرة، وذكرت نقاطًا عشرين ينبغي على الصحوة الإسلامية أن ترعاها، تنتقل من ناحية إلى ناحية، أو من مرحلة إلى مرحلة، أو من دائرة إلى دائرة، أو من أفق إلى أفق، لا أذكر هذه العشرين الآن، وهي مكتوبة عندي.

قلت: إذا أرادت الصحوة الإسلامية أن تحقق أهدافها وآمالها فينبغي أن تنتقل من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل، وأن تنتقل من التركيز على النوافل إلى التركيز على الفرائض، وأن تنتقل أيضًا من التركيز على أعمال الجوارح إلى التركيز على أعمال القلوب، وأن تنتقل من المختلف فيه إلى المتَّفق عليه، وأن تنتقل من الفروع والجزئيات إلى الأصول والكليات، وأن تنتقل من العاطفية والارتجالية إلى التخطيط والعلمية، وأن تنتقل من التعصب والحقد إلى التسامح والحب، وأن تنتقل من

QaradawiBooks.com

اختلاف التضاد إلى اختلاف التنوع، وأن تنتقل من الإقليمية الضيقة إلى العالمية الواسعة، وهكذا عشرون نقطة لا أريد في الحقيقة أن أطيل عليكم بذكرها، لعلنا في محاضرات أخرى نذكرها، لكنِّي أريد اليوم أن أحدثكم عن أربع نقاط من هذه النقاط العشرين، هذه النقاط الأربع هي:

١ ـ الانتقال من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل:

النقطة الأولى: أن تنتقل الصحوة من الكلام والجدل، إلى العطاء والعمل. فالإسلام دين عمل، لا بأس أن يتكلم الإنسان، فالكلام لا بدَّ منه، ولكن لا يجوز أن يكون كلامه أكثر من عمله، ولا يجوز أن يكون كلامه مخالفًا لعمله، فنحن كثيرًا ما نتكلم كثيرًا ونعمل قليلًا، وكثيرًا ما نتكلم ولا نعمل، وكثيرًا ما نتكلم ونعمل ضد ما نتكلم، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

نحن نريد من الصحوة الإسلامية أن تنتقل إلى ميدان العمل؛ بدل الجدل الذي لا ينتهي في أمور سيظل الناس يختلفون فيها. علينا أن نعمل، وفي الحديث الذي رواه الترمذي وصحَّحه: «**ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**»[(١)]. وكان النبي ﷺ يكره من أصحابه أن يتجادلوا، ولما خرج إليهم يومًا ووجدهم يتجادلون في القدر غضب واربَدَّ وجهه؛ كأنَّما يُفقأ فيه حب الرمان من شدة الغضب وقال: «**إنَّ الله لم يُنزل عليكم القرآن لتضربوا بعضه ببعض**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٤)، وقال مخرِّجوه: حسن بطرقه وشواهده. والترمذي في التفسير (٣٢٥٣)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٨)، والحاكم في التفسير (٤٤٧/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن أبي أمامة.

(٢) رواه الهروي في ذم الكلام وأهله (٥٥/١)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وحث المسلم على أن يترك المراء ولو كان محقًّا[١]، لأنَّه يريد للمسلم أن يكون إيجابيًّا، وأن يكون بنَّاءً، وأن يكون عاملًا.

رجل من الصحابة عثرت دابته فقال: تعس الشيطان. فنهاه النبي عن سب الشيطان، هل هناك ألعن من الشيطان؟ لا، ولكنَّه قال للرجل: «**لا تقل تعس الشيطان. فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوتي صرعته. ولكن قل: بسم الله. فإنه يصغر حتى يصير مثل الذباب**»[٢].

ذم الشيطان عمل سلبي، ولكن «**بسم الله**» عمل إيجابي، ذكر لله، لا تشغل نفسك بسب هذا وسب ذاك، ولذلك من يقرأ الأحاديث يجد: «**لا تسبوا الريح، فإنها من روح الله**»[٣]، «**لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم**»[٤]، لا تسبوا كذا، لا تسبوا كذا، فلا يشغل الإنسان نفسه بالسب، حتى قال بعض الأئمة: لو عاش إنسان طول عمره لا يسب إبليس؛ فإنه لا يُسأل عنه، لكن لو سب إنسانًا بغير حق مرة واحدة؛ فإنه لا شكَّ مسؤول ومحاسَب. يريد منه أن يبني لا أن يهدم.

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٠٠)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (٦٣٠)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٤)، عن أبي أمامة.

(٢) رواه أحمد (٢٠٥٩١)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٢)، والحاكم في الأدب (٢٩٢/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٨١٩)، عن رديف رسول الله ﷺ.

(٣) رواه أحمد (٢١١٣٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٠٧)، والحاكم في التفسير (٢٧٢/٢)، وصحَّحه على شرطهما، وقال الذهبي: على شرط البخاري. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٧)، عن أبي بن كعب.

(٤) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٥)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

أهمية العمل في الإسلام:

لا بدَّ من العمل، أول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. القراءة عمل حتى لو اعتبرناها عملًا نظريًّا، وانظر ما نزل بعد ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [المدثر: ١ ـ ٧]. برنامج عمل جديد لحياته ﷺ.

وبعد ذلك نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٥]. في مدرسة الليل ومدرسة القرآن يتخرج من يريد أن يحمل الرسالة، فالرسالة ليست هينة، ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾، هذا القول الثقيل يحتاج إلى إعداد وتربية وتهيئة، ولذلك ينبغي أن تتهيأ له بهذا الزاد الروحي: بقيام الليل، وترتيل القرآن، عمل متواصل.

هذا ما يريده منا الإسلام أن نعمل، ونعمل الصالحات، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، والصالحات عبارة قرآنية جامعة، تشمل كل ما يصلح به الإنسان مادة وروحًا: ما يصلح به في جسمه، وما يصلح به في عقله، وما يصلح به في عاطفته، وما يصلح به في روحه، ما يصلح به الفرد، وما تصلح به الجماعة، ولذلك عمل الصالحات يشمل عمل الدين وعمل الدنيا، ليس عمل الصالحات مقصورًا فقط على أن تقيم الشعائر ـ وهي لا بدَّ منها قطعًا ـ ولكن أيضًا إذا عملت لدنياك، إذا قدمت شيئًا لأُمَّتك فهذا من عمل الصالحات.

نحن لا زلنا نشكو أننا وراء الأمم، وأننا عالة على غيرنا، لو كفَّ غيرنا يده عن السلاح الذي ندافع به عن أنفسنا لهلكنا، لأننا لا نصنع طائرة، ولا نصنع دبابة، ولا نصنع بندقية. ولو كفَّ يده عن الغذاء الذي

QaradawiBooks.com

نقتات به لمتنا جوعًا؛ فنصف الغذاء أو أكثر في العالم الإسلامي نستورده من البلاد الأجنبية، مع أننا نعيش في بلاد زراعيـة، فالعمل لدنيانا من عمل الصالحات.

لماذا لا نعمل؟

لماذا لا نعمل؟ لماذا لا نبتكر؟ لماذا لا نخترع؟ أعجبني أخ يعيش في سويسـرا من عـدة سـنوات: الأخ إبراهيـم صلاح.. صنع سـاعة إلكترونية، تسـتطيع أن تعرف منها وقت الصلاة، وتعرف اتجاه القبلة، وتؤذن بإشـارة معينة في أي مكان في العالم، اخترعها شـاب مسـلم، مطلوب أن نفكر، لسنا أقل عقولًا من غيرنا؛ فلماذا لا نعمل؟

جاء أحد الشباب المتخرجين في كلية الهندسة في أمريكا وقال: أنا أريد أن أتخصص في كلية الشـريعة. قلـت: لماذا يا أخي؟ أولًا كلية الشـريعة لا يسـمح نظامها بهذا، ولكن يا أخي تسـتطيع أن تقـرأ وتتعلم؛ دون أن تنتسب إلى كلية الشريعة، وتتقن عملك الهندسي وتتقرب إلى الله تعالى به.

إتقان العمل وإحسانه:

نحن في حاجة إلى أن نتعلم كيف نحسـن العمل، العمل بإحسـان وإتقان، لا زالت الأمة الإسلامية في ذنب القافلة؛ لأنَّها حتى إن عملت لم تتقن، لماذا احتلت اليابان وغيرها المقدمة بين الأمم الصناعية؟ لأنَّها تعمل وتتقن العمـل الدقيق، ونحن الذيـن يُعتبر الإتقـان عندنا عبادة لا نتقن، «**إنَّ الله يحب إذا عمـل أحدكم عملًا أن يتقنه**»[1]، وهو فريضة،

(١) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١١١٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

«**إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء**»، كتبه: أي فرضه، كما فرض الصيام علينا وكتبه، كتب علينا الإحسان، «**فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة**»[١].

الاكتفاء بالحديث عن الماضي عجز:

نحن لا نعمل، ولا نحسن العمل! نحن نتكلم كثيرًا، نتكلم عن الماضي، عن أمجاد السلف، عن فتوح الفاتحين، عن الصحابة ومن تبعهم بإحسان، عن الذين شرَّقوا وغرَّبوا في آفاق الأرض، هذا حسن وطيب، ولكن يجب أن نكمل هذا، ماذا فعلنا نحن؟ أكُل مجدنا أن نقول: كان آباؤنا وكان أجدادنا؟! الشاعر يقول:

نبنِي كما كَانتْ أوائلُنَا تبنِي ونفعلُ مثلما فعلُوا[٢]

ويقول الآخر:

إنَّ الفتَى من يقولُ ها أنا ذا وليسَ الفتَى من يقولُ كان أبي[٣]

يجب أن نعمل نحن، أمَّا مجرد التفاخر بالأجداد وبأمجاد الآباء، والوقوف عند هذا؛ فهو لا يكفي!

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع[٤]

---

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٢) من شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. انظر: الكامل للمبرد (١٣٢/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٣) ينسب لسيدنا علي بن أبي طالب، كما في الديوان المنسوب إليه صـ١٦، جمع عبد العزيز الكرم، ط١، ١٩٨٨م.

(٤) ديوان الفرزدق صـ٣٦٠، شرح علي فاعور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

QaradawiBooks.com

آباؤك لم تصنعهم أنت، الأوْلى أن تقول: أولئك أبنائي فجئني بمثلهم. لأن أبناءك من تربيتك، إنَّما آباؤك ليسوا من صُنعك، فماذا صنعت في هذا الجيل؟ هل ربيت جيلًا جديدًا يحمل رسالة الإسلام ويعمل بها ويعمل لها؟! فمجرد الفخر بالماضي لا يجدي.

حاجتنا إلى معايشة الواقع:

أيضًا بعض الناس لا يتكلم عن الماضي، ولكن يتكلم عن المستقبل، ويعيش في أحلام وردية، ويحلق في أجواء مجنحة من الخيالات والمُثُل، ولا يعيش في أرض الواقع، نحن في حاجة إلى أن نعايش الواقع، ونعرف إمكاناتنا، ماذا عندنا؟ وماذا عند غيرنا؟ وما المعوقات في طريقنا؟ يجب أن نكون واقعيين، أمَّا مجرد الطيران وراء الأحلام؛ كما قيل للإمام محمد بن سيرين، وكان إمامًا في الفقه وفي الحديث وفي تعبير الرؤى، سأله سائل يومًا: إنِّي رأيت كأني أطير بغير جناح وأسبح في غير ماء؟! فقال له: يبدو أنك رجل كثير الأماني والأحلام: تطير بغير جناح، وتسبح في غير ماء[1]!

نحن أيضًا نطير بغير جناح، ونسبح في غير بحر ولا نهر، فينبغي أن نقلل من هذا؛ لنعايش الواقع ونعمل في ظله.

مجرد انتقاد الآخرين لا يصنع شيئًا:

أيضًا من الكلام الذي لا يجدي: الكلام عن الآخرين وعن أخطائهم، أنا أقول لكم بصراحة: نحن نكثر الحديث عن الحضارة الغربية، وننقدها

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٥٣٤/١)، نشر دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

ونبين مساوئها، حسنًا.. ولكن علينا أن نقيم حضارة إسلامية، أمَّا أنْ يكون كل همنا أن نقول: إنَّ هذه الحضارة هي حضارة المادة، وحضارة الشهوات، وحضارة الانحلال. فأين حضارتك أنت أيها المسلم؟ إذا كان أجدادك قد صنعوا حضارة ربانية، إنسانية، أخلاقية، عالمية؛ فأين الحضارة التي نقيمها نحن؟ أن يكون كل همنا نقد الآخرين دون أن نعمل نحن شيئًا فهذا لا يجوز.

بعض الناس مهمته أن ينقد غيره، ينقد الحركات الإسلامية، وينقد الدعاة إلى الإسلام، وينقد العلماء، وينقد المفكرين، ومهمته أن يتسقَّط الأخطاء، ويبحث عنها بإبرة كما يقولون، ويضخم الصغير، ويعظم الحقير! ينظر إلى الأشياء بميكروسكوب، مهمته البحث عن زلات الآخرين، لماذا يا أخي؟ استر على غيرك واشتغل بنفسك، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، يرى القذى في عين أخيه، ولا يرى الخشبة في عينه!

والعجيب أنَّ لسانه سوط على الآخرين، ولكنَّه لا يقبل من أحد أن ينقده هو! لا يتقبل من أحد أن ينصحه أو ينقده؛ كأنه معصوم، وكأنه فوق النقد، مع أنَّ عمر بن الخطاب كان يقول على المنبر: مرحبًا بالناصح أبد الدهر، مرحبا بالناصح غدوًّا وعشيًّا[١]، رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوب نفسي[٢]، لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها[٣]. وحين قيل له: لو وجدنا فيك اعوجاجًا لقوَّمناه بسيوفنا. قال:

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢٢٥/٤)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ٢١٧، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٣) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٧٧٣/٢)، تحقيق فهيم محمد شلتوت، نشر عام ١٣٩٩هـ.

QaradawiBooks.com

الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بحد سيفه[١].

أمَّا هذا فينقد ولا يُنقد، مع أنَّ الإنسان المسلم ينبغي أن يعرف عيبه من غيره، من صديقه ومن عدوه، حتى من عدوه، ورحم الله من قال:

عدَاتــي لهم فضــلٌ علــيَّ ومنةٌ فلا باعد الرحمنُ عنِّــي الأعاديَا
فهم بحثُوا عن زَلَّتــي فاجتنبتُهَا وهم نافســونِي فارتقيتُ المعاليَا[٢]

وقال في نفس القصيدة:

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ كما أنَّ عينَ السُّخطِ تبدي المَسَاويَا[٣]

فعين الساخط تبحث وتفتش، فهو ينتهز هذه الفرصة، ويعرف منهم؛ لأن الراضين عنه لا يعرفون عيوبه، يريد أن ينقي نفســه، وأن يستكمل درجات الرقي. وهو لم يدَّعِ أنَّه بلغ الكمال، فلا زيادة لمستزيد، لا، فكل إنسان فيه جوانب نقص وجوانب كمال، ونقاط ضعف ونقاط قوة.

فنحن مطالبون بأن نعمل، ولا نكتفي بالتفرج. بعض الناس يريد من الآخريــن أن يعملوا، ومهمته هو أن يتفرج علــى العاملين وأن ينقدهم، يقف على البر، وكما يقولون: «من على البر شاطر». فهو ينقد ولا يعمل، الذين يعملون يخطئون، والذي لا يعمــل لا يخطئ، فهو ينقد العاملين؛ لأن العاملين يتعرضون لأخطاء، وهكذا!

---

(١) ذكره علي بن خلف، في كفاية الطالب الرباني على رســالة ابن أبــي زيد (١٩١/١)، تحقيق محمد محمد تامر، نشــر مكتبة الثقافة الدينيــة، القاهرة. ورواه ابن أبي شــيبة في الزهد (٣٥٦٢٩) بنحوه بدون ذكر السيف.

(٢) هو أبو حيان الأندلسي، كما في الوافي بالوفيات للصفدي (١٨٠/٥)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٣) من شعر عبد الله بن معاوية. انظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي صـ٣٢٧، نشر دار المعارف، القاهرة.

QaradawiBooks.com

مجرد الانتظار نوع من السلبية:

وبعض العاملين في الصحوة الإسلامية يرون أنَّ مهمتهم الانتظار فقط، هو ينتظر الخلافة الإسلامية أن تهبط عليه من السماء، أو ينزل عليه مهدي! فكل مهمته الانتظار، لا يعمل حتى تقوم الدولة الإسلامية أو الخلافة الإسلامية، وإلى أن تقوم هل نظل صامتين ساكتين لا نعمل شيئًا؟ الواجب أن نعمل.

لعلَّكم تذكرون أنِّي في العام الماضي كنت أحدثكم عن تجديد الدين، وقلت: إنَّ الذي يجدِّد لهذه الأمة دينها ليس هو مهديًّا يُنتظر، وأن «مَنْ» تفيد الجمع في حديث «**إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سَنَة، مَنْ يُجدِّد لها دينها**»[1]. فهو يشمل كل حركة، وكل جماعة، وكل مدرسة تعمل لهذا الدين، فنحن علينا جميعًا أن نجدد ديننا، ولا ننتظر من غيرنا أن يجدد لنا، لا ينبغي أن يكون كل همنا الانتظار.

كان الشيعة في وقت من الأوقات منتظرين الإمام المنتظر عندهم، ويدعون الله أن يفرج كربه، وأن يخرجه من سردابه، إلى آخره، ثم جاء الخميني بنظرية جديدة، قال: إلى متى ننتظر، لقد صار له ألف وثلاثمائة سنة ولم يخرج. فجاء بنظرية ولاية الفقيه، وانتقلوا من الانتظار إلى العمل، فأولى بنا نحن وليس عندنا هذه النظرية أن نعمل، لا يكون كل همنا الانتظار.

نريد صحوة عملية:

نحن نريد من الصحوة الإسلامية أن تكون صحوة عمل، عمل في كل الميادين، عمل للدين وعمل للدنيا، وميادين العمل كثيرة، يجب أن نعمل مع أنفسنا، لإصلاح أنفسنا، لتنمية أنفسنا، عقولًا وقلوبًا وأجسامًا.

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويجب أن نعمل مع أسرنا، مع زوجاتنا، مع أولادنا، مع بنينا وبناتنا وإخواننا وأخواتنا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه: ١٣٢].

ويجب أن نعمل مع المجتمع، يجب أن نعلِّم أبناءه الإسلام الحقيقي، يجب أن نطارد الشبهات والأوهام والخرافات، يجب أن نأخذ بأيدي الناس حتى يعرفوا دين الله حقًّا، ويعملوا به، يجب أن نقترب من الناس ولا نقيم بيننا وبينهم سدودًا وفجوات.

ويجب أن نعمل مع العالم كله، أنا يخيل إليَّ أننا نحن العرب خاصة والمسلمين عامة مسؤولون عما يعانيه العالم كله، فنحن لم نبلغه رسالة الإسلام كما ينبغي، يجب أن نبلغ رسالة الإسلام إلى العالم قولًا وعملًا، وقد تعددت طرق القول الآن: عن طريق الكلمة المقروءة، والكلمة المسموعة، والكلمة المشاهَدة، ووسائل الإعلام الحديثة.

أغلظ حجاب عن الإسلام:

ومن ناحية أخرى نريد أن يرى العالم فينا صورة الإسلام الحقيقي، فأغلظ حجاب عن الإسلام هم المسلمون، لأننا للأسف صورة سيئة عن الإسلام. فالعالم الإسلامي، وأمة الإسلام، وأمة القرآن، وأمة محمد ﷺ لا تعطي صورة صادقة عن الإسلام، وقد سمعنا كلمة هذا الرجل الأجنبي الذي دخل في الإسلام، ثم حج ورأى المسلمين في موسم الحج، ورأى الفوضى، ورأى الجهل، ورأى سوء الأخلاق، ورأى التشاحن، إلى آخره، فقال في أسفٍ وأسًى: الحمد لله الذي أراني الإسلام قبل أن يريَني المسلمين.

QaradawiBooks.com

يجب أن نعمل في هذه الجوانب كلها، ميادين العمل كثيرة جدًّا، ولا يكون همنا الكلام والجدل، والقيل والقال. نريد من الصحوة الإسلامية أن تنتقل إلى أفق العمل، وتدع دائرة الجدل والكلام فيما لا يعني، هذه هي النقطة الأولى.

٢ ـ الانتقال من النوافل إلى الواجبات والفرائض:

النقطة الثانية: هي الانتقال من النوافل إلى الواجبات والفرائض، بدل التركيز على النوافل نريد التركيز على الفرائض، كثير من أبناء الصحوة الإسلامية يشغلون أنفسهم بالسنن والنوافل، ويحاسبون الناس عليها، وينسون الأصول الأساسية: العقيدة، والعبادات الركنية، والواجبات الدينية والاجتماعية.

لسنا نغض من قيمة النوافل، ولكن من المهم جدًّا ترتيب الأشياء، ومعرفة فقه مراتب الأعمال، كل عمل له مرتبته، وكل مرتبة لها حكمها، ليس كل ما أمر الله به في درجة واحدة، وليس كل ما نهى الله عنه في درجة واحدة.

الأوامر والنواهي درجات متفاوتة:

ففي الأوامر هناك أشياء يُستحب من الإنسان أن يفعلها، وهناك أشياء في مرتبة السنن المؤكدة التي واظب عليها النبي ﷺ، بعد السنن هناك أشياء في بعض المذاهب تُعتبر واجبات: أي شيء فوق السنة، ودون الفرض، وهناك فوق ذلك فرائض وواجبات، وهي أيضًا ليست في درجة واحدة؛ فالفرائض الركنية مثل الصلاة والصيام والزكاة والحج ليست كغيرها، وكذلك الواجبات تتفاوت.

QaradawiBooks.com

ومن ناحية أخرى نجد المنهيات، هناك شيء يسميه العلماء خلاف الأوْلى، وهناك المكروه تنزيهًا، وهناك المكروه تحريمًا، وهناك الشبهات التي تقع في منطقة بين الحلال والحرام، وهناك صغائر المحرمات؛ لأنَّ الحرام أيضًا ليس في درجة واحدة، هناك حرام من الصغائر، وحرام من الكبائر. والكبائر نفسها فيها أكبر الكبائر، وما دونها. وهناك الشرك الأكبر وهناك الشرك الأصغر، فلا يمكن أن تكون كلها في مرتبة واحدة!

فرض العين، وفرض الكفاية:

ولذلك ينبغي أن نعرف النفل من الفرض، هناك أشياء طلبها الله تعالى وشدد في طلبها، فهذه فرائض. والفرائض فيها فرض كفاية، وفرض عين. فرض الكفاية هو الذي إذا فعله بعض الناس بعدد كاف؛ سقط الإثم والحرج عن الباقين، وإذا لم يفعله أحد أثم الجميع، وفرض العين متعلق بذمة كل شخص، فلا ينبغي أن ينشغل الإنسان بالنفل عن الفرض، ولا بفرض الكفاية عن فرض العين، لا، وإنَّما ينبغي أن يوضع كل عمل في مرتبته.

ولذلك حين جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، قال له: «**هل أحد أبويك حي؟**» قال: نعم كلاهما. قال: «**ارجع؛ ففيهما فجاهد**»[(١)]. لأن الجهاد كان فرض كفاية، وبر الوالدين فرض عين. وقال له آخر: جئت أبايعك على الجهاد، وقد تركت أبَويَّ يبكيان. فقال له: «**ارجع؛ فأضحكهما كما أبكيتهما**»[(٢)]. وقال آخر: تركت أمي تبكي. فقال له:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٣٠٠٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٤٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٦٨٣٣)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود في الجهاد (٢٥٢٨)، والنسائي في البيعة (٤١٦٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٢)، والحاكم في البر والصلة (١٥٣/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٤٠/٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

«**ارجع فالزمها؛ فإنَّ الجنة عند رجلها**»[١]. فرعاية الوالدة أو الوالدين فرض عين، وهو مقدم على الجهاد إذا كان فرض كفاية.

ولكن حينما يكون الجهاد فرض عين يُقدم على بر الوالدين، فيخرج المسلم إلى الجهاد؛ حتى لو طلب منه أبوه أو أمه ألا يخرج! إخواننا في أفغانستان مثلًا قالوا: كل واحد قادر على حمل السلاح يجب أن يقاتل.

والفقهاء قالوا: يخرج الولد بغير إذن أبيه، والخادم بغير إذن سيده، والمرأة بغير إذن زوجها، لأنَّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا الجهاد فرض عين يتعلق بحق الجماعة، فهو مقدم على فرض العين الذي يتعلق بحق فرد أو فردين. فللأعمال مراتب ومقادير لا بدَّ أن نعرفها، هناك تسعيرة للأعمال؛ فلا ينبغي أن نخلط ونذيب المراتب بين الأعمال بعضها وبعض، هذا أمر مهم جدًّا.

بين النوافل والفرائض:

هناك أناس يركزون على النوافل، ويهملون الفرائض، مع أنَّه جاء في الحديث القدسي الصحيح الذي رواه البخاري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**ما تقرب إليَّ عبدي بأفضل مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يسعى بها**»[٢]. فأفضل ما يتقرب به الإنسان إلى ربه أداء الفرائض، فالفرائض أول شيء.

---

(١) رواه أحمد (١٥٥٣٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي (٣١٠٤)، وابن ماجه (٢٧٨١)، والحاكم (١٠٤/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الجهاد، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٨٥)، عن معاوية بن جاهمة.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٠.

QaradawiBooks.com

ثم بعد ذلك فتح الإسلام باب التطوع لمن يريد أن يرتقي في درجات الكمال، هذا أمر مطلوب لعدة أشياء:

أولًا لأن النوافل مطلوبة لجبر الفرائض، فقد يخل الإنسان بالفرض، فلا يؤديه كما ينبغي، فإذا حُوسب يوم القيامة ووُجد في فرضه خللٌ قيل: «**هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة**»[١].

ومن ناحية أخرى: الإنسان في حاجة إلى رصيد احتياطي ـ كما يقول أهل المصارف ـ يواجه به السيئات، ومن منا لا سيئات له، وكل بني آدم خطاء؟! ومن ذا الذي ما ساء قط؟! سيئات الجوارح واللسان، والعين والقلب.. سيئات كثيرة، فإذا لم يكن للإنسان مثل هذه النوافل يُخشى أن ينكشف حسابه كما يقولون، فهو في حاجة إلى تغطية هذا الحساب من رصيد الحسنات والنوافل، فهذه النوافل إما أن تفتح له باب الحب والقرب، أو تكون رصيدًا احتياطيًّا يعوض ما ارتكب من سيئات، فالنوافل مطلوبة، ولكن تسبقها الفرائض.

سنة النبي هي منهجه وطريقته:

كثير من شباب الصحوة الإسلامية يقعون هنا في بعض الأخطاء، منها أنَّهم يحاسبون بعض الناس على النوافل كأنها فرائض، وبعضهم قال مرة: كيف يجوز ترك السنن، والنبي ﷺ قال: «**مَن رغِب عن سنتي فليس مني**»؟!

(١) رواه الترمذي (٤١٣)، وقال: حديث حسن غريب. والنسائي (٤٦٥)، كلاهما في الصلاة، وصحَّحه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٢٢٩/٥)، والألباني في صحيح الجامع (٢٠٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

قلت: يا أخي، يجب أولًا أن تعرف أن هذا فيمن رغب عن السنة، أي أعرض عنها متعمدًا؛ كراهية لها! هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ما معنى السُّنَّة؟ السنة ليس معناها النوافل، السُّنَّة منهج، سنته ﷺ هي منهجه وطريقته، وهو منهج يمثل التوازن والاعتدال، ولهذا قال هذا القول؛ في مقام التوعية والتفهيم، لأولئك الذين أرادوا أن يجعلوا الحياة كلها تعبدًا، لا مجال فيه للدنيا. قال أحدهم: أصوم الدهر ولا أفطر. وقال الثاني: أقوم الليل فلا أنام. وقال الثالث: أعتزل النساء فلا أتزوج. فقال النبي ﷺ: «**أنا أخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكنِّي أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(١)]. سنتي هنا أي: عن طريقتي، عن منهجي، فسُنَّته منهجه في فهم الدين وفي تطبيقه، وليس النوافل التي يقال عنها السنن الرواتب وغيرها، لا.

والأحاديث الصحيحة عندنا في هذا؛ منها حديث طلحة بن عبيد الله، حينما جاء الرجل بعد أن دخل في الإسلام وسأل النبي ﷺ: ماذا عليَّ يا رسول الله؟ قال: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**». فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». قال: «**وصيام رمضان**». قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل علي غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. فقال النبي ﷺ: «**أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق**»[(٢)].

وفي حديث أبي هريرة وهو شبيه بهذا الحديث: «**من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة؛ فلينظر إلى هذا**»[(٣)]. وقد حلف ألا يزيد على

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الصوم (١٨٩١)، عن طلحة بن عبيد الله.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هذا! قال: أنا أريد أن أنجح بدرجة مقبول، لا أريد امتيازًا ولا جيد جدًّا، فقط أريد الشهادة، أريد النهاية الصغرى، بحسبي النجاح. فقال: «**أفلح إن صدق**»، «**دخل الجنة إن صدق**»، «**من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**». فلماذا نعسر ما يسر الله؟ لماذا نحاسب الناس على النوافل كأنها فرائض؟ كل شيء بحسبه!

الناس درجات ومنازل:

طبعًا الناس منازل، فلو قال هذا أبو بكر أو عمر؛ ما قُبِل منه أن يقتصر على الفرائض، ولن يقوله، لكن لو كان هناك شخص في الدرجة الدنيا؛ لماذا تتعجل الارتقاء به، دعه يرتقي ببطء وبتدرج، هو سيرقي نفسه، فلا تحاسبه من أول الأمر.

بعض الناس يريد لمن يدخل في الإسلام من جديد أن يعلمه، فيقول له: الصبح أربع ركعات، والظهر ثماني ركعات، أو اثنتا عشرة ركعة ـ لو كان المتحدث من إخواننا الباكستانيين ـ وهكذا. لماذا يا أخي؟ قل له الفرائض فقط.

وكذلك الإنسان حديث العهد بتوبة قلِّل له من التكاليف، والنبي ﷺ كان دائمًا حريصًا على التقليل من التكاليف ما أمكن، فمن الأخطاء التي يقع فيها بعض شباب الصحوة محاسبة الناس على النوافل كأنها فرائض.

الانشغال بالنوافل عن الفرائض:

ومن هذه الأخطاء أنَّهم أحيانًا ينشغلون بالنوافل عن الفرائض، كمن يقوم الليل أو يصوم الاثنين والخميس، ولكنَّه مع هذا عاقّ لأبويه، يسيء إلى أبيه أو أمه، قاطع لرحمه، مؤذٍ لجيرانه، لا يتورع في معاملاته،

QaradawiBooks.com

لا يتوقَّى الحرام ولا الشبهات استبراءً لدينه وعرضه، وقد يتعامل مع البنوك الربوية، وقد يقبل الرُّشا أو يعطيها في صور مقنعة أو تحت أسماء مختلفة ـ هدايا أو نحو ذلك ـ تسييرًا للمعاملات، أو تزييفًا للأمور! يقول ما قال القائل:

إذا كنتَ في حاجةٍ مرسِلًا وأنت بها كلفٌ مغرمُ
فأرسلْ حكيمًا ولا توصهِ وذاكَ الحكيمُ هو الدرهمُ[١]

يقول: من غير هذا لا تسير الأمور. ما هذا؟! وتجده يعتمر كل سنة في رمضان مثلًا، ويحج الحجة السابعة أو العاشرة، ولكنَّه يظلم الموظفين عنده، أو المتعاملين معه، رأينا هذا قديمًا وحديثًا، ولكن في الواقع يجب أن تقدم الفريضة على النافلة.

من القواعد التي ذكرها علماؤنا، وهي مأخوذة من وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنه: إنَّ الله لا يقبل النافلة حتى تؤدَّى الفريضة[٢]. أدِّ الفريضة أولًا، ومن كلمات السلف: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور[٣]. الفرائض أولًا، يجب أن نؤكد أمر الفرائض ونشغل أنفسنا بها.

وكذلك ينبغي ألا تجعلنا النوافل نضيع حقوقًا أكبر منها، يقول النبي ﷺ: «**لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد؛ إلا بإذنه**»[٤].

---

(١) البيتان لأحمد بن فارس اللغوي، انظر: الإعجاز والإيجاز للثعالبي صـ١٧٧، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

(٢) رواه الربعي في وصايا العلماء عند حضور الموت صـ٣٣ من وصية أبي بكر لعمر.

(٣) ذكره الحافظ في فتح الباري (٣٤٣/١١)، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٤) سبق تخريجه صـ٨٤.

QaradawiBooks.com

أي تطوعًا كما في بعض الروايات. لماذا؟ لأنَّ للزوج حقًّا، فلا ينبغي أن يسقط هذا النفل حق الزوج، معنى هذا أنَّ النوافل إذا عارضت حقًّا قدمنا الحق على النوافل، فـإذا كان هناك مدرس يصوم الاثنين والخميس فإذا ذهب إلى المدرسة لإعطاء الدرس في هذين اليومين لم يستطع أن يعطي الدرس حقـه، هنا نقول لـه: لا تصم. ومثـل هذا من يعمـل في دائرة حكومية فيـرد المتعاملين ويؤجلهم ليوم تالٍ بسـبب شـعوره بالتعب، لا يجوز أن تتعطل مصالح الناس من أجل صيام النافلة وقيام الليل، هنا لا بدَّ من فقه مراتب الأعمال.

فقه المراتب عند الغزالي:

هذا موضوع مهم، وحينما كنت أقرأ للإمام الغزالي في هذا الموضوع، قابلتني كلمات جيدة أحببت أنْ أقرأها قراءة؛ لأنَّها تدل في الحقيقة على فقه أئمتنا رضي الله عنهم، وكلامه في منتهى القوة، والكلام الذي كنت أقوله في فقه المراتب وجدت الإمام الغزالي سبق وقرره وأصله، تحدث في كتاب «ذم الغرور» من «الإحياء»، عن بعض الناس الذين غرتهم أشـياء، فوقعوا في أخطاء؛ فأهلكهم الغرور فقال: وفرقة أخـرى حرصت على النوافل، ولم يعظم اعتدادها بالفرائـض، ترى أحدهم يفرح بصـلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل، ولا يجد للفريضة لذة، ولا يشـتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت، وينسى قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**ما تقرَّب المتقربون إليَّ بمثـل أداء ما افترضـت عليهم**»[1]. وتـرك الترتيب بين الخيرات مـن جملة الشـرور، ونظائر ذلـك أكثر مـن أن تحصى؛ فإن

(١) رواه البخاري في الرقائق (٦٠٢١) بلفظ: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه»، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة؛ وإنَّما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض؛ كتقديم الفرائض كلها على النوافل، وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفاية، وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره.

ولذلك هو كان يعيب على بعض علماء زمنه أنَّ البلد الواحد فيه خمسون فقيهًا وليس فيها طبيب واحد؛ إلا طبيب نصراني أو يهودي.. هو الذي يفحص المسلمين والمسلمات! وتساءل: ألا يوجد واحد من أهل الفقه يتخصص في الطب فيعالج المسلمين والمسلمات؟! فهناك بعض فرائض الكفاية يتوافر عليها عدد كبير، وجوانب أخرى فيها ثغرات غير مسدودة يجب أن تُسد.

قال الغزالي: وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره، وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه، وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهكذا. كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ سُئِل رسول الله ﷺ فقيل له: من أبر يا رسول الله؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أباك**». قال: ثم من؟ قال: «**أدناك فأدناك**»[1]. فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب؛ فإن استويا فبالأحوج، فإن استويا فبالأتقى والأورع.

وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج؛ فربما يحج وهو مغرور؛ بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج، وهذا من تقديم فرض أهم من فرض هو دونه، وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة؛ فالجمعة تفوت، والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية؛ وإن كان هو طاعة في نفسه.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٤٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة؛ فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك. فالنجاسة محذورة وإيذاؤهما محذور، والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة. وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر، ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور، وهذا غرور في غاية الغموض؛ لأن المغرور فيه في طاعة، إلا أنَّه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية؛ حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها.

ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات، والمعاصي الظاهرة المتعلقة بالجوارح، والباطنة المتعلقة بالقلب؛ لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه، فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به؛ إلا أنَّ حب الرياسة والجاه، ولذة المباهاة، وقهر الأقران، والتقدم عليهم يعمي عليه؛ حتى يغتر به مع نفسه ويظن أنَّه مشغول بهمِّ دينه[1]. هذا كلام في غاية الفقه والدقة حقيقة.

الاغترار بالعبادات الظاهرة عن حاجات المسلمين:

أيضًا من الأشياء اللطيفة التي وجدتها للإمام الغزالي عن الذين يكثرون الحج، وأنا تحدثت في هذا الأمر كثيرًا في برنامج «هدي الإسلام»، وكتبت فيه في كتابي «فتاوى معاصرة» عن الناس الذين يكررون الحج كل عام، يا جماعة، وفروا بعض هذه النفقات لمصالح إسلامية أهم، وحاجات المسلمين كثيرة، هناك الذين يموتون جوعًا، وهناك الذين يتعرضون للغارات التبشيرية التنصيرية، هؤلاء للأسف نجد من لا يلتفت لهم، والمسألة عندهم نفسية!

(١) راجع: إحياء علوم الدين (٣/٤٠٠ ـ ٤٠٤).

QaradawiBooks.com

قلت لبعض الإخوة الذين تعودوا أن يكرروا الحج، وكنت قادما من إندونيسيا في بعض السنوات، ورأيت هناك ما يصنع التنصير، الذي تملك إرسالياته التبشيرية أكثر من خمسين مطارًا! قلت للإخوة: أنتم حوالي خمسين شخصًا.. لو أنكم تتكلفون في الحج ألفين ريالًا مثلًا، هاتوا هذه المائة ألف نرسلها إلى إندونيسيا ولكم ثواب عند الله. قالوا: لا، نحن نعطيك ونحج. طبعًا هذا كلام إن حدث مرة لا يحدث أخرى، المهم رأيت الإمام الغزالي يذكر هذا الأمر كما رأيته، سبحان الله!

قال الغزالي: وربما يحرصون على إنفاق المال في الحج؛ فيحجون مرة بعد أخرى، وربما تركوا جيرانهم جياعًا! ولذلك قال ابن مسعود: في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب؛ يهون عليهم السفر، ويبسط لهم في الزرق ـ كأنهم في الخليج ـ ويرجعون محرومين مسلوبين ـ والعياذ بالله ـ يهوي بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار، وجاره مأسور إلى جنبه لا يواسيه! (هذا حال إخواننا المسلمين الذين يموتون من الجوع، ملايين تهلك وتسقط) وقال أبو نصر التمار: إنَّ رجلًا جاء يودع بشر بن الحارث وقال: قد عزمت على الحج؛ فتأمرني بشيء؟ فقال له: كم أعددت للنفقة؟ فقال: ألفي درهم. قال بشر فأي شيء تبتغي بحجك: تزهدا، أو اشتياقا إلى البيت، أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال: ابتغاء مرضاة الله. قال: فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك، وتنفق ألفي درهم، وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك؟! قال: نعم. قال: اذهب فأعطها عشرة أنفس. (أعطِ كل شخص مائتي درهم، وكانت قوة الدرهم كبيرة في ذلك الوقت). قال: اذهب فأعطها عشرة أنفس: مديون يقضي دينه، وفقير يرم شعثه، ومعيل يغني عياله، ومربي يتيم يفرحه، وإن قوي قلبك تعطيها واحدًا فافعل؛ فإن إدخالك السرور على قلب المسلم،

QaradawiBooks.com

وإغاثة اللهفان، وكشف الضر، وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام، قم فأخرجها كما أمرناك، وإلا فقل لنا ما في قلبك؟ فقال: يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي! فتبسم بشر رَحِمَهُ اللَّهُ وأقبل عليه وقال له: المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات: اقتضت النفس أن تقضي به وطرا؛ فأظهرت الأعمال الصالحات، وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين[1].

انظروا، أنا الحقيقة حين قرأت هذا الكلام استرحت جدًّا، لأن الإنسان يحب أحيانا أن يرى من كلام المتقدمين ما يؤيد اجتهاده، فهذا نص في مراتب الأعمال، وفي تقديم الأهم على المهم، والمهم على غير المهم، والترتيب بين الخيرات أمر مهم، وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور كما قال الإمام أبو حامد رَحِمَهُ اللَّهُ.

فيا أيها الإخوة، نحن نريد أن ننتقل من التركيز على النوافل إلى التركيز على الفرائض، أهم شيء الواجبات، الناس استدبروا الإسلام، ولذلك نريد أن يولي الناس وجوههم شطر هذا الدين، ومن هنا نهتم بالأمور الأساسية: بالفرائض، بالأركان، بالواجبات، سواء كانت واجبات شعائرية أو واجبات أخلاقية أو واجبات اجتماعية، كلها يجب أن تدخل دائرة الاهتمام والعناية، فهذا ما يجب أن تهتم به الصحوة الإسلامية.

٣ ـ التركيز على أعمال القلوب مع أعمال الجوارح:

يظهر أنِّي أطلت، ولهذا سأذكر النقطة الثالثة وأكتفي بها، وهي الانتقال من التركيز على أعمال الجوارح إلى التركيز على أعمال

(١) إحياء علوم الدين (٤٠٩/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

القلوب، لا يظن أحد أننا نريد أن نسقط أعمال الجوارح، لا يتصور هذا، أعمال الجوارح لا بدَّ منها، بعض الناس يقولون أحيانًا: دعونا من الشكل وادخلوا في الجوهر. ولا بدَّ من الشكل ومن الجوهر معًا، إنَّما أريد نقل دائرة التركيز والاهتمام من الشكل إلى الجوهر، لا يكن كل همنا حول الأمور الظاهرة فقط، هل لهذا الشخص لحية أم لا؟ جميل أن يكون للإنسان لحية، وأنا أشجع شباب المسلمين في العالم أن تكون لهم لِحًى، ليت المسلمين في العالم تكون لهم لحى حتى لا تؤخذ مجموعة منهم ويقال: هؤلاء إرهابيون متطرفون. لكن ما هي منزلة هذه المسألة في الإسلام؟

أنا أريد عمل القلب، بماذا يلقى الإنسان ربه؟ المستند الذي يقدمه لله ﷻ هو قلبه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]. القلب المنيب، والقلب السليم، هذا القلب هو الأساس، وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**»[(١)]. فالقلب هو موضع نظر الله ﷻ، لا قيمة لأعمال الجوارح وإن كانت كأمثال الجبال؛ إذا لم يكن وراءها قلب سليم، قلب منيب لله تعالى، يرجو الله تعالى ويخشاه.

النية أساس قبول الأعمال:

ومن هنا كانت النية أساس قبول الأعمال، «**إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى**»[(٢)]، لا يُقبل عمل بغير نية، والنية عمل قلبي،

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٨٢٧)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

النية محلها القلب، قدِّم ما شئت من عمل؛ فإذا لم يكن وراءه نية خالصة لله فلا قيمة له، الإخلاص تجريد النفس من أهوائها وذاتها، أن يكون العمل كله لله، المحيا والممات والصلاة والنُّسك، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، كان بعض السلف يقول: طُوبى لمن صحت له خطوة لا يريد بها إلا وجه الله تعالى[١]. كان يشك في نفسه، أنا أمامكم الآن أتحدث؛ فيا ترى هل هذا الحديث أُريد به الله؟ أم أريد به وجاهة عندكم أو ثناء أو شهرة؟!

الأمر خطير جدًّا، يمكن أن تُعلِّم، وتُقرئ القرآن، وتنفق المال وتتصدق، وتجاهد وتُقتل بين الصفين بيد الكفار.. ولا يُكتب لك شيء من ذلك عند الله! بل إنَّ الحديث الصحيح حدثنا عن ثلاثة، منهم من قرأ وعلَّم، ومنهم من أنفق وتصدق، ومنهم من جاهد وقاتل، ولكن كان الثلاثة أول من تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة والعياذ بالله[٢]، فالأمر خطير.

صلاح النية تجعل العادات عبادات:

العناية بأعمال القلوب أمر لا بدَّ منه، لا بدَّ أن تخلص نيتك لله، أن تجعل نفسك لله ﷻ، فإذا جعلت نفسك لله يصبح قولك وعملك عبادة، حتى عملك الدنيوي يصبح عبادة تؤجر عليها، هذا الإكسير: الشيء الذي يدخل على العادات فيجعلها عبادات، وعلى المباحات فيجعلها طاعات وقربات، يصبح أكلك وشربك عبادة، حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك، تداعبها بها يكون لك بها صدقة، حتى الشهوات تقضيها، «**وفي بضع أحدكم صدقة**»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها

(١) إحياء علوم الدين (٣٧٨/٤).

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٥)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أجر؟ قال: «**أليس إذا وضعها في حرام كان عليه وزر؟**» قالوا: بلى. قال: «**كذلك إذا وضعها في حلال كان له فيها أجر**»[١].

بحسب المسلم أن يصحح الوجهة، وأن يجرد النية، وأن يكون مساره لله، وأن تكون غايته رضوان الله، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]، هنالك يصبح كل عمل يقدمه عبادة لله تعالى.

العناية بأعمال القلوب:

عمل القلوب لا بدَّ منه: العناية بالنية، بالإخلاص، بالمحبة والأخوة، بسلامة الصدر من الأحقاد والضغائن والحسد والبغضاء، التي سمَّاها النبي داء الأمم، أمراض اجتماعية فتاكة، تفتك بالقلوب كما تفتك الأوبئة بالأجسام، «**دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**»[٢]، عدم سلامة الصدر من هذه الموبقات النفسية، سماها الإمام الغزالي «المهلكات»، أخذًا من حديث: «**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوًى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[٣].

هذا الهلاك ليس هلاكًا بدنيًّا ولا حسيًّا، إنَّه هلاك معنوي، هلاك نفسي، مدمر لحقيقة الإنسان، وحقيقة الإنسان ليست في هذا الغلاف، ولا هذا الهيكل من اللحم والدم والأعصاب والأجهزة والخلايا! حقيقة

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٧٣)، عن أبي ذر.

(٢) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

(٣) رواه البزار (٧٢٩٣)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

الإنسان في نفسه، في روحه، في قلبه، «**ألا إن في الجسد مضغة؛ إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[١]، فلا بدَّ من العناية بهذا القلب، «ما سبقكم أبو بكر بصلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه»[٢]، حتى قال عمر: لو وُزِن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبي بكر[٣]. هذه المعاني القلبية: اليقين، والخشية من الله، والرجاء في رحمة الله، والثقة بالله، والتوكل على الله، والأنس بالله، والحب لله، والبغض في الله، هذه المعاني لا بد منها، «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان**»[٤]، هذه المعاني القلبية أيها الإخوة ينبغي أن نهتم بها.

الحذر من معاصي القلوب (المهلكات):

وينبغي أن نحذر أيضًا من معاصي القلوب أكثر مما نحذر من معاصي الجوارح، وهذه هي التي سماها الإمام الغزالي «المهلكات»: الكبر، والغرور، والرياء، والعجب، والحقد، وحب الدنيا، وحب المال، وحب الجاه.. هذه كلها معانٍ نفسية خطرة، هي وراء هلاك الأفراد وهلاك الأمم، معاصي القلوب.

وليس معنى هذا أن نهوِّن من معاصي الجوارح، لا، ولكن معاصي الجوارح معروفة معلومة للناس، إنَّما يغفل الناس عن معاصي القلوب هذه،

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١٢٧)، من قول بكر بن عبد الله المزني.

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٣٥)، وصحَّح إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ٦٤.

(٤) رواه أبو داود في السنة (٤٦٨١)، والطبراني (١٣٤/٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٩): حسن صحيح. عن أبي أمامة.

QaradawiBooks.com

انظر حينما يقول النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[١]. حديث صحيح رواه مسلم، حينما سمع بعض الصحابة هذا قال: يا رسول الله، إنِّي رجل أولعت بالجمال في كل شيء، فما أحب أن يفوقني أحد بشراك نعل ـ أي رجل أنيق ـ أحب أن يكون ثوبي حسنًا ونعلي حسنًا؛ فهل هذا من الكبر؟ فقال ﷺ: «**إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس**»[٢]. أن ترد الحق وتستخف به تكبرًا، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، أو غمط الناس: تحتقر الناس، تنظر إليهم بازدراء واحتقار، وإلى نفسك باستعلاء واستكبار، هذا هو الكبر.

وتلك المعاني المخيفة: العجب والغرور، كما قال ابن مسعود: إنَّما هلاك الناس باثنتين: العجب والقنوط[٣].

طبعًا السعادة لا تُنال إلا بالعمل والكسب، والمعجب لا يعمل لأنَّه يعتقد أنَّه وصل، والقانط لا يعمل لأنَّه يعتقد أنَّه لا فائدة من الوصول، ولا إمكان في الوصول، ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، هذه المعاني يجب أن نحذر منها، معاصي القلوب.

خطر معاصي القلوب على المتدينين:

وكثيرًا ما تكون معاصي القلوب عند المتدينين أكثر من غيرهم، ولذلك كانوا يقولون: هلك العلماء بالحسد. يحسد بعضهم بعضًا، فهم

(١) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) رواه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين صـ٤٨٥، تحقيق يوسف علي بديوي، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

لا يزنون ولا يشربون الخمر، إنَّما بالحسد، بالبغضاء، بالرياء، يعمل الإنسان أعمالًا كثيرة ولا يُقبل منها شيء، ما الفائدة؟!

قيل لبعض السلف ـ وقد دخلوا عليه وهو مريض يبكي ـ فقيل له: يا أبا فلان، ما لك تبكي؟ وأنت الَّذي فعلت وفعلت، ما رأينا عليك حُرمة انتهكتَها، ولا فريضة تركتَها. فقال: والله ما أبكي على ذلك، ولكن أبكي لأني أخاف أن أكون قد أتيت ذنبًا أحسبه هينًا وهو عند الله عظيم[1]. ليس المهم أن تعمل، إنَّما المهم أن تُقبل.

وكما قال ابن عطاء: ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وربما قدَّر عليك المعصية فكانت سببًا في الوصول، معصية أورثت ذلًّا وانكسارًا خير من طاعة أورثت عجبًا واستكبارًا[2].

يمكن أن يعمل الإنسان معصية فتنكد عليه، وتجعله دائمًا خائفًا راجيًا، حذرًا بكَّاءً، ينظر إلى معصيته ويخشى الله ويرتجف، ولكن إنسان آخر مغرور بأن صحيفته بيضاء، وأن مَن مثله في الطاعة! هذا هو الذي يُخشى عليه.

آدم عصى الله، وإبليس عصى الله، ولكن معصية آدم سرعان ما مُحيت؛ لأنَّها كانت معصية من أعمال الجوارح: من المعاصي الظاهرة، أكل من شجرة نُهي عنها غفلة أو نسيانًا أو ضعفًا، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ولكنَّه سرعان ما تنبه بعد غفلة، واستيقظ ضميره، وقرع باب ربه وقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٣٦٥)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(٢) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق صـ٢٢٤، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فاستجاب الله له وتاب عليه، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، معصية ظاهرة، وتاب منها.

أمَّا المعصية الخطرة فهي معصية إبليس، معصية قلبية، أساسها الكبر والغرور، ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]، حسد آدم واستكبر عليه، فهي معصية أساسها هذه المعاصي الباطنة الخبيثة، وهي إذا تمكنت من النفس أهلكتها، وتحتاج إلى قوة وعزم حتى تُقتلع.

تزكية النفوس:

ومن هنا ينبغي أن نحذر من معاصي القلوب، وأن نحاول تزكية الأنفس، ونعرف مداخل الشيطان إليها، ومن هنا ينبغي أن نقرأ في التصوف السني المعتدل؛ حتى نعرف منه كيف نصلح أنفسنا، لا نقف من التصوف كله موقف العداء، لا، هناك تصوف سليم، حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ وهو عدو المتصوفة المنحرفين ـ له مجلدان في فتاواه عن التصوف والسلوك، وتلميذه المحقق الإمام ابن القيم له عدد من الكتب في التصوف على رأسها «مدارج السالكين شرح منازل السائرين إلى مقامات إياك نعبد وإياك نستعين»، وكتاب «طريق الهجرتين»، وكتاب «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، وكتاب «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، إلى آخره.

وكتاب الغزالي نفسه «إحياء علوم الدين» لا يستغني الإنسان عنه في الحقيقة، خاصة إذا بلغ مرحلة النضج في الفهم والفكر، لأن فيه بعض العيوب؛ منها أنَّه يأتي بأحاديث ضعيفة أو واهية جدًّا، أو موضوعة، أو

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

لا أصل لها، ولكن خرَّج الكتاب الحافظ زين الدين العراقي في كتاب مطبوع بهامش الإحياء باسم «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأحاديث والأخبار»، فهو يقول: هذا الحديث صحيح، أو حسن، أو ضعيف، أو لا أصل له. فينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يقرأ معه تخريج الحافظ العراقي.

ومن ناحية أخرى هناك شطحات في الكتاب، فيها نوع من الغلو للغزالي؛ فينبغي أيضًا أن نقرأها بحذر، لكن الكتاب جدير بالاستفادة. أنا في الحقيقة كثيرًا ما أقرؤه؛ فلا أجد كتابًا يبكيني مثله، والإنسان في حاجة إلى أن يرقق قلبه، نحن في حاجة إلى قلوب رقيقة، وإلى عيون دامعة، ونعوذ بالله من عين لا تدمع، ومن قلب لا يخشع! الله تعالى تكلم عن اليهود فقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]. ونحن لا نريد القلوب القاسية، إنَّما نريد القلوب الرقيقة؛ كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]. مر سيدنا أبو بكر بجماعة يقرؤون القرآن، وكانوا حديثي عهد بإسلام، فكانوا يقرؤون ويبكون، يقرؤون القرآن وتنهمر أعينهم بالدمع، مما عرفوا من الحق، فقال أبو بكر رضي الله عنه وقد نظر إليهم: هكذا كنا؛ حتى قست القلوب[1]. انظروا أبو بكر يقول هكذا كنا حتى قست القلوب! فماذا نقول عن أنفسنا أيها الإخوة؟

نحن في حاجة إلى أن نتعهد قلوبنا، نحن في حاجة إلى أن نراجع أنفسنا، نحن في حاجة إلى أن نعود إلى الله عز وجل ونقف ببابه، ونخلص

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٦٧٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٣/١).

QaradawiBooks.com

النية له، ولا يهمنا النـــاس جميعًا إذا رضـــي الله تعالى عنا، نخلص الوجهة لله.

فليـــتَ الذي بيني وبينـــكَ عامرٌ وبيني وبيـــنَ العالميـــنَ خرابُ
فليتـــكَ تحلـــو والحيـــاةُ مريرةٌ وليتـــكَ ترضى والأنـــامُ غِضابُ
إذا صـــحَّ منك الودُّ فالـــكلُّ هينٌ وكلُّ الذي فوقَ التـــرابِ ترابُ[1]

يا أيها الإخوة، نحن في حاجة إلى أن نرشد الصحوة الإسلامية حتى يســـتنير طريقها، وحتـــى تعرف صديقها مـــن عدوها، وتعـــرف غايتها، ويستبين سبيلها، ولا يلوي أحد زمامها عما تريده لنفسها، هذا ما نريده، وهذا ما نذرنا أنفسنا له؛ حتى تؤتي هذه الصحوة أكلها بإذن ربها إن شاء الله، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) ديوان أبي فراس صـ٤٨، شرح د. خليل الدويهي، نشـــر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

٥

الصحوة الإسلامية حقيقة واقعة[١]

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا محمدًا عبدُ الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيها الإخوة والأبناء تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

يسرني أنْ أجتمع بكم مرة أخرى في هذه الجامعة التي نسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجعلها قلعة للدعوة إلى الإسلام، ولتخريج الدعاة الصادقين الذين يفقهون الإسلام عن بينة، ويدعون إليه على بصيرة، ويعيشون له، ويموتون عليه، معتصمين بحبل الله جميعًا غير متفرقين ولا متخاذلين.

(١) ألقيت بمديرية رائي بريلي بالهند، وهي مسقط رأس العالم الكبير أبي الحسن الندوي.

QaradawiBooks.com

ويسرني أن يكون حديثي إليكم عن الصحوة الإسلامية في هذا القرن، لا أقول: في القرن العشرين. ولكن أقول: في القرن الخامس عشر. فينبغي أن يكون تاريخنا بالهجري لا بالإفرنجي.

الصحوة الإسلامية حقيقة واقعة، ما هي هذه الصحوة؟ وما خصائصها؟ وما مظاهرها؟ وما هي أهدافها وآمالها؟ وما الذي يُرجى أن تحققه؟ وما الذي يُخشى عليها؟ هذا موضوع حديثي إليكم في هذه الندوة.

معنى الصحوة:

ما معنى صحوة؟ الصحوة كلمة عربية مأخوذة من (صحا، يصحو)، صحا: أي أفاق وتنبه؛ إما بعد نوم، وإما بعد سُكْر. فالصحو يكون بعد النوم، يفيق الإنسان ويتنبه بعد أن نام قصيرًا أو طويلًا، أو يكون الصحو بعد السُّكْر، أي تكون الصحوة بعد غياب وعي؛ سواء كان بعوامل طبيعية، أو عوامل صناعية.

فالصحوة تعني عودة الوعي بعد غيابه، ولذلك أساس الصحوة للقلب والعقل قبل كل شيء، الصحوة ليست للجسم، إنَّما الصحوة صحوة الفكر والشعور، وصحوة العقل، وصحوة القلب، ومن هنا قال جرير في قصيدته الحائية الشهيرة:

أتصحو أم فؤادُك غير صاحِ عشيةَ همَّ صحبُك بالرَّواحِ[1]

(١) انظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (٨٧/١)، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٣.

QaradawiBooks.com

ويقول الآخر:

صحَا القلبُ عن سلمَى وأقْصرَ باطلُه وعُرِّي أفراسُ الصّبــا ورواحلُه[١]

فالصحوة في الأساس صحوة العقول والقلوب.

ومعنى الصحوة أنَّــه كان هناك غياب للعقل مدة مــن الزمن، وهذا لا يجادل فيه مجادل: أنَّ المسلمين في وقت من الأوقات غاب وعيهم، كان هناك غياب للوعي الإســلامي بمؤثرات شــتَّى: مؤثــرات عصور التخلف الإســلامي، يوم جمدت الحياة الإســلامية، وأصبحت كالماء الراكد الآســن.. توقــف الاجتهاد في الفقــه، وزعم من زعــم أنَّ باب الاجتهاد قد أُغلق، وتوقفت الأصالة في الأدب وفي العلم وفي الصناعة، وفي كل شيء، وأصبح المثل الســائر: ما ترك الأول للآخر شيئًا، وليس في الإمكان أبدع مما كان. فأصبحت الحياة حياة راكدة، وضرب التخلف على الأمة الإسلامية في الوقت الذي استيقظ فيه غيرها!

تاريخ أمة الإسلام:

كانت الأمة الإســلامية في وقت من الأوقات هي أمة الســيادة في الأرض، كانــت تقود الأمــم بزمام، وكانــت الحضارة الإســلامية هي الحضارة الوحيدة في العالم، وكانت المراجع الإســلامية مراجع العالم كله، وكانت الجامعات الإســلامية هي جامعات العلم، وكانت أســماء علماء المسلمين اللامعة هي أشهر الأســماء في عالم الحضارة والعلوم المختلفــة، وكانت اللغة العربية هــي لغة العلم في ذلــك الوقت، كان

(١) ديوان زهير بن أبي ســلمى (٥١/١)، عناية حمدو طماس، نشــر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

طلاب أوروبا يأتون إلى جامعات الأندلس وصقلية وغيرها يأخذون العلم الإسلامي، ثم نام المسلمون نومتهم، وبدأ الغربيون يستيقظون، فانعكست الآية، وانقلب الوضع، أصبح المتأخرون متقدمين، والمتقدمون متأخرين، تخلف المسلمون!

أثر الاستعمار الغربي على المسلمين:

ثم كانت الداهية الدهياء بدخول الاستعمار إلى بلاد المسلمين؛ فزاد من تجهيلهم بإسلامهم، وعزلهم عن هذا الدين، وغزاهم في عقولهم، نتيجة المدارس التي أنشأها، والمناهج التي وضعها، والبعثات التي كانت تذهب من بلاد المسلمين إلى بلاد الغرب: تتعلم هناك، ثم تعود بوجوه إسلامية كما كانت؛ ولكن بعقول وقلوب أوروبية، لا يربطها بدينها ولا بأمتها ولا بتراثها شيء؛ إلا مجرد الأسماء والأنساب.

غُزِي المسلمون في عقر دارهم غزوًا ثقافيًّا فكريًّا، كان أشد وأخطر من الغزو العسكري، الاستعمار الثقافي أخطر بكثير جدًّا من الاستعمار العسكري، فالغزو العسكري يُقاوَم دائمًا ولا يستسلم له الناس، ولكن الغزو العقلي لا يُحس به ويستسلم له الناس، الغزو العسكري يحتل الأرض، والغزو الثقافي يحتل العقول، ويفتن الإنسان عن نفسه وعن دينه، والفتنة أكبر من القتل وأشد من القتل!

ومن هنا كانت مرحلة الاستعمار مرحلة خطرة، حينما تمكن من بلاد المسلمين، وسيطر على أجهزة التوجيه والتعليم والتثقيف، ونشَّأ العقول كما يريد، ولقَّن الناشئة ما يريد، فخرجت أجيال لا تعرف من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، وربما لا يعرفون رسم القرآن أيضًا! هذه

QaradawiBooks.com

الأجيال رباها الاستعمار ليقود بها، صنعها على عينيه، ورباها على يديه؛ ليجعل منها القيادة الفكرية والتربوية والسياسية! ونجح الاستعمار في هذا، وكان هذا أخطر ما صنعه الاستعمار في بلاد المسلمين.

غياب الوعي الإسلامي:

ومن هنا وجدنا الوعي يغيب عن الذات الإسلامية، تجد مسلمًا ولكنَّه لا يعرف إسلامه، ولا يعتز به، ولا يثق بمفاهيمه وقدرته على قيادة الحياة المعاصرة! هذا ما حدث في بلاد المسلمين، أصبحت القيادة الفكرية في المدارس والجامعات والمعاهد، والإعلام والحكم: قيادة غير إسلامية، لا تؤمن بالإسلام! لا أعني بكونها غير إسلامية أنَّهم ليسوا من أبناء المسلمين، هم من أبناء المسلمين؛ ولكن كما قلت: لا يربطهم بالإسلام إلا الاسم والنسب، كانوا يسمون «المسلمين الجغرافيين»، أي أنَّهم وُلِدوا جغرافيًّا في أرض الإسلام، هذا كل ما يربطهم بالإسلام، هؤلاء كانوا هم القادة والسادة في وقت من الأوقات.

غاب الوعي الإسلامي، ووجدنا من أبناء المسلمين في وقت من الأوقات من ينادي بأن نذوب ذوبانًا كاملًا في الحضارة الغربية، وأن نفنى في الغربيين فناء تامًّا، قال هذا أحد كبار الأدباء في العالم العربي، وهو الدكتور طه حسين، الذي كان يعتبر في وقته عميدًا للأدب العربي، قال في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر»: إنَّه لا سبيل إلى النهضة ولا إلى الرقي إلا إذا أخذنا الحضارة الغربية: بخيرها وشرها، وحلوها ومُرِّها، ما يُحَب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب[1]. هكذا دون تمييز، لم يقل: نأخذ الخير وندَع الشر، ونأخذ ما يُحب وندَع ما يُكره،

(١) قاله طه حسين في مستقبل الثقافة صـ٣٩.

QaradawiBooks.com

أو نأخذ ما يُحمد وندَع ما يُعاب. لا، ولكن قال: الحضارة لا تتجزأ، فلا بدَّ أن نأخذها كلها. كان هذا هو المنطق السائد، فأي غياب للوعي أشد من هذا الغياب؟!

حتى إنَّ هذا الفكر الغربي في وقت من الأوقات دخل بعض الجامعات الإسلامية، فكتب عالم متخرج في الأزهر ـ هو الشيخ علي عبد الرازق من أسرة شهيرة في مصر ـ كتب كتابًا اسمه «الإسلام وأصول الحكم»، ذهب فيه إلى أنَّ الخلافة ليست من الإسلام، وأنَّ الحكم ليس مما يشمله الإسلام، ويسع المسلمين أنْ يأخذوا أي نظام من أنظمة الحكم، ويستعيروه من أي بلد، والإسلام دين فقط.. عقيدة، علاقة بين الإنسان وربه، أمَّا شؤون الدنيا وشؤون الحياة فللمسلمين أن يصرفوها كما يشاؤون، ويأخذوها من غيرهم إن أرادوا. ولكن كان الأزهر أزهرًا في ذلك الوقت فاحتجت هيئة كبار العلماء، وحاكموا هذا الإنسان، وجرَّدوه من شهادة العالِمية، وأُمر بمصادرة كتابه وعدم توزيعه، وهكذا، المهم أنَّه في وقت من الأوقات كان هناك غياب عن الوعي الإسلامي.

الإسلام دين مُوقظ:

ولكن الإسلام بطبيعته لا يمكن أن يرضى عن هذه الحالة، الإسلام بطبيعته دين مُوقظ، دين مجدد، فطبيعة القرآن، وطبيعة، السُّنَّة وطبيعة هذا الدين: لا يمكن أن تدع المسلمين يغيبون كثيرًا عن وعيهم، هناك محركات تحركهم، آيات القرآن وهي تتلى، أحاديث النبي ﷺ، سِير الصحابة وأبطال الأمة، هذه كلها تعمل عملها، والله ﷻ لا يجمع هذه الأمة على ضلالة؛ بل لا بدَّ أن تكون فيها طائفة قائمة على الحق، على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، كما

QaradawiBooks.com

صح ذلك في أحاديث عديدة[١]، وكما أشار إلى ذلك القرآن بقوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١]. لا بدَّ من وجود أمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، ولا تجتمع هذه الأمة على ضلالة أبدًا.

المجددون في هذه الأُمَّة:

ومن هنا هيأ الله المجددين الذين يبعثهم بين الحين والحين؛ ليجددوا لهذه الأُمَّة أمر دينها، فكانت حركات ودعوات إصلاحية، ودُعاة مجددون، وعلماء أصلاء، ظلوا ينفخون في هذه الأمة من روح الإسلام، يوقظونها من سبات، ويحيونها من موات، ويجمعونها من شتات؛ حتى كانت هذه الصحوة الإسلامية، أي كانت عودة الوعي للشخصية الإسلامية.

قام رجال في البلاد العربية والإسلامية المختلفة: الشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، والشيخ حسن البنا، والشيخ أبو الأعلى المودودي، والشيخ عبد الحميد بن باديس، وكثيرون من العلماء والدعاة والمجددين.. قاموا وأيقظوا هذه الأُمَّة، وعرَّفوها بدينها شاملًا غير منقوص، متكاملًا غير مجزأ، خالصًا غير مشوب، كانت هذه الدعوات تخاطب كينونة الأمة: عقلها وقلبها، وفكرها وشعورها، فلم تذهب هذه الدعوات سُدًى، لم تذهب صيحة في وادٍ، أو نفخة في رماد كما يُقال؛ بل آتت أُكُلها، وكان من ثمراتها هذه الصحوة الإسلامية التي نشهد آثارها اليوم.

---

(١) صحَّ من حديث عمر، ومعاوية، والمغيرة، وثوبان، وأبي هريرة، وقرة بن إياس، وجابر بن عبد الله، وعمران بن حصين، وعقبة بن عامر، وجابر بن سمرة، وأبي أمامة، انظر: الأحاديث (٧٢٨٧) إلى (٧٢٩٦)، ومن (٧٧٠١) إلى (٧٧٠٤) من صحيح الجامع الصغير وزيادته.

QaradawiBooks.com

من مظاهر الصحوة الإسلامية:

هذه الصحوة لها مظاهر نشهدها، من هذه المظاهر الالتزام بالإسلام، والعودة إلى التمسك بالإسلام، وامتلاء المساجد بالمصلين، وازدحام مواسم الحج والعمرة بالآلاف والملايين، وعودة الحجاب إلى الفتاة الإسلامية، كنت في وقت من الأوقات لا تكاد تجد فتاة محجبة تغطي جسمها ما عدا الوجه والكفين، الآن أصبح هناك عشرات الآلاف من بنات المسلمين، ومن طالبات الجامعات بالذات محجبات، بل بعضهن منقبات يلبسن النقاب ولا يُرى منهن إلا العينان، أصبح هذا موجودًا.

حتى بعض الآداب التي كانت مهجورة، مثل إطلاق اللحية، كان هذا شيئًا نادرًا بل شاذًّا، أصبحت الآن تجد في البلاد الإسلامية آلاف الشباب يقابلونك وقد أطلقوا لحاهم، وأقاموا هذه السُّنَّة، وأحيوا هذا الأدب الإسلامي، كل هذا من مظاهر الصحوة الإسلامية.

من خصائص الصحوة الإسلامية:

ومن خصائص الصحوة الإسلامية أنَّها صحوة فكر، صحوة عقل.. صحا العقل المسلم فبدأ يحسن الفهم للإسلام، كان الإسلام في العصور القديمة يحاول الناس أن يزيدوا فيه، ما عُرف في المصطلح الإسلامي باسم «البِدَع»، وهي إضافات في الدين، والدين كامل لا يقبل أن يُزاد عليه، ولا أن يُنقص منه، لأنَّ طبيعة الكامل أنَّه لا يقبل الزيادة ولا النقصان، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فكان الناس في العصور القديمة يحبون أن يضيفوا إلى الإسلام ما ليس منه في عقائده،

QaradawiBooks.com

وفي عباداته، وفي شعائره أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، «**كلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النَّار**»(١).

وفي عصرنا كان الأمر بالعكس، كان هناك أناس يريدون أن ينتقصوا من الدين: ما هو من أجزائه الأصلية، فهناك من يريد مثلًا أن يحذف الحكم من الدين، ويزعم أنَّ الإسلام دينٌ بلا دولة، ما للإسلام وللدولة؟ ما للإسلام وللحكم؟ ما للإسلام وللسياسة؟!

وإذا تكلمت في السياسة يقولون لك: هذا يريد أن يسيس الدين، ويخلط الدين بالسياسة، ويمزج السياسة بالدين. حتى قامت حركات إسلامية تنادي بالإسلام شاملًا، وتعلن للناس؛ كما أعلن الإمام الشهيد حسن البنا: أنَّ الإسلام دين ودولة، عقيدة وشريعة، مصحف وسيف، صلاة وجهاد، عبادة وقيادة، أنَّ الإسلام كلٌّ لا يتجزأ، لا تستطيع أن تفصل فيه دينًا عن سياسة.

أنت حينما تكون في الصلاة تستطيع أن تتدخل في السياسة والاقتصاد وشؤون الحرب، إذا كنت في الصلاة وقرأت قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. تدخلت في شؤون الحكم.

وإذا قرأت آية المداينة أطول آية في القرآن الكريم تدخلت في الشؤون المدنية، وإذا قرأت قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. تدخلت في الشؤون العسكرية وأنت في قلب الصلاة.

---

(١) رواه مسلم في الجمعة (٨٦٧)، وأحمد (١٤٣٣٤)، والنسائي في صلاة العيدين (١٥٧٨)، عن جابر، ولم يذكر مسلم وأحمد: «وكل ضلالة في النار».

QaradawiBooks.com

في سنوات (١٩٤٥م)، و(١٩٤٦م)، و(١٩٤٧م). كانت المقاومة ضد الاستعمار والاحتلال الإنجليزي على أشدها في مصر، فكان من أسلحة المقاومة تعبئة الشعور ضد الإنجليز، وكان من وسائل ذلك قراءة قنوت يسميه الفقهاء «قنوت النوازل»، ما معنى قنوت النوازل؟ أي: في الشدائد التي تنزل بالمسلمين، يمكن أن تدعو الله ﷻ، فلو نزلت بهم أوبئة أو زلازل أو فيضانات مغرقة: يدعون الله أن يرفعها عنهم، كما كان النبي ﷺ في وقت من الأوقات يدعو على كفار قريش، ويدعو للمستضعفين من المسلمين، هذا يسمى «قنوت النوازل»، فكان من قنوت النوازل أن ندعو على الإنجليز، نقول: اللهم رب العالمين، وأمان الخائفين، ومذل المتكبرين، وقاصم الجبارين، تقبل دعاءنا، وأجب نداءنا، اللهم إنك تعلم أن هؤلاء الغاصبين من الإنجليز قد احتلوا أرضنا، وغصبوا حقنا، وطغوا في البلاد؛ فأكثروا فيها الفساد، اللهم فصب عليهم سوط عذاب، اللهم أذهب دولتهم، وخذهم ومن ناصرهم أو عاونهم أخذ عزيز مقتدر، ولا تدَع لهم سلطانًا على أحد من عبادك المسلمين، إلى آخره. فنحن ندعو في الصلاة وندخل في أخص خصائص السياسة، ومعنى هذا أنَّه لا انفصال في الإسلام بينه وبين السياسة، فمهم جدًّا أن يفهم المسلم الإسلام فهمًا متكاملًا.

القاديانية ومحاولة الانتقاص من الإسلام:

هكذا وجدنا في عصرنا الذين يريدون أن ينتقصوا من الإسلام ما هو منه، ينتقصوا الحكم، أو ينتقصوا الجهاد، بعض الناس يريدون الإسلام إسلامًا بلا جهاد، تعرفون هناك نِحلة اسمها «القاديانية»، هذه القاديانية قامت تدعي نبوة جديدة، ومما جاءت به أمران خطيران جدًّا: الطاعة

QaradawiBooks.com

لأولي الأمر ولو كانوا من الكفار، وذلك خدمة للسياسة الإنجليزية في ذلك الوقت، والأمر الثاني: إسقاط فريضة الجهاد.

لا، الإسلام يتضمن الجهاد، إذا وجدت مبررات الجهاد فلا بدَّ منه، أحيانًا يكون فرض كفاية، وأحيانًا يكون فرض عين، مثل الجهاد بالنسبة لإخواننا الأفغانيين الآن، ناس احتُلت أرضهم؛ فلا بدَّ أن يقاتِلوا: كلٌّ بما يقدر عليه، وعلى المسلمين في أنحاء العالم أن يؤازروهم بما استطاعوا.

هناك محاولات كثيرة للانتقاص من الإسلام، فهناك من يريدونه دينًا بلا دولة، ومن يريدونه سلامًا بلا جهاد، ومن يريدونه زواجًا بلا طلاق، ومن يريدونه أخلاقًا بلا تشريع، ومن يريدونه عبادة بلا معاملة، وهكذا، لا، الإسلام كلٌّ هذا، هو عقيدة وعبادة، ومعاملة وأخلاق، وسياسة واقتصاد، ومصحف وسيف، كل هذا هو الإسلام.

صحوة عقل وفكر:

فنحن نقول: من خصائص الصحوة الإسلامية المعاصرة أنَّها صحوة عقل، بدأ العقل الإسلامي يفهم الإسلام على حقيقته، وبدأ يقرأ الكتب الإسلامية، ولا يعيش في عزلة عن الثقافة الإسلامية المعاصرة، ومن هنا كان الإقبال الكبير على الكتاب الإسلامي، تقوم في البلاد الإسلامية معارض للكتب أو أسواق للكتب، فهل تعلمون أي كتاب يأخذ الرقم القياسي في سوق التوزيع؟ إنَّه الكتاب الإسلامي، الكتب الإسلامية عليها الإقبال الأكبر، أول كتاب يطلبه الطالبون هو الكتاب الإسلامي حتى ينفد من المعارض، وفي بعض البلاد تدخل أعداد محددة من الكتب؛ فيكون عليها شبه اقتتال، حدثني الإخوة في الجزائر أنَّه عندما يقوم عندهم معرض للكتب تنفد كتب الثقافة الإسلامية الحقيقية من أول يوم، وقالوا:

QaradawiBooks.com

إنَّ الشبان يذهبون إلى المعرض من قبل الفجر ويقفون هناك طوابير لينالوا حظهم من الكتاب الإسلامي. ولذلك فهي ليست مجرد صحوة ظاهرية، لا، هي صحوة تريد أن تتعلم الإسلام، وأن تعرف حقيقة الإسلام، وخاصة من الدعاة المعروفين بخطهم الإسلامي الصحيح المستقيم.

صحوة شعور وعاطفة:

وكما أنَّ الصحوة صحوة عمل، وصحوة فكر، هي أيضًا صحوة شعور وعاطفة، صحوة ألهبت العواطف الإسلامية والمشاعر الإسلامية، فالإسلام ليس فكرًا فقط، الإسلام أفكار ومشاعر، كما أنَّ المسلم صاحب عقل يفهم هذا الدين هو صاحب عاطفة تحب هذا الدين، تحب الله ورسوله، وتحب في الله، وتبغض في الله؛ كما جاء في حديث أنس في الصحيحين: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار**»[1]. يشعر أنَّ الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، من ماله وولده والناس أجمعين، بل من نفسه، ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، انتظروا عذاب الله وبلاءه إن كان هذا كله أحب إليكم من الله ورسوله.

المفروض أن يرجح حب الله ورسوله على كل شيء: على الأموال والأولاد، والعشيرة والتجارة، والمساكن والأوطان، ومن هنا لما كان الصحابة بين أمرين: أوطانهم أو عقيدتهم؟ ضحوا بالوطن في سبيل الله؛

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لأنَّه إذا كان لا بد من الخيار بين دين المسلم ووطنه؛ فدين المسلم أغلى من كل شيء، وعقيدته أعزّ عليه من كل شيء، هذا هو الشعور الإسلامي.

إحياء مشاعر الأخوة الإسلامية:

أصبحت المشاعر للإسلام، وأصبح الحب للإسلام؛ بعد أن كانت المشاعر للقومية أو للإقليمية، في وقت من الأوقات طغت مشاعر العنصرية والقومية على المشاعر الإسلامية، كان من نتائج الغزو الفكري إحياء الشعور القومي، مصر للمصريين، وسوريا للسوريين، وآسيا للآسيويين، وأفريقيا للأفريقيين، وكل واحد يقول: وطني، قومي. ونُسِي الإسلام.

ولذلك كان من مهمات الصحوة الإسلامية أنَّها أبرزت المشاعر الإسلامية، الشعور بوحدة الأمة الإسلامية، أنا أخوك وأنت أخي، والأخوة الإسلامية فوق كل الروابط، كما قال مصعب بن عمير رضي الله عنه، حينما كانت غزوة بدر؛ وأسر المسلمون أسرى من المشركين، وكان من هؤلاء الأسرى أبو عزيز بن عمير، كان في صف المشركين، وكان أخوه مصعب بن عمير: الداعية الأول، ومبعوث النبي ﷺ إلى المدينة في صف المسلمين، أُسر أبو عزيز بن عمير، أسره صحابي من الأنصار اسمه أبو اليسر، فمرَّ عليه أخوه مصعب وهو مقيد في الأسر، فقال للأنصاري: اشدد يديك عليه فإنَّ له أمًّا غنية، تفديه بالمال الكثير. فسمعه أبو عزيز وقال له: يا مصعب، أهذه وصاتك بأخيك؟ فقال: يا أبا عزيز، إنَّه اليوم أخي دونك[1]. أصبح أبو اليسر الأنصاري أخي، وأنت لم تعد أخي، أخوتك فقط من النسب، أمَّا هذه فأخوة في الدين، انظروا هذه هي المشاعر الإسلامية.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٦٤٦/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولذلك من مزايا الصحوة الإسلامية أنَّها أحيت المشاعر الإسلامية بدل النعرات والعصبيات القومية والقبلية والإقليمية واللغوية إلى آخره، وجعلت المسلم يتحمس للأمة الإسلامية، ويهتم بالمسلمين في كل مكان، ولذلك لا نعجب أن نجد بعض الباكستانيين في وقت من الأوقات جاء يريد أن يحارب في فلسطين، وكثير من العرب الآن يقاتلون في أفغانستان، ما الذي يجعل العربي يقاتل في أفغانستان؟ إنَّه الشعور بالأخوة الإسلامية. ما الذي يجعل الباكستاني أو الهندي أو السريلانكي يهتم بقضية فلسطين؟ إنَّه الشعور بالأخوة الإسلامية. وهذا ما جعلنا نقول في نشيد «مسلمون»:

يا أخي في الشرقِ أو في المغربِ أنا منك أنتَ مني أنت بِي
لا تَسَل عن عُنْصري أو نَسَبي إنَّه الإسلامُ أمِّي وأبِي
إخوةٌ نحنُ به مؤتلفون[1]

أخذنا هذا من قول المسلم القديم:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواه إذا افتخرُوا بقيسٍ أو تميمِ[2]

إذا كان العربي القديم يقول: أنا قيسي، أو أنا تميمي. فالمسلم يقول: أنا مسلم. ووطن المسلم كلُّ بلد ترتفع فيه المآذن، ويؤذن فيه المؤذن، بأن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإذا وجدت المئذنة هنا أعتبر «بريلي» هذه وطني، إذا ذهبت إلى الصين ووجدت هذه المئذنة؛ أعتبرها جزءًا من الوطن الإسلامي، إذا ذهبت إلى كوريا ووجدت هذه المئذنة؛

(١) ديوان نفحات ولفحات صـ٢٤٣، نشيد مسلمون، نشر مكتبة وهبة القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

(٢) من شعر نهار بن توسعة اليشكري، كما في الكامل في الأدب (١٣٣/٣).

QaradawiBooks.com

أعتبر هذه المنطقة جزءًا من الوطن الإسلامي، ولهذا يقول الشاعر المسلم من شعراء الصحوة الإسلامية:

ولستُ أرضى سوى الإسلام لي وطنًا الشامُ فيه ووادي النيلِ سيانِ
وكُلَّما ذُكر اسمُ اللهِ في بلدٍ عددتُ أرجاءَه من لُبِّ أوطانِي[1]

هذه هي المشاعر الإسلامية، فالصحوة الإسلامية صحوة عقل وصحوة شعور أيضًا.

صحوة دعوة وإرشاد:

وهي كذلك صحوة دعوة، فمن مظاهر هذه الصحوة الإسلامية أنَّها ليست صحوة عمل مقصور على النفس؛ دون اهتمام بالغير، لا، إنَّها صحوة تهتم بدعوة الآخرين، شعارها: أصلح نفسك، وادعُ غيرك. لا تقل: نفسي نفسي، بحسبي أن أكون صالحًا، ولتخرب الدنيا بعد ذلك. لا، القرآن ناطَ النجاة من الخسران بأربعة أمور ذكرتها سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. شروط أربعة لا بدَّ منها للنجاة من خسر الدنيا والآخرة: الإيمان، وهو أساس البناء، ولا يكون الإيمان حقيقيًّا إلا إذا أثمر عملًا، ولذلك يربط القرآن الإيمان بالعمل دائمًا، في أكثر من سبعين آية يقرن القرآن الإيمان بالعمل، ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

ولا يكفي أن تؤمن وتعمل صالحًا في نفسك، وتدَعَ الفساد ينخر في عظام المجتمع، لا، بل لا بد أن تعمل على مقاومة الباطل

(١) البيتان من قصيدة بين القاهرة وبغداد لعبد الحكيم عابدين.

QaradawiBooks.com

والفساد، ودعوة الناس إلى الحق، وتوصيتهم بالحق، وقبول الوصية منهم بالحق، ولذلك قال: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾. وهذه صيغة نسميها في اللغة العربية صيغة تفاعل، أي تواصي من الجانبين، توصيهم بالحق، وتقبل الوصية منهم بالحق أيضًا، فلست أعلى من أن تُوصَى، ولستَ أصغر من أن تُوصِي، كلُّ إنسان يوصِي ويوصَى، المهم أن تكون الوصية بالحق.

ولا يكفي هذا، بل لا بدَّ أن تضيف إلى التواصي بالحق التواصي بالصبر، وذلك لأنَّ الحق طريقه طويل، وشرابه مر، فلا بدَّ أن تصبر على الحق وتوصي غيرك بالصبر عليه، وأن تقبل منه أيضًا أن يوصيك بالصبر عليه، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾. ومن هنا كان من خصائص الصحوة الإسلامية المعاصرة أنَّها صحوة دعوة، تدعو الناس إلى الحق.

ومن خصائص هذه الصحوة أنَّها صحوة شباب، العمود الفقري فيها الشباب، كان الشباب في وقت من الأوقات يُعتبرون غائبين عن الجانب الإسلامي والجانب الديني، كنت تذهب إلى المساجد؛ فتجد الذين يصلون الشيوخ المعمرين الهرمين، الذين أكل الدهر عليهم وشرب، وأصبحوا على حافة القبر؛ فيريدون أن يختموا حياتهم بالتوبة إلى الله والصلاة.

أمَّا الشباب فقد تجده في السينمات أو الملاهي أو غير ذلك، الآن اذهب إلى المساجد تجد أنَّ الذين يملؤون المساجد أكثرهم من الشباب، كان الإنسان قديمًا لا يحج إلا في آخر عمره، الآن اذهب إلى موسم الحج والعمرة تجد الذين يحجون ويعتمرون أكثرهم من الشباب، الذين يقرؤون الكتب الإسلامية هم من الشباب، فهي صحوة شباب، وبالذات

QaradawiBooks.com

أيضًا الشباب المثقف، وهذه خصيصة أخرى، إنَّها صحوة الشباب المثقف، شباب الجامعات والمعاهد والمدارس الثانوية، وخاصة الشباب الجامعي بالذات.

هذه بعض خصائص الصحوة الإسلامية، صحوة فكر، وصحوة مشاعر وعواطف إسلامية، وصحوة عمل وسلوك إسلامي، وكذلك صحوة دعوة، وصحوة شباب.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٦

مستقبل الصحوة الإسلامية[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هادي له. وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أيها الإخوة الأحبة.. خير ما أحييكم به تحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأحمد الله تبارك وتعالى الذي بنعمته تتم الصالحات: أن جمعني بهذه الوجوه النيرة، المشرقة بنور الإيمان إن شاء الله، ولنلتقي على كلمة الله، وعلى طاعة الله، وعلى دعوة الله، وأسأل الله ﷻ أنْ يعقبنا من هذا اللقاء خيرًا: في أولانا وفي أخرانا، ولأنفسنا ولأمتنا.

ذكرني الآن أحد الإخوة وأنا داخل إلى هذه القاعة بزيارة قمتُ بها لهذا البلد الطيب منذ نحو اثنتين وعشرين سنة، وكان ذلك في رمضان

(١) ألقيت في إمارة رأس الخيمة، بدولة الإمارات العربية المتحدة.

QaradawiBooks.com

المبارك، وأذكر أنِّي قدمتُ من الشارقة إلى رأس الخيمة في سيارة «لاند روفر» لم يكن هناك طريق معبَّد، وقطعتُ الطريق في حوالي ساعتين، وفي العودة أخذ الطريق أكثر من أربع ساعات؛ فإنَّ المد قد أغرق الطريق وسرنا في الماء، كان المفروض أن نفطر في الشارقة، ولكن لم نصل إلا بعد المغرب بمدة، وألقيتُ درس العصر في مسجد السوق.

تغيُّر أحوال الناس:

والآن بعد هذا الزمن الطويل تغير الحال، كما قلتُ لبعض الإخوة: إنَّ هذه ليست رأس الخيمة التي زرتها في ذلك الزمن، البلد غير البلد، والعمران غير العمران، فيا تُرى هل الناس غير الناس؟ هل ارتقى الناس إلى ما هو أحسن؟ أو نزلوا إلى ما هو أدنى؟ ما الذي حدث؟ لا شكَّ أنَّ هناك تغيرات، مع هذا التغير العمراني والتغير المادي، حدث هناك تغير معنوي، وتغير أخلاقي، وتغير ديني.. بعضه خير، وبعضه شرٌّ، وبعض الناس ينظرون إلى الجانب السيئ فقط، ينظرون من زاوية واحدة، وبعض الناس لا ينظرون إلا بمنظار أسود، ويُغفِلون الجوانب الحسنة، وبعض الناس يُغفِلون الجوانب السيئة، ولا ينظرون إلا إلى الجوانب الحسنة، والعدل أن ننظر إلى الأمرين معًا.

الصحوة الإسلامية حقيقة واقعة:

هناك خير وهناك شر، ومن الخير الذي لا شك فيه هو الصحوة الإسلامية، الصحوة الإسلامية حقيقة واقعة، بعض الناس يشكك في هذه الصحوة، ويقولون: هل هناك صحوة إسلامية؟!

هناك شرٌّ ورد على بلاد المسلمين، وغزاهم في عُقر دارهم، هناك الإباحية والتحلُّل، بعد أن كانت المرأة تكشف وجهها أصبح هناك من تلبس

QaradawiBooks.com

القصير، ومن تخرج في الشارع متبرجة، هناك هذا العُري الوافد من كل مكان، هناك هذه الصحافة، وهناك هذه المسرحيات، وهناك هذه الأغاني الخليعة، وهناك هذه الأفلام التي تغري بالإثم، وهناك وهناك، هناك هذا كله!

ولكن بجوار هذا هناك أيضًا صحوة إسلامية، لا ينكرها إلا مكابر، إنَّها صحوة عقل، وصحوة قلب، وصحوة إرادة، وصحوة عمل، هذه حقيقة.

صحوة عقل:

قال بعض الإخوة: إنَّها صحوة عقل. أي إنَّها صحوة فكرية ثقافية، أصبحت هذه الصحوة تقرأ عن الإسلام، تريد أن تعرف ما هو الإسلام، راج الكتاب الإسلامي، أصبح في المكتبة ـ والحمد لله ـ مئات الكتب الإسلامية، تعالج الموضوعات الكثيرة، في الجامعات عشرات ومئات من رسائل الماجستير والدكتوراه، في قضايا العقيدة والتشريع والاقتصاد، وغير ذلك من نواحي الحياة تعالَج في ضوء الإسلام. هذه لا يمكن أن ينكرها منكر، والمكتبة أصبحت حافلة بهذه الكتب.

وهذه الكتب أصبحت أعظم الكتب انتشارًا في معارض الكتب، لا أقول معارض الكتب الإسلامية فقط ـ فهناك معارض للكتاب الإسلامي ـ إنَّما أقول معارض الكتب العامة، الكتاب الإسلامي هو صاحب الرقم الأول في التوزيع، هذه حقيقة، هناك إذن صحوة عقلية وثقافية.

صحوة عواطف ومشاعر:

وبعض الناس يريد أنْ يقصر الصحوة على هذا الجانب فقط، لا، إنَّها صحوة عقل وصحوة قلب أيضًا، هناك صحوة القلوب والمشاعر والعواطف، العواطف الإسلامية، بعد أن كانت العواطف قبل ذلك في

QaradawiBooks.com

الجانب القومي، أو الجانب الوطني والإقليمي، أصبحت هناك مشاعر إسلامية، وعواطف إسلامية، وتجاوب إسلامي مع القضايا الإسلامية المصيرية، أصبح هناك إحساس مشترك بين الأُمَّة الإسلامية بالأخطار المحدقة هذه، فلا شك أنَّ هناك بجوار صحوة العقل: صحوة القلب: صحوة العاطفة، صحوة الشعور.

صحوة الإرادة الحقيقية:

هناك أيضًا صحوة الإرادة، صحوة الاتجاه إلى الإسلام، والتصميم على العودة إلى الإسلام، والمناداة بتطبيق الشريعة الإسلامية في جوانب الحياة، بأنْ يكون التشريع الإسلامي هو المصدر الأول؛ بل الوحيد وليس الرئيسي فقط، والعودة إلى ما كان عليه الحال قبل عهد الاستعمار، الذي أدخل القوانين الأجنبية والأنظمة الوضعية بديلًا للشريعة الإسلامية. هذا أصبح أيضًا أمرًا ملحوظًا ومشاهدًا، أصبح هذا الاتجاه، وأصبحت هذه الإرادة إرادة عامة، هذا أيضًا من مظاهر الصحوة الإسلامية.

من مظاهر الصحوة الإسلامية الاتجاه إلى السلوك الإسلامي، وإلى إحياء ما مات من سنن الإسلام وآدابه، أصبح هذا أمرًا ملحوظًا، عمارة المساجد بالصلاة والمصلين، والذهاب إلى الحج وإلى العمرة، والتزام الفتيات بالحجاب؛ بعد أن نجح الغزو في وقت من الأوقات ـ الغزو الفكري والاجتماعي ـ حينما جعل المرأة الإسلامية تتمرد على أوامر ربها وعلى شريعتها، عادت آلاف الفتيات إلى الحجاب مختارات، بل منهن من لقي في سبيل ذلك العنت والأذى؛ فلم يبالِ بما أصابه في سبيل الله، كل هذه دلائل على هذه الصحوة.

QaradawiBooks.com

تجديد أمر الدين:

فالصحوة حقيقة لا يجوز أن تنكَر، وهي حقيقة غير مستغرَبة ولا مستبعَدة؛ لأنَّ طبيعة الإسلام ألَّا يدع أهله في سُبات عميق، وألَّا يذرهم ينامون نومة أهل الكهف، لا يمكن أن يطول الأمد عليهم، طبيعة الإسلام أنَّه يوقظ أهله ويحركهم، طبيعة الإسلام أنَّ الله يبعث فيه من يجدِّد لهذه الأُمَّة أمر دينها ما بين الحين والآخر، طبيعة الإسلام ألَّا تجتمع هذه الأمة على ضلالة، وأن تظل هناك طائفة قائمة على الحق لا يضرها من خالفها أو خذلها حتى يأتي أمر الله وهي على ذلك، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، وقد صحت الأحاديث عن رسول الله ﷺ ببقاء هذه الطائفة إلى يوم القيامة[١].

ولذلك لا يُستغرب أن تكون هناك صحوة بعد نوم؛ لأنَّ الصحوة عادة تكون بعد الغفوة أو بعد السكر، فهذه الصحوة حقيقة، وهي حقيقة ملائمة لطبيعة الإسلام ولطبيعة الأمة الإسلامية، التي لا يمكن أن تموت؛ لأنَّ هذه الأُمَّة أُمَّة باقية إلى يوم القيامة، كتب الله لها الخلود حينما كتب الخلود لهذا الدين ولمصدر هذا الدين، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ولذلك لا يمكن أن تُستأصل هذه الأمة، ولا أن تُباد، ولا أن تجتمع على ضلالة أبدًا.

---

(١) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية. وصحَّ من حديث عمر، والمغيرة، وثوبان، وأبي هريرة، وقرة بن إياس، وجابر بن عبد الله، وعمران بن حصين، وعقبة بن عامر، وجابر بن سمرة، وأبي أمامة، انظر: الأحاديث من (٧٢٨٧) إلى (٧٢٩٦)، ومن (٧٧٠١) إلى (٧٧٠٤) من صحيح الجامع الصغير وزيادته.

QaradawiBooks.com

صحوة عالمية:

هذه هي الصحوة الإسلامية، وهي صحوة لها خصائص معينة، من خصائصها: أنَّها صحوة عالمية، ليست صحوة في «رأس الخيمة» وحدها، ولا في «دولة الإمارات»، ولا في منطقة الخليج، ولا في بلاد العرب، حتى ليس في بلاد المسلمين فقط، بل حتى خارج بلاد المسلمين، تذهب إلى أوروبا وأمريكا وبلاد الشرق الأقصى؛ فتجد آثار هذه الصحوة بادية للعِيان، زُرنا بلاد غير المسلمين: أوروبا وأمريكا.. وجدنا التجمعات الإسلامية، وجدنا الطلبة المسلمين، وجدنا الشباب الذين ذهبوا من بلادهم وهم لا يصلون؛ فإذا هم هناك يهديهم الله، ويشرح صدورهم بنور الإيمان، فيعودون ملتزمين متحمسين دعاة، قد كان يُظَنُّ أنَّهم أرسلوا هناك ليخرَّبوا، ويعودوا بأسماء إسلامية وقلوب أوروبية أو أمريكية، ماذا صنع الله بهم؟ إنَّها الصحوة أدركتهم فاهتدوا بعد ضلال، واستقاموا بعد انحراف، وتحمسوا بعد فتور، وعرفوا هُويتهم بعد ضياع، فعادوا إلى أحضان أمتهم، وأدركوا الغاية وعرفوا الطريق؛ فاهتدوا إلى الصراط المستقيم، إنَّها صحوة عالمية نجدها في كل مكان والحمد لله.

جمهور الصحوة الأعظم من الشباب:

وهي صحوة شباب، محورها وجمهورها الأعظم الشباب، في وقت من الأوقات كان أعداء الإسلام يعملون عملهم ويكيدون كيدهم لإخراج هذا الشباب عن الإسلام وإبعادهم عنه، أنشئت الجامعات، وأُلفت الكتب، وعمل العاملون العتاة ـ التبشير والاستشراق ـ مراكز التضليل العالمي، المدعومة والمؤيدة بالمال والعلم، والدهاء والتخطيط: على إبعاد هذا الشباب عن دينه، وعزله عن أمته، وسلخه عن ذاتيته، ولكن الله

QaradawiBooks.com

ردَّ كيدهم في نحورهم، وأعاد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، فإذا هؤلاء الشباب يعودون إلى الإسلام، وبخاصة الشباب المثقف، شباب الجامعات والمعاهد والثانويات.

هؤلاء الشباب أكثر الناس عودة إلى الإسلام الحقيقي: إسلام القرآن والسُّنَّة، إسلام الحق والقوة، إسلام التوازن والاعتدال، ليس الخرافة ولا إسلام القعود، ولا إسلام الدروشة، ولا إسلام الرهبنة، إنَّما هو إسلام الصحابة والتابعين، الذين عرفوا الإسلام مصحفًا وسيفًا، ومحرابًا وميدانًا، وحقًّا وقوةً، وصلاةً وجهادًا، وعقيدةً ونظامًا.

صحوة عملية سلوكية:

هذه الصحوة صحوة شباب، وهي أيضًا صحوةٌ تتجه إلى العلم وإلى العمل معًا، فهي ليست مجرد صحوة انفعالية عاطفية، ولكن صحوة تقوم على الدراسة، وعلى العلم بالإسلام والمعرفة به، وعلى العمل بالإسلام والالتزام به سلوكًا وخُلقًا، هذه هي الخصائص المميزة لهذه الصحوة التي نلمس آثارها اليوم في كل مكان، هذا ما يمكن أن نقوله عن حاضر الصحوة الإسلامية. إذا أردنا أن نتحدَّث عن مستقبلها، فمن يتحدَّث عن مستقبل الصحوة الإسلامية؛ لا بدَّ أن يتحدث عن حاضر هذه الصحوة الإسلامية.

رصد مستقبل الصحوة الإسلامية:

وإذا أردنا أن نتحدث عن مستقبل الصحوة الإسلامية؛ فليس حديثنا هنا من باب التنبؤ بالغيب؛ فإنَّ الغيب لا يعلمه إلا الله، ولسنا نجترئ على اقتحامه وندَّعي أنَّه سيحدث كذا وكذا، لا، ولكن من باب الرصد والتوقع، ممكن أنْ يكون حديث الناس عن المستقبل ـ كما يقول جماعة

QaradawiBooks.com

الأرصاد الجوية ـ بناءً على ظواهر معينة، أنَّه يُتوقع أن هناك صحو أو غيم، أو مطر أو ضباب أو غير ذلك، فهذا بناءً على ظواهر معينة، ولكن نحن نقول نستبشر خيرًا بمستقبل الصحوة الإسلامية.

كيد أعداء الصحوة ومحاربتهم لها:

أنا أعتقد أنَّ هذه الصحوة صائرة إلى خير إن شاء الله، وإن كان هناك من الخصوم والأعداء من يكيدون لها، ويضعون العوائق في طريقها، ويريدون لها أن تضلَّ السبيل، وأنْ تسلك طرقًا معوجة هنا وهناك؛ حتى لا تصل إلى غايتها، ولهذا ينبغي لهذه الصحوة أن تحذر من خصومها، والخصوم الآن لهم أسلحة جديدة، الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ونحمد الله أنَّه قال: ﴿إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾؛ لأن (إن) هذه ـ كما يقول علماء اللغة ـ للتشكيك في الوقوع، ﴿إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾، وإن شاء الله لن يستطيعوا، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾.

تنوُّع أسلحة الأعداء وتطوُّرها:

والقتال تتجدد أسلحته، القتال ليس دائمًا بالسيف والرمح، ولا بالمدفع والبندقية، الآن اتخذ القوم أسلحة جديدة، لعلَّ أبرز هذه الأسلحة وأحدَّها في عصرنا هو السلاح الفكري، ما نسميه الغزو الفكري، والغزو الثقافي، وغزو العقول، والفتنة التي أشار إليها القرآن حين قال: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، وفي آية أخرى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. حينما تفتن إنسانًا عن دينه بأسلوب أو آخر هذا أشد من قتله؛ لأنَّ القتل إبادة لحياته المادية، وهذا إبادة لحياته المعنوية والإيمانية، فهي أشدُّ خطرًا، وأفتكُ وأبعدُ أثرًا.

QaradawiBooks.com

من هنا كانت هذه الأسلحة خطيرة، وهي أسلحة متنوعة ومتطورة، وتتجدد باستمرار، لذلك كان علينا أن نتنبه لأسلحة القوم، إنهم قد يغرُوننا بأشياء معينة ندخل فيها؛ لنقع في مزالق معينة، لهذا قلت في إحدى طبعات كتابي «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف» بعد الطبعات الأولى: إن هذا التطرف أحيانًا قد يكون من إلقاء العدو لنا، فنحن لا ندري!

وإن كنتُ أنا حقيقةً لستُ أميل إلى أن نلقي كلَّ الأشياء على غيرنا، ونقول: إنَّها من تخطيط الأعداء! هذا أيضًا جانب يجب الحذر منه، أن نقول: هذا من عمل الصهيونية، وهذا من عمل الصليبية، وهذا من تخطيط الشيوعية، ونلقي كل الأوزار على غيرنا، لا نريد أن نبالغ في هذا، ولكن هناك أشياء تشير فعلًا إلى أنَّ القوم يرمون لنا بالطُّعم، نأكل الطُّعم كما يقولون ولا ندري.

الحذر من ألاعيب الأعداء:

يغروننا بأشياء معينة ـ كما قالوا في موضوع الغلو أو التطرف ـ ليضرب بعضنا بعضًا، ويسيء بعضنا الظن ببعض؛ إلى حد التكفير أحيانًا، يكفر بعضنا بعضًا، بذلك تتآكل الصحوة الإسلامية من داخلها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تغري المتربصين بأن تُضرب من الخارج، تعطيهم حجة ومُبررًا، ومن ناحية ثالثة تنشغل بقضايا جانبية عن القضايا الكبرى، وبدل أن تفتش عن عدوها لتقاومه يقاوم بعضها بعضًا، وهكذا!

من هنا ينبغي أن نحذر ألاعيب أعدائنا، يجب أن ندرسهم، ونعرف ماذا يريدون بنا، وأن نكون على حذر دائم من هؤلاء، إنهم لن يلقوا السلاح، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وهم

QaradawiBooks.com

يختلفون بعضُهم مع بعض؛ ولكنهم يتفقون علينا، مهما اختلفت أهدافهم أو طرائقهم بعضُهم مع بعض؛ فنحن العدوُّ المشترك للجميع، كما قال القرآن الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ولاؤهم بعضُهم لبعض، هم أمامنا كتلة واحدة، ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾، ولذلك ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾ يعني: إلَّا يوالي بعضكم بعضًا كما يفعلون، وإلا يتكتل بعضكم مع بعض كما يصنعون، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير؛ لأنَّه سيكون تجمع في جانب الباطل، وتمزق في جانب الحق، عمل في جانب الكفر، وفراغ في جانب الإيمان! وهذا هو الخطر كل الخطر، ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾.

معرفة أساليب الأعداء وإحباط مخططاتهم:

ينبغي على الصحوة الإسلامية وهي ماضية في طريقها أنْ تعرف أساليب أعدائها، وأنْ تحبط مخططاتهم، ليس عذرًا أن يقال هذا من تخطيط اليهود أو الصليبيين أو الشيوعيين، ليس عذرًا، إلى متى نظل نحن يُخطَّط لنا ولا نُخطِّط لأنفسنا؟! إلى متى نظل نحن ننفذ خطط أعدائنا في أنفسنا؟ هذا لا يجوز أبدًا، ومن هنا على الصحوة الإسلامية أنْ تنتبه إذا أرادت أن يكون لها مستقبلها، وهي بإذن الله صاحبة المستقبل؛ لأنَّها المعبرة الوحيدة عن روح هذه الأمة، فالذي يعبر عن روح الأمة حقًّا هو هذه الصحوة الإسلامية.

المقاتل لا يصنع شيئًا دون عقيدة:

الذين عزفوا على نغمة الاشتراكية، أو عزفوا على نغمة القومية، أو على أنغام شتَّى، هؤلاء لم يستطيعوا أنْ يمسوا أوتار الأُمَّة، لم يستطيعوا أن يهزوا قلوبها، هذه الأمة لا يهز قلوبها إلا «الله أكبر الله أكبر»، حينما

QaradawiBooks.com

تقودها بـ«لا إلٰـه إلا الله»، حينما ترفع أمامها المصحف، حينما تنادي «حي على الصلاة، حي على الفلاح» تصنع من هذه الأُمَّة المستحيلات، وتتخطى بها العقبات، وقد لاحظنا في مواقع مختلفة، انظر في معركة سنة (١٩٦٧م). مع اليهود، حينما جمعوا أسلحة تسد عين الشمس وكان من ضمن النشيد الذي ينشدونه يقولون: ومدفعنا يتحدى القدر. وكان شعار المعركة «بر بحر جو»، فماذا صنعوا؟ لا مدفعهم تحدى القدر، ولا تحدى اليهود، ولا أطلق طلقة، تركوا المدفع لقمة سائغة لليهود، حتى لم يكن الجندي يكلف نفسه أنْ يشعل عود ثقاب في الدبابة حتى تحترق، كأنه يقول: الفرارَ الفرار، أنجو بنفسي.

فالأسلحة وحدها لا تصنع النصر، كما قال الطغرائي قديمًا:

وعادةُ السيف أن يُزْهَى بجوهرِهِ ... وليس يعملُ إلا في يدَيْ بطلِ[1]!

وكما قال أبو الطيب المتنبي:

وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلَا القَنَا ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ[2]

الخيل من غير خيَّال، أو الفرس من غير فارس ماذا تعمل؟ لا تعمل شيئًا، ولذلك لم تغنِ الأسلحة الكثيرة، ولم يغنِ الكلام الكثير، ولا التهديدات العنترية كما كانوا يسمونها، قلت لهم: هذا ظلم في الحقيقة لعنترة؛ إذا نسبنا هذه التهديدات إليه؛ لأن عنترة كان يهدد ويفعل، إنَّما هذه تهديدات فرزدقية كما يقول جرير:

زعمَ الفرزدقُ أنْ سيقتل مَرْبعًا ... أبشِرْ بطول سلامةٍ يا مَرْبعُ![3]

(١) انظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (٤٤١/٢)، نشر مؤسسة المعارف، بيروت.

(٢) ديوان المتنبي صـ٣٩٠، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٣) ديوان جرير (٩١٦/٢).

QaradawiBooks.com

لكن في (١٠) رمضان سنة (١٣٩٣هـ). لما تغير الموقف، وهبت نفحات رمضان على المقاتلين وكان الشعار «الله أكبر» حدث ما حدث: العبور، واقتحام خط بارليف، وكما قلت لبعض الإخوة: إنَّ الله أعطانا على قدر ما كان عندنا من إيمان، لو كان عندنا إيمان أكبر لكنا دخلنا في سيناء أكثر، هي قاعدة: أعطني إيمانًا أعطك نصرًا، أعطني إسلامًا أعطك نصرًا، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

الصحوة الإسلامية هي المعبر عن روح الأُمَّة:

الذي أريد أنْ أقوله: إنَّ المعبر الوحيد والحقيقي عن روح هذه الأُمَّة هي هذه الصحوة الإسلامية، الذين يتنادون بالحلول المستوردة من هنا وهناك، أو بالأفكار المستوردة من الشرق ومن الغرب، ومن اليمين ومن اليسار.. هؤلاء لا يعبرون عن روح الأُمَّة ولو انتصروا، إذا أقمنا في بلد من البلاد نظامًا رأسماليًّا هل يكون هذا انتصارًا لهذا البلد؟ لا، هو انتصار للرأسمالية العالمية: لأمريكا، أو للعالم الغربي، أو العالم الحر، سمه ما تسميه!

وإذا أقمنا نظامًا اشتراكيًّا ماركسيًّا في بلد ما؛ فهل هذا انتصار لنا؟ لا، هو انتصار للماركسية العالمية: إما للروس، وإما للصين، حسب الولاءات التي نعرفها، إنَّما ننتصر نحن يوم نقيم الإسلام، يوم نُحكِّم شريعة الله، يوم يصبح الإسلام محور حياتنا، ودستور دولتنا، ومنهاج أفرادنا ومجتمعاتنا، يوم نعيش في إطار الإسلام وتُصبغ حياتنا بصبغة الإسلام، الصبغة الربانية، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

يومئذ نكون قد انتصرنا فعلًا، ونكون قد حققنا معنى استقلالنا؛ لأنَّه ما معنى الاستقلال؟ لماذا يستقل الناس، وتستقل الشعوب، وتستقل الدول؟

QaradawiBooks.com

حقيقة الاستقلال:

وهل الاستقلال غاية أم وسيلة؟ بمعنى هل الأمم تعيش لتستقل أم تستقل لتعيش؟ تستقل لتعيش؛ لتعيش كما تريد هي لا كما يريد لها الذين احتلوها أو استعمروها، أو حكموها اغتصابًا. تعيش هي كما تريد.

إذا كنا نحن استقللنا في بلاد المسلمين، وخرجت جيوش الاستعمار من أرضنا، وحملت عصاها ورحلت؛ فلكي يتحقق الاستقلال، ويكون هذا الاستقلال استقلالًا حقيقيًّا. لا بدَّ أن نحقق ذاتنا، ونحقق معنى وجودنا، ولا معنى لوجودنا بغير الإسلام، إذا لم نكن بالإسلام لسنا أُمَّة من الأمم، سنضاف إلى أُمَّة من الأمم، إذا طبقت بلد من البلاد الاشتراكية؛ فإنها تُضاف إلى البلاد الاشتراكية، إلى الألف مليون في الصين، أو الثلاثمائة مليون في الاتحاد السوفيتي، أضف لهم أيضًا عشرين مليونًا، أو أضف مائة، أو أكثر أو أقل، على حسب البلد التي تطبق النظام!

المستقبل لهذه الصحوة:

إنَّ مبرر وجودنا هو أن نعيش مسلمين، أن نعيش بالإسلام، وأن نعيش للإسلام، ونحن بالإسلام كل شيء، وبغير الإسلام لا شيء، فالمعبر الحقيقي عن هذه الأُمَّة هو الصحوة الإسلامية، هي التي تمثل هذه الأُمَّة خير تمثيل، باسمها تنطق، وعنها تعبر، وعن آمالها وأحلامها تنطق، ليس هناك غيرها، كل هؤلاء الآخرين لا يمثلون الأُمَّة، ولا يعبرون عنها، ولذلك هذه الصحوة لا شكَّ أنَّها صاحبة المستقبل، الغد بإذن الله لها؛ لأن الأمة معها، إنَّها ليست مقطوعة الجذور عن أمتها، ليست جسمًا غريبًا وضع في الأمة، أو قطعة ألصقت بثوب هذه الأُمَّة،

QaradawiBooks.com

لا، بل جزء من كيانها، هي الجزء الحي، القلب النابض لهذه الأُمَّة، مهما طال الأمد تظل هي التي تعبر عن هذه الأُمَّة، ستظل الأُمَّة تتخبط يمينًا وشمالًا ما لم تسر وراء هذه الصحوة، ووراء هذه الصفوة التي تمثل هذه الصحوة وتجسدها، التي تتجسد فيها القدوة والقوة، هذه الصحوة هي ممثلة الأمة حقيقة.

المستقبل لهذا الدِّين:

نحن نقول: إنَّ المستقبل لهذه الصحوة، فالآخرون غرباء عن هذه الأُمَّة، لا يمكن أن يكونوا الممثلين الشرعيين لها، لم توكلهم الأُمَّة، ولا هم انبثقوا منها انبثاقًا ذاتيًا، ومن هنا نرى أنَّ الصحوة هي صاحبة المستقبل، وعندنا البشائر كثيرة والحمد لله: أنَّ الغد لهذا الدين، الله ﷻ يقول في سورة التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ويقول في سورة الصف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨، ٩]، كل الأديان لا بدَّ أن يظهر عليها الإسلام، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]، هذا وعد من الله ﷻ بالتمكين، بشرط أن نعبده ولا نشرك به شيئًا، وأن نكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووعد الله لا يتخلف، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦]

QaradawiBooks.com

وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ تبشر بمستقبل هذا الدين، «**ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر؛ إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليل، عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلًّا يذل الله به الكفر**»[١]، الحديث الذي صحَّحه ابن حبان وغيره.

ولما سُئل عبد الله بن عمرو بن العاص: أيُّ المدينتين تُفتح أولًا: القسطنطينية، أو رومية؟ فأخرج كتابًا من عنده، فقد كان عبد الله بن عمرو يكتب، كان له صحيفة اسمها «الصادقة»، كان أبو هريرة لا يكتب، وكان عبد الله بن عمرو يكتب، فأخرج لهم صحيفته، وقرأ أنَّ النبي ﷺ سُئل هذا السؤال: أيُّ المدينتين تُفتح أولًا، القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولًا**»[٢].

ورومية هي ما نسميه الآن: «روما» عاصمة إيطاليا، وكأنَّ الصحابة قد استقر عندهم مما سمعوه أنَّ المدينتين ستفتحان، ولكن السؤال هو: أيُّ المدينتين يبدأ بها الفتح؟ فكان جواب رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولًا**». ومدينة هرقل هي القسطنطينية، والقسطنطينية كانت عاصمة الدولة الرومانية البيزنطية، التي هي إسطنبول الآن.

ولذلك اتجه المسلمون منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم إلى غزو القسطنطينية، واستشهد هناك على أبوابها أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه،

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والحاكم في الفتن والملاحم (٤/٤٣٠)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣)، عن تميم الداري.

(٢) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن والملاحم (٤/٥٥٥)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٥): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح؛ غير أبي قبيل، وهو ثقة. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

حاول الصحابة أن يكون لهم هذا الشرف؛ لأنَّه ورد أنَّ أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم، ولكن الله تعالى ادخر هذا الشرف للفتى العثماني محمد بن بايزيد، الذي لقب في التاريخ باسم: «محمد الفاتح»، الذي فتح القسطنطينية وهو ابن الثالثة والعشرين.

بقيت «روما»، ومعنى ذلك أنَّ للإسلام عودةً إلى أوروبا إن شاء الله، الإسلام الذي أُخرج من أوروبا في وقت من الأوقات، في موقعة «بواتييه»، أو موقعة «بلاط الشهداء»، تحت قيادة عبد الرحمن الغافقي، التي يكتب عنها المؤرخون الغربيون ويقولون: لولا انتصارنا في هذه الموقعة لكنّا نرسف تحت ظلام الإسلام إلى اليوم!! ويحتفلون الآن بهذا اليوم لإنقاذ أوروبا من الإسلام، أي: يحتفلون ببقائهم في الجاهلية والضلال والعياذ بالله، سيعود الإسلام إلى أوروبا مرة أخرى، ولكن ليس من طريق إسبانيا ولكن من طريق إيطاليا إن شاء الله.

نحن لا نيئس:

نحن لا نيأس فعندنا البشائر كثيرة، وكثيرة جدًّا، ولذلك لا ينبغي أن تُؤخذ بعض الأحاديث وتفهم فهمًا خاطئًا أنَّ الأمر قد انتهى، وأننا في آخر الزمان، والقيامة ستقوم، وأشراط الساعة ظهرت، والإسلام في إدبار، والكفر في إقبال، وتيئيس الناس من أن يقوم للإسلام دولة، وترتفع له راية. هذا لا يجوز.

البشائر عندنا، والعالم محتاج إلينا، صحيح أنَّ العالم اليوم استطاع بواسطة التكنولوجيا الهائلة أنْ يسخر الطاقات الكونية لخدمة الإنسان، نحن في عصر الصناعة الثاني كما يقولون. فعصر الصناعة الأول كانت مهمة الآلة فيه أن توفر الجهد العضلي والبدني للإنسان. الآن عصر

QaradawiBooks.com

الصناعة الثانـــي.. الآلة توفر الجهد الذهني للإنســـان، عصر الكمبيوتر، الجهاز الحاســـب الحافظ هذا يغني عن آلاف العمليات الحسابية، وعن آلاف الأشياء التي كان الإنسان يبقى فيها شهورًا وسنين عددًا.

الإيمان مصدر السعادة:

الآن الإنسان صنع أشـــياء كثيرة، في عصر التغلب على المسافات، طوى المســـافات طيًّا، واختصر الزمن اختصارًا، واستطاع أنْ يصل إلى الفضاء، وأنْ يضع قدمه على سطح القمر، وأنْ يأتي من هناك بنماذج من أتربة القمر وصخوره!

ولكن هل استطاع هذا الإنسان أنْ يسعد نفسه على ظهر الأرض؟ لا، هذا الإنسان يشكو من القلق، القلق النفسي، يشكو من التفسخ الأسري، يشـــكو من التخبط الاجتماعي، يشـــكو من الفراغ العقائدي، يشكو من الجوع الروحي، يشكو من فقدان الأمن في كل ناحية، إنهم فقدوا مصدر هذا كله وهو الإيمان، الســـعادة ليســـت بنت المـــال، ولا بنت الأزرار الأوتوماتيكية، ولا بنت التكنولوجيا، السعادة منبعها من داخل الإنسان، ولا يمكن أن يكون لها نبع غير الإيمان؛ لأنَّ حقيقة السعادة في السكينة والطمأنينـــة، وهذه مصدرهـــا الوحيد الإيمـــان، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ أي: لم يشـــوبوا توحيدهم بشـــرك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعـــد: ٢٨]، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [الفتح: ٤]، هذه هي السعادة.

لما تلاحَى عمر وزوجـــه أم كلثوم بنت علي بـــن أبي طالب في مســـألة من مســـائل البيت.. تشـــاجرا، فغضب عمر وقال: لأشقينكِ.

QaradawiBooks.com

فابتسمت وقالت له: لا تستطيع. قال: كيف لا أستطيع؟ قالت: لو كانت سعادتي في زينة لحرمتني منها، ولو كانت في مال لقطعتَه عنِّي، ولكنِّي أرى سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي!

ولهذا السعادة ليست في المال، ولا في الأزرار الأوتوماتيكية، ولا في الأدوات الكهربائية، ولا في ركوب السيارات الفارهة، ولا في القصور المشيدة، ولا، ولا، السعادة من داخل الإنسان، ومن هنا نرى داخل الحضارة الغربية نفسها شبابًا ثاروا عليها وتمردوا على أزرارها وأوتوماتيكياتها، «الخنافس» و«الهيبيز» وما شابه ذلك هؤلاء ثاروا على حضارتهم؛ لأنَّهم وجدوا أنَّ هذه الحضارة لم تحقق لهم معنى الإنسانية، إنهم شاعرون بالتفاهة والضياع، لا يفقهون للحياة معنى، ولا يذوقون لها طعمًا، ولا يعرفون لهم رسالة، لماذا يعيشون؟!

الأسئلة الخالدة:

الأسئلة الخالدة التي حيرت الإنسان من قديم.. حيرتهم: «من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟»، من أين جئتُ؟ وإلى أين أذهب؟ ولِمَ أعيش؟ هذه الحضارة لا تجيب عن هذه الأسئلة، إنهم في حاجة إلى دين يشفي غُلَّتهم، ويشرح صدورهم، ويجيب عن هذه الأسئلة، يعرفهم لماذا يعيشون؟ وماذا يصنعون؟ وأين يذهبون بعد الموت؟ وما رسالتهم بين الحياة والموت؟

لم يجدوا هذا في اليهودية، ولا في المسيحية، ولا في الشيوعية، هذه الأجوبة لا توجد واضحة تغذي الفطرة، وتقنع العقل، وتهز القلب، لا توجد إلا في الإسلام، والإسلام وحده.

QaradawiBooks.com

حاجة العالم إلى الإسلام:

العالم محتاج إلى رسالة، ونحن وحدنا الذين نملك هذه الرسالة، أصحاب الحضارة الكبرى في العالم الآن أفلسوا؛ لأنَّهم لم يحققوا السعادة في أنفسهم وفي أسرهم، معنى الأسرة غير موجود!

الإنسان الآن أصبح يصادق الكلب والقطة؛ لأنَّه لا يجد إنسانًا يصادقه، قالوا: إنَّ باريس فيها سبعة ملايين كلب وقطة، ينفق عليها عشرات الملايين! سُئل رئيس جمعية الرفق بالحيوانات في باريس من سنوات، قيل له: ما سرُّ هذا العدد المتزايد من الكلاب والقطط؟ ما السرُّ في هذا؟ لماذا يكثر الناس من اقتناء هذه الكلاب والقطط؟ وترى الرجل جالسًا على مائدة في مطعم وأمامه كلب، ويذهب إلى كذا ويصحبه الكلب، ويجلسه ويحتضنه ويلاعبه؟ فقال الرجل: إنَّ الإنسان في حاجة إلى أنْ يُحِب وأن يُحَب، ولما جفت العواطف الإنسانية عند الناس أصبح الإنسان لا يجد من يحب، ولا من يعطيه الحب، حتى الأبناء وحتى البنات، فاتجه الناس إلى هذه الحيوانات الأليفة الودودة، التي عندها الكثير من الوفاء. أي أنَّ هذه الحيوانات أصبحت خيرًا من الناس، فهذه هي الحضارة عندهم!

إنسان الحضارة الغربية:

الإنسان في هذه الحضارة إذا بلغ الشيخوخة لا يجد من يُعنى به، حدثني أحد الإخوة الذين درسوا في أوروبا قال: إنَّ الشيخوخة في هذه البلاد موحشة ومؤلمة جدًّا؛ لأن الأب أو الأم بعد شيخوخته لا يجد أحدًا، لا يزوره أحد، لا يعرفه أحد، حتى أولاده، أبناؤه وبناته وأحفاده.. هؤلاء كل واحد منهم مشغول، هذا مع صديقته، وهذه مع صديقها، وهذا

QaradawiBooks.com

في معمله، وهذا في كذا، ربما يتذكرونهم يومًا في السَّنَة، يسمونه «يوم الأم»، أو «عيد الأم»، يعطي أمَّه هدية، وقد يرسل هديته إلى أمه بالبريد!

في مدينة من المدن في تلك البلاد، انبعثت رائحة كريهة من شقة كانت تسكنها امرأة عجوز، فأبلغ جيرانها الشرطة، فجاءت الشرطة وفتحت البيت؛ فوجدت المرأة العجوز قد توفيت منذ أيام، وهذه الرائحة رائحة الجثة، فلما سألوا عنها وجدوا لها أبناء وبنات وأحفاد، ومن أبنائها الطبيب والمهندس والمعلمة، وكذا، ولكن هؤلاء لا يعرفونها!

ما قيمة هذه الحضارة؟ نحن أصحاب الحضارة الحقيقية، التي تعرف معنى الإنسان وخصائص الإنسان، وتغذي فيه الإنسانية، الحضارة التي تعمر الأرض وتخرب البشر ليست حضارة، الحضارة التي تهتم ببدن الإنسان وتغذي جسمه، ولكنها تدع قلبه جائعًا وروحة جائعة. هذه ليست حضارة، هذه الحضارة ينسبونها إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وهي أولى أنْ تُنسب إلى المسيح الدجال؛ لأنَّها حضارة عوراء، تنظر إلى الحياة من زاوية واحدة، وتُغفل الجانب الروحي والجانب المعنوي في حياة الإنسان.

حاجة العالم الإسلامي إلى الإسلام:

ومن هنا العالم محتاج إلينا، والعالم الإسلامي أشد حاجة من غيره، العالم الإسلامي أشد حاجة من العالم الإنساني؛ لأن الإسلام هو أساس وجود العالم الإسلامي، ما دام هذا العالم يعترف بأن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله؛ فلا بدَّ أن يكون الإسلام هو أساس حياته.

وسيظل هناك التناقض قائمًا بين العقيدة وبين الواقع، بين ما هو مستكن في الضمير، وبين ما هو يمارس في الحياة، هذا التناقض لا بدَّ

QaradawiBooks.com

أن يزول، ولا يمكن أنْ يستمر، وإلا ستظل الأُمَّة تتخبط وتتمزق، وتدور كما يدور الثور في الساقية، يسير ويسير.. والمكان الذي بدأ منه هو الذي انتهى إليه، لا نتيجة!

العالم الإسلامي أحوج ما يكون إلى الإسلام، ولا يعالج مشكلاته إلا الإسلام، والمنطق يقول: يا ناس، جربتم الرأسمالية، وجربتم الشيوعية، استوردتم من الغرب، واستوردتم من الشرق، ولكن لم تنفعكم هذه ولا تلك، فلماذا لا تلجؤون إلى الإسلام؟ وهو أصلكم، ارجعوا إلى جذوركم، فنحن أحوج ما نكون إلى الإسلام، والإسلام ـ والحمد لله ـ لم يعد مجهولًا كما كان في أوائل عصر النهضة، الإسلام أصبح معروفًا، وأصبحت الحضارة الغربية أيضًا معروفة، كان الانبهار بالحضارة الغربية في الأوج، كان بريقها يخطف الأبصار، الآن أصبح أهل الحضارة الغربية أنفسهم ينقدونها، هناك من فلاسفة الحضارة الغربية ومن المفكرين الغربيين من بات ينقد هذه الحضارة، ويكشف عن عيوبها، وينذر بأنها إذا لم تراجع نفسها فإنها ستنهار، كما انهارت حضارات أمم سابقة.

طريق الصحوة طويل ومليء بالعقبات:

أصبح الإسلام معروفًا الآن، كُشِفت عن الكنوز والجواهر الإسلامية، ولذلك نحن نقول إنَّ المستقبل لهذه الصحوة الإسلامية، ولكن ليس معنى هذا أنَّ الطريق قصير أو مفروش بالأزهار والرياحين، لا، الطريق وعر، والطريق طويل، والطريق مفروش بالأشواك، ومدرج بالدماء؛ لأنَّه طريق الأنبياء، والمعوِّقات كثيرة، وقطّاع الطرق كثيرون، وأسلحتهم شتى من الداخل ومن الخارج، إننا لا نحارَب من القوى الخارجية فقط، ولكن

QaradawiBooks.com

ـ للأسف ـ نحارَب من قوى داخلية تحمل أسماء إسلامية، منهم من يحاربنا جهلًا لا يعرف ما هو الإسلام، ومنهم من يحاربنا خوفًا من الإسلام أن يكسب أرضًا جديدة، ويفقد هو منافعه المحرمة، أو يفقد شهواته التي يعُبّ منها، لهذا يقف ضد دعاة الإسلام، ويقول ما قال قوم لوط من قبل: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

موقف الصحوة من أعداء الإسلام:

هناك ولا شك قوى كثيرة تقف ضد العودة إلى الإسلام الحقيقي، ومن هنا كان عمل الصحوة أن تنور هذه الطرق، من كان يجهل الإسلام علينا أن نعلمه، ومن كان يكره الإسلام علينا أن نكشفه، ومن كان يخاف من الإسلام علينا أن نؤمنه، لماذا يخاف الإسلامَ؟ الإسلامُ لا يخيف إلا المضل والفاجر.

أمَّا الذين يكرهون الإسلام ويحقدون عليه، ولا يحبون لنور الله أن يظهر هؤلاء موقفهم موقف آخر، هؤلاء لا بدَّ أن نعريهم، ونبين عِمالتهم، أنَّهم يعملون لغير المسلمين، ولأناس خارج الوطن الإسلامي، علينا إذن أن نبذل جهدًا كبيرًا في توعية المسلمين، في كسب المسلمين إلى صف الصحوة الإسلامية.

موقف الصحوة من الغافلين عن الإسلام:

لا زال هناك أناس يعيشون في غفلة عن الإسلام، ومصير الإسلام، وقضايا الإسلام! وهؤلاء لا يجوز أن يبقوا في هذه الغفلة، لا بدَّ أن ينتبهوا من غفلتهم، وأن يصحوا من سكرتهم، وأن ينضموا إلى صميم أمتهم، لا بدَّ أن نبذل جهدًا مع هؤلاء، وجهدًا ليس بالقليل، ولا بدَّ أن

QaradawiBooks.com

نصبر عليهم، ولا نتعامل باستعلاء على هؤلاء الناس، من أخطر ما تعانيه الصحوة وما يمكن أن يصيبها أن تتعامل مع المجتمع باستعلاء، لا، لا يجوز أن تعامل المجتمع باستعلاء، إنَّما تعامله بالحنو، بالرفق، النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعت الرجل يقول: هلك الناس، فهو أهلكَهم**»، أو «**فهو أهلكُهم**»[1]، روايتان في صحيح مسلم، و«**أهلكَهم**» أي تسبب في إهلاكهم بغروره واستعلائه، وتيئيسه من روْح الله، أو «**فهو أهلكُهم**» أي هو أشدهم هلاكًا بهذا الغرور! لا ينبغي أن يغتر بنفسه، ينبغي أن يندمج في المجتمع، وأن يعايش الناس، ويعيش في همومهم وآلامهم، وألَّا يكون داعيًا بمجرد الكلام، بل بالعمل، بالمشاركة، بحمل أعباء المجتمع وحل مشكلاته، هذا ما ينبغي.

غيرنا يفعل ذلك، يدخلون إلى بلادنا تحت عناوين شتى: لإطعام الجائع، أو علاج المريض، أو تعليم الجاهل، أو رعاية اليتيم، أو غير ذلك، فينبغي نحن أن نقف بالمثل، بالمرصاد، ينبغي أن نؤسس المؤسسات للقيام بهذا، ولا ندَع الفرصة لغيرنا، هذا ما دعاني لأن أنادي إلى تكوين الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، التي تعمل في هذا الجانب الاجتماعي والثقافي، والتربوي والتنموي؛ في مقابل ما يعمله أعداء المسلمين، من تهديم للبناء الإسلامي من الداخل.

ترك المعارك الجانبية والاهتمام بالأصول:

ينبغي للصحوة الإسلامية أن تعلم أنَّ الطريق طويل، فلا ينبغي أن تشغلها المعارك الجزئية والمجادلات الفرعية عن المعركة المصيرية الكبرى، ينبغي ألا تشغلنا النوافل عن الفرائض، ينبغي ألا تشغلنا الفروع

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

عن الأصول، ينبغي ألا يشغلنا المختلف فيه عن المتَّفق عليه. أي ألا يكون همنا الأكبر في القضايا التي يختلف فيها الناس، بل في القضايا التي يتفق عليها الناس، هناك أشياء يتفق عليها الجميع وهي مهملة، هناك من المسلمين من أضاع الصلوات واتبع الشهوات، من يأتي رمضان ولا يصوم، هناك من أثرت فيه العِلمانية، ومن أثر فيه التفكير الإلحادي، ومن أصبح أسيرًا لأحزاب وجماعات مضلِّلة، ينبغي أن نبذل جهدًا مع هؤلاء، ينبغي أن ننتقل من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل، ومن مرحلة الانفعال إلى مرحلة الفعل، ينبغي أن نعرف ماذا نريد وماذا يُراد بنا.

نحن نريد شيئًا كبيرًا جدًّا، لهذا ينبغي أن نعمل على مستوى ما نريد، على مستوى أهدافنا، ومستوى إسلامنا، ومستوى عصرنا، ومستوى ما يصنع غيرنا، ينبغي أن يتضح لنا هذا كله، وهذا يجعلنا نفكر بعقلية جديدة، ننتقل من الارتجال إلى التخطيط، ومن الفوضى إلى التنظيم، ومن التفرق إلى التجمع، ومن اختلاف التضاد إلى اختلاف التنوع، ممكن أن نختلف في الوسائل، هذا يعمل في جانب العقيدة، وهذا يعمل في جانب العبادة، وهذا يعمل في الجانب الفكري، وهذا يعمل في الجانب التربوي، وهذا يعمل في الجانب الاجتماعي، لا بأس أن تتعدد الجماعات ويتعدد العاملون، ولكن على أن يكون هناك قدر مشترك نتفق عليه، نقف في القضايا المصيرية وقفة رجل واحد، ولا يحطم بعضنا بعضًا، أن يكون عندنا قدر من التنسيق، أن نتبع هذه القاعدة الذهبية: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»[1]. وما نتفق عليه ليس بالقليل.

(١) انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧).

QaradawiBooks.com

يجب على الصحوة ألا تبدد قوتها:

نحن نريد أن نعرف المطلوب منا في عصر الصحوة الإسلامية، لا نريد أن نبدد قوة هذه الصحوة في أشياء بسيطة، الصحوة يُطلب منها أشياء كبيرة، ويمكن أن يكون هناك قوة؛ إذا اجتمعت القوى بعضها مع بعض، إذا وقفنا صفًّا واحدًا في المعركة، ونحن في معركة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، نحن نقاتل؛ وإن لم يكن سلاحنا هو المدفع أو القنبلة، فالأسلحة ـ كما قلتُ لكم ـ تتجدد، وعصرنا الآن عصر تجدد الأسلحة، والأسلحة المعنوية أخطر.

ينبغي لنا في عصر الصحوة أن نعرف ما يُراد بنا وما نريد، وأن نعمل على مستوى ما نريد، ومستوى ما يصنع أعداؤنا، أعتقد أننا إذا وعينا ذلك وخططنا لغدنا ونظمنا أنفسنا في مسيرتنا أعتقد أننا واصلون بإذن الله، وأننا نستطيع أن نحقق الكثير، وأننا حتى إذا لم نحقق الكثير الذي نرجوه: نكون قد أبرأنا ذمتنا، وأعذرنا إلى ربنا وإلى قومنا، وبذلنا جهدنا.

أمَّا إذا ضيعنا الجهود سدًى، وبددنا القوى في غير ما يجب أن توجَّه له فنحن ملومون غير معذورين: لا أمام الله، ولا أمام الناس، ولا أمام التاريخ.

مسؤولية الجميع:

يا أيها الإخوة، يا أبناء الصحوة الإسلامية، يا جيل هذه الصحوة: المسؤولية كبيرة، مسؤوليتكم ضخمة فارعوا هذه المسؤولية، لا تنتظروا من غيركم أن يعمل لكم، لا يجوز أن نقول ما يقول الآخرون: المسؤولية

QaradawiBooks.com

على هؤلاء وهؤلاء. وكل يحاول أن يتنصل من التبعة، وأن يلقيها على ظهر غيره، هذا ليس حلًّا، هذا فرار من الموقف، هذا هروب من المواجهة، لا يجوز أن نلقي التبعة على العلماء، ونقول: العلماء قصروا. وماذا يصنع العلماء وحدهم؟ والعلماء يلقون التبعة على الحكام، والحكام يلقون التبعة على الشعوب أو على الاستعمار، والواقع أنَّ الكل مسؤول، «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته**»[1].

كل واحد منا يحمل تبعة، علينا في عصر الصحوة الإسلامية أن نتحمل التبعة بشجاعة، وأن يأخذ كل منا موقعه، أنتَ على ثُغرة من ثُغَر الإسلام؛ فلا يؤتين من قِبلك، أنتَ حارس لحدود الله حافظ لها؛ إياك أن تقتحم هذه الحدود أو تُخترق، قِفْ يقظًا، قِف مستعدًّا وابذل ما تستطيع، وانتظر بعد ذلك العون من الله ﷻ، ابذر الحب وارجُ الثمار من الرب، ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

أقول قولي هذا أيها الإخوة وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٥٨)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابة أسئلة المحاضرة

غير مرخصة للطباعة

السؤال الأول:

أين الصحوة الإسلامية في القدس الجريح، وفي أفغانستان ولبنان وغيرها؟ وأين أسلحة المسلمين وأموالهم؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. لا شكَّ أنَّ المسلمين يعانون من أشياء كثيرة، ومنها ـ مثالًا ـ المسلمون للأسف حتى الآن لم يصنعوا سلاحهم بأيديهم، يعني نحن عالة في تسليحنا على غيرنا، بحيث لو كف هؤلاء الأغيار أيديهم عن إمدادنا بالسلاح لتوقفنا، سواء كان هذا السلاح من الشرق أو من الغرب.. النتيجة واحدة! إنك لستَ مكتفيًا اكتفاءً ذاتيًّا بسلاحك، ولذلك شيء أساسي لكي ننتصر أن نصنع سلاحنا.

كان مما صنعه صلاح الدين الأيوبي أمران:

الأمر الأول: أنَّه نفخ في الناس روح الإيمان، بحيث يوجِد الإنسان المؤمن المضحي، الذي لا يبالي: أوَقَع على الموت، أم وقع الموت عليه، كان يمر في الليل على الخيام؛ فإذا نظر إلى خيمة فوجد فيها من يذكر الله، ويسبح الله أو يقرأ القرآن؛ قال: الحمد لله من هنا يأتي النصر. وإذا وجد خيمة من الخيام كل من فيها نيام يقول: من هنا تأتي الهزيمة.

QaradawiBooks.com

الأمر الثاني: أنَّه جمَّع صُنَّاع الأسلحة من كل مكان، وكذلك النجارين الذين يصنعون القوارب والسفن، اهتم بتصنيع عصره، كل واحد حسب تصنيع عصره، يكوِّن هو، ويعمل أسلحة ذاتية.

للأسف معظم البلاد الإسلامية تعتمد على الأقل في نصف قوتها على غيرها، حتى البلاد الزراعية، يعني مصر وغيرها من البلاد الزراعية لا تكتفي بما عندها، ليس عندها ما يكفيها، أمس كنتُ أقرأ في الجرائد المصرية؛ فوجدتُ أنَّهم يقولون: نحن ننتج مليونين اثنين ونصف طن من القمح، ونستورد ثمانية ملايين طن. ما هذا؟! هذا مع أنَّ بلادنا بلاد زراعية، فنحن في القوت نعتمد على غيرنا، وفي السلاح نعتمد على غيرنا، ولذلك كان من مهمة الصحوة الإسلامية أنَّها لا بدَّ أن تغير هذا المسار، لا بدَّ أن نغير من تفكيرنا ومن عقلياتنا؛ بحيث ننتج نحن السلاح وننتج الغذاء، وليس هذا كثيرًا، هناك أمم بدأت من قريب وفاقت، مثلًا كوريا هذه بدأت بعد الحرب العالمية الثانية، والآن أصبحت مصنوعاتها تغزو أسواق أوروبا وأمريكا، نحن فقط كُتبت علينا الخيبة؟! فعمل الصحوة ولا بدَّ هو التوعية والتوجيه، بحيث نغير من تفكيرنا ومن عقلياتنا.

وبالنسبة لقضية أفغانستان فهذه ولا شكَّ أثر من آثار الصحوة الإسلامية والحمد لله؛ لأنَّه لولا الصحوة الإسلامية ما كان هذا الجهاد، لأنَّ هذا الجهاد كان كلُّه رفضًا للشيوعية، رفضوا الشيوعية ووقفوا ضدها من أول يوم، وانتهى ذلك إلى أنَّهم الآن يقاومون ليس حكومة أفغانستان العميلة للاستعمار الروسي، ولكن يقاومون الاستعمار الروسي نفسه، الذي يجند فوق المائة ألف مسلحين بأحدث أسلحة، القوَّة العظمى الثانية في العالم، فهم يقاتلون باسم الإسلام، فهؤلاء أيضًا هم يجسدون

QaradawiBooks.com

الصحوة الإسلامية، ولا شكَّ أنَّ آثار الصحوة الإسلامية هي التي صنعت هذا الجيل، الكتابات الإسلامية ـ ومنها ما ترجم إلى بلادهم من بلاد العرب ـ كان لها تأثيرها العظيم عليهم.

وبالنسبة للقدس وقضية فلسطين.. في الحقيقة إنَّ بداية الثورة الفلسطينية كانت بدايات إسلامية، ومنذ عهد الحاج أمين الحسيني، ومن قبله الشيخ عز الدين القسَّام والثورة في أساسها ثورة إسلامية، والوقوف ضد اليهود والإنجليز كان هذا كله وراءه الإسلام، وحتى «حركة فتح» أول ما قامت كانت محركاتها الأولى ودوافعها الأولى محركات إسلامية، والعناصر الإسلامية هي التي بدأت، ولكن للأسف التيار الذي ساد في العالم العربي في فترة من الفترات، والفتنة باليسار والماركسية وهذه الأشياء أحدث ما أحدث من انقسامات وتمزقات وأشياء من هذا.

ولا يمكن أن تعود القدس إسلامية عربية إلا بالعودة إلى الإسلام الصحيح، بالأيدي المتوضئة؛ كما سمَّاها الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، الأيدي المتوضئة والقلوب المؤمنة، هذه الأيدي المتوضئة حينما تحمل السلاح ستحرر فلسطين، وتبيد اليهود من هناك، هذا ما ورد في الأحاديث الصحاح المعروفة، أنَّه: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعالَ فاقتله، إلَّا الغرقد، فإنه من شجر اليهود**»[1].

الشجر والحجر ينادي المسلم، أي الذي دخل المعركة تحت راية الإسلام، يقول له: يا مسلم، يا عبد الله، وهذا ما ننتظره من الصحوة

(١) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٢٢)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإسلامية إن شاء الله، أمَّا عبد الشهوات، أو عبد المبادئ المستوردة، أو عبد ماركس، أو عبد الكاس والطاس، أو عبد المرأة لا يمكن أنْ ينتصر.

تصوروا أنَّ الصحوة الإسلامية دخلت قلب فلسطين المحتل، ما يسمى إسرائيل هذه، والحمد لله فيها صحوة إسلامية، من كان يُظَنُّ أن بساطهم قد طوي وانتهى الأمر، ويقول لك: العرب سنة (٤٨). تخيلوا من سنة (٤٨) إلى سنة (٨٤) كان يُظَن أنَّ العرب قد ضاعوا وذابوا في الجسم اليهودي، ولكن دخلت الصحوة الإسلامية والكتب الإسلامية إليهم هناك والحمد لله.

قرية «أم الفحم» سمعتم عنها؟ هذه القرية التي قالوا: إنهم سموها قرية «أم النور»، هذه القرية التي قام فيها الجهاد ورفعت راية الإسلام، ورفعت شعار «الله أكبر».

على كل حال الصحوة الإسلامية منتظَر أنْ يكون لها دور كبير في كل هذه القضايا إن شاء الله.

السؤال الثاني:

ينادي البعض بترشيد الصحوة الإسلامية ملاحظين بعض جوانب التطرف عليها في بعض الجهات، ما وجهة نظر فضيلتكم حول ذلك؟ وهل يعتبر الاندفاع لدى البعض تطرفًا؟

الجواب:

أنا في الحقيقة كتبتُ كتابًا في هذا، ونشرته «مجلة الأمة»، ولن أقدر أنْ ألخص لكم هذا الكتاب الذي كتبته، هذا الكتاب هو: «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف»؛ لأنَّ البعض يرى أنَّ كلَّ واحد يطلق لحيته متطرف، وكل واحدة تغطي نفسها متطرفة، والذي يصلي في

QaradawiBooks.com

المسجد متطرف، هذا ليس كلامًا؛ لأنَّ ما هو التطرف؟ وما هو موقع هذا الفعل من التطرف؟

وقد ورد أنَّ السيدة عائشة كانت تنشد بيتًا لبيد بن ربيعة:

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيتُ في خَلَفٍ كَجلدِ الأجْربِ

السيدة عائشة عاشت بعد النبي ﷺ مدة، ماتت سنة بضع وخمسين من الهجرة، فكانت تقول: رحم الله لبيدًا؛ كيف لو عاش إلى زماننا هذا؟! لأنَّ لبيدًا مات مبكرًا، ومع هذا يقول: وبقيت في خلف كجلد الأجرب. فتقول عائشة: كيف لو عاش إلى زماننا هذا؟! وعروة بن الزبير ـ ابن أخت عائشة، فهو ابن أسماء ذات النطاقين ـ عاش عروة بعد خالته عائشة مدة، وكان أيضًا ينشد هذا البيت ويقول: رحم الله لبيدًا، ورحم الله عائشة، كيف لو عاشا إلى زماننا هذا[1]؟!

انظروا ماذا نقول نحن؟ نقول: رحم الله لبيدًا، ورحم الله عائشة، ورحم الله عروة، ورحم الله من بعدهم، كيف لو عاشوا إلى زماننا هذا؟! يعني المسألة حسب الإحساس.

كان أنس بن مالك[2] وأبو سعيد الخدري[3] يقولان لمن عاشوا في عصر الصحابة والتابعين: إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر؛ كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات. لأنَّ الجرعة الروحية أيام النبي ﷺ كانت تجعل أي شيء بسيط كبيرًا.

---

(١) رواه عبد الرزَّاق في جامع معمر (٢٠٤٤٨)، وانظر: ديوان لبيد بن ربيعة صـ٢٦، اعتنى به حمدو طمّاس، نشر دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٢).

(٣) رواه أحمد (١٠٩٩٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح.

QaradawiBooks.com

فهناك ناس يعتبرون أي اتصال بالدين تطرفًا، لا، التطرف له علامات، أنا ذكرتُ هذه العلامات، فادعاء أن أي شيء تطرُّف لا يجوز، نحن ضد التطرف الحقيقي، أن يؤثِّم الناس بغير حق، أو يكفرهم بغير موجب للتكفير، يسيء الظن بخلق الله جميعًا، يتشدد في غير موضع التشدد، ويتبنى جانب التعسير دائمًا ولا يقبل رخصة، ولا يعمل كذا، فهناك علامات لهذا أرجو أنْ يراجع كتابي في هذا الأمر.

وطبعًا من حيث ترشيد الصحوة الإسلامية هذا أمر مطلوب، وبعض ما قلتُه في آخر محاضرتي هو نوع من الترشيد لهذه الصحوة، حتى لا تنشغل بالأشياء الصغيرة عن الأشياء الكبيرة، أو بالاختلاف عن الاتفاق، وتندفع في طريق لا يوصل إلى النتيجة.

من واجب العلماء والمربين والمفكرين والدعاة أنْ يرشدوا هذه الصحوة، ومن واجب الشباب أن يسمعوا لمن هو أكبر منهم؛ لأنَّ من العيوب أحيانًا أن بعض الشباب يريد أن يجعل من نفسه أستاذًا لا يقبل التعليم، ونحن كلنا طلاب علم.

من الكلمات اللطيفة المأثورة في هذه المنطقة: منطقة الخليج، أنَّهم لا يقولون عن العلماء علماء، وإنَّما يقولون عنهم: «طلبة العلم»، يقولون لك: فلان هذا من طلبة العلم، وهذا تعبير لطيف في الحقيقة، أنَّ العالم مهما بلغ من العلم يظل طالب علم، فقد ورد عن السلف: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم، فإذا ظنَّ أنَّه علم فقد جهل[1].

(١) رواه الدينوري في المجالسة (٣٠٨)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ. وهو من كلام ابن المبارك.

QaradawiBooks.com

لا ينبغي للإنسان أن يغتر بنفسه، يقرأ بعض الكتب فيظن أنَّه أصبح أكبر عالم، ويقول عن الأئمة: أبي حنيفة، أو الشافعي، أو مالك، أو أحمد: هم رجال ونحن رجال. وبعضهم قال عن عمر وأبي بكر وغيرهما من الصحابة: هم رجال ونحن رجال. وهو قد لا يعرف أن يشرح قاعدة من قواعد الأصول، ولا يفهمها على وجهها الصحيح.

وأحيانًا الدراسة على الكتب وحدها لا تكفي، ولذلك كان من كلمات السلف: لا تأخذ القرآن عن مُصْحفي، ولا العلم عن صُحُفي. ويقصدون بالمصحفي: من تعلم القرآن من المصحف، ولم يتلقَّه عن قارئ يعرف أحكام التجويد، القرآن يجب أنْ يُتلقَّى عن شيخ يعلمه بأنَّ هذا مدٌّ، وهذا إدغام، وهذا كذا، وهذا كذا، يصحح له التلاوة، ولذلك نحن لما كنا نتعلم زمان في «الكُتَّاب» كان لا بدَّ أن نكتب المحفوظ، ننقله من المصحف في لوح، ولا بدَّ أن نقرأه على الشيخ كلمة كلمة، فقد يقرأ الواحد كلمة بالغلط فتبقى في ذهنه طول حياته، وهو لا يدري أنَّها خطأ، فلا تأخذ القرآن عن مصحفي، ولا تأخذ العلم عن صُحُفي.

ويقصدون بالصُحُفي: من أخذ العلم من الكتب وحدها، ولم يتلقها عن شيخ يناقشه ويسأله، ويأخذ ويرد وكذا؛ لأن العلم أصل الحياة، من هنا بعض الجامعات الآن تشترط الحضور أو نسبة معينة من الحضور، لماذا؟ لأنَّ العلم الذي وراءه أسوة لا ينفع من غير حضور، ممكن ينجح في الامتحان، إنَّما الملكة العلمية هي عملية أخذ وعطاء، لا بدَّ منها، فلا يكفي أن تقرأ وتكوِّن لنفسك أفكارًا وقد تكون فهمتَ الموضوع خطأ، فهذا شيء لا بدَّ منه للشباب حتى تمضي صحوتنا في طريق راسخ إن شاء الله.

QaradawiBooks.com

السؤال الثالث:

هناك كثير من المعوِّقات أمام الشباب في طريق هذه الصحوة المباركة، ومن أكبر الأسى وقوف أقرب الناس في طريق من يسير بها؛ حتى يصل إلى الآباء، وكلنا يعرف بدون شك أنَّ هذا الطريق هو الطريق إلى الله تعالى، وهو طريق الأنبياء والمصلحين، فماذا نفعل في ذلك؟

الجواب:

في الحقيقة للأسف فعلًا بعض الآباء وبعض الأمهات يقفون في وجه أبنائهم إذا ساروا في هذا الطريق، ولكن الحق أحقُّ أنْ يُتَّبع، أنا أعرف فتاة تحجبت، فأمها وأقاربها ظلوا وراءها وأتعبوها، وجاءت تشكو، فقلت لها: اصبري. فقالت: وطاعة الأم؟ قلت لها: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وفي الحالات هذه: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]. ولكن الإنسان ما دام يمشي في الطريق الصحيح، مع الحكمة والموعظة الحسنة: لا يتخذ موقف المعاداة من الآباء ومن الأهل.

وهذا أيضًا قد يقع فيه كثير من الشباب: أن يتخذ من أهله موقف الجفاء، وموقف الغلظة وموقف الاستعلاء هنا الخطر، لا بدَّ أن تعاملهم بالرفق، ولا بدَّ أن تشعرهم بمعنى الأبوة ومعنى الأخوة وصلة الأرحام، هناك أشياء حساسة أحيانًا كما سُئل الإمام مالك؛ قال له واحد: أبي يريدني كذا، وأمي تريدني كذا. مثل بعض الناس أبوه يريد أن يزوجه بنت أخيه، وأمه تريد أن تزوجه بنت أختها، فماذا يفعل؟ فالإمام مالك لما سأله السائل هذا السؤال قال له: أطع أباك ولا تعصِ أمك. يعني حاول تدبر نفسك في هذا الأمر.

QaradawiBooks.com

السؤال الرابع:

كما ذكرتكم في كلامكم أنَّ الصحوة الإسلامية انطلقت بين الشباب، ونحن نرى أنَّ بعض أعداء الإسلام قاموا بمقاومة هذه الصحوة، فكيف تُحمى هذه الصحوة المباركة من الضياع أو الاستغلال؟

الجواب:

والله، الصحوة الإسلامية لن يقاومها أحد، ولن يقدر على مقاومتها إن شاء الله، الصحوة تكمن ولا تزول، وتستتر كما تستتر البذرة في الثرى ولكنها لا تموت، ومن قبل هذا قُوومت الدعوة الإسلامية، وقُوومت الحركة الإسلامية، وسقط الشهداء وظن الناس الظنون وقالوا: (خلاص)، انتهت العملية. وبعد مدة طلع ما نسميه الآن «الصحوة»، فهي من ثمار الحركة الإسلامية أيضًا، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وأحيانًا تكون هذه الأشياء وقودًا للحركة نفسها وللصحوة، غذاءً لها، فربنا ﷻ لن يقضي على هذه الصحوة، هو برحمته وفضله أهل لأنْ يمدها، ولكن هي محن تأتي ولا تدوم، والمحن دائمًا إنْ شاء تزول، وكم من محنة في طيها منحة، ورب ضارة نافعة، فالمحن كثيرًا ما تأتي بالمنح، جربنا والحمد لله هذه المحن جلبت وراءها خيرًا كثيرًا.

المرحوم الشهيد سيد قطب له كلمة عظيمة، يقول رحمه الله: ستظل كلماتنا عرائس من الشمع، لا روح فيها ولا حياة، حتى إذا متنا في

QaradawiBooks.com

سبيلها دبّت فيها الروح، وكتبت لها الحياة[1]! وفعلا الرجل لما استشهد بلغت كتبه الآفاق، وترجمت إلى العديد من اللغات.

حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ استشهد وهو ابن الثانية والأربعين من عمره، شيء غريب الذي هيَّأ الله له أنْ يؤسس كبرى الحركات الإسلامية في العالم، التي ترى آثارها في الشرق والغرب، وفي كل مكان الآن.. قام بتأسيس هذه الحركة وهو ابن إحدى وعشرين سنة، ومات وهو ابن الثانية وأربعين سنة، وظن الناس أنَّه بعد ما مات (خلاص) ستموت دعوته وحركته، وإذا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينفخ الروح في هذه الحركة، وتنتشر في كل مكان!

لا تظن أنَّ هناك من يقدر على أنْ يضرب الصحوة الإسلامية أو الحركة الإسلامية ضربة قاضية، هيهات هيهات، أحيانًا يكون هذا خير لها، كما قال جمال الدين الأفغاني: بالضغط والتضييق تلتحم الأجزاء المبعثرة! الأجزاء المبعثرة كلما ضغطت عليها تلتحم وتصبح كتلة واحدة، فهذا كله لن يؤثر على الصحوة الإسلامية إنْ شاء الله.

* * *

(١) انظر: دراسات إسلامية لسيد قطب، مقال: حسن البنا وعبقرية البناء صـ٢٢٧، ٢٢٨، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

٧

الصَّحوة الإسلامية ومستقبل الأُمَّة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزَّل الخيرات والبركات، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث رحمة للعالمين، سيِّدِنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعدُ)

فأشكر لمركز الدعوة والإرشاد أنْ هيَّأ لي الفرصة لألتقي بكم، وأتحدث إليكم في هذه الليلة المباركة، وبمجرد أنْ دعاني استجبت برغم مشاغلي في هذه الأيام، وأعبائي الكثيرة، وكان أمامي موضوعان أردت أن أتحدث في أحدهما، حين دعاني الأخ الأستاذ عنتر حشاد عرضت عليه موضوعين:

التفسير العلمي للقرآن:

الموضوع الأول هو «التفسير العلمي للقرآن بين المجيزين

(١) ألقيت في المركز الإسلامي للدعوة والإرشاد بدولة قطر، عام ١٩٨٨م.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

والمانعين»، وقد حضرت من مؤتمر للإعجاز العلمي للقرآن عُقِد في «إسلام آباد»، مؤتمر عالمي حضره عرب وغير عرب، ومسلمون وغير مسلمين من أنحاء العالم، وكان أهم ما يشغلني في هذا المؤتمر، وما دعوت المؤتمرين أن يمحصوه ويخرجوا منه بنتائج إيجابية: هو الضوابط التي لا بدَّ منها للكتابة في هذا الأمر، فكان هذا هو الموضوع الأول عندي.

الصحوة الإسلامية ومستقبل الأُمَّة:

وهناك موضوع آخر، كان قد طرحه عليَّ بعض الشباب وهو «الصحوة الإسلامية وعلاقتها بمستقبل الأمة»، كنت أميل إلى أنْ أتحدَّث في الموضوع الأول، ولكن بعض الشباب استحبوا الموضوع الثاني؛ فنزلت عند رغبتهم، وبخاصة أنِّي أشعر هذه الأيام أنَّ الصحوة الإسلامية تُدبَّر لها المؤامرات، وتُحاك لها المكايد من شرق وغرب، ومن داخل وخارج، ومن يمين ويسار، وتُجنَّد لها كل الطاقات والإمكانات؛ لمحاولة وأدها قبل أنْ يتطاير شررها، وقبل أن يصلب عودها ـ وقد صلب والحمد لله ـ لشعوري بهذا الأمر صادف هذا الموضوع هوًى في نفسي.

والحقيقة أنَّ الحديث عن الصحوة حديث محبب عندي، صحيح أنني كتبت فيه، ولا زلت أكتب، وسأظل أكتب، وشاركت في مؤتمرات عديدة تحدثت فيها عن جوانب من هذه الصحوة، وقبل ذلك في هذا المركز تحدثت عن الصحوة، وفي محاضرة لوزارة التربية والتعليم منذ سنتين تقريبًا ـ في افتتاح الموسم الثقافي لها ـ تحدثت أيضًا عن الصحوة بين الآمال والمحاذير، ولا بأس أن نكرر الحديث عن هذه الصحوة، الصحوة الإسلامية ومستقبل هذه الأُمَّة.

QaradawiBooks.com

معنى الصحوة:

لا زال الكثيرون للأسف يجادلون حتى في اسم هذه الصحوة، البعض يقول: من أين جاء هذا الاسم؟ إنَّه انطلق من الغرب، وترجمه أهل الشرق! عجيب هذا! هؤلاء المماحكين المجادلين حول هذه الأمور، فإنَّ الموضوع قائم، قد يسمى في بعض الأحيان يقظة إسلامية، ويسمى في حين آخر بعثًا إسلاميًّا، ويسمى في هذه المرحلة الصحوة الإسلامية، وكلها تعني: الحركة بعد همود، والانتباه بعد غفلة، والإفاقة بعد فقدان للوعي؛ لأنَّ كلمة «صحا» يقابلها في اللغة العربية إما سَكر، فهناك سُكْر وصحو، وإما نام ورقد، أي إنَّ الإنسان كان في حالة فقد للقوة الواعية ثم أفاق، فالصحوة معناها: استعادة للقوة الواعية، ولذلك هي ألصق ما تكون بالجانب المعنوي، كما قال جرير قديمًا في حائيته الشهيرة:

أتصحو أم فؤادُكَ غير صاحِ عشيةَ همَّ صحبُك بالرَّواحِ[1]

صحوة شاملة:

فهي مسألة تتعلق بالفؤاد والقلب والعقل، وإن كانت الصحوة الإسلامية والحمد لله صحوة شاملة؛ لأنَّها صحوة عقل وفكر، وصحوة قلب ومشاعر، وصحوة إرادة وعزم، وصحوة عمل وسلوك، وصحوة جهاد ودعوة، فهي صحوة شاملة.

وشمولها أيضًا نراه في أنَّها تشمل الجنسين: الإناث، والذكور، لم تعد مقصورة على الرجال وحدهم، كما أنَّها صحوة في كل عالم

(١) انظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (٨٧/١).

QaradawiBooks.com

الإســـلام، بل خارج عالم الإســـلام، رأيناها في أوروبا وأمريكا وكندا، وبلاد الشـــرق الأقصى، فهذه الصحـــوة حقيقة واقعـــة. **منكرو الصحوة وأعداؤها:**

ولكن من الناس من يشـــكك حتى في الاســـم، ويشكك حتى في وجود صحوة، وبعضهم يقول: الإســـلام بخير، وأمـــة محمد بخير، فما لكم تقولون: صحوة؟ وهل ذهب الإســـلام؟ وهل ضاع الإســـلام حتى تكون هناك صحوة؟!

والعجيب أنَّ هـــؤلاء هم الذيـــن يتحدثون عن العصـــر المملوكي، والعصر العثماني، وما فيه من ســـيئات لا تكاد تُذكر فيه حسنة، وما فيه من جوانب مظلمة لا يكاد يكـــون هناك جانب للنـــور والضوء، هؤلاء أنفسهم يقولون: الإسلام بخير!

طالما قلتم: إنَّ المســـلمين قد تخلفوا وتأخـــروا، وحدث كذا وكذا. فهذا انتباه جديد، بعد عصر التخلف، ثم بعد عصر الاستعمار وما صنعه بالأُمَّة الإسلامية، ثم بعد عصر الحكم الوطني للأسف في كثير من بلاد الإسلام، وفي بعض بلاد الإســـلام كان الحكم الوطني أسوأ من الحكم الاستعماري قبله!

كان الحكم الاستعماري عنده بعض الحياء وبعض الخجل، ثم جاء هؤلاء الذين يدَّعون أنَّهم وطنيون؛ ففعلوا الأفاعيل بالدعاة إلى الإسلام، والدعاة إلى تحكيم الإسلام، والرجعة إلى الإسلام الصحيح، حدث كل هذا، ثم بعد ذلك حدثت صحوة ولا شك.

وبعض الناس يقولون: أي صحوة؟ أهذه الثياب القصيرة، أم اللِّحَى الطويلة، أم النُّقُب التي تنتقب بها النساء؟ كأنَّ الصحوة ليست إلا هذا!

QaradawiBooks.com

الصحوة كما قلت لكم رأيناها في العقل والقلب والإرادة، والعمل والدعوة، رأينا آثارها في كل مجال من مجالات الحياة، فهؤلاء يُركِّزون على هذه الأشياء وينسون كلَّ شيء.

آثار الصحوة اليوم:

الصحوة الآن هي التي تقاتل في أفغانستان، هي التي تطالب في كل مكان بتحكيم الشريعة، هي التي وراء الانتفاضة في الأرض المحتلة، من رأى منكم الصور يرى المصاحف وهي مرفوعة، ويرى النساء المحجبات في المظاهرات، مواسم الحج والعمرة بالآلاف والملايين، كان الذين يعمرون هذه المواسم قديمًا هم الشيوخ والعجائز؛ ممن أكل الدهر عليهم وشرب. الآن الشباب هم رواد المساجد، وهم رواد مواسم العبادة في الحج والاعتمار، ومن هنا نقول لهؤلاء: ما لكم تركزون على هذه الأشياء، وتختزلون الصحوة فيها؟

على أنَّ هذه الأشياء نفسها هي رموز للتحدي الحضاري، وللتميز الثقافي، وللاستقلال الذاتي، ولرفض التبعية حتى في الأشكال؛ فالشاب الذي يطلق لحيته هذا يتحدى، والفتاة التي تتحجب برغم أنَّ ما حولها ومن حولها لا يشجعونها على هذا، الفتاة تلبس الحجاب وأمها غير محجبة، وخالتها غير محجبة! حركة طوعية اختيارية بالالتزام بأحكام الإسلام، هذا تحدٍّ، فلماذا نتكلم عن هذه الأشياء، وهي كما قلت لكم لها دلالتها؟

الصحوة تيار ممتد:

أنا لا أريد في الحقيقة أنْ أطيل الحديث في هذه المقدمات، ولكنِّي أذكرها من باب العجب العاجب لهؤلاء الذين يزعمون أنَّهم كُتَّاب ومفكرون ومحاضرون ويتحدَّثون في هذه الأشياء، حتى قال قائل منهم:

QaradawiBooks.com

إنَّ هذه الصحوة صنعها حاكم من الحكام، يريدون أنَّ السادات في مصر هو الذي ترك الحرية للتيار الإسلامي في فترة من الفترات؛ حتى نما هذا التيار وترعرع، وأثبت وجوده. يقولون: هو الذي خلقها! كيف؟ هذا أمر عجيب! كأنَّ الصحوة بنت اليوم أو وليدة الأمس.

الصحوة تيار ممتد، شارك في صنعه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، من عهد محمد بن عبد الوهاب، والسنوسي، وابن باديس، ومحمد عبده، ورشيد رضا، ومحمد إقبال، وحسن البنا، وسيد قطب، وعبد القادر عودة، وغيرهم ممن قضى نحبه وممن ينتظر، وشاركت فيه حركات وجماعات وهيئات؛ حتى كانت هذه الصحوة، فهذه الصحوة ثمرة لجهود طويلة المدى، عميقة الجذور.

فليس صحيحًا أنَّ هذه الصحوة صنعها حاكم، كل ما فعله هذا الحاكم أنَّه ترك الحرية في فترة ما لهذا التيار، وقبل ذلك كانت الحرية متروكة ومفتوحة الأبواب على مصاريعها للتيارات العلمانية واللادينية والماركسية، ووثبت على أجهزة الإعلام في فترات واستخدمتها دون شريك، ولم يكن معها أحد، فانفردت بالتوجيه والتأثير، فحينما تُترك الحرية للتيار الإسلامي في وقت من الأوقات؛ يُقال: إنَّ الحاكم هو الذي صنعه؟!

التيار الإسلامي منبعث من ضمير الأُمَّة، من أعماقها، هو التيار الوحيد المعبر عن ذاتها، وكل التيارات الأخرى تيارات دخيلة، ووافدة وأجنبية عن هذه الأُمَّة، بضاعة مستوردة، هذا تيار حقيقي.

وإذا كان صحيحًا أنَّ هذا التيار صنعه الحاكم في مصر؛ فمن الذي صنع هذا التيار في البلاد الإسلامية الأخرى؟ ومن الذي صنعه خارج

QaradawiBooks.com

البلاد الإسلامية؟ ولو كان صحيحًا أنَّ هذا الحاكم هو الذي صنع هذا التيار لأمكنه القضاء عليه، فمن يملك التولية يملك العزل، كان يستطيع أنْ يتخلص منه، لا، الصحوة الإسلامية حقيقة واقعة.

غير مرخصة للطباعة

دور الصحوة في بناء المستقبل:

وهذه الصحوة لها دور أي دور في بناء المستقبل لهذه الأمة، وفي المشاركة في حمل أعباء المستقبل، وفي توجيه الأمة إلى غدها، وإنَّما أردت الحديث عن المستقبل بالذات؛ لأنَّ بعض الناس يزعمون أنَّ الصحوة ماضوية، لا تتحدث إلا عن الأمس، لا تتحدث إلَّا عن التراث، كل همها أن تقول: كنا كذا، وكان أجدادنا، وصنع آباؤنا. هكذا يزعمون، وهذا ليس بحقيقي؛ فإنَّ الصحوة تتجه إلى المستقبل كما تتجه إلى الماضي، هي صحوة توازن، تنظر إلى الأمس لتستفيد منه، وتنظر إلى الغد لتخطط له، وتعد له العدة، هذا ما تعلمته من إسلامها.

الإنسان بين ذاتيته ومخيلته:

للإنسان ذاكرة يحفظ بها الماضي، وإذا فقد ذاكرته اعتُبر مريضًا يحتاج إلى علاج، والإنسان الذي لا ذاكرة له لا يعرف شيئًا، ولا يستطيع أن يتعايش مع الناس، كذلك الأُمَّة لها ذاكرتها ولها تراثها.

وللإنسان أيضًا مخيلة يتخيل بها الغد، ويستشف بها ماذا يصنع ويفكر في غده كما يفكر في أمسه، بل الحقيقة الزمن ليس إلا الأمس والغد، أمَّا اليوم أو الحاضر ما هو إلا نقطة وهمية بين الماضي والمستقبل، ولذلك شأن الإنسان المسلم أن ينتفع بماضيه، ويعد لمستقبله.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

بل الدين في جوهره هو نظرة إلى المستقبل، ما هو الدين؟ الدين هو إعداد الإنسان للآخرة، والآخرة تعني المستقبل، الإنسان في هذه الدنيا يُعد نفسه للخلود، يُصقل اليوم ليُجزَى غدًا، يُبتلى هنا ليُثاب هناك، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الحشر: ١٨]، فالدين هو إعداد للمستقبل، ولذلك ليس عجيبًا أن تهتم الصحوة الإسلامية بمستقبل الأُمَّة.

توجيه القرآن للإعداد للمستقبل:

القرآن يعلمنا أن ننظر إلى المستقبل ونعد للمستقبل، فالقصص التي ذكرها القرآن تعلمنا كيف يجب علينا أن نخطط للمستقبل، ليس عبثًا أنَّ القرآن الكريم قصَّ علينا قصة مثل قصة يوسف عليه السلام، وكيف وفقه الله ليزيل أزمة اقتصادية خانقة: سبع سنوات عجاف يأكلن كل ما كان من قبل، وفَّق الله يوسف الصديق بالإلهام: أن يخطط لمصر تخطيطًا خمس عشري كما يقولون، وضع خطة لخمس عشرة سنة، ﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا ﴾ [يوسف: ٤٧]، ما يسمونه الآن زيادة الإنتاج، مواصلة مستمرة، عجلة التنمية يجب أن تدور بأكبر كمية ممكنة، وأكبر مدى مستطاع في هذه السنوات السبع، لماذا؟ استعدادًا للسنوات التي بعدها، في هذه السنوات إنتاج كثير واستهلاك قليل، ﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴾ [يوسف: ٤٧]، بعد الإنتاج الكثير تخزين وادخار وقلة استهلاك، ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾، الأصل أن نحفظ ما يُنتج للمستقبل، ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾ [يوسف: ٤٨]، القرآن يصور هذه السنين السبع كأنها غيلان يأكلن ما قدمتم لهن، وقوله: ﴿مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾. إشارة إلى توجيه الاقتصاد، أنتم الذين

QaradawiBooks.com

تقدمون لهن، فالاستهلاك يجب أن يكون بحساب، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾، ما تدخرونه، وما تحفظونه من بذور لإعادة الاستثمار من جديد، حتى إذا جاء الغيث ونزل المطر كان عندنا ما نبذره ونعيد الاستثمار من جديد.

انظروا هذا تخطيط لمدة خمس عشرة سنة، ويوسف عليه السلام هو الذي وضع الخطة، وهو الذي قام بتنفيذها، وطبعًا الخطة إذا وضعها خبير كما وصفه القرآن: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. ليس كخبراء الأجانب الذين يضحكون على المسلمين، حفيظ: أي عنده الحفظ والأمانة، وعليم: أي خبير، يجمع بين الخبرة والأمانة، أو كما عبر عنه القرآن في آية أخرى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. فقام يوسف بالتخطيط وبالتنفيذ أيضًا، فأنجى الله مصر وما حولها على يديه؛ لأن مصر كانت مصدرًا للتمويل لما حولها كما رأينا في قصة إخوة يوسف.

حينما ذكر لنا القرآن هذه القصة أراد أنْ يعلمنا كيف نخرج من الأزمات، وكيف نواجه الشدائد بالتخطيط السديد الرشيد، الذي يقوم عليه الحُفَّاظ العلماء الخبراء الأمناء، هذه قصة ذكرها القرآن من الناحية الاقتصادية.

إعداد ذي القرنين:

وذكر لنا القرآن قصة أخرى من الناحية العسكرية، قصة سد ذي القرنين، حينما جاءت القبائل تقول لذي القرنين: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٤ ـ ٩٦]. بتعاون

QaradawiBooks.com

الحاكم مع الشعب استطاع أن يقيم هذا السد، بين هؤلاء القوم وبين خصومهم، فهي احتياطات أمنية وعسكرية للوقوف في وجه هؤلاء المغيرين المفسدين، فلما أقام هذا السد قال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]. حينما ذكر القرآن هذا يعلمنا فعلًا كيف نعد العدة للمستقبل.

تخطيط النبي ونظره إلى المستقبل:

ومن يرى ويتأمل حياة النبي ﷺ يعرف أنَّه لم يكن يمضي اعتباطًا في حياته، وإنَّما كان كل شيء بتخطيط وتدبير ـ بعد توفيق الله تبارك وتعالى ـ فهو حينما أمر الصحابة أن يهاجروا إلى الحبشة لم يكن هذا اعتباطًا، وإنَّما عرف أنَّ هذه المنطقة هي أوْلى المناطق بالهجرة إليها، وقال: «**إنَّ بأرض الحبشة ملكًا، لا يُظلم أحد عنده**»[(١)]. فهي من الناحية السياسية موافِقة، ومن الناحية الدينية أهلها أهل كتاب، ومن الناحية الجغرافية قريبة إلى الحجاز، قريبة إلى مكة، ليست بعيدة جدًّا، لو ذهبوا إلى منطقة بعيدة في الهند أو الصين لأكلتهم الأرض، ولم يُعرف لهم خبر ولا أثر، كما أنَّهم لو ذهبوا إلى مكان في جزيرة العرب لا يُؤمن موقفهم، فكان هذا المهجر مناسبًا لهم، ولكنَّه لم يرضَ أن يكون مهجرًا دائمًا، ولذلك لم يهاجر هو إلى الحبشة، لأنَّ المهجر الدائم يجب أن يكون في المنطقة العربية نفسها؛ لأنَّ أنصار هذا الدين لا بدَّ أن يكونوا ممن يعرفون لسان هذا الدين وقرآنه، ولذلك كان التخطيط بعد ذلك أن تكون الهجرة إلى يثرب.

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٣٠١/٢)، وجوَّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ٦٩٠، عن أم سلمة.

QaradawiBooks.com

ومن يتأمل سير الهجرة يعرف أنَّ النبي ﷺ رتَّب لها كل شيء: الرفيق الذي يصحبه، والرواحل التي يمتطيها، والدليل الذي يدل على الطريق حتى كان هذا الدليل مشركًا، لا بأس بالاستعانة بغير المسلم في مثل هذه الأمور الفنية، فهكذا كل شيء أُعدَّ له العدة، وهكذا كانت حياة النبي ﷺ.

وبعد الهجرة كما روى البخاري ومسلم أنَّ النبي قال: «**أحصوا لي عدد من يلفظ بالإسلام**». فأُحصوا له؛ فكانوا ألفًا وخمسمائة[1]، أول إحصاء للمسلمين كان في عهد النبي ﷺ، ولم يُعرف أحد اهتم بالإحصاء قبل ذلك، بل في أسفار التوراة أنَّ أحد الأنبياء أراد أن يُحصي بني إسرائيل؛ فنزلت بهم عقوبة[2]، مما يشير إلى أنَّ الإحصاء ينافي الإيمان بالقدر فأجفلوا من هذا الأمر، لكن النبي ﷺ هو بنفسه يعد للإحصاء ويقول: «**أحصوا لي عدد من يلفظ بالإسلام**». ليعرف القوة الضاربة التي عنده، ويبني على ذلك سياسته، وطبعًا تعرفون أنَّ الإحصاء هو من أهم عناصر التخطيط، هكذا كان النبي ﷺ.

نظر الصحابة للمستقبل:

ورأينا الصحابة رضوان الله عليهم ينظرون إلى المستقبل في كل أمورهم، سيدنا أبو بكر جمع القرآن حينما استحرَّ القتل بالقراء في معركة اليمامة؛ فخاف أن يذهب القراء ويضيع القرآن، فلا بدَّ من الكتابة، ولذلك جمع الصحف التي عند حفصة وأمر بكتابة المصحف.

(١) سبق تخريجه صـ٤٠.

(٢) انظر: سفر صموئيل الثاني (١/٢٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كذلك فعل سيدنا عثمان بعد ذلك حينما كتب مصحف الإمام؛ خشية الاختلاف، خاف مما يمكن أن يحدث في المستقبل، أن يختلفوا كما اختلفت الأمم، هكذا كان الخلفاء.

حينما ننظر في سيرة عمر بن الخطاب نجده أيضًا في كثير من الأمور ينظر إلى المستقبل، كما في موقفه من قسمة سواد العراق، حينما أراد بعض المسلمين المتحمسين أن يُقسم السواد كما تُقسم الغنائم المنقولة على الفاتحين، ولكن عمر توقف في الأمر، ورأى أنَّ ذلك مخالف لمقاصد الشريعة الإسلامية، وظل يجادل القوم مدة من الزمن؛ حتى شرح الله صدره، فقرأ آيات سورة الحشر التي تكلمت عن الفيء وقسمته على المهاجرين والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، فقال: لم تدع هذه الآيات لأحد قولًا[١].

فمعناها أننا لو وزعنا مصادر الثروة على الجيل الحاضر؛ فماذا يبقى للجيل القادم؟ ومن هنا قال لهم: أتريدون أن يأتي آخر الناس وليس لهم شيء؟ إنِّي أريد أمرًا يسع أول الناس وآخرهم[٢]. ووافق على هذا علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، فقهاء الصحابة كانوا مع عمر في النظرة إلى المستقبل، أنَّه يريد أمرًا يسع أول الناس وآخرهم، فتصبح الأرض كأنها وقف على المسلمين، وخراجها تنتفع به الأمة في سائر أجيالها، لتجييش الجيوش، وتعبئة الثغور، وإعداد العدة إلى آخره، فهكذا كان رأي عمر نظرة إلى المستقبل، ليس المستقبل في زمنه فقط، وإنَّما ينظر بنور الله إلى الأجيال القادمة.

(١) الخراج لأبي يوسف صـ٤٦.

(٢) رواه أبو عبيد في الأموال (١٤٧)، نشر دار الفكر، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حاجتنا إلى النظرة للمستقبل:

هذا ما علمه الإسلام لعمر بن الخطاب: النظرة المستقبلية، وهذا ما ينقصنا للأسف، أننا ننظر إلى حاضرنا وإلى يومنا، ولا ننظر إلى غدنا، ولذلك كثيرًا ما نستهلك من الثروات ما يكفي أجيالًا بعدنا، البترول التي أسرفت فيه أمتنا في هذا القرن، واستهلكت منه ما استهلكت لو أنَّ هناك تخطيطًا اتفقت عليه هذه الأُمَّة، وأخذت من هذا البترول بقدر، وباعت منه بقدر: ما وصلت إلى الحال الذي وصلت إليه، لكن خصومها دفعوها إلى أنْ تستهلك؛ ليمتصوا هذه الثروة، ولا يبقى منها إلا القليل؛ فيعيش جيل من الأجيال في بذخ وسرف وترف، على حساب الأجيال القادمة!

وكان سيدنا أبو بكر يقول: إنَّه لا يعجبني الرجل يأكل رزق أيام في يوم واحد[1]. ما يكفيه أسبوعًا يستهلكه في يوم واحد، وإذا كان هذا معيبًا في حق الفرد فهو أشد ما يكون عيبًا في حق الأُمَّة! ما يكفي أجيالًا يستهلكه جيل واحد، التوسع في الاستهلاك، أن نقع أسرى وعبيدًا لأنماط استهلاكية، تغرينا بها القوى المتسلطة على بلاد المسلمين، يأخذون من عندنا المواد الخام بأرخص الأسعار، ثم يصنعوها ويبيعوها لنا بأغلى الأسعار، ونشتري ما لا حاجة بنا إليه، هذا للأسف ما يحدث.

هناك كماليات أصبحت بعد أن خلقوا فينا عادات استهلاكية معينة أصبحت كما يقول الأصوليون حاجيات، التحسينات أصبحت حاجيات، وربما أصبحت ضروريات لا يستغني عنها أحد، نحن نفخر بأننا نركب سيارات موديل كذا، ونستعرض عضلاتنا كأننا صُنَّاع هذه السيارة،

(١) العقد الفريد (٢٢٧/٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

والحقيقة أننا نستهلك أدوات الحضارة ولا نصنع أدوات الحضارة، قد تُصنع لنا، وقد تُصنع لنا قبل أهلها أنفسهم، قد يصنعون لنا موديلًا من السيارات لم يُستخدم في بلده، ويرضوا غرورنا بهذا الأمر، ولكن ما قيمة هذا إذا كنا لا نصنع، لا ننشئ وإنَّما نستورد، لا ننتج وإنَّما نستهلك، لا نبتكر وإنَّما نقلد.

مهمة الصحوة أن توعي أُمَّتها:

نحن في حاجة إلى أن ننظر إلى المستقبل، ومهمة الصحوة الإسلامية هنا أن توعي هذه الأمة بالخطر؛ إذا ظلت على هذه الحال! نحن ننادي بالتنمية في عصر التنمية ونحتاج إلى أن ننمي أنفسنا، ويسموننا البلاد النامية، وهو كما لا يخفى عليكم تعبير مؤدب عن البلاد المتخلفة، بدل أن يسمّونا البلاد المتخلفة كما هو الواقع سمونا البلاد النامية، ولعل هذا يوحي إلينا أننا في طريق النمو، مع أننا للأسف لا زلنا في دائرة التخلف في العالم الثالث!

كنا نحو ألف سنة العالم الأول، ثم صرنا العالم الثالث؛ بل يقول بعض الباحثين: الواقع أن فينا كثيرين لا يستحقون أن يسمّوا العالم الثالث، هم العالم الرابع. إذا كان لا بدَّ من تقسيم العالم إلى مراتب ومراحل ودرجات، هذا هو وضعنا، لا زلنا متخلفين.

التخلف لا يزول بمرور الزمن:

ماذا نصنع للخروج من التخلف؟ التخلف لا يزول بمضي الزمن، الزمن وحده ليس جزءًا من العلاج، بل بالعكس كلما مضى الزمن ازدادت مسافة الخُلْف بيننا وبين من سبقونا؛ لأننا كلما حاولنا أن نلحق بهم سبقوا، إذا ركبنا حمارًا ركبوا حصانًا، وإذا ركبنا حصانًا نجدهم

QaradawiBooks.com

ركبوا سيارة، وإذا ركبنا سيارة نجدهم ركبوا طائرة، وإذا ركبنا طائرة نجدهم ركبوا صاروخًا، وحتى السيارة والطائرة التي نركبها من صنعهم هم، ما زلنا عالة على القوم، كبرى مشكلة التخلف أننا عالة على غيرنا.

معظم بلاد المسلمين بلاد زراعية تملك أخصب أنواع التربة، ومع هذا تستورد غالبية بلاد المسلمين أكثر من نصف أقواتها، البلاد التي يعتبر دينها الزراعة عبادة، «**ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا؛ فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة؛ إلا كان له به صدقة**»[1]، والأحاديث في فضل الزرع والغرس معروفة، منها: «**لو قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة؛ فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**»[2]، الدين الذي يقول هذا.. أهله يعيشون عالة في أقواتهم على غيرهم.

في هذا الصيف قرأت في الصحف المصرية: أنَّ وزير الأوقاف اجتمع ببعض شباب البُعوث الإسلامية بالأزهر، وأراد أنْ يحثهم على التمسك بإسلامهم وأنَّه أساس هويتهم، تكلم كلامًا طيبًا، لكن بعض الصحف الغربية كتبت تعليقًا على هذا، قالت: ألا يدري الوزير أنَّ أمريكا هي صاحبة الفضل على بلده، وأن سبعة أرغفة من كل عشرة تأتي من أمريكا؟ فهؤلاء يريدون أن يقولوا: نحن نطعمكم، وما دمنا نطعمكم فلا تقولوا: الإسلام الإسلام. أطعم الفم؛ يسكت اللسان، وتستحي العين!

لا نملك قوتنا ولا نصنع سلاحنا:

هذه حقيقة أننا في بلادنا الإسلامية لا نملك أقواتنا، ومن ناحية أخرى لا نصنع السلاح الذي ندافع به عن حرماتنا وأنفسنا وأرضنا، نحن

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.

(٢) سبق تخريجه صـ٧٤.

QaradawiBooks.com

نستورد السلاح من غيرنا، وغيرنا هؤلاء هم للأسف الذين يجحدون ديننا، ولا يؤمنون به، ولا يريدون لنا الخير! وهم إن وقفوا معنا يومًا؛ فلا نضمن أن يقفوا معنا اليوم التالي، فالسياسة متقلبة، وتحكمها المصالح والأهواء، كما تحكمها الأحقاد أيضًا، فهناك الأحقاد الصليبية التي هي وراء الاستعمار؛ كما قال شيخنا الشيخ الغزالي: الاستعمار أحقاد وأطماع. فالاستعمار ليس أطماعًا فقط في الثروات والمصالح، ولكنَّه أحقاد أيضًا، وهذه الأحقاد هي التي تجعل هؤلاء يقفون ضدك، ويمتنعون عن توريد السلاح لك وإن كانوا يقبضون منه ثمنًا، وإذا كان هذا السلاح يستخدم ضد إسرائيل؛ فإنهم لا يبالون أن يخسروا ثمن هذا السلاح، قد يعطونك السلاح إذا كنت ستحارب به أخًا مسلمًا لك، إذا كان سيقوي دولة مسلمة ضد دولة مسلمة أخرى: يمكن أن يبيعوك السلاح، إنَّما إذا عُرف أن هذا السلاح سيكون ضد إسرائيل فلا يُعطى لك؛ لأنَّ الأحقاد أحيانًا تكون أقوى من الأطماع.

الدوافع الصليبية والعنصرية حاضرة:

والذين ينكرون هذه الدوافع الصليبية واهمون، فالدوافع الصليبية موجودة ومعروفة تمامًا، محظور على العالم الإسلامي كله أن يمتلك قنبلة ذرية، الغرب يمتلك قنابل ذرية، وروسيا تمتلك قنبلة ذرية، والصين تمتلك قنبلة ذرية، والهند تمتلك قنبلة ذرية، وإسرائيل تمتلك قنبلة ذرية، لكن حينما حاول المسلمون في باكستان أن يمتلكوا قنبلة ذرية قامت الدنيا ولم تقعد، وحينما أراد العراق أن ينشئ مفاعلًا ذريًّا ضُرب تحت سمع الدول الكبرى وبصرها، وبمؤامرة وكيد منها، وهكذا الروح الصليبية موجودة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأحب أن أقول شيئًا هنا: إنَّ الروح الصليبية ليست هي الروح الدينية، بعض الناس يجعلون تلازمًا بين التديُّن والصليبية، وليس هذا من الضروري، قد توجد الروح الصليبية ولا يوجد التديُّن أصلًا، الصليبية حقد كامن موروث على أمة الإسلام، قد يكون الشخص ملحدًا بدينه، ومع هذا يكره المسلمين، ويضمر الشر للإسلام.

وهذا مثل الطائفية أيضًا، تجد هناك أناسًا طائفيين في بعض البلاد، في مصر مثلًا تجد هؤلاء الطَّائفيِّين يكرهون المسلمين، وهم أشد ما يكونون طائفية، وليسوا متدينين قط بدينهم، بل قد ترى منهم الملحد، وترى منهم الشيوعي، وترى منهم اللاديني، ولكنَّه طائفي متعصب.

كذلك تجد في الغرب الإنسان الصليبي الحاقد على الإسلام، وعلى أمته، وعلى تاريخه، وعلى كل نهضة له وإن لم يكن متدينًا، ولذلك أعجب أن ينكر بعض الناس هذا الأمر مع أنَّه أمر واقع وماثل للعيان، والحجج عليه لا تنتهي، وهناك كتب في هذا، ووقائع ضخمة تدل على هذا الأمر.

ومن هنا يكون من الخطر ألا تملك هذه الأمة قوتها اليومي، الذي به قوام حياتها، ولا تملك سلاحها، لا تزرع ما تأكله، ولا تصنع ما تدافع به عن نفسها، هذه هي الخيبة!

أمة الحديد لم تتعلم صناعة الحديد:

طالما قلتُ: إنَّ الأمة التي أنزل الله عليها سورة الحديد لم تتعلم صناعة الحديد، ليس عبثًا أن يكون في إحدى سور القرآن «سورة الحديد»، وأنزل فيها آية رائعة كل الروعة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. قوله:

QaradawiBooks.com

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾. إشارة إلى الصناعات الحربية: مدافع وقنابل، وطائرات وصواريخ، وقوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾. إشارة إلى الصناعات المدنيَّة: آلات وماكينات وسيارات، هذه الأمة أمة سورة الحديد لم تتعلم للأسف صناعة الحديد، لا عسكريًّا ولا مدنيًّا، وهي إلى اليوم عالة على غيرها، مهمة الصحوة الإسلامية أن توعي هذه الأمة، وأن تربي أبناءها وشبابها على أن يتعلموا صناعة الحديد، وأن يوجهوا الأمة إلى صناعة الحديد، وأن يوجهوا الأمة أن تزرع ما تأكل، وأن تصنع ما تقاتل به، نحن في حاجة إلى هذا.

تحذير الصحوة مما يُكاد لها:

وهذا ما نوجه إليه أيضًا أبناء الصحوة، بدل أن يشغلوا أنفسهم بالمسائل الجزئية وبالأمور الخلافية التي لا تنتهي، وسيظل العلماء يختلفون فيها؛ عليهم أن ينشغلوا بمستقبل الأمة، الأمة مهددة في وجودها وفي مصيرها، ونحن نجادل في أمور سيظل الناس يختلفون فيها، ولن ينتهوا إلى رأي.

نحن في حاجة إلى أن نوجه إلى أن تكون الصحوة صحوة وعي بما يكيد لها أعداء هذه الأمة ويبيتون لها؛ فالصحوة يُبيَّت لها في كل مكان، آخر صيحة الآن في الصحف الغربية في أكثر من مقال يحذرون حكام المسلمين وقادتهم من الإسلام المعتدل، تصوروا يقولون لهم: احذروا الإسلام المعتدل، احذروا الذين يدعون أنَّهم معتدلون وليسوا متطرفين، إنهم أشد خطرًا من غيرهم، إنهم يبدؤون معتدلين، ثم ينتهون متطرفين، وهؤلاء يخدعونكم. ولذلك يجب أن نكون أوعى وأبصر بحيث ننظر إلى قضايا أُمَّتنا.

QaradawiBooks.com

قضية تخلُّف الأمة:

إنَّ من أخطر قضايا هذه الأمة قضية التخلف، فالأمة متخلفة ولا بدَّ أن تخرج من هذا التخلف؛ لتتقدم وتستغني وتكتفي بذاتها، والصحوة الإسلامية قادرة على أنْ تفعل الكثير في هذا المجال، بل لا يمكن أن يكون هناك بديل لها، أمتنا تريد أن تعوض الفجوة التي بينها وبين الآخرين، بيننا وبينهم مائة سنة أو أكثر، ونريد أن نلحق ونسبق، ونحن كأُمَّة إسلامية ـ هيَّأنا الله وبوأنا مكان الأستاذية؛ لنكون شهداء على الناس ـ يجب علينا أن نسبق، وعلى الأقل إن لم نسبق فلنكن أندادًا وأمثالًا لهؤلاء، ينبغي أن نعوض هذا.

الطاقة المعنوية ودورها:

نحن في حاجة إلى طاقة هائلة حتى نلحق بالقوم، من أين تأتي هذه الطاقة الهائلة؛ إن لم تكن طاقة معنوية تفجر مكنونات النفس البشرية، وتستخرج الإمكانات المدفونة المخزونة، الإنسان عنده طاقات عجيبة جدًّا تظهر أحيانًا في أوقات الشدائد، ولكنها في حاجة إلى مثير، مثل المادة المتفجرة تحتاج إلى شيء أساسي لتفجير هذه المادة، نحن في حاجة إلى مفجر، هذا المفجر هو الإيمان، الإيمان هو الذي يصنع العجائب، هو الذي يجعل الإنسان يبذل من الطاقات أضعاف ما يبذل غيره.

وهذا ما أشار إليه القرآن حينما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥]. في حالة القوة الواحد بعشرة، وفي حالة الضعف الواحد باثنين، فيمكن أن

QaradawiBooks.com

يعمل الواحد عمل عشرة، وإذا كان هذا في الجانب العسكري فيمكن أن يكون هذا أيضًا في الجانب الاقتصادي، وفي الجانب التكنولوجي، نحن في حاجة إلى أن تقوم الصحوة بدورها في بناء مستقبل هذه الأمة في الناحية التكنولوجية، وناحية التقدم والتنمية، الذين يظنون أنَّ التنمية والتقدم مفصولان عن الجانب المعنوي، أو الجانب الإيماني أو الجانب الأخلاقي: واهمون؛ فالحياة لا تتجزأ، الحياة نسيج واحد، تعمل المعنويات فيه مع الماديات جنبًا إلى جنب، فلا بدَّ من عقيدة، ولا بدَّ من أخلاق، ولا بدَّ من ضوابط للسلوك البشري، لا بدَّ من هذا كلِّه جنبًا إلى جنب.

مشكلات وهموم العالم الإسلامي:

نحن إذا نظرنا إلى مستقبل الأُمَّة، هناك طبعًا مشكلات كثيرة يمكن أن نتحدث عنها، كنت في العام الماضي في عمان مدعوًّا إلى ندوة تحت عنوان «الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي»، وطبعًا هموم الوطن العربي هي هموم الوطن الإسلامي، هي هموم واحدة، ولا يحصيها عدٌّ، ولا يحيط بها حدّ، هموم كثيرة، والشاعر العربي يقول:

ولو كان سهمًا واحدًا لاتَّقَيْتُهُ ... ولكنَّه سهمٌ وثَانٍ وثَالِثُ[1]

هموم كثيرة كما قال المتنبي:

رمانِي الدهرُ بالأرزاءِ حتَّى ... فؤادِي في غِشاءٍ من نِبالِ
فصرتُ إذا أصابتني سِهامٌ ... تكسرت النِّصالُ على النِّصالِ[2]

(١) البيت للقاضي أبي بكر ابن العربي، كما في الحُلة السِّيَراء لابن الأبَّار (٦/١)، تحقيق د. حسين مؤنس، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م. بلفظ رمح بدل سهم.

(٢) ديوان المتنبي صـ٢٦٥.

QaradawiBooks.com

كما جاء في بعض الأحاديث عن الفتن أنَّها: «**يرقق بعضها بعضًا**»[١]. تأتي فتنة فيقول المرء: هذه مهلكة. ثم تأتي فتنة أخرى فيقول عن الأولى: هذه فتنة بسيطة جدًّا بالنسبة إلى هذه الفتنة. كل فتنة أشد من التي قبلها والعياذ بالله، «**يرقِّق بعضها بعضًا**»، فالهموم والمشكلات والمصائب كثيرة جدًّا.

التخاذل أمام العدوان الإسرائيلي:

وقد كنت قد تحدثت عن سبعة هموم، ولا أستطيع طبعًا في هذه الليلة أن أتحدث عنها كلها، ولكن أذكر هَمَّ التخلف والتنمية هذا الذي تحدثت إليكم فيه، وهَمٌّ آخر هو هَمُّ التخاذل أمام العدوان الإسرائيلي، أمام الوجود الصهيوني، الذي فرض نفسه علينا، وأقام له دولة في قلب ديارنا، وسماها باسم ديني تراثي تاريخي هو «إسرائيل»!

في وقت من الأوقات حينما قامت إسرائيل سنة ١٩٤٨م. كنا نقرأ في الصحف، ونسمع في الإذاعات العربية قبل أن ينشأ التليفزيون، كانوا يقولون دائمًا: وقامت قوات إسرائيل «المزعومة» بكذا وكذا، وفعلت إسرائيل «المزعومة» كذا وكذا. ويكتبون بين قوسين «المزعومة»، ظللنا هكذا عدة سنوات، ثم رأينا هذه المزعومة تضرب هذه الجبهة، وتركل هذه الجبهة، وتعبث وتعربد هنا وهناك، ولا تجد من يؤدبها، فاستحينا من أنفسنا وحذفنا كلمة «المزعومة» بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين!

إسرائيل تصنع الكثير برغم هذا العدد من العرب، ما يقرب الآن من مائتي مليون عربي، والآن أكثر من مليار من المسلمين، ولكن ماذا صنع

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٤)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هؤلاء وأولئك أمام إسرائيل؟ لم نصنع شيئًا، لأننا لم ندخل الأمر من بابه، لا زلنا إلى اليوم نجادل ونماحك: هل قضية فلسطين قضية عربية أم قضية إسلامية؟ هناك أناس يستميتون في ألا تُذكر كلمة الإسلام في قضية فلسطين، وأنَّها قضية عربية لا غير!

معركتنا مع إسرائيل معركة دينية:

مع أنَّ خصومنا دخلوا معنا المعركة من أول يوم على أنَّها معركة دينية، ولولا تعاليم التوراة وأحلام التلمود ما قامت إسرائيل! ما الذي جمع اليهود من أنحاء العالم وقد شردهم الله وقطعهم في الأرض أمما؛ كما جاء في القرآن الكريم؟! ما الذي جمع اليهودي المشرقي والمغربي، والروسي والأمريكي، واليمني والمصري في إسرائيل؟!

إنَّ هناك شيئًا واحدًا جمعهم هو الديانة اليهودية، هي التوراة! وكان هرتزل يقول: إنَّ عودتنا إلى صهيون يجب أن تسبقها عودة إلى التوراة، وإلى اليهودية.

القوم لا يخفون الوجه الديني لحركتهم: قبل أن تقوم الدولة، ولدولتهم بعد أن قامت، وكم قال موشى ديان وغيره: أنبياؤنا علمونا كذا وكذا. ونحن نستحي حتى من كلمة الإسلام، يقال: الدين. أمَّا أن يقال: إسلام. فلا، يقال: المثل العليا، الجانب الروحي. فرارًا من كلمة الإسلام، والقوم يباهون بانتمائهم إلى التوراة وإلى اليهودية!

نحن للأسف وقفنا هذا الموقف؛ فكان مصيرنا ما نراه إلى اليوم: أنَّ قضية فلسطين لا زالت معلقة كما هي، قدَّم إخواننا الفلسطينيون الضحايا بعد الضحايا والشهداء بعد الشهداء، ولكن القضية لم يُدخل لها من بابها،

QaradawiBooks.com

القضية هي كما جاء في حديث البخاري ومسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا عبد الله أو يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله**»[1]. أي أنَّه دخل المعركة تحت راية الإسلام، وتحت شعار العبودية لله تعالى، فلا يقال له: يا قومي ولا يا بعثي، ولا يا سوري ولا يا أردني، ولا يا فلسطيني ولا يا مصري! إنَّما يُقال له: يا مسلم، يا عبد الله. هؤلاء هم أصحاب الأيدي المتوضئة، والقلوب الطاهرة المؤمنة، هم الذين يُرجى على يديهم إنقاذ فلسطين، فلا بدَّ أن ننظر هكذا إلى الأمر.

إعداد جيل النصر المنشود:

مهمة الصحوة الإسلامية إذن أن تعد جيل الإنقاذ، جيل النصر المنشود، لا بدَّ للصحوة الإسلامية أن تعمل على إعداد هذا الجيل، وقد بدأ هذا الجيل يظهر، ورأيناه في قلب فلسطين المحتلة من سنة (١٩٤٨م). والتي كان يُظن أن أبناءها قد ذابوا في المجتمع الإسرائيلي: وهم يحملون الجنسية الإسرائيلية، ويتعلمون في مدارس إسرائيل، ويسمعون إذاعة إسرائيل، ويشاهدون تليفزيون إسرائيل، يعيشون في قلب المجتمع الإسرائيلي، فكان يُظن أن يذوب هؤلاء تمامًا بعد مدة من الزمن، وأن يفنوا في هذا المجتمع، فإذا بالصحوة الإسلامية تدخل إلى قلوب هؤلاء وعقولهم، وإذا بالكتاب الإسلامي يروج عند هؤلاء، وإذا بالمساجد تمتلئ بهؤلاء، وإذا بالصهاينة يفاجؤون بهذا التيار العجيب، ويكتبون عنه محذرين، فالصحوة الإسلامية بدأت حتى في فلسطين، وهي إن شاء الله صاحبة الغد في المعركة المقبلة، التي يكون كل شيء فيها مع المسلمين، الحجر والشجر ينطق بلسان المقال، أو بلسان الحال يدل على اليهود.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا بدَّ من تربية الأبطال:

في وقت من الأوقات حينما دخلنا المعركة سنة (١٩٦٧م). وحينما كانوا يقولون في أناشيدهم: ومدفعنا يتحدى القدر! كان كل شيء ضدنا؛ حتى السلاح الذي في أيدينا، وحينما يُخذل الإنسان يُخذل حتى من السلاح في يديه، لا يكون معه، فالسلاح لا يقاتل وحده، السلاح يقاتل بالرجل الذي يحمله، باليد التي تستعمله، وهي إنَّما يحركها قلب مؤمن بهدف وراء حمل هذا السلاح، ولذلك قال المتنبي قديمًا:

وما تنفعُ الخيلُ الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوقَ الكرامِ كرامُ[1]

خيلٌ من غيرِ خيَّال، فرسٌ من غير فارِس؛ ماذا تفعل؟!

والطغرائي يقول في لاميته الشهيرة:

وعادةُ السيف أن يُزهى بجوهرِهِ وليسَ يعملُ إلا في يدَيْ بَطَلِ[2]

لا بدَّ من تربية الأبطال، إعداد أبطال الغد، هؤلاء هم المنشودون والمرجوون للوقوف أمام اليهود، إذا حمل اليهود التوراة حمل المسلمون أمامهم القرآن، وإذا اعتز الصهاينة بالتلمود اعتز المسلمون بالبخاري ومسلم، وإذا كانوا يحاربوننا باليهودية فنحن نحاربهم بالإسلام، إذا كانوا يقولون: الهيكل. فنحن نقول: المسجد الأقصى!

هؤلاء هم المرجوون لغد هذه القضية، فالصحوة الإسلامية هي المأمولة لقضية فلسطين، قضية الصهيونية العالمية، ولا يفل الحديد إلا الحديد، وحديدنا أقوى من حديدهم.

---

(١) ديوان المتنبي صـ٣٩٠.

(٢) انظر: ديوان الطغرائي صـ٣٠٧.

QaradawiBooks.com

الأزمة الأخلاقية للأُمَّة:

هناك بعد هذا كله قضية أساسية هي قضية الأخلاق في هذه الأمة، الواقع أنَّ جوهر أزمتنا هو جوهر أخلاقي، أنَّ هذه الأمة للأسف فسدت أخلاقها، الأخلاق التي ذمَّ الله بها الأمم قديمًا أصبحت للأسف أخلاقًا لهذه الأمة، الله ﷻ ذمَّ اليهود بأشياء معينة، ذمَّهم بالأنانية وأنَّهم بخلاء، وأنَّهم جبناء: أحرص الناس على حياة، يعبدون الذهب حتى عبدوا عجلًا ذهبيًّا، لكن هؤلاء اليهود الذين كانوا قديمًا يعبدون الذهب ويبخلون بالفلس: بذلوا الملايين، ولا زالوا يبذلونها من أجل إقامة دولتهم؛ فماذا بذل أغنياؤنا؟ وماذا بذل أصحاب الملايين والملايير في أمتنا؟ إننا نسمع عن أموال تُنفق بغير حساب، وتُبعثر ذات اليمين وذات الشمال، يقولون: في عرس واحد ينفق أحدهم مائة مليون دولار، مائتي مليون دولار، ثلاثمائة مليون دولار. هكذا سمعنا، حتى في قلب بلاد الخليج نفسها، الهوس غير المعقول، الإنفاق المجنون، وعندما تدعو هؤلاء الناس إلى البذل لا يبذلون!

في سنة (١٩٤٢م). أقام اليهود مؤتمرًا في شيكاغو، وطُلب عدة ملايين فبُذلت في ساعات، فاليهود يبذلون!

اليهود أحرص الناس على حياة أصبحوا يجندون أبناءهم، بل يجندون أيضًا بناتهم ويقاتلوننا، ونحن حينما هُزمنا في ٥ حزيران أو يونيو سنة (١٩٦٧م) ما سموه «النكسة» كان معظم الجيش اليهودي من البنات، وكانت الخيبة أن هُزم العرب أمام إسرائيل؛ وكانت تحكمها امرأة في ذلك الوقت: «جولدا مائير» رئيسة وزراء إسرائيل، كما هُزمت باكستان في عهد يحيى خان أمام الهند؛ وكانت تحكمها امرأة أيضًا، هي أنديرا غاندي، فاليهود الذين كانوا يوصفون بالجبن وأنَّهم أحرص الناس على حياة أصبحوا يقاتلون.

QaradawiBooks.com

تشتت المسلمين:

واليهود الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١١]. أصبح هذا حالنا للأسف، أي شتات أكبر مما فيه هذه الأُمَّة؟ متمزقة فكريًّا، ومتمزقة سياسيًّا، ومتمزقة عسكريًّا، ومتمزقة من كل النواحي، وتجد للأسف من الناس من يفلسف هذا، يقول لك: التعددية! يتجه هذا لليمين، وهذا لليسار، وهذا للشرق، وهذا للغرب؛ كيف تجتمع هذه الأُمَّة إذا تعددت قبلاتها، وتعددت ولاءاتها، وتعددت رؤاها، فأصبح هذا من أهل اليمين، وهذا من أهل اليسار، وهذا موالٍ للمشرق، وهذا موالٍ للمغرب؟!

الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وحدة المنهج بعد وحدة العقيدة أمر مهم لجمع شتات الأُمَّة، وقد جاء في حديث ابن مسعود: خطَّ لنا رسول الله خطًّا، وقال: «**هذا سبيل الله مستقيمًا**». ثم خط عن يمين هذا الخط وشماله خطوطًا متعرجة ملتوية وقال: «**هذه سُبل، على رأس كل منها شيطان يدعو إليه**». ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][1]. هذا هو شأن هذه الأُمَّة.

---

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٢٣٩/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

تحقق أخلاق اليهود في الأُمَّة:

وصف الله اليهود بأنَّهم يأكلون الربا، ويأكلون أموال الناس بالباطل فقال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١]. صار الربا في كل البلاد الإسلامية، حتى البنوك الإسلامية ـ التي قامت تحاول أن تقيم أمرها على أساس من الإسلام ـ تلاقي حملات من كل جانب للتشويش عليها؛ مع أنَّها تريد أن تنقذ الناس، من أن يأذنوا بحرب من الله ورسوله!

وصف الله اليهود بأنَّهم قتلة: ﴿يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١]. والآن نرى للأسف الدعاة إلى الله يُقتلون ويُعدمون ويُشنقون، ولا يتحدث أحد عنهم، ولا يُدافع أحد عنهم، لو أنَّ يهوديًّا في أي مكان من العالم أصيب بأي شيء لوجدت ضجة لا نهاية لها، ووجدت الإعلام ووكالات الأنباء في العالم تُطيِّر النبأ في الآفاق، وتعليقات وأحاديث لا تنتهي! ولكن دم الدعاة الإسلاميين هو أرخص الدماء، لا نجد من يدافع عنه، فيتم التعتيم على هذه الأمور!

كما ذمَّ الله اليهود بأنَّهم: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]. وهذا ما يحدث في بلادنا الإسلامية، لا يؤتمر بالمعروف، ولا يُتناهى عن المنكر، بل نجد من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف؛ كما جاء في الحديث: «**كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟**» قالوا: أو ذلك كائن يا رسول الله؟ قال: «**نعم وأشد منه سيكون**». قالوا: وما أشد منه؟ قال:

QaradawiBooks.com

«**كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا؟**» قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال: «**نعم والذي نفسي بيده، وأشد منه سيكون**». قالوا: وما أشد منه؟ قال: «**كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف؟**»[1]. هذا ما يحدث.

تصوروا أنَّ في بعض البلاد الإسلامية تُغلق المساجد: في المدارس والجامعات، والمصانع وهذه الأماكن، وتُعتبر جريمة أن تُقام مساجد أو مصليات، وتُمنع الفتاة المسلمة أن ترتدي الحجاب، وهي تعتبره فريضة من الله عليها، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، ليس النقاب، بل هذا الحجاب.. من تفعله تعتبر مجرمة مخالفة للقانون، وتُقاد إلى السجن وتُعاقَب، هذا ما يحدث في بلادنا الإسلامية للأسف.

ومن أخلاق اليهود قسوة القلب كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، هذا ما نراه للأسف في بلادنا الإسلامية.

نجد التسيب والإهمال في الأمور: المال العام أصبح مستباحًا، مع أنَّ فقهاء الإسلام شدَّدوا في ثلاثة أموال: مال اليتيم، ومال الوقف، والمال العام. أصبح الإهمال وعدم الإتقان في شيء، للأسف لا يمكن أن نتصور لهذه الأمة مستقبلًا ماديًّا أو تكنولوجيًّا؛ وهي لم تتعلم الإتقان والإحسان، الذي كتبه الله على كل شيء فريضة، «**إنَّ الله كتب الإحسان**

(١) رواه ابن أبي الدنيا (٣٢)، وعبد الغني المقدسي (٥٦)، كلاهما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال العراقي في تخريج الإحياء صـ٧٨٤: إسناده ضعيف. عن أبي أمامة الباهلي.

QaradawiBooks.com

على كل شيء»، «إنَّ الله يحب من أحدكم إذا عمل عملًا أنْ يتقنه»، للأسف نجد هذا الإهمال في بلادنا الإسلامية.

العمل نفسه أصبح عزيزًا، الإنسان الذي يعمل ويحلل لقمته كما يقولون، يأخذ راتبًا ويعمل مقابل هذا ويتعب، لا نرى في البلاد الإسلامية من يعمل ويتعب ويكدح إلا القليل.

عملوا في مصر إحصاءً وقالوا: إنَّ متوسط مدة إنتاج العامل في مصر سبع وعشرون دقيقة في اليوم! أين بقية الزمن؟ أين يضيع؟!

كنت في ألمانيا من عدة أشهر مع أحد الإخوة، فقلت له: لماذا لا أرى الناس في الشوارع؟ قال: ولماذا ترى الناس في الشوارع؟! الناس في أعمالهم. ولما كانت الساعة السادسة مساء قلت: ألم يرجع الناس من أعمالهم؟ أين هم؟ قال: هم في بيوتهم الآن، هم يعودون مهدودين مكدودين من العمل طوال النهار ـ فترتين: صباحية، ومسائية ـ فيريدون أن يستريحوا، يتناول أحدهم العشاء مع أولاده، ثم يجلس فترة من الزمن، ثم ينام ليصبح من جديد يستأنف الدورة.

أنظر إلى بلاد المسلمين فأجد الشوارع مكتظة ليلًا ونهارًا، هل هؤلاء الناس لا عمل لهم؟ الناس يتعبون إلا في بلادنا، الذين استطاعوا أن يغزوا الفضاء، ويحطموا الذرة، ويصنعوا الكمبيوتر والإنسان الآلي، ويفكروا في هندسة الوراثة، إلى آخر ما يعملون، ونحن لا نريد أن نعمل!

بناء إنسان العقيدة:

هنا مهمة الصحوة الإسلامية أن تبني الإنسان، الإنسان في داخل أوطاننا خُرِّب للأسف، خربته الأنظمة الحاكمة، وخربته الثقافات المستوردة، وخربته القيم الوافدة، وخربته تقاليد شتى؛ فأصبح إنسانًا مفرغًا

QaradawiBooks.com

من المعاني الأصيلة، ومن القيم الحافزة، ومن العقيدة المحرّكة، نحن نعرف أنَّ الإنسان عندنا لا تحرِّكه إلا العقيدة، خاطب الأمة باسم العقيدة، خاطبهم باسم الله تستطيع أن تصنع بهم الأعاجيب، وهذا ما قاله هؤلاء.

حينما قامت معركة العاشر من رمضان التي يسمونها معركة السادس من أكتوبر، مع أنَّ المفروض أن تظل مرتبطة برمضان، فقد كان لنفحات رمضان تأثيرها، كتبت الصحف الغربية عن معركة العاشر من رمضان أنَّ العرب بدؤوا يعودون من جديد، وأنَّهم لا ينقصهم إلا قائد يخاطبهم باسم الله؛ فيستطيع أن يخوض بهم لجج البحار ويقتحم بهم قمم الجبال!

إذا قلت: الله أكبر. صنعت بالناس العجب، إذا رفعت المصحف جرى الناس وراءك، وبذلوا المرتخص والغالي، ولكن إذا عزفت على نغمة الاشتراكية والقومية وهذه الأشياء، كما عزف عازفون من قبل، ماذا صنعوا؟! ما صنعوا شيئًا، لم ينتجوا إلا النكسات و«الوكسات» التي رأيناها.

العقيدة هي التي تستطيع أن تخلق الإنسان من جديد كما صنع النبي ﷺ، ماذا صنع بالعرب؟ إنَّه صب في عروقهم هذه العقيدة: عقيدة التوحيد، والإيمان بالآخرة، والإيمان بالقدر، وأنَّه لن يصيبك شيء إلا ما كتبه الله لك، ولن يضرك شيء إلا ما كتبه الله عليك.

الإيمان يصنع المعجزات:

هذه العقيدة هي التي نحتاجها، وهي الجديرة بأن تُصحِّح سلوك الإنسان، وأنْ توجِّهه وجهة جديدة، الإنسان الذي كان في الجاهلية يشرب الخمر، ويلعب الميسر، ويئد البنات، ويرتكب الموبقات: هو نفسه الذي صار بعد ذلك صحابيًّا، وأصبح إنسانًا آخر، أُنشئ خلقًا آخر، تغير حينما لمست أوتاره نفحة الإيمان، وخالطت قلبه بشاشة الإيمان،

QaradawiBooks.com

نحن في الحقيقة في حاجة إلى هذا! وهذه مهمة الصحوة الإسلامية، مهمة الصحوة الإسلامية لكي تغير مستقبل هذه الأُمَّة أنَّها تضرب على هذا الوتر، تصحح العقيدة لتبني الإنسان من جديد، وتصلح ما أفسده الآخرون من قبل، وتُعمِّر ما خرَّبه الطغاة والمستبدون، والاستعمار وعصور التخلف، لا بدَّ من بناء الإنسان من جديد، فهذا هو الإنسان الذي يستطيع أن يعمل فيتقن، هو الذي يستطيع أن يفكر فيحسن التفكير، التفكير الاستقلالي، لا يكون مجرد مقلد، أسطوانة تُعبَّأ فتمتلئ، وما يُقال لها تقوله، أو ترس يُحرَّك فيتحرك في ماكينة كبيرة، لا، بل هو إنسان يفكر، نريد بناء الإنسان الواعي، هذا ما ينبغي أن توجه إليه الصحوة جهودها.

صناعة التكنولوجيا لا استيرادها:

وهذا الإنسان هو الذي سيصنع التكنولوجيا، ويصنع التقدم، كان بعض الناس في وقت من الأوقات يقولون: وما التكنولوجيا؟ إننا نستطيع بأموالنا أن نشتري التكنولوجيا! وهذا ليس بصحيح، التكنولوجيا لا تُشترى ولا تُنقل، لأن التكنولوجيا تُصبغ بصبغة البلد والمجتمع الذي تعمل فيه بصيغة ما.

ولذلك أهم من التكنولوجيا صناعة الفكر، إعداد الفكر التكنولوجي، فليس المهم أن نشتري ماكينات، ثم حين تخرب لا نستطيع إصلاحها كما حدث في بعض بلاد الخليج، حيث وقفت محطة كهربائية؛ فتوقفت الكهرباء عن البيوت والمصانع في منطقة كبيرة، حتى جاء الخبير الأجنبي فأصلح هذا الفساد، فنحن نريد الإنسان الذي يصنع التكنولوجيا ويديرها، ويصلحها إذا فسدت، ويحركها إذا توقفت، هذا ما نريده.

QaradawiBooks.com

ولذلك يجب أن نشغل أنفسنا بإيجاد هذا الإنسان، للأسف بعض الشباب يمكن أن يكون في كلية هندسة، أو كلية تكنولوجيا؛ فيترك كليته ويقول: أريد أن أدرس الشريعة. لماذا؟! تعبَّد إلى الله تبارك وتعالى بإتقان عملك هذا، سُدَّ ثُغرة من ثُغرات الإسلام، لبِّ حاجة من حاجات المسلمين، هذا فرض كفاية إذا لم يقم به عدد كافٍ أثمت الأُمَّة كلها، فأنت ترفع الإثم عن الأُمَّة.

لماذا يريد الناس كلهم أن يعملوا في التعليم الديني والدعوة، وأحيانًا يخشى الإنسان أن يكون فيها شيء من حب الجاه أو الظهور أو الرياء، وهذه آفة العمل في الدعوة وفي الأعمال التي يواجه فيها الإنسان الجماهير، الإنسان في حاجة أن يفتش في نفسه ألف مرة: هل جاء يتحدث أمامكم لوجه الله أم لوجوهكم أنتم؟ هذا أمر خطير جدًّا! لماذا تترك مكانك ليحتله نصراني أو شيوعي أو بعثي أو لاديني؟!

قضايا الأُمَّة الكبرى:

الصحوة الإسلامية في مستقبلها يجب أن توجه إلى هذه الناحية حتى لا تتهم بأنها مشغولة بالأمور الخلافية والأمور الشكلية، لا، إنَّها ينبغي أن تهتم بمستقبل الأمة، وهذا ما نراه والحمد لله في كثير من الواعين من أبناء هذه الصحوة، إنهم يفكرون في مستقبل أُمَّتهم، ويعلمون أنَّ القوى العالمية المعادية لها بالمرصاد، وأنَّها تختلف فيما بينها وتتفق عليها، وأن الكفر كما قال فقهاؤنا ملة واحدة، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الجاثية: ١٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣].

يجب على أبناء الصحوة أن يفكروا في أمتهم، ويفكروا في القضايا الكبرى التي تتصل بوجود الأُمَّة وبمصيرها، وبوجود الإسلام وبقائه

QaradawiBooks.com

فيها، للأسف كثيرًا ما زرت بعض البلاد؛ فوجدت خلافات في أمور شتى، وهناك الأُمَّة تُقتلع من جذورها، ذهبت إلى ماليزيا؛ فوجدت المسلمين منشغلين في قضايا وخلافات بينهم.. والصينيون يبتلعون البلد، ويبتلعون اقتصادها، في كوالالمبور أكثر من خمسة وثمانين في المائة (٨٥٪) من المؤسسات الاقتصادية يملكها الصينيون، وهم عنصر وافد على هذه البلاد التي تسمى بلاد الملايو، وكانت بلادًا إسلامية في أساسها فجاء هذا العنصر الوافد، وبدأ يستولي على المراكز الحساسة في البلد، والمسلمون مشغولون بالزراعة، يزرعون الأرز، وهؤلاء مشغولون بالزراعة والصناعة، والتجارة والفنادق والبنوك، وحتى الزراعة المسلمون يزرعون الأرز والصينيون يشترونه ويبيعونه، وبعد فترة أصبح الصينيون أغلبية، وفي وقت من الأوقات لم تكن جنسيتهم ماليزية، وإنَّما أعطوها بعد عشرين سنة تقريبًا، فأصبحوا الآن ماليزيين، وهم يكونون أغلبية عددية وقوة اقتصادية، والمسلمون بخلافاتهم، وهذا ما أراه في كثير من البلاد!

ولذلك مهمة الدعاة والمفكرين والمصلحين أن يوعوا أبناء الصحوة بهذه الأمور الخطيرة التي تتعلق بكيان أمتنا الإسلامية، وتتعلق بوجودها، وتتعلق بمصيرها، يجب أن نوعي أبناء الصحوة بهذا، وأعتقد أنَّهم والحمد لله واعون بهذا الأمر، لم يعد خافيًا عليهم المكايد التي تُبيَّت لهذه الأمة من أعدائها.

أنا في الحقيقة لست من الذين يريدون دائمًا أن يتحدثوا عن المكايد الخارجية وينسوا الجوانب الداخلية، إنَّما أردت أن أنبه على هذه المكايد؛ حتى نصلح أنفسنا من الداخل، فإننا إذا أصلحنا أنفسنا من الداخل استطعنا أن نرد سهام هؤلاء المسمومة إلى نحورهم، وأن

QaradawiBooks.com

نرد كيدهم إلى صدورهم، ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، يجب أن نهتم بأنفسنا، وأن نغير ما بأنفسنا ليغير الله تعالى ما بنا.

مقومات النصر والنجاح:

المعركة طويلة بيننا وبين أعدائنا، ولكن عندنا مقومات النصر، ومقومات النجاح، والأمل في المستقبل كبير، نحن أصحاب الحق الذي لا باطل معه، نحن ندعو إلى الإسلام الخالد، الإسلام الذي لا علاج غيره لمشكلات هذه الأُمَّة، هو الحل الوحيد لمشكلاتها، وقد جربنا من قبل حلولًا مستوردة من الشرق والغرب؛ فلم نجنِ من ورائها إلا التخلف والهزيمة والضياع، لم يبقَ إلا الإسلام حلًّا لمشكلات هذه الأمة، ودواء لأمراضها، وإنقاذًا لحاضرها ومستقبلها، وضمانًا لنهضتها وريادتها، ورحمة للناس أجمعين، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٨

من فقه الصحوة الإسلامية[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزَّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقَّق المقاصد والغايات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، وقائد الخلْقِ إلى الحق، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيها الإخوة الأحبة تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إنَّني لأشعر بسعادة غامرة حينما أرى هذه الوجوه الشابة، وأحمد الله أن أصبح شباب الأمة يؤمُّون المساجد، ويقرؤون القرآن، ويستمعون إلى

(١) ألقيت في ندوة مجلة التبيان، بدعوة من الجمعية الشرعية بالقاهرة، بتاريخ ٣٠ ديسمبر ٢٠١٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مواعظ العلماء، هذا مما تنشرح به صدورنا، وتبتسم له ثغورنا، وتطمئن به قلوبنا، فالأمة بخير، وإلى خير إن شاء الله.

أنظر أمامي في هذا المسجد فأرى تسعة وتسعين في المائة من الحاضرين شبابًا، ونحن إذا رأينا مثل هذه الوجوه النَّضِرة لهذه الأسنان، يأوون في هذا العمر إلى المساجد، لا إلى المقاهي، ولا إلى السينمات، ولا إلى بيوت اللهو الحرام، فإننا نحمد الله تبارك وتعالى.

ونسأل الله ﷻ أن يوفِّق العلماء العاملين، ويوفِّق رجال الجمعية الشرعيَّة، ورجال الجمعيات الخيرية الإسلامية، الذين يعملون على هداية الشباب إلى نور الإسلام، نسأله تعالى أن يوفِّق الجميع إلى ما يحب ويرضى، وأن يجزيهم عنا خير ما يجزي به الأئمة العاملين، والعلماء الصادقين.

حديثي إليكم أيها الإخوة حول هذا العنوان الذي تقرؤونه: (الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد)، وهذا عنوان كتاب لي، وقد ذكرنا فيه عشرة محاور، وليس معقولًا أن أحدثكم عنها جميعًا في هذا الوقت المحدود، وإنَّما يمكن أن أحدثكم عن اثنين منها إن شاء الله.

معنى الصحوة الإسلامية:

الصحوة الإسلامية تعبير عن حالة المسلمين التي قد نعبِّر عنها أحيانًا باليقظة الإسلامية، أو بالبعث الإسلامي، أو الإحياء الإسلامي، أو الوعي الإسلامي، أو بالصحوة الإسلامية.

الصحوة تعني انبعاثًا وحركة ويقظة للعقل بعد أن غاب، وغياب العقل إما أن يكون بالنوم أو التنويم، واحد ينام أو يُنوَّم ثم يصحو،

QaradawiBooks.com

أو يغيب بالسُّكْر أو الإسكار، إما أن يسْكر هو أو يُسكره غيره، وأمتنا سكرت أو نامت مدة طويلة من الزمن، ربما استغرقت قرونًا في بعض الأحيان.

غير مرخصة للطباعة

الصحوة جزء من حركة التجديد:

ولكن الله ﷻ يُهيئ لهذه الأمة دائمًا مَنْ يُوقظها من سباتها، ومَنْ يحييها من مواتها، ومن يجمعها من شتاتها، هذا صُنْع الله لهذه الأمة، يبعث لها على رأس كل مائة سنة مَنْ يجدد لها دينها، كما في حديث النبي ﷺ، يرسل لها كل مائة سنة مَنْ يجدد الدين.

قد يكون هذا المجدد فردًا، أو يكون جماعة، أو مدرسة، أو حركة، أو جماعات، أو مدارس، لأن كلمة (مَنْ) في الحديث تشمل الفرد، وتشمل الجماعة، والقرآن يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠]. فلفظ (مَنْ) في الآية يشمل الأفراد، ويشمل الجماعات، فالله ﷻ يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها، كما روى الإمام أبو داود في سننه، والحاكم في مستدركه، وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَنْ يجدد لها دينها**»[1].

وخلال المائة سنة يرسل الله ﷻ أناسًا يحملون العلم النبوي، العلم الذي يُوقظ العقول، ويحرِّك القلوب، وينبه الرؤوس، ويحرك العزائم، كما جاء في الحديث الذي رواه البيهقي وغيره، وقوَّاه ابن القَيِّم:

(١) سبق تخريجه صـ٦٥.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

«**يحملُ هذا العلمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدولُه، ينفــون عنه تحريف الغالين، وانتحال المُبطلين، وتأويل الجاهلين**»[١].

هكذا لا يُتــرك المســلمون دون مَــنْ يحرِّكهــم؛ لأن المســلمين لا يجتمعون على ضلالة، هذه الأمة معصومــة في مجموعها أن تجتمع على ضلالة، «**إنَّ الله لا يجمع أُمَّتي على ضلالة**»[٢]، بل دائمًا يوجد فيها مَنْ يقوم لله بالحجة، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعــام: ٨٩]، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، كان من قوم موســى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون، ولكن هذه الآية عن أمة محمد ﷺ، ولذلك قال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: إنَّ الأرض لا تخلو من قائم لله بالحجة[٣]. لا بد أن يكون هناك من العلماء، ومــن الدعاة، مَنْ يقوم لله بالحجة على الناس، بما عنده من كتاب الله، ومن ســنة رسول الله، ومن البينات على ما يقول.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٥.

(٢) رواه الترمذي من حديث ابن عمر فــي الفتن (٢١٦٧)، وقال: حديث غريــب من هذا الوجه. وضعفه النووي في شرح مسلم (٦٧/١٣)، ورواه الحاكم في العلم (١١٥/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧/٣)، وقال: غريب من حديث سليمان، عن عبد الله بن دينار، لم نكتبه إلا من هذا الوجه. وقال المناوي في فيض القديــر (١٨١٨): قال ابن حجر رحمه الله في تخريــج المختصر: حديث غريب خرجه أبو نعيم في الحلية واللالكائي في السنة، ورجاله رجال الصحيح؛ لكنَّه معلول، فقد قال الحاكم: لو كان محفوظًا حكمت بصحته على شرط الصحيح، لكن اختلف فيه على معتمر بن سليمان على سبعة أقوال، فذكرها، وذلك مقتضى للاضطراب. والمضطرب من أقسام الضعيف. وقال السخاوي في المقاصد صـ٧١٦: بالجملة فهو حديث مشهور المتن، ذو أسانيد كثيرة، وشواهد متعددة في المرفوع وغيره. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٨).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٧٩/١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٨٢/١)، وقال الخطيب: هذا الحديث من أحســن الأحاديث معنًى وأشرفها لفظًا. كما شــرحه ابن القيم شرحًا وافيًا في مفتاح دار السعادة (٣٤٨/١) وما بعدها، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.

QaradawiBooks.com

ولذلك نقول: إنَّ الصحوة الإسلامية كانت نعمة من الله تبارك وتعالى على هذه الأمة، التي رصد لها الراصدون في بلاد الغرب ما يحاولون به القضاء عليها، نقول: في بلاد الغرب؛ لأننا ـ نحن المسلمين ـ في وقت من الأوقات كنا سادة العالم، كان الغرب والشرق تحت أيدينا، ثم دار الزمن دورته، وأصبح الذين كانوا يملكون الشرق والغرب مملوكين للشرق والغرب.

مقاومة الحملات الصليبية:

لقد مرَّت علينا أدوار من التاريخ، وأنتم تعرفون أن تسع حملات صليبية جاءت إلى بلاد الشرق؛ تحاول أن تحتل هذه الديار، وتسخرها لخدمة الغرب، وظلت أكثر من مائتي سنة في بلاد الشام: فلسطين وما حولها، وحاولت أن تأتي إلى مصر وتحتلها، ولكن الله تعالى هيَّأ للمسلمين رجالًا انتصروا على الغرب، وطردوا هؤلاء الصليبيين، وإذا لم يكن هؤلاء من العرب؛ فقد عرَّبهم الإسلام، إن كان أصلهم أتراكًا أو أكرادًا، أول من قام بهذا عماد الدين زنكي، وكان كرديًّا، قام هناك في حلب، ثم جاء ابنه نور الدين محمود الشهيد، وكان يُشبَّه بالخلفاء الراشدين، في عدله وشجاعته، وزهده وحسن سيرته، وحبه للشهادة، حتى سمَّوْه (الشهيد)، مع أنَّه لم يستشهد.

ثم جاء تلميذه الكردي صلاح الدين الأيوبي، الذي هيَّأ الله له النصر على الصليبيين في معركة حطين، فقاد المصريين، ومعهم أهل الشام، وانتصر على الصليبيين، وأكمل مَنْ بعده المشوار.

مقاومة التتار:

وفي الوقت الذي هجم فيه الصليبيون على الأمة من الغرب، جاء التتار ليهجموا عليها من الشرق، وكان بينهما نوع من الصلة

QaradawiBooks.com

الخفية، كشف عنها التاريخ فيما بعد، فاجتمع الوثنيون والصليبيون على المسلمين.

ولكن الله هيَّأ للمسلمين أيضًا مَنْ نصرهم على التتار بقيادة مصرية، وهو المظفَّر سيف الدين قطز، الذي قاد المصريين في المعركة الإسلامية الكبيرة الحاسمة، من معارك التاريخ المعروفة: معركة عين جالوت، سميت باسم قرية في فلسطين، في ٢٥ من رمضان سنة ٦٥٨هـ. أي بعد مرور سنتين من هجوم التتار: انتصر المسلمون انتصارًا حاسمًا عليهم في تلك المعركة.

وأراد بعض القادة في ذلك اليوم أن يبدؤوا المعركة قبل الصلاة، فقال لهم قطز: انتظروا حتى يصلي المسلمون في مساجدهم، ويدعو لنا الأئمة أن ينصر الله رجال المسلمين المجاهدين المقاتلين، فلا بد أن يكون بينهم مَنْ يُستجاب دعاؤه.

وبعد الصلاة بدؤوا المعركة، وفي أول المعركة انهزم المسلمون، وقد كان يقال حينذاك: إذا قيل لك إنَّ التتار انهزموا فلا تصدق. نفس الأسطورة التي تُقال الآن أنَّ إسرائيل لا تُهزم، فالمسلمون دخلوا المعركة وقلوبهم خائفة من هؤلاء، فانهزموا في أول الأمر، ولكن المظفَّر سيف الدين قطز، هذا الرجل قائم الليل، صائم النهار، كان يلبس خوذة من النحاس فوق رأسه، فخلعها ورمى بها، وصاح صيحته الشهيرة: وا إسلاماه، وا إسلاماه، وا إسلاماه. فعاد الفارُّ، وثبت المتردد، وتشجَّع الخائف، وعاودوا الكرَّة كأنهم أسود يهجمون على هؤلاء التتار؛ حتى نصرهم الله نصرًا عزيزًا، ولم تقم للتتار قائمة بعد هذه المعركة أبدًا.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

وقد انتصرنا على التتار انتصارين: انتصارًا عسكريًّا تجلى في هذه المعركة، ثم انتصارًا معنويًّا تجلى في اختيارهم الإسلام بديلًا لما كانوا عليه من الوثنية، انتصر الإسلام على الصليبيين وعلى التتار، وعدنا أقوياء وأغنياء وأثرياء ومتحدين.

ثم كان ما كان من تفرق، وبُعْدٍ عن الإسلام الحقيقي، وسوء فهم لهذا الدين العظيم، حتى عاد الغرب المستعمر مرة أخرى إلى بلادنا العربية والإسلامية فاحتلها وحكَمَها كلها ـ ما عدا اليمن والسعودية ـ حتى إندونيسيا أكبر بلد إسلامي اليوم كان يحكمها الهولنديون الذين كانوا خمسة ملايين استطاعوا أن يحكموا خمسين مليونًا في ذلك الوقت، ثم هيَّأ الله لهذه البلاد أن تنتصر على الاستعمار، وتعود إلى الحرية والسيادة مرة أخرى، وقامت الصحوة الإسلامية.

عصر الصحوة الإسلامية:

نحن الآن في عصر الصحوة الإسلامية، هذا العصر الذي كانت له ثمرات عظيمة في بلادنا الإسلامية، فقد عرفت الأمة الإسلامية أنَّها خُلقت لتكون رأسًا لا ذنَبًا، لتسود في الأرض لا لتُساد، لتقُود لا لتُقاد، أمة ملَّكها الله هذه الدنيا، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، أخرجها الله، لم تخرج من نفسها، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهي أمة مجعولة، فهي نبات رباني، ليست نباتًا شيطانيًّا كما يقولون.

قامت صحوة إسلامية في العالم الإسلاميّ كله، فمن مزايا الصحوة الإسلامية أنَّها صحوة عالمية، ليست صحوة مصرية، أو شامية، أو عراقية، أو مغربية، هي صحوة للعرب، وصحوة للمسلمين، من

QaradawiBooks.com

إندونيسيا إلى موريتانيا، إلى أعماق أفريقيا، إلى أعماق آسيا، كانت صحوة عالمية عامة.

لقيام هذه الصحوة مظاهر حيوية، ذكرتها في كتابي في عشرة عناصر أساسية، أكتفي بأن أتحدث عن العنصرين الأوليين منها.

أولا: من الشكل والمظهر إلى الحقيقة والجوهر:

العنصر الأول: أن هذه الصحوة تفهم الإسلام فهمًا جديدًا؛ بحيث تنقل المسلمين من الشكل والمظهر إلى الحقيقة والجوهر، فهناك أناس إذا تحدثوا عن الإسلام يتحدثون عن المظاهر ولا يتحدثون عن الجوهر، مع أنَّ الإسلام له حقيقة وجوهر.

غير مرخصة للطباعة

في الصلاة:

ليس المهم فقط أن تقيم الصلاة بشكلها وهيئتها وعدد ركعاتها، وأن تؤديها بجسمك فقط؛ بل المهم مع ذلك أن تؤديها بقلبك، حينما مدح القرآن المؤمنين قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]. لم يقل: الذين هم للصلاة فاعلون. ففعل الصلاة وحده لا يكفي؛ بل لا بد مع ذلك من حضور القلب ويقظته وخشوعه، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥].

في الصيام:

وليس ذلك في الصلاة وحدها، بل في كل العبادات، ففي الصيام يقول النبي ﷺ: «**رُبَّ صائمٍ حظُّه من صيامه الجوع والعطش**»[1]. فالصيام

(١) رواه ابن خزيمة (١٩٩٧)، والحاكم (٤٣١/١)، كلاهما في الصيام، وصحَّحه الحاكم على شرط البخاري، ووافقه الذهبي. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أن تصوم عن اللغو وعن الرفث، والقرآن يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فكل العبادات مطلوب فيها عمل القلب.

في قراءة القرآن:

ولذلك نحن نريد أن يكون الإسلام حيًّا في حياة المسلم، يمكن أن تقرأ القرآن كاملًا ولا يحضر قلبك ولا عقلك، تقرأه بلسانك فقط، ويغيب قلبك عن معانيه، فلا تتأثر بآياته، تقرأ أوصاف الجنة ولا تشتاق إليها، وتقرأ أوصاف النار ولا تتأثر، أحيانًا يقرأ القارئ في المآتم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢]. فيصيح بعض المستمعين معجبًا طربًا! كأنه لم يفهم ما تعنيه الآيات!

لا بد إذنْ أن تكون العقول حاضرة، والقلوب حيَّة مع القرآن الكريم، هكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم. رأى سيدنا أبو بكر جماعة دخلوا في الإسلام جديدًا يبكون وهم يقرؤون قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]. فقال: هكذا كنا حتى قست القلوب[1]. كانت قلوبنا حيَّة، فنبكي حينما نقرأ القرآن، كهؤلاء الجُدد الذين يتأثرون به.

تغيير ما بالنفس:

نحن نريد من المسلمين في عصر الصحوة أن يمثِّلوا الإسلام بجوهره وحقيقته، لا بشكله ومظهره، فما أكثر الشكل والمظهر، ولكنَّه لا يصنع

(١) سبق تخريجه صـ١٥١.

QaradawiBooks.com

أمة، الذي يصنع الأمة هو الحياة الحقيقية بالإسلام، ما الذي فعله الإسلام بالصحابة، لقد كانوا من قبل يعيشون في الجاهلية كما يقول القائل:

وأحيانًا على بكرٍ أخينا إذا لم نجدْ إلا أخانا[1]

يقتل بعضهم بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا، ثم جاء الإسلام فغيَّرهم من الداخل، فالتغيير الأهم هو التغيير من الداخل، لا من الخارج.

إذا كان الماركسيون يقولون: غيِّرْ علاقات الإنتاج والاقتصاد يتغيَّرْ التاريخ. فنحن نقول: غيِّرْ نفسك يتغيَّرْ التاريخ، أو على حد تعبير القرآن: غيِّرْ ما بنفسك يتغيَّرْ التاريخ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، كيف يُغيِّرُ الله الأمم، ويغيِّرُ المجتمعات الجاهلية إلى مجتمعات إسلامية؟ بتغيير الأنفس، فإذا تغير ما بالنفس تغيرت الأفكار، وتغيرت العواطف، وتغيرت العلاقات.

التحرر من الوثنية والخبائث:

إنَّ النفس التي كانت تعيش من أجل الخمر حتى سموها أسماء كثيرة وتغزلوا فيها، جاء الإسلام وجعلهم يتركونها، ويهرقونها بأنفسهم في الشوارع، حينما ناداهم الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]. فقالوا: انتهينا يا رب[2].

---

(١) البيت للقطامي عُمَيْر التغلبي، انظر: ديوان الحماسة لأبي تمام (٢٠٣/١)، تحقيق عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) رواه أحمد (٣٧٨)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأشربة (٣٦٧٠)، والترمذي في التفسير (٣٠٤٩)، والنسائي في الأشربة (٥٥٤٠)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

كان سيدنا عمر بن الخطاب يعبد الأصنام من قبل كغيره، فلما أسلم وجاء عند الحجر الأسود قال له مخاطبًا: أيها الحجر؛ إنِّي أقبِّلُك وأنا أعلم أنك حجر لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلُك ما قبَّلتُك[1].

هكذا غيَّر الإسلام الناس وحررهم من الوثنية والصنمية، كانوا يصنعون أصنامهم من الحلوى ويصطحبونها في أسفارهم، فإذا جاعوا أكلوها، أيُّ إلٰه هذا؟! ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۞ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣ ـ ٧٤].

بركة القرآن والسنة:

نريد من الأمة الإسلامية في عصر الصحوة أن تتعلم أن بركة القرآن ليست في تعليق آياته على الجدران، أو لبسها تبركًا بها، لا؛ بل بركة القرآن في اتباعه، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وكذلك بركة السُّنَّة في اتباع محمد ﷺ، هكذا علمنا الإسلام، فالعنصر الأول من عناصر حياة الصحوة الإسلامية، لكي تكون صحوة حقيقية، تنهض بالأمة وتحركها، وتجعلها أمة مجاهدة، تحتشد بالملايين إذا اعتدى عليها معتدٍ؛ لتدافع عن دينها وعن أرضها وعن عرضها، لا تبخل بنفس ولا تبخل بنفيس، ولا تضن بالغالي ولا بالرخيص، لكي تكون كذلك لا بد أن تكون صحوة حقيقية، شغلت الكيان الإنساني كله، وغيرت الإنسان من رأسه إلى قدمه، فأصبح يعمل لله والدار الآخرة، ولا ينسى نصيبه من الدنيا، فالدنيا قنطرة يعبرها إلى الآخرة.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠)، كلاهما في الحج.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذا ما جاء به الإسلام، فنحن نريد المسلم أن يغير ذاته تغييرًا حقيقيًّا، وليس فقط تغييرًا شكليًّا، فالشكل والمظهر ليس كافيًا، فالأساس هو تغيير الجوهر، هذا هو العنصر الأول باختصار، تجدون الإفاضة فيه في كتابي الذي أشرت إليه، فأنا هنا أذكر ما علق بالذاكرة منه.

ثانيًا: من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل:

والعنصر الثاني من عناصر الصحوة الإسلامية: أنَّها تنقل المسلمين الذين تأثروا بها، من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل، فهناك أناس كل ما يعرفونه من الإسلام كثرة الكلام، وكثرة المجادلة، وليس هذا هو الإسلام الحقيقي.

هناك أناس يجادلون، وأكثر ما يكون جدالهم بالباطل، أو جدالًا لا قيمة له، نسميه الجدل العقيم، أو الجدل البيزنطي، كان البيزنطيّون يتجادلون عندما دخل المسلمون عليهم، في أيهم خُلِق أولًا: الدجاجة، أم البيضة؟ هذا هو الجدل البيزنطي، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨ ـ ٩]، فهذا الجدل لا نريده، كما قال بعض السلف: «إذا أراد الله بقوم سوءًا رزقهم الجدل، ومنعهم العمل»[(١)]. حَرَمهم العمل. وقال النبيُّ ﷺ: «**ما ضلَّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه إلَّا أُوتوا الجدل**»[(٢)]. فهؤلاء أناس مُغرمون بالجدل، وليس هذا شأن المسلمين، والصحابة لم يكونوا مجادلين.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠١/٣٥)، عن الأوزاعي، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٢٢.

QaradawiBooks.com

والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]. وهذا الجدل من شأن الإنسان غير المؤمن.

أمَّا المؤمن فهو يعمل، الإسلام يريد المؤمن العامل، وجاء يدعونا إلى العمل، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، يطلب منا أن نعمل، فعلى الرجل أن يعمل، وعلى المرأة أن تعمل، والشاب والشيخ، وكل قادر على العمل يجب أن يعمل، ومن لا يقدر على العمل يساعده غيره، حتى تعمل الأمة، فالأمة التي لا تعمل لا تنتج.

نحن الآن في مصر، ما الذي يؤخر الأمة؟ يؤخرها أنَّها لا تعمل، لا يساعد بعضُها بعضًا، كل واحد يحاول أن يُعطِّل الآخر، وليس هذا شأن الأمم الحيَّة، فالأمم تحيا وتنهض بمساعدة بعضها بعضًا، حتى تعمل فتنتج.

العمل النافع:

ولذلك أمتنا مطالبة بأن تعمل، وليس مجرد أي عمل؛ بل لا بد أن يكون عملها نافعًا، هناك عمل لا ينفع لا قيمة له، والعمل الذي ينفع هو الذي تعود الفائدة منه، في الدين أو في الدنيا، أمَّا أن يكون الإنسان فارغًا ليس مشغولًا بأمر دينه أو بأمر دنياه؛ فهو إنسان أحمق.

العمل المتقن:

كما أن أمتنا مطالبة بأن تعمل أحسن العمل، ليس مجرد أي عمل، بل العمل الأحسن، والنبيُّ ﷺ يقول: «**إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحَ، وليُحِدَّ**

QaradawiBooks.com

أحدُكم شفرته، وليُرِح ذبيحته»[١]. ليس معنى الإحسان العطف؛ بل معناه إتقان الشيء، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، فهم مع الله بالتقوى، ومع الناس بالإحسان، «**إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يُتقنه**»[٢].

ما معنى «**كتب الإحسان**»؟ أي فرض الإحسان، فرض العمل المُتقَن، بحيث يكون أحسن ما يكون من العمل.

لماذا لا نتقدم على الأمم في صناعاتنا؟ لأننا لا نتقن العمل، فلا يروج إنتاجنا عند الأمم، إنَّما يروج العمل المُتقن، كل صغيرة فيه لها تصنيف معين، وتوجيه معين، إذا تُرِك: لم يكن عملًا مُحكما كاملًا، ولا يمكن بذلك أن تتقدم على الأمم التي أصبحت تتقن الدقيق في صناعتها، لذلك كتب الله الإحسان على كل شيء.

إذا قتل أحد أباك أو ابنك، واستحق بذلك القصاص، فيجب أن يكون القصاص منه حسنًا، بأسرع ما يكون، بحد سيف حاد، أو بأحسن طريقة لا عذاب فيها للمقتول، وكذلك إذا ذبحت ذبيحة لتطعمها.

العمل الأحسن:

وليس المطلوب فقط العمل الحسن، بل العمل الأحسن، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود: ٧]، ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]، فالتنافس ليس بين الحسن والسيئ؛ بل بين

(١) سبق تخريجه صـ١٢٦.

(٢) سبق تخريجه صـ١٢٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحسن والأحسن، والنبي ﷺ علَّمنا ذلك حينما قال: «**إذا سألتم اللهَ الجنَّةَ فاسألوه الفردوسَ؛ فإنَّه أعلى الجنان، وفوقه عرش الرحمن**»(١). لا تقل: يا رب أدخلني الجنَّة في آخر دفعة. لماذا؟ لأنَّك تطلب من كريم، ممن يملك الدنيا والآخرة، كل شيء في يده، لماذا لا تطلب منه أغلى شيء، وهو الكريم، أكرم الأكرمين؟ قل: يا رب ارزقني الفردوس. وأنا ـ والله ـ وإن كانت قامتي قصيرة، وعملي هزيل، أقول: يا رب ارزقني الفردوس الأعلى.

والإسلام يعلمنا أن نتَّبع الأحسن، ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]، ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨].

لماذا يعلمنا الإسلام أن نطلب الأحسن؟ لأنك تطلب أحسن شيء في الآخرة، فطلب منك أن تُقدم له أحسن شيء في الدنيا، وأنت قادر على هذا، اسأل الله أن يعينك، وهذا معنى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. أننا نستعين الله على أعمالنا حتى تصبح في غاية القوة والروعة والحسن والجمال، «**استعنْ بالله ولا تعجز**»(٢). فلا تكن من العاجزين، فعلينا أن نعمل العمل الذي يليق بالصحوة الإسلامية.

شباب الصحوة:

هذا الشباب الذي أراه، وينشرح صدري كلما رأيته، وهو دون العشرين، هو شباب الإسلام المُدَّخر لغد الأمة إن شاء الله، هؤلاء هم الذين يقومون لهذه الأمة عندما تناديهم، ويقولون: لبيك أمتي. نريد من

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، وابن ماجه في المقدمة (٧٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

شباب الإسلام هذا أن يكون مع الصحوة الإسلامية بالعمل النافع، العمل الصالح، كما يقول القرآن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

جاء الاستثناء بصيغة الجماعة، ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ﴾، لأن المسلم لا ينجو إلا في جماعة، فليس في الإسلام أن يعيش الإنسان وحده، وأنت حين تقرأ القرآن في صلاتك في قاع بيتك تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۞ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥ ـ ٦]. هل يمكن أن تقول: إياك أعبد، وإياك أستعين، اهدني؟

لا؛ بل يجب أن تتكلم بصيغة الجماعة، فهي تعيش في ضميرك ـ وإن كنت وحدك ـ وتحيا على لسانك، فأنت دائمًا مع الجماعة، وتتحدث بلسان الجماعة، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وإذا سألت الله خيرًا لا تسأله لنفسك فقط؛ بل تسأله لنفسك ولجماعتك ولأمتك، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، هذا شأن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

والصالحات تعبير قرآني، ما تصلح به الحياة، ما يصلح به الفرد، وما تصلح به الأسرة، وما تصلح به الجماعة، وما تصلح به الدولة، وما تصلح به الأمة، وما تصلح به الإنسانية، هذه كلها الصالحات، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

ولكي تنجو من الخسران لا بد أن تتواصى بالحق والصبر، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾، توصي غيرك بالحق، وتقبل الوصية بالحق، فليس هناك أحد أصغر من أن يُوصِي، ولا أحد أكبر من أن يُوصَى، كلنا نوصِي ونوصَى، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾، لأن الحق

QaradawiBooks.com

لا بد له من صبر، طريق الحق طويل، ولا بد أن يعاني فيه المسلم ما يعاني، فهو يحتاج إلى الصبر، وإلى مَنْ يوصيه بالصبر.

جند الرحمن:

هناك أناس جندوا أنفسهم للشيطان والعياذ بالله، وهناك أناس جندوا أنفسهم للرحمن، فهل تكون عبدًا للشيطان، أم عبدًا للرحمن؟ لا شك أنَّ المؤمن يريد أن يكون عبدًا للرحمن، وجنديًّا للرحمن، ومَنْ كان جنديًّا للرحمن حبس نفسه على طاعة الله، وهيَّأ نفسه لمرضاة الله ﷻ.

المهم أن تكون نيتك لله، نحن هنا نتحدث لا عن الشكل والمظهر، وإنَّما نتحدث عن الحقيقة والجوهر، أن يكون قلبك لله، والله تعالى يقول لنبيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٠].

ويقول الله ﷻ: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح: ١٨]. فالمهم أن يعلم الله أن في قلبك الخير، والاستعداد للخير، فيكافئك على هذا، ويحركك إلى أن تعمل الخير، وأن تنافس في الخير، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وحينما دعا سيدنا إبراهيم ربه قال: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ۝ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٧ ـ ٨٩]. سليم من الكفر، سليم من الشرك، سليم من النِّفاق، سليم من الكِبْر والأحقاد، والنبي ﷺ يقول: «**لا يدخلُ الجنَّة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرَّة من كِبْر**»[1]. فلا بد من القلب

(١) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، وأبو داود في اللباس (٤٠٩١)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

السليم، القلب المُنيب، قلب أهل الجنة، ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۞ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٣ ـ ٣٤]. فلا بد أن نعد قلوبنا لتكون القلوب المنيبة السليمة المخلصة إلى الله تبارك وتعالى.

النية الصالحة:

والنية الصالحة هي صمام هذا القلب، «**إنَّما الأعمال بالنِّيات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى**»[1]. فليس المهم صورة العمل، ولكن النية التي وراء هذا العمل، إذا كانت عندك نية طيبة يمكن أن تُثاب على العمل وإن لم تعمله، تأخذ أجر العمل كاملًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]. يأتي الإنسان يوم القيامة فيجد صلاة وصدقة وحجًّا وعمرة وجهادًا، وهو لم يعمل هذه الأعمال؛ نوى أن يعملها ولكنَّه لم يقدر، قد يكون من مقيمي الليل، ثم نام في ليلة نوى أن يقومها ولم يقدر؛ فيكتب الله له أجرها، صدقة منه عليه، وهكذا في أعمال كثيرة.

ورد في صحيح البخاري: أن رجلًا قال: لأتصدَّقنَّ الليلة بصدقة. ونوى أن تكون في الخفاء، فخرج ليلًا، وقابله رجل فأعطاه صدقة، فأصبح الناس يقولون: تُصدق الليلة على سارق. فقال: يا رب على سارق! لأتصدقن الليلة بصدقة. فقابلته امرأة وظنها تستحق، فأعطاها الصدقة، فأصبح الناس يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية. فقال: يا رب على زانية! لأتصدقن الليلة بصدقة. فخرج في الليلة الثالثة، وتصدق بصدقة، فأصبح الناس يتحدثون: تُصدق الليلة على غني. فحزن الرجل

(١) سبق تخريجه صـ ١٤٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ونام، فأرسل الله مَنْ يقول له في الرؤيا: أمَّا صدقتك على سارق؛ فلعله يستعف عن سرقته، وأمَّا صدقتك على زانية؛ فلعلها تستعفّ عن زِناها، وأمَّا صدقتك على غني؛ فلعله يعتبر فينفق مما آتاه الله[١]. فالصدقة حتى وإن أخطأت طريقها لم تضع أبدًا عند الله.

علينا إذًا أن نصلح من نياتنا، هذا ما أُوصي به شبابنا، أن يهتم بقلبه، فالقلب موضع نظر الله، كما قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٢]. فاهتم بقلبك: بنظافته وطهارته وحياته، أحْي قلبك لله، واستعِنْ بإخوانك الصالحين، في العزم على الخير بالنية الصالحة، كما قال النبي ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنِّيات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دُنْيا يُصِيبها، أو امرأةٍ يتزوَّجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[٣].

وحدة الأمة:

كما أنَّ علينا أن نتَّحد ولا نتفرَّق، لا بأس أن نختلف أيها الإخوة، فمن شأن الأمة أن تختلف في طرائقها، ولكن لا بد أن تجتمع كلمتها. لا يجوز أن ينفصل أحد عن أحد ويتفرق عنه، لأنَّها أمة واحدة، في بلد واحد، لها قلب واحد، وهدف واحد، أن تعلي كلمة الله في الأرض، وكلمة الله هي الهُدَى والعدل، والحق والرحمة، كما قال الله لرسوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. هذا نقوله للمسلمين،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ١٤٤.

(٣) سبق تخريجه صـ١٤٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ونقوله لكل الناس، نقوله لإخواننا المسيحيين: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

الكلام أيها الإخوة عن الصحوة الإسلامية ومتطلباتها كثير، أنا هنا أذكر لكم فقط بعض ما كتبته، وما كتبته في هذا الأمر كثير ستجدونه إن شاء الله في هذا الكتاب، وأرجو أن يكون عندكم لأنَّه كتاب مهم، (الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد)، نريد أن نخرج من عمل الصبيان المراهقين إلى عمل الرجال الراشدين، والله تعالى يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧ ـ ٨]. ويقول: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]. فالرشد يرقى ويرتفع بنا إلى القمم، فيجب أن نكون من الراشدين، هذا هو الذي أوصي به هذا الشباب، الذين يحضرون هذا المجلس المبارك وغيرهم.

نسأل الله تعالى أن يمنَّ عليهم بمنته، وأن يتم عليهم نعمته، وأن يملأ قلوبهم بنوره، وأن يحيي قلوبهم بخشيته، وأن يجمعهم مع العلماء العاملين المخلصين، حتى يكونوا من الصادقين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

ونسأله الله تعالى أن يرزقنا الصدق والإخلاص، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يجمع كلمة أمتنا على الهدى، وقلوبها على التُّقى، وأنفسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيله، وعزائمها على عمل الخير، وخير العمل.

نسأله الله تعالى أن يصلح قلوبنا ونياتنا، وأن يجعلنا من جنوده الصادقين، ومن حزبه الغالبين، وأن يحبب إلينا الإيمان، ويُزيِّنه في

QaradawiBooks.com

قلوبنا، ويُكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، ويجعلنا من الراشدين، فضلًا منه ونعمة، ربنا أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارضَ عنا وأرضنا.

اللهم انصر إخوتنا في مصر، واجمع كلمتهم على الهُدى، اللهم اجمع قلوب أبنائها على الخير لتبني مصر، لتخرج من هذه الفُرقة إلى الجماعة، إلى الصلح العام، لتكون أمة واحدة، بلدًا واحدًا، شعبًا واحدًا، قلبًا واحدًا، اللهم اجمع هذه القلوب لتبني مصر.

اللهم انصر إخوتنا في سوريا، اللهم افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهم عليك ببشار الأسد وزبانيته، وكل من يعينه على الشر، اللهم عليك بأسلحته وشبيحته، وطياراته ودباباته، وكل الأسلحة التي يستعملها في قتل السوريين، دمرها عليه يا رب العالمين، وأنزل على الظالمين المتجبرين في الأرض بأسك الذي لا يُرد عن القوم المجرمين.

اللهم انصر إخوتنا في تونس، وفي ليبيا، وفي اليمن، وفي الصومال، وفي فلسطين، وفي الأردن، وفي لبنان، وفي العراق، وفي باكستان، وفي بنجلاديش، وفي ميانمار، وفي إندونيسيا، وفي ماليزيا، وفي كل بلاد الإسلام في العالم: شرقه وغربه، وشماله وجنوبه، انصر يا رب أمة محمد، وأصلح أمة محمد، ووحد أمة محمد، وأعز أمة محمد بعزة الإسلام، وارفع بهم راية القرآن، واجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعدائه هي السُّفلى.

ربنا أتمم لنا نورنا، واغفر لنا؛ إنك على كل شيء قدير، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا؛

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان: أن آمنوا بربكم؛ فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا، وكفِّر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رُسلك، ولا تُخزنا يوم القيامة؛ إنك لا تخلف الميعاد، اللهم آمين.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

وصلِّ اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٩

حاجة الصحوة الإسلاميَّة إلى فقهٍ جديد[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا وإمامنا وأسوتنا محمدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة ـ تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأشكر لجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ولمديرها الأخ الأستاذ الدكتور بكر عبد الله بكر، دعوتها لي؛ لإلقاء هذه المحاضرة، والمشاركة في موسمها الثقافي.

والواقع أنِّي لا أعتبر نفسي غريبًا عن هذه المنطقة، فأنا منها وإليها، وبيني وبين أهلها صِلات واتِّصالات دائمة، فقَطَر والمنطقة الشرقيَّة من المملكة بالذَّات كأنّهما جزءٌ واحد، ولذلك فأنا لا أعتبر نفسي هنا ضيفًا،

(١) ألقيت في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، بالمملكة العربية السعودية.

QaradawiBooks.com

إنَّما أعتبر نفسي بين أهلي وإخوتي وأبنائي، والموضوع الَّذي نودُّ أن نتحدَّث فيه هو «حاجة الصحوة الإسلاميَّة وشبابها إلى فقه جديد».

الصحوة انبعاث جديد:

والصحوة تعبير عن هذا الانبعاث الجديد الَّذي أيقظ هذه الأُمَّة من سباتها، وأحياها من مواتها، وحرَّكها من جمودها، فبدأت تلتف حول الإسلام، تدعو إليه، وتنادي به، وتلتزم به: عقيدة، وشريعة، ورابطة، ومنهاج حياة، هذه الصحوة سمِّها ما تسمِّيها، بعض الناس يقول: لا أريد أنْ تسموها صحوة؛ ولكن سمُّوها يقظة.

ونحن نقول: سمُّوها يقظة، أو سمُّوها تجديدًا، أو سمُّوها بعثًا، أو سمُّوها إحياءً، فلا تضرنا الأسماء متى اتضحت المسمَّيات.

هذا المدُّ الجديد، والانبعاث الجديد لهذه الأمَّة، هو الأمر الطبيعي والمنطقي، ولذلك أستغرب من بعض الناس أنْ يحاول أنْ يبعد ويغرب في البحث عن أسباب لهذه الصحوة! كأنَّ الأصل في هذه الأُمَّة أنْ تنام ولا تصحو، وأنْ تموت ولا تحيا، لا؛ الصحوة هي الأمر المنطقي، هي الأمر الطبيعي لهذه الأُمَّة، فهذه الأُمَّة لا يمكن أنْ تموت، إنَّها قد تنام ولكنها لا تموت، وقد تضعف ولكنها لا تزول، والإسلام بطبيعته يحيي، ويجدد، ويحرِّك هذه الأُمَّة، ويبعث الله لهذه الأُمَّة بين الحين والحين مَنْ يجدد لها أمر دينها، من يوقظها من سباتها، هذه طبيعة الأمور في هذه الأُمَّة.

الصحوات تتبع المحن والشدائد:

ولذلك كلَّما اشتدت الخطوب، واداْلهمَّت الكروب، وأحاطت المحن بهذه الأُمَّة، سرعان ما يستيقظ هذا الإسلام في ضمائرها، فإذا به

QaradawiBooks.com

يوقظها ويُحرِّكها، وإذا بالأُمَّة أصلب عودًا، وأشدُّ قوةً، وأصفى جوهرًا، وهذا ما جرَّبناه طوال التاريخ، تحيط بالأُمَّة الشدائد والمحن، ويظن الناس بها الظنون، ولكنَّ الإسلام يظهر قوة جديدة، فإذا بهذه الأُمَّة تتبوَّأ مكانها تحت الشمس.

منذ فجر الدعوة، منذ ارتدَّ العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولم يبقَ هناك على الإسلام إلَّا مكة والمدينة والطائف، وكفرت القبائل، وتنبَّأ المتنبئون وتبعهم قومهم، وظنَّ الناس أنَّ بساط الإسلام قد طُوِي، وقال لأبي بكر مَنْ قال: الْزَم بيتك، وأغلق بابك، واعبُدْ ربَّك، حتَّى يأتيك اليقين[١].

حرب المُرْتَدِّين ومانعي الزكاة:

ولكن هذا الرجل الخاشع البكَّاء، الرقيق كالنسيم، الليِّن كالحرير، الرحيم كقلب الأم، ينقلب في لحظات إلى رجل ثائر كالبحر، زائرٍ كالليث، فقال: لقد تمَّ الوحي واكتمل، أفينقص وأنا حيٌّ؟ والله لو منعوني عِقالًا كانوا يؤدُّونه لرسول الله لقاتلتهم عليه ما استمسك السيفُ بيدي، والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة[٢]. ويصيح في وجه عمر: أجبَّار في الجاهليَّة خوار في الإسلام يا ابن الخطَّاب[٣]؟ ووقف هذا الرجل، واستطاع أنْ يجمع الأُمَّة ويوقظها، ويُجيِّش الجيوش، ويبعث أحد عشر لواءً لمحاربة المرتدّين ومانعي الزكاة، هكذا رأينا هذه الصَّحوة منذ فجر الإسلام.

---

(١) عزاه المتقي الهندي في كنز العمال (١٦٨٣٨) للإسماعيلي.

(٢) سبق تخريجه صـ١٤.

(٣) الحديث قبل السابق.

QaradawiBooks.com

رد توغُّل الزحف الصليبي:

وقد جاء الصليبيُّون إلى هذا الشرق الإسلامي يُريدون أنْ يقيموا مملكة للمسيح وللصليب، وقد استطاعوا أنْ يقيموا ممالك وإمارات، واحتلوا بيت المقدس، وظلُّوا فيه تسعين عامًا والمسجد الأقصى أسيرٌ لديهم، والمسلمون متفرِّقون مُبعثرون، والباطل لا يقوم إلَّا في غفلة الحقِّ، والكفر لا يقوم إلا في تفرُّق المسلمين.

ولكن الله هيَّأ رجالًا، مثل عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي، فاستطاعوا أنْ ينتزعوا بيت المقْدِس، وأنْ يجمَعوا الناسَ على هذا الإسلام، فلا يقوم للأُمَّة قائمة إلَّا بالإسلام.

لقد نفخ صلاح الدِّين في الأُمَّة رُوحَ هذا الإسلام، وكان يمرُّ على الخيام بالليل في معركة حِطِّين، فإذا وجد خيمة فيها من يتلو القرآن، أو يُسَبِّح الله، أو يُصَلِّي، قال: من هنا يأتي النصر، وإذا وجد خيمة كلُّ أهلها نيام. قال: من هنا تأتي الهزيمة. هذا هو فقه هؤلاء الناس، فاستطاعوا بعد مدَّة أنْ يردوا الصليبيِّين ويخرجوهم من ديار الإسلام مدحورين.

الانتصار على التتار:

وهؤلاء التتار الَّذين تَحالفوا مع الصليبيِّين، وجاؤوا من الشَّرق كما جاء الصليبيون من الغرب، ودمَّروا مدنَ الإسلام، ودخلوا عاصمة الإسلام بغداد، وأسالوا الدماء مدرارًا حتَّى كانت تسيل من الميازيب كالأمطار، واسودَّ نهر دجلة ممَّا رُمي فيه من كتب وسال مدادها، وظنَّ الناس الظنون، وساد القول: إذا قيل لك إنّ التتار قد انهزموا فلا تصدق. أيْ أسطورة القوَّة الَّتي لا تقهر.

QaradawiBooks.com

ولكن المسلمين بعد أنْ فتح التتار بغداد سنة ٦٥٦هـ وأسقطوا الخلافة العباسيَّة، استطاعوا بعد سنتين فقط أنْ يردُّوا اعتبارهم، جاء ذلك الرجل القائد المملوكي سيف الدين قُطُز من مصر ومعه جنوده، وفي الخامس والعشرين من شهر رمضان وقعت معركة من المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام، هي معركة «عين جالوت».

كادت الدائرة في أوَّل الأمر أنْ تدور على المسلمين من هول ما سمعوا عن التتار، ولكن الرجل حينما رأى بعض الناس يُدبرون ويفرِّون، رمى بخَوْذَته من على رأسه، وصاح صيحتَه التاريخية الشهيرة: وا إسلاماه. فتغيَّر الموقف، فأقبل المدبرُ، وثبت المتردد، وتشجَّع الجبان، وتغيَّر مجرى المعركة، وكان النصر للإسلام، ولم تقم للتتار قائمة بعدها، لقد هزمهم الإسلام عسكريًّا، ثمَّ هزمهم عقديًّا وفكريًّا، فدخلوا في الإسلام.

اندلاع الصحوة المعاصرة:

وهكذا نجد على مدار التاريخ: أنَّ الإسلام أصلب ما يكون عودًا عندما تُحيط به المحن، ولذلك لا عجب أنْ ينتفض الإسلام في هذا العصر، بعد أنْ أصيب المسلمون بما أصيبوا به: احتلَّت أرضهم، ومُزِّقت ديارهم، وهُدمت خلافتهم، ولم تعد هناك راية تجمعهم، وطمع فيهم مَنْ لا يستطيع أنْ يدافع عن نفسه، حتَّى اليهود أحرص الناس على حياة، الَّذين ضربت عليهم الذلَّة والمسكنة، والَّذين شرَّدهم العالم كلَّ مشرَّد، وجاؤوا من هنا ومن هناك، ولم يجدوا صدرًا حنونًا إلَّا في بلاد الإسلام.

انقلب هؤلاء اليهود على المسلمين، وقلبوا لهم ظهر المِجَنِّ، ولم يجدوا مكانًا يقيمون فيه دولة إلَّا في بلاد العرب والإسلام، وأقاموا دولتَهم وسَمَّوها باسمٍ ديني هو «إسرائيل»، هذه الدولة الَّتي ظللنا سنوات

QaradawiBooks.com

طويلة نقول عنها: دولة إسـرائيل المزعومة. ثمَّ لمَّا رأينا هذه المزعومة تركل هـذه الجبهة، وتصفع تلـك الجبهة، وتتحدَّى العـرب عن يمين وشمال؛ خجلنا من أنفسـنا، وحذفنا من قاموسنا كلمة «المزعومة»، بعد أنْ أوشكنا أن نكون نحن المزعومين.

هذا البلاء كلُّه من شأنه أنْ يثير غريزة التَّحدِّي عند المسلمين، ولهذا هيَّأ الله مجدِّدين منذ عهد محمد بن عبد الوهاب ـ ومَنْ بعده ـ إلى حسن البنا، فقامت هذه الصحوة، واستشهد فيها من استشهد، وقدَّم فيها رقبته من قدَّم، وبذل فيها من بذل، حتَّى كانت الصحوة المعاصرة، فليس عجبًا إذنْ أنْ تقوم صحوة إسـلاميَّة من أبناء الإسـلام، في ديار الإسلام، بل العجب ألا تقوم هذه الصحوة!

هذه الصحوة هـي أعظم ما في ديار الإسـلام، أعظـم ما في ديار الإسـلام ليس هو الذهب، ولا الفضـة، ولا النفط، ولا الغـاز، فالثروة الماديَّة مهما كانت قيمتها، فإنها لا تسـاوي شيئًا بجانب الثروة البشريَّة، فالثروة البشـريَّة هي أغلى الثروات، والإنسان أغلى من البترول، وأغلى من الغاز، وأغلى مـن المعادن، هو أغلى مـن كلِّ حجر كريم، وجوهر نفيس، فالثروة البشرية هي أغلى من كلِّ شيء.

وتعظم قيمة الثروة البشـريَّة إذا تمثلت في الشباب، الَّذي يمثل غد الأُمَّة ومستقبلها، فإذا أردتَ أنْ تعرف مسـتقبل الأُمَّة فانظر إلى شبابها: من هم، وأين هم؟

هل هم رواد المقاهي وعبَّاد الملاهي، الَّذين يسيرون وراء المخدرات والمسـكرات والكأس والطاس، والَّذين يعشـقون الموائـد الخضراء، والليالي الحمراء؟

QaradawiBooks.com

أم هم رواد المساجد، وقرَّاء القرآن، ودارسو السيرة والسُّنَّة، والَّذين يتحلَّقون حول كتاب الله وسُنَّة رسوله، والَّذين يملؤون مواسم الحج والعمرة، والَّذين يتحرَّقون شوقًا إلى الجهاد في سبيل الله، والَّذين يحملون الحجارة يضربون بها أعداء الله اليهود، والَّذين يقاتلون المحتلين الغزاة في أفغانستان؟

فإذا كان شباب الأُمَّة من الصنف الأول فابكِ على الأُمَّة، وقل: عليها السلام. أمَّا إذا كان شبابها من الصنف الآخر فاحمد الله تبارك وتعالى، واعلم أنَّ الأُمَّة بخير.

انتشار الصحوة:

وإنِّي لأحمدُ اللهَ تبارك وتعالى أنِّي رأيتُ شباب الأُمَّة الإسلاميَّة اليوم مقبلًا على الإسلام في كلِّ مكان، فالصحوة الإسلاميَّة ليست صحوة إقليميَّة، ليست في المملكة السعوديَّة فقط، ولا في بلاد الخليج فقط، ولا في بلاد العرب فقط، ولكنها في كلِّ بلاد الإسلام، بل هي خارج بلاد الإسلام، حتَّى بين الجاليات الَّتي تعيش بعيدًا عن العالم الإسلامي، في أوربا، وفي الأمريكيتين، وفي أستراليا، وفي الشرق الأقصى.

لقد رأيت هؤلاء الشَّبابَ المؤمن الصَّوَّام القَوَّام، الَّذين يصومون الاثنين والخميس، الَّذين يتعبَّدون لله تعالى ويبكون إذا قرؤوا القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، الَّذي يستغفرون بالأسحار، رأيت هؤلاء الشباب بعينيْ رأسي، رأيتُهم وعايشتُهم في كلِّ مكان، وقلت: الحمد لله، لا يزال هذا الإسلام بخير، ولا تزال هذه الأُمَّة بخير.

QaradawiBooks.com

وإن كان في الأُمَّة الضائعون والتائهون، ففيها المؤمنون الملتزمون، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. فلن تضيع رسالة الله، ولن يضيع دين الله أبدًا، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. وفي الحديث: «**لا يزالُ من أُمَّتي أُمَّة قائمةٌ بأمر الله، لا يضرَّهم من كذَّبهم ولا من خالفهم، حتَّى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم على ذلك**»[1]. لقد صحَّت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ، فالطائفة المنصورة، القائمة على الحقِّ، باقية إلى يوم القيامة إن شاء الله، وهي الطائفة الَّتي تقوم عليها هذه الصحوة.

انشغالي بترشيد الصحوة:

فأنا أحمد الله على هذه الصحوة، وأنا مشغول القلب والفكر بها، أعتبرها جزءًا منِّي، أعتبر شبابها كأنّهم أبنائي وبناتي؛ ولهذا فأنا حريصٌ كل الحرص على ترشيد هذه الصحوة، وعلى تسديدِ خُطاها، حتَّى لا تتآكل من الداخل، أو تضرب من الخارج.

إنَّ هذه الصحوة يتآمر عليها المتآمرون، ويكيد لها الكائدون، يريدون أنْ يعوِّقوا طريقها، ويريدون أنْ يشعلوا النار فيها بأيِّ طريقة، ويُخوفون الحُكَّام منها، ويضربون بعضها ببعض، ويقيمون الخلافات فيما بينها، ويجعلون من الحبَّة قبَّة.

تصوَّروا أنَّ أحد الإخوة رأى رجلًا أمريكيًّا في الكويت، معروفًا باهتمامه بالدراسات الإسلاميَّة، ودراسة الحركات الإسلاميَّة بالذات، فسأله: لماذا أنت هنا؟ قال: أنا في دراسة علميَّة مُكلَّف بها. قال: ماذا

(١) سبق تخريجه صـ ١٧٤.

QaradawiBooks.com

تدرس؟ قال له: أدرس أسباب الخلاف بين الجماعات الدينيَّة بعضها وبعض. تُرى هل يدرس هذا الخلاف لوجه الله تعالى، أم يدرسه ليوظفه في خدمة المؤامرات الكبرى في الخارج؟

هذا ما ينبغي أن نعرفه جيدًا، إنَّ أعداءنا لا يمكن أنْ يسكتوا عنَّا، ونحن لا نلومهم، فهم يعملون لصالح أنفسهم، إنَّما نلومُ أنفسَنا إذا لم ندرك هذه الحقائق.

وأنا لست من أنصار التفسير التآمري للأحداث وللتاريخ، لستُ من أنصار هذه المدرسة، ولكن ينبغي أن نعترف بالواقع، أنَّ هناك مكائد تُبيَّت، ومُؤامرات تُدبَّر.

حاجة الصحوة إلى فقه رشيد:

على أنَّ أشدَّ الأخطار هو ما يكون من الصحوة نفسها، من الآفات الَّتي تنبع من داخل الصحوة؛ ولهذا قلت: إنَّ الصحوة في أمسِّ الحاجة إلى فقهٍ جديدٍ رشيد. فما هو هذا الفقه الجديدُ الرشيد الَّذي تحتاج إليه الصَّحوة الإسلاميَّة المعاصرة؟

إنَّ الفقه الَّذي أعنيه ليس هو الفقه الاصطلاحي الَّذي درسناه في الأزهر، والذي يدرسه طلاب العلم في الجامعات الدينيَّة، والذي كثيرًا ما يظلُّ الناس يدرسونه في المساجد أوقاتًا طويلة، لست أعني هذا الفقه الَّذي يُعرفونه: بأنَّه العلم بالأحكام الشرعيَّة الفرعيَّة، من أدلَّتها التفصيليَّة. هذا العلم مهم، ولكن ليس هو العلم الَّذي أعنيه في هذا المقام.

لقد بات عند المسلمين من الفقه الاصطلاحي ما يكفي، وقد كان أصحاب النبي محمد ﷺ يكفيهم القليل من هذا الفقه؛ كان الرجل يأتي

QaradawiBooks.com

إلى النبيِّ ﷺ فيتعلَّم منه الطهارة والصلاة في يوم واحد، أو في جلسة أو جلستين، يتوضأ كما يتوضَّأ النبيُّ ﷺ، الَّذي قال: «**صَلُّوا كما رأيتُموني أُصلِّي**»[1]. وبعد ذلك يعود مُعلِّمًا لقومه، فالأمر بسيط.

تضخُّم الفقه الاصطلاحي:

إنَّنا نحن الَّذين طوَّلنا الفقه الاصطلاحي، ووسَّعنا فيه، فالله تعالى يقول: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]. وكلُّ الناس يعرفون كيف يغسلون وجوهَهم، ولكننا جئنا إلى الفقه الرسمي، فأدخلنا فيه علم المساحة، فقلنا: حدُّ الوجه هو من منْبت الشعر إلى أسفل الذقن طولًا، وما بين شحمَتي الأُذنين عرضًا. ومن هنا صارت المشاكل، هب أنَّ شخصًا يتدلى شعره على جبهته، فمن أين يبدأ؟ وإذا كان أصلعًا، فإلى أين ينتهي؟ وهذه قضية واحدة من القضايا الَّتي طال الكلام فيها كثيرًا.

قرأتُ في بعض كتب الفقه، وفي بعض المذاهب، أنَّ في تكبيرة الإحرام سبعة عشر فرضًا، لكي تصح منك تكبيرة الإحرام لا بدَّ أن تحفظ سبعة عشر فرضًا! مع أنَّ الرجل كان يأتي إلى النبيِّ ﷺ ليتعلَّم الصلاة، فيقول له: ادخل الصلاة بقولك: الله أكبر. وافعل كذا وكذا، وينتهي الأمر، لكنَّنا أطلنا الكلام في هذه القضايا على حساب أشياء أخرى.

أذكر ـ وأنا طالب في كلية أصول الدين ـ ذهبت في يوم السابع عشر من رمضان إلى أحد البلاد لأتحدَّث عن غزوة بدر الكبرى، وبعدما تحدَّثت عن غزوة بدر، ومواقف رسول الله ﷺ فيها، وبطولات أصحابه ﷺ، والدروس الَّتي ينبغي أن نأخذها منها؛ جاءني إمام المسجد، وقال لي: جزاك الله خيرًا يا شيخ، لقد تكلَّمت كلامًا طيِّبًا عن هذه الغزوة، ولكن أليس

(١) رواه البخاري في الأذان (٦٣١)، عن مالك بن الحويرث.

QaradawiBooks.com

من الأوْلى أنْ تُحَدِّث الناس في أمر دِينِهم؟! قلتُ له: وهل هذا ليس من أمر دينهم؟ قال: أقصد أنْ تُعَلِّم الناس كيف يَستَنْجون، وكيف يتوضؤون!

غير مرخصة للطباعة

بين الجهاد والطهارة:

وهذا ما لاحظته في الحقيقة وأنا صغير، فعندما كنت أحضر دروس المساجد في شهر رمضان، كان عندنا شيخ يقوم بإلقاء الدروس في مسجد القرية، فكان يظلُّ يتحدَّث طوال شهر رمضان ـ ثلاثين ليلة أو تسع وعشرين ليلة ـ في أمور الطهارة، في آداب الاستنْجاء، وفرائض الوضوء، وسننه، ونواقضه، وأعذاره، والمياه الَّتي يجوز بها التطهير، والتي لا يجوز، إلى آخر ما نعرف من مباحث الفقه، حتَّى ينتهي الشهر الكريم، ولمَّا يخرج المسكين من دورة المياه! هل يريد الإسلام كلَّ هذا؟ إذن فمتى يتعلم الناس آداب السلوك والأخلاق الإسلاميَّة، وما يهمهم في دينهم ودنياهم؟

ثم قلت له: أنت تحفظ القرآن؛ فهل تستطيع أنْ تذكر لي: كم آية ذكرها الله في شأن الوضوء، والغسل، وما بينهما من أمور الطهارة؟ فسكت الشيخ.

فقلت: لقد جمع الله ذلك كله في آية واحدة، هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وقلت: كم آية ذكرها الله تعالى في شأن الجهاد؟ قال: في كثير. قلت له: أتذكر أسماء السور الَّتي تدلُّ على الجهاد؟ قال: لا.

QaradawiBooks.com

قلت: في سورة «الأنفال» الَّتي نزلت بعد غزوة بدر، وفي سورة «التوبة»، توبة الثلاثة الَّذي خُلِّفوا عن الجهاد، الَّتي نزلت بعد غزوة تبوك، وفي سورة «الأحزاب»، الَّتي نزلت بعد غزوة الخندق، وفي سورة «الفتح»، الَّتي نزلت بعد غزوة الحديبية، وفي سورة «الحشر»، الَّتي نزلت بعد إجلاء بني النَّضير، وظللت أعدِّد له السور، هذا بالإضافة إلى عشرات الآيات ـ بل مئات الآيات ـ الَّتي تحدثت عن الجهاد في غير هذه السور؛ أبعد هذا نترك الجهاد، ونستكثر الحديث عنه في ليلة واحدة، ونريد أن نجعلَها للحديث عن الوضوء والطهارة!

ولذلك أقول: إنّ هناك خللًا في تناول الفقه الاصطلاحي. ولهذا لا أريد أنْ أتحدث الآن عن هذا الفقه، فقد أخذ حقَّه، بل أكثر من حقِّه.

حاجتنا إلى الفقه القرآني:

إننا إذا أردنا أن نكون أقرب إلى أصحاب النبي ﷺ، **الَّذين** كانوا فقهاء في الدين، فعلينا أن نعنى بالفقه بمعناه الواسع، بمفهومه القرآني، في بداية هذا الحفل قرأ الأخ ـ وأحسن في القراءة ـ قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

التفقه المذكور في هذه الآية ليس هو حفظ مسائل الفروع، وأحكام الطهارة والرضاعة إلخ؛ لأنّ هذا الفقه لا يُنذر ولا يُحذر، الفقه الَّذي يُنذر، ويُحذِّر، ويورث الخشية هو فقه آخر، هو فقه يملأ القلوب بخشية الله، يذكر الناس بالآخرة، ويذكرهم بالله، فيحيي المعاني الربَّانيَّة في الأنفس والقلوب؛ ولذلك أنا أريد الفقه القرآني، الفقه الَّذي ذكره القرآن، ذكر الإمام الغزالي في كتاب «الإحياء»، في كتاب العلم منه، أنَّ هناك

QaradawiBooks.com

أسامٍ وألفاظًا بُدِّلت عن معناها الأصلي، وذكر منها كلمة الفقه[1]. فالفقه في القرآن والسُّنَّة وعند الصَّحابة والسَّلف غير ما أصبح مرادًا به بعد ذلك، نريد الفقه القرآني، الفقه المذكور في الآيات المكيَّة قبل أن تنزل الأحكام والشرائع، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]. ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

هذا هو الفقه الَّذي نريده، الفقه الَّذي نَفَاه الله عن الكفَّار في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]. ونفاه عن المنافقين في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]. وفي قوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]. لقد فقدوا الفقه لأنَّهم غفلوا أنَّ الله يراهم حيثما كانوا، وُجد الناس أو لم يُوجدوا.

نريد هذا الفقه الَّذي نفاه عن المشركين، والكافرين، والمنافقين، الفقه الَّذي فصَّل الله به الآيات وصرَّفها لأهله، نحن في حاجة إلى هذا الفقه القرآني، إلى الوعي به، حتَّى لا نكون كالذين قال الله فيهم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]. نريد هذا الفقه، هذا النور، هذه البصيرة، هذا الوعي الداخلي.

(١) إحياء علوم الدين (٣١/١، ٣٢).

QaradawiBooks.com

أنواع الفقه الَّذي نحتاج إليه:

يتمثل الفقه المنشود في عدَّة أنواع، لو أردت أنْ أتحدث عنها لطال المقام، ولهذا أشير إليها مجرد إشارات.

(١) فقه السُّنن:

نحن في حاجةٍ إلى أن نفقه السُّـنَن الَّتي أقام الله عليها هذا الكون، وهذا الاجتماع الإنسـاني، هناك سـننٌ ذكر القرآن الكريم أنَّها لا تتبدَّل ولا تتحوَّل: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ [فاطر: ٤٣]. هي قوانين كونيَّة، وقوانين اجتماعيَّة- فهناك قوانين للمادة يدرسـها الطلاب في هذه الجامعـة وأمثالها: قوانين المعادن، وقوانين الأجسـام الطافية، وقوانين الذرَّة، وغيرها، وهناك قوانين أخرى تحكم الإنسـان، وتحكم المجتمعات البشريَّة، هذه القوانين ـ أو السُّنن ـ لا بدَّ أن تُراعى، وسوف نذكر في عجالة بعض هذه السنن.

أولًا: سُنَّة التغيير:

من القوانين الاجتماعيَّة الَّتي ذكرها القرآن: قانون التَّغيير، أو سُـنَّة التغيير، يقـول الله تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]. هذا قانون اجتماعي، إذا أردت أن تغيِّر مجتمعًا ما، ماذا تفعل؟ غيِّرْ ما بنفسك، هذه فلسـفة الإسـلام في التغيير، وهي تخالف فلسفة «كارل ماركـس» الَّذي يقول: غيِّـرْ الاقتصاد، وعَجَـلات الإنتاج، يتغيَّر التاريخ. لكن الإسلام يقول: غيِّرِ نفسَك، أو غيِّرْ ما بنفسِك يتغيَّر التاريخ.

ما الَّذي فعله النَّبيُّ ﷺ؟ لقد غيَّرَ ما بأنْفُسِ العرب فتغيَّر التاريخ، صنع من كلِّ إنسان منهم إنسـانًا جديدًا، تغيَّر الإنسان الَّذي كان يعبد صنمًا من

QaradawiBooks.com

الحجر، أو صنمًا من العجوة، وإذا جاع أكله؛ فأصبح لا يعبد إلَّا الله، أصبح يقف أمام الحجر الأسود ويقول له: أيها الحجر، إنِّي أُقَبِّلُكَ، وإنِّي لأعلم أنَّك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيت النبيَّ ﷺ يُقبِّلك ما قبَّلتُك[1].

لقد تغيَّر العقلُ الَّذي كان يعبد الصنم الَّذي ينْحتُه الإنسان بيديه، ثمَّ يسجد له، ويطلب منه الشفاء عند المرض، والنُّصرة عند الشدَّة، ﴿أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

بين الجاهلية والإسلام:

لقد جنت الجاهلية والوثنية على العقل الإنساني، وجنت على العاطفة الإنسانية أيضًا، فكان الإنسان يقتل ولده وفلذة كبده، ذكرًا كان أو أنثى، من الإملاق، أو الفقر، من الإملاق الواقع، أو خشية الإملاق المتوقع، وكان يئد ابنته؛ لأنَّهم كانوا يفضلون الذكور على الإناث، ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

هذا ما فعلته الجاهلية بالإنسان، فماذا فعل الإسلام به؟ لقد غيَّر الإسلام الإنسان، فأصبح لا يرحم الإنسان فقط، بل أصبح يرحم الحيوان، يرحم الهرَّة، ويرحم الكلب، حتَّى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو عثرت بغلة في أقصى العراق لكنت مسئولًا عنها أمام الله يوم القيامة: لماذا لم أُسوِّ لها الطريق[2]؟ هكذا تغيَّر الإنسان حينما غيَّره الإسلام، فهذا هو الفقه الَّذي نريده هنا، إنّه فقه السنن، ومنه سنة التغيير، فالنبي ﷺ غيَّر العرب حينما غيَّر ما في أنفسهم، وإذا أردنا أن نغيِّر

(١) سبق تخريجه صـ ٢٥٠.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥٣/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

مجتمعاتنا فلا نغيرها بالكلام؛ لأنَّ المجتمعات لا تتغير بالكلام، إنَّما تتغير بتغيير ما في الأنفس، بحيث يصبح للناس نفوس جديدة، وطموحات جديدة، وأهداف جديدة، وغايات جديدة، فالإنسان الَّذي يعيش للأشياء التافهة على طريقة أبي نواس:

إنَّما الدُّنْيَا طَعَامٌ وشَرَابٌ ومَنَامْ فإذا فاتَكَ هذا فَعَلَى الدُّنْيا السَّلامْ[1]

مثل هذا الإنسان لا يمكن أن تنهضَ به دنيا، ولا أنْ يصلح به دين، لهذا نريد الإنسان الآخر الَّذي يعيش لهدف كبير، يعيش ليرضي الله تبارك وتعالى، يعيش للجنة، والإنسان الَّذي يعيش للجنة غير الإنسان الَّذي يعيش لامرأة، أو يعيش لكأس، أو يعيش للمخدرات، النبي ﷺ غيَّر ما بأنفس العرب فتغيَّروا، أصبحوا أناسًا جددًا، التغيير سُنَّة لا بدَّ أن ندركها.

ثانيًا: سنة النصر:

من السنن الَّتي يجب أن ندركها ونفقهها أيضًا: سنة النصر، فللنصر قانون ذكره القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. فإذا كان الله تعالى ينصر من يشاء من عباده، فإنه لا ينصر إلا من نصره، وإذا كان الحق جديرًا أنْ ينتصر، فإن سنة الله تعالى تقتضي ألا ينتصر الحق وحده، وإنَّما ينتصر بأهله، ولذلك قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]. فبدون المؤمنين لا ينتصر حق، وأيُّ مؤمنين ينتصر بهم الحق؟ إنهم المؤمنون المترابطون المؤتلفون، ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٦٣].

---

(١) ذكره من غير نسبة الراغب الأصبهاني في محاضرات الأدباء (٧٨٤/١، ٧٨٥)، مع تغيير وفحش في بعض ألفاظه.

QaradawiBooks.com

قال لي بعض الناس يومًا: لقد نزلت الملائكة في بدر، ونزلت في غزوة الخندق، ونزلت في غزوة حنين، فأين الملائكة الآن من النصر الَّذي نريده؟

قلت له: الملائكة موجودون، ومن الممكن أنْ تتنزل في أي معركة، ولكن الملائكة لا تتنزل في فراغ، قال الله تعالى في غزوة بدر: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢]. فلا بدَّ أنْ يوجد الَّذين آمنوا أولًا حتَّى تنزل عليهم الملائكة، أمّا إذا لم يوجدوا فعلى مَنْ تنزل؟ فلا بدَّ أنْ يوجد المؤمنون الَّذين ينتصر بهم الحق، فللنصر سنته، لا تتوقع النصر وأنت قابع في بيتك، ولمَّا ذكر الله تبارك وتعالى أدعية المؤمنين بالنصر قال: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. فهم قد دعوا الله بالنصر عندما كانوا في قلب المعركة، حينما ﴿بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾، أمَّا أنْ تقعد عن الجهاد وتطلب النصر، فلا يجوز، أو تجلس في بيتك، أو في المسجد متعطِّلا، وتقول: اللهمَّ ارزقني؛ فكيف يرزقك؟!

ولهذا عندما رأى سيدنا عمر رضي الله عنه، أناسًا يجلسون في المسجد بعد صلاة الجمعة، سألهم: من أنتم؟ قالوا: متوكلون. قال: بل أنتم متأكِّلون ـ أي تأكلون بسؤال الناس ـ لا يقعدنَّ أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهمَّ ارزقني. وقد علِم أنَّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، إنَّما يرزق الله الناس بعضهم من بعض، أَمَا سمعتم قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠][1]؟ فالرزق

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٦٢/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يأتي بالطلب والسَّعي والمشـــي في مناكب الأرض، وهذه سُنَّة من سنن الله تبارك وتعالى، فلا يقول أحد: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]. نَعم علـــى الله رزقُها، ولكن عن طريق السُّـــنن الَّتي وضعها الله تعالى في كونه، فهناك قوانين وسننٌ نفسية واجتماعيَّة لا بدَّ أن ندركها، ونفقهها، ونرعاها.

ثالثًا: سُنَّة التدرج:

من آفات بعض أبناء الصحوة الإسلاميَّة أنَّهم لا يراعون هذه السنن، أنَّهم يســتعجلون الثمرة قبل نضجها، ولكلِّ شـــيء أوان وأجلٌ مُسمَّى، وللزرع والحصاد أوان وأجل مُســمَّى، لكن بعض الناس لا يراعي سنَّة التَّدرُّج، يريد أنْ يبذر في الصباح ويحصد في المساء! وهيهات هيهات، فالاستعجال دائمًا يضيع النتيجة، ويضيع الثمرة، ولهذا لا بدَّ من الصبر، ولا بدَّ من التدرُّج، كما علمنا النبي ﷺ.

لقد عاش النبي ﷺ في مكة ثلاثة عشـــر عامًا، يربي أصحابه في دار الأرقم بـــن أبي الأرقـــم، ويذهب إلـــى الكعبة ليصلي هنـــاك، وحاول أبو جهل أنْ ينهاه، ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٩، ١٠]، ولكنَّه ظلَّ يصلِّي حول الكعبة وحولها ثلاثمائة وســـتون صنمًا، على رأســـها كبير الأصنام هبل، ولم يفكر النبي ﷺ أنْ يقول لأصحابه: هيَّا نحمل الفؤوس في ليلة من الليالي، ونكـــرُّ على هذه الآلهة المزعومـــة ونحطمها. لأنَّ الأوان لم يحن بعد.

ولو فعـــل النبي ﷺ ذلك لعرَّض نفســـه وأصحابه إلـــى معركة غير متكافئة، ربما كانت معركة فناء، أو شـــبه انتحار، ثمَّ ماذا تكون النتيجة لو حطَّم هـــذه الأصنام؟ في اليوم التالي ســـيذهب عبَّـــاد الأصنام إلى

QaradawiBooks.com

النحاتين يطلبون منهم أنْ يصنعوا لهم أصنامًا جديدة، ربما كانت أجمل من الأصنام القديمة، يقولون للنحَّات: إنَّ أنف هبل معوج فنريد أنفًا أجمل منه.

لذلك كان المهم تحرير العقل الَّذي ينحت هذا الصنم، والعقل الَّذي يعبده، قبل تحطيم الصنم نفسه؛ وهذا ما جعل النبي ﷺ يحرص على تحرير العقل الإنساني، والضمير الإنساني، والإرادة الإنسانية، لسنوات عديدة، حتَّى في السنة السابعة، في عمرة القضاء، اعتمر ﷺ وأصحابه وكانت الأصنام موجودة، لم يمسَّها، ولم يأمر بتحطيمها، حتَّى جاء الوقت المناسب، في عام الفتح، في السنة الثامنة من الهجرة فكان ﷺ يضرب الأصنام برمحه، فتَخِرُّ على وجوهها، وهو يقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يأتون إلى النبيِّ ﷺ في مكة، بين مضروب، ومشجوج، ومجروح، ويقولون له: يا رسول الله، ائْذن لنا أن نجاهد، أن نقاتل، أن ندافع عن أنفسنا. فيقول لهم: ﴿كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء: ٧٧]. لم يؤذن لي بعد، حتَّى جاء الإذن الإلٰهي بعد ذلك في المدينة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]. فلكلِّ شيء أوان.

من هنا يجب أن نراعي هذه السنن ولا نستعجل ولا نيئس، صحيح أنَّ العجلة من طبيعة الإنسان، ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]. ولذلك قال الله لرسوله: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. لا تستعجل لهم، عليك أن تنتظر، وتغالب هذه العجلة.

QaradawiBooks.com

جاء إلى النبي ﷺ أحدُ أصحابه، هو خباب بن الأرت، رضي الله عنه، وكانت مولاته تكوي ظهره بالحديد المحمي، فضاق ذرعًا بهذا العذاب المتكرر، وقال للرسول ﷺ في ألم: ألا تدعو لنا؟ كأنه يستبطئ سير الزمن، ويستحث خطاه، ويريد حسم الموقف بين الإيمان والشرك، بدعوة محمديَّة تهتز لها قوائم العرش، فينزل الله بأسه بالقوم المجرمين، كما أنزله بعاد وثمود والَّذين من بعدهم.

وغضب النبي ﷺ لهذه العَجَلة من صاحبه، وألقى عليه درسًا في الصبر على بأساء اليوم، والأمل في نصر الغد، فقال: «**إنَّ الرجل قبلكم كان يُمْشَطُ بأمشاط الحديد ما دون عَظْمِه من لحمٍ وعَصَب، ويُنْشَرُ بالمنشار فِرْقَتَيْن، ما يصرفه ذلك عن دِينِه، والَّذي نفسي بيده ليُظهرنَّ اللهُ هذا الأمر، حتَّى يسيرَ الراكبُ من صنعاء إلى حَضْرَمَوْت لا يخاف إلَّا الله، والذئبَ على غنمه، ولكنَّكم تستعجلون**»[1]. فعلى المسلم أنْ ينتظر النصر ولا يستعجل، ولا يَيْئس من رَوْح الله.

هذه ـ أيها الإخوة ـ بعض سنن الله الاجتماعيَّة: سُنَّة التغيير، وسُنَّة النصر، وسُنَّة التدرج، ونحن بحاجة إلى أن نفقهها، ونعرف أنَّ الغد لنا، ولكن لا بدَّ من الصبر والأناة، ولا بدَّ أن نعدَّ هذه الأُمَّة، الَّتي طال عليها الأمد، وعاشت عصور الركود والتخلف الإسلامي، وعصور الاستعمار الَّذي أصاب الكثير من بلاد المسلمين، وعصور الاستبداد الَّتي أصابت الكثير من البلاد الإسلاميَّة، كلُّ هذه العصور تركت في الأُمَّة رواسب ومُخلَّفات، نحن في حاجة إلى أن نزيلها، ونعدَّ الأجيال الجديدة للإسلام، فلا بدَّ من مراعاة السنن، فالفقه الأول الَّذي أركز عليه هو فقه السنن.

---

(١) رواه البخاري في المناقب (٣٦١٢)، عن خباب بن الأرت.

QaradawiBooks.com

(٢) فقه المقاصد:

وهناك فقه آخر أسميه «فقه المقاصد والأسرار»، مقاصد الشريعة، وأسرار هذا الدين، فبعض الناس يقف عند ظواهر الشريعة، ولا ينفذ إلى مقاصدها وأعماقها، وهذه الشريعة جاءت لتقيم مصالحَ العباد في المعاش والمعاد كما يعبر المحققون من علمائنا، أحكام الشريعة مُعلَّلة، حتَّى أحكام العبادات، فالقرآن يقول في أمر الصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وفي الزكاة يقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. وفي الصيام يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. في الحج يقول: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨]. هذا في العبادات، فما بالكم بالمعاملات؟

ولذلك إذا لم تحقق الأحكام أهدافها ومقاصدها فنحن في الحقيقة لم نحقق ما أراده الشارع منَّا، فقد يكون الشخص صائمًا ببطنه وفرجه فقط، ولكنَّ لسانه مفطرٌ على الحرام، وعينيه مفطرتان على رؤية الحرام، وأذنيه مفطرتان على سماع الحرام، ويداه مفطرتان على الامتداد إلى الحرام ـ فلا قيمة لهذا الصيام؛ لأنَّ صيامه لم يؤدِّ إلى التقوى؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن أبي هُرَيْرة: «**من لم يَدَعْ قولَ الزُّور والعمل به، فليس لله حاجةٌ في أنْ يدعَ طعامَه وشرابَه**»[(١)]. لأنَّ المقصود أنْ يثمر الصيام التقوى في قلب العبد، «**رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلَّا الجوع، وربَّ قائمٍ ليس له من قيامِه إلَّا السَّهَر**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٨٨٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. وابن ماجه (١٦٩٠)، والحاكم (٤٣١/١)، =

QaradawiBooks.com

وقد يكون الشخص حافظًا للقرآن بقراءاته ومتقنًا لها، ومع ذلك تجده أحيانا أبعد ما يكون عن خلق أهل القرآن والعياذ بالله، رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه. فلا بدَّ أنْ تثمر العبادات، وتحقق مقاصدها.

نحن لا نريد قشور الأحكام الشرعية، وإنَّما نريد لبابها، فلا نقف عند الظواهر والألفاظ والوسائل، وننسى المعاني والمقاصد والغايات، ولكل أحكام الشريعة الإسلاميَّة مقاصد، فلا بدَّ أن ننفذ إليها.

صحيح أنَّ هناك مدرسة الظاهرية، وهي من مدارس الإسلام المعروفة، مثل ابن حزم، وقبله داود الظاهري، وهؤلاء لهم جمود على بعض الظواهر، يقفون عندها، ففي حديث رسول الله ﷺ: «**لا يبولنَّ أحدُكم في الماء الدائم**»[(١)]. يقول ابن حزم: إذا جاء بقارورة وبال فيها، ثمَّ صبَّها في الماء الراكد، فهذا لم يخالف الحديث؛ لأنّه بال في القارورة ولم يبل في الماء[(٢)].

وكذلك في حديث: «**البكر تُستأذن، وإذنها صُمَاتُها**»[(٣)]. مفهوم الحديث: أنَّ المرأة إذا أُخذ رأيُها وسكتت؛ فقد وافقت على الزواج. فماذا لو قالت بلسانها: لقد وافقت؟ هنا يقول ابن حزم: يبطل العقد؛

= كلاهما في الصوم، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٠١)، عن أبي هريرة.

(١) رواه أحمد (٩٥٩٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الطهارة (٧٠)، والنسائي في الغسل والتيمم (٣٩٨)، وابن ماجه (٦٠٥)، وابن حبان (١٢٥٧)، والبيهقي (٢٣٨/١)، ثلاثتهم في الطهارة، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٩٥)، عن أبي هريرة.

(٢) انظر: المحلى (١٤٢/١) وما بعدها، المسألة (١٣٦)، نشر دار الفكر، بيروت.

(٣) رواه مسلم في النكاح (١٤١٩)، وأحمد (٢١٦٣)، عن ابن عباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لأنَّها خالفت ظاهر الحديث، وهو أنَّ إذنها صماتها[1]. فهذا الفقه الظاهري اعتبره المسلمون شذوذًا عن اتجاه الأُمَّة العام، فالأئمة الأربعة، وجمهور الصحابة، وفقهاء التابعين، وأتباع الأتباع، كلهم يعللون الأحكام، وينظرون إلى المقاصد.

ولذلك أنا أعجب من بعض الناس في عصرنا وبعض الشباب الَّذين أسمِّيهم «الظاهرية الجدد»، هؤلاء يقفون عند الظواهر، ولا ينفذون إلى المقاصد، لا، مهمتنا أن ننفذ إلى مقاصد الشريعة، ونعرف هذه المقاصد ونعرف هذه الأهداف من وراء هذه الأمور، ولو عرفنا هذا لانحلت كثير من المشاكل، وانحلَّ كثير من الأمور الخلافية، وهذا لا يأتي إلَّا بعد تفقه عميق في نصوص الشريعة واستقراء الأحكام، الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتاب اسمه «الموافقات»، كَتَبَهُ في أربعة أرباع، ربع الكتاب عن مقاصد الشريعة، تكلَّم عن هذه المقاصد.

والعلماء قسَّموا هذه المقاصد إلى: مقاصد ضروريَّة، وحاجيَّة، وتحسينيَّة، مصالح ضرورية لا يمكن أنْ يعيش الإنسان بغيرها، ومصالح يمكن أنْ يعيش بغيرها ولكن يكون في حرج وشدَّة، ومصالح تكميلية تحسينية، هذه مقاصد الشريعة الَّتي تسعى إلى تحقيقها.

وابن القيم له فصل ممتع في كتابه «إعلام الموقعين»، يقول فيه: الشريعة عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجَوْر، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإنْ أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين

(١) انظر: المحلى (٥٨/٩) مسألة (١٨٣٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه، وعلى صدق رسوله ﷺ، أتم دلالة وأصدقها[١]. فللشريعة مقاصد، ولا بدَّ من رعايتها.

ولو راعينا مقاصد الشريعة لتغلبنا ـ كما قلت ـ على كثير من المشاكل، مرَّ الإمام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، هو وجماعة من أصحابه، على التتار أيام سطوتهم وطغيانهم، وكانوا يشربون الخمر، سادرين في لهوهم ومنكرهم، فأنكر عليهم بعض أصحابه، فقال لهم ابن تيمية: دعهم؛ فإنَّ الله إنَّما حرَّم الخمر، لأنَّها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء تصدهم الخمر عن قتل الأنفس، وسفك الدماء، ونهب الأموال[٢].

هؤلاء بمجرد أنْ يصحوا يذهبون إلى الحُرمات فينتهكوها، وإلى الأموال فينهبوها، وإلى الدماء فيسفكوها، من أجل ذلك دعاه إلى ترك الإنكار عليهم، فانظر إلى رعايته لفقه المقاصد.

وهذا ما نريده، ألا نقف عند الظواهر والألفاظ، ولا نقيم الدنيا ونقعدها من أجل أمر ظاهري لفظي، وننسى ما وراء ذلك من مقاصدَ وغايات ومعانٍ، فنحن نحتاج إلى فقه المقاصد أيضًا.

(٣) فقه الموازنات:

هناك أيضا فقه ثالث نحتاج إليه، هو «فقه الموازنات»، الموازنة بين المصالح بعضها وبعض، والموازنة بين المفاسد بعضها وبعض، والموازنة بين المصالح والمفاسد، والموازنة بين الأعداء بعضهم

(١) إعلام الموقعين (١١/٣)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) المصدر السابق (١٣/٣).

QaradawiBooks.com

وبعض، هذا النوع من الفقه مهم جدًّا، أن توازن بين الأشياء بعضها وبعض، وقد ذكر لنا القرآن الكريم نماذج من هذا الفقه:

غير مرخصة للطباعة

موسى وهارون:

منها ما ورد في قصة سيدنا موسى مع أخيه هارون عليهما السلام، عندما ذهب موسى لميقات ربِّه عند جبل الطور، وجاء السامري واتَّخذ عجلًا من ذهب، فجعله جسدًا له خوار، واستطاع أنْ يفتن به القوم حتَّى عبدوه، فلمّا رجع موسى قال لأخيه هارون: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ [طه: ٩٢، ٩٣]. وأخذ بلحيته يجرُّه إليه، وكان سيدنا موسى عليه السلام شديدًا، من النوع الحاد.

وهذا من اختلاف البشر في هذه القضايا، فهناك إنسان سهل، وإنسان حزن، هناك إنسان ليِّن وإنسان حادٌّ، حتَّى ولو كانا أخوين.

فقال له هارون: ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: ٩٤]. قال له: أنا وازنت بين الأمرين، إمّا أنْ أنكر عليهم هذا الأمر وأفارقهم واتركهم واتبعك، فربما ازدادوا بذلك ضلالًا وتفرقوا، أو أبقي على وحدة الجماعة حتَّى تعود ونتفاهم في علاج الأمر معًا، ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾. فأنا حافظت على وحدة الجماعة حتَّى تعود. وازن بين المصلحتَين، ووجد هذه المصلحة أولى فرعاها حتَّى يأتي أخوه.

موسى والخِضْر:

ومن نماذج القرآن في الموازنة بين المفاسد والأضرار بعضها وبعض، ما ورد في قصة موسى والخضر عليهما السلام، حينما ركبا في

QaradawiBooks.com

السفينة، وقام الخضر بخرقها، أنكر عليه موسى: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]. كيف تخرقها وهي صالحة، ولِمَ تخرقها وهي ليست لنا؟ حتَّى فسَّر له الخضر الأمر وقال: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]. قال له: هذا الملك الغاصب مثل الاشتراكيين، كلَّما رأوا شيئًا صادروه وأمَّموه، فهذا الملك الغاصب يريد أنْ يضمَّ هذه السفينة إليه، فأراد الخضر عليه السلام أنْ ينقذ هذه السفينة، وكانت لمساكين يتعيَّشون منها، فماذا فعل؟ صنع فيها خرقًا يُعيبها، حتَّى يزهد فيها هذا الملك الظالم، فهذا الملك الغاصب لا تلزمه سفينة معيبة، هو يريد كلّ شيء على أحسن طراز، فهنا صنع الخضر في السفينة عيبًا، ولكن هذا العيب وهذا الضرر أنقذ السفينة، معنى ذلك أنَّه ارتكب أخفَّ الضررين، فحِفْظ البعض أوْلى من تضييع الكلِّ، كانت هذه هي الموازنة.

وذكر القرآن الكريم لنا موازنة أخرى حينما كانت هناك سرية من السرايا الَّتي بعثها النبي ﷺ، وحدث أنَّها قاتلت في الشهر الحرام عن خطأ، بدأ شهر رجب وهم لا يعرفون فقاتلوا[1]، فأقام المشركون الدنيا ولم يقعدوها من أجل القتال في الأشهر الحرم، ونسوا كلَّ ما ارتكبوه قبل ذلك من جرائم في حقِّ دين الله تعالى وأهله! فجاء القرآن الكريم يقول: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. القتال في الشهر الحرام كبير

(١) انظر: السيرة النبويَّة لابن هشام (٦٠٤/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

جدًّا فعلًا من كبائر الذنوب، ولكن لاحظوا شيئًا آخر، ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ فلماذا تنسون هذا؟ فممكن أنْ يفعل الإنسان شيئًا يعتبر كبيرة ولكن في مقاومة ما هو أكبر، هذه سياسة الموازنات، أو فقه الموازنات.

كما ذكر القرآن أيضًا الموازنة بين المصالح المادية والمصالح المعنوية في قصة الأسرى في غزوة بدر: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧]. كان رأي سيدنا أبي بكر قبول الفداء من أجل الانتفاع بالمال وبالفداء[1]. لكن القرآن الكريم قال: لا، المهم في هذه الفترة، في المعركة الأولى للمسلمين أنْ يُثخنوا في الأرض، ليرى هؤلاء المشركين قوة الإسلام، فهنا الموازنة بين المصالح المادية والمصالح المعنوية.

والموازنة بين المصالح والمفاسد معروفة في آية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. والأمثلة كثيرة.

هذا هو فقه الموازنات الَّذي ينبغي أن نفقهه، وكثير من المسائل الَّتي يختلف الناس فيها يغيب عنها هذا الفقه.

وينبغي أنْ يقوم فقه الموازنات على أمرين:

(١) حديث مشاورة النبي ﷺ في أسرى بدر رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٦٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

فقه الشرع:

الأول: فقه شرعي يسلم بصحة المبدأ، ويقيم الدليل عليه، والأدلة عليه متوافرة، ولشيخ الإسلام ابن تيمية فصل في تعارض الحسنات والسيئات في فتاويه[1]، في غاية القوة والبلاغة وإقامة الحجة، فقه تعارض الأشياء بعضها مع بعض، هذا هو الفقه الشرعي.

فقه الواقع:

الثاني: فقه واقعي مبني على دراسة الواقع، وللأسف نحن المسلمين لم ندرس واقعنا كما ينبغي، أعداؤنا يعرفون عنَّا أكثر ممَّا نعرف عن أنفسنا! نحن لا نعرف نقاط القوة عندنا، ولا نقاط الضعف لدينا، هم يعرفوننا، ويكشفوننا حتَّى النخاع، ونحن لم نعرف ما عندنا، فضلًا أن نعرف ما عند غيرنا، نحن في حاجة إلى فقه الواقع، ففقه الموازنات مبنيٌّ على فقه شرعيٍّ وفقه واقعيٍّ.

الفقر في المعلومات:

ونحن في عصر المعلومات، أو ثورة المعلومات أو انفجار المعلومات، أو الثورة المعلوماتية، والمسلمون للأسف أقل الناس في هذا الجانب، ففي كثير من الأمور لا نجد عندنا معلومات، ماذا نفعل؟

حينما حدث الانفتاح في الاتحاد السوفيتي، كان للكنيسة هناك في اليوم التالي وجودها وتأثيرها بسرعة، كلُّ شيء عندها مُعَدٌّ، عندها الخرائط التفصيلية، وعندها الأرقام والأعداد، تعرف الكنائس القديمة، والكنائس الصالحة، والكنائس الَّتي تحتاج إلى ترميم، والأماكن الَّتي تحتاج إلى

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥٦/٣٠ ـ ٣٦٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كنائس، أقاموا بسرعة ـ كما حدثني الإخوة في الاتحاد السوفيتي ـ حوالي ألفي كنيسة في السنة الَّتي حدث فيها الانفتاح، فماذا صنع المسلمون؟

قابلت إخوة من تركستان يقولون: أين أنتم يا دعاة الإسلام؟ أين أنتم أيُّها العلماء؟ أين أنتِ أيَّتها الجامعات الإسلاميَّة، والجماعات الإسلاميَّة، وقادة الحركات الإسلاميَّة، ووزارات الأوقاف، والمؤتمر الإسلامي؟ أين أنتم؟ تعالوا؛ فقد تحرك البابا بسرعة، وتحرَّكت الكنيسة بسرعة.

هم قالوا: نحن من تركستان، وأنا مع انشغالي بهموم الأُمَّة لا أعرف كم عددهم، وليس عندي معلومات كافيـة، فنحن لا نعرف هذه البلاد، وهي ليسـت أقليات، بل هي مناطق إسـلاميَّة خالصة، ضمت إلى هذا الكيان الكبيـر لتذوب فيه، ماذا عندنا من معلومات عن المسـلمين في الصيـن؟ ليس عندنـا أيُّ معلومـات؛ ولذلـك عندما نريـد أن نوازن لا نستطيع، لأنَّ الموازنة تقوم على فقه شرعي، وفقه واقعي.

الحديث ـ أيها الإخوة ـ عن الفقه الجديد الرشيد، الَّذي تحتاج إليه الأُمَّة الإسـلاميَّة، وخصوصًا صحوتها المعاصرة، وعن أنواع هذا الفقه ـ هو حديث يطول ويطول، ولا تكفي فيه هذه الإشارات العَجْلى، في هذا الوقت الضيِّق، ولكن حسبها من إشارات، وحسـبها من إضاءات، تنير الطريق للسائرين في ركاب الإسلام.

أسـأل الله تبارك وتعالى أنْ يجمع كلمـة هذه الأُمَّة علـى الهُدى، وقلوبَها على التُّقى، ونفوسَـها علـى المحبَّة، ونيَّاتهـا على الجهاد في سبيله، وعزائمها على عمل الخير، وخير العمل، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

QaradawiBooks.com

١٠

المِحْنَة في واقع الحركة الإسلاميَّة المعاصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدمة

الحمد لله العلي الكبير، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]، والصلاة والسلام على خاتم رسله، البشير النذير، والسراج المنير، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلمنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومَن اهتدى بسُنَّته، وقام بنشر دعوته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فهذه محاضرة ألقيتها في أمريكا الشماليَّة، في إحدى مُدُنها، وفي المؤتمر السنوي لرابطة الشباب المسلم العربي «ألمايا» كما يُعبِّرون عنها اختصارًا.

وكنت منذ أواسط أو أوائل السبعينيَّات من القرن العشرين حريصًا على زيارة المسلمين في أمريكا، وخصوصًا «اتِّحاد الطلبة المسلمين» الَّذي يرمزون له (M.S.A)، والَّذي أمست له فروع في كل أنحاء أمريكا، شرقًا وغربًا، وشمالًا وجنوبًا.

QaradawiBooks.com

والَّذي أنشأ عدة مؤسَّسات كبيرة انبثقت عنه، وأصبح لها وجودها المستقل، وأثرها في الحياة والمجتمع، منها: جمعية الأطباء المسلمين، وجمعية العلماء والمهندسين المسلمين، وجمعية علماء الاجتماع المسلمين، وهيئة الوقف الإسلامي، وغيرها.

وكان اتِّحاد الطلبة المسلمين كاسمه، يضمُّ العرب وغير العرب ممَّن يقيمون في أمريكا، ويدرسون بها. من الباكستانيِّين والهنود والبنغاليِّين والماليزيِّين والإندونيسيِّين، وغيرهم من أبناء آسيا وإفريقيا، تجمعهم العقيدة الإسلاميَّة، والأُخوة الإسلاميَّة، كما يجمعهم هَمُّ الدعوة إلى الإسلام، وجَمْعُ المسلمين عليه، وتصحيح أفهامهم له، وحمايتهم من الضياع في خضمّ هذا المجتمع، إذا ترك الطالب المسلم وحده، أو مع صحبة سوء.

وكان بجوار هذا الاتحاد أو من فروعه وثماره: بعض الطلبة المسلمين الَّذين آثروا أنْ ينشئوا كيانًا صغيرًا بجوار الكيان الكبير، وهو اتِّحاد الطلبة المسلمين؛ لأنَّ لسان مؤتمرات الاتِّحاد وندواته هو اللغة الإنجليزيَّة. وكثير من هؤلاء الشباب قدِموا من بلدانهم حديثًا، ولم يتقنوا اللغة بعد، فلا يستفيدون كثيرًا من مؤتمرات الاتحاد.

فأسَّسَ الطلبة الكويتيون في أول الأمر رابطة لهم سَمَّوها «رابطة الشباب المسلم الكويتي»، ثم رأى الطلبة العرب أنَّ هناك خليجيِّين كثيرين من غير الكويت، فاقترحوا أن تُسمَّى رابطة الشباب المسلم الخليجي، واعترض عليهم آخرون بأنَّ هناك طلبة مسلمين عرب من غير الخليج، فالواجب أنْ تشمل هؤلاء جميعًا، ولذا أطلقوا على هذه المؤسَّسة الجديدة اسم: «رابطة الشباب المسلم العربي» على أنْ يكون جزءًا من الاتحاد الأم «اتِّحاد الطلبة المسلمين».

QaradawiBooks.com

وكانت هذه الرابطة تعقد مؤتمراتها في الشتاء غالبًا، وتدعو كبار العلماء والدعاة إليها، وكلهم من العرب، أو ممَّن يتقنون العربية من العجم. وقد دُعيت إليها مرات عدة، وألقيت جملة من المحاضرات، منها هذه المحاضرة: «المحنة في واقع الحركة الإسلاميَّة».

و«المحنة» كلمة معروفة في المحيط الإسلامي، ولا تحتاج إلى «تعريف فني» لها. وهي تعني الامتحان والاختبار والابتلاء لأهل الإيمان ودعاة الحقِّ، بالأذى والشدائد، في أنفسهم وأهليهم وأبدانهم وأموالهم؛ ليختبر الله إيمانهم، وصبرهم، فهو يعاملهم معاملة المخْتَبِر، وهو أعلم بهم؛ ليجزيهم على عملهم الَّذي صدر منهم، لا على ما علمه منهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

ولقد اصطفى الله رسله عليهم السلام من خيرة خلقه، وأمدَّهم بوحيه، وعلَّمهم ما لم يكونوا يعلمون؛ ليبلِّغوا رسالته للناس، مبشِّرين ومنذرين، ومع هذا لم يعصمهم من الابتلاء بالمحن والشدائد، ولا من الأذى والعذاب صنوفًا وألوانًا من قومهم، ليصقل معادنهم، ويبتلي ما في صدورهم، ويمحِّص ما في قلوبهم. فما منهم إلا أوذي، وخصوصًا أُولي العزم منهم، الذين قال الله لرسوله في شأنهم: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

انظر إلى شيخهم نوح عليه السلام، الَّذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، ليُبلِّغهم رسالة ربه، وينصح لهم، ويبشِّرهم وينذرهم، فلم يستجب

QaradawiBooks.com

له إلا أفراد معدودون، حتَّى امرأته لم تؤمن به، وحتى أحد أبنائه كفر به: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] كما قال الله تعالى في كتابه الكريم.

أكثر من ثلاثين جيلًا ـ إذا اعتبرنا الجيل ثلاثين سنة ـ مرَّتْ عليه، وكل جيل أسوأ مما قبله، وهو عليه السلام لم يُقصّر في دعوته، ولم يتوانَ عن التَّبليغ، بل نوَّع الأساليب، ونوَّع الترغيب والترهيب، ونوَّع الزمان والبيان من إسرار وإعلان، فلم ينفتح له قلب، ولم تسمع له أذن. كما حكى عن نفسه: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥ ـ ٩].

فلا عجب أنْ توجَّه إلى ربِّه بدعائه بعد (٩٥٠) سنة فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

ولخَّصَت سورة القمر موقف نوح وقومه، الَّذي انتهى بالطُّوفان الَّذي طهَّر الأرض من شرِّهم، بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ٩ ـ ١٤].

وبعد نوح، لقي رسل الله عليهم السلام من أقوامهم من التَّكذيب والاتهام والإيذاء، ما انتهى بانتصار الله تعالى لرسله، وإنزال عقوبته على الذين كذَّبوهم وآذَوْهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

QaradawiBooks.com

وها نحن نرى إبراهيم عليه السلام يُحاجّ قومه من عبدة الأصنام، فحَجَجَهُم، وأبطل شبهاتِهم بحُجَجِه الدامغة، وكان من حُجَجِه العمليَّة: أنْ حطَّم أوثانهم بفأسه، وجعلها جذاذًا إلا كبيرًا لهم، لعلَّهم إليه يرجعون.

فلمَّا عرفوا القصة، وجاؤوا بإبراهيم ليحقِّقوا معه بتهمة تحطيم آلهتهم، سألوه: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٢، ٦٣]، فلمَّا لم يجدوا لهم حُجَّة قالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، وأوقدوا نارًا عظيمة ليحرقوه بها، وقذفوا به وسط هذه النَّار، فلم تحرق النَّار إبراهيم، بل قال الله لها: ﴿يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، ونَجَّاه الله من النار، وردَّ كيد القوم في نحرهم.

وبعد إبراهيم أبِي الأنبياء، جاء أولو العزم من الرسل: موسى عليه السلام، الَّذي أرسله الله إلى فرعون وقارون وهامان، فقالوا: ساحر كذاب. وفرعون يُمثِّل الملَكِيَّةَ الطاغية المتألهة في الأرض، وقارون يُمثِّل الرأسمالية المستكبِرة الكانزة لمال الله عن عباد الله، قائلًا: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]، وهامان يمثل الواسطة المتسلِّقة الَّتي تعيش في خدمة المَلِك والمال على حساب الشعب.

وقد قال فرعون: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۞ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ [غافر: ٢٦ ـ ٢٨]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ۞ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ

QaradawiBooks.com

يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۞ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧ ـ ١٢٩].

وبعد أنْ نصر الله موسى ومَن معه من بني إسرائيل على فرعون وملئهم، وأطبق عليهم البحر، فكانوا من المغرقين: لقي موسى من أذى قومه وتمرُّدهم ما لقي، حتَّى قالوا له: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِىۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٤، ٢٥] يعني بهؤلاء القوم الفاسقين: قومه الذين نجَّاهم الله من فرعون على يديه. مع هذا ناله من أذاهم الكثير، حتَّى إنَّ النبي ﷺ حين تطاول عليه بعض الخارجين عن الأدب وحسن الخُلُق قال: «**يرحمُ الله أخي موسى، لقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر!**»[(١)].

وجاء بعد موسى من أولي العزم: المسيح عيسى ابن مريم، رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، أرسله الله إلى بني إسرائيل مصدِّقًا لما بين يديه من التوراة، ومُبشرًا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، ولقي من بني إسرائيل وأحبارهم ما لقي من الكيد والأذى والتَّكذيب والاتِّهام له ولأُمِّه، حتَّى إنَّه كان يقول لهم: يا أولادَ الأفاعي[(٢)]! وكادوا له عند الرومان، وتآمروا على صلبه، وسجَّل ذلك القرآن عليهم: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ۞ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۞ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦ ـ ١٥٨].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٣٦)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٢)، عن ابن مسعود.

(٢) إنجيل متَّى (٣/٧).

QaradawiBooks.com

وخُتِمَ أولو العزم ـ بل خُتِمَ النبيُّون جميعًا ـ بمحمَّدٍ ﷺ الَّذي خصَّه الله بدعوة عالمية خالدة شاملة، فبُعث للناس أجمعين، أرسله الله بالهدى ودين الحقِّ ليُظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون، ووَفْق سنن الله كان لا بدَّ أنْ يُحارَب ويُحارِب، وكانت معاركه مع خصومه على كلِّ مستوى، على الصعيد الأدبي، وعلى الصعيد الاقتصادي، وعلى الصعيد العسكري.

لقد أُوذي وأصحابه حتَّى استشهد منهم مَن استشهد تحت العذاب، وحُوصروا حتَّى أكلوا أوراقَ الشجر، وأُخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حقٍّ إلا أنْ يقولوا: ربُّنا الله، وقاتَلوا وقُتلوا حتَّى لم يبقَ بيت إلا قدَّم شهداء.

ونزل القرآن المكي يواسيهم: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

كما نزل القرآن المدني يُواسيهم، وقد رمتهم العرب عن قوسٍ واحدةٍ، وأمسوا ينامون مع أسلحتهم خشية مباغتة الأعداء بالهجوم عليهم.

قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وبعد محمدٍ ﷺ تعرَّض كل مَن تمسَّك بالحق ودافع عنه إلى الأذى، بل إلى القتل، حتَّى إنَّ ثلاثة من الخلفاء الراشدين المهديين ماتوا مقتولين شهداء عند ربهم: عمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم أجمعين.

والحسين السبط رضي الله عنه مات شهيدًا مقتولًا مظلومًا.

وكل صاحب رسالة بعد ذلك من العلماء والربَّانيِّين والأئمة الصادقين، أوذي من أجل رسالته بما أُوذي، فلم يَهِنْ لهم عزم، ولم تلِنْ

QaradawiBooks.com

لهم قناة، ولم تخمَدْ لهم جذوة، ولم يمُتْ لهم أمل، بل كانوا كما قال الله في أمثالهم: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

دخل شيخ الإسلام ابن تيمية السجن من أجل تشبُّثه بأفكاره وما يؤمن به، ودخله كذلك تلميذه الإمام ابن القيم، وقضى ابن تيمية نحبه في السجن.

ولم يَحْن شيء من ذلك رأسه، أو يفتَّ في عضده، أو يُشعره بالأسى على ما أصابه، بل قابل ذلك كلِّه برضا القلب، وسكينة النفس، وقال كلمته الشهيرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنَّتي وبستاني في صدري، إنْ رحتُ فهي معي لا تفارقني، إنَّ حبْسي خلوة، وقتْلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة[١].

وكذلك كان موقف كل المصلحين والمجدِّدين لهذا الدين، خاضوا لُجَج المحن، لجَّة وراء لجَّة، ومحنة إثْر محنة. ومنهم مَن قدَّم عنقه فداء لدعوته، وهو يستحضر قول الصحابي الجليل:

ولستُ أُبَالي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا على أيِّ جَنْبٍ كان في الله مَصْرَعي[٢]!

وقدَّمتْ الدعوة الإسلاميَّة الحديثة، أو الحركة الإسلاميَّة المعاصرة، قوافل من الشهداء، منهم من أُعدم شنقًا، مثل: عبد القادر عودة، وسيد قطب، ومحمد فرغلي، ويوسف طلعت، وإبراهيم الطيب، وعبد العزيز البدري؛ ومنهم من اغتيل على يد خصومه، مثل: حسن البنَّا الَّذي اغتالته

(١) نقل ذلك عنه تلميذه ابن القيم في الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم صـ٤٨، تحقيق سيد إبراهيم، نشر دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.

(٢) هو سيدنا خبيب بن عدي، والبيت رواه البخاري في المغازي (٣٩٨٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الحكومة بيد رجالها في عهد المَلِك، وقد حُوكم أنصار البنّا بعد الثورة وسجنوا، ومنهم مَن قُتلوا على يد سجانيهم، كما في حادث «ليمان طرة» الَّذي قُتل فيه بضعة وعشرون سجينًا على يد حُرَّاسهم.

ومنهم مَن قُتل تحت سياط التَّعذيب، مثل: شهداء زنازين العذاب في السجن الحربي. ومنهم مَن قُتل في معارك غير متكافئة مع خصومهم، فسقط الآلاف شهداء.

وهكذا يظل الصراع محتدمًا بين الحق والباطل في صور شتَّى، وبأساليب شتَّى؛ تتغيَّر الوجوه، وتتغيَّر الأسلحة، وتتغيَّر أرض المعركة، ولكنها أبدًا مستمرَّة لا تتوقَّف، وإنْ كانت تهدأ أحيانًا، ولكنَّه الهدوء الَّذي يسبق العاصفة، كما يقولون.

وما دام في الأرض خير وشر، وما دام في الناس أخيارٌ وأشرارٌ، وما دام لكلِّ إنسان مَلَكٌ يُلهمه، وشيطان يوسوس له، وما دام للناس شهوات تغريهم بالغيِّ، وعقول تهديهم إلى الرشد؛ فسيظل التدافع قائمًا، والمعركة مشتعلة، والحرب سجالًا، حتَّى تكون العاقبة للحق ودعاته، وللتقوى وأهلها.

﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء: ٨١].

وآخر دعوانا أنَّ الحمد لله رب العالمين.

القاهرة في: شعبان ١٤٢٩هـ.

أغسطس ٢٠٠٨م

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المحنة في واقع الحركة الإسلاميَّة المعاصرة[١]

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة للرشد، وقائد الخلق إلى الحقِّ: سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتَّبعوا النور الَّذي أنزل معه أولئك المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أُحيِّيكم جميعًا أيها الأخوة، وخير ما أحييكم به تحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حديثي إليكم أيها الإخوة: عن المحنة في واقع الحركة الإسلاميَّة المعاصرة. والمحنة جزء كبير في تاريخ الحركة الإسلاميَّة الحديثة، أصبحت لازمة من لوازمها.

المقصود بالمحنة:

ويُقصد بالمحنة: الاضطهاد الجماعي المُركَّز الَّذي تُوقِعه السلطة على الحركة بمصادرة نشاطها، والتنكيل برجالها. وهذا وقع أول ما وقع في مصر؛ الأم والرائدة في الحركة الإسلاميَّة، وأول ما برز ذلك وتجلى في سنة ١٩٤٨م، حينما أعلن الحاكم العسكري في مصر[٢] في ذلك الوقت، الَّذي عادى أبناء وطنه، واقترب من إسرائيل، والَّذي وقَّعَ ـ بعد

(١) ألقيت في رابطة الشباب المسلم العربي بأمريكا الشمالية، وقد فاجأني الإخوة المسؤولون في الرابطة بالموضوع المطلوب مني، وليس معي مرجع، ولهذا اعتمدت على الذاكرة.

(٢) هو محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الحزب السعدي، رئيس وزراء مصر، ووزير الداخلية.

QaradawiBooks.com

ذلك ـ معاهدة الهدنة «معاهدة رودس»[١] مع إسرائيل، وأعلن حلَّ جماعة الإخوان المسلمين في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م، وبدأت بذلك الاعتقالات، والتَّعذيبات، إلى آخر ما حدث، حتَّى إنِّ مؤسِّس الحركة، ورجل الدعوة الأول، الإمام حسن البنا، قد اغتيل على يد الحكومة!

ثم حدثت بعدها محن أخرى: محنة عام ١٩٥٤م، ومحنة عام ١٩٦٥م، ومحنة عام ١٩٨١م، وحدث ذلك أيضًا في بلاد كثيرة، أبرزها في سوريا[٢].

أسباب المحنة:

هذا القمع وهذا التَّنكيل الجماعي ما سببه؟ هل هو شيء طبيعي أو لا؟

إنَّ أيَّ دعوة تدعو إلى منهج حياة، أو نظام حياة يمسّ أنظمة الحكم، ويمسّ مصالح الطبقة المتسلطة على المجتمع، لا بدَّ أنْ تقف في موقف يُعرِّضها لأذى السلطة واضطهادها، فإنْ لم تكن سلطة فَلِأذى السادة والكبراء.

---

(١) وُقِّعَت المعاهدة في فبراير ١٩٤٩م.

(٢) من أبرز محن الإخوان في سوريا: مذبحة أو مجزرة حماة، والتي وقعت في ٢ فبراير من عام ١٩٨٢م، وكان سبب هذه المجزرة: قيام حركة الإخوان المسلمين بالعصيان العام، ومعارضة الحكم العلوي المسيطر على البلاد ذي الغالبية السنيَّة. ولكن لم يُكتب لهذه الحركة النجاح، وذلك لضعف إمكانيات الجماعة مقارنة بالجيش الحكومي الذي يمتلك كل مقومات الجيش الحديث. وقد قامت القوات السورية بتطويق مدينة حماة، وقصفها بالمدفعية، ومن ثم اجتياحها عسكريًّا. بلغ عدد ضحايا المجزرة حسب تقدير اللجنة السورية لحقوق الإنسان ما بين (٣٠)، و(٤٠) ألف إنسان، غالبيتهم العظمى من المدنيين. وتمت المجزرة بالقتل الفردي والجماعي، وتم دفن الضحايا في مقابر جماعية، وتشير بعض التقارير إلى صعوبة التعرف على جميع الضحايا؛ لأنَّ هناك ما بين (١٠) آلاف، و(١٥) ألف مدني اختفوا منذ وقوع المجزرة، ولا يُعرف أفي الأحياء هم؟ أم في الأموات؟ وكانت الخطة التي نفَّذها النظام السوري في تدمير حماة أشبه ما تكون بـ «الوأد الجماعي»، حيث حوصرت المدينة من كل الجهات، ثم قصفت بالمدفعية الثقيلة قصفًا عشوائيًّا، تمهيدًا لاقتحامها بالدبابات والآليات، في الوقت الذي تخوض فيه عناصر سرايا الدفاع والوحدات الخاصة حرب الشوارع ضد المواطنين العزل.

QaradawiBooks.com

شمولية الإسلام عند حسن البنَّا:

لذلك كان لا بدَّ من هذا الصدام، فقد قامت الحركة الإسلاميَّة منذ فجرها تدعو إلى الإسلام الشامل، لا تدعو إلى الإسلام التَّقليدي الَّذي حرفته عصور الانحطاط عن موضعه، وعن مكانه الحقيقي، أو إلى الإسلام السلبي، إسلام «دع الملك للمالك، واترك الخلق للخالق»، أو «أقام العباد فيما أراد»!

ولكن إلى الإسلام الحيِّ المتحرِّك، الَّذي يشمل جوانب الحياة كلها، ويعلن في الناس من أول يوم: أنَّه «دين ودولة، عبادة وقيادة، صلاة وجهاد، حق وقوة، ومصحف وسيف»[1].

هذا الإسلام الشامل كان أمرا غريبًا على الناس، فكان المجتمع يعيش في عزلةٍ، في عمى عن الإسلام الشُّمولي، كانت معاني القوة في الإسلام بعيدة عن الناس، كانت كلمة الجهاد لا يكاد الناس يفهمون لها معنى، كانت كلمة الدولة شيئًا غريبًا أيضًا.

---

(١) ذكر الإمام حسن البنا هذا كثيرًا في عدد من رسالاته، ومن ذلك قوله: «واذكروا جيدًا أيها الإخوان... أنَّ الله قد مَنَّ عليكم، ففهمتم الإسلام فهمًا نقيًّا صافيًا، سهلًا شاملًا، كافيًا ووافيًا، يساير العصور ويفي بحاجات الأمم، ويجلب السعادة للناس، بعيدًا عن جمود الجامدين، وتحلل الإباحيين، وتعقيد المتفلسفين، لا غلو فيه ولا تفريط، مستمدًّا من كتاب الله وسنَّة رسوله وسيرة السلف الصالحين، استمدادًا منطقيًّا منصفًا، بقلب المؤمن الصادق، وعقل الرياضي الدقيق، وعرفتموه على وجهه: عقيدة وعبادة، ووطن وجنس، وخلق ومادة، وسماحة وقوة، وثقافة وقانون. واعتقدتموه على حقيقته: دين ودولة، وحكومة وأمة، ومصحف وسيف، وخلافة من الله للمسلمين في أمم الأرض أجمعين. انظر: رسالة المؤتمر السادس ضمن مجموعة الرسائل صـ٢٠٢، نشر المؤسسة الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

الإسلام لا يكون إلَّا سياسيًّا:

ولهذا بدأ حسن البنَّا مجدِّد الإسلام في هذا القرن «القرن الرابع عشر الهجري» ومؤسِّس كبرى الحركات الإسلاميَّة الحديثة، بدأ يطوف البلاد شرقًا وغربًا يعلم الناس، كان الناس يقولون: إن هؤلاء يريدون أنْ يدخلوا الدين في السياسة والسياسة في الدين.

فبدأ يُعلمهم أنَّه لا يوجد انفصال بين الدين والسياسة في الإسلام. هل كان الرسول دينيًّا ومعه رجل سياسي آخر؟ أو كان هو الديني والسياسي معًا؟

كان ﷺ الإمام في الصلاة، والقائد في الحرب، والحاكم في المجتمع.

هل كان الخلفاء ـ الذين جاؤوا من بعده ـ دينيين أو سياسيين؟

هل عرف الإسلام شيئًا اسمه الدين وشيئًا اسمه السياسة[1]؟

إنك في الصلاة تقرأ القرآن، فتقرأ آيات الجهاد، وآيات التشريع المدني، مثل آية المُداينة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ..﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وآيات الحكم: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۞ ... فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ ... فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٤، ٤٥، ٤٧]، وذلك وأنت في قلب صلاتك تتعبد الله تعالى.

---

(١) ناقشنا ذلك في عدد من كتبنا، وأهمها كتابنا: الدين والسياسة، صـ٩٣ ـ ١٠٤، الفصل الثالث: تهمة الإسلام السياسي، نشر دار الشروق القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

وفي الصلاة هناك «قنوت النوازل»، تستطيع أنْ تقنت في الصَّلاة، فتدعو على المستعمرين والظالمين، بعد قيامك من الركوع في الركعة الأخيرة.

وهكذا فعل حسن البنَّا في معركة المقاومة مع الإنجليز، حيث قال: إنَّ الإسلام شرع لنا «قنوت النوازل» لندعو على أعدائنا، وحيث كنا نحارب الإنجليز فعلينا أنْ نستعين الله عليهم، وندعو في صلاتنا.

وطلب من أئمة المساجد في أنحاء مصر أنْ يدعوا على الإنجليز؛ ليُلهب العواطف، وتتَّحد المشاعر كلها، ويُعَبِّئ الأُمَّة قلبيًّا، وعاطفيًّا، وعقليًّا؛ لمحاربة الإنجليز، بمثل هذا الدعاء: اللهمَّ رب العالمين، وأمان الخائفين، ومذل المتكبرين، وقاصم الجبَّارين، تقبَّل دعاءنا، وأجِب نداءنا...

اللهمَّ إنك تعلم أنَّ هؤلاء الغاصبين من البريطانيين قد احتلوا أرضنا، وغصبوا حقَّنا، وطغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد.

اللهم فردَّ عنا كيدهم، وفلَّ حدَّهم... وأزل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحدٍ من عبادك المؤمنين. آمين[1].

وبدأت المساجد في مصر كلها تدعو بهذا الدعاء.

فهذا إسلام جديد، إسلام يُجنِّدُ الأُمَّة لمقاومة الاستعمار، وطرد المستعمرين. ليس الإسلام «المُستأنَسُ» الَّذي عرفه الناس من قبل، وهذه

(١) انظر: جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (١٣٥)، السنة الأولى، الخميس ١٥ ذي الحجة ١٣٦٥هـ ـ ١٠ أكتوبر ١٩٤٦م.

QaradawiBooks.com

الفلسفة الجديدة في الإسلام صدمت أولئك الذين أرادوا أنْ يقودوا الأُمَّة إلى حيث يُبعدونها عن الإسلام، كانوا يُريدون أنْ يلقوا في ضمير الأُمَّة تلك الفلسفة النصرانية، فلسفة «دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»[١].

فعلَّمهم حسن البنَّا أنَّ الحياة لا تنقسم بين الله وبين قيصر، وأنَّ الإنسان لا يُشطر شطرين: شطر للدين، وشطر للدولة.

فالإسلام لا يقبل قسمة الحياة، ولا شَطْرَ الإنسان؛ وإنَّما قيصر وما لقيصر لله رب العالمين: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٦].

فكان هذا معنًى جديدًا، صدم أولئك الماكرين الحاكمين.

جاء حسن البنَّا بهذا الفهم للإسلام، فكان فكرًا جديدًا بالنسبة لما ساد بين الناس، لذلك سمَّاه «إسلام الإخوان المسلمين[٢]»، ولكنَّه في الحقيقة إسلام القرآن والسُّنَّة، الإسلام الَّذي لم يعرف الصحابة ولا التابعون ولا سلف هذه الأُمَّة غيره، الإسلام الَّذي لا يقبل التجزئة ولا الشركة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

---

(١) إنجيل متى (٢١/٢٢).

(٢) ذكر الإمام الشهيد هذا في رسالة المؤتمر الخامس، وقال تحت هذا العنوان: واسمحوا لي إخواني استخدام هذا التعبير، ولست أعني به أنَّ للإخوان المسلمين إسلامًا جديدًا غير الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ عن ربه، وإنَّما أعني أنَّ كثيرًا من المسلمين في كثير من العصور خلعوا عن الإسلام نعوتًا وأوصافًا ورسومًا من عند أنفسهم، واستخدموا مرونته وسعته استخدامًا ضارًّا، مع أنَّها لم تكن إلا للحكمة السامية، فاختلفوا في معنى الإسلام اختلافًا، وانطبعت للإسلام في نفس أبنائه صور عدَّة تقرب أو تبعد أو تنطبق على الإسلام الأول الذي مثَّله رسول الله وأصحابه خير تمثيل. انظر: رسالة المؤتمر السادس ضمن مجموعة الرسائل صـ١١٨.

QaradawiBooks.com

إسلام الحاكم أو حكم المسلم:

كان هذا أول ما قدَّمه حسن البنا، قدَّم الإسلام شاملًا، وقال: إنَّ الإسلام عقيدة وشريعة، ونظام حكم، ولا بدَّ: إمَّا أنْ يُسلم الحاكم، أو يَحكم المسلم؛ إما أنْ ينتقل الإيمان إلى قلوب الحاكمين، أو ينتقل الحكم إلى أيدي المؤمنين.

حينما قالوا: أنتم تطلبون الحكم. قال: نحن نريد الحكم الإسلامي، فإذا وُجِد مَن يحكم بالإسلام حقًّا فنحن جنوده وأنصاره، وإن لم يكن ذلك فعلينا أن نستخلص الحكم الإسلامي من أيدي أولئك العلمانيين الذين لا يحكمون بما أنزل الله، لهذا لا بدَّ أنْ يصطدم بأنظمة الحكم[1].

حسن البنَّا أرسى المفاهيم ونزل بها إلى أرض الواقع:

ثم من ناحية أخرى لم يقل هذا مجرد كلام فقط، وإنَّما هو كلام تبعه عمل، فكان يُربِّي أتباعه على معاني الجهاد حقًّا.

---

(١) ذكر الإمام البنا ذلك في رسالة المؤتمر الخامس حيث قال: الإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإنْ وجدوا من الأُمَّة مَن يستعد لحمل العبء، وأداء هذه الأمانة، والحكم بمنهاج إسلامي قرآني، فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وإنْ لم يجدوا فالحكم من منهاجهم، وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومةٍ لا تُنفذ أوامر الله... وكلمة لا بدَّ أنْ نقولها في هذا الموقف: هي أنَّ الإخوان المسلمين لم يروا في حكومة من الحكومات التي عاصروها ـ لا الحكومة القائمة ولا الحكومة السابقة، ولا غيرهما من الحكومات الحزبية ـ مَن ينهض بهذا العبء، أو مَن يُبدي الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية، فلتعلم الأمة ذلك، ولتطالب حكَّامها بحقوقها الإسلامية، وليعمل الإخوان المسلمون. انظر: مجموعة الرسائل للإمام الشهيد صـ١٣٧. كما ذكر الإمام البنا هذا للكاتب والأديب إحسان عبد القدوس في حواره الذي نشره في: روز اليوسف، وجعل عنوانه: «الرجل الذي يتبعه نصف مليون»، وكان سؤال إحسان عبد القدوس: هل تسعون لتولي الوزارة؟ فأجاب الإمام: إننا نؤيِّد أي وزارة تنفذ برنامجًا قائمًا على الدين الصحيح، سواء أكنا نحن الذين نتولَّاها بأنفسنا أم كان غيرنا. انظر: روز اليوسف، العدد الصادر في ١٢ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٤٥م.

QaradawiBooks.com

نفخ فيهم روح الجهاد من أوَّل يوم قامت فيه الدعوة، ورفعت شعاراتها ودوَّت في سماء مصر هتافاتها: الله أكبر ولله الحمد، لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله، عليها نحيا، وعليها نموت، وفي سبيلها نجاهد، وحتى نلقى الله.

نغمة جديدة كانت أول ما استرعاني وأنا صبيٌّ صغير، هذه الهتافات الَّتي تهزُّ القلوب هزًّا: الله غايتُنا، والرسول قدوتُنا، والقرآن دستورُنا، والجهادُ سبيلُنا، والموتُ في سبيل الله أسمَى أمانينا[1].

وأناشيد الجهاد:

هو الحقُّ يَحْشُدُ أجنادَهُ ... ويعتدُّ للموقفِ الفاصلِ
فَصُفُّوا الكتائبَ آسادَهُ ... ودُكُّوا به دولةَ الباطلِ
أخا الكفر إمَّا تَبِعْتَ الهُدى ... فأصبحتَ فينا الأخَ المُفْتَدَى
وإمَّا جهلتَ فنحن الكُمَاة ... نقاضي إلى الرَّوْعِ من هدَّدا
إذن لأذقناكَ ضِعْفَ الحياة ... وضعْفَ المماتِ ولن تُنْجَدَا[2]

---

(١) ذكر الإمام البنا هذا الشعار في عدد من رسائله: منها رسالة إلى الشباب، وفيها يقول: وسنجاهد في سبيل تحقيق فكرتنا، وسنكافح لها ما حيينا، وسندعو الناس جميعًا إليها، وسنبذل كل شيء في سبيلها، فنحيا بها كرامًا أو نموت كرامًا، وسيكون شعارنا الدائم: الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا. انظر: مجموعة الرسائل للإمام الشهيد صـ١٧٦. كما ذكره كذلك في رسالة التعاليم عند حديثه عن أركان البيعة، وبالتحديد في ركن الثقة، فبعد أن ذكر ثمانية وثلاثين واجبًا من واجبات البيعة قال: أيُّها الأخ الصادق، هذه مجمل لدعوتك، وبيان موجز لفكرتك، وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ في خمس كلمات: «الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن شرعتنا، والجهاد سبيلنا، والشهادة أمنيتنا». انظر: مجموعة الرسائل للإمام الشهيد صـ٣٦٩.

(٢) الأبيات للأستاذ عبد الحكيم عابدين.

QaradawiBooks.com

معانٍ جديدة، وأناشيد جديدة، حتَّى شعار الحركة: مصحف يحوطه سيفان، وتحته كلمة «وأعدّوا»، إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وكانت المعسكرات لتدريب الشباب على الخشونة وعلى معاني الجهاد أمرًا جديًّا إيجابيًّا، لم يكن مجرَّد كلام يقال، فلما أُتيحت الفرصة للجهاد والعمل، وللصدام المسلَّح مع أعداء الأُمَّة، سارعَ هذا الشباب يطلبون الجهاد ويلتمسون الشهادة في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م.

كان الشباب يزدحمون إلى مكاتب التَّطوُّع، يريدون أنْ يكون لهم شرف المشاركة في الجهاد في سبيل الله.

أصدر الإمام الشهيد حسن البنَّا قرارًا بأنَّ طلاب المرحلة الثانوية لا يُقبَلون في التطوع، وأذكر أنَّه كان لنا أخ زميل في المرحلة الثانويَّة اسمه «عبد الوهَّاب البتانوني»، استشهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فلسطين.

وكان يتُوق إلى الجهاد في فلسطين، يبيت يحلم بها، كأنَّما هو قَيْس وهي لَيْلاه! وكان يتيمًا منذ صغره، وكانت أمه تحبه وتحنو عليه وتحرص عليه، فلم تأذن له بالجهاد، فطلب مني ومن بعض الإخوة، منهم الأخ «أحمد العسَّال» أن نذهب إليها نحدِّثها عن فضل الجهاد وفضل الاستشهاد ودوْر الأمهات في عهد السلف الصالح؛ لكي تأذن له في الذهاب إلى الجهاد. وفعلًا ذهبنا إلى قريته لنُحدِّث أُمَّه ونقنعها، حتَّى اقتنعت وأذنت له وهي تبكي، فذهب الأخ إلى ميدان الجهاد، وكنا نتردَّد على أستاذنا الأستاذ: البهي الخولي، وكان الأخ عبد الوهاب يحدثه عن تشوُّقه إلى الجهاد، فلما ودَّعنا وذهب إلى فلسطين قال الشيخ البهي: إنِّي كلما رأيت عبد الوهاب رأيت دم الشهادة يترقرق في وجهه.

QaradawiBooks.com

ذهب المجاهدون ـ وكانوا يسمونهم المتطوعين ـ إلى أرض فلسطين، وصنعوا العجائب ـ وكان هذا الجهاد من أسباب محنتهم بعد عودتهم منه ـ فرأى اليهود ورأى الإنجليز منهم عجبًا.

في إحدى المعارك الَّتي خاضها هؤلاء الشباب وكانوا اثني عشر رجلًا، بعد أن اغتسلوا وتطيَّبوا واستعدوا للموت، ودخلوا المعركة متوضِّئين متطهِّرين، ولمَّا رأى القائد الإنجليزي ما صنع هؤلاء على قلَّة عددهم، قال: لو كان معي ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم فلسطين.

أُسِرَ الأخ المرحوم الضابط «معروف الحضري» في سجون إسرائيل، فحدَّثه بعض الضباط الإسرائيليين وقالوا له فيما قالوا: نحن لا نخاف من الجيوش، ولا من الضبَّاط، ولا من أسلحة الجيش، وإنَّما كل ما يخيفنا هم هؤلاء الناس، جماعة «الله أكبر ولله الحمد».

قال لهم: وما يخيفكم من هؤلاء وهم قليلو التَّدريب وأسلحتهم بسيطة وضعيفة؟ فقال له: نحن لا نخاف من أسلحتهم ولا من تدريباتهم، وإنَّما نحن جئنا من بلاد شتَّى إلى هذه الأرض لنعيش، أمَّا هؤلاء فجاؤوا إلى هذه الأرض ليموتوا! فهذا ما كان يخيفهم أيها الإخوة[1].

حكى أخونا الأستاذ كامل الشريف في كتابه «الإخوان المسلمين في حرب فلسطين» أنَّه كان إذا طلب من أيِّ سرية من السرايا، أو مجموعة من المجموعات أنْ تذهب إلى عمل فدائي، يطلب ثلاثة أو خمسة من الرجال، فيتقدَّم إليه عشرون أو ثلاثون يتنازعون، كلٌّ يريد أنْ يُقدِّم نفسه،

(١) راجع: الطريق إلى بيت المقدس للدكتور جمال عبد الهادي (٢٣٨/٢) نشر دار الوفاء، المنصورة، مصر.

QaradawiBooks.com

فلا يُحَلّ النزاع إلا بأنْ يقارَع بينهم، وكلهم يتسابقون إلى الجنَّة، ومن لقي منهم الشهادة يبتسم، وهو يقول: وعجلت إليك ربي لترضى.

أصيب أحدهم في ساقه وبُترت أمام عينيه، فنظر إليها مبتسمًا، وهو يردِّد قول الصحابي الجليل خبيب بن عدي من قبل:

ولستُ أبالي حينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا على أيِّ جَنْبٍ كان في الله مَصْرَعِي
وذلك في ذاتِ الإلَهِ وإنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[1]

كانت هذه أيها الإخوة بعض مسبِّبات المحنة.

الفرق بين الإخوان وغيرهم من الجماعات:

ولذلك أُخِذَ هؤلاء الشباب بأسلحتهم من الميدان إلى الاعتقال، وضُرِبَ إخوانهم في مصر، فكان هذا الجهاد مما سبَّب في تفتُّح الأعين على قوة هذه الحركة، والإيمان بأنَّها ليست مجرَّد كلامٍ أو شعارات، وليست جماعة عاديَّة مثل: جماعات البر والإحسان، وجماعة «دفن الموتى»، أو جماعة «مولاي صلّ وسلم دائمًا أبدًا» إلخ، وإنَّما هذه جماعة جديدة، دم جديد، تريد أنْ تجدد للإسلام شبابه.

تخوف الغرب من حسن البنَّا ودعوته:

وهناك أمر آخر أيضًا هو: أنَّ القوى العالمية المؤثِّرة في سياستنا الداخلية وفي منطقتنا الإسلاميَّة بدأت تعرف معنى هذه الجماعة وترصدها، فهناك أجهزة للرصد مفتَّحة الأعين، ليست غافلة عنا، بدأت ترصد هذه الجماعة، ترصد حسن البنَّا وهو يجوبُ مدن مصر وقراها ـ بعد أنْ وضعت الحرب العالميَّة أوزارها ـ يُجَنِّد الناسَ لمقاومة الإنجليز المحتلين.

(١) سبق تخريجه صـ ٢٩٨.

QaradawiBooks.com

مؤتمرات عقدتها الحركة في مدن مصر الكبرى، في كل مكان لتعريف الناس بحقيقة المطالب الوطنيَّة، وكانت تتمثَّل حينذاك في الجلاء ووحدة وادي النيل.

وأشهد أنِّي ما فهمت هذه المطالب وأنا طالب صغير إلا من حسن البنَّا في ذلك الوقت، وهو يُعَلِّمُ الناسَ ويحفظهم: قضيتنا، ووسيلتنا، ودعوتنا، ويتحدث عن رسائل المقاومة: وهي التعريف، ثم المقاطعة، ثم المجاهدة، وكان يقول: في ليلي كنت أدعو الله ـ في سجودي ـ وأقول: اللهمَّ ارزقني الحياة الطيِّبة، والموتة الطيِّبة.

وما هي الموتة الطيِّبة أيها الإخوان؟ إنَّها ليست الموت على فراش وثير، وإنَّما كما يقول حسن البنَّا: أنْ يُفصل هذا عن هذا في سبيل الله، وأشار إلى رأسه وجسده.

وقد حقَّق الله له ما أراد ومات شهيدًا.

فالأجهزة الراصدة، والقوى العالميَّة المؤثِّرة في سياسات بلادنا كانت ترصد الحركة، من أجل هذا كله كان لا بدَّ أنْ تحدث محنة الإخوان المسلمين.

اجتمع في أوائل شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨م في منطقة عسكرية بالقرب من الإسماعيلية، اسمها «فايد»، سفراءُ الدول الثلاث الكبرى: «إنجلترا، وأمريكا، وفرنسا»، وقرروا أنَّه لا بدَّ من التخلُّص من الإخوان المسلمين، ولا بدَّ من حلِّ تلك الجماعة، وبعثوا بقرارهم وبطلبهم هذا إلى القصر الملكي، وإلى حكومة النقراشي، لتحل جماعة الإخوان المسلمين في ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المحنة الأولى:

صودرت كل نشاطات الإخوان، وأُغلقَت دورُهم ومراكزهم، وأُخِذت أموالهم، وعُطِّلت شركاتهم، مثل: شركة المعاملات الإسلاميَّة، وشركة الصحافة الإسلاميَّة، وشركة المناجم والمحاجر، وغيرها، أُخذت بغير حقٍّ، واقتيد العديد من الإخوان إلى المعتقلات، ومنهم الشباب.

كنَّا في المرحلة الثانوية عندما أخذونا إلى المعتقلات، وأخذوا الجمَّ الغفير من الإخوان، ما عدا حسن البنا، وكان المتوقَّع أنْ يأخذوا أولًا: مؤسِّس الحركة وإمام الدعوة، وإنَّما تركوه في الخارج ليقتلوه. وهكذا قتل حسن البنَّا ولقي ربه شهيدًا.

كانت هذه هي المحنة الأولى والكبرى، في واقع الحركة الإسلاميَّة الحديثة.

مدرسة «معتقل الطُّور»:

أُخذ الإخوان إلى الأقسام والسجون في المراكز، ثم إلى معتقل «الهايكستب» بالقرب من القاهرة، ومعتقل الطُّور في سيناء، ولكنهم حوَّلوا سجونهم هذه كلها إلى مساجد للعبادة ومعاهد للتربية.

أذكر أول ما أخذوني أنا وأخ لي رَحِمَهُ اللَّهُ، الأخ «محمد الدمرداش مراد»[1]، وكنا مختفين في قريته، إلى مركز الشرطة في «زِفْتا»، وكان معنا عدد من الناس الذين أخذوا في مخالفات شتى، فصلَّيْنا بهم الفجر، وقلنا لهم: الإنسان المبتلى يجب أنْ يتضرَّع إلى الله، وكان منهم من يصلي

(١) ذكرت ذلك بالتفصيل في مذكراتي: ابن القرية والكتاب (٣٣٨/١) وما بعدها، نشر دار الشروق بالقاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

ومن لا يصلي، وما زلنا بهم حتَّى صلوا معنا الفجر، ثم جلسنا نقرأ المأثورات، ولم يكونوا يعرفون هذه المأثورات، وأخذنا نقرأ الأدعية الَّتي يستحب أنْ يحفظها كل مسلم، أو يحفظ شيئًا منها على الأقل، فقلنا لهم: قولوا معنا: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر»، وكنَّا حوالي أربعين شخصًا.

فلمَّا جاء العساكر ذُهِلوا وقالوا: «هل قلبتم الحجز إلى مسجد يا أولاد الـ...» وتلفظ بالسوء من القول.

وانتقلنا بعدها إلى سجن الحجز في قسم طنطا، فحبسونا مع المجرمين، وكان هذا سببًا في اهتداء كثير منهم، وبعضهم التحق معنا في الدعوة، بفضل الله تبارك وتعالى، وكان من «الفتوَّات».

وهكذا، حيثما حلَّ الأخ المسلم في مكان قلَبَه إلى مكان للطاعة والعبادة وإعلاء كلمة الله ﷻ.

ولمَّا ذهبنا إلى معتقل الطور حوَّله الإخوة إلى جامع للعبادة، وجامعة للعلم، ونادٍ للتدريب، وملتقى للتعارف.

فقبل الفجر يقوم الإخوة إلى الصلاة في جوف الليل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦].

وكان معنا أخ ندي الصوت، يمر بين العنابر ينادي في السحر:

يا نائمًا مستغرقًا في المنام ... قمْ فاذكرِ الحيَّ الَّذي لا ينام
مولاك يدعوكَ لذكره ... وأنت مشغولٌ بطِيب المنام

فننهض لعبادة الله، نقوم الليل، ونتلو القرآن، ويسمع المارّ أمام كل عنبر دويًّا بالقرآن كدويّ النحل، حتَّى يؤذِّن المؤذنُ لصلاة الفجر،

QaradawiBooks.com

فنجتمع في المسجد، وهو أرض فضاء محاطة ببعض الحجارة، لنصلي وراء إمام يتلو القرآن بصوته الندي، هو الداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ، الَّذي كان يقنت قنوت النوازل، وخصوصًا في الصلوات الجهريَّة، ويدعو بدعاء موجز، ولكنَّه مؤثِّر، فيقول: اللهم افكك بقوَّتك أسرنا، واجبر برحمتك كسرَنا، وتولَّ بغايتك أمرنا، اللهم استر عوراتِنا، وآمن روعاتِنا، اللهمَّ عليك بالظالمين. ونحن نقول وراءه: آمين.

وتحوَّل المعتقل إلى مخيم أو معسكر، ولذلك كان بعض الإخوة يقول: إنَّ معتقل الطور هو المخيم الدائم للإخوان المسلمين سنة ١٩٤٨م؛ السفر والمصاريف والنفقات والتكاليف على حساب الحكومة المصريَّة!

وسجَّلتُ ذلك في القصيدة النونيَّة، الَّتي ألقيتها في ميدان السيدة زينب بالقاهرة، بمناسبة المولد النبوي، بعد خروجنا من المعتقل، وفيها قلت:

قالوا: إلى السجن. قلنا: شُعْبةٌ فُتِحَتْ ... ليَجْمَعُونا بها في الله إِخْوَانَا
قالوا: إلى الطُّورِ، قلنا: ذاك مؤتمرٌ ... فيه نُقَرِّر ما يَخْشَاهُ أَعْدَانَا!
فهو المُصلَّى نُزكِّي فيه أنْفُسَنا ... وهو المَصِيفُ نُقَوِّي فيه أبدانَا
مُعَسْكَرٌ صاغنا جُنْدًا لِمَعْرَكَةٍ ... ومعهدٌ زادَنا للحقِّ تِبْيَانَا
منْ حرَّموا الجمعَ مِنَّا فوق أَرْبَعَةٍ ... ضَمُّوا الألوفَ بغاب الطُّورِ أُسْدَانَا

انظروا كيف يُعمي الله بصائرهم؟ أصدروا قانونًا: بأن أيّ خمسة من الإخوان يجتمعون في أيِّ بيت من البيوت، يكونون قد ارتكبوا ما يستوجب الاعتقال! وكم من خمسات اقتادوها، لتوضع ألوفًا في مكانٍ واحدٍ.

QaradawiBooks.com

من حَرَّمُوا الجمعَ مِنَّا فوقَ أَرْبَعَةٍ ضمُّوا الألوفَ بغاب الطُّورِ أُسْدَانا!
رامُــوه مَنْفًى وتضييقًــا فكان لنا بنِعْمَةِ الحبِّ والإيمانِ بُسْــتَانَا!
هذا هو الطورُ شاؤوا أن نَذُوبَ به وشــاء ربُّكَ أن نــزداد إيمانَا[1]!

من فوائد المحنة:

كان للمعتقل ـ أيُّها الإخوة ـ فوائد. ومن هذه الفوائد:

١ ـ صقل الإخوان:

هذا ما حدث بالفعل، فقد تعلَّمنا وتربَّينا وتعارفنا وتآلفنا، عام كامل نرى فيه إخوة يلتقون في الصباح والمساء، وفي الصلاة، وعلى الطعام، وفي الجلسات والندوات والدروس.

فكانت عمليَّة صَهْرٍ وتقوية، وصقلٍ لمعادن النفوس، وهذه كلها من فوائد المحنــة: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فالمحن تردُّ الإنسان إلى الله، فينكسر قلبه إذا شعر بالحاجة إلى الله.

لعل ساعات العافية تنسي الإنســان ربَّه، ولكنَّ ساعات الشِّدَّة تُذكِّره بربِّه ﷻ. كنَّــا في حاجة لأنْ نضــع أيدينا في يــد الله ﷻ، وأنْ ندعوه متضرِّعين إليه، فنشــعر بحلاوة الإيمان، ونتذوَّق لذَّة الطاعة، وكان هذا من فضــل الله ﷻ، فكانت هذه التربية الإيمانيَّة والســلوكيَّة من ثمرات المحنة، كانت من مقوِّمات وأساســيَّات التربية المتكاملة، الَّتي تنشدها

(١) انظر ديواننا: نفحات ولفحات صـ٦٦ ـ ٦٧، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م، وللمزيد راجع كتابنا: ابن القرية والكتاب (٣٥٨/١) وما بعدها.

QaradawiBooks.com

الدعوة، فقد ربَّت الإخوان وصهرتهم وصقلتهم صقلًا عظيمًا، والحمد لله رب العالمين، وهذه ثمرة من ثمرات المحنة.

غير مرخصة للطباعة

٢ ـ تمييز الصفِّ:

ومن ثمرات المحنة: التمييز للصف، فالصف أحيانًا يدخله من ليس أهلًا لحمل الدعوة، يدخله المنافقون، والطامعون، والذين يريدونها مظهرًا لا مخبرًا، ومغنمًا لا غُرم فيه.

فهناك أناس ـ كما قال حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ ـ يحملون الدعوة، وأناس تحملهم الدعوة، هناك من يحمل الدعوة فكرةً وعقيدةً وخلقًا ورسالةً، وآخرون تحملهم الدعوة عبئًا فوق ظهرها.

هذا الصنف ستفرزه المحنة، فهي تنفي خَبَثها كما ينفي الكيرُ خَبَث الحديد، ستُظْهِر طويَّة هذا الصنف، أنَّه كان يريدها غنيمة باردة، وكان يريدها وردة بلا شوك، أو لقمة سائغة، وهيهات هيهات.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤]، يقولون مستبطئين النصر: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، مسَّتهم البأساء في الأموال، والضرَّاء والآلام في الأبدان، والزلزلة في النفوس، إلى أنْ يقول الرسول والمسلمون: متى نصر الله؟

وهؤلاء لم يكونوا يظنون ذلك، هم من الصنف الذين يعبدون الله على حرف، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

والله تعالى يقول بعد غزوة أحد: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، يطرد الخبيث، ويبقى الطيِّب الَّذي يقوم بالدعوة، وتقوم به الدعوة.

أمَّا الذين إذا أُوذوا في الله جعلوا فتنة الناس كعذاب الله، كما جاء في سورة العنكبوت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠] فلا خير في هذا الصنف.

٣ ـ تلاحم الصفِّ:

وإذا كان من مزايا المحنة: أنَّها تنفي هذا الصنف، وتُطَهِّر الجماعة من خبثه، فهي لها أثر في الفرد: هو التطهير والتربية، كما جاء في الحديث: «**مثل المؤمنِ يُصِيبه البلاءُ كمَثَلِ الحديدة تدخل النَّارَ، فيذهبُ خَبَثُها ويبقى طَيِّبُها**»(١).

ولها أثر في الجماعة: هو التمييز والتصفية: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ومن ناحية أخرى تزيد التلاحم بين أفراد الصف، فالمحنة تجعل الصفَّ متلاحمًا، يعرف كل منهم أخاه، فيشد عضدَه بعضد أخيه، كما قال القائل:

جزَى اللهُ الشدائدَ كُلَّ خَيْرٍ عَرَفْتُ بها عَدُوِّي من صَدِيقِي(٢)

---

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٧٣/١)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، بلفظ: «إنَّما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك والحمى، كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها». عن عبد الرحمن بن أزهر.

(٢) البيت لأمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصي، أمير تونس الموحدي، كما في أعلام المغرب =

QaradawiBooks.com

وكما قال الإمام الشافعي:

ولا خيرَ في وُدِّ امْرِئٍ مُتلوِّنٍ إذا الريحُ مالت مالَ حيث تَمِيلُ
جَوَادٌ إذا استغنيتَ عن أخذِ مَالِهِ وعند زوالِ المالِ عنكَ بَخِيلُ
فما أكثرَ الإخوانَ حين تَعُدُّهم ولكنَّهم في النائبات قليلُ[1]

وهذا القليل هو المهم الَّذي يتلاحم بعضه مع بعض، وكان من كلمات جمال الدين الأفغاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «بالضغط والتضييق تلتئم الأجزاء المبعثرة»، فتزداد كثافة الكتلة المؤمنة، فكان الضغط والتضييق على الحركة سببًا في تكتلها، وتلاحم أفرادها، وتآلفهم، وتعارفهم، بحيث أصبحوا كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا، وقد أشار القرآن الكريم إلى تلاحم المؤمنين عند المعركة، وتشبث بعضهم ببعض، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وهذا ما لمسه الناس في أبناء هذه الحركة: الأخوة في الله الَّتي زادتها المحن توثقًا وتأكدًا، حتَّى وصف بعضهم[2] الإخوان في مصر، قائلًا: هؤلاء هم الجماعة الذين بلغوا من الترابط حدًّا بحيث إذا عطس أحدهم في الإسكندرية قال له مَنْ في أسوان: يرحمكم الله[3].

والأندلس في القرن الثامن لابن الأحمر صـ٩٨، تحقيق د. محمد رضوان الداية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

(١) رواه البيهقي في مناقب الشافعي (١٠٦/٢)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

(٢) القائل هو الكاتب إحسان عبد القدوس.

(٣) راجع مقالة الكاتب إحسان عبد القدوس في مجلة روز اليوسف، العدد الصادر في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٤٥م.

QaradawiBooks.com

إنهم على قلب رجل واحد، ربط بينهم الإيمان والأخوة، وزادت هذه الرابطة بالمحنة، وكان هذا من فضل الله ﷻ.

غير مرخصة للطباعة

محنة لم تزد الإخوان إلا صلابة:

وخرج الإخوة من المحنة سنة ١٩٤٩م، خرجوا للساحة، وظنَّ الناس أنَّ هذه المحنة ستثني عزائمهم، وستُثبِّط من هممهم، وإذا بهم يفاجئون الناس بأنَّها زادتهم قوة على قوة، كالذَّهب يدخل النَّار فلا يزداد إلا لمعانًا وصفاء: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

لا زلت أذكر يوم خرجنا من معتقل الطور، وذهبنا إلى طنطا، وأخذوا علينا في قسم الشرطة تعهُّدًا شكليًّا بألا ننشط! ولا نشتغل بالدعوة! ولكن هيهات.

وحين ذهبنا إلى قريتنا، وهناك جاء الناس يُسَلِّمونَ عليَّ، ويهنئونني بالعودة، وسلامة الوصول، جلست أحدثهم عن الإخوان، وماذا صنعوا، وكيف حوَّلوا المعتقل إلى مسجد ومدرسة، فكانوا يذهلون، وكثير منهم كان يستأذن بسرعة ويخرج، ويقول عني: ما زال يتحدث في تلك الأمور! فالناس كانوا يظنُّون أننا لو خرجنا من المعتقلات فلن نفتح فمنا؛ لأننا تلقَّينا درسًا قاسيًا، ولكنهم فوجئوا بأنَّنا ازددنا قوَّةً على قوَّة، والحمد لله[1].

(١) راجع ذلك بالتفصيل في كتابنا: ابن القرية والكتاب (٢٠٥/٢) وما بعدها، نشر دار الشروق القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

أخصب فترات الدعوة:

وأذكر أنَّ أخصب الفترات الَّتي مرَّت في حياة الحركة الإسلاميَّة بمصر هي: الفترة الَّتي تلت خروجنا من المعتقل عام ١٩٤٩م، إلى أنْ عادت الجماعة عودة رسميَّةً.

كنا نعمل بغير لافتة، بغير دور ولا مراكز رسميَّة، نلتقي بالشباب في حلقات المسجد، وفي البيوت، نُعلِّمهم ونتحدَّث إليهم، ونعطيهم رسائل الإخوان، ونُرَبِّي، وننشر الدعوة.

ودخل الدعوة في هذه الفترة آلاف، وعشرات الآلاف من خيرة الشباب الذين ثبتوا بعد ذلك، وصبروا وصابروا ورابطوا، والحمد لله كان هذا من أثر المحنة.

بعد رجوع الإخوان رسميًّا إلى مراكزهم ودورهم، انتشرت الدعوة في ذلك الوقت «الخمسينيَّات» انتشارًا كبيرًا، وقامت بدورها بحركة الجهاد ضد الإنجليز في معارك القناة، وذهب الشباب يقاتل الإنجليز، واستشهد منهم من استشهد، من أمثال: عمر شاهين، والمنيسي، وغيرهم.

كلُّ هذا، وكانت القوى الراصدة غير غافلة عن الحركة، وكانت الدعوة تنتشر انتشارًا عجيبًا جدًّا.

كنا نقول: إنَّ الدعوة تسبقنا، لا نستطيع أنْ نلحقها، كلما سابقناها سبقتنا، كان يمكن أنْ يقوم في مصر انقلاب سلمي إسلامي، على أساس القاعدة العريضة الَّتي بدأت تعتنق الدعوة الإسلاميَّة، وتؤمن بفكرة الحركة الإسلاميَّة، ولكن كان هناك بالمرصاد من يعمل لرصد العمل الإسلامي.

QaradawiBooks.com

أذكر ونحن طلاب في كلية أصول الدين بالأزهر أنَّ الكُلِّيَّة أصبحت معقلًا لدعـــوة الإخوان، وكانـــت الدعوة تؤثِّر علـــى كل عنصر حي من الطلاب، بل كانت تؤثر على الشيوخ والأساتذة، فكان أكثرهم متعاطفين معها، وكان هذا شـــأن الكليَّات الأخرى طلابًا وأساتذة، وأوشك الأزهر أنْ يكون قلعة للإخوان المسلمين.

بيد أنَّ التاريخ اتخذ مســـارًا آخر حين قامت ثورة ٢٣ يوليو متحالفة في أول أمرها مع الإخوان، ثم ســـرعان ما انقضَّت عليها، وكان ما كان من صراع دامٍ طويلٍ، أدخل الجماعة في محنة بعد محنة، ولكنها كانت أشـــد وأقســـى من محنة عهد المَلَكِيَّة، بل إنَّ محن عهد المَلَكِيَّة تعتبر روحًا وريحانًا بالنسبة لمحن الثورة، وما لاقى فيها الإخوان من أهوال، وما سقط فيها من شهداء، ولهذا حديث يطول، عسى الله تعالى أنْ يتيح فرصة الحديث عنها[1].

كل ما أذكـــره هنا: أنَّ الأســـتاذ حســـن الهضيبي ـ المرشـــد الثاني للإخوان ـ كان كلما سمع الإخوان يتحدَّثون عن المحنة في عهد الملك فاروق، ويكررون الحديث عمَّا قاســـوه في تلك الأيام، يقول لهم: كُفُّوا عن ذلك، فلعل ما ينتظركم أشد وأقسى.

وهذا ما كان، فقد جاءت محنة ١٩٥٤م الأولى ثم الثانية، وفيها أُعدم مَن أُعـــدم، وعُذِّب مَن عُذِّب، واستشـــهد مَن استشـــهد، تحت ســـياط التَّعذيب في الســـجن الحربي الشهير، وفيها أنشـــأت قصيدتي «النونية» الشهيرة، وفيها الأبيات الَّتي تَغَنَّى بها شباب الدعوة في أقطار شتى:

(١) راجع هذا بالتفصيل في مذكراتنا: ابن القرية والكتاب، الجزأين: الثاني والثالث.

QaradawiBooks.com

تَــاللهِ ما الطغيــانُ يهــزمُ دعــوةً ... يومًــا وفــي التاريخ بــرُّ يَمِينِي
ضعْ في يَدَيَّ القَيْدَ ألهبْ أَضْلُعي ... بالسَّوْطِ ضَعْ عُنُقِي على السِّكِّينِ
لن تَسْــتَطِيعَ حِصَارَ فِكْرِي ساعةً ... أو نــزع إيمانــي ونــورَ يَقِينِي
فالنورُ في قلبي، وقلبي في يَدَيْ ... ربِّي، وربِّــي ناصــري ومُعِيني
سأعيشُ مُعْتَصِمًا بحبل عقيدتي ... وأموت مبتســمًا ليحيــا دِينِي(١)

فأنْسَــتْ هذه المحنة بأهوالها كل ما ســبقها، ثم جاءت بعدها سنة ١٩٦٥م، محنة الشهيد ســيِّد قطب وإخوانه، فأنْسَتْ بأهوالها مآسي محنة ١٩٥٤م، وصدقت نبوءة الهضيبي، الصابر المصابر رَحِمَهُ اللَّهُ.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

* * *

(١) انظر ديواننا: نفحات ولفحات صـ١٢٦.

QaradawiBooks.com

١١

الصحوة الإسلاميَّة بين الآمال والمحاذير[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على الرحمة المُهداة والنعمة المُسداة، سيِّدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بسُنَّته وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به أيُّها الإخوة تحيَّة الإسلام، تحيَّة من عند الله مباركة طيِّبة، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أشكر لوزارة التربية والتعليم وشؤونها الثقافيَّة وإعلامها التربوي أنْ أتاحت لي هذه الفرصة لأتحدَّث إليكم، من خلال هذا المنبر، عن موضوع يشغلني دائمًا، تحدَّثت عنه من قبل، وأتحدَّث عنه اليوم، وسأتحدَّث عنه إنْ شاء الله من بعد. هذا الموضوع هو «**الصحوة الإسلاميَّة بين الآمال والمحاذير**».

الصحوة الإسلاميَّة هي أعظم ما نملك نحن المسلمين اليوم. أعظم ما يملك العالم الإسلامي ليس هو البترول أو القطن أو الذهب أو الفضَّة، وإنَّما أعظم ما يملكه هو هذا الشباب ـ الثروة البشريَّة ـ وخاصَّة

(١) افتتح بها الموسم الثقافي السابع لوزارة التربية والتعليم في قطر، سنة ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

الشباب الملتزم بالإسلام. ولهذا نحن حريصون كلَّ الحرص على أن نُسَدِّد خطا هذه الصحوة ونرشدها حتَّى تمضي على صراط مستقيم، ولا تحيد إلى اليمين ولا إلى اليسار، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

معنى الصحوة:

واسمحوا لي أنْ نقف قليلًا عند معنى كلمة «صحوة». يقال: صحا، يصحو: إذا أفاق وتنبه، سواء أكانت هذه الإفاقة أو التنبه من نوم أم من سُكْر. فالصحوة إفاقة وتنبُّهٌ بعد غياب الوعي، فهي إذنْ: عودة الوعي.

وأمَّتنا ربَّما كانت في وقت من الأوقات غائبة عن الوعي بذاتها، نتيجة نومٍ طويل أو نتيجة سُكْر طارئ. ولغياب الوعي سبب داخلي، وسبب خارجي.

سبب داخلي، يتمثَّل في الركود الَّذي أصاب الأُمَّة من رواسب عصور التخلُّف، وسوء فهم الإسلام وسوء تطبيقه.

وسبب خارجي، يتمثل في الغزوة الاستعماريَّة الَّتي نزلت ببلاد المسلمين، لم يكن خطرها في احتلال الأرض، ولكنَّ خطرها في احتلال العقول والأنفس والمشاعر والحياة الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة، فهي بلاءٌ كبير.

المُؤَرِّخ المعروف «برنارد لويس» تحدَّث في كتابه «الغرب والشرق الأوسط» عن أنَّ أخطر ما أصاب العالم الإسلامي في تاريخه غزوتان أو لطمتان:

الأولى: غزو المغول للحضارة الإسلاميَّة في العصر العبَّاسي الثاني، وتدمير بغداد والحضارة الإسلاميَّة في ذلك الوقت.

QaradawiBooks.com

والثانية: في الغزو الفكري الثقافي الحديث من العالم الغربي للشرق الإسلامي.

وأنا أعتقد أنَّ اللطمة الثانية كانت أشـدَّ وأخطر من اللطمة الأولى، فالإسلام اسـتطاع بقوَّته الذاتيَّة أنْ ينتصر على التتار، لم تستطع الغزوة التتريَّة أنْ تعمر طويلًا، فبغداد سـقطت عام (٦٥٦هـ) ثمَّ بعد سنتين في عام (٦٥٨هـ) في الخامس والعشرين من رمضان، استطاع المسلمون أنْ يجمعـوا قواهم وأنْ يواجهـوا التتار في معركة حاسـمة هـي المعركة المعروفة بمعركة «عين جالوت» بقيادة المُظَفَّر قُطُز.

وأكثر من ذلك: أنَّ الإسلام بدأ يؤثر في المغول أنفسهم، في هؤلاء التتـار الَّذين كان يقال عنهم المثل السـائر: «إذا قيل لـك: إنَّ التتار قد انهزموا فلا تُصَدِّق» نفس ما يشـاع اليوم عن القوَّة الَّتي لا تقهر. هؤلاء بعد مدَّة قليلةٍ اسـتطاع الإسـلام أنْ يغزوهم من الداخـل فيدخلوا في الإسلام، ولأوَّل مرَّة يُسَجِّل التاريخ دخول الغالب في دين المغلوب!

هذا كان موقف الإسلام والأُمَّة الإسـلاميَّة من تلك اللطمة الكبرى. واللطمة الأشدُّ خطرًا في الحقيقة هي لطمة الاستعمار الغربي الحديث، ودخوله البلاد الإسـلاميَّة دخول الغازي الفاتح الَّذي يذل العباد ويفسد البلاد، كما أشـار إلى ذلك القرآن في كلّ فاتح مستعمر: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]. يقصد بالملـوك إذا دخلـوا فاتحين يفسـدون البلاد، ويُذِلُّـون العباد، ويجعلون أعزَّة أهلها أذلَّة.

استطاع هذا الاسـتعمار المتمكن أنْ يفسـد الحياة الإسلاميَّة نتيجة احتلال العقول والأفكار، وتوجيـه الحياة الثقافيَّة والفكريَّة إلى ما يريد،

QaradawiBooks.com

تَرَكَ الشعوب في غفلاتها، وبدأ يربي القيادات الموالية له ويصنعها كما يريد، القيادات الفِكريَّة والسياسيَّة والتربويَّة، ليصنع الإنسان في بلادنا كما يريد هو، لا كما أمر الله، ولا كما نريد نحن. هذا ما حدث، ولذلك كانت نتيجة هذا الغزو المُركَّز المخطَّط أنْ يغيِّب الوعي، إلى جانب الضعف الموروث من عصور التخلف والانحطاط.

اجتمع السبب الداخلي مع السبب الخارجي، فكان أنْ غابت الأُمَّة عن وعيها وأصبحت لا تعرف هُويَّتها ولا تشعر بذاتها، وتتبع غيرها في كل شيء كما صور ذلك النبي ﷺ تصويرًا نبويًّا رائعًا حين قال: «**لتتبعُنَّ سَنَنَ من قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتَّى لو دخلوا جُحْر ضبٍّ لدخلتموه**»[1] وجُحْر الضبِّ يضرب به العرب المثل في الضيق والظلمة والالتواء وسوء الرائحة، ولكن إذا دخل هؤلاء جُحْرَ ضَبٍّ يصبح دخوله (موضة) اسمها موضة جُحر الضَّبِّ!

وهكذا فقدت الأمة الإسلاميَّة الشعور بالذاتيَّة، والوعي بالهُويَّة، بالتشريع والتعليم والإعلام والحياة الاجتماعيَّة، وصارت مقلِّدةً في هذا كلِّه، تابعةً لغيرها. من هنا فإنَّ صحوة الأُمَّة تعني عودة الوعي.

المظهر الفكري للصحوة:

ومن هنا فإن المظهر الأوَّل للصحوة مظهر فكري، فهي صحوة عقل قبل كل شيء. وإذا نظرنا إلى مراحل عودة الوعي نجد أنَّه في وقت من الأوقات كانت هناك التبعيَّة الفكريَّة المطلقة، وكان المنادون بها أجهر صوتًا من كل صوت، أولئك الَّذين نادوا بأنَّه لا سبيل إلى نهضة هذه

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

الأمَّة إلا إذا أخذت الحضـــارة الغربيَّة، خيرها وشـــرَّها، حلوها ومرَّها، ما يُحبُّ منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعـــاب، وإلَّا فهو خادعٌ أو مخدوع. بهذا نادى بعضهم.

في فترة من الفترات كان الفكر في ديارنا العربيَّة والإسلاميَّة فكرًا ذيليًّا، فكـــرًا تابعًا تبعيَّة مطلقة، حتَّى إنَّه لم يقـــل: ننتقي منها، فنأخذ الخير ونترك الشـــرَّ، بل قال في صراحة وبجاحة: الحضارة لا تتجزَّأ، ولا بدَّ أنْ تؤخذ بخيرها وشـــرها، ونفعها وضرهـــا، وحقها وباطلها. وهذه مغالطة، فالغرب النصراني نفســـه حينما استيقظ على صيحات الشرق المسلم، حينما اصطدم به في الحروب الصليبيَّة، وحينما عرفه عن طريق الأندلـــس أو صقليَّـــة أو غيرها، حينما اســـتيقظ أخذ من الحضارة الإسلاميَّة العلم ولم يأخذ العقائد والشعائر والقيم والتقاليد؛ واليابان حينما أخذت مـــن الحضارة الغربيَّة، لـــم تأخذ إلا الجانب العلمي والجانـــب التكنولوجي، وهكذا. ولكن هكـــذا كانت التبعيَّة عندنا في ذلك الوقت تبعيَّة صارخة.

ثم جاءت مرحلة الفكـــر «التبريري» الَّذي يقول: نحن مســـلمون، ولا نشكُّ في أنَّنا مسلمون، ويجب أن نتمسَّك بإسلامنا، ولكنَّه يحاول أنْ يأخذ ما عند الغرب ثمَّ يلبســـه عباءة إســـلاميَّة، أو عمامة إسلاميَّة! يأخذ مسلَّمات الغرب الفكريَّة والتشريعيَّة والأخلاقيَّة والاجتماعيَّة، ثمَّ يحاول أنْ يجعل لها ســـندًا من الشرع الإسلامي، حتَّى الأشياء القطعيَّة في الإســـلام مثل حرمة الربا وحرمة الخمر؛ بعـــض النَّاس حاولوا في وقت من الأوقـــات أنْ يُحَلِّلوا الربـــا! ويقولون: إنَّ الربـــا الَّذي حرمه الإســـلام هو ربا الجاهليَّـــة، وليس هـــذا الربا! أو هو ربـــا الأضعاف المضاعفة وليس عائد ٥٪ أو ١٠٪! إلخ.

QaradawiBooks.com

كان ذلك إِثْرَ انهزام العقل الإسلامي أمام العقل الوافد من الحضارة الغربيَّة.

ثم جاءت مرحلة الفكر «الاعتذاري» الَّذي يقف بالإسلام في موقف الدفاع. الأصل أنَّه متَّهم يقف في قفص الاتهام، ويجب أنْ يدافع عن نفسه، ويجب أنْ نقف موقف المعتذرين عن مُسَلَّماتِه!

فإذا كان الإسلام يُبيح الطلاق، أو تعدُّد الزوجات، أو يُحرِّم الربا أو الزنا، أو المُسْكِرات، أو يشرِّع الجهاد في سبيل الله، أو نحو ذلك، فهذه الأمور يجب أن نعتذر عنها، كأن الحضارة الغربيَّة بمدارسها الفكريَّة المختلفة هي الأصل، وما جاء على خلاف هذا الأصل يجب أنْ يُبرَّرَ ويُعلَّلَ! كأنه ليست لنا شخصيتنا المستقلَّة وذاتيَّتنا وسيادتنا.

كان هذا أيضًا هو السائد لفترة من الفترات. ثمَّ انتقلنا، والحمد لله، إلى مرحلة «الصحوة»، وهي مرحلة مواجهة الفكر الغربي مواجهة النِدّ للنِدّ، فأصبحنا قادرين على أن ننقد فكرنا وأن نقول: هذا خطأ وهذا صواب، هذا يُقبل وهذا لا يُقبل، ننتقي ونتخيَّر بحريتنا، إنَّها مرحلة المواجهة والنقد للفكر الغربي.

في مرحلة الصحوة الإسلاميَّة، لم يعد الإسلام في قفص الاتهام، ولم نعد نحتاج إلى تبرير أو دفاع. ثمَّ دخلنا مرحلة جديدة هي مرحلة «الدعوة»، أو مرحلة الهجوم إنْ شئت أن تقول. هذا كله من أثر الصحوة، فهي صحوة فكريَّة، والحمد لله أصبح من أبناء المسلمين اليوم من يستطيع أنْ يرد على كبار المستشرقين ردًّا علميًّا موضوعيًّا. كان المستشرقون قديمًا يكتبون ولا يرد عليهم أحد، لأنَّهم كانوا يكتبون بعضهم لبعض، وكان أبناء المسلمين قلَّما يقرؤون لهؤلاء، والذين

QaradawiBooks.com

يقرؤون لهم تلاميذهم المتأثِّرون بهم، في فترة العبوديَّة للفكر الغربي، لذلك سمَّيتهم عبيد الفكر الغربي، فهم ليسوا تلاميذ؛ لأنَّ التلميذ قد يناقش أستاذه، وقد يرد عليه، لكن موقف هؤلاء كان أكثر من تلمذة، كانت عبوديَّة مطلقة.

لقد انتهت فترة العبوديَّة لفكر الغرب وأصبح من أبناء المسلمين من يناقش عتاة المستشرقين ويرد عليهم، وأصبح من هؤلاء المستشرقين من يعْدِل عن موقفه، حتَّى أصبحنا نرى من هؤلاء من صار أقرب اعتدالًا مما كان من قبل. لقد تغير الموقف، حتَّى رأينا كثيرًا من الناس الَّذين كانوا على غير خط الإسلام، داخل العالم الإسلامي، أصبحوا يقتربون من الخط الإسلامي، سواء أكان ذلك اقتناعًا، أم تملُّقًا للمسار العام، للخط الفكري العام، يريد لكتبه أنْ تُقرأ!

وقد أثبتت الأرقام الإحصائيَّة لتوزيع الكتاب في كلِّ معرض كتاب يقام: أنَّ الكتاب الإسلامي هو الكتاب الأول في سوق التوزيع. حدثني الإخوة، وأنا في الملتقى الفكري الإسلامي في الجزائر، أنَّه حينما يقام معرض للكتاب فإنَّ الكتب الإسلاميَّة تنفد من أول يوم، بل من الساعات الأولى، فالطالبون لها كثيرون، والحمد لله، ولذلك نجد من الكتَّاب المتغربين من يحاول أنْ يقترب من الإسلام ليتملَّق القارئ المسلم، ومن هؤلاء من عدَّل فكره فعلًا واقترب من الإسلام، بل منهم من سار في الخط الإسلامي بصدق وإخلاص.

الذي ينظر إلى كاتب مثل الدكتور مصطفى محمود، وما كان عليه، ثمَّ إلى ما صار إليه، يدرك ذلك، إذْ أين صاحب «الله والإنسان» وكيف كان يفسر نشأة الدين ونشأة الألوهية، إلى آخره؟ من صاحب «رحلتي

QaradawiBooks.com

من الشك إلى اليقين» أو «حوار مع صاحبي الملحد» أو غير ذلك؟ لقد حدث تغيُّر إيجابي لافت في فكر الدكتور مصطفى محمود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والأستاذ: خالد مُحَمَّد خالد الَّذي فرَّغ الإسلام من أعظم ما فيه في بعض كتبه، فرَّغ الإسلام من الحُكم في كتابه «من هنا نبدأ»، ومن التشريع في كتاب «الديمقراطية أبدًا» ومن الأخلاق في كتاب «لكي لا تحرثوا في البحر» ها هو الآن يعود إلى الإسلام ويُخطِّئ نفسه علنًا في كتابه الَّذي أصدره «الدولة في الإسلام»، ويبين الدوافع الَّتي دفعته إلى ما كتبه من قديم، في شجاعة لا تصدر إلا من مثل خالد.

ومن يقرأ لرجل مفكر مثل الدكتور زكي نجيب محمود في الأهرام في السنين الأخيرة، ويقارن بين ما كان يكتبه قبل ربع قرن أو عشرين سنة، يرى تغيُّرًا بيِّنًا.

لقد حدث تغير ملحوظ في أفكار هؤلاء وغيرهم، قد يكون لنا مؤاخذات عليهم، ولكننا نقارن بين مرحلة ومرحلة، ونقول: إنَّ الفكر الإسلامي أصبح الآن في مرحلة القوَّة، مرحلة المواجهة، والصحوة الإسلاميَّة صحوة فكر إلى حد كبير.

صحوة مشاعر وعواطف:

بل إنَّ كلمة صحوة في معناها الحقيقي، ليست صحوة عين نائم، ولا صحوة جسم راقد. الأصل في كلمة الصحوة عند العرب أنَّها صحوة فؤاد وقلب، وكلنا يذكر قول جرير في حائيته المشهورة:

أَتَصْحُو أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحِ[1]

(١) انظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (٨٧/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقول الآخر:

صَحَا القَلْبُ عن سَلْمَى وأَقْصَرَ بَاطِلُهْ[١]

الصحوة أصلًا للقلب والعقل والفؤاد، ولذلك نرى الصحوة الإسلاميَّة والحمد لله صحوة عقول قبل كل شيء، ولكنها لا تقف عند هذا الحد، فهي صحوة مشاعر أيضًا، صحوة عواطف، صحوة قلوب. والإنسان لا يقاد بالعقل وحده، الإنسان عقل وعاطفة، فكر وقلب، وهذه الصحوة فيها أيضًا جانب من هذا التوقد العاطفي، والأمم إنَّما تقاد بعواطفها أكثر ممَّا تقاد بعقولها وحدها. هذه الصحوة تجمع بين العقل والعاطفة؛ المشاعر الإسلاميَّة مشاعر الولاء للإسلام، والحب لله ولرسوله، والبغض للكفر والفسوق والعصيان، فأوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله؛ وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟ هذه مشاعر حقيقة أصبحت تؤثر الآن في الحياة الإسلاميَّة.

صحوة عمل وسلوك:

وهي ليست صحوة عقل وشعور فقط، بل صحوة عمل وسلوك أيضًا، صحوة التزام بالإسلام عملًا وسلوكًا، هذا ما نشهدُه والحمد لله: أنَّ كثيرًا من أبناء الإسلام رجعوا إلى الإسلام.

الَّذي يذكر منكم كيف كانت المساجد منذ ربع قرن أو عشرين سنة مثلًا؟ ثمَّ كيف هي الآن؟ كان روَّاد المساجد قديمًا هم كبار السن الَّذين أكل الدهر عليهم وشرب، والآن أصبح روَّاد المساجد من الشباب.

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى (٥١/١).

QaradawiBooks.com

كان الَّذين يحجُّون ويعتمرون قديمًا هم الشيوخ والعجائز، حيث كان الحج يُعتبر ختام العمر، والآن أصبح الشباب يحجون ويعتمرون، تتزاحم بهم مواسم الحج والعمرة. فالوضع تغيَّر والحمد لله.

من يزور البلاد الإسلاميَّة والعواصم الإسلاميَّة في الشرق والغرب وبلاد العرب والعجم، يجد أنَّ الناس يصلون في الشوراع والطرقات، في صلاة الجمعة نرى المساجد تضيق على أهلها. كل هذا يدلُّنا على أن هناك عودة حقيقية إلى الالتزام بالإسلام.

صحوة المرأة المسلمة:

في الميدان النسائي حدث تغيُّر هائل. انظر إلى ظاهرة الحجاب، كيف كانت؟ وكيف صارت؟ في وقت من الأوقات كان الحجاب يعتبر ظاهرة نادرة، بل ظاهرة شاذة! ما كان أحد يتوقَّع أنْ تصبح المرأة المسلمة في عقود قليلة من السنين مثلما كانت عليه في سنوات مضت. قاسم أمين كان ينادي بأن تكشف المرأة وجهها، ومعركة السفور كانت حول: هل تكشف المرأة وجهها أم لا تكشفه؟ ولكن بعد سنوات قليلة كشفت المرأة وجهها، وكشفت رأسها، وكشفت نحرها، وكشف ذراعيها وكشفت ساقيها، وأصبحت هناك موضات «الميني جيب» و«الميكروجيب» إلى آخر هذه الظواهر.

أصبحت إذا مشيت في شارع من الشوارع في عواصم إسلاميَّة عريقة لا تكاد تجد امرأة محجبة، تجد امرأة كبيرة في السن ولكنها تلبس «الجابونيز» أو «الميني» أو غير ذلك من هذه الأزياء الَّتي يسمونها «موضة»! كان هذا في وقت من الأوقات.

QaradawiBooks.com

انظر الآن تجد آلاف الفتيات باختيارهن يلتزمن الحجاب تدينًا لا تقليدًا. هنا في قَطَر وفي بعض بلاد الخليج كانت المرأة تلبس «البتولة»، لكنها تلبسها تقليدًا، حتَّى إنَّها لا تخلعها أمام زوجها، لم تكن المسألة تديُّنًا؛ لأنَّ الدين لا يُحتّم عليها هذا. أمَّا الآن فالفتاة الَّتي تتحجب، تفعل ذلك امتثالًا لأمر الله ﷻ، ورجاءً في ثواب الله، وخشية من عقابه.

صحوة دعوة:

هذه هي الصحوة الإسلاميَّة، صحوة فكر، وصحوة عاطفة، وصحوة عمل. وهي كذلك صحة دعوة، فالحرص على الدعوة وعلى تبليغها أصبح أيضًا ظاهرة موجودة وحاضرة، ومن خصائص هذه الصحوة وملامحها.

صحوة عالمية:

ومن ملامح هذه الصحوة: أنَّها صحوة عالمية، ليست صحوة في بلد دون بلد، ليست صحوة في بلاد الخليج وحدها أو في بلاد العرب وحدها، ولا حتَّى في داخل العالم الإسلامي، بل هي كذلك خارج العالم الإسلامي، بين الجاليات الإسلاميَّة حيث الأقليَّات الإسلاميَّة، في بلاد المهجر نجد هذه الصحوة ونلمس آثارها والحمد لله، وقد لمست ذلك بنفسي وشاهدته، فهي صحوة عالمية تمتد وتتَّسع.

صحوة شباب:

وهي كذلك صحوة شباب. الشباب هو عمودها الفقري، وبخاصة الشباب المثقف، شباب الجامعات والمعاهد العليا والمدارس الثانوية

QaradawiBooks.com

الَّذي أريد له في بعض الأوقات أنْ يُعزل عن دينه وعن تراثه وعن أمته، وعملت فيه معاول الهدم الفكري عملها. هذا الشباب المثقف أصبح هو الَّذي يُجسّم هذه الصحوة الإسلاميَّة، والحمد لله.

الصحوة بين الأمل والخوف:

هذه الصحوة بما لها من خصائص، وما لها من مزايا، تنعقد عليها آمال، وتخاف منها محاذير، هي موضع الأمل ومناط الرجاء، وهي من ناحية أخرى عُرضة للمخاوف، فَمِمَّ نخاف ونحذر؟ وفيم نرجو ونأمل؟

أملنا في الصحوة:

أمَّا موضع الأمل والرجاء لهذه الصحوة: فهو أنْ تقود الأمة، أنْ تحشد طاقاتها وتفجرها، من أجل معركة التحرير، ومعركة البناء والتقدم، فهما المعركتان الأساسيتان للصحوة الإسلاميَّة.

الصحوة ومعركة التحرير:

المعركة الأولى: هي معركة التحرير، تحرير الأرض الإسلاميَّة من كل سلطان أجنبي. عندنا نحن في البلاد العربيَّة قضيتنا الأولى: قضية الوطن السليب وأرض النبوات، أرض الإسراء والمعراج، أرض المقدَّسات، أرض المسجد الأقصى: فلسطين.

معركة التحرير هذه لا يمكن أنْ تتم إلا إذا كان الإسلام هو قائدها. ومن هنا فإن عزل قضية فلسطين عن الإسلام خيانة. إذ لا يمكن أن نصنع من هذه الأمة رجالًا يواجهون اليهودية العالمية، وما يسندها من الصليبية العالمية، إلا إذا ربَّينا رجالًا مؤمنين.

QaradawiBooks.com

نعم، النصر من عند الله؛ ولكن الله لا ينزل نصره إلا على المؤمنين، وإلا بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]. الإيمان هو الَّذي يمكن أنْ ينشئ الإنسان خلقًا آخر، يجعل منه بطلًا لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه.

خالد بن الوليد رضي الله عنه، كان يواجه فارس والروم والأكاسرة والقياصرة، بهؤلاء الَّذين حرصوا على الموت فوهبت لهم الحياة، كان يبعث إلى أعداء الإسلام ينذرهم ويحذرهم، ثمَّ يقول في آخر رسائله: وإلا غزوتكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبون الحياة[١]! لماذا يحبون الموت؟ لأنَّهم يعلمون أنَّ الموت في سبيل الله حياة، وأنَّ الفناء في الله عين البقاء ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

نريد أن نُفجِّر الطاقة الإسلاميَّة في أبناء أُمَّتِنا بالإيمان وبالإسلام، وقد جرَّبنا معركتين شهدناهما قريبتين: سنة ١٩٦٧م دخلنا المعركة بأسلحة تسدُّ عين الشمس، ولكن كان شعارنا «برّ، بحر، جوّ» فلم ننتصر في برٍّ ولا بحرٍ ولا جوٍّ، لم تُغْنِ عنَّا الأسلحة شيئًا؛ لأنَّ الأسلحة لا تقاتل وحدها، إنَّما تقاتل بمن يحملها، كما قال الطغرائي:

وعادةُ السَّيْفِ أنْ يُزْهَى بجَوْهَرِهِ ... وليس يعملُ إلَّا في يَدَيْ بَطَلِ[٢]!

وكما قال أبو الطيِّب:

وما تنفعُ الخيلُ الكِرَامُ ولا القَنَا ... إذا لم يكُنْ فَوْقَ الكِرَامِ كِرَامُ[٣]!

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤١٧)، وأبو يعلى (٧١٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٨): رواه أبو يعلى وفيه مجالد وهو ضعيف وقد وثق. عن الشعبي مرسلًا.

(٢) في لاميته الشهيرة بلامية العجم، انظر: ديوان الطغرائي صـ٣٠٧.

(٣) انظر: الأمثال السائرة من شعر المتنبي لابن عباد صـ٥٠، تحقيق محمد حسن آل ياسين، نشر مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، وديوان المتنبي صـ٣٩٠.

QaradawiBooks.com

«خيل من غير خيَّال» أو «فرسٌ من غير فارس» ماذا تُغني؟

الأسلحة وحدها لم تصنع شيئًا؛ لأنَّه لم تكن هناك الدوافع الإيمانيَّة القويَّة الواضحة.

وفي سنة ١٩٧٣م، العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ، هبَّت نفحات رمضان، وكان الشعار «الله أكبر»، فماذا صنعنا؟ اقتحمنا خط «بارليف» وعبرنا القناة، وقضينا على أسطورة القوَّة الَّتي لا تقهر. على قدر إيماننا أعطينا، ولو كان إيماننا أكبر لتوغَّلنا أكثر. المسألة مرتبطة بالإيمان.

قُدْ هذه الأمَّة بـ«لا إلٰه إلا الله»، قُدْها بأحلام الجنة، قُدها بـ «الله أكبر»، ستصنع العجائب حتمًا.

يوم رأى قُطُز في معركة «عين جالوت» الجنود ينفضُّون من حوله، ماذا صنع؟ ألقى بخوذته على الأرض، وصاح صيحته التاريخية: «وا إسلاماه، وا إسلاماه»! فلا عجب أن كان النصر حليفه.

فإذا أردنا أن ننتصر في معاركنا التحريريَّة هنا، في أفغانستان، في كشمير، في إريتريا، في أيِّ بلد إسلامي، ينبغي أن نستمد القوَّة من الإسلام. ولذلك أملنا في الصحوة الإسلاميَّة أنْ تُوجِّه الأمة، أنْ تملأ قلوبها بشعلة الإيمان، أنْ تنصر الله فينصرها الله.

الصحوة ومعركة البناء والتقدم:

الصحوة الإسلاميَّة هي الأمل في قيادة معركة التحرير، وهي الأمل كذلك في معركة التقدم والبناء. نحن نخوض معركة بناء تنموية، نريد أن نلحق بالركب العالمي، الَّذي سبقنا سبْقًا بعيدًا، وأن نُعوِّض ما فاتنا.

QaradawiBooks.com

مشكلتنا أننا كلما سرنا خطوة سار الآخرون خطوات! كيف نستطيع أن نقف أمام هؤلاء وأن نلحق بهم؟

نحن محتاجون إلى طاقات هائلة تعوِّض النقص العلمي والنقص التكنولوجي، هذه الطاقات هي الطاقات الروحيَّة، فهي الَّتي تستطيع أن تجعل من الإنسان شيئًا كبيرًا، تفجر فيه طاقات العمل والإنتاج، الإيمان هو الَّذي يستطيع أنْ يجعل الإنسان عاملًا منتجًا، يتعبد لله تعالى بالعمل والإنتاج، يعتقد أنَّ العمل عبادة وفريضة وجهاد في سبيل الله، وأن إتقانه مما يحببه إلى الله ﷻ: «**إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أنْ يُتْقِنَه**»[١]، «**إنَّ اللهَ كتب الإحسانَ** ـ أي الإتقان ـ **على كلِّ شيء**»[٢]. لا يمكن أن نلحق بالركب إلا بطاقة معنويَّة تجعل من إنساننا إنسانًا آخر.

نحن بصراحة أقل الناس إنتاجًا، أنا أرى الناس في بلاد العالم كله يتعبون، ينتجون، يعود الإنسان من عمله اليومي مكدودًا مهدودًا، فيأوي إلى أهله وإلى ولده، يقوم من الصباح الباكر إلى العمل. بينما في بلادنا الإسلاميَّة، إنتاجنا قليل وكلامنا كثير! متى ننتقل من دائرة الكلام إلى دائرة العمل؟ متى نجنِّد الطاقات البشريَّة للإنتاج والتنمية؟ نحن في حاجة إلى أن نقود بلادنا نحو التقدم، نقودها باسم الله حتَّى يعمل الناس مخلصين، يراقبون الله قبل أي شيء. الناس في حاجة إلى دوافع تشعرهم بأنَّهم يعملون لله، وأنَّ أعمالهم هذه عبادة كالصلاة. لا بدَّ من الإسلام إذنْ حتَّى تستطيع أمتنا أنْ تلحق بركب التقدم، وعلى الصحوة الإسلاميَّة أنْ تعمل على هذا.

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٢٥.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٢٦.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ من حسن الفهم للإسلام:

الصحوة الإسلاميَّة يمكن أنْ تقوم بدور كبير في قيادة معركة التحرير ومعركة البناء والتقدم والتنمية، يمكن أنْ تقوم بهذا إذا أحسنت فهم الإسلام بأفق واسع، ولم تدُرْ حول جزئيَّات معيَّنة، حول فرعيَّات، حول أمور ثانويَّة، تستهلك جهودها وأوقاتها، فهذا للأسف ما نراه في كثير من أبناء الصحوة الإسلاميَّة وليس كلهم، فالصحوة الإسلاميَّة مدارس شتى: هناك بعض المدارس يريدون أنْ يشغلوا أبناء الصحوة بالقضايا الفرعيَّة، كتطويل اللحية وتقصير الثوب، والتصوير والغناء، وأمثالها من القضايا، الَّتي أُسألُ عنها في كل بلد إسلامي أزوره، كأنَّه ليس هناك موضع للسؤال إلَّا في القضايا الفرعيَّة الخلافيَّة!

بعض الناس يسألني عن وجه المرأة: هل هو عورة أو ليس بعورة؟ وهو سؤال تكرر في كثير من البلاد الإسلاميَّة، فقلت لهم: يا جماعة دعوكم من هذا، المشكلة لم تعد وجه المرأة عورة أو ليس بعورة، المشكلة أصبحت أكبر من مسألة كشف الوجه، أتريدوني أن أقول للمسلمة الَّتي غطَّت جسمها، ولم يظهر منها إلا الوجه والكفان: أنت آثمة؛ لأن وجهك عورة، لأن اجتهادكم أو مذهبكم يقول بهذا؟! هذه قضيَّة خلافيَّة، وأولى من الاشتغال بها: الاشتغال بالقضايا الأساسية والمشكلات الحقيقية الَّتي استجدَّت في عصرنا.

هؤلاء المُتشدِّدون المتزمِّتون هم الخطر كما سنذكر بعد، لذا نحن نريد للصحوة الإسلاميَّة أن تفهم الإسلام من أفق واسع، أن تعرف أنَّ لكلِّ زمن مشكلاته، وأن لكل وقت عبادته، ولكل إنسان عبادته، عبادتنا نحن الآن هي أن نعمل على استقلال الأمة، واستقلال الأمة ليس رحيل الجنود الأجانب عنها، وإنَّما استقلالها اقتصاديًّا، واستقلالها سياسيًّا،

QaradawiBooks.com

واستقلالها ثقافيًّا، واستقلالها تشريعيًّا، وكل هذا يحتاج إلى عمل، فأما أن نشغل أنفسنا بأمور أخرى، فهذا ليس عبادة، إنَّه إضاعة للوقت، واشتغال بغير الأَوْلى.

سئل أحد الصوفيَّة القدامى ـ أظنُّه بشرًا الحافي ـ قيل له: إن فلانًا الغني يقوم الليل ويصوم النهار! فقال: هذا تَرَك حاله، ودخل في حال غيره، إنَّما حاله إطعام الطعام، وإغاثة الملهوف، والبذل في سبيل الله!

الغنيُّ عبادته ليست فقط في الصيام وقيام الليل، ثمَّ يبخل بماله عن البذل والإنفاق، والجهاد به في سائر وجوه الخير. لا، عبادة الغنيِّ أنْ يبذلَ المال لله. كل وقت له عبادة، وكل حال له عبادة، ولا بدَّ أن نعرف عبادة الوقت والحال، فبعض فصائل الصحوة الإسلاميَّة حصرت الإسلام في دوائر ضيِّقة، عليها أن تخرج به منها، وهناك فصائل أحسنت فهم الإسلام، وتنظر إليه من أفقه الرَّحب، بشموله وتوازنه وعمقه.

على الصحوة أن تمتد طولًا وعرضًا وعمقًا:

هذا ما نريده من الصحوة الإسلاميَّة لكي تنجح، عليها أن تحسن الفهم للإسلام، وأن تمتد كذلك طولًا وعرضًا وعمقًا، وأعني بالامتداد في العمق: أن تمتد في الحياة الإسلاميَّة كل الحياة لتحررها من أخطار الغزو الفكري والاستعماري، إنَّه جعل للدين في حياتنا ركنًا، اسمه ركن الدين. ركن الدين في الإذاعة: حديث ديني في الصباح أو في ختام الإرسال! ركن الدين في التليفزيون: حديث ديني أو برنامج فتاوى، ركن الدين في التربية والتعليم: حصَّة الدين، ركن الدين في القانون: الأحوال الشخصيَّة، ركن الدين زاوية محدودة، هذا لا ينفع ولا يصلح إنَّما يصلح

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وتنجح الصحوة يوم تخلط الدين بالحياة، وتصبح الحياة معجونة بالدين، والدين معجونًا بالحياة، لا أريد صفحة إسلاميَّة أو عمودًا إسلاميًا في الجريدة يوم الجمعة أو يوم الخميس اسمها الصفحة الدينيَّة، والناس قلَّما يقرؤون هذه الصفحة، أنا أريد أنْ يدخل الدين في الصحيفة كلِّها، الخبر يلون باللون الإسلامي، كثير من الأخبار يلون بلون وكالات الأنباء الَّتي ترسلها، والَّتي يُسَيْطِر عليها اليهود. أريد الرأي الَّذي يكتب في الجريدة أنْ يكون من منطلق إسلامي، ومن منظور إسلامي، ينطلق من عقائد الأمَّة وثوابتها، ويتنوع ليشمل سائر القضايا، أريد هذا في الإذاعة وفي التليفزيون، وفي سائر وسائل الإعلام. هذا إذا أردنا إعلامًا إسلاميًّا فاعلًا.

والتربية الإسلاميَّة كذلك، فهي ليست حصَّة في التعليم منعزلة عن سائر المواد، لا. أنا أريد للتربية الإسلاميَّة أن تدخل في برنامج التاريخ، وفي برنامج القراءة، وفي برنامج النصوص، وفي برنامج التاريخ والجغرافيا، وفي برامج العلوم. أريد أن أدرس العلوم حينما أدرسها على أنَّها سنن الله وقوانينه في الكائنات، هو من وضعها وهو من نظمها، وربط الأسباب بالمسبَّبات. إن كلمة من مدرس العلوم تأتي عفوًا تربط التلميذ بالله أهم من حصة كاملة من مدرس العلوم الشرعيَّة، فالتربية الدينيَّة ليست حصَّة منعزلة عن سائر الحصص والمناهج. لا، إنَّها حصة التربية الدينيَّة، وهي حصص العلوم كلها، وهي النشاط المدرسي الَّذي يرسخ قيم الإسلام، وهي الجو المدرسي العام، وهي المناخ العام في البلد كله، كل هذه مؤثِّرات ضرورية.

لا نريد أنْ يكون للدين ركن في الحياة فقط، بينما تظل باقي أركانها منعزلة عنه، الدين في جانب والدُّنْيا والحياة في جانب، ليست هذه هي

QaradawiBooks.com

النظرة الإسلاميَّة، ربَّما كانت هذه هي النظرة المسيحيَّة، المسيحيَّة قسَّمت الحياة والإنسان قسمين: «أعطِ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»[١].

ولكن الحياة عندنا ليست مقسومة بين الله وبين قيصر. الله لا يقبل الشركة لا مع كسرى ولا مع قيصر، فقيصر وما لقيصر لله الواحد الأحد، ليست عندنا قسمة إطلاقًا، وليست هناك ثنائيَّة، ليس هناك شيء اسمه الروح وشيء اسمه الجسد في الإنسان، حتَّى علم النفس الحديث لا يقول هذا، الإنسان وَحْدة ليس فيها انفصال، ولذلك لا يعرف الإسلام هذا الفصام النَّكد بين ما هو روحي وما هو مادي، ما هو ديني وما هو دنيوي.

الإسلام لا يقبل ثنائيَّة الحياة، ولا ثنائيَّة الإنسان ويرفض هذا الانقسام، وهذا الصراع. هناك تيار واحد يوجه الدين والدنيا، يوجه الإنسان بروحه وجسده، لا ينبغي أنْ يكون المسلم مسلمًا في المسجد، فإذا خرج من المسجد صار شيئًا آخر، أو مسلمًا في رمضان فإذا فات رمضان أصبح إنسانًا آخر، التوجيه الإسلامي يقول «**اتقِ الله حيثما كنت**»[٢]. يعني في أي مكان كنت، وفي أي زمان كنت ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

ولذلك يهمنا من الصحوة الإسلاميَّة أنْ تمتد عمقًا في الحياة الإسلاميَّة فتؤثر في هذه الحياة بمختلف مجاريها، ولذلك أنا يهمني أنْ يكون هناك المعلم المسلم، ليس معلم العلوم الشرعية فقط، لا. المعلم

(١) إنجيل لوقا (٢٠/٢٥)، ومتى (٢٢/٢١).

(٢) رواه أحمد (٢١٣٥٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

المسلم، والإعلامي المسلم: الَّذي إذا كان مذيعًا يقرأ نشرة الأخبار، أو يعد برنامجًا أو غير ذلك، يعده من منطلق إسلامي. وأنْ يكون هناك الأديب المسلم، والشاعر المسلم. ليس الشاعر المسلم ولا الأديب المسلم هو الَّذي يكتب قصيدة مثلًا في مدح النبي ﷺ وبعد ذلك قصائده الأخرى تعبر عن تيَّار مادي، أو تيَّار لاديني، أو تيَّار علماني، ويقول لك: هذه نقرة وهذه نقرة! لا. أنا أريد الأديب أو الشاعر الَّذي ينظر إلى الحياة وإلى الكون وإلى التاريخ من منظور إسلامي، هذا ما نريده. الصحوة الإسلاميَّة تنجح إذا امتدت في عمق الحياة وأثرت في جوانبها المختلفة ولم تقف عند ركن أو زاوية.

ثم يجب أيضًا أنْ تمتد الصحوة الإسلاميَّة عرضًا، أي في شرائح المجتمع المختلفة، لا تقف عند شريحة معيَّنة، بل ينبغي أن تخاطب الخاصَّة والعامَّة، المثقفين والأميِّين، الحكام والمحكومين، الأغنياء والفقراء؛ إنَّها ليست صحوة طبقة ضدَّ طبقة، لا بل هي صحوة للجميع.

ومن ذلك أن تكون الصحوة للنساء والرجال جميعًا، فالمرأة يجب أنْ يكون لها دورها ونصيبها في هذه الصحوة، كما كان لها نصيبها منذ انطلقت شرارة الوحي الأولى، عندما نزل قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. فكان أول صوت أيَّد محمدًا ﷺ صوت امرأة، هي خديجة رضي الله عنها[1]، كما كان أوَّل شهيد في الإسلام امرأة، هي «سميَّة أم عمار»[2] رضي الله عنها، وهكذا.

ينبغي أنْ تكون هذه الصحوة للشرائح الَّتي ينساها الكثيرون مثل شريحة العمال، وخصوصًا العمال الصناعيين، هذه الشريحة الَّتي تستغلها

(١) سبق تخريجه صـ٧٠.

(٢) سبق تخريجه صـ٧٠.

QaradawiBooks.com

المبادئ الهدامة. الإسلام أول من عُنِيَ بالعمال وبحقوق العمَّال، وجعل العمل واجبًا وشرفًا وكرامة، والكلام في ذلك يطول فلا يجوز لأحد أنْ يبيع علينا هذا، لا والإسلام قد عُنِيَ بالعمل والعمال عناية بالغة، ولذلك ينبغي لهذه الصحوة أنْ تمتد إلى الدائرة العمالية وتثقف عناصرها بالإسلام، وتوعيهم بالإسلام.

كذلك، يجب أنْ يكون للطفل المسلم نصيبه من هذه الصحوة: بالعناية بتربيته وتنشئته على القيم الإسلاميَّة، والإعداد الجيد للوسائل الَّتي تحققها. ينبغي أن نعمل على تحقيق ذلك، بدل أن نعتمد ـ للأسف ـ على المترجمات أو على غير ذلك من البرامج الَّتي نراها في أكثر التليفزيونات العربيَّة ـ على ما بها من مخاطر نبَّه عليها الأخصائيون ـ لعلنا لم نُعِدّ بأنفسنا إلى الآن البرنامج النافع للطفل المسلم.

هناك برنامج واحد نوهت به من قبل برنامج «افتح يا سِمْسِم»، كان لديَّ عليه بعض الملاحظات ولكنَّه في مجموعه برنامج جيد لو وضعت فيه لمسات إيمانية أقوى مما هي عليه الآن لكان جيدًا. لا أريد باللمسات الإيمانية أن تكون به مواقف وعظية ليُخوِّف من النار ويرغِّب في الجنة، لا. اللمسات الإيمانية يعرفها الَّذين يُعِدون مثل هذه البرامج، تكون غير مفتعلة وتأتي عفوية، وفي مواقف ومناسبات تتطلبها دون تكلف.

إنَّ الإسلام يُحارَب في كثير من البرامج بتجاهله. البرامج لا تشتم الإسلام ولا تهاجمه صراحة، لأنَّها لو فعلت ستُثير غريزة المقاومة عند الناس، ولكن يُحارب الإسلامُ بالتجاهل، بألا يذكر اسم الله أبدًا.

تُشاهد عملًا فنيًّا لا تسمع فيه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ولا ترى فيه إنسانًا واحدًا يصلي، يستيقظ أحدهم في الصباح فيقول لآخر: اصبر حتَّى

QaradawiBooks.com

أغسل وجهي! تغسل وجهك؟! قل: أتوضأ. ألست مسلمًا؟ المفروض والطبيعي إنْ كنت مسلمًا أنْ تقول: «أتوضأ». طبيعي أيضًا أن تقول: «إن شاء الله» عندما تعمل شيئًا، تحمد الله عندما تأتيك نعمة، وإنْ أصابتك مصيبة تقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. أشياء عفويَّة تصدر من المسلم ولها أثرها وإيحاؤها. لكن تأتي مسلسلات لا يُذكر فيها اسم الله إطلاقًا، ليس فيها هجوم على الإسلام، لكنها فارغة عن عمد من أيِّ محتوى يتصل بالإسلام والإيمان.

نحن نريد الطفل المسلم أنْ يكون له برامجه الخاصة في الإذاعة والتليفزيون والصحافة والمجلات، وأنْ يتفرغ لذلك مختصون يخدمون هذه النواحي بإتقان.

هناك شرائح كثيرة يجب أنْ تمتد إليها الصحوة الإسلاميَّة وتفكر فيها بدل أنْ تفكر في الوجه: هل هو عورة أو غير عورة؟ أو في طول اللحية وقصر الثوب.

أشياء كثيرة ينبغي أنْ تهتم بها الصحوة الإسلاميَّة: تمتد عمقًا، وتمتد عرضًا، وتمتد كذلك طولًا. أعني بامتدادها طولًا: أنْ تستمر من الناحية الزمنية، فلا تكون صحوة موقوتة، ثمَّ تنطفئ الجذوة، تتحول النار إلى رماد! نحن نريد لهذه الصحوة أنْ تستمر باستمرار الإسلام، وإنَّما تستمر إذا استمرَّت على خط الاعتدال والتوازن، فالغلوّ أو التشدُّد قصير العمر، هذا أمر معروف «**إنَّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى**»[1].

إنَّما تستمرُّ الصحوة يوم تسير في طريق الاعتدال والاتزان، لا تغلو مع الغالين، ولا تقصِّر مع المقصِّرين، بل تلتزم الصِّراط المستقيم،

(١) رواه ابن الأعرابي في معجمه (١٨٨٣)، وابن بشران في أماليه (٨٤٧)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

المنهج الوسط ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وكما قال علي بن أبي طالب: عليكم بالنمط الأوسط، يرجع إليه الغالي، ويلحق به التالي[١].

مبشرات:

الصحوة الإسلاميَّة تستطيع أنْ تقود معركتنا للتحرير وللبناء حينما تمتد طولًا وعرضًا وعمقًا في مجتمعاتنا، حينما تخرج من الدوران حول نفسها، ومن الدوائر الضيِّقة الَّتي وضعتها فيها بعض المدارس أو بعض الفصائل في الصحوة الإسلاميَّة، تستطيع أن تفعل الكثير، وخصوصًا أن هناك مبشِّرات وهناك عوامل مساعدة كثيرة.

كنَّا في الزمن الماضي مبهورين بالحضارة الغربيَّة انبهار المغلوب بالغالب، كنَّا في عصر التخلف والركود، وكان الفكر الإسلامي غائبًا، وجاءتنا هذه الحضارة فخطفت الأبصار ببريقها.

الآن تغيَّر الموقف؛ الحضارة الغربيَّة أصبحت هي الَّتي تنقد نفسها، أصبح هناك عدد من المفكرين والفلاسفة من أبناء هذه الحضارة ينقدونها، مثل: «شبنجلر، وتوينبي، وكولن ولسون، وكاريل، ودبو» أو غيرهم ممن نقدوا هذه الحضارة من داخلها.

صحيح أنَّهم نقدوها لكنهم لم يستطيعوا الخروج من إطارها؛ لأنَّهم أيضًا سجناؤها، فعرفوا الداء ولم يهتدوا إلى الدواء.

نحن الَّذين عندنا الدواء، وقد بدأ كثير من كبار رجال العلم والفكر في الحضارة الغربيَّة يعرفون الإسلام ويدخلونه مختارين، مثل «موريس

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٣٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بوكاي»، ومثل «رجاء جارودي»، والمفكر الكبيرالأستاذ «آرثر أليسون» الَّذي أعلن إسلامه في مؤتمر علمي طبي لإعجاز القرآن في القاهرة قريبًا، رغم أنَّ الإسلام ليس له قوة وليس له دولة، هؤلاء يدخلون الإسلام مقتنعين.

الحضارة الغربيَّة الآن مفلسة في ناحية توفير الطمأنينة الروحيَّة للإنسان. صحيح أنَّ الحضارة الغربيَّة استطاعت أن تصل إلى القمر، وأن تجلب من هناك أتربة وصخورًا وعيِّنات ونماذج، ولكنها قد وضعت أقدامها على القمر ولم تستطع أن تسعد الإنسان على وجه الأرض. أين السكينة؟ آلاف العيادات النفسيَّة في أمريكا، القلق المرضي، الخوف من المجهول، من الموت وما بعد الموت. هذه الأسئلة الَّتي حيَّرت الإنسان من قديم: من أين، وإلى أين، ولِمَ؟ من أين جئت؟ وإلى أين أذهب؟ ولماذا أعيش؟ وما هي رسالتي؟

هذه الأسئلة لم تستطع الحضارة الغربيَّة أن تجيبَ عنها، وإنْ حلَّقت في الفضاء أو غاصت في البحر، كما قال أحد المفكِّرين الهنود: إنَّ الإنسان في الغرب استطاع أنْ يُحلِّق في الهواء كالطير، وأنْ يغوص في البحر كالحوت، ولكنَّه لم يحسن أنْ يمشي على الأرض كإنسان!

لم تستطع المادية الغربيَّة أن تفعل هذا، ولا المسيحية قادرة أن تفعل هذا، لأنَّ المسيحية ليس فيها التوازن الَّذي عندنا نحن المسلمين؛ الإسلام يمزج بين الروح والمادة، يوفق بين العقل والقلب، يربط الأرض بالسماء، يصل الدنيا بالآخرة، يوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع، الإسلام وحده هو الَّذي يملك هذا التوازن الَّذي سمَّاه القرآن ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] نحن أمة الصِّراط المستقيم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومما يبشـــر ويجعل الأمل قويًّا في الصحوة الإســـلاميَّة كذلك: أننا نحن المسلمين جرَّبنا الحلول المســـتوردة من الغرب ومن الشرق، من اليمين ومن اليسار، كنا ليبراليين فترة من الفترات، ثمَّ صرنا ثوريين فترة أخرى، فلا هذا ولا ذاك استطاع أنْ يُسعد أمتنا من شقاء، وأنْ يؤمِّنها من خوف، وأنْ يحقِّق لها النصر والوحدة والاســـتقرار. الإســـلام وحده هو القادر على هذا كله، بالمنطق المحض. لهذا أقـــول لأبناء أمتنا: جرَّبتم اليمين وجرَّبتم اليســـار، جرَّبتم الاســـتيراد من الشـــرق والاستيراد من الغرب، لم يبقَ إلا أن تجرِّبوا الإسلام.

إنَّ التاريخ معنا، دورة التاريـــخ معنا. ما دمنا جرَّبنا هذا وجرَّبنا ذاك لم يبقَ إلا الإسلام. وأقول: هناك مبشِّرات تجعلنا نأمل في هذه الصحوة أنَّها يمكن أنْ تؤتي أكلهـــا، وتحقق الأهداف المرجـــوة منها، والآمال المنوطة بها.

مخاوفنا على الصحوة:

ولكن مع آمالنا الكبيرة فـــي الصحوة، نخاف عليها. فإلى جوار هذه الآمال، مخـــاوف ومحاذير. وأقـــول لكم بصراحة: إنِّـــي لا أخاف على الصحوة الإسلاميَّة من القوى الأجنبيَّة المتربصة، ولا من القوى الداخليَّة المتسلِّطة، فالصحوة الإسلاميَّة تســـتطيع أنْ تصمد، وأنْ تَثبت في وجه هذا كله، وكثيرًا ما ضُربت الصحوة الإســـلاميَّة والحركات الإســـلاميَّة، فاستطاعت أنْ تصمد أمام الضربات، وأنْ تخرج من المحن قوية صابرة مصابرة؛ ولكنِّي أخاف على الصحوة الإسلاميَّة من نفسها، هذا ما أخافه عليها، أخاف عليها من تيَّارات متعددة يمكن أن تَغلِب عليها، ولا يتسع الوقت للتفصيل في هذه التيارات ولكنِّي أشير إشارات مجملة إليها.

QaradawiBooks.com

تيار الغلو والتشدد:

منها تيار الغلوّ والتشدُّد والتنطُّع، الَّذي يسمُّونه التطرّف، الَّذي أشار إليه سعادة وكيل الوزارة الأخ الأستاذ عبد العزيز تركي في تقديمه للمحاضرة، وقد كتبت في هذا كتابًا معروفًا صدر في سلسلة الأمَّة بعنوان: «الصحوة الإسلاميَّة بين الجحود والتطرف».

أخاف عليها من الغلوّ والتنطُّع، وأنا أستعمل التعبير النبوي في هذا «الغلو والتنطُّع»، فقد جاء عن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ قال: «**إيَّاكم والغلوَّ في الدين، فإنما أهلك من قبلكم: الغلوّ في الدين**»[(١)]، وجاء عن ابن مسعود أنَّه ﷺ قال: «**ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون**» ثلاث مرات[(٢)].

التنطُّع والتكلُّف والتعمُّق والتشديد والتعسير على الناس حيث ينبغي التيسير، من المهلكات. والنبي ﷺ أرسل أبا موسى ومعاذًا إلى اليمن فأوصاهما بوصيَّة جامعة موجزة قال لهما: «**يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتَطَاوعا ولا تختلفا**»[(٣)].

ولكن هناك بعض فصائل من الصحوة الإسلاميَّة كأنَّما عندهم التعسير عبادة والتنفير فريضة! لِمَ هذا كله؟ لماذا لا نيسِّر على الناس؟ لماذا لا نستعمل الرخص؟ يا أخي، إذا كنت تريد أن تشدِّد، شدِّد على

(١) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، ثلاثتهم في الحج، والحاكم في الصوم (٤٦٦/١)، وصحَّحه على شرطهما، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٥٥)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

نفسك، لكن إذا أفتيت الناس، أو خاطبتهم، فراعِ أن فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة، كما قال النبي ﷺ[١].

لا بدَّ أن نيسِّر، وبخاصة في هذا العصر. الشريعة روحها التيسير، ولكن في عصر رقَّ فيه الدين وضعف فيه اليقين، يحتاج الناس إلى تيسير أكثر وأكثر، ولذلك جعلت مذهبي الَّذي أدين الله به: أن أشدِّد في الأصول، وأيسِّر في الفروع، إذا كان هناك قولان متكافئان، أحدهما أحوط والآخر أيسر، فإني أفتي بالأيسر. بعض الناس يقول: يا أخي لماذا لا تفتي بالأحوط؟ أقول: لا، قد أفتي بالأحوط للخواص، أو لنفسي إذا أردت أنْ أشدد عليها، لكن إذا أردت أنْ أكلم الناس وأفتيهم فلا أشدد، وإنَّما أُيسِّر عليهم، حتَّى يُقْبِلوا على الدين ولا ينفروا منه. وحجتي في هذا أنَّ النبي ﷺ ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا[٢].

هناك أناس يريدون أنْ يشدِّدوا، وهناك بعض العلماء وبعض الدعاة يتبعون أهواء المتشدِّدين. كثيرًا ما يعاب بعض العلماء وأهل الفتوى وبعض الدعاة بأنَّهم يتَّبعون أهواء السلاطين، ولكن أخطر منهم من يتَّبعون أهواء العامة، يريد أحدهم أنْ يرضي العوام من الناس بمزيد من التشدد، لا. هذا خطر أيضًا ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

أفتيت مرَّة بأن من أتى امرأته من دبرها فقد ارتكب حرامًا ولكنها لا تطلق. وهناك أمر شائع عند كثير من الناس: أن من فعل هذا الأمر طُلِّقت امرأته، ففي برنامج هدي الإسلام قلت: لا تُطلَّق. صحيح أنَّه

(١) سبق تخريجه صـ٣٤.
(٢) سبق تخريجه صـ٥٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ارتكب حرامًا ولكن المرأة لا تطلق، فاتصل بي بعض الناس وقال: يا أخي، لماذا تقول هذا؟ دعِ الناس على هذا الاعتقاد حتَّى ينزجروا عن هذا الأمر. قلت: سبحان الله! تريدون أنْ أُغيِّر دين الله من أجل أن أُغلِّظ على الناس؟! لا. الحقُّ يجب أنْ يقال.

هناك بعض الناس يريدون التَّشدُّد، وبعض الناس ينساقون مع أهوائهم فيشدِّدون على الناس إرضاء لهم، هذا لا يجوز، لا في منطق الإيمان، ولا في تبليغ الدعوة. بل العكس: ينبغي أن نيسِّر ما وسعنا التيسير. نخشى على الصحوة الإسلاميَّة أنْ يغلب عليها تيَّار التشدُّد والتزمُّت، فتُلغَى الرخص، وتُلغَى التيسيرات، ويُلغَى الرأي الآخر، فيتمثل الجمود الفكري.

بعض الناس يريدون أنْ يجعلوا من أنفسهم مذهبًا خامسًا، فما انتهى إليه اجتهادهم وجب أنْ يلتزم به المسلمون جميعًا، ولا يقبلون اجتهادًا آخر! من قال هذا؟ إذا كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب»[1] فهذا الاحتمال من الجانبين يُقرِّب المسافة. أمَّا هؤلاء فعلى العكس: يرون رأيهم صوابًا لا يحتمل الخطأ، ورأيَ غيرهم خطأ لا يحتمل الصواب!

هناك من الأصوليين من لم يوافق على المقولة السابقة، لماذا يقول: إن رأيه هو صواب يحتمل الخطأ ورأي غيره خطأ يحتمل الصواب؟ الرأيان كلاهما في مستوى واحد، كل منهما يحتمل الخطأ والصواب.

(١) نقل ابن حجر الهيتمي أن ذلك مذهب الشافعية. الفتاوى الفقهية الكبرى (٣١٣/٤)، نشر المكتبة الإسلامية.

QaradawiBooks.com

بل هناك من يصوِّب المجتهدين جميعًا ويرى أنَّ ما انتهى إليه المجتهد هو المطلوب في حكم الله وفي شرع الله، فكلهم مصوَّبون، يسمونهم «المصوِّبة».

لماذا التشدُّد إذن؟ إنَّ تيَّار التشدُّد، تيَّار الغلوّ والتنطُّع، هو من التيَّارات الَّتي نخافها على الصحوة الإسلاميَّة.

تيار التشرذم والتمزق:

مما نحذره على الصحوة أيضًا: تيَّار التشرذم والتمزق والتفرق، كل جماعة تريد أن تجعل من نفسها أمَّة وحدها! هذا التمزيق هو الخطر. لماذا لا يتعاون الجميع على العمل بالإسلام؟ نحن أمة مصابة بداء التمزق والتفرق، رغم وعيد الله وإنذاره: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦]. لقد مزَّق التنازع والاختلاف أمتنا وفرَّقها.

تجد هذا على المستوى العربي. هناك شِيَعٌ وأحزاب، وتقدميون ورجعيون، ويمينيون ويساريون، واتجاهات وسياسات. هناك في أبناء الوطن الواحد اعتبارات مُمزِّقة ومُفرِّقة، اعتبارات عنصريَّة، إقليميَّة، طبقيَّة، مذهبيَّة، داخل المجتمع الواحد، بل وداخل الأسرة الواحدة أحيانًا!

هناك أيضًا التمزق بين الَّذين يميلون إلى القديم، والذين يميلون إلى الجديد، الَّذي يُسمَّوْن المحافظين، والذين يُسمَّوْن المتحررين، حتَّى داخل الأسرة الواحدة.

بل أقول: هناك تمزُّق داخل الشخصيَّة الواحدة. الشخص منا تجد ما يجذبه إلى القديم، وما يشُدُّه إلى الجديد، فهو ممزَّق بين الماضي والحاضر، بين التراث والعصر.

QaradawiBooks.com

فهذا التمزُّق والتشرذم والتفرُّق ينبغي أنْ تقف الصحوة الإسلاميَّة منه موقفًا حاسمًا، ولا تساعد على تعميقه.

نحن في عالم أصبح يتكلم بلغة التكتُّل، يتكتَّل بعضه مع بعض، نرى هؤلاء يتكتلون في أشكال سياسيَّة، وفي أحلاف عسكرية، وفي أسواق اقتصادية، إلى آخر ما نرى الآن. الوحدة الصغيرة ما عادت تستطيع أنْ تبقى بمفردها. المسلمون فقط هم الَّذين يريدون أنْ يبقوا وحدات صغيرة لا تكاد تُرَى على خريطة العالم، لِمَ هذا التَّمزُّق؟ ثمَّ تأتي بعض فصائل الصحوة الإسلاميَّة تريد أنْ تزيد الأمور تمزيقًا، كل جماعة ترى أنَّها على الحق، والجماعات الأخرى على غيره! لِمَ هذا؟ اختلِفوا ما شئتم أن تختلفوا؛ لكن لا تتفرقوا.

كان بعض السلف يقول: نخالف ولا نختلف. يعني يمكن أنْ أخالفك الرأي وتخالفني في الرأي، ولكن هذا لا يؤدي إلى التفرق والاختلاف.

وهناك القاعدة الذهبية الَّتي وضعها صاحب مجلة المنار رَحِمَهُ اللَّهُ، السيد رشيد رضا، وتبنَّاها الإمام الشهيد حسن البنا: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»[1].

ليكن لكلٍّ منا وجهة نظر في كثير من الأمور السياسيَّة والأحكام الفرعية، والمسائل الاجتماعيَّة، ولكن هناك أمور متَّفق عليها ينبغي أن نتعاون فيها: نتعاون على تثبيت الإيمان، وعلى محاربة الإلحاد، على تقوية الفضائل، وعلى محاربة الإباحية والتحلل، وعلى تماسك الأسرة،

(١) بيَّنت صحة هذه القاعدة، وما يسندها من أدلة شرعية في كتابنا: فتاوى معاصرة (١٤١/٢ ـ ١٥١)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وعلى تماسك المجتمع، وعلى محاربة الأُمِّيَّة والجهل، ومحاربة الفقر والمرض، ومحاربة الرَّذيلة، وعلى الوقوف في وجه التيارات المعادية لأمتنا. ما أكثر ما يمكن أنْ نتفق عليه، ونتعاون فيه. لماذا لا نعمل على هذا الأساس بدل التمزق؟

التعدد لا يعني التفرق:

هناك بعض الإخوة عنده بعض الأماني والأحلام الكبيرة: يريد أنْ يجعل فصائل الصحوة الإسلاميَّة في فصيل واحد، وأنْ يصهر الحركات الإسلاميَّة في حركة عالميَّة واحدة. وهذه أمنية جميلة، ولكن دونها عقبات وعقبات: من طبيعة البشر، ومن ظروف الواقع. وليس من الضروري هذا التوحيد، هذا الصَّهر والتَّذويب.

لا مانع للصحوة أنْ تتعدَّد فيها الفصائل، وتتعدَّد المدارس، وتتعدَّد الجماعات، على أنْ يكون تعدُّدها تعدد تنوُّع وتخصُّص، لا تعدُّد تضارب وتناقض، كما جاء في تراث السلف عن اختلاف الأقوال: «هذا اختلاف تنوع وليس اختلاف تضادّ». فلتتعدد الجماعات والفصائل والمدارس تعدد تنوع، أعني: هذا يهتم بالعبادة، وهذا يهتم بالعقيدة، هذا يهتم بإصلاح الأسرة، وهذا يهتم بالجانب الاقتصادي، وهذا يهتم بالجانب السياسي، وهذا بالجانب الاجتماعي، وهذا بالجانب التربوي والأخلاقي، ليكن كل واحد أو فصيل مهتما بناحية، على ألا ينكر على الآخرين ولا يحاول هدمهم، وعلى أنْ يقف الجميع صفًّا واحدًا في القضايا المصيرية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

هذا التفرق هو بعض ما نخافه على الصحوة الإسلاميَّة.

QaradawiBooks.com

تيار الاستعجال والتصادم:

نخاف على الصحوة الإسلاميَّة أيضًا من تيار الاستعجال والتصادم. تيار المستعجلين الَّذين يريدون أنْ يقطفوا الثمرة قبل أوانها، يريدون أنْ يزرعوا اليوم ويحصدوا غدًا! بل يريدون أنْ يغرسوا في الصباح ويجنوا الثمر في المساء! وما هكذا سُنَّة الله؛ لا بدَّ أن نصبر على البذرة حتَّى تنبت، وعلى النبتة حتَّى تورق، وعلى الورقة حتَّى تزهو، وعلى الزهرة حتَّى تثمر، وعلى الثمرة حتَّى تنضج. وكل هذا يحتاج إلى وقت وإلى أجل مسمَّى.

هناك سنن لله ﷻ ينبغي أنْ تراعى، ولذلك نجد بعض هذه الفصائل ـ حينما يجدون من أنفسهم قوة ـ يريد بسرعة أنْ يثِبَ على السلطة، أو يصطدم بالحكام، أو يقف مواقف لا يستطيع أنْ يخرج منها! لِمَ هذا كله، ولم يكلفكم الله إيَّاه؟ إنَّ الاستعجال قد يدفع إلى العنف، والعنف يدفع إلى عنف مضاد أشد وأقسى. وكل هذا خطر على الصحوة، وخطر على الأُمَّة ذاتها.

تيار الاستغراق في السياسة:

هناك تيار الاستغراق في السياسة والانهماك السياسي في الحياة السياسيَّة، بحيث يطغى العمل في الجانب السياسي على العمل في الجوانب التربويَّة والسلوكيَّة، الَّتي تهدف قبل كل شيء إلى بناء الفرد المؤمن، الَّذي هو نواة كل إصلاح وتجديد. لا بدَّ للصحوة ألا يشغلها الاهتمام بالسياسة، عن الاهتمام بالتربية، والتكوين المتكامل، وعن الاهتمام بالعمل الاجتماعي الإيجابي.

أنا أريد العمل الاجتماعي، وطالما ناديت به، وهو سر ما ناديت لقيام الهيئة الخيرية والإسلاميَّة العالمية، فالمبشرون في أفريقيا

QaradawiBooks.com

وغيرها، يهاجموننا بكل سلاح، ومنه سلاح العمل الاجتماعي: العمل في مداواة المرضى، في مساعدة الفقراء، في رعاية الأيتام، في تعليم الأميّين. وقد أوجب الإسلام علينا العمل الاجتماعي كل يوم تطلع فيه الشمس، حتَّى قال الرسول الكريم: «**كل سلامى من الناس عليه صدقة**»[1] كل مفصل، وكل عظم، وكل عضو على المسلم فيه صدقة، وهذه الصدقة اجتماعيَّة: أنْ يغيث ملهوفًا، أو يعلم جاهلًا، أو ينبِّه غافلًا، أو يُشْغِل عاطلًا، أو يداوي مريضًا، أو على الأقل يبتسم في وجه أخيه، أو يتكلم بكلمة طيبة، أو يميط الأذى عن الطريق، هذا من شأن العمل الاجتماعي في الإسلام.

نحن نخاف على الصحوة الإسلاميَّة من تيارات كثيرة، لا أستطيع أن أطيل في الحديث عنها، يكفي هذه الملامح أيُّها الإخوة.

الصحوة الإسلاميَّة تستطيع أنْ تفعل الكثير، تستطيع أنْ تقدِّم الكثير لهذه الأُمَّة، تستطيع أْن تقود مسيرتها وأن تفجِّر طاقاتها، إذا سارت في المسار الصحيح، إذا رشَّدت مسيرتها، وسدَّدت خُطاها، وهذه مسؤولية أهل العلم والفكر: ألا يكونوا معزولين عن هذه الصحوة.

هذه الصحوة صحوة للجميع، ليست صحوة لمجموعة من الناس، إنَّها صحوة الإسلام في هذا العصر، وعلينا أنْ نرعاها، وعلينا أن نسدِّدها، وعلينا أن نقِيَها العثرات، وأن نمدَّها بالغذاء، علينا أن نشدَّ أزْرَها وأن نقف وراءها، علينا أن نعاملها بروح الأبوة لا بروح الاتهام. علينا أن نعلم أنَّ هذه الصحوة هي خير ما في هذه الأُمَّة في هذا العصر، ونحن

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩١، ٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

نعتقد أنَّ هذه الصحوة هي القادرة بإذن الله على أنْ تقود معاركنا إلى النصر، معارك الجهاد والتحرير، ومعارك البناء والتعمير.

إننا ننتظر ذلك اليوم الَّذي تتحرَّر فيه أرضنا، ننتظر ذلك اليوم الَّذي نتبوَّأ فيه مكانتنا تحت الشمس، ننتظر ذلك اليوم الَّذي ندخل فيه المسجد الأقصى ونسترده من أيدي اليهود. نسترده حينما ندخل المعركة «باسم الله» حينما تخوضها الصحوة الإسلاميَّة حقًّا تحت راية العبوديَّة لله، وتحت شعار الإسلام، حينما يقول الشجر والحجر: يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله[1].

أسأل الله ﷻ أنْ يقرِّب هذا اليوم الَّذي ننتصر فيه بالإسلام ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

أعتذر إليكم أيُّها الإخوة إذا أطلت عليكم، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «تقاتلكم اليهود فتُسلَّطون عليهم، ثم يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي، فاقتله». وقد سبق تخريجه صـ٣٦.

QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ يوسف القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

السؤال: هل معنى الاعتدال: التخلِّي عن بعض السنن الواردة عن الرسول ﷺ، بحجَّة أنَّ العلماء قد اختلفوا في حكمها ولأنها لا تتماشى مع القرن العشرين؟

الجواب: الأخ يجب أنْ يعلم أولًا: ما هي السُّنَّة؟ حيث يقع أحيانًا ـ للأسف ـ خلل في فهم معناها. يجب أولًا أن تثبت للعمل سنيَّتُه فيُتَّبع، وإذا اختلف فيه العلماء يستطيع كل واحد أنْ يأخذ بما اطمأن إليه قلبه. ولكن السُّنَّة أحيانًا تفهم خطأ، مثلًا أفعال النبي ﷺ: هناك أفعال قُصد فيها القُربى لله ﷻ، وهناك أفعال ليس فيها هذا القصد. أضرب لكم مثلًا:

جاء واحد يقول لي: أنت يا أخي، لماذا لا تعمل بالسُّنَّة؟ فقلت له: أي سُنَّة؟ قال: أنت تخطب على المنبر لكنك لا تحمل عصا، والنبي ﷺ كان يصعد على المنبر بعصا. فقلت لـه: إنَّ النبي ﷺ حينما كان يصعد على المنبر ما كان يأتي بالعصا خصِّيصًا لصعود المنبر، هو كان يحملها بحكم العادة أو الحاجة، فحينما صعد المنبر تلازمه العصا. إنَّما أنا لم أحمل عصا في حياتي قط، فكيف أحمل عصا مخصوصة، وأقول: اتركوا هذه العصا في المسجد حتَّى أصطحبها عند صعودي، مثل السيف الخشبي الَّذي كان يحمله الخطباء قديمًا، ولا زال في بعض البلاد، كان قائد المسلمين قديمًا في معارك الفتح هو الَّذي يخطب بهم في المسجد، وكان يخطب ومعه سيف؛ لأنَّه مجاهد، وليس لأنَّه أعده خصيصًا لصعود المنبر.

فالمسلمون في عصر القعود يريدون أنْ يفعلوا كما كان يفعل المسلمون في الماضي، فعملوا سيوفًا من خشب! فكانت مهزلة: أن

QaradawiBooks.com

تكون سيوف الناس جميعًا من حديد، وسيوف خطباء المسلمين من خشب! فهذا من الفهم المغلوط للسُّنَّة.

وأذكر منذ عدة سنوات أنني كنت مسافرًا من الهند إلى باكستان، فركب معي شاب قادم من أمريكا، يلبس جلبابًا قصيرًا ومعه عصا. وسألته عن وجهته، فقال: أنا ذاهب إلى مؤتمر في لاهور. وسألته: من أين أنت قادم؟ فقال: أنا قادم من أمريكا. قلت: وماذا تعمل؟ فقال: أنا أدرس الهندسة الكهربائية. فقلت له: لماذا تحمل هذه العصا؟ فقال لي: إنَّ هذه سُنَّة! فسألته: وأنت هناك في أمريكا تدرس الكهرباء، هل تحمل معك هذه العصا؟ فقال: لا. هذا من الخلل يعود إلى عدم التفريق في أفعال النبي ﷺ بين ما قُصدت سنيَّته منها، وما لم يقصد.

لهذا أقول: يجب علينا أولًا أن نعرف ما هي السُّنَّة. سُنَّة النبي ﷺ هي سُنَّة الاعتدال والتوازن، سُنَّة الجهاد، سُنَّة العمل للحياة، حينما قال: «**أنا أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**»[1] سنَّته هي منهجه في فهم دين الله وفي تطبيقه، هذه هي السُّنَّة.

السؤال: إذا كنا في بيئة يعتقد أهلها أنّ المرأة كلها عورة مع الوجه والكفين، ويستدلون بأحاديث يقولون: إنَّها صحيحة كما أخبرهم بذلك علماؤهم، فهل يجوز لنا أن ندعو بالتكشُّفِ ورفع النقاب عن وجه المرأة ونخبرها بأنَّ الوجه والكفين ليستا بعورة؟

الجواب: لا يا أخي. لن نقول لها ذلك. دعها تغطِّي وجهها وكفَّيْها، ولكن لا نقول لمن كشفت وجهها وكفيها: إنك عصيت الله! هذا هو

(١) سبق تخريجه صـ١٣٦.

QaradawiBooks.com

المهم: أنِّي لا أقيم الدنيا من أجل المرأة الَّتي غطَّت جسمها وتركت الوجه والكفين. بل أقول لها: هذا هو رأي ابن عباس، ورأي عائشة، ورأي أنس بن مالك، ورأي سعيد بن جبير[١] حتَّى لا تشعر بالإثم. يجب أن نذكر الآراء المخفِّفة والميسرة.

في سنة (١٩٢٩م) عملوا قانونًا للأحوال الشخصيَّة، أخذوه من مذهب أبي حنيفة؛ تعرفون أنَّ البلاد الإسلاميَّة ورثت المذهب الحنفي من أيام الدولة العثمانية، فكانت في أول الأمر متقيِّدة بالمذهب الحنفي؛ والمذهب الحنفي فيه تشديدات في بعض الأمور، فالشيخ المراغي رَحِمَهُ اللَّهُ أراد أنْ يخرج الناس من تشدُّدات المذاهب، فصدر مشروع قانون في ذلك الوقت يتبنَّى آراء شيخ الإسلام ابن تيمية، والناس ناقشوه. فقال لهم: يا جماعة، أنا أريد أنْ أحافظ على بقايا الضمير الديني عند الناس. ماذا يعني بقايا الضمير الديني عند الناس؟ مثلًا ابن تيمية يقول: «اليمين بالطلاق ـ إذا أراد الحمل على شيء أو المنع منه ـ لا يقع به الطلاق وفيه كفَّارة يمين»[٢] وأنا أفتي بهذا. أمَّا عند المذهب الحنفي والمذاهب الأربعة فالطلاق يقع بهذا اليمين. الرجل البائع أو الشغَّال طوال النهار يحلف بهذه الطريقة، يحلف ولا يفعل شيئًا، يعود إلى بيته وهو يعتقد أنَّ امرأته طالق منه، ويعيش مع امرأته على اعتقاد أنَّه يعيش في حرام، ولذلك يظن أنَّ حياته كلها حرام في حرام، وما دامت حياته حرام في حرام، فقد لا يرى مانعًا أنْ يأكل المال الباطل، وأنْ يسرق وأنْ يرتشي، وأنْ يعمل أي جريمة أخرى، ويقول لك:

---

(١) انظر: هذه الآثار في تفسير ابن أبي حاتم (٢٥٧٣/٨ ـ ٢٥٧٥)، تحقيق أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ، والطبري في تفسيره (١٥٦/١٩ ـ ١٥٨)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١٢٠/٤)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

QaradawiBooks.com

إن حياتنا كلها حرام في حرام حتَّى أولادنا أولاد حرام. الشيخ المراغي قال: لا. أنا أريد أن أحفظ عليه دينه بأن أقول له: لا، أنت لم ترتكب حرامًا وطلاقك هذا غير واقع. فأنا في هذه الحالة من خلال هذا الفقه أبقيت عليه ضميره الديني. كذلك أريد أنْ أقول للمسلمة الَّتي تكشف وجهها وكفيها: أنت لم ترتكبي بذلك معصية، بل أنت على مذهب الجمهور. هذا ما نريده. أمَّا لو كان هناك مسلمة تريد أنْ تغطِّي وجهها وكفَّيها فلا حرج عليها وهي حرة في الالتزام بالأحوط وجزاها الله خيرًا.

السؤال: هل تقصد التمزُّق في الشخصيَّة بالمشاركة في أكثر من جماعة؟

الجواب: أنا لا أقصد المشاركة في أكثر من جماعة، بالعكس هذا الأحسن ـ إنْ أمكن وتيسَّر ـ أنْ يشترك الإنسان في أكثر من جماعة، ويأخذ من كل جماعة أحسن ما فيها، فهذا ليس تمزقًا بحال. إنَّما أقصد بتمزق الشخصيَّة: أنْ تتنازع الإنسان عوامل متناقضة: هذه تشدُّه إلى الماضي، وهذه تشدُّه إلى الحاضر، فهو غير قادر على أنْ يحدِّد وجهته وغايته ومنهجه في الحياة. هذا هو التمزُّق الَّذي نشكو منه هنا في الشخصيَّة وفي المجتمع، هو مسلم وماركسي! هو غربي وشرقي! وهو متدين وعلماني! يحج ويأكل الربا! يصلي ويصوم، ومع هذا يقبل غير شرع الله!

المطلوب تحديد الهُويَّة، تحديد الذات، معرفة الذات، من أنت؟ إذا عرفت من أنت، وحددت وجهتك، وجعلت الله ﷻ غايتك؛ ينتهي التمزق، ويتضح الأمر، وتنحل العقدة. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٢

الصحوة الإسلاميَّة بين الواقع والمأمول[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومَنْ دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به أيها الإخوة والأخوات، وأيها الأبناء والبنات ـ بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخوانكم بالمشرق ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

الصحوة الإسلاميَّة:

فقد كان من آثار جهود هؤلاء العاملين، والدعاة، والمصلحين، والمجددين: هذه الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة الَّتي نراها اليوم، فبعد أنْ

(١) ألقيت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط في المغرب، يوم الأربعاء ٧ شعبان ١٤٠٩هـ ـ الموافق ٢٢ مارس ١٩٨٩م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ظنَّ الناس أنَّ الإسلام قد طُوِي بساطه، وأسقطت رايته، وغربت شمسه، وانتهى أمره، إذا بهم يجدون هذه الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة، الَّتي أيقظت كلَّ نائم، وحرَّكت كلَّ ساكن.

انتشرت هذه الصحوة بين الناس في المشارق والمغارب، في داخل العالم الإسلامي، وفي خارج العالم الإسلامي، خصوصًا بين الشباب المثقف من الجنسين، من الفتيان والفتيات، هذا الشباب الذي نراه في كلِّ مكان، في داخل العالم العربي، وخارج العالم العربي في العالم الإسلامي، وخارج العالم الإسلامي في الشرق الأقصى، في اليابان، في كوريا، في هونج كونج، في سنغافورة، وفي أستراليا، وفي البرازيل، وفي أمريكا، وفي أوربا، في كلِّ مكان ذهبت إليه وجدت هذا الشباب المسلم المتحرك للدعوة إلى الإسلام، وللعمل لمجد الإسلام، الصائمين والقائمين، والمستغفرين بالأسحار، وجدت الفتيات المحجَّبات الملتزمات وسط مجتمعات العري والإباحيَّة والتحلُّل من كلِّ شيء، المجتمعات الَّتي لا تعرف حلالًا ولا حرامًا، رأيت هذا الإقبال في كلِّ مكان.

وقبل أنْ آتي إليكم أيها الإخوة كنت عند إخوانكم في الجزائر، وألقيت محاضرة هناك، فكانت الشوارع والساحات ممتلئة بالإخوة والأخوات، حتى قالوا: لا يقل الحاضرون عن ستين ألفًا. هذا في الجزائر الَّتي كان يقال: إنَّها فرنسية.

وفي كلِّ معرض للكتاب، وفي كلِّ سوق يُقام وُجِد أنَّ الكتاب الإسلامي هو الكتاب الأول، وهو الذي يضرب الرقم القياسي في التوزيع، فالشباب يقرؤون، يريدون أنْ يتعرفوا على الإسلام، حتى إنَّ بعض الناس ظنَّ أنَّ المسألة تجارة، ولم يكونوا يكتبون عن الإسلام،

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

فقالوا: ما دام الإسلام يروج فلنكتب عن الإسلام؛ لنستفيد من وراء هذا. والحقيقة أنَّ الإسلام هو صاحب الصحوة، الصحوة صحوة شباب وشابات، هي صحوة عقول وأفكار، وصحوة مشاعر وعواطف، وصحوة إرادة والتزام.

هذه الصحوة الإسلاميَّة أثبتت وجودها في ميادين عديدة.

في مجال الاقتصاد:

أثبتت هذه الصحوة وجودها على الصعيد الاقتصادي، ففي وقت من الأوقات كانوا يقولون: الاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والفوائد الربوية عصب البنوك؛ فلا تطمعوا أنْ تقيموا بنوكًا بغير فوائد، أريحوا أنفسكم.

ولكن من الناحية النظريَّة ـ والحمد لله ـ أكَّدت المؤتمرات الَّتي أقيمت للاقتصاد الإسلامي أنَّ الفوائد هي الربا الحرام، والعجيب أنَّ في بعض المؤتمرات في مكَّة المُكرَّمة حضر حوالي أربعمائة من الخبراء والباحثين من الاقتصاديِّين والمحاسبيِّين، والقانونيِّين، والتطبيقيِّين من رجال الأعمال، مع الفقهاء الشرعيِّين، وكان أكثر الناس حماسًا ـ أكثر من الشرعيين ـ هم الاقتصاديون، هذه ظاهرة جديدة، ثم لم يكتفوا بذلك، قالوا: لا بدَّ من بدائل للبنوك الربويَّة، ووضعوا الخطوط النظريَّة لهذه البدائل، ثم جاءت خطوة أخرى، فإذا بالبنوك الإسلاميَّة تقوم بالفعل، بنكًا وراء بنك، حتى أصبحت الآن أكثر من خمسين بنكًا إسلاميًّا، ولا تزال تتزايد والحمد لله.

في وقت من الأوقات أمام الحضارة الغربية، وللأسف مع الهزيمة النفسية قال بعض الناس: هذه الفوائد غير الربا الذي كان من قبل، فربا

QaradawiBooks.com

الإنتاج غير ربا الاستهلاك! وقال بعضهم: ربا الحاضر غير ربا الجاهلية الذي حرمه القرآن! وقال بعضهم: إنَّ الربا الآن تقتضيه الضرورة، والضرورات تبيح المحظورات! وقال بعضهم: إنَّ القرآن إنَّما حرَّم الأضعاف المضاعفة، أمَّا العشرة والخمسة عشر في المائة أمر يسير! فأرادوا أمام الهزيمة أنْ يلووا أعناق النصوص ليًّا، ثم انتصرت الإرادة الإسلاميَّة، وقامت البنوك الإسلاميَّة، وهي تتزايد والحمد لله.

في مجال الجهاد:

وعلى صعيد آخر أثبتت هذه الصحوة وجودها في الجانب الجهادي، فهي الَّتي جعلت الإخوة في أفغانستان يقاومون ويقاتلون ويبدؤون جهادهم منذ أكثر من عشر سنوات ببنادق عتيقة من مخلفات الحرب العالمية الثانية والأولى، مما يملكه هؤلاء الناس الفلاحون، أخذوا يجاهدون بها، ثم بدؤوا يأخذون السلاح من أيدي أعدائهم، ما يغنمونه من الشيوعيين، ثم توسعت المعركة إلى أن اضطروا السوفيت، وهم أعظم دولة ملحدة في العالم، وإحدى القوتين الكبريين في العالم، أجبروا هؤلاء على أنْ ينسحبوا من أفغانستان، ويتفقوا مع قادة المجاهدين ويقولوا لهم: كل ما نطلبه منكم أنْ تدعونا ننسحب بسلام، ولا تطلقوا علينا الرصاص ونحن ننسحب. فهذه الصحوة الإسلاميَّة جعلت هؤلاء الفلاحين البسطاء يجبرون الروس على الانسحاب بعد أنْ بلغوا ما بلغوا، وبعد أنْ أنفقوا الملايين، وبعد أنْ خسروا الآلاف، ولولا شجاعة جورباتشوف لظلوا يخسرون ويخسرون.

كما أثبتت الصحوة الإسلاميَّة وجودها في أرض النبوات، أرض المقدسات، في أرض المسجد الأقصى، في فلسطين، من خلال

QaradawiBooks.com

الانتفاضة، وأطفال الحجارة، ما الذي حرَّك القضية الفلسطينية وأعطاها زخمًا جديدًا، ونفحة جديدة، وروحًا جديدة؟

إنَّها الروح الإسلاميَّة، إنَّها الصحوة الإسلاميَّة الَّتي جعلت الشباب الذين يسمونهم عرب إسرائيل، عرب سنة ١٩٤٨م، الذين كانوا قد ظُنَّ أنَّهم انتهوا، ونسوا دينهم، وهُويَّتهم، وتاريخهم، وفعلًا كانوا في وقت من الأوقات ليس عندهم من الإسلام شيء ولا من العروبة شيء، رجالًا ونساءً، وإذا بالصحوة تصل إليهم، وإذا بالمساجد الَّتي كانت شبه خربة تعمر وتمتلئ، حتى يصلي الناس في الشوارع خارج المساجد، وكانت هناك قرية اسمها أم الفحم أصبحت تسمى أم النور، وكتب الإسرائيليون معلقين على ذلك، ومحذرين من مستقبل هذا التحول إلى الإسلام، شيء جديد.

انطلقت الصحوة من غزة، ومن مساجد غزة، ومن الجامعة الإسلاميَّة في مساجد غزة بالذات، كانت منطلقات الصحوة المساجد، ورياتها المصاحف ترفعها، وشعاراتها لا إلٰه إلا الله، والله أكبر ولله الحمد، وكان الأطفال ينشدون:

خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود

هذه هي الصحوة الإسلاميَّة الَّتي حرَّكت القضية الفلسطينية بعد جمود، وأجبرت الإسرائيليين والتيار العالمي على أنْ يغيِّروا بعض مواقفهم، وأنْ ينظر إلى هذه القضية نظرة جديدة، فالصحوة الإسلاميَّة إذنْ هي حقيقة واقعة.

الصحوة مؤهلة لقيادة الأمة:

يقول بعض الناس: ما هذه الصحوة الإسلاميَّة الَّتي تتحدثون عنها؛ إنَّها لم تغير المجتمع؟! هل هي الشباب الذين يطلقون لحاهم، أو

QaradawiBooks.com

الفتيات اللائي يلبسن الحجاب؟ كأنَّ الصحوة ليس فيها سوى لحى الرجال وحجاب النساء!

الصحوة ـ كما قلت ـ بدت في كلِّ ناحية، ثم إن لحى الرجال وحجاب النساء يدلَّان على الالتزام، هذا رمز للتحدي، ودليل من دلائل التميز الثقافي والحضاري، فالفتاة الَّتي تلبس الحجاب تتحدى حضارة العري ولا تبالي، لأنَّها تلبس هذا اللباس وربما قاومها أبوها أو أمها أو أقاربها، الإيمان هو الذي دفعها إلى هذا، فالصحوة الإسلاميَّة صنعت الكثير.

ثم إنَّ الصحوة معناها استيقاظ، بداية نهضة، فالصحوة بداية عمل، نصحو لنعمل، نصحو في أول النهار، نفرك أعيننا، ونقوم لنعمل، فالصحوة بداية عمل.

ثم من ناحية أخرى نقول لهؤلاء الناس: هل مهمتكم أنْ تقفوا متفرجين وتقولوا: ماذا صنعت الصحوة؟! لماذا لا تعملون مع الصحوة؟ الصحوة منكم وإليكم، فلا بدَّ أنْ تقف الأُمَّة كلُّها مع الصحوة، أمَّا أن نقف متفرجين، وأنْ تكون مهمتنا أن نضع العراقيل في طريقها فليس هذا من الإنصاف في شيء.

الصحوة بدأت تعمل، وقد عملت، وستعمل، ولا زلنا نأمل فيها الكثير، لا زلنا نأمل أنْ تقود الصحوة هذه الأُمَّة في معاركها، معركة الإيمان، ومعركة الهوية الثقافية والحضارية للأُمَّة، أنْ ترد الأُمَّة إلى ذاتها، الصحوة هي القادرة على قيادة هذه الأُمَّة.

الإسلام محرك الأُمَّة:

لكل أُمَّة شخصية متميزة، ولكل شخصية مفتاح مثل مفتاح السيارة، ربما كانت هناك سيارة وزنها عدة أطنان فإذا أردت أنْ تحركها فإنك

QaradawiBooks.com

لا تدفعها بذراعك أو بمنكبك، ولكن بلمسة من مفتاح يتحرك هذا الجسم الضخم، ويندفع إلى الأمام، بشرط أنْ يكون مفتاحه، فلكل سيارة مفتاح، ولا تستطيع أنْ تحرك سيارة صالون بمفتاح سيارة نقل، ولا سيارة فرنسية بمفتاح سيارة إيطالية، كذلك لكلِّ شخصية مفتاحها، ومفتاح أُمَّتنا هو الإيمان والإسلام، قُدها بـ: لا إلٰه إلا الله، ارفع أمامها المصحف، قل لها: يا رياح الجنة هبي، ويا كتائب الله سيري. ستجد الأُمَّة وراءك تصنع المستحيلات، وتتخطى العقبات، وليس هذا خيالًا، بل هذا ما رأيناه.

نكبة ١٩٦٧م:

أضرب لك مثلًا، في سنة ١٩٦٧م في مصر خضنا معركة مع إسرائيل، كنا قبلها نسمع من قومنا التهديدات العنترية، قلت لهم: ظلمتم عنترة؛ فعنترة كان يقول ويفعل، فيمكن أنْ تسمونها تهديدات فرزدقيَّة، لأنَّ جريرًا قال:

زَعَمَ الفَرَزْدَقُ أنْ سَيَقْتُلَ مَرْبَعًا أَبْشِرْ بطُولِ سَلَامَةٍ يا مَرْبَعُ[1]

فهكذا كان القوم يهددون بتهديدات فرزدقيَّة، قالوا: سنرمي إسرائيل في البحر، سنؤدب إسرائيل ومَن وراءها. وكانت لهم أناشيد تقول: ومدفعنا يتحدى القدر! فماذا حدث؟

لم تغنِ عنهم الأسلحة الَّتي كانت تسد عين الشمس، ومن أحدث الأسلحة، وامتلأت بها سيناء، لم تغنِ الأسلحة شيئًا؛ لأنَّ السلاح لا يقاتل وحده، بل يقاتل باليد الَّتي تستعمله، واليد يحركها قلب وراءها، والقلب تحركه رسالة يؤمن بها، ولم تكن لهؤلاء رسالة واضحة.

(١) ديوان جرير (٢/٩١٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كان عند اليهود رسالة واضحة، إنهم يعملون بتعاليم توراتية، وأحلام تلمودية، يعملون لرسالة وعقيدة، ونحن فرغنا جنودنا ورجالنا من العقيدة، كان شعارهم في ذلك الوقت: بر، بحر، جو! ولكن لم ينتصروا لا في بر، ولا في بحر، ولا في جو، كانوا يسمونها حرب الأيام الستة، ولكنها في الواقع حرب الساعات الستة، في الساعات الستة الأولى ظهرت المعركة، وانكشفت قوانا، وانكشف كلُّ شيء.

كان اليهود يحاربون عن عقيدة، ونحن لم نحارب عن عقيدة، لو أنَّهم قاتلوا من أجل «يهوا» فقاتلنا من أجل رب العالمين، لو أنَّهم قاتلوا باسم التوراة فقاتلْنا نحن باسم القرآن، لو أنَّهم دخلوا تحت شعار اليهودية فدخلنا نحن تحت شعار الإسلام لتغيَّرت المعركة، وتغيَّر اتجاه الريح.

ولكنهم دخلوا بعقيدة، ودخلنا بغير عقيدة، فكانت النتيجة أنَّ مدفعنا الذي يتحدى القدر فيما زعموا تُرك غنيمة باردة، ولقمة سائغة لليهود، كانت الدبابات تُضرب فما يكلف الجندي خاطره أنْ يعطبها، فيشعل فيها عود ثقاب، فلا ينتفع بها العدو، فقد كانت مهمتهم النجاة النجاة، فالأسلحة لا تقاتل وحدها، الطغرائي في لاميته يقول:

وشِيمَةُ السَّيْفِ أنْ يُزهى بجَوْهَرِهِ ... وليس يَعْمَلُ إلَّا في يَدَيْ بَطَلِ[1]

والمتنبِّي يقول:

وَمَا تَنْفَعُ الخَيْلُ الكِرَامُ ولا القَنَا ... إذا لم يَكُنْ فَوْقَ الكِرَامِ كِرَامُ[2]

خيل بغير خيال، فرس بغير فارس، ماذا تغني؟ فالأسلحة وحدها لا تغني، هذا حدث في سنة ١٩٦٧م.

(١) ديوان الطغرائي صـ٣٠٧، لامية العجم.

(٢) انظر: ديوان المتنبي صـ٣٩٠.

QaradawiBooks.com

معركة العاشر من رمضان:

أمَّا ما حدث في معركة سنة ١٩٧٣م، وأنا أفضل أنْ أسميها معركة سنة ١٣٩٣هـ، تلك المعركة الَّتي أصبحت تُعرف باسم السادس من أكتوبر، وكانت تعرف من قبل بالعاشر من رمضان، فقد هبَّت على الجنود نفحات رمضان، نفحات الصيام والقرآن، كان الشعار في ذلك الوقت: الله أكبر، الله أكبر. حينما عُبِّئوا بهذه المعاني عبروا القناة، واقتحموا خط بارليف، وأبطلوا الأسطورة الَّتي تقول: إنَّ إسرائيل هي القوة الَّتي لا تُقهر.

وعلى قدر ما كان معهم من إيمان كان ما أخذوه من أرض، قلت لبعض الضباط: لو كان معكم إيمان أكثر لأخذتم أرضًا أكثر؛ أعطني إيمانًا أعطك نصرًا، هذه قضية لا شكَّ فيها.

إذنْ لهذه الأُمَّة مفتاح، ومفتاحها هو الإيمان والإسلام، أمَّا أنْ تديرها بشيء آخر فلن تجني منها شيئًا، وطالما عزفوا على نغمة القوميَّة، أو الاشتراكيَّة، أو غير ذلك، هذه الأمور لا تحرك من الأُمَّة ساكنًا، لا تفجِّر طاقاتها المكنونة، لا تخاطب كينونتها، لا تهزها من أعماقها، أمَّا الذي يهزها من أعماقها هو أنْ تخاطبها بكلمة الله ﷻ، ولذلك فالصحوة الإسلاميَّة تخاطب الأُمَّة، كينونة الأُمَّة، وتقودها بالإسلام، فلن يقود هذه الأُمَّة شيء إلا الإسلام، هذا ما نؤمِّله في الصحوة الإسلاميَّة.

دور الصحوة في معركة البناء:

نحن نريد أن نبني أُمَّتنا، نريد أن نبني تقدُّمًا، أن نخرج من دائرة التخلف، نحن ما زلنا إلى اليوم في دائرة العالم الثالث، ولو كان هناك عالم رابع لضُمَّت إليه بعض بلادنا العربية والإسلاميَّة، يسموننا البلاد النامية، وهذا تعبير مؤدب عن البلاد المتخلفة.

QaradawiBooks.com

نحن ما زلنا إلى اليوم لم نستطع أن نُصنِّع صناعة ثقيلة، لا في الناحية العسكرية، ولا في الناحية المدنية، أنا قلت دائمًا: أُمَّة سورة الحديد لم تتعلم صناعة الحديد، عندنا في القرآن سورة اسمها سورة الحديد، وفيها قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. ففي قوله: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾. إشارة إلى الصناعات العسكرية، وفي قوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾. إشارة إلى الصناعات المدنية، فهل تفوقنا في هذه أو تلك؟

لا زلنا عالة على غيرنا، في عصر وصل الإنسان فيه إلى الفضاء، بلغ ما بلغ، ونحن ما زلنا في موقعنا، لم نتقدم التقدم الكافي، والبلوى أنَّ مُضيَّ الزمن لا يقرب المسافة بيننا وبين القوم، إذا ركبنا الخيل والبغال والحمير ركبوا هم السيارة والقطار، وإذا ركبنا السيارة والقطار ركبوا هم الطائرة، وإذا ركبنا الطائرة ركبوا هم الصاروخ وسفن الفضاء، فهذه مشكلة، أننا بيننا وبين القوم الكثير والكثير.

هم الآن في عصر الثورة الصناعية الثانية، عصر الثورة الصناعية الأولى كانت الآلة فيه تعمل على توفير الطاقة البدنية للإنسان، فبعد أنْ كان الإنسان يحمل الشيء على كتفه، أو يقوم به بيده، أصبحت الآلة تقوم بذلك عوضًا عنه، بعد أنْ كان الإنسان ينسخ الكتب بيده، أصبحت المطبعة تطبع أضعاف ما يفعله الشخص العادي، أصبحت تطبع ملايين الملايين من الأوراق، هذا عصر الصناعة الأول توفر فيه الآلة جهد الإنسان البدني والعضلي.

ثم جاء عصر الصناعة الثاني فأصبحت مهمة الآلة فيه توفر جهد الإنسان الذهني، فبدلًا من أنْ يظل يحسب حسابات كانت تأخذ سنين

QaradawiBooks.com

من وقته صارت الآلة تقوم بذلك في لحظات، نحن في عصر الكمبيوتر، هم صنعوا الكمبيوتر، وهو أجيال، جيل يتحسن بعد جيل، ونحن ماذا نفعل؟ نحن مختلفون إلى اليوم: ما اسم هذا الشيء؟ جماعة قالوا: اسمه الحاسب الآلي. وجماعة قالوا: هو الحاسوب. وجماعة قالوا: هو المحساب! هذا هو الواقع.

منذ فترة كنت أخطب خطبة الجمعة في قطر، وكان هذا في مناسبة معينة، حينما أذاعت وكالات الأنباء أنَّ إسرائيل صنعت قمرًا صناعيًّا، وهذا القمر يتجسس على بلاد العرب، ويصورها شبرًا شبرًا. فقلت: إسرائيل تُصوِّر كلَّ شبر في أراضينا، ولا زال بعض إخواننا المسلمين، وبعض علمائهم، وبعض الجماعات فيهم مختلفين: هل التصوير حلال أم حرام؟!

لهذا يجب على الصحوة الإسلاميَّة أنْ تتجاوز هذه الأشياء، وتقود الأمة في معركة البناء والتقدم، وهي وحدها القادرة على أن تعطي الإنسان حوافز جديدة تجعله يبذل أضعاف الطاقة العادية، لا يمكن أن نلحق بالقوم، ونعوِّض ما فات من تأخر سنين إلا بشيء غير عادي، نحن بحاجة إلى طاقة روحيَّة، طاقة نفسيَّة تفجر مكنونات هذا الإنسان، هذه الطاقة لا يمكن أنْ تكون إلا في الإسلام.

وقد أشار القرآن إلى أنَّ الإنسان في وقت من الأوقات يمكن أنْ يعمل بأضعاف الطاقة العادية، وبعشرة أضعافها، ذكر ذلك في الجانب العسكري في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥]. فيمكن أنْ يعمل

QaradawiBooks.com

الواحد بعشرة أضعاف ما يعمل الشخص العادي، ولكن المهم أنْ يتوفر الصبر، أنْ تتوفر الطاقة الأخلاقية.

هذه الطاقة لا يفجرها إلا طاقة إيمانية، والصحوة الإسلاميَّة قادرة على أنْ تفعل هذا، أنْ تقود الأمة، أنْ توحِّد كلمتها على الإسلام، وهذه الأُمَّة لا يمكن أنْ تجتمع إلا على الإسلام، لو تركنا الإسلام ستنقسم الأمة انقسامات شتى، جماعة إلى اليمين، وجماعة إلى اليسار، وأي يمين وأي يسار؟

اليمين درجات، واليسار درجات، هناك يمين اليمين، ووسط اليمين، ويسار اليمين، وهناك يمين اليسار، ووسط اليسار، ويسار اليسار، وأي اليسارات؟ هناك يسار يميل إلى روسيا، وآخر إلى لينين، وآخر إلى كذا، أي اليمينيات؟ هناك يمين يميل إلى واشنطن، وآخر إلى لندن، وآخر إلى كذا، تتعدد القبلات، وتتعدد الولاءات.

الشيء الوحيد الذي يجمع هذه الأُمَّة هو الصراط المستقيم، الذي يسيرون فيه خلف محمد ﷺ، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فالإسلام هو الذي يجمع هذه الأُمَّة، جمعها على العقيدة، فإذا اجتمعت على الشريعة، وعلى النظام، وعلى منهاج الحياة أصبحت أُمَّة واحدة.

الانشغال بالأصول والكليات:

والصحوة الإسلاميَّة عليها أنْ تبذل جهدَها في إزالة الفوارق بين أبناء الأُمَّة الواحدة لتجتمع على أصول الإسلام، لا على الفروع، فالناس لا يمكن أنْ يجتمعوا على الفروع، على الجزئيَّات هيهات هيهات، سيظل

QaradawiBooks.com

الناس يختلفون، ولكن ليكن شعارنا: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضُنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

سألني أخ يعمل في الفندق الذي أسكن فيه، قال لي: ما رأيك في الصلاة خلف المبتدع؟ قلت: أولًا من أصول أهل السُّنَّة الصلاة خلف كلِّ بر وفاجر، لكن ما هو ابتداعه؟ قال: إمام يصلي، ويقنت في صلاة الصبح.

قلت: وتعتبر هذا مبتدعًا؟! هذا مما اختلفت عليه المذاهب، وينبغي أنْ يسع بعضنا بعضًا فيه، الإمام الشافعي يرى أنَّ القنوت في صلاة الصبح سُنَّة، ولكن الشافعي حينما ذهب إلى بغداد ـ حيث يدفن أبو حنيفة، وحيث يوجد أصحابه ـ ترك القنوت في صلاة الصبح، من أدبه، ومراعاةً لشعورهم، هذا أمر يسع المسلم أنْ يفعله.

ولكن بعض الناس يقيم من هذه المسائل الجزئية معارك لا تنتهي، ألَّف أحدهم كتابًا سمَّاه «الواحة في جلسة الاستراحة»، وهناك مَنْ يريد أنْ يقاتل من أجل هذا! يا أخي؛ ابن تيمية قال: لو ذهبت إلى بلد، وكانوا يجهرون بالبسملة، وليس من مذهبك أنْ تجهر بالبسملة فاجهر بها لتتألف قلوبهم[1].

هذه الأمور الخلافية ينبغي ألَّا تكون أساسًا لمعارك، كلُّ واحد يعمل فيها بما اقتنع أنَّه الصواب، أو الأقرب إلى الصواب، ولهذا لا بدَّ أن ندَع التعصُّب للمذهب، ولا بدَّ أنْ يسع بعضنا بعضًا في هذه المسائل الخلافية، ولهذا أقول للناس: أنا أُشدِّد في الأصول، وأيسِّر في الفروع. أمَّا هذه الأشياء فلا ينبغي أنْ تكون سببًا في خلافنا.

(١) مجموع الفتاوى (٢٣/٣٧٤ ـ ٣٧٧).

QaradawiBooks.com

من الارتجال إلى التخطيط:

على الصحوة الإسلاميَّة أنْ تقود الأُمَّة، حيث تنتقل من الارتجال إلى التخطيط، يظن بعض الناس أنَّ الإسلام جاء ليترك الأمور سبهللة، ويفهم التوكُّل على الله بمعنى التواكل عليه، كأنَّ التوكل على الله يعني أنْ تترك السنن والأسباب، وتدع الأمور بلا ترتيب واجتهاد.

لا؛ بل جاء الإسلام لينشئ العقلية العلمية، فنحن نريد أن ننتقل من العقلية الارتجالية إلى العلم والتخطيط، نحن أصحاب كتاب أول آية فيه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. وطلب العلم فيه فريضة، والإسلام لا يقبل دعوى بغير برهان، ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، لا يقبل الإسلام أبدًا قول من يقول: اعتقد وأنت أعمى. أو أغمض عينيك ثم اتبعني. هذا هو الإسلام الذي يريد العقلية العلمية الَّتي تنقلنا من الارتجال إلى التخطيط، ومن العاطفية إلى العلمية.

يوجد الآن تخطيط خمسي، وسبعي، وعشري بحد أقصى، لكن القرآن ذكر لنا قصة يوسف، وفيها تخطيط لمدة خمسة عشر عامًا: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧ ـ ٤٩].

وبعد أنْ هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ـ كما روى البخاري ومسلم ـ قال: «**أحصوا لي عددَ من يَلْفظ بالإسلام**» فأحصَوْا له، فكانوا ألفًا وخمسمائة رجل[1]. يريد أنْ يعرف قوته الضاربة، لعلَّه أول إحصاء في التاريخ، فالإحصاء، والتخطيط، والتنظيم هو ما نريده، نريد أنْ

(١) سبق تخريجه صـ٤٠.

QaradawiBooks.com

يفهم الناس أنَّ الصحوة الإسلاميَّة لم تجئ بالتواكلية، فالتوكل غير التواكل، يريد الإسلام أن نأخذ بسنن الله تعالى، نحن نعيب على بعض أبناء الصحوة الإسلاميَّة أنَّهم لا يراعون السنن، وهذا بعض ما نحذره على الصحوة: عدم مراعاة السنن، أنا أدعو أبناء الصحوة إلى هذا الفقه، فالفقه يعني شيئين أساسيين: فقه أحكام الله في شرعه، وفقه سنن الله في كونه.

فقه الأولويَّات:

وفقه أحكام الله في شرعه يقتضي أن نفقه الأولويات، فالأشياء في الشرع ليست في مستوى واحد، بل هناك شيء رقم واحد، وآخر رقم اثنين، وآخر رقم ثلاثة، وهكذا، ففي الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: «**الإيمانُ بِضْعٌ وستُّون** ـ أو بضع وسبعون ـ **شُعْبة، أعلاها لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[1]. فلا بدَّ أنْ تضع كلَّ شعبة في مكانها، لا تضع رقم عشرين في رقم واحد، لا تجعل النافلة كالفريضة، ولا تجعل الظنِّي كالقطعي، ولا تجعل المختلف فيه كالمتَّفق عليه.

الانشغال بالمتَّفق عليه لا بالمختلف فيه:

هذه أمور ينبغي أنْ يفقهها أبناء الصحوة، بعض الناس تقاتل من أجل أمور مختلَف فيها، جاءني بعض الإخوة صباح هذا اليوم، وسألني عن جملة أمور، فقلت له: يا أخي؛ كلُّ هذه الأمور الَّتي شغلتك مختلَف فيها، ولا ينبغي أنْ تشغلنا، ما دام هناك من يقول بهذا الرأي وذاك، فلماذا نجعل هذا الرأي وحده هو الصواب، وغيره هو الخطأ؟ أقصى ما يقوله

(١) رواه البخاري (٩) مختصرًا، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الإنسان عن رأيه ما قاله الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

سألني الأخ عن النقاب والحجاب، هل النقاب واجب؟ قلت له: يا أخي؛ جمهور العلماء أنَّ الحجاب فقط هو الواجب، أمَّا تغطية الوجه والكفين فهذا ليس رأي الجمهور، حتى مذهب الإمام أحمد بن حنبل هو أنَّ الوجه ليس بعورة، هكذا قال ابن قدامة في «المغني»[1].

ثم إنَّ المعركة الآن لم تعد معركة الوجه والكفين، بل هي الآن في كشف الشعور والنحور والصدور، وكشف البطون والظهور، والمِني جب، والميكرو جب، والزفت جب.

بعض الناس يريدون أنْ أذهب إلى الأخت المسلمة، أو الابنة المسلمة الَّتي تلبس الحجاب لأقول لها: أنت آثمة! وبعضهم استخدم الآن تعبير الحجاب المتبرج! ذلك أنَّ بعضهم رسم صورة معينة للحجاب في ذهنه، ويعترض عما سواه، لا؛ بل أي زي ليس شفافًا، ولا وصَّافًا، وكان ساترًا للعورة فهو حجاب.

كنت ذات مرة في معسكر لطلاب جامعة الأزهر، فسألتني إحدى الأخوات، وقالت: إنَّ بعض أخواتنا إذا لبسن الحجاب ازددن جمالًا، فما الحل في هذه القضية؟ قلت: فمَن الذي قال لكنَّ: إنَّ الإسلام فرض الحجاب ليقبح وجه المرأة؟ حينما علل القرآن ذلك قال: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. المقصود أنْ يُعرف أنَّ هذه المرأة الَّتي تتحجب وتلبس اللباس الشرعي ليست من اللاعبات والعابثات، بل هي امرأة جادَّة وقورة، فلا يسعى أحد في مغازلتها، أو إيذائها.

(١) انظر: المغني (٤٣١/١)، (٩٧/٧)، نشر مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

الأخذ بالأيسر:

ثم لماذا نأخذ بالتشـــدد؟ أنا من مذهبي ـ في الواقـــع ـ إذا كان هناك قولان، أحدهما أحوط، والآخر أيسر؛ أفتي بالأيسر، ما دام القولان متقاربين أو متكافئين، سألني بعضهم: وما دليلك على هذا؟ قلت: دليلي أنَّ النبي ﷺ ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيســـرهما، ما لم يكن إثمًا[1]. هذا هو الأولى، فالصحوة الإسلاميَّة عليها أن تفقه الأحكام الشرعية، وتفقه أولوياتها، وتُقدِّم ما حقُّه التقديم، وتُؤخِّر ما حقُّه التأخير، أمَّا العكس فهو أمر خطير.

فقه السنن:

كما أنَّ على الصحوة الإســـلاميَّة أنْ تفقه ســـنن الله، البعض يريد أنْ يتخطَّى السنن، ومَنْ تخطَّى السنن تخطته، فهي لا تحابي أحدًا ولا تلين لأحد، هناك أناس يريدون أنْ يزرعوا اليوم، ويحصدوا بعد أســـبوع، أو يغرسوا في الصباح ويجنوا في المساء، وهيهات لهم ذلك.

لا بدَّ أن نصبر على البذرة حتى تنبـــت، وأن نصبر على النبتة حتى تورق، ونصبر على الورقة حتى تزهر، ونصبر علـــى الزهرة حتى تثمر، ونصبر على الثمرة حتى تنضج ويأتي أوان اقتطافهـــا، أمَّا أنْ تحاول أنْ تقطف الثمرة قبل أوانها فهذا مخالفة لسنن الله، فلكلِّ شيء أجل مسمَّى، إنَّ الذين يستعجلون الأمور يقعون في أخطاء كبيرة جدًّا، فلا بدَّ من فقه السنن، وفقه الأحكام والأولويات.

الرِّفق واللِّين:

ومما نخافه على الصحوة أيضًا أنْ تستعمل العنف والخشونة في غير موضعها، نحن لســـنا في حاجة إلـــى العنف، فلا يســـتعمل العنف إلا

(١) سبق تخريجه صـ٥٩.

QaradawiBooks.com

صاحب القضية الخاسرة، أمَّا نحن فأصحاب قضية ناجحة، فالأُمَّة معنا، والشعب المسلم معنا، أعماق الناس معنا، حتى العصاة منهم، أنا أرى أنَّ العصاة في المغرب مثل العصاة في مصر، هم مسلمون.

كنت في الجزائر فسألتني إحدى الأخوات، قالت لي: ما رأيك في الفتيات غير الملتزمات بالحجاب الشرعي، واللائي يكشفن شعورهن، وكذا؟ وكأنَّ السائلة تريد أنْ أقول لها: إنهن في جهنم وبئس المصير.

قلت لها: هؤلاء أخواتنا وبناتنا مسلمات مؤمنات، الإيمان في أعماقهن، لأنهن مسلمات من أسر إسلاميَّة، كلُّ ما في الأمر أنَّ هناك مواريث وضغوطًا نفسيَّة واجتماعيَّة أورثها لنا الاستعمار، فلم تكن هناك امرأة مسلمة قط قبل الاستعمار تفكر في أنْ تكشف شعرها، أو نحرها، أو صدرها، ولكن الاستعمار هو الذي فعل هذا في عقود من السنين، وأصبحت تقوم عليه هيئات ومدارس ووسائل إعلامية، وضغوط مختلفة، فهؤلاء الفتيات أسيرات لهذه الضغوط، لعلَّها في صراع مع نفسها وهي لا تدري، تريد أنْ تتخلص من هذا، فليس هناك مسلمة تريد أنْ تدخل النار، أو تبارز الله تعالى بالمعصية، فهي ضغوط تحيط بها وتريد أنْ تتخلص منها، وهل كان كثير من المحجبات اليوم محجبات من قبل؟ بعضهن لم يكن كذلك ثم هداهن الله إلى الحجاب، ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [النساء: ٩٤]، فالإسلام يكسب كل يوم أرضًا، ولذلك فالمستقبل لنا نحن، فلماذا نقسو على غيرنا؟

بعض الناس يستعمل الخشونة والعنف في الدعوة كأنه لم يقرأ الآية الكريمة قراءة كاملة، قلت لبعض الناس: لعل نظرهم ضعيف، فلم

QaradawiBooks.com

يستطيعوا أنْ يقرؤوا قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. فقرؤوها: وجادلهم بالتي هي أخشن!

انظروا إلى الأدب النبوي الكريم؛ بعض الصحابة أخطأ في قضية من القضايا، دخل أبو بكرة من باب المسجد، وأراد أنْ يلحق الركعة فركع على باب المسجد، وظل يمشي راكعًا حتى التحق بالصف، فبلغ النبيَّ ﷺ ذلك، فأراد أنْ ينبهه، فقال له: «**يا أبا بَكْرة، زادك اللهُ حرصًا ولا تعُدْ**»[1]. قوله: «**لا تعُدْ**». يعني أنَّه أخطأ، وقوله: «**زادكَ الله حرصًا**». هو تقدير لدافعه النبيل الذي جعله يفعل هذا حرصًا منه على أنْ يدرك الركعة مع الجماعة، لم يعنفه أو يقسُ عليه، ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، هذا هو هدي النبوة، وهذه هي روح النبوة.

اختلاف بلا تفرُّق:

كما أنَّ على الصحوة الإسلاميَّة أنْ تبني ولا تهدم، وأنْ تجمع ولا تفرق، أخشى ما أخشاه على الصحوة الإسلاميَّة أنْ تتآكل من الداخل، أو تُضرب من الخارج، ولا أخشى عليها من الخارج كما أخشى عليها من الداخل، لأنَّ الخارج يستغل الداخل ليمزق هذا الصف.

منذ سنوات كان في الكويت رجل أمريكي معروف اسمه «ريتشارد ميتشل»، الذي ألَّف كتاب «الإخوان المسلمون»، لقيه أحد الباحثين

(١) رواه البخاري في الأذان (٧٨٣)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

هناك، كان في فندق وقابله فسأله: لماذا أنت هنا؟ قال: أنا في مهمة دراسية. قال: ماذا تدرس؟ قال: أدرس الخلافات بين الجماعات الدينية بعضها وبعض. فهل كان يدرس هذه الخلافات لوجه الله؛ أم لخدمة المخابرات المركزية والقوى الأجنبية، حتى يجعل من الحبة قبة، ويوسع الفجوة، ويعمق الهوة بين الجماعات الإسلاميَّة بعضها وبعض؟

أخطر ما أخافه على الصحوة الإسلاميَّة أنْ تتفرق وتتمزق هنا وهناك، ويتهم بعضها بعضًا، وينكر بعضها على بعض، وتحاول كلُّ جماعة منها أو كلُّ فصيل منها أنْ تبني نفسها على أنقاض الآخرين، مع أنَّ العمل الإسلامي يسع الجميع.

تعدُّد التنوُّع لا التضاد:

بعض الناس يريدون أنْ تكون هناك جماعة واحدة ولا جماعة غيرها، وهذا ما نتمناه، ولكنَّه أمر صعب، وبعيد المنال، لأنَّ الناس يختلفون في الأهداف، ويختلفون في الوسائل، ويختلفون في قراءة الأشخاص، ولذلك لا بدَّ أنْ تتعدد الجماعات العاملة للإسلام، ولا حرج في ذلك ولا ضير، إذا كان التعدد تعدُّد تنوُّع وتخصُّص، لا تعدُّد تضاد وتناقض.

لا حرج في أنْ تكون هناك جماعة تشتغل بالتربية، وجماعة تشتغل بالثقافة والفكر، وجماعة تشتغل بالأسرة والمرأة، وجماعة تشتغل بالعمل الاجتماعي والخيري، وجماعة تشتغل بالسياسة ودخول الانتخابات، وجماعة تشتغل بالاقتصاد والتنمية، لا مانع من هذا، على أنْ يتعاون بعضهم مع بعض، وأنْ يحسن بعضهم الظن بأخيه، وأنْ يقفوا في القضايا المصيرية صفًّا واحدًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الائتلاف والوحدة:

أخطر ما أخافه على الصحوة الإسلاميَّة هذا التمزُّق، وهذا الاتهام لبعضهم البعض، المفروض أنْ يحسن المسلم الظنَّ بالمسلمين جميعًا، فكيف بالعاملين للإسلام؟ لا بدَّ أنْ يحمل الأمر من أخيه على أحسن وجوهه، هكذا كان سلف هذه الأُمَّة.

كان أحدهم يقول إذا أساء أخوه إليه: ألتمس لأخي من عذر إلى سبعين، ثم أقول: لعلَّ له عذرًا آخر لا أعرفه. هكذا إذا قابل أحد أخاه ـ مثلًا ـ في الطريق ولم يسلم عليه، ولم يلتفت إليه، لا يقول: إنَّه متكبر. ولكن يقول: لعلَّه لم يرني، لعلَّه كان مشغول البال بزوجه المريضة أو ابنه المتعب. وهكذا من عذر إلى سبعين، ثم يقول: وهل أحطت بالأعذار كلِّها علمًا؛ لعلَّ له عذرًا آخر لا أعرفه. هذا هو المطلوب، «خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظنِّ بالله، وحسن الظنِّ بالنَّاس، وخصلتان ليس بعدهما شيء من الشرِّ: سوء الظنِّ بالله، وسوء الظنِّ بالناس»[1].

سوء الظن بالناس، وبالمسلمين، وبالعاملين للإسلام بالذات، ليس من خلق الإنسان المسلم، المسلم يلتمس المعاذير لإخوانه، وخصوصًا أنَّ الاجتهادات تتعدَّد في مجال العمل، فلكلِّ أحد له رأيُه واجتهادُه، أمَّا أنْ يتَّهم هذا بأنه خائن، وهذا عميل، وهذا منافق، وهذا كافر، وهذا كذا، فهو أمر لا يليق بالعقلاء والعلماء والدعاة، إنَّما ينبغي أنْ يسعنا الإسلام الكبير العظيم، الإسلام يسع المختلفين، فلا يجوز لنا أن نتمزَّق ونتفرَّق قددًا ونحن نعمل للإسلام.

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/٢٠٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إنَّ أعداء الإسلام ـ وهم مختلفون في أمور شتى ـ يتَّفقون علينا، إذا كان العدو هو الإسلام اتفقت كلمتهم، هذا ما رأيناه، اتفقت اليهودية مع المسيحية، وأصدر البابا منذ سنوات وثيقة «تبرئة اليهود من دم المسيح»، والمذاهب المسيحية يقترب بعضها من بعض، مع أنَّ كلَّ مذهب منها، وكلَّ كنيسة منها بمثابة دين جديد.

وكذلك الأيدلوجيات السياسية، صار هناك وفاق بين الروس والأمريكان، وبينهما وبين الصين بعد ذلك، والناس حولنا يقترب بعضهم من بعض في السوق الأوربية المشتركة، فلماذا يبقى المسلمون وحدهم مختلفين؟ وحتى العاملون للإسلام يختلفون، مع أنَّ المفروض أنْ يكونوا دعاة وحدة، فالصحوة الإسلاميَّة عليها أنْ تبني ولا تهدم، وتجمع ولا تُفرِّق.

يا أيها الإخوة؛ الآمال في الصحوة الإسلاميَّة كثيرة، والمحاذير أيضًا كثيرة، وعلى الصحوة أنْ تكون واعية لمكر الماكرين، وتخطيط الدهاة، الذين يريدون أنْ يوقعوها في مكايد لا تخرج منها، نحن نعلم أنَّ أعداء الإسلام لن يدَعونا، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٨]، سيظلون يعملون باستمرار.

ونحن نستطيع أن نغلبهم إذا اتفقت كلمتنا، هم متفقون كما قال القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣]. قوله: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾. يعني: إلا يوالي بعضكم بعضًا، ويساند بعضكم بعضًا، ويتكتل بعضكم مع بعض، ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾، لماذا تقوم الفتنة؟ لأنَّه سيكون هناك تجمع في جانب الباطل، وتفرق في جانب الحق؛ إيجابية هناك،

QaradawiBooks.com

وسلبية هنا؛ عمل هناك، وفراغ هنا؛ اتحاد هناك، وتمزُّق هنا، فلا بد أن يوالي بعضُنا بعضًا، ويساند بعضُنا بعضًا، ونعمل فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

غير مرخصة للطباعة

المستقبل للإسلام:

يا أيها الإخوة؛ الصحوة الإسلاميَّة قادرة على أن تفعل الكثير، وخصوصًا في المغرب العربي، هذا المغرب قادر على أن يقود صحوة عظيمة، فجذوره إسلاميَّة، ومحرِّكاته إسلاميَّة، وأهدافه إسلاميَّة، إن هذا المغرب الذي حمل الإسلام قديمًا، نفَّذه في أرضه، وأقام حكمه في أرضه، ثم انطلق به إلى أوربا، ويقيم حضارة هناك ظلت ثمانية قرون، طُردنا بعدها من أوربا.

لقد طردنا من أوربا مرتين، طردنا من الأندلس، ثم طردنا أيام العثمانيين بعد أنْ طرقوا أبواب ڤيينَّا مرات عديدة، ولكنِّي أوقن أنَّ الإسلام سيعود إلى أوربا مرة أخرى، وعندنا بشارة رسول الله ﷺ، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي قبيل، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، فسأله سائل: أي المدينتين تُفتح أولًا: قسطنطينيَّة أو روميَّة؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق. قال: فأخرج منه كتابًا. قال: فقال عبد الله: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب إذ سُئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تُفتح أولًا: قسطنطينيَّة أو روميَّة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أولًا**»، يعني قسطنطينيَّة[1].

روميِّة هي: روما، عاصمة إيطاليا، وقسطنطينية: هي إستانبول الآن الَّتي كانت من قبل عاصمة الدولة الرومانيَّة البيزنطيَّة، وكأنَّ الصحابة

(١) سبق تخريجه صـ ١٨٤.

QaradawiBooks.com

عندهم علم بأنهما ستفتحان، ولكن السؤال هنا: أي المدينتَيْن تُفتح أولًا؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**مدينةُ هرقل تُفتح أوَّلًا**». وهي القسطنطينيَّة.

وقد فُتِحت القسطنطينيَّة، فتحها ذلك الشاب العثماني محمد بن مُراد، الشهير في التاريخ باسم محمد الفاتح، كان يقرأ حديث النبيِّ ﷺ: «**لتُفْتَحَنَّ القسطنطينيَّة، فلنعم الأميرُ أميرها، ولَنِعْم الجيشُ ذلك الجيش**»[1]. فتاقت نفسه ـ وكان صاحب نفسٍ توَّاقة إلى المعالي ـ أنْ يكون هو الموعود والمُبشَّر في هذا الحديث، وأنْ يكون قائد ذلك الجيش الذي يفتح القسطنطينية، حيث حاول ذلك الصحابة ولم ينجحوا، فتحها وهو ابن الثالثة والعشرين من عمره، فكان هذا تعويضًا من الله، فطرد المسلمون من الأندلس ولكنهم دخلوا أوربا من الجهة الأخرى.

سيعود الإسلام إلى أوربا، وأنتم يا أبناء المغرب عليكم دور في هذا، لقد أراد الأوربيون في وقت من الأوقات أنْ يجعلوا من هذا القطر ومن جيرانه أقطارًا مُفرنسة، أنْ يفرنسوها، وأنا أقول: سيأتي يوم علينا نذهب إلى الشاطئ الآخر فنُعرِّبه ونُؤسْلمه إنْ شاء الله، سنكمل إن شاء الله ما بدأه موسى بن نصير، وطارق بن زياد، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

أقول قولي هذا ـ أيُّها الإخوة ـ وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

QaradawiBooks.com

١٣

الصحوة الإسلامية بين الواقع والتحديات[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الـذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانـا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونشـهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، ونشـهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسـلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، نحمدك اللهم على كل حال، ونعوذ بك من حال أهل النار.

خيـر ما أحيِّيكم به أيها الإخـوة والأخوات تحيةُ الإسـلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من فضل الله تبارك وتعالـى أن يجمعنا بين الحيـن والحين، على طاعته ومحبته والدعوة إليه، وليس هنـاك أفضل ولا أكرم من أن يلتقي

(١) ألقيت في جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، عام ١٩٨٨م، بمناسبة مرور ٢٥ عامًا على تأسيس الجمعية.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المؤمنون على حب الله تبارك وتعالى وطاعته؛ عسى أن يظلهم الله تعالى ببركة هذا الحب في ظله، يوم لا ظل إلا ظله.

ذكرى تأسيس جمعية الإصلاح بالكويت:

منذ نحو شهرين كنت هنا في الكويت في اجتماع الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، ومنذ نحو شهر كنت في القاهرة في الندوة العلمية للهيئة الشرعية العالمية لقضايا الزكاة المعاصرة، التي أسَّسها بيت الزكاة بالكويت، ومنذ أكثر من أسبوع كنت في القاهرة في مؤتمر الطب الإسلامي الذي كان الفضل في تنظيمه للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت أيضًا، وفي هذه الليلة أجدني بينكم للمشاركة في هذه المناسبة الطيبة: مناسبة مرور خمسة وعشرين عامًا على تأسيس جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، مناسبات طيبة كلها تنبع من الكويت، ونسأل الله تعالى أن يتم على الكويت نعمة الأمن والإيمان، والسلامة والإسلام.

حينما دعاني الأخ المجاهد الغيور: أبو بدر عبد الله المطوع للمشاركة في عُرس جمعية الإصلاح الاجتماعي، كان عندي أكثر من مشغلة، وكان عندي أكثر من عذر أعتذر به، ولكن لم يسعني أن أتخلف عن هذه الدعوة، وألَّا أشارك في أفراح جمعية الإصلاح الاجتماعي، فهي وإن كانت كويتية منشأ ومقرًّا؛ فهي عالمية نشاطًا، هذه جمعية أُسست ـ فيما أحسب ـ على تقوى من الله ورضوان من أول يوم: بذرة طيبة، بذرتها أيد طيبة، في أرض طيبة؛ فأينعت وأثمرت، واستظل الناس بظلالها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]. فهذه بذرة

QaradawiBooks.com

طيبة في بلد طيب إن شاء الله، وصدق الله أيضًا إذ يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

إننا نسأل الله تبارك وتعالى لجمعية الإصلاح أن يبارك خطاها، وأن يسدد القائمين عليها، ويزيد من بركاتها في مجال الدعوة، ومجال التربية، ومجال تحفيظ القرآن، والمجال الخيري، والمجال الثقافي، ومجال نشر الكتب، وفي كل ما تقوم به لأهل الكويت وللمسلمين؛ ممثلًا في مجلة «المجتمع»، وفي لجنة الدعوة، وفي مراكز الشباب، وفي معونات القضايا الإسلامية: في فلسطين، وفي أفغانستان، أسال الله ﷻ الذي جعل يوم الجمعية خيرًا من أمسها: أن يجعل غدها خيرًا من يومها، اللهم آمين.

آفاق مستقبلية للصحوة الإسلامية:

اختارت لي الجمعية أنْ أحدِّثكم أيها الإخوة عن آفاق مستقبلية للصحوة الإسلامية، ولا عجب أن تختار الجمعية الصحوة مجالًا للحديث، فالجمعية نفسها علامة بارزة من علامات الصحوة، ومركز من المراكز الأصيلة لنشر هذه الصحوة، وتثبيتها والحفاظ عليها.

آفاق مستقبلية للصحوة الإسلامية، الإسلاميون متهمون أنَّهم منكفِئُون على الماضي، ولا ينظرون إلى المستقبل، يعيشون دائمًا في الأمس، ولا يهتمون باليوم، ولا يتطلعون إلى الغد، يسجنون أنفسهم في التراث والتاريخ، هكذا يقولون عنهم، ولكن هذا هو العنوان «آفاق مستقبلية».

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نظرة إلى المستقبل:

لا بدَّ من نظرة إلى المستقبل، كيف ننظر إلى المستقبل؟ هل نحن نعلم الغيب؟ هل نعلم ما يأتي به الغد؟ هل نكتشف ما يكنه ضمير الأيام؟ لا؛ فالغيب لا يعلمه إلَّا الله، ولكنا نتحدث عن المستقبل من خلال الواقع، ومن خلال الحاضر، نستشف المستقبل حسب السنن التي وضعها الله تبارك وتعالى كما قال الشاعر قديمًا:

إنَّ الهلالَ إذا رأيتُ نموَّهُ أيقنتُ أن سيصيرُ بدرًا كاملَا[1]

هذا حسب سنن الله تبارك وتعالى، الزرع النابت في أرض طيبة، تستطيع أنْ تقول: إنَّ هذا الزرع إنْ شاء الله سينضج ويثمر، حسب السنن؛ إذا لم تكن هناك آفة سماوية، أو شيء لا نعلمه نحن! إنَّما نتكلم حسب السنن.

آفاق المستقبل من خلال الواقع:

ونحن حينما نتكلم هنا عن الآفاق المستقبلية للصحوة الإسلامية: نتكلم عنها من خلال نظرتنا إلى الواقع، ومن هنا كان لا بدَّ قبل أن نتحدث عن هذه الآفاق المستقبلية أن نتحدث عن واقع الصحوة الإسلامية، وهذا هو الجزء المخصص لي، أمَّا الجزء الذي يتعلق بمستقبل الصحوة الإسلامية وآفاقها فهو لأخي الداعية الكريم: الشيخ عبد المجيد الزنداني.

معنى الصحوة:

نتحدث عن الصحوة الإسلامية، فما معنى الصحوة؟ يُقال: صحا الجو؛ إذا صفا بعد غيم. وصحا الإنسان؛ إذا استيقظ بعد نوم، أو أفاق بعد سُكْر، هذا هو معنى الصحوة في اللغة، فالصحوة لا تكون من الإنسان إلا بعد

(١) من شعر أبي تمّام الطائي. انظر: الكامل في اللغة والأدب (٢٣/٤).

QaradawiBooks.com

غيبة وعي، إما بشيء طبيعي كالنوم، أو بشيء مصطنع كالسُّكْر، يُخرج الإنسان عن وعيه، فلا يعي ذاته، ولا يعي من حوله، ولا يعي ما حوله.

والأُمَّة الإسلامية مرَّ عليها زمن كانت فيه غائبة عن الوعي، لم تعِ ذاتها، ولم تعِ رسالتها، ولم تعرف ما هي؟ هذا نوع من النوم أو من الموت أو من السُّكْر.. غيبة عن الوعي!

كانت هذه الغيبة نتيجة تخلف المسلمين مدة من الزمن، ثم نتيجة الاستعمار الذي دخل بلاد المسلمين، وعمل عمله في حياتهم، وفي عقولهم وقلوبهم، غرَّبهم عن أنفسهم، فعاشوا حياة الاغتراب والتغرب.

غربة الإسلام في أرضه:

في وقت من الأوقات كان المسلمون غرباء عن أنفسهم، غرباء في أوطانهم، كانت الدعوة إلى الإسلام خافتة الصوت في ذلك الوقت، وكانت الدعوة إلى التغريب، وإلى اتباع الغرب والجري وراءه؛ شبرًا بشبر وذراعًا بذراع: عالية الصوت جهيرة، حتى نادى من نادى في ذلك الوقت: بأنه لا سبيل إلى أنْ ترقى هذه الأُمَّة؛ إلا أن تأخذ بالحضارة الغربية: خيرها وشرها، وحلوها ومرها، ما يُحَب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب[1]! كان هذا في وقت من الأوقات.

واستطاع صوت العلمانية أن يرتفع حتى داخل الأزهر، حتى وجدنا من يؤلف كتابًا ممن ينتمي إلى الأزهر وإلى علمائه، ويقول: إنَّ الإسلام لا علاقة له بأصول الحكم، وأنَّه دين لا دولة[2]!

(١) هو قول قديم لطه حسين في مستقبل الثقافة صـ٣٩.

(٢) قال هذا الشيخ علي عبد الرازق، والشيخ خالد محمد خالد، رحمهما الله، وقد تراجعا عن هذا القول، وندما عليه فيما بعد.

QaradawiBooks.com

هكذا وصل الأمر إلى هذا الحد، ولكن الله ﷻ قيَّض للمسلمين مَن يوقظهم مِن سُبات، ويحييهم من موات، ومن ينفخ فيهم الروح، ومن يجدِّد فيهم العزم بواسطة المجددين الأصلاء، والدعاة الصادقين، الذين فقهوا الإسلام عن بينة، ودعوا إلى الله على بصيرة، واستطاعوا أن يهزوا هذه الأمة من أعماقها، فكانت هذه الصحوة حصاد هذا العمل الطويل.

الصحوة لم تُولد من فراغ:

بعض الناس يتوهم أن هذه الصحوة وُلِدت فجأة، أو أنَّها جاءت من فراغ، أو نشأت من عدم! وهذا منافٍ لسنن الله تعالى في خلقه، فسنن الله تعالى تقضي أنَّ البذرة الصغيرة تنبت شجرة كبيرة، والنواة تثمر نخلة بحسب السنن، وبحسب التعهد والرعاية.

هذه الصحوة لم تولد من فراغ، ولم تكن وليدة اليوم ولا بنت الأمس، هذه الصحوة كانت نتيجة كفاح طويل لمجددين أصلاء، ابتداءً من محمد بن عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية، ومحمد بن علي الشوكاني في اليمن، ومحمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا في مصر، وعبد الحميد بن باديس في الجزائر، لا أستطيع أن أعدد الأسماء الكثيرة التي قام كل منها بدور: يتسع أو يضيق، ويكبر أو يصغر في كل بلد من بلاد الإسلام، استشهد من استشهد، وخرَّ صريعًا من خرَّ في هذه المعركة مع أعداء الإسلام، الذين أرادوا أن يجتثوه من جذوره، وأن يقتلعوه من أصوله، كانت الصحوة الإسلامية حصادًا لهذا كله.

أُمَّة الإسلام تنام ولا تموت:

ثم هناك شيء، بعض الناس يظن أن هذه الصحوة شيء غير طبيعي، وكأنَّ الأصل في الأُمَّة الإسلامية أن تنام فلا تصحو، وأن تموت

QaradawiBooks.com

فلا تحيا! وهذا ضد الطبيعة، وضد التاريخ، وضد الواقع، وضد السنن الشرعية والكونية.

هذه الأمة قد تنام ولكنها لا تموت، قد تضعف ولكنها لا تزول، تظل هناك قوة كامنة في هذه الأمة؛ حتى تجد من يفجر الطاقات، ويحرك الكوامن، ويستثير القوى المذخورة! هذه طبيعة الأمة، والله تعالى لا يدَعها حتى تموت، بل يبعث لها بين كل حين وحين «**من يجدِّد لها دينها**»[١]، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود والحاكم وغيرهما.

وكما جاء في الحديث المتَّفق عليه: «**لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»[٢]. هذه الطائفة التي يسميها العلماء «الطائفة المنصورة» تظل قائمة على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى تقوم الساعة وهم على ذلك ثابتون صامدون.

وإلى هذا يشير القرآن بقوله تعالى: ﴿ **وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٨١]. ممن خلقنا ستظل أمة تهدي بالحق، وتقضي به، وتعدل به، وتدعو إليه، ولا يمكن أن تجتمع الأمة على ضلالة، ﴿ **فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ** ﴾ [الأنعام: ٨٩].

وكما قال عليٌّ رضي الله عنه: لا تخلو الأرض من قائم لله بالحجة[٣]. أناس يقيمون الحجة على خلق الله، كما أقام الله بالرسل الحجة على عباده: يقيم بورثة الأنبياء الذين يسيرون على خُطَى الرسل، ويتمسكون

(١) سبق تخريجه صـ ٦٥.
(٢) سبق تخريجه صـ ١٧٤.
(٣) سبق تخريجه صـ ٢٤٣.

غير مرجعة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعُرى دعوتهم، تظل هذه الفئة قائمة، طبيعة الأمة لا بدَّ أن يوجد فيها هذا، فليس غريبًا على الأمة الإسلامية أنْ تصحو بعد سُكْر، أو نوم، أو غيبة وعي.

غير مرخصة للطباعة

القوة الذاتية للإسلام:

والإسلام الذي تؤمن به هذه الأمة، من طبيعته أن يوقظ ويحرك، وخصوصًا في أوقات الشدائد، فالإسلام فيه قوة كامنة، قوة ذاتية، هذه القوة الذاتية تظهر ـ أعظم ما تظهر ـ عند المحن، عندما تدْلَهِم الخطوب، وعندما تتلبَّد السماء بالغيوم، وعندما يحيط بها الأعداء من كل جانب، هنا تظهر القوة الذاتية للإسلام! في أوقات كثيرة من تاريخنا ظهرت هذه القوة الإسلامية المذخورة.

حروب الردة:

في فجر الإسلام، في حرب الردة، حينما ظن الناس الظنون، بعد أن ارتدت العرب؛ إلا أهل المدينة ومكة والطائف، وتبعوا المتنبئين الكذَّابين، وقال قائلهم: كذَّاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر[١]! ومنعوا الزكاة، وقال من قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين[٢]. فأبَى هذا الرجل الخاشع الرقيق البكَّاء، وانقلب إلى أسد هصور، ووقف كالطود الأشم، وقال: والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه[٣].

(١) تاريخ الطبري (٣/٢٨٦).
(٢) سبق تخريجه صـ ٢٦٤.
(٣) سبق تخريجه صـ ١٤.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

وبالفعل جهَّز أبو بكر أحد عشر لواءً، وقاتل المرتدين والمتنبئين ومانعي الزكاة؛ حتى أعادهم إلى حظيرة الإسلام، وأصبح هؤلاء الذين ارتدوا بالأمس من أشد الناس حماسًا في حرب فارس والروم، تكفيرًا عما مضى من سيئاتهم، فكانوا من أشد الشجعان في حرب الإمبراطوريات العاتية: إمبراطورية الدولة البيزنطية الرومانية، وإمبراطورية الدولة الفارسية الكسروية، استطاع الإسلام أن يُظهر قوته المذخورة في ذلك الوقت.

عدوان التتار:

وعندما جاء التتار إلى بلاد العالم الإسلامي يهدمونها هدمًا؛ كالريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، وكما قال ابن الأثير: فلو قال قائل: إنَّ العالم مُذ خلق الله ﷻ آدم، إلى الآن، لم يبتلوا بمثلها، لكان صادقًا، فإنَّ التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها[1].

ودخلوا بغداد، وحطموا قصبة الدولة الإسلامية، العاصمة الكبرى، عاصمة العلم والمعرفة والحضارة، وأسقطوا الخلافة العباسية، وسالت الدماء أنهارًا من الميازيب، وكان المثل السائر في ذلك الوقت: إذا قيل لك: إنَّ التتار قد انهزموا. فلا تصدق. نفس الأسطورة التي نسمعها، أسطورة القوة التي لا تُقهر!

دخل التتار بغداد منتصرين سنة (٦٥٦هـ)، ولكن القوة الذاتية الكامنة في الإسلام وفي أمته: استطاعت أن تغير الموقع، وتغير اتجاه الريح، بعد سنتين فقط من سقوط بغداد، فقد قامت معركة من المعارك الحاسمة في التاريخ في الخامس والعشرين من رمضان سنة (٦٥٨هـ)، هي معركة

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٣٣٣/١٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عين جالوت، قادها قائد مملوكي صالح هو المظفَّر قطز مع جنود مصر وأبناء مصر، وشاء الله ﷻ أن ينتصر قطز وجنوده على هؤلاء الذين دوَّخوا العباد، وخرَّبوا البلاد.

انتصر قطز في معركة عين جالوت بعد أن دارت الدائرة في أول الأمر على الرجل وجنوده، فأمسك بخوذته ورمى بها في الأرض، وصاح صيحته التاريخية: وا إسلاماه! هذه الكلمة استطاعت أن تغير سير المعركة، استثارت المعاني الكامنة في الأنفس، فأقدم من كان مُحجِمًا، وأقبل من كان مُدبرًا، وتشجع الجبان، وثبت المتردد، وكان النصر في النهاية للمسلمين بعد سنتين من دخول التتار بغداد.

انتصر الإسلام على التتار انتصارًا عسكريًّا، ثم انتصر عليهم انتصارًا آخر: انتصارًا معنويًّا، فدخل التتار في دين الإسلام، ولأول مرة يسجل التاريخ دخول الغالب في دين المغلوب، التتار المنتصرون يدخلون الإسلام، في أول الأمر لم يكن إسلامهم حسنًا، ثم حسن إسلامهم فيما بعد.

احتلال الصليبيين:

وانتصر الإسلام بعد ذلك على الصليبيين، بعد مائتي سنة مكثوها في بلاد الشام وفي بلاد فلسطين: أقاموا فيها ممالك، وبعد أن دخلوا بيت المقدس وظلوا فيه تسعين عامًا، وبعد، وبعد، هيَّأ الله أمثال عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، الذين حرَّروا ديار المسلمين من الصليبيين.

وفي العصر الحديث جاء الغربيون مرة أخرى إلى بلاد الإسلام، وفي غفلة من الزمن وضعف من الأُمَّة وتفرق: استطاعوا أن يحتلوا ديار المسلمين إلا قليلًا، ما عدا الجزيرة واليمن، أمَّا بقية بلاد المسلمين فكانت

QaradawiBooks.com

تحت سطوة الاستعمار، واستطاع المسلمون أن يتحرروا مرة أخرى بفضل الإسلام، كان الإسلام هو القوة المحرِّكة وراء هذه المعارك: معارك التحرير، حتى إنَّ مصطفى كمال أتاتورك كان ينتصر على الحلفاء وغيرهم باسم الإسلام، ويتحرك باسم الإسلام، وكان المسلمون في أنحاء العالم يُهلِّلون ويُكبِّرون؛ على ظن أن هذه معارك إسلامية، تدور باسم الإسلام، وكانوا يسمونه «الغازي مصطفى كمال»، وكان شوقي يقول له في قصيدة المعروفة:

اللهُ أكبرُ كم في الفتحِ من عجبِ يا خالدَ التُّرك جدِّدْ العربِ[1]

هكذا كانوا يظنون، ثم انقلب الأمر وظهر المخبوء، فالإسلام كان وراء هذا كله.

أريد أنْ أقول أيها الإخوة: إنَّ الإسلام يملك قوة ذاتية مذخورة مخبوءة تظهر عند المحن والشدائد؛ فلا عجب أن تظهر هذه القوة هذه الأيام بعد أن كان التحدي والعدوان على الأرض الإسلامية، وعلى الفكرة الإسلامية، فالتحدي من شأنه أن يستثير القوى الإسلامية.

مذاهب وأفكار وحلول مستوردة:

ثم كان أن جرَّب المسلمون مذاهب وأفكارًا وحلولًا مستوردة، من الغرب ومن الشرق، فلم تستطع هذه الأفكار ولا هذه الحلول أن تسعدهم من شقاء، أو تطعمهم من جوع، أو تؤمنهم من خوف، أو توحدهم من فرقة، أو تحقق لهم انتصارًا عسكريًّا أو سياسيًّا، أو رخاء اقتصاديًّا، أو تحقق الأمل في شيء ذي بال، أخفقت وفشلت كل الفشل هذه المبادئ والحلول المستوردة، ولهذا كان لا بدَّ أن يتجه الناس إلى الإسلام.

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد ظهر هذا جليًّا بعد نكبة سنة (١٩٦٧م). يونيو أو حزيران المعروفة، التي سموها «النكسة»، ولا أدري لماذا سموها «النكسة»؟ لأنَّ النكسة تعني أنَّهم كانوا في حالة صحية ثم انتكسوا، وما صحت حالهم قط، هم منكوسون دائمًا، فهي النكبة، سميتها «النكبة الثانية»، كانت النكبة الأولى سنة (١٩٤٨م). وهذه هي النكبة الثانية، هذه كلها جعلت المسلم يشعر أنَّه لا بدَّ من تغيير، لا بدَّ من شيء جديد، ما الشيء الجديد الذي تتجه إليه هذه الأمة؟ حينما يخيب ظنها في كل ما حولها ومن حولها ليس هناك سوى الإسلام تلوذ به وترجع إليه، فهو الملاذ والمعاذ، والملجأ الأمين، والحصن الحصين لهذه الأمة.

من أجل هذا قامت الصحوة.

دعوى صناعة الصحوة:

بعض الناس يغالطون الواقع والتاريخ، كتب بعضهم يقول: هذه الصحوة صنعها الحاكم الفلاني؛ ليضرب بها التيار الشيوعي وكذا!

هل يستطيع حاكم أن يصنع صحوة إسلامية، الحكام أحيانًا يؤلفون أحزابًا، ثم يصبح هذا الحزب مجموعة أصفار، ناس لا قيمة لهم، يجمعهم مزمار وتفرقهم عصا،

يملؤون الأرضَ من كثرتهم ثم لا يُغنون في أمرٍ جَلَل[1]

فيمكن للحاكم أن يصنع حزبًا مسجلًا على الورق وكذا، أمَّا أن يصنع صحوة إسلامية فلا يستطيع هذا، وهل الصحوة الإسلامية مصرية فقط؛ حتى يصنعها حاكم في مصر؟!

(١) البيت لمحمد فريد أبو حديد، ترجمه عن هرقلية جورج البيسيدي، انظر تعريبه لكتاب فتح العرب لمصر لألفرد ج. بتلر هامش٣ صـ١٥٩، نشر مكتبة مدبولي القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

صحوة عالمية:

إنَّها صحوة في كل بلاد العالم، في بلاد العرب وبلاد المسلمين، وخارج بلاد العرب والمسلمين، الصحوة الإسلامية في كل العالم، رأيناها حتى في خارج العالم الإسلامي، حيثما ذهبت في أرض الله: في أمريكا وكندا وأوروبا، والشرق الأقصى، وأستراليا وجدت هذه الصحوة بارزة للعيان، فهي صحوة عالمية كونية، لا يمكن أن تُنسب إلى حاكم من الحكام، ولا إلى بلد من البلدان، وهذا من خصائص هذه الصحوة، أنَّها صحوة عالمية.

صحوة شاملة:

كما أنَّها صحوة شاملة والحمد لله، ليست صحوة عواطف ومشاعر فقط، الجانب العاطفي جزء أساسي منها؛ لأنَّها صحوة حب لله، وبغض في الله، مشاعر الولاء للإسلام، والعداء لأعداء الإسلام، هذا لا بد منه، مشاعر الحب والبغض هذه لا يمكن أن تُنكر، مشاعر الحماس الدافق هذه من خصائص الصحوة، والحماس لا يُعاب، قد يُعاب إذا زاد عن حده؛ فينقلب إلى ضده، ولكن أيضًا كل شيء في ديارنا يزيد عن حده، وما يحدث من ويلات ومصائب وانحرافات جدير أن يثير الشباب، ويُوقد شعلة الحماسة في صدره، وماذا يصنع والأمر كما قال الشاعر العربي قديمًا:

وكنتُ إذا قومٌ غزوني غزوتهم ... فهلْ أنا في ذا يا لهمدانَ ظالمُ؟
متى تحملُ القلبَ الذكيَّ وصارمًا ... وأنفًا حميًّا تجتنبك المظالمُ[1]

---

(١) من شعر عمرو بن براقة الهمداني، كما في الحماسة الصغرى (الوحشيات) لأبي تمام صـ٣٢، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، نشر دار المعارف، القاهرة، وانظر: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء للآمدي صـ٨١، تحقيق أ. د. ف. كرنكو، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

عندما نُغزى في عقر دارنا، وعندما يُحارب الإسلام في قلب ديار الإسلام لا يسع المسلم إلا أن يتحمس.

صحوة عقل وعلم وفكر:

الحماس والعاطفة جزء من الصحوة الإسلامية، ولكنها ليست مجرد حماس أو عاطفة، إنَّها صحوة عقل وعلم وفكر أيضًا، الصحوة تقوم على الدراسة، على العلم، ولهذا تجد الكتاب الإسلامي يضرب الرقم الأول في أسواق التوزيع، لا يُقام معرض إسلامي للكتاب إلا وجدت الكتاب الإسلامي في المقدمة، أصبحت دور النشر الآن التي لا دين لها تتقرب ببيع الكتاب الإسلامي، فهو تجارة رابحة، الكتاب الإسلامي منتشر، فهذا يدلُّ على أنَّ هذه الصحوة ليست مجرد عاطفة، هي صحوة أيضًا تريد أن تفهم وتعقل وتقرأ.

دور المرأة في الصحوة:

ومن ناحية أخرى الصحوة الإسلامية هي صحوة التزام وعمل بالإسلام، وجدنا هؤلاء الشباب المصلين الصائمين القانتين والقانتات، لأن من خصائص هذه الصحوة أيضًا أنَّها صحوة مسلمين ومسلمات، ومؤمنين ومؤمنات، صحوة للجنسين، للمرأة فيها مكان بارز، وهذا وضع يجب أن ننوه به.

كانت المرأة في وقت من الأوقات كأنها لا أهمية لها، وكأنَّ الدين أمر مقصور على الرجال، لا، الدين للرجل وللمرأة، أول صوت ارتفع بتأييد دعوة رسول الله ﷺ كان صوت امرأة: هي خديجة بنت خويلد[1].

(١) سبق تخريجه صـ٧٠.

QaradawiBooks.com

وأول دم أُريق في الإسلام، أول شهيد سجَّله تاريخ الإسلام كان امرأة: هي سمية زوج ياسر[١]، وأم عمار رضي الله عنهم جميعًا، مرَّ عليهم النبي ﷺ وهم يُعذَّبون فقال لهم: «**صبرًا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة**»[٢]. واستشهدت سمية ثم زوجها في سبيل الله، فهذه الصحوة صحوة عقول وأفكار، وصحوة عواطف ومشاعر، وصحوة التزام وسلوك.

صحوة دعوة وجهاد:

وهي كذلك صحوة دعوة وجهاد أيضًا، هذه الصحوة ليست قائمة على مجرد التدين الفردي، أن يتدين الإنسان في نفسه ويدع الدنيا وما فيها ويقول: نفسي نفسي، انجُ بنفسك، ودع الناس يغرقوا. والحريق من حوله يلتهم الأخضر واليابس، لا، الصحوة الجديدة تقوم على أن لكل مسلم واجبًا نحو أمته، ونحو الضالين في العالم، واجب الدعوة، واجب إنقاذ المسلمين، واجب التصدي للتيارات الوافدة من يمين ويسار ومن شرق وغرب، التي تريد أن تهدم هذه الأمة من أساسها، الصحوة الإسلامية شيء جديد تشمل هذا كله.

الصحوة الإسلامية حقيقة واقعة:

والصحوة الإسلامية حقيقة واقعة، مما يؤسف له أن بعض الناس يكابر، ويجحد الشمس في رابعة النهار، ولكن كما قال الشاعر:

وليس يصحُّ في الأذهانِ شيءٌ إذا احتاج النهارُ إلى دليلِ[٣]

(١) سبق تخريجه صـ٧٠.
(٢) سبق تخريجه صـ٧٠.
(٣) ديوان المتنبي صـ٣٤٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعض الناس يقول: أين هذه الصحـــوة؟ أي صحوة هي؟ هل مجرد إطالة اللِّحَى، وتقصير الثياب، ولبس الحجـــاب أو النقاب، تظنون هذه صحوة؟ وينسى كل شيء، ينسى أن هذه الصحوة انتشلت الألوف ومئات الألوف والملاييـــن ـ في طول العالم الإســـلامي وعرضـــه ـ من وَهْدة الجاهلية، وجنَّدتها في صف الإســـلام، وحشـــدت هؤلاء ألوفًا ألوفًا في ساحة الله في المساجد، فرأينا هؤلاء السبَّاقين إلى الخيرات، المستغفرين بالأسحار، صُوَّام الاثنين والخميس.

صحوة الشباب:

هذا الشباب الغض الطري، الذي لم يكن يُعرف قبل ذلك إلا في الملاهي والسينمات والكازينوهات: أصبح يُعرف في المساجد! في وقت من الأوقات كان رواد المساجد هم الذين أحيلوا على التقاعد أو المعاش: كبار الســـن الذيـــن أكل الدهر عليهم وشـــرب، الذين يريدون أن يختموا حياتهم بصلوات لله ﷻ، وقلما كنت تجد الشباب في المساجد.

كانت مواسم الحج من كبار الســـن، فقد كان الناس قديمًا يقولون: الحج تمام الأمـــر، وختام العمـــر. لكن الآن اذهب إلى مواســـم الحج والعمرة تجد أنَّها حافلة بالشباب، الشباب فيها هم العمود الفقري، لقد تغيَّر الحال، فكيف يُقال: الصحوة لم تصنع شيئًا؟!

ظهور المؤسسات الإسلامية:

هذا الإقبال على الله ﷻ، هذا التغير في القاعدة العريضة، من الاتجاه إلى العلمانيـــة والتغرب إلى المناداة بالإســـلام، إلى التنـــادي بتحكيم الشـــريعة الإســـلامية، أصبح هذا أمرًا مجهورًا به في كل مكان، لم يعد

QaradawiBooks.com

صوتًا خافتًا؛ بل عاد صوتًا مدويًّا يقلق الذين في قلوبهم مرض، ويخيف من يساندهم وراء البحار، هذا كله من صنع الصحوة.

الصحوة هي التي صنعت هذه المؤسسات الإسلامية: الجمعيات الإسلامية، والهيئات الخيرية العالمية، واللجان التي تعمل في أفريقيا وفي آسيا، الصحوة هي التي صنعت ثورة المساجد في فلسطين، والصحوة هي صنعت الجهاد الإسلامي في أفغانستان، والصحوة وراء إخواننا في الفلبين، والصحوة وراء الجهاد الإسلامي في كل مكان.

الصحوة وراء البنوك الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية الإسلامية، بعد أن كان الناس يقولون في وقت من الأوقات: لا تحلموا بأن يقوم بنك على غير ربا، فالحياة عصبها الاقتصاد، والاقتصاد عصبه البنوك، والبنوك عصبها الربا، فلا حياة بغير ذلك، فكفوا أنفسكم، وخلوا عنكم التفكير في إقامة مؤسسات بغير فوائد ربوية. ورغم ذلك قامت البنوك الإسلامية وقامت هذه المؤسسات بالعشرات في كل مكان، والحمد لله!

رموز التميز الثقافي:

هذا بعض ما صنعته الصحوة، لكن هؤلاء ينسون هذا كله، ولا يذكرون إلا اللِّحَى والثوب القصير والحجاب، وما الضير في هذا؟ هذه اللِّحَى وهذا الثوب القصير وهذا النقاب: هي رموز للتحدي الحضاري، وللتميز الثقافي، ولتماسك الشخصية الإسلامية أمام هذه الحضارة الغازية.

ثم لماذا يُعظم هؤلاء هذا الأمر؟ في أوروبا وأمريكا من أراد أن يطلق لحيته يطلقها، أو أراد أن يحلق نصفها ويترك نصفها يفعل ما يشاء، لماذا لا تعتبرون هذا من الحرية الشخصية؟! فالصحوة الإسلامية بحمد الله قامت وأثبتت وجودها، وهي حقيقة واقعة.

QaradawiBooks.com

تحديات تواجه الصحوة:

هذه الصحوة أيها الإخوة التي نعيش اليوم في ظلالها تواجه ـ ولا شك ـ تحديات، ومن واجبنا أن نحافظ عليها، وأن نسدد خطواتها، ينبغي أن نقدر نعمة الله علينا في وجودها ظاهرة من الظواهر، التي تدلُّ على عظمة الإسلام، وخلود هذه الأُمَّة، وأنَّها أُمَّة لن تموت.

هذه الصحوة تواجه تحديات: تحديات داخلية، وتحديات خارجية، هناك تحديات خارجية ولا شك، وأنا لست من الذين يضخمون التحديات الخارجية، ولا أحب أن أقول في تفسير التاريخ ما يُردِّده بعض الإسلاميين أن كل شيء وراءه شيطان من الخارج، وأننا أحجار على رقعة الشطرنج، وأنَّ الدنيا لعبة إسرائيل، إلى آخر ما يرددونه في هذا، فإنَّ المبالغة في هذه الأمور تفسد علينا كل شيء، وتكاد تجعلنا مُسيرين لا مخيرين، فهذا نوع من الجبرية السياسية!

هناك الجبرية القديمة التي كانت تقول: الإنسان مجبور لا مختار، وكريشة معلقة في الهواء، تحركها الرياح كيف تشاء. هذه مرفوضة إسلاميًّا.

وهناك أيضًا في عصرنا جبريات مختلفة، مثل الجبرية الاجتماعية التي يقول بها دوركايم، من أنَّ الإنسان مثل دمية يحرك خيوطها المجتمع، وهناك الجبرية السياسية هذه التي تقول: إن هناك أيادي خفية تلعب في كل شيء، صحيح أنَّ هناك أيادي خفية، ولكن ليس معنى هذا أنَّه ليست هناك مسؤولية علينا، وأنَّه ليست هناك أسباب داخلية عندنا، فلا نريد أن نبالغ، فالمبالغة تفسد الحقائق.

QaradawiBooks.com

القوى الخارجية:

هناك قوى خارجية، لا نشك في قوة ذلك الثالوث الخبيث، الذي يختلف بعضه مع بعض، ولكنَّه يتفق علينا، ثالوث اليهودية العالمية، والصليبية الغربية، والشيوعية الدولية، هذا لا نشك في وجوده، وأنَّهم مهما اختلفوا فيما بينهم؛ فإذا كنا نحن العدو اتفقت الكلمة علينا، وهذا ما قاله فقهاؤنا من قديم: الكفر كله ملة واحدة. وكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٣]. فنحن لا نشك في هذا، وهؤلاء يتربصون بنا، ويعملون ضدنا.

وهم يرصدون الصحوة الإسلامية بأجهزة حساسة، بمناظريهم ومجاهرهم وتليسكوباتهم، يعرفون الدخائل عنا، عقدوا ـ كما قال أحد الخبراء ـ أكثر من مائة ندوة عن الصحوة الإسلامية، بطريق مباشر أو غير مباشر، داخل البلاد العربية والإسلامية وخارجها، يريدون أن يعرفوا كل شيء عن الصحوة الإسلامية، وربما شاركنا نحن في بعض هذه الندوات ونحن لا ندري، نتحدث عن الصحوة، نحن لا نخاف، ولكن هم يريدون أن يرصدوا ويعرفوا كل شيء، هم لا يقفون مكتوفين ولا متفرجين.

منذ سنوات جاء هنا في الكويت أحد الرجال الراصدين للحركة الإسلامية، المؤلف المعروف ريتشارد ميتشل الذي كتب كتابه الشهير «الإخوان المسلمون»، جاء إلى الكويت ولم يعلن عن مجيئه، ولم يعرف عنه أحد، وقابله بعض الناس هنا صدفة، وفجأة فسأله: أنت هنا؟ قال: نعم. قال: فيم جئت، ومن أجل أي شيء؟ قال: أنا أريد أن أدرس الخلاف بين الجماعات الدينية. يريد أن يعرف لماذا تختلف هذه

QaradawiBooks.com

الجماعة عن تلك؟ وفي أي شيء يختلفون؟ هل يدرس هذا لوجه الله تبارك وتعالى؟ العلم للعلم، أم يدرس هذه الخلافات لتوظف كنقطة ارتكاز لتوسيع الهوة بين الجماعات بعضها وبعض، لتُستغل نقط الخلاف وتُضخم من حيث نشعر أو لا نشعر.

إن هؤلاء القوم لا يقفون متفرجين، إن كل شيء عندهم يخضع للعلم، فكل شيء يُدرَس ويُحلل، ويُوضع أمام خبراء، هكذا يصنعون!

وهم قريبون من الذين يملكون مقاليد الأمور في ديار المسلمين، يستطيعون أن يحركوهم، ويستطيعون أن يخوفوهم، ويستطيعون أن يقيموا العراقيل أمام الصحوة الإسلامية، يستطيعون أن يجعلوا هذه الصحوة «بُعبعًا» مخيفًا، كابوسًا غولًا مفترسًا! هكذا يصورون لهم هذه الصحوة، وكثيرًا ما يجدون آذانًا صاغية لهم. تعوَّد الكثيرون أن يجدوا من هؤلاء الناصح الأمين؛ فتقوم الفجوة بين الحكام وبين الصحوة الإسلامية، وتدور المعارك في غير حاجة إليها، مع حاجة الأمة أنْ تقف صفًّا واحدًا ضد أعدائها، وأن تقف صفًّا واحدًا لبناء نفسها.

هؤلاء القوم لا يسكتون، في أول الأمر يقولون لهم: احذروا الإسلام المتطرف، احذروا الأصوليين المتطرفين. في كل وقت من الأوقات يخترعون لهم اسمًا، أحيانًا يسمونهم «الرجعيين»، وأحيانًا «المتعصبين»، وأحيانًا «الإرهابيين»، وأحيانًا «المتطرفين»، إلى آخره.

وإذا وقف دعاة الإسلام وأدانوا التطرف وأنكروه، ودعوا إلى الوسطية الإسلامية، وقالوا: الإسلام منهج وسط لأمة وسط، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وأن الغلو ليس من الإسلام، وأن النبي ﷺ حذَّر

QaradawiBooks.com

من الغلو: «**إياكم والغلو في الدين؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**»[١]، «**هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون**»[٢].

إذا وقف دعاة الإسلام وقالوا ذلك بصدق ووضوح وقوة، وأنكروا التطرف إذا كان تطرفًا حقيقيًّا: نجد هؤلاء يبتدعون نغمة جديدة، ظهرت في بعض أجهزة الإعلام الغربي منذ مدة، أتدرون ماذا يقولون؟ إنهم يقولون: احذروا الإسلام المعتدل، احذروا المعتدلين من المسلمين، إنَّ هذا الإسلام يظهر معتدلًا ثم يتطرف، إنهم يتمسكنون حتى يتمكنوا، إنَّ العنف والتطرف طبيعة في داخل الإسلام؛ فإياكم أنْ تصدقوا أنَّهم معتدلون! بدؤوا يعزفون على هذه النغمة، احترنا ماذا نصنع؟ نتطرف لا يعجبهم التطرف، نعتدل لا يعجبهم الاعتدال، هؤلاء لا يرضيهم إلا أن نزول من خريطة الوجود!

القوى الخارجية أيها الإخوة تتربص بنا، وتعمل بطريقة علمية لرصد هذه الصحوة ومظاهرها المختلفة، وتدفع مَنْ تدفع مِن داخل أقطارنا وديارنا للتشويش على هذه الصحوة، وللطعن في ظهر هذه الصحوة، ولضرب هذه الصحوة، من أمام ومن خلف، هذا ما يصنعه هؤلاء.

القوى الداخلية:

لا أريد أن أطيل في عمل القوى الخارجية، كل ما أريد أن أقوله: إنَّ هذه القوى تعمل، هذا شيء أكيد، ولكنها تستعين علينا بنا، تستعين على المسلمين بالمسلمين! وكما قال أحد عتاة المبشرين: إنَّ الشجرة لا يقطعها إلا أحد أبنائها، لن ننجح إلا إذا وجدنا من أبناء المسلمين من

(١) سبق تخريجه صـ ٣٤٨.

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥)، عن ابن مسعود.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ينفذ ما نريده نحن. هكذا كان هدفهم، أن يربوا من أبناء المسلمين داخل مدارسهم ومؤسساتهم: مَنْ يُنفذ مخططاتهم، وهم بعيدون عن الساحة!

مصيبتنا تأتي دائمًا منا، لا يستطيع هؤلاء أن ينجحوا ما لم يجدوا أعوانًا من بيننا. فالتتار لم يدخلوا بغداد إلا بخيانة من قوم من داخل بغداد نفسها، ومن بلاط الخليفة نفسه، هذه هي السنن التي عرفناها.

ولهذا أنا أركز على التحديات الداخلية، التحديات من داخل الصحوة. القرآن يعلمنا دائمًا عندما تقع بنا مصيبة: أن نرجع إلى أنفسنا، ماذا فعلنا؟ لا نقول: ماذا فعل غيرنا؟ وإنَّما ماذا فعلنا؟ حتى لو أن غيرنا سُلِّط علينا؛ فلا بدَّ أنَّه سُلِّط علينا بسبب منا.

ولذلك بعد غزوة أحد التي سقط فيها سبعون من الشهداء، من أمثال حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وأنس بن النضر وغيرهم. قال القرآن: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. خلل أصابكم.

وكما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. حينما سال لعابهم للغنائم، وتركوا مواقعهم، وأخلوا ظهورهم لخيالة المشركين ـ وعلى رأسهم خالد بن الوليد ـ في ذلك الوقت، قال ابن مسعود: ما كنت أعلم أن فينا من يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية[1]. كان يظن أنَّ الناس جميعًا ملائكة، لا، هناك من يريد الدنيا، ومن يريد الآخرة!

(١) رواه أحمد (٤٤١٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وابن أبي شيبة في المغازي (٣٧٩٣٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٠٧٢): فيه عطاء بن السائب؛ وقد اختلط.

QaradawiBooks.com

أريد أن أقول: نحن نريد أن نركز على طريقة القرآن في محاسبة النفس، في الآفات الداخلية، وفي التحديات الداخلية: التحديات التي تواجه الصحوة من داخلها.

اختلال النسب في موازين الأعمال:

الصحوة تواجهها تحديات من الداخل، من هذه التحديات: اختلال النسب بين أمور الإسلام بعضها وبعض، هناك في نظر الإسلام لكل عمل من الأعمال سعر معين، كل عمل في الإسلام سواء كان في جانب الأمر أو في جانب النهي له قيمة، الأحكام الشرعية ليست في درجة واحدة، سواء في جانب الإيجاب أو في جانب السلب؛ نجد أنَّ الأوامر درجات.

هناك ما يطلبه الشرع من الإنسان، هناك العقيدة: التوحيد، يأتي في القمة، ثم الأركان: الفرائض الركنية الخمس، ثم الواجبات الدينية الأخرى، ثم هناك السنن المؤكدة، والمستحبات، والآداب، سلسلة بعضها فوق بعض.

في الجانب الآخر نجد الشرك: هناك الشرك الأكبر، والشرك الأصغر، والكفر الأكبر، والكفر الأصغر، حتى الكبائر بعضها أكبر من بعض، ولذلك في بعض الأحاديث: إنَّ من أكبر الكبائر كذا. وهناك المحرمات من الصغائر، حتى المكروهات منها ما هو مكروه تحريمًا، ومنها ما هو مكروه تنزيهًا، ثم هناك الشُّبهات، وهناك ما يسميه العلماء «خلاف الأوْلى»، كلها درجات بعضها فوق بعض.

الخطأ والخلل هنا يأتي بأن نخل بهذه النِّسب، وأن نعتبر هذه الأشياء كلها في مستوى واحد! بعض أبناء الصحوة الإسلامية يقيم معارك

QaradawiBooks.com

لا تنطفئ جذوتها من أجل أمور هامشية في الإسلام، «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان**»[١]، ترى في أي شعبة يكون هذا الأمر من الشعب البضع والسبعين؟ وكم يكون ترتيبه؟ هنا الخطأ أن نقدِّم ما حقه التأخير، أو نُؤخِّر ما حقه التقديم.

حينما جاء بعض الأعراب إلى النبي ﷺ، وسأله عن الإسلام، قال: ماذا عليَّ يا رسول الله؟ قال: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**». فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». قال: «**وصيام رمضان**». قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». قال: فأدبر الرجل وهو يقول بإخلاص وبراءة: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. فقال النبي ﷺ: «**أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إنْ صدق**»[٢]. هذا حديث طلحة بن عبيد الله، وفي حديث أبي هريرة: «**منْ سرَّه أنْ ينظر إلى رجل من أهل الجنَّة فلينظر إلى هذا**»[٣]. اكتفى منه بأداء الفرائض.

الارتقاء الإيماني وسُنَّة التدرج:

طبعًا الإنسان حينما يدخل الإسلام يرتقي، بعد أن يؤدي الفرائض بحكم ارتقائه الروحي الإيماني سيحاول أن يصلي السنن المؤكدة، فإذا ارتقى حاول أن يزيد على السنن فيصلي الضحى أو يقوم من الليل، وكذلك لا يكتفي بصيام رمضان، قد يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وقد

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩) مختصرًا، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٨٩١)، ومسلم في الإيمان (١١)، عن طلحة بن عبيد الله.
(٣) سبق تخريجه صـ١٣٦.

QaradawiBooks.com

يصوم الاثنين والخميس، وقد يصوم صيام داود؛ فيصوم يومًا، ويفطر يومًا، يرتقي شيئًا فشيئًا.

كذلك في الجانب الآخر يمكن أن يترك الكبائر، ويقع في الصغائر، فإذا ارتقى تعفف عن الصغائر، فإذا ارتقى تعفف عن الشُّبهات؛ استبراءً لدينه وعرضه، فإذا ارتقى ترك المكروهات؛ بل ترك بعض الحلال خشية أن يقع فيما هو أكثر منه، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي: «**لا يبلغ عبد درجة المتقين؛ حتى يدَعَ ما لا بأس به، حذرًا مما به بأس**»[(١)].

المؤمنون ليسوا في درجة واحدة:

ولكن لا يُعامل الناس كلهم في هذه الدرجة، حينما نتحدث مع عموم الناس لا بد أن نيسر لهم، أنا أعتبر كل من يجتنب الكبائر ويؤدي الفرائض في الصف الإسلامي، أعتبره مسلمًا، لا أحاربه، حتى وإنْ وقع في الصغائر، فما بالك في المختلف فيه؟ ما بالك بالمشتَبِه؟ ما بالك بالمسائل التي يختلف فيها العلماء قديمًا وحديثًا؟ لا ينبغي أن تقام المعارك من أجل هذه الأمور، ونعطل مسيرة الصحوة من أجلها، بل نستطيع أن نضم الألوف من الناس إذا يسرنا الأمر معهم.

لا بدَّ أن ننظر إلى مستويات الناس، أمَّا أن نقيم المعارك من أجل أمور هامشية؛ فهذا أعتبره نوعًا من الخطأ في الترتيب. للإمام الغزالي عبارة يقول فيها: فقدُ الترتيب بين الخيراتِ من جُملة الشُّرور[(٢)]. المهم

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢١٥)، والحاكم في الرقائق (٣١٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال ابن رجب في فتح الباري (١٦/١): في إسناده بعض المقال. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٥)، عن عطية السعدي.

(٢) مجموعة رسائل الإمام الغزالي صـ٤٤٤، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ. وانظر كتابنا: الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه صـ٩٣ ـ ٩٦، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

أن تعرف الخير وترتبه، تضعه في الخانة المناسبة، فهناك فرق بين النافلة والفريضة، والفريضة الكفائية والفريضة العينية، والفريضة العينية التي يتعلق بها حق الفرد، والفريضة العينية التي يتعلق بها حق الأمة، وكل شيء من هذا له حكمه.

لا تُقبل النافلة حتى تُؤدَّى الفريضة:

علماؤنا قديمًا قالوا: إنَّ الله لا يقبل النافلة حتى تؤدَّى الفريضة[١]. وقالوا: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور[٢]. لا يجوز لإنسان أنْ يحج الحجة السابعة أو العاشرة، أو يعتمر كل عام في رمضان؛ وعليه ديون للعباد، أدِّ ما عليك للناس، أدِّ الأمانات والحقوق إلى أهلها، هناك أناس ينفقون في حج النافلة، وفي عمرة النافلة ألوفًا مؤلفة، وهناك مسلمون في بلاد المسلمين يموتون جوعًا بالحقيقة لا بالمجاز، أي: لا تجد اللقمة حتى تسقط صريعة، هناك مسلمون مجاهدون يحتاجون إلى قطعة سلاح، إلى ذخيرة، هناك مشرَّدون لا يجدون مأوى يأوون إليه، كيف أستحل أن أنفق المال في مثل تلك النوافل؛ وهذه الفرائض موجودة بحاجة إلى من يقيمها؟ لو أننا رتبنا بين الخيرات؛ لوجدنا أن هذا أوْلى.

خلل في فهم سلم الأولويات:

قلت لبعض الإخوة ـ مجموعة تحج كل عام: حوالي خمسين شخصًا ـ وكنت قادمًا من إندونيسيا، ورأيت التنصير يعمل عمله في هذه

(١) سبق تخريجه صـ٨٣.

(٢) ذكره الحافظ في فتح الباري (٣٤٣/١١).

QaradawiBooks.com

الديار، وله مطارات ومؤسسات، ومستشفيات ومدارس، والمسلمون هناك يحتاجون إلى مساعدات، وإلى تمويل لبناء المؤسسات وبناء الرجال أيضًا! هم يشكون من أن أكثر الأغنياء من المسلمين يبنون المؤسسات؛ يقول أحدهم: خُذ هذا المبلغ، وابنِ لي مسجدًا. أمَّا بناء الرجال، وأمَّا تسيير العمل فلا يدفع له أحد، فقلت لهؤلاء الإخوة الخمسين: أقترح عليكم أن يدفع كل واحد مثلًا عشرة آلاف ريال، أي حوالي نصف مليون ريال، لو أننا أخذنا هذا المبلغ وبعثناه إلى الإخوة في إندونيسيا؛ أليس هذا خيرًا من حج النافلة؟ فسكتوا، وقالوا: يا أخي نحن حينما يأتي الموسم، هناك أشواق روحية تشدنا، متعة روحية نحس بها. لكن هل المتعة الروحية تعدل إنقاذ مسلم تهدده النصرانية، أو الشيوعية، أو العلمانية، أو المجاعة؟!

فقه مراتب الأعمال:

هناك خلل في فهم سلم الأولويات في الإسلام، ومعرفة مراتب الأعمال بعضها من بعض، هذا من أهم ما تحتاج إليه الصحوة، وأنا كثيرًا ما كتبت ونبهت على فقه مراتب الأعمال، نحن في حاجة إلى هذا الفقه.

وكلمة «الفقه» ـ كما ذكر الإمام الغزالي في «الإحياء» ـ من الكلمات التي بدَّلها المسلمون عن أصلها، لأن كلمة (فقه) في القرآن تعني عمق الفهم: لأحكام الله في شرعه، ولسننه في كونه، ولآياته في خلقه، كما قال القرآن: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]. هذا في القرآن المكي، الفقه هنا ليس حفظ بعض الأحكام في الوضوء والرضاعة وغيرها، لا، بل ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ أسرار الله في الكون، وآيات الله ﷻ

QaradawiBooks.com

التنزيلية والتكوينية، الفقه في القرآن، والفقه في السُّنَّة، «**من يرد الله به خيرًا يفقِّهه في الدين**»[١]، هذا المعنى بُدِّل إلى حفظ بعض الأحكام.

غير مرخصة للطباعة

فقه سنن الكون:

نحن في حاجة إلى فقه في أسرار الشرع، وفي أسرار الكون، وفي سنن الكون، حينما ذكر الله تعالى المسلمين والمشركين في سورة الأنفال قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥]. ما هو الفقه الذي نفاه عن الذين كفروا؟ لا يعرفون سنن الله، لا يعرفون آيات الله، ليس عندهم البصيرة التي تدرك هذا التيار الجديد الذي سيقتلع الشرك من جذوره، وكذلك نفاه عن المنافقين، ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الحشر: ١٣]، الصحوة الإسلامية أيها الإخوة في حاجة إلى هذا الفقه، فقه آيات الله وأحكام الله في شرعه، وسنن الله في خلقه.

استعجال الثمار قبل أوانها:

ومما أصيبت به الصحوة أن بعض الناس يستعجلون الثمار قبل أوانها، يريدون أن يقطفوا الشيء قبل إبانه، ولكل شيء أوان، ولكل شيء أجل مسمى! نحن نعرف أنَّ التدرُّج سنة من سنن الله تبارك وتعالى، يبدأ الإنسان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة إلى آخره. حتى إذا نزل من بطن أمه كان وليدًا؛ فرضيعًا، ففطيمًا، فصبيًّا، فيافعًا، فشابًّا، فكهلًا، فشيخًا.

---

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ونرى الشجرة تكون بذرة، ثم نبتة، ثم لا بدَّ بعد ذلك أن تورق، ثم تُزهر، ثم تُثمر وهكذا، هذا التدرج سنة من سنن الله، فلا بدَّ أن نعرف أن كل شـــيء له أوان، ولا يمكن أن يزرع الإنســـان اليوم ويحصد غدًا، أو يزرع في الصباح ويحصد في المساء، هذا منافٍ للسنن.

ولذلك لا بدَّ من الصبر، ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ [الأحقـاف: ٣٥]، هذه واحدة من التحديات التي تواجه الصحوة، اختلال النسب، واختلال التوازن في فهم الإسلام، وفهم الحياة، وفهم سنن الله.

التمزق والتشرذم والتفرق:

ومن التحديات التي تواجه الصحوة التمزق والتشـــرذم والتفرق، أن فصائل الصحوة الإســـلامية يعادي بعضها بعضًـــا، أو على الأقل يجافي بعضها بعضًا، المفروض أن يقف الجميع صفًّا واحدًا.

صحيح أننا نعيش للأسف في أمة مُزِّقت شر ممزق، وهذا من عقوبات الله القدريـــة، ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ [الأنعـام: ٦٥]، هذا شـــر ما تُصاب به الأُمَّة، على المستوى العربي وعلى المستوى الإسلامي نعاني هذا، ولكن المفروض ألَّا تكون الصحوة الإســـلامية نسخة من هذه الأُمَّة، هي جاءت تجدد هذه الأُمَّة وتصلحها وتحييها؛ فكيف تكون نسخة منها؟ فلا بدَّ أن يكون هناك تعاون بين فصائلها، وتسامح ونظرة من أفق واسع.

نحن رأينا فـــي العالم كله تقاربًا على كل مســـتوى: على المســـتوى الديني رأينا تقاربًا بين اليهودية والنصرانية، لا زلنا نذكر الوثيقة المشهورة التي أصدرها الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المســـيح فيما زعموا، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾ [النســـاء: ١٥٧]، ورأينا التقارب بين المذاهب

QaradawiBooks.com

النصرانية بعضها وبعض، نحن نعبر عن هذه المذاهب بهذا التعبير، ولكنها في الواقع تكاد تكون أديانًا مختلفة، لكنهم تقاربوا بعضهم مع بعض!

وعلى المستوى السياسي تعرفون ما سُمي «سياسة الوفاق» بين العمالقة، بين الروس والأمريكان، وبين الاثنين والصين، تقارب على كل مستوى، فلماذا يتباعد المسلمون؟!

وإذا جاز للأُمَّة على صعيدها العام أن تتباعد فكيف يجوز للصحوة ولأبناء الصحوة أن يتباعدوا؟ لا بدَّ أن ينظر بعضهم لبعض من أفق واسع، لا بدَّ أن يضيقوا مسافة الخلاف، لا يصح أن يضيق صدر أحد الأطراف بالخلاف، فمن شأن الناس أن يختلفوا، وخصوصًا في الأمور الفرعية، كلنا مسلمون، ألسنا نتفق على الأركان الخمسة العملية؟ وعلى الأركان الستة العقدية؟ ألسنا نتفق على ما يصير به المسلم مسلمًا؟ ألسنا نشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله؟ إذًا فلماذا لا نقف صفًّا واحدًا، ولا يسيء الظنَّ بعضُنا بالآخر؟ لماذا نوسع الفجوة بين بعضنا وبعض؟ هذا في الحقيقة خطر على الصحوة.

نحن في معركة مستمرة:

في المعارك تلتئم القوى المُبعثرة، وتتحد وتتجمع، وهذا ما أشار إليه القرآن بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ونحن في معركة مستمرة، معركة في الداخل، ومعركة في الخارج، معاركنا لم تتوقف، معركتنا مع إسرائيل مستمرة، لا زال المسجد الأقصى أسيرًا، لا زالت إسرائيل تتبجح، ولا زال المسلمون يتنازلون تنازلًا بعد تنازل؛ وهؤلاء الصهاينة في موقف الرافض دائمًا! والروس

QaradawiBooks.com

لا زالوا في أفغانستان، صحيح أنَّ الجهاد الإسلامي أجبرهم ـ والحمد لله ـ أن يجلسوا على مائدة واحدة مع المجاهدين، ولكن الأمر لم يزل بعد، وهناك الجهاد الفلبيني، معارك المسلمين في كل مكان مستمرة، نحن في معركة دائمة؛ فلماذا لا نقف صفًّا واحدًا؟!

أنا دعوت حقيقة ـ في بعض ما كتبت ـ كلَّ الجماعات الإسلامية أن تتساند فيما بينها، وأن تلتقي على ما لا بدَّ منه، وأن يعذر بعضها بعضًا فيما تختلف فيه، ما تتفق عليه كثير وكثير جدًّا، فينبغي أن يكون هذا موضع اللقاء، يجب أن يتسامح الجميع، الفقه الحقيقي أيضًا إذا كنا نفقه الإسلام حقًّا أن نقف في هذه المعركة صفًّا واحدًا، أشد ما يصيب الصحوة الإسلامية هو هذا الخلاف بين فصائلها!

وقد سمعتم ما قلته لكم أن مِنَ القوم مَنْ جاء هنا ليدرس الخلافات بين الجماعات الدينية ليستغلها طبعًا في المباعدة والتفريق والتمزيق؛ فكيف نستجيب لوساوس هؤلاء الشياطين، نحن إذن المسؤولون، إذا كان هؤلاء يفعلون هذا فلا ينبغي أن نستجيب لوساوسهم، سيقولون ما قال إبليس: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢]. هذا ما يقوله الشيطان، وهؤلاء شياطيننا؛ فلا ينبغي أن نستجيب لهم.

ضرورة أن يوالي بعضنا بعضا:

إذا كان أعداؤنا يجتمعون على باطلهم فكيف لا نجتمع نحن على حقنا؟ الله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]. إلام يعود الضمير في ﴿تَفْعَلُوهُ﴾؟ يعود إلى الموالاة، ما داموا هم يوالي بعضهم بعضًا؛ فلماذا

QaradawiBooks.com

لا يوالي بعضكم بعضًا؟ لماذا لا تكونون مثلهم؟ إذا لم تفعلوا ذلك ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، لأن نتيجة هذا ستكون تكتلًا في جانب الباطل، وتفرقًا في جانب الحق، إيجابية في جانب الكفر، وسلبية في جانب الإسلام، عملًا هناك، وفراغًا هنا! هذا هو الخطر، هذه أيضًا إحدى مظاهر التحدي.

فجوة مع بعض شرائح المجتمع:

هناك شيء آخر أيها الإخوة، صحيح أنَّ الصحوة استطاعت أن تؤثر في شرائح كبيرة من المجتمع، ولكن لا تزال هناك شرائح أخرى تحتاج إلى عمل، وعمل متواصل. لقد استطاعت الصحوة أن تُؤثر في جمهور كبير من الشباب، ولكن لا زالت هناك فجوة: فجوة بين الصحوة وبين الحكام، وفجوة بينها وبين كثير من السياسيين، وكثير من العسكريين، وكثير من الاقتصاديين، وكثير من التربويين، وكثير من الاجتماعيين، وكثير من الإعلاميين، هؤلاء بعيدون عن مناخ الصحوة تمامًا؛ لأنَّهم عُلِّموا شيئًا آخر، غزاهم الفكر الغربي، وأخذ من أخذ منهم!

علينا أن نسترد هؤلاء إلى الساحة الإسلامية، لا بدَّ من بذل مجهود لتتسع الصحوة، مجهود أفقي عرضي؛ حتى نوسع قاعدة الصحوة ما استطعنا.

أهمية العنصر النسائي:

هناك شرائح كثيرة من العنصر النسائي في المجتمع بحاجة إلى أن تضمهم الصحوة، صحيح أنَّ كثيرًا من النساء عدن إلى الالتزام بالإسلام، والتزمن الحجاب طوعًا واختيارًا والحمد لله، ولكن هناك أضعافهن

QaradawiBooks.com

لا زلن «**كاسيات عاريات، مميلات مائلات**»[1]، كما وصفهن رسول الله ﷺ، لا زال كثير من الشباب صرعى اللهو والفجور والمخدرات والمسكرات في العالم الإسلامي، لا زلنا في حاجة إلى أن نغزو هذه المواقع.

لقد آسفني أن ينتصر ـ في ثاني أكثر البلاد الإسلامية ـ حزب علماني تقوده امرأة، صحيح أنَّ هناك لعبًا، وأنَّ هناك أموالًا دُفعت، وهناك تدخلات، ولكن أيضًا لا بدَّ أن نعترف أننا على الساحة الشعبية، لا زال أمامنا مجهود كبير؛ حتى نوصل صوت الإسلام الصحيح إلى أبناء الإسلام في كل مكان.

تعاون أعداء الإسلام فيما بينهم:

إنَّ أعداء الإسلام والقوى المعادية له لم تُسلِّم ولم تستسلم، لا زالت ترفع الراية، وتريد أن تعيد الأمور جذعة من جديد! كلما ظننا أنَّ الأمر قد استتب لنا أعادت وأشعلت النار، بعض القضايا كنا قد فرغنا منها مثل قضية الربا والفوائد، فإذا بنا الآن نجد صيحة تخرج تتكلم عن أنَّ الفوائد ليست من الربا، وأنَّ البنوك ليست مما كان من أمر الجاهلية، شيء كان قد مات وتجاوزه الزمن، ولكن القوى المعادية لا تريد أن تستسلم إطلاقًا!

وهنا أذكر أيضًا كيف يتعاون العلمانيون واللادينيون، حين كتب أحد القانونيين في المملكة السعودية مقالة؛ فطيَّرها العلمانيون في كل مكان، وفي أسبوع بعد أسبوع تظهر صحيفة في مصر، وصحيفة في الخليج،

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وصحيفة في السودان، وصحيفة هنا، وتقول: أخطر القضايا العصرية يفجرها أحد علماء السعودية وأحد أساتذة الجامعات! وليس عالمًا، ولا أستاذًا في الجامعة، ولكنها عملية تشويش وإثارة.

العلمانيون ـ يمينين كانوا أم يساريين ـ يتساندون بعضهم مع بعض، على خلاف الإسلاميين للأسف، كلما نبت من هؤلاء نابت حاولوا أن يضخموه ويزينوه، ويرفعوا من شأنه، ويجعلوه صنمًا كبيرًا، وهو كما قال الشاعر:

كمِثْلِ الطبلِ يُسمع من بعيدٍ وباطنُهُ من الخيراتِ خالِ[1]

طبول فارغة، ولكن هؤلاء يزين بعضهم بعضًا، كما قال الشاعر قديمًا:

ذهبَ الرجالُ المُقتدَى بفعالهم المنكرونَ لكلِّ أمرٍ منكرِ
وبقيتُ في خلفٍ يزينُ بعضُهم بعضًا ليدفعَ مِعْورٌ عن مِعْورِ[2]

هذا ما يفعله القوم، يزين بعضهم بعضًا ليدفع مِعْورٌ عن مِعْور، ولذلك علينا نحن أن نتعلم ممن يعادوننا؛ لنقف صفًّا واحدًا أمام هذه التحديات.

ترشيد المسيرة وتسديد الخطوات:

التحديات الداخلية أيها الإخوة كثيرة، أكتفي بهذه الثلاثة منها، والذي أقوله وأؤكده: أنَّ الصحوة قادرة على أن تواجه هذه التحديات

---

(١) البيت غير منسوب في حسن التنبه لما ورد في التشبه لنجم الدين الغزي (٥٢٢/١٠)، نشر دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

(٢) ديوان أبي الأسود الدؤلي صـ٣٩٧، تحقيق محمد حسن آل ياسين، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

وتتجاوزها؛ إذا وجدت من المُرَشِّدين مَنْ يُرشِّد مسيرتها، ويسدد خطواتها على هدى من الله، وبصيرة من الدين، نحن عندنا الكتاب المحفوظ، عندنا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعندنا سنة رسول الله ﷺ، البيان الذي فصَّل لنا كل شيء، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، أتم الله علينا النعمة، وأكمل لنا الدين؛ فلا نحتاج إلى شيء. كل ما نحتاج إليه أن نُبْصر ونَتَبصَّر، ونعرف الطريق، ونسأل الله ﷻ أن يهدينا إلى التي هي أقوم، وأن يجعل لنا نورًا نمشي به في الظلمات، وفرقانًا نُميِّز به بين المتشابهات، وأن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وغدنا خيرًا من يومنا.

أقول قولي هذا أيها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

إجابات أسئلة المحاضرة

السؤال الأول: هل نستطيع القول: إنَّ الصحوة في ارتقاء؟ وهل للصحوة مستقبل من الناحية السياسية؟

الجواب: أنا أقول: إن شاء الله الصحوة في ارتقاء، وهي تتسع قاعدتها يومًا بعد يوم، وهذا الارتقاء هو الذي يثير الأعداء علينا، ولو كانت الصحوة تضعف أو تمرض كان الأعداء يتركونها لتموت هي من تلقاء نفسها، ولكنهم حين يجدونها تقوى يومًا بعد يوم؛ فهذا ما يثيرهم ويجعلهم يرقبونها بأجهزتهم الحساسة، فنحن والحمد لله نرى الشباب في كل مكان، ونرى مظاهر الصحوة في كل مكان، نرى الجماعات والجمعيات والمؤسسات الإسلامية، إلى آخره.

نحن نقول: إنَّ الصحوة في ارتقاء، ولكن أيضًا نخاف على الصحوة، بقدر ما نأمل في الصحوة نخاف عليها، فنحن بين آمال فيها ومخاوف عليها، ويجب أن تغلب آمالنا مخاوفنا.

أمَّا مسألة المستقبل السياسي للصحوة، فأنا لا أريد أنْ أتحدث عن المستقبل فقد جاء الشيخ عبد المجيد ليتحدث عن المستقبل إن شاء الله، لكن كما قلت في أول الأمر: نحن لا نقتحم الغيب، ولا نتهجم على المستقبل، فالأمور بيد الله ﷻ، ولكن لو سارت الأمور سيرًا طبيعيًّا، وامتدت هذه الصحوة وتعمقت: يمكن أن يكون لها مستقبل كبير جدًّا.

وقد ثبت أن هذه الصحوة مؤثرة بشكل كبير في الشارع المسلم، ظهر هذا في مصر في الانتخابات الماضية بأدنى الجهد، وبدون نفقات كما ينفق الآخرون، ورغم العوائق والعراقيل، والحجارة التي وضعت في

QaradawiBooks.com

الطريق، وتمزيق الإعلانات، ومنع الاجتماعات قبل أن توجد، وهدم السرادقات بعد أن تُقام، ومع هذا كان الشارع المصري المسلم يتجاوب مع شعار «الإسلام هو الحل»!

فكيف لو أننا أحسنا استخدام هذا الأمر أفضل فأفضل؟ لأننا أيضًا لا زلنا في الحقيقة في حاجة إلى وعي سياسي كبير، وإلى خبرة سياسية أكبر، نحن لا زلنا دراويش، أنا أقول عن نفسي هذا، ربما الأخ عبد المجيد يتدخل في السياسة منذ زمن، فنحن في حاجة إلى أن نفهم الأوضاع، ونعرف نقاط الضعف عندنا، ونقاط القوة عند خصومنا؛ فنستفيد من نقاط القوة وننفذ من نقاط الضعف عندهم.

الأمر ليس هينًا، الجماعة الذين يدخلون الانتخابات لا بدَّ أن يحضِّروا لها قبلها بمدة، تقول للناس الذين يحبونك: سجلوا أسماءكم. هم يسجلون أسماء الموتى، فكيف لا نسجل أسماء الأحياء؟! وهنا تبدأ في رعاية العوامل المؤثرة، فهناك قرية يمكن أن تعطيك أصواتها؛ إذا أثرت مثلًا في العمدة أو شيخ البلد، أو الشخصية المؤثرة في البلد؛ فتحتاج أن تدرس كيف تستطيع أن تستغل ما يسمونه الجماعات الضاغطة، لا بدَّ أن تعرف ما هي جماعات الضغط؟ وما هي العناصر المؤثرة؟ أشياء تطول يجب رعايتها؛ إذا أردنا أن يكون لنا مستقبل سياسي، ولا بدَّ طبعًا أن يكون لنا هذا المستقبل؛ لأننا نعتقد أنَّ الإسلام دين ودولة، وأننا لا يمكن أن نعيش بعيدًا عن السياسة، ولأنه إذا كانت السياسة ضدنا فستعرقل وتعوق كل شيء.

أعتقد أننا إذا أحسنا الاستفادة من الصحوة، واستفدنا من العاطفة الإسلامية لأثر هذا على مستقبلنا، أنا أقول: إن شعوبنا لا زالت مع

QaradawiBooks.com

الإسلام، حقيقة شعور هذه الشعوب ووجدانها مع الإسلام، لو جئت إلى أي مسلم عادي وقلت له: هل أنت مع القرآن والسُّنَّة، مع الشريعة الإسلامية أم مع قوانين نابليون؟! سيقول: أنا مع محمد ﷺ. لكن عليك أن تصوغ له الأمر بهذه الطريقة أن محمدًا ﷺ في مواجهة نابليون أو كارل ماركس، أو رأس المال في مواجهة القرآن. نحتاج أن نعرف كيف ندخل معترك السياسة، شعوبنا لا زالت مع الإسلام، ولو استطعنا أن نصل إلى هذه الشعوب ونخاطب حقيقتها: نستطيع أن نصل إلى كثير مما نريد إن شاء الله.

السؤال الثاني: كيف نصل إلى التربية الإسلامية ما دامت هي من أساسيات الحل الإسلامي كما تفضلتم في بعض كتبكم، خاصة في هذه الأيام وما فيها من كثير من المعوقات؟

الجواب: التربية الإسلامية فريضة وضرورة كما أقول؛ لأننا لا يمكن أن نصل إلى تحقيق الغاية من إقامة مجتمع إسلامي إلا بتربية مسلمين صادقين، نحن لسنا مجرد حزب له شعارات ولافتات، ويريد أن يَثِب على الحكم، لا، نحن لنا أهداف، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، كيف تأتي بهؤلاء الذين يستحقون نصر الله؟ هذا لا يكون إلا بتربية.

ذكرت في كتابي «الحل الإسلامي فريضة وضرورة» أننا في حاجة إلى عدة أشياء، منها: قاعدة جماهيرية عريضة، لا بدَّ أن تذهب التوعية إلى القاعدة الشعبية الإسلامية حتى يكون معك رأي عام يؤيدك، ليس عضوًا معك ولا جنديًّا معك، لكن على الأقل يقول: يا رب انصره. هذا

QaradawiBooks.com

معنى الرأي العام، ولكن الرأي العام وحده لا يكفي؛ إذا أردت أن تحيا حياة إسلامية.

نحن نقول للناس: ليس كل ما نريده تغيير القوانين. هناك بعض الناس يظنون أننا نريد فقط أن تتغير القوانين بقوانين أخرى، وكثيرًا ما يلخصون هذا أننا نريد قوانين الحدود فقط، لا، نحن نريد حياة إسلامية متكاملة: توجهها عقيدة الإسلام، وتسودها مفاهيم الإسلام، وتضبطها آداب الإسلام، وتحكمها شريعة الإسلام، وتسيطر عليها أخلاق الإسلام وقيم الإسلام، هذه الحياة الإسلامية لا توجد إلا بأناس تتمثل فيهم القدوة، ولذلك لا بدَّ من جيل مسلم، ولهذا كان الإمام حسن البنا يقول: مهمتنا تكوين جيل جديد يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا، ويؤمن به إيمانًا عميقًا، ويعمل به ويوجه النهضة إليه، ويصبغ الحياة به، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

لا بدَّ من هذا الجيل، وهذا الجيل لا يكون إلا بالتربية، ولا بدَّ أن تكون التربية تربية متكاملة: عقليًّا بالثقافة، وبدنيًّا بالرياضة، وروحيًّا بالعبادة، وخُلقيًّا بالفضيلة، وعسكريًّا بالخشونة، واجتماعيًّا بالمشاركة، وسياسيًّا بالوعي، نريد هذه التربية المتكاملة، وخصوصًا التربية الإيمانية الربانية، نريد الإنسان الذي يراقب الله في كل شيء؛ لأن هذا الإنسان هو محور الإصلاح، وهو أساس النجاح، هو الذي تضعه في اللهب ولا يحترق؛ كما يقول الرافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ترميه في البحر فلا يغرق، هو الذي لا يبالي بالمخاطر والأهوال، كما قال الصحابي الجليل:

ولست أبالي حين أُقتل مسلمًا ... على أي جنب كان في الله مصرعِي[1]

(١) سبق تخريجه صـ٢٩٨.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ من هذا الإنسان، لأن هذا الإنسان هو الذي إن أعطيته المال لا يسرق، وإذا واتته الشهوات يركلها، ويقول كما قال يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]. هذا هو الإنسان الذي نريد، لا أن نأتي بلصوص إذا تمكنوا من الدولة سرقوها كما فعل الآخرون، «حاميها حراميها»!

وراعي الشَّاةِ يحمي الذئبَ عنها فكيفَ إذا الرعاةُ لها ذئابُ[1]**؟!**

نحن نريد دعاة لا ذئابًا، كيف يوجد هؤلاء الدعاة؟ بالتربية أيها الإخوة: التربية بالصلاة وتلاوة القرآن، والجلسات الربانية، وقيام الليل، وصيام النهار، بهذا كله يتربى الجيل المؤمن المنشود لهذه الأمة، لا بدَّ من هذا ولا شك.

السؤال الثالث: هل يتوجب على الشباب الانضمام إلى الجماعات الإسلامية؟

الجواب: أنا أقول: لا يمكن أن نخدم الإسلام في عصرنا إلا بالعمل الجماعي، أولًا لأنَّ الإسلام نفسه يدعونا إلى التعاون على البر والتقوى، ويدعونا إلى الوحدة في كل شيء، ويد الله على الجماعة، وإنَّما يأكل الذئب من الغنم القاصية، ولا صلاة لمنفرد خلف الصف، والمسلم في الصلاة يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۞ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦]. يتكلم بلسان الجماعة حتى لو وقف يصلي منفردًا في قعر بيته. فالفردية والانعزالية ضد الاتجاه الإسلامي، والنصوص الإسلامية والعبادة الإسلامية، فلا بدَّ من عمل الجماعة.

---

(١) ذكره الدميري ولم ينسبه في حياة الحيوان الكبرى (٥٠٤/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

ثم من ناحية واقعية ماذا يصنع الفرد أمام هجمات القوى الشرسة التي تناوش الإسلام من هنا ومن هناك؟ ماذا يصنع أمام التنصير، وأمام الشيوعية، وأمام اليهود والذين أشركوا، وأمام الماسونية، وأمام العلمانية، وأمام القاديانية، وأمام البهائية، وأمام الباطنية وغيرها؟ اليد وحدها لا تصفق، ولذلك لا بدَّ من العمل الجماعي، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، والنبي ﷺ شبك بين أصابعه وقال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»[1]. والناس في المثل العامي يقولون: «إيد على إيد تكيد». ويقولون: «لو كان للبيضة ودنين يشيلوها اثنين».

يؤكد هذا أمر آخر: أنَّ أعداءنا لا يعملون فرادى، إنَّما يعملون في شكل مؤسسات وتكتلات هائلة، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]. فلا بدَّ من عمل جماعي.

لا بدَّ للمسلم أن ينضم إلى جماعة، الجماعة التي يرى أنَّها أقرب إلى الحقِّ، وأقرب إلى تحقيق غايات الإسلام، وأقرب إلى مخاطبة الناس بلغة العصر، لا بدَّ أن ينضم إلى هذه الجماعة إن كان يريد أن يخدم دينه حقًّا.

السؤال الرابع: هل هناك محاولات قامت للتوفيق بين الجماعات الإسلامية؛ لتفويت الفرصة على من يكيدون للإسلام؟

الجواب: في هذا السبيل توجد محاولات ولقاءات فردية في كل مكان، ولكن أنا أدعو إلى لقاء على مستوى أكبر مع قادة هذه الجماعات

(١) سبق تخريجه صـ٢٧.

QaradawiBooks.com

أنفسها؛ لمحاولة تقريب الفوارق، وإزالة الحساسيات وسوء الظن، والأشياء التي قد يسمعها بعضهم عن بعض؛ وربما لا تكون حقيقة، أو تكون مضخمة أو غير ذلك، وطرح الأمر على أنَّه ضرورة من الضرورات الآن، أعتقد أن هذا أمر واجب، ولعل بعض إخواننا في الكويت ـ وللكويت دور كبير في هذه الناحية ـ يقومون بهذا، والفقير إليه تعالى في خدمة من يقوم بهذا من الإخوة إن شاء الله.

السؤال الخامس: هل يتأتى تطبيق التدرج كأسلوب معالجة؛ وبخاصة في التوبة، كأن يكون شخص يشرب الخمر ويريد التدرج في تركها، ما موقفنا من هذا؟

الجواب: التدرُّج مقبول، وهو سُنَّة من سنن الله كما قلت، ويمكن أن نقبل من الإنسان التائب أن نرتقي به درجة فدرجة، هذا أيضًا من عناصر التربية أنَّ المربي نفسه يأخذ الشخص باليسر شيئًا فشيئًا؛ حتى يرفعه من درجة إلى درجة، بعد أن كان يرتكب الكبائر تركها وبقيت بعض الصغائر، فمن الصعب أن تأخذ الشخص بالشدة والمنع في كل شيء مرة واحدة، وفي وقت واحد، لا، لا بدَّ من التدرج.

ونحن نعلم أنَّه يجوز في بعض الأوقات أن تترك لبعض الناس أن يظلوا في المنكرات؛ مخافة أن يقعوا في منكرات أكبر منها، وهذا ما قاله الإمام ابن تيمية؛ كما حكى ذلك تلميذه الإمام ابن القيم في «إعلام الموقعين» في فصل تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان، والحال والعرف والنية، إلى آخره، يقول: مرَّ شيخ الإسلام بجماعة من التتار، وكما قلت لكم أنَّهم أول ما أسلموا لم يكن إسلامهم حسنًا، كانوا لا يزالون على عادتهم الجاهلية، فكانوا يقتلون الأنفس، وينهبون الأموال، ويهتكون

QaradawiBooks.com

الحرمات، ولا يبالون بشيء ـ جماعة همج ـ فمرَّ شيخ الإسلام ابن تيمية على جماعة منهم يشـربون الخمر؛ فأنكر بعض أصحابه عليهم، وقالوا: يا أعداء الله، أتشـربون الخمر وقد حرَّمها الله؟ فقال ابن تيمية: اسكتوا، دعوهم في سكرهم وما هم فيه، إنَّما حرَّم الله الخمر لأنَّها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصـلاة، وهـؤلاء تصدُّهم الخمر عن سـفك الدمـاء ونهب الأموال[1]. وأخذ ابن القيم من هذا جـواز الإبقاء على بعض المنكرات مخافة أن يقع من المنكرات ما هو أكبر منها، وهذا من فقه المربي وفقه الداعية وفقه المفتي.

تعرفون الآن توجد معركة تطبيق الشـريعة فـي مصر، وفي كثير من البلدان، والدعوة إلى تطبيقها مدوية، فيأتي جماعة يقولون: نحن لا نمنع ولا نرفض تطبيق الشريعة، ولكن نحن نريد أن نطبق الشريعة بالتدريج. قلت لهم: لا مانع أن نطبق الشـريعة بالتدريج، والتدريج كما قلت سنة من السنن، ولكن ما معنى التدريج؟ التدريج كما ذكر الشاطبي وغيره أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لمـا تولى الخلافة وجد مظالـم كثيرة كان قد ارتكبها مَن قبله مِن خلفاء بني أميـة، فبدأ عمر يرد هذه المظالم مظلمة بعد مظلمة، كل يـوم يصلح بعض المفاسـد، فكان له ابـن تقي ورع متحمس ـ فيه جذوة الشباب ـ اسمه عبد الملك؛ فقال له: يا أبتِ، ما لي أراك تتباطأ في إنفاذ الأمور؟ والله ما أبالي لو غلت بي وبك القدور في سبيل الله. فقال: يا بني، لا تعجل؛ فإنَّ الله ذم الخمر في آيتين، ثم حرمها فـي الثالثة، وإنِّي أخشـى أنْ أحمل النـاس على الحق جملـة فيدَعوه جملة[2]. أي أريد أن آخذ الناس خطوة خطوة، وجرعة جرعة.

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (١٢/٣، ١٣).

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي (٩٣/٢، ٩٤)، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت.

نسخة ثانية
QaradawiBooks.com

وفي موقف آخر قال له: إن قومك شدوا هذا الأمر عروة عروة، وعقدة عقدة حتى صار إلى ما ترى، فلو هددناه مرة واحدة لأدى إلى فتنة، ولكن ألَا يسرك ألَّا يمر على أبيك يوم إلا ويميت فيه بدعة أو يحيي سنة[1]؟ وهذا معنى التدرج أنَّه لا يمر يوم إلا وتميت بدعة وتحيي سنة، فالتدرج أن تكون هناك مرحلة للتطبيق بعد مرحلة: أن تحول في خمس سنوات البنوك الربوية إلى بنوك إسلامية، وأن تغير القوانين الوضعية إلى قوانين شرعية، وأن تقيم برامج للإعلام كذا وكذا، وبرامج تربوية كذا وكذا، وأبدأ في تأليف اللجان للقيام بهذا، أمَّا أن أقول بالتدريج وأظل «محلك سر»، فهذا لا يكون تدريجًا، هذا تمويت وليس بتدريج، عملية تمويت للقضية، وتأجيل لها يومًا بعد يوم، فالتدريج مقبول بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع، ولكن التدريج المخطط مرحلة بعد مرحلة؛ لمحاولة الارتقاء بالفرد والارتقاء بالجماعة.

السؤال السادس: ألا تعتقدون أنَّ ما أصاب المسلمين اليوم هو الفهم الخاطئ لمفهوم «لا إلٰه إلا الله»، ومفهوم العبادة، ومفهوم الإيمان، وأنَّ على الصحوة الإسلامية البدء بتوضيح هذه المعاني من باب رعاية الأولويات؟

الجواب: أنا أقول: إن هناك فهم خاطئ للإسلام كله: بعض الناس أخطؤوا فهم العقيدة، وبعض الناس أخطؤوا فهم الشريعة، وبعض الناس أخطؤوا فهم القيم الأخلاقية، ولا بدَّ أن نصحح الفهم الخاطئ للإسلام كله، لأن هذا كلام خطير جدًّا في الحقيقة، بعض الناس يقولون: إنَّ المسلمين غير مسلمين؛ لأنَّهم لم يفهموا «لا إلٰه إلا الله»، ويجب أن نعلمهم من جديد «لا إلٰه إلا الله».

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٨٢/٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهذا كلام غير مقبول، فالمسلمون مسلمون، وحينما أراد العدو أن يدخل على بلاد المسلمين وأن يغزوهم فكريًّا ونفسيًّا: بدأ من الشريعة لا من العقيدة، أي شككهم في عدالة النظام الإسلامي وصلاحيته، معظم القانونيين والمستشارين والاقتصاديين لم يشككهم العدو في العقيدة، إنَّما شككهم في محاسن النظام الإسلامي، كيف تُقطع يد الإنسان؟ وكيف كذا وكذا؟ بدؤوا يتشككون في النظام وهذا أدى إلى زعزعة العقيدة.

ولذلك يجب علينا نحن أيضًا أن نبدأ فنقول لهم: لا، أنتم مخطئون، إنَّ النظام الإسلامي أعظم وأروع نظام، وهو الذي يحقق العدل وكذا كذا. فتبدأ العقيدة تقوى عندهم.

ولذلك أنا أرى أن نصحح الفهم الخاطئ للإسلام كله: عقيدة وشريعة، وأخلاقًا ومنهاجًا، أمَّا أن نركز على شيء واحد ونترك الباقي؛ فأرى أنَّ هذا ليس بالمنهج السليم.

السؤال السابع: ما رأيكم في بعض المؤسسات المالية التي ظهرت باسم الإسلام، وضيعت أموال المسلمين؟ وكيف نحافظ على المكتسبات في هذا المجال؟

الجواب: يبدو أنَّ الأخ يسأل عن شركات توظيف الأموال ونحوها، وأريد أن أقول لكم شيئًا: القوى المعادية للإسلام وللصحوة الإسلامية وللحركة الإسلامية: لا تترك فرصة إلا وتستفيد منها! مجرد حدوث بعض الخلل فيما يسمى شركات الأموال؛ انتهزتها هذه القوى فرصة لتضرب ضربات غائرة في الإسلام، والدعوة الإسلامية، والصحوة الإسلامية، والحركة الإسلامية، وكل ما يُسمى إسلاميًّا.

QaradawiBooks.com

وهذا شيء مؤسف جدًّا لأنَّه ليس من الموضوعية في شيء، ولا من العلمية في شيء، ولا من الإنصاف في شيء، لأنَّ الذي نراه الآن أن هناك كلامًا من جانب واحد، والطرف الآخر لا يُسمع قوله، ولكي يكون الإنسان قاضيًا منصفًا؛ لا بدَّ أن يسمع من الطرفين!

ويقولون: إنَّ هذا سبب الفتنة التي فُتن بها داود عليه السلام، في القصة المعروفة حينما قال له أحد الخصمين: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۞ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ٢٣، ٢٤]. كيف حكمت على الطرف الآخر بهذه السرعة؛ ولم تسمع قوله؟! وهناك مثل يقول: إذا جاءك أحد الخصمين وإحدى عينيه مقلوعة؛ فلا تحكم له حتى يأتيك الخصم الآخر؛ لعلَّ عينيه الاثنتين مقلوعتان. فنحن نسمع من طرف واحد في الحقيقة ولا نسمع من الطرف الآخر، هذه واحدة.

وأمر ثانٍ، أنَّ هذه الشركات ليست كلها في مستوى واحد، هناك شركات ليس عليها أدنى غبار أو بأس؛ مثل شركة الشريف، وشركة الحجاز، وشركة الوفاء، عدة شركات نعرف أصحابها لم يستطع أحد أن يقول عنهم كلمة، فالتعميم إذن خطأ.

وأمر ثالث، أنَّ هؤلاء يقولون عن هذه الشركات: الشركات الإسلامية. أنا لا أدري من أين جاؤوا بهذا الاسم؟ ليس هناك شركة منها سمت نفسها «الشركة الإسلامية»، أنا أعرف أن هناك بنك فيصل الإسلامي، له نظام تأسيسي ولافتة صريحة، وكذلك المصرف الإسلامي للاستثمار والتنمية، لكن ليس هناك شركة من هذه الشركات اسمها «الشركة الإسلامية»، وإنَّما شركة الريان، وشركة الشريف، وشركة الهدى، من الذي أعطاها عنوان الإسلام؟!

QaradawiBooks.com

ثم لو فُرض أنَّ شخصًا أخطأ، أو شركة أخطأت، فإن الإسلام لا يتحمل أخطاء أحد، الإسلام يظل هو الإسلام؛ وإنْ أخطأ المسلمون، وهؤلاء الذين ينسبون إليهم الخطأ طالما أعلنوا لهم في صحفهم وتلفازاتهم وإذاعاتهم، وظهروا معهم في الصور، وكانوا كبار موظفين عندهم، وأدخلوهم في كشوف البركة عندهم؛ ليكسبوا خمسين في المائة (٥٠٪) ومائة في المائة (١٠٠٪)، ثم لما وقعت الفأس في الرأس انقلبوا عليهم، أين كنتم في هذه المدة كلها؟

السؤال الثامن: قاعدة: أن يعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه. هل تشمل ما اختلف فيه المسلمون في أمور العقائد؟

الجواب: هذه القاعدة تسمى قاعدة المنار الذهبية، وضعها الإمام المجدد السيد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»[1]. هذه طبعًا لها مستويات، هناك مستوى معين بين أهل السُّنَّة بعضهم مع بعض، يتفقون فيما بينهم، وهناك مستوى أضيق من ذلك هو مستوى الصحوة الإسلامية، مستوى العاملين للإسلام، وهناك مستوى المسلمين، الذين لم تبلغ بهم البدعة إلى درجة الكفر! وهناك طبعًا أناس يُنسبون إلى الإسلام ـ وليسوا من الإسلام في شيء ـ فيجب أن يكونوا خارج الدائرة، لكن مَنْ له كلام في بعض الأشياء، في بعض فروع العقائد؛ مثل رؤية الله في الآخرة، وأفعال العباد، وهذه الأشياء التي اختلف فيها الناس، هذه يمكن أيضًا التسامح فيها.

عندما نقف صفًّا واحدًا لمواجهة الشيوعية، أو لمواجهة التنصير، أو للوقوف في معركة ضد المسلمين، أو في معركة المجاعة، أو في معركة

(١) انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧).

QaradawiBooks.com

الإلحاد والإباحية، يمكن أن يقف كل المسلمين صفًّا واحدًا في هذه النواحي؛ ولكلٍّ عقيدته، ويمكن في وقت من الأوقات تحقيق المسائل الخلافية، وبحثها في ندوات علمية في ظل الأخوة العامة، وفي ظل الموضوعية العلمية؛ دون مهاترات ودون تجريح.

أقول: حتى مع الخلاف في العقائد الفرعية يمكن أن يوجد نوع من التعاون في هذه الحدود؛ لنقف ضد الكفر الأكبر، وهذا في نظري له أصل في الشرع، فقد نزلت سورة الروم في حربٍ بين فارس والروم، في أول الأمر انتصرت فارس على الروم، والفرس يعبدون النار ويقولون بالثنوية: بإلهين اثنين، إلٰه للخير والنور، وإله للشر والظُّلمة، فهم أقرب إلى عباد الأوثان من أهل مكة! ولذلك لما انتصروا في أول الأمر فرح المشركون من قريش، واغتم المسلمون لانهزام البيزنطيين من النصارى، على أساس أنَّهم أهل كتاب؛ فهم أقرب إلى المسلمين.

وتجادل سيدنا أبو بكر مع المشركين في هذا، وحدث رهان على كم من الإبل، وكان هذا قبل أنْ يُحرَّم الرهان، وقال له الرسول ﷺ: «**زِدْ في الأجل، وزِدْ في المقدار**»[1]. وبعد ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ٢ ـ ٦].

(١) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٦٨١/٢)، تحقيق محمد عزير شمس، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.

QaradawiBooks.com

فاعتبر انتصار الروم على الفرس بعد ذلك شيئًا يفرح به المؤمنون، ونسب هذا النصر إلى الله، فهذا يدل على أن هناك عملية موازنة بين خير الشرين، وأهون الضررين، وأخف الكفرين! قد تتعاون مع كافر أصغر؛ لتضرب كافرًا أكبر، وهذا من فقه السياسة الشرعية، وقد تتعاون مع من عنده بعض الابتداع وكذا؛ لتقف ضد الكفر الصريح الذي يريد أن يبيد خضراء المسلمين، هذا مبني على الموازنة بين المصالح والمفاسد، والمنافع والمضار، ومقدار ما يأتي من هذه وما يأتي من تلك، والمسلم الموفَّق بالتجرد والإخلاص هو الذي يعرف كيف يوازن بين هذه الأشياء.

السؤال التاسع: هناك من الكُتَّاب في الصحف اليومية مَنْ يهاجم الصحوة الإسلامية، فما يكون موقفنا من هؤلاء؟ هل نرد عليهم؛ علمًا بأننا ننشغل في معارك جانبية، ولا نهتم بواجباتنا تجاه مجتمعاتنا؟

الجواب: كنا في يوم الجمعة الماضية في جلسة في قطر عند أحد الإخوة الأفاضل: الشيخ عبد القادر العمَّاري، وهو رجل قاضٍ فاضل، وكاتب إسلامي، وكنا نتحدث في هذا الأمر حقيقة، وهذا ناشئ عما ذكرته من أن أولئك يعملون بتخطيط، ويعملون بروح الفريق، لا يعملون فُرَادى، تشعر أن هناك جهة تقدم تلالًا من المعلومات، كيف تُجهَّز هذه؟ وكما قلنا: العمل الفردي يا إخواننا لا ينفع الآن، الآن توجد بنوك المعلومات، نحن في عصر الكمبيوتر، عصر ثورة المعلومات كما يسمونه، أنا أخشى أنْ يكتب أحدنا كتابة هزيلة بينما هم يقومون بالتحضير مدة طويلة، ويأخذ كلمة من هنا وأخرى من هنا ويلفق بينها، فنحن أيضًا نريد ممَّن يكتب أنْ يتعب على الكتابة، ويقدم دراسة تضاد الدراسة، وحبَّذا لو يجتمع الذين آتاهم الله القلم في اجتماعات بعضهم مع بعض، ويدرسوا كيف نستطيع

QaradawiBooks.com

أن نواجه أباطيل القوم، أمَّا الارتجال والكتابة السريعة والاكتفاء بالهجوم لا يصح، نحن في الحقيقة بحاجة إلى أن نعد ونخطط، ونهيئ من يكون قادرًا على أن يرد الصاع صاعين، ولكن بعلم وموضوعية وبناء على معلومات فعلًا، هذا واجب علينا، أمَّا الرد الارتجالي العفوي فتركه خير، عدمه خير من وجوده، لأنَّه أحيانًا يضر أكثر مما ينفع.

ولا بدَّ في الحقيقة أن نهيئ أقلامًا شابة تتمرس وتتمرن، نحن صرنا شيوخًا، أنا شخصيًّا بعض الناس يتصل بي يقول: الصحيفة الفلانية تقول عنك كذا. حتى عن نفسي، أقول لهم: أنا والله لا أستطيع أن أرد، ردوا أنتم عني!

أخت اتصلت بي من قطر، قالت: هل قرأت ما كتبته جريدة المجتمع؟ وفي نفس اليوم جريدة أخرى نسبت إليَّ كلامًا لم أقله، قلت: أنا لو ظللت أرد على هذا الكلام معناه أنِّي سأقضي عمري في الرد على هذه الأباطيل، ولا أصنع شيئًا للمسلمين، لكن لو أن هناك من الشباب من يتابع هذه الأشياء ويرد عنا يكون أفضل، فنحن في حاجة إلى تدريب أقلام شابة.. وعندنا مواهب.

خدمة الإسلام أيها الإخوة تحتاج أن نعد لكل أمر عدته، الآن: العمل الصحفي، والعمل الإعلامي والكتابي هو عمل مهم، نحن محتاجون إلى كل سلاح من الأسلحة، نحتاج من يكتب الشعر، ومن يكتب القصة، ومن يكتب المسرحية، أنا كتبت مسرحية، وكتبت شعرًا، نريد من يكتب في الصحافة، كاتب المقالة، وكاتب التحقيق، كل هذه أشياء نحتاج إليها.

تستطيع الصحوة الإسلامية أن تنجح إذا استطاعت أن تسد هذه الثغرات، وتلبي هذه الحاجات، وتضع كل شيء في موضعه، وتجند

QaradawiBooks.com

الطاقات والمواهب الشابة، هذا هو النجاح الحقيقي، ولا تنقصنا الطاقات والحمد لله، إنَّما ينقصنا حسن استخدامها.

السؤال العاشر: ألم يحن الوقت أن نطرق مجالات كالإعلام والفن، والتربية والدراسات والبحوث العلمية وغير ذلك؟

الجواب: لم يأنِ الوقت فقط، بل فات الوقت، المفروض كنا نبدأ من قبل ذلك، وقد بدأنا، ولكن لا زلنا في حاجة إلى كثير من هذا، أقول: في الحقيقة إخواننا في السودان: الجبهة الإسلامية هناك التفتت إلى الإعلام والصحافة والتليفزيون من مدة، وبعثوا إلى أمريكا وغيرها من يتخصصون في هذه الأمور، عملية توجيه الطاقات هذه هي في الحقيقة أمر واجب، وعلى من وضعهم الله موضع القيادة والإدارة أن يحسنوا توجيه الطاقات.

أنا أحيانًا أقول: ربنا يسامح إخواننا على أنَّهم لم يوجهوني مبكرًا لتعلم اللغة الإنجليزية، أنا أسافر إلى البلاد الأجنبية المختلفة، وكنت في هذا الصيف في أستراليا، وأجد مشكلة في أن أتكلم ويترجم البعض كلامي، أولًا الوقت يكون مضاعفًا، ولا تضمن أن يُنقل ما تقوله إلى المستمعين، وحتى لو نُقل المعنى فمن ينقل ما عندك من حرارة؟ هناك من ينقل المعنى فيميته، يطفئ حرارته، قلما أجد مِن المترجمين مَن يتوافر فيهم الدقة وحسن الأداء، مثل أخينا الدكتور جمال بدوي؛ إذا ترجم كلامي أعتبر أنِّي أنا الذي أتكلم، وقليل مثله.

لهذا أقول: لو أن إخواننا في الزمن الماضي وجَّهوني لتعلم اللغة الإنجليزية، وكان عندي القدرة والاستعداد، لكنهم شغلوني عن هذا بكثرة الانتقال إلى القرى المختلفة للحديث العام، وفتح شُعَب الدعوة؛

QaradawiBooks.com

فلا بدَّ من توجيه الطاقات، من الخطر أن تنظر إلى الحاضر ولا تنظر إلى المستقبل، أن تستهلك الطاقات في عمل حاضر، ولا تخطط للمستقبل، يمكن أن تدخر بعض النشاط لإعداد العدة للمستقبل.

يجب أن نتكلم لغة العصر، لم يعد الإعلام مجرد «فهلوة»، لا، بل أصبح علمًا، وعلم ذو تخصصات متعددة، فيجب أن نهيئ المتخصصين في كل هذا، وخاصة أننا نحارب من هذه الجهة.

عملية إيجاد فن إسلامي وإعلام إسلامي عملية كبيرة جدًّا تحتاج إلى أناس متخصصين يعرفون الإسلام، ويعرفون العصر وأساليبه، لا بدَّ من هذا.

السؤال الحادي عشر: ما هو الموقف الذي ينبغي على شباب الصحوة أن يتخذوه، من الأنظمة التي لا تطبق شرع الله؟

الجواب: الموقف هو أن يدعوها إلى تطبيق شرع الله، وكما قلت: علينا أن نزيل هذه الفجوة الموجودة، هناك فجوة بين الصحوة وبين السياسيين والعسكريين والحكام، وفجوة بين الصحوة وبين من يسمونهم النُّخبة والمثقفين، الذين تعلموا تعليمًا غربيًّا؛ حتى داخل البلاد الإسلامية، هناك شرائح كثيرة لم تصلها الصحوة كما ينبغي، علينا نحن أن نوسع القاعدة، حتى يكون هؤلاء معنا، وعلينا أن ندعو إلى تطبيق الشريعة، ونبين ما وراءها من خير في الدنيا والآخرة، فقبل أن ندخل الجنة بهذا التطبيق سندخل به جنة الدنيا، ونحن جربنا الحلول المستوردة من الغرب ومن الشرق، ومن اليمين ومن اليسار؛ فماذا جنينا من ورائها؟ هل جنينا من ورائها إلا الخيبة، هل قمنا بشيء يُذكر؟ نحن لا زلنا في ذيل القافلة.

QaradawiBooks.com

العالم الآن في عصر الصناعة الثاني، عصر الصناعة الأول كانت الآلة فيه توفر الجهد البدني للإنسان، الآن عصر الصناعة الثاني؛ بل لعلَّنا في آخره، هذا العصر هو الذي توفر فيه الآلة الجهد الذهني للإنسان، عصر الكمبيوتر، فماذا فعلنا نحن؟ هم صنعوا الكمبيوتر وطوَّروه، يسمونه أجيال الكمبيوتر، الآن الجيل الخامس من الكمبيوتر، أتدرون ماذا فعلنا نحن؟ نحن مختلفون هل نسميه الحاسوب أم المِحْساب، أم الحَسَّابة، أم الحاسب الآلي، أم الدماغ الإلكتروني، أم العقل الإلكتروني؟

أنا خطبت خطبة الجمعة في قطر، في اليوم الذي أذيع فيه أنَّ إسرائيل صنعت قمرًا صناعيًّا يصور الأرض العربية قطعة قطعة، ويعرف كل شيء عنا، فقلت لهم: إسرائيل صنعت القمر الصناعي الذي يصور أرضنا ودقائق أمورنا، ونحن لا زلنا مختلفين في التصوير: أهو حلال أم حرام؟ الحقُّ أن وراءنا عملًا كبيرًا، وكبيرًا جدًّا!

السؤال الثاني عشر: هل هناك مجال لأنْ يتعايش الإسلام بعقائده ونظمه وتشريعاته، مع الحضارة الغربية ونظمها وأفكارها؟ أم أنَّ المواجهة حتمية لا مفر منها؟

الجواب: الواقع أنَّ الإسلام لا يمكن أن يكون إلا عالميًّا، من يقرأ القرآن الكريم يجد أنَّ الآيات التي تحدثت عن عالمية الإسلام وعالمية الدعوة كلها آيات مكية، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [ص: ٨٧، التكوير: ٢٧]، كل الآيات التي تحدثت عن عالمية الإسلام، وعالمية القرآن، وعالمية الدعوة، كلها آيات مكية، فالإسلام عالمي من أول يوم.

QaradawiBooks.com

الاهتمام المبكر بالصراع العالمي:

ومن العجب أن تجد سورة مثل سورة الروم تنزل فيها الآيات الأولى لتتحدث عن موضوع شغل المسلمين وهم في فجر الدعوة، وهم قلة معدودة كما وصفهم القرآن: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦]. هذه القلة المستضعفة الخائفة تشغل نفسها بالصراع العالمي بين فارس والروم، ويدخلون في جدال وخصام ورهان مع المشركين، والمشركون أنفسهم أحسوا بهذه القضية وفرحوا بغلبة الفرس على الروم لأنَّهم أقرب إليهم، والمسلمون حزنوا لانهزام الروم البيزنطيين النصارى لأنَّهم أقرب إليهم، ونزل القرآن في ذلك يقول: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ١ ـ ٥].

وقرَّر القرآن هنا مبدأ هامًّا وهو أن هناك كفرًا دون كفر، وأن بعض الكفار أقرب إلى المسلمين من بعض، صحيح أنَّ الكفر كله ملة واحدة، لكن الكفر درجات، هناك كفر دون كفر، وكفر أقرب من كفر، ولذلك النصارى وهم كفار أقرب من المجوس وهم كفار؛ لأن أهل الكتاب أقرب من عبدة النار، ومن دعاة المثنوية الذين يقولون بإلهين اثنين: إلٰه للخير والنور، وإله للشر والظُّلمة، فلذلك عُني المسلمون ـ وهم في هذا المستوى من القلة والضعف والخوف ـ بالصراع العالمي.

لا عجب إذنْ أن نُعنى ـ نحن المعنيين بالصحوة والحركة الإسلامية ـ بالوضع العالمي وتغيراته؛ لأنَّه يؤثر علينا من قريب أو من بعيد؛ بل معظم ما نعانيه في بلادنا هو في الواقع من تأثيرات الوضع العالمي، وتأثيرات القوى العالمية المعادية لنا: تأثيراتها على حكامنا وأنظمتنا،

QaradawiBooks.com

فالضغوط التي نجدها على الحركة الإسلامية، وعلى الدعوة الإسلامية في ديار العرب والمسلمين؛ للأسف معظمها ـ إن لم نقل: كلها ـ جاء من هذا الضغط الذي يمكن أن نسميه ضغطًا عالميًّا آتيًا من الخارج.

لهذا كان علينا أن نحاول معرفة هذه المؤثرات العالمية، لا يمكن أن نحكم عليها إلا إذا عرفناها، هذه القوى ماذا تريد منا؟ وكيف تتصورنا؟

عدم معرفة حقيقة الإسلام:

وأنا في الحقيقة أريد هنا أنْ أضع بعض النقاط، من هذه النقاط أنْ هؤلاء القوم يجهلوننا، كثيرون منهم يخافوننا، يفترضون أننا وحوش مفترسة، وأنَّ الإسلام غول مخيف، وأنا دعوت في كتابي الذي سميته «أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة المقبلة» إلى الحوار على كل مستوى، الحوار مع العلمانيين واللادينيين، والحوار مع الماركسيين.

ودعوت إلى الحوار مع الغربيين على المستوى الديني، مستعدون أن نحاور القسس والكرادلة، وعلى المستوى الفكري، مع المستشرقين وغيرهم، وعلى المستوى السياسي مع الذين يؤثرون على صنع القرار، يجب أن نحاور هؤلاء، ونُفهمهم من نحن، وما دعوتنا، ونسائلهم: أليس من حقنا أن نعيش بديننا؟!

نحن لا نريد أن نقتل العالم، ولكن نريد أن نعيش بديننا، دعونا نعيش بديننا، ومن مصلحتكم أن نكون مؤمنين، ونحن نعتبركم أهل كتاب، الإسلام أباح لنا أن نأكل ذبائحكم، وأن نصاهركم، وأن يكون للمسلم زوجة ـ تكون ربة بيته، وأم أولاده ـ من أهل الكتاب، وأن يكون أجداد أولاده وجداتهم، وأخوالهم وخالاتهم، وأقاربهم من أهل الكتاب، أي سماحة أعظم من هذه السماحة؟!

QaradawiBooks.com

أهمية الحوار مع المخالفين:

نحن في حاجة إلى حوار مع هؤلاء، لا نخاف من الحوار، بعض الناس يخاف من الحوار، وبعض الناس يتهم أي دعوة إلى الحوار، وفي أحد الاجتماعات الإسلامية دعوت إلى هذا فقال بعض الإخوة: أصبح الشيخ تقدميًا. وماذا في الأمر يا جماعة؟! فنحن ندعو إلى الحوار ولا نخافه.

والقرآن كتاب حوار، هو الذي دعا إلى الحوار مع كل أصحاب المقولات، وذكر مقولات المبطلين: مقولات الدهريين، ومقولات المشركين، ومقولات النصارى، وجادلهم جميعًا، ودعا إلى الجدال، والجدال بالتي هي أحسن، قال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. الجدال بأحسن الوسائل، أي: لو أن هناك وسيلتين للحوار: وسيلة حسنة، ووسيلة أحسن منها؛ فينبغي أن نستخدم الوسيلة الأحسن، ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، أي: ابحثوا عن مواطن الاتفاق.

بعض الناس يحاول أن يبحث عن مواطن الخلاف والتميز، من يريد أن يعايش الناس وخصوصًا في عصرنا الذي أصبح ـ كما يُقال ـ قرية كبرى، وبعض الناس يقول: لم يعد قرية، بل أصبح حارة. تقارب الناس بعضهم من بعض؛ فلا نستطيع أن نعيش وحدنا، ولا نستطيع أن نعيش معزولين؛ لأنَّ هناك تأثيرًا وتأثرًا، وفعلًا وانفعالًا، ونحن أصحاب دعوة، ديننا ليس كالدين اليهودي: دين عزلة واحتكار، وانغلاق على الذات، لا، بل ديننا دين دعوة وانفتاح، دين لا بدَّ أن ينتشر، ولا بدَّ أن نوصل دعوتنا.

QaradawiBooks.com

مسؤولية المسلمين وتقصيرهم:

وأنا أعتقد أنَّ المسلمين مسؤولون عن ضلال الأمم في العالم، هناك أمم لا تعرف عن الإسلام شيئًا، وهناك من لا يعرفون عن الإسلام إلا صورة شائهة، من بقايا ورواسب العصور الوسطى، ماذا فعلنا نحن لتعليم هؤلاء الإسلام، ولتعريفهم بالحد الأدنى عن الإسلام؟ والله إننا مقصرون كل التقصير، لا تُوجد ترجمة لمعاني القرآن يرضى المسلمون عنها في أي لغة من اللغات، ماذا فعلنا؟ نحن محتاجون إذن إلى نُعرِّف هؤلاء بالإسلام، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى أريد أن أقول: ينبغي أن تكون عندنا ثقة بأنفسنا، بعض الناس يعتقد أنَّ هذه القوى العالمية هي القضاء والقدر، الذي لا يُرد ولا يُغلب، وأن علينا أن نستسلم لها، يقولون: نحن واقعون في أسر مخطط جهنمي صليبي صهيوني شيوعي، من هذا الثالوث الماكر الكافر الغادر!

وهل هذا الثالوث ليس لنا مخرج منه؟ هؤلاء يخططون فلماذا لا نخطط نحن لأنفسنا؟! لماذا لا نقاوم المخططات؟! في الحقيقة هناك نوع مما أُسمِّيه «الجبرية السياسية» التي ترى أنَّ القوى الاستعمارية، والقوى المعادية للإسلام قادرة على كل شيء! وأننا ضحايا ولا مخرج لنا!

أنا عدو الجبريات كلها: الجبرية السياسية، والجبرية الاجتماعية، والجبرية الدينية، كل هذه الجبريات لا ينبغي أن نستسلم لها، فقد خلقنا الله أحرارًا، وخلق لنا عقولًا نفكر بها، وليست هذه القوى قادرة على كل شيء، وكم فاجأتهم القوى الإسلامية بما ليس في حسبانهم، وهذا ما سجَّله من قديم المستشرق المعروف «جب»، قال: إنَّ الحركات

QaradawiBooks.com

الإسلامية تتطور بسرعة مذهلة بما يشبه الانفجار، حتى إنَّ المراقب الراصد لها لا يستطيع أنْ يتنبأ بما يمكن أن تحدثه[١]. وهذا ما رأيناه.

وكانوا يقولون مثلًا في وقت من الأوقات عن إيران: الشاه هو أقوى رجل في الشرق الأوسط، وهو الشرطي الأمين الذي سيحافظ على مصالح الغرب، وظنوا أنَّ الشاه لن يزول، ولكن الشاه زال! وقامت دولة إسلامية في السودان لم يحسبوا لها حسابًا، في أول الأمر رحبوا بها وأخذوها بالأحضان حتى كشفت عن وجهها الإسلامي، وفي أماكن كثيرة يمكن أن يحدث هذا، فلا ينبغي أن يسيطر علينا الوهم أن هؤلاء هم صناع الأقدار، وأنَّه لا مخرج لنا إلا أن نستسلم! لا، بل نستطيع أن نفعل الكثير.

الاختلاف المشروع لا التفرق المذموم:

كل ما ندعو إليه أيها الإخوة: أنَّ الأُمَّة الإسلامية يمكن أن تكون قوة كبيرة إذا اجتمعت، وأنَّها تضيع إذا تفرقت، فعلينا أن نكون دعاة وحدة لا دعاة تفرقة، ولنبدأ هذا في مجال العمل الإسلامي.

فصائل العمل الإسلامي ينبغي أن تتوحد ولا تتفرق، لا أدعو إلى جماعة واحدة، ولا إلى حركة واحدة؛ فهذه أمنية بعيدة المنال، وهي مع ذلك تخالف طبيعة البشر وطبيعة الواقع، ولكن ندعو إلى تعدد التنوع والتخصص؛ كما سميته في كتابات لي، لا مانع أنْ تتعدد الحركات وتتعدد الجماعات؛ على أن يكون تعدد تنوع وتخصص، لا تعدد صراع،

(١) وجهة الإسلام نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي لجب وآخرين صـ٢٣٨، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، وانظر: الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين (٢٠٦/٢)، نشر مكتبة الآداب، مصر، ط٢، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

فتعدد التنوع تثري به الحركة والأمة والدعوة، لكن على أن نتعاون فيما بيننا كما قال صاحب «المنار» رَحِمَهُ اللَّهُ في القاعدة الذهبية التي تبنَّاها الإمام الشهيد حسن البنا: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»[1]. وما نتفق عليه كثير وكثير جدًّا، هو مجال لعمل لا ينتهي؛ لو أحسنا الفهم، وأحسنا التخطيط، وأحسنا التنفيذ.

نبذ المعارك الجانبية والخلافات الجزئية:

على أبناء الحركات الإسلامية، والجماعات الإسلامية، وفصائل الدعوة الإسلامية: أن تتناسى المعارك الجانبية والخلافات الجزئية، وأن يعذر بعضها بعضًا، ويسامح بعضها بعضًا، وتقف صفًّا واحدًا أمام القوى الكائدة للإسلام.. وما أقواها، وما أكثرها! ولكن بتعاوننا وتفاهمنا وتضامننا نستطيع أن نردها.

هذا أول ما ينبغي أن نفعله: أن تتعاون الفصائل الإسلامية بعضها مع بعض، ويحسن بعضها الظن ببعض بدل تبادل الاتهامات، وحمل كلام كل إنسان على أسوأ محامله، وتوجيه تهم كأنها قذائف أو سهام في الصدور! لا، بل ينبغي أن يسع بعضنا بعضًا، ويسامح بعضنا بعضًا، هذا هو أول الطريق، الإسلام يتطلب منا عملًا دائبًا؛ وخصوصًا في هذه المرحلة الدقيقة والحاسمة في حياتنا، وهناك والحمد لله بشائر كثيرة تدعونا إلى أن نتفاءل بمستقبل الإسلام لو استثمرنا ما عندنا من قوى، وما عندنا من طاقات، ووضعنا يدنا في يد الله عَزَّوَجَلَّ، وسألناه النصر والتمكين، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

(١) سبق تخريجه صـ ١٩٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أكتفي بهذا، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها؛ إنَّه سميع قريب.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٤

أولويَّات العمل الإسلامي في ظلِّ المُتغيِّرات الدوليَّة الراهنة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الحمد لله الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا مُحَمَّدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعَزَّروه ونصروه، واتَّبعوا النور الَّذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أُحيِّيكم به أيها الإخوة والأخوات، تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(أمَّا بعد)

دور جمعيَّة الإصلاح في الإصلاح:

إنَّه ليُسعدني ويُثلج صدري، أنْ ألتقي بإخوتي وأخواتي، وأبنائي

(١) ألقيت بجمعية الإصلاح بمملكة البحرين، في أوائل التسعينيات من القرن الماضي.

QaradawiBooks.com

وبناتي بهذه الجمعيَّة المباركة ـ جمعيَّة الإصلاح ـ الَّتي نحسب إنْ شاء الله، أنَّها أُسِّسَت على تقوى من الله ورضوان، وأنَّها أقيمت لنصرة الإسلام، وغرس عقائده وأحكامه وقيمه في العقول والأنفس، وأنَّها تقوم على ثُغْرة من ثُغَر الإسلام في هذا البلد الكريم، وفي هذه المنطقة، وقد كان لها دور رائد حتَّى قبل أنْ تتسمى بهذا الاسم، فأسأل الله تبارك وتعالى أنْ يُسَدِّد خُطا هذه الجمعيَّة، وخطا القائمين عليها، وأنْ يثبت أقدامهم على الحقِّ، وأنْ يجعل يومهم خيرًا من أمسهم، وأنْ يجعل غدهم خيرًا من يومهم.

قاعة عبد الرحمن الجودر:

وكم سررتُ حينما قرأتُ في الصحف أنَّ هذه القاعة سُمِّيَتْ باسم: «**قاعة عبد الرحمن الجودر**»، سرَّني أن نفي للرُّوَّاد من حملة الدعوة الإسلاميَّة، وقد كان أخونا الشيخ عبد الرحمن رحمه الله رحمة واسعة، وتقبَّله في الصالحين، من أوائل الَّذين حملوا لواء الدعوة في «**البحرين**» من قديم، لذلك سررتُ من هذا الوفاء، فالوفاء في النَّاس قليل، ولكنَّه ينبغي أنْ يكون فضيلة من الفضائل الأساسيَّة لأهل الإسلام، والداعين للإسلام، والعاملين للإسلام.

أولويَّات العمل الإسلامي في ظلِّ المُتغيِّرات الدوليَّة الراهنة:

أيُّها الإخوة، أرسل إليَّ بعض الإخوة ورقة، يقول لي فيها: نرجو من فضيلتكم أنْ تُحَدِّثنا عن «**أولويَّات العمل الإسلامي في ظلِّ المُتغيِّرات الدوليَّة الراهنة**»، والواقع أنَّ هذا العنوان عنوان كبير، يحتاج إلى محاضرة كبيرة، لا يتَّسع لها الوقت المُخَصَّص لمثل هذا اللقاء، ولكن بحَسْبنا أن نُعطي إشارات ولمحات فقط حول هذا الموضوع الكبير.

QaradawiBooks.com

ما المقصود بالعمل الإسلامي؟

ينبغي أولًا أن نعرف ماذا نقصد بالعمل الإسلامي؟ أو ما هو العمل الإسلامي؟ فإنَّ هذه الكلمة أصبحت سائدة الآن، ودائرة على الألسن والأقلام، فيقال: العمل الإسلامي، فما المراد إذنْ بالعمل الإسلامي؟

إنَّ العمل الإسلامي الَّذي نعنيه ونقصده وننشده، هو ذلك التوجُّه الجماعي المُنَظَّم الشعبي المُحْتَسِب لخدمة الإسلام، وإعادة الإسلام إلى الحياة من جديد، ليقود مسير الأُمَّة، ويوجه نهضتها، مصبوغة بالصبغة الإسلاميَّة. هذا هو المراد بالعمل الإسلامي.

مُمَيِّزات العمل الإسلامي:

يمتاز العمل الإسلامي بعدَّة مُمَيِّزات، نلخصها فيما يلي:

(١) عمل جماعي:

يمتاز العمل الإسلامي بأنَّه عمل جماعي، وليس عملًا فرديًّا، فالعمل الفردي المتناثر المُبَعْثَر هنا وهناك لا يمكن أنْ يؤدِّي إلى ما نصبو إليه، من عودة الإسلام إلى الحياة قائدًا لها، ومُنَظِّمًا لمسيرتها.

هناك أفراد كثيرون يعملون للإسلام، وهذا لا شكَّ من الأعمال الصالحة المأجورة والمذخورة والمشكورة، ولكنَّنا حينما نقول العمل الإسلامي، لا نريد عمل الأفراد، فالعمل الفردي طيِّب، ولكنَّ العمل المنشود هو العمل الجماعي، فقد علمنا نبيُّنا مُحَمَّد ﷺ أنَّ يد الله مع الجماعة[1]، وأنَّه لا صلاةَ

(١) سبق تخريجه صـ٩٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لمنفردٍ خلف الصفِّ[١]، وأنَّ الذئب **يأكل من الغنمِ القاصيةَ**[٢]. هكذا علَّمنا نبيُّنا ﷺ.

العمل الفردي محدود الإنتاج:

الإسلام لا يقبل أنْ يعمل كل إنسان وحده، فالعمل الفردي ينتج إنتاجًا محدودًا، إنَّما العمل الحق هو العمل الجماعي.

عمل الجماعة عمل مبارك؛ لأنَّه كما يقول النبي ﷺ: «**إنَّ المؤمن للمؤمن كالبُنيان يشدُّ بعضه بعضًا**» وشبَّك أصابعه[٣]. اللبنة وحدها لا تصنع شيئًا، واللبنات المُبَعْثَرة ـ ولو كانت بالآلاف والملايين ـ لا تقيم بناء، إنَّما يقوم البناء حينما تنتظم هذه اللبنات في نظامٍ متماسك، يربط بينها رابط، وتقوم على ذلك صفوفٌ فوق صفوف، حتَّى يتكون من هذه الصفوف المنتظمة جدارٌ متينٌ مكين، ثمَّ جدار مع جدار تتكوَّن حجرة، ثمَّ حجرة مع حجرة يتكوَّن طابق، ثمَّ طابق مع طابق تتكوَّن عمارة شاهقة، هذا هو شأن البنيان الَّذي يشدُّ بعضه بعضًا، شأن المؤمن مع المؤمن، خصوصًا في ساعات الشدَّة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

الإسلام يغرس في أتباعه الرُّوح الجماعيَّة:

من هنا كان تركيز الإسلام على العمل الجماعي، ومن هنا كان

---

(١) سبق تخريجه صـ٩٠.

(٢) رواه أحمد (٢١٧١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٥٤٧)، والنسائي في الإمامة (٨٤٧)، والحاكم في التفسير (٤٨٢/٢)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه النووي في المجموع (١٨٧/٤)، عن أبي الدرداء.

(٣) سبق تخريجه صـ٢٧.

QaradawiBooks.com

حريصًا على غرس الفكرة الجماعيَّة، والروح الجماعيَّة، والشعور الجماعي، في نفس الإنسان المؤمن، حتَّى إنَّ المسلم حينما يُصَلِّي ويناجي ربَّه ـ ولو كان وحيدًا في قعر بيته ـ يناجيه قائلًا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦]، لماذا يتكلم بصيغة الجماعة؟ لأنَّه لا يتكلَّم بلسان نفسه، إنَّه يتكلَّم بلسان الأُمَّة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أنا وإخوتي المسلمين حيثما كنا، وحينما نطلب الهداية يقول الواحد منا: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، اهدِنا جميعًا، فهو لا يطلب الهداية لنفسه فقط، وإنَّما يطلبها لنفسه ويطلبها لإخوانه المسلمين حيثما كانوا، فالجماعة تعيش في ضميره، وتتمثَّل على لسانه، هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

المؤمن ليس فرديًّا؛ فالفرديَّة ليست من أخلاق الإنسان المؤمن، إنَّه يذوب في الجماعة، ويعمل لإصلاحها، ومن أجل إسعادها ورفعتها، إنَّه يبذل ماله، بل يبذل نفسه من أجل جماعته، دفاعًا عنها وعن حرماتها، يستشهد في سبيل الله من أجل الأُمَّة، ومن أجل الجماعة.

لهذا، العمل الإسلامي ليس عملًا فرديًّا، هناك أناس صالحون كثيرون، ولكنَّ صلاحهم لأنفسهم، هو صالحٌ في نَفْسه، لكن لا يستطيع أنْ يُقَدِّم شيئًا ما دام وحده، لكي يقدم شيئًا يجب أنْ يضع يده في يد غيره، في يد أمثاله. هذا شأن الإنسان المؤمن، الناس يقولون في أمثالهم: «إيد على إيد تكيد»، «يد وحدها لا تُصَفِّق»، «القُفَّة الَّتي لها أُذنان يحملها اثنان». وهذا كلُّه تعبير عمَّا غرسه الإسلام في الإنسان ـ حتَّى الإنسان العامِّي ـ وهو أنَّه لا يمكنه أنْ يعيش وحده، ولا أنْ يعمل وحده.

QaradawiBooks.com

(٢) عمل كبير:

والعمل الإسلامي عمل كبير في أهدافه؛ لأنَّ العمل الإسلامي عمل لإحياء الأُمَّة، ونصرة الدعوة، عمل لتوحيد هذه الأُمَّة الكبرى، لتحرير أرضها، وتوحيد كلمتها، ولإعلاء كلمة الله فيها، وإقامة الخلافة المضيعة، وإعادة الفرائض المعطلة، ليس هينًا أنْ تحرر أرض الإسلام، من الفلبين، إلى إريتريا، إلى فلسطين، إلى أفغانستان، وتقيم حكم الله في كل أرض من هذه الأراضي، وتوحد هذه الأُمَّة في مشرق الأرض ومغربها، وشمالها وجنوبها، تحت راية الإسلام، كما كانت قبل أنْ تسقط الخلافة، ليس بالأمر الهَيِّن، وتعيد إليها الخلافة المفقودة، والوحدة المنشودة، «**من مات وليس في عنقه بَيْعةٌ لإمامٍ، مات مِيتَة جاهليَّة**»[1]. كل هذا عمل ليس هينًا؛ بل دونه عقبات وعقبات، دونه عقبات من داخل الأُمَّة، وعقبات من خارج الأُمَّة.

هناك للأسف من يعادونك من داخل الأُمَّة الإسلاميَّة نفسها، وهناك من يعادونك من خارج الأُمَّة الإسلاميَّة، المعركة كبيرة، فكيف يمكن أنْ تقوم بها وحدك؟! كيف يمكن أنْ تؤدي هذه الفرائض المعطلة؟ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحكم بما أنزل الله، وإقامة الشريعة الإسلاميَّة، وتوحيد الأُمَّة الممزقة، وإعادة الخلافة الضائعة، وغير ذلك، كيف تعيد هذه الفرائض المُعَطَّلة وحدك؟ لا يمكن أنْ تفعل كل هذا وحدك، لذلك كان لا بدَّ من العمل الإسلامي الجماعي.

(٣) عمل مُنَظَّم:

العمل الإسلاميُّ الجماعيُّ عمل مُنَظَّم، وليس عملًا تلقائيًّا غير مُنَظَّم، وإنَّما العمل الجماعي عمل مُنَظَّم على أساس جمعيَّات، ولها

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥١)، وأبو داود الطيالسي (٢٠٢٥)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

قيادة ولها قاعدة، عمل منظم كما يفعل الآخرون، فديننا يأمرنا بأنْ نكون منظمين، حتَّى في السفر، فلو كان هناك ثلاثة مسافرين، لا بدَّ أنْ يجعلوا واحدًا منهم أميرًا، يفصل في الأمور إذا اختلفوا: ننزل نستريح؟ أم نستمر في السفر؟ «**إذا خرج ثلاثةٌ في سفرٍ فليُؤَمِّروا أحَدَهم**»[1]. فكيف بالأمور المتعلقة بالأُمَّة؟ صلاة الجماعة نفسها تعلم المسلمين النظام، فمن أجل هذا كان العمل الإسلامي عملًا منـظمًا.

(٤) عمل شعبي تطوعي مُحْتَسِب:

وهو أيضًا عمل شعبي مُحْتَسِب، وليس عملًا رسميًّا، فالرسميُّون لهم رسـميَّاتهم، عن طريق المؤسَّسات الرسـميَّة، عن طريق الوزارات، عن طريق الدوائر، عن طريق المصالح، لكن هذا لا نُسَـمِّيه عملًا إسلاميًّا، فالعمل الإسـلامي عمل شـعبي تطوعي مُحْتَسِـب، ليـس بأمر حاكم ولا قاضٍ ولا وزيـر ولا رئيس، إنَّمـا هو لله ﷻ، فالأصـل في العمل الإسلامي هو هذا، قد تقوم بعض الدوائر الرسـمية، وبعض الإدارات، وبعض الـوزارات، وبعض المصالح الحكوميَّـة، بأعمال جيِّـدة لخدمة الإسـلام، ولكن لا ينبثق عن هذا عمل إسلامي، العمل الإسلامي ينبثق انبثاقًا اختياريًّا من ضمير الإنسان المسلم، هذا هو الَّذي نريده.

(٥) ينبثق من ضمير المجتمع المسلم:

العمل الرسمي يخدم أشـخاصًا، إنَّما العمل الشـعبي يُفرز أشخاصًا يختارهم الناس، ويفرزهم المَيْدَان، ولا يتحكَّـم فيه أحد، لأن من يمول شيئًا يتحكَّم فيه، إنَّما العمل الشـعبي ينبثق من ضمير المجتمع المسلم،

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٨)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٧): إسناده حسن صحيح. عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

من الإحساس بأنَّ هناك شيئًا غائبًا، ويجب أنْ يعود هذا الغائب، وأنَّ عليه واجبًا، ويجب أنْ يقوم بهذا الواجب، من هذا الإحساس النفسي ينشأ الإقبال على العمل الإسلامي، هذا هو العمل الإسلامي الشعبي المُحْتَسِب.

وهذا العمل الإسلامي الجماعي لو لم يأمرنا به الدِّين لأوجبه علينا الواقع، فالواقع يفرض علينا هذا، فإنَّنا نجد القوى المعادية للإسلام تعمل بشكل متكتل منظم، كل القوى المعادية للإسلام، كاليهوديَّة أو الصليبيَّة أو الشيوعيَّة أو الماسونيَّة أو العلمانيَّة، كلّ القوى المعادية للإسلام لا تعمل بشكل فردي، ولا بشكل تلقائي، وإنَّما تعمل بشكلٍ جماعي، وبشكل منَظَّم مُخَطَّط، فلماذا لا نواجه القوم بمثل ما يواجهوننا به، ونعد لهم كما يعدون لنا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فإنَّ أوامر ديننا تتطلب منا أن نعتصم بحبل الله جميعًا ولا نتفرَّق، وأن نتعاون على البرِّ والتقوى، وأن نتواصى بالحقِّ والصبر.

العمل الإسلامي انتشر في المشارق والمغارب:

العمل الإسلامي قد انطلق والحمد لله منذ سنين طويلة، منذ عشرات السنين، وهو الآن قد تَمَثَّل فيما نُسَمِّيه «الصحوة الإسلاميَّة»، الَّتي انتشرت في المشارق والمغارب، وأصبحنا نراها صحوة عقول تحبُّ أنْ تقرأ عن الإسلام، وصحوة مشاعر مُتَدَفِّقة بالحبِّ للإسلام، والغَيْرة عليه، والحماس من أجله، وصحوة التزام بالعمل للإسلام سواء من الشباب أو الشابَّات، الرجال أو النساء، وصحوة دعوة إلى الإسلام، والجهاد من أجله.

وقد تمثَّلت هذه الصحوة في أعمال كبيرة، كالجهاد الأفغاني الَّذي دوَّخ أكبر دولة ملحدة في التاريخ (الاتحاد السوفيتي) عشر سنوات، وكان للجهاد الأفغاني أثره وفضله فيما حدث في الاتِّحاد السوفيتي، بعد أنْ هزم

QaradawiBooks.com

أمام هؤلاء البسطاء من الفلاحين والأميين على أرض أفغانستان المجاهدة، الصحوة الإسلاميَّة كان لها دورها في صحوة المساجد، أطفال الحجارة، الثورة الَّتي انطلقت ورياتها المصاحف، ونداءاتها: «لا إلٰه إلا الله، والله أكبر»، وشعاراتها تنطلق من المآذن والمنارات، ونشيد أطفالها: «خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد سوف يعود»، كل هذا من آثار الصحوة الإسلاميَّة.

فالصحوة الإسلاميَّة كان لها أثرها في كل الميادين، الميدان الاقتصادي، المصارف الإسلاميَّة، والمؤسسات الإسلاميَّة، وشعور الناس بوجوب التخلص من لعنة الربا الَّتي حاقت آثارها بالكثير من المسلمين، والتنادي بوجوب تحكيم الشريعة الإسلاميَّة، والعودة إلى تطبيق أحكام الله، كل ذلك كان من آثار الصحوة الإسلاميَّة. فهذا العمل الإسلامي والحمد لله حقيقة واقعة.

مخطط لضرب العمل الإسلامي وتعويق مسيرته:

العمل الإسلامي يجب أنْ يستمر وينمو ويطرد، خصوصًا في الظروف الحالية، الظروف الحالية ليست هينة في الحقيقة، بعد أنْ حدث ما حدث في المنطقة العربية والإسلاميَّة، بعد أنْ أصبحنا نواجه أمورًا جديدة، ينبغي أنْ يكون العمل الإسلامي في غاية اليقظة والحذر، وفي غاية القوة والتماسك، لأنَّ المسألة لم تعد هينة، فالقوى المعادية للإسلام تفكر منذ مدة في ضرب هذا العمل الإسلامي وتعويق مسيرته، وشغله بنفسه، المنطقة كانت مقبلة على أحداث كثيرة وآمال كبيرة، ولكن للأسف حدث ما حدث من انشغال الأُمَّة بنفسها، حتَّى ضرب بعضها بعضًا، وقتل بعضها بعضًا، نتيجة طغيان الطغاة، وظلم الظالمين، الَّذين استخدمهم أعداء الإسلام.

QaradawiBooks.com

أنا لست من أنصار التفسير التآمري للتاريخ ولا للأحداث، وكنت أعيب دائمًا على من يقول بأنَّ ما يحدث لنا إنَّما يحدث بتخطيط أجنبي، وأنَّه من عمل الصهيونية، أو من عمل الماسونيَّة. لكنَّني في المدَّة الأخيرة، تأكَّدت أنَّ هناك مخططًا جهنميًّا خُطِّط لنا، واستخدم فيه من استخدم، لكي تضرب المنطقة هذه الضربات الهائلة، وتدمر بأموال أهلها، ثم تعمر ثانية بأموال أهلها أيضًا، ويضرب الأُمَّة بعضها بعضًا، وتُمَزَّق شرَّ مُمَزَّق.

ولا يقف هذا التمزُّق عند الأنظمة الحاكمة بعضها وبعض، بل حتَّى الشعوب أصبح يكره بعضها بعضًا. وهذه مشكلة كبيرة جدًّا، ولا ندري ماذا يراد لنا بعد ذلك، فالقوم يفكرون لنا تفكيرًا له فلسفته المُعَيَّنة، وله أساليبه، وله خبراؤه، وله خططه ومخططوه، فينبغي أن نكون واعين.

الغرب درس نتائج الحروب الصليبيَّة:

ليس عذرًا لنا أن نقول: هذه مخططات جهنمية! لماذا يخطط أعداؤنا لنا ولا نخطط نحن لأنفسنا؟ إلى متى نظل ضحايا تخطيط الآخرين؟ لماذا لا يجتمع أهل الرأي فينا ليبحثوا ويدرسوا الواقع، ويدرسوا أسباب المآسي الَّتي حدثت، ومن السبب فيها؟ ويأخذوا من يومهم لغدهم، ومن حاضرهم لمستقبلهم.

الغرب بعد الحروب الصليبيَّة، ظلَّ يدرس نتائج هذه الحروب، وسبب اندحاره بعد حملاته التسع، وبعد أنْ أقام في أرض الإسلام ممالك وإمارات، وبعد أنْ ظل في بيت المقدس تسعين عامًا، وبعد أنْ دحر وهزم ورد على أعقابه بفضل الله، على يد القادة المسلمين: عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، درس الغرب نتائج هذه الحروب، وخرج بنتائج وسجلها، وأنَّه ينبغي أنْ يُغَيِّر الخطَّة،

QaradawiBooks.com

وأنْ يغير الأسلوب، فكان هذا ما ظهر أثره بعد الاستعمار الغربي، الَّذي جاء أخيرًا بطريقة أخرى.

مآسٍ كبيرة حلَّت بالأُمَّة:

للأسف يحدث في تاريخنا أحداث هائلة، ولا يجلس بعضنا إلى بعض، لندرس ما حدث ونستخرج منه العظة والعبرة، مأساة كمأساة الخليج هذه، والتي يسمونها أزمة الخليج! أكل هذه المصائب أزمة؟! المصائب الَّتي حلَّت نُسَمِّيها أزمة؟ مصائب كبرى ـ كمصيبة سنة ١٩٦٧م ـ ويُسَمُّونها نكسة!

إسرائيل فعلت ما فعلت، وكان الطريق مفتوحًا أمامها للوصول إلى القاهرة، وللوصول إلى دمشق لو أرادت، ومع كل هذا يُسمُّونها نكسة!؟ والآن يُسَمُّون مأساة الخليج أزمة، المصائب الَّتي حلَّت، والأعراض الَّتي هتكت، والحرمات الَّتي انتهكت، والدماء الَّتي سفكت، والأموال الَّتي نهبت، والمباني الَّتي دمرت، وما حدث من ضياع الأموال والعيال والناس، وكل هذا الخراب المادِّي والمعنوي، ويُسَمُّونها أزمة الخليج!

قل هو من عند أنفسكم:

كل هذه المآسي والمصائب الكبيرة الَّتي حدثت، جديرة بأنْ يبحث الناس ما الَّذي أدى إليها، لقد كان الواحد من السلف إذا حرنت عليه دابته، أو عبست زوجته في وجهه، يقول معاتبا نفسه: لا بدَّ أن هذا حدث بسبب معصية فعلتها، لعلي ارتكبت معصية، فعن الفضيل بن عياض: إنِّي لأعصي الله، فأعرف ذلك في خلق دابَّتي وجاريتي[1]. فهذا لا يأتي

(١) انظر: صيد الخاطر صـ٣١، تحقيق حسن المساحي سويدان، نشر دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

إلَّا من شؤم المعصية، ثم يذكر قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

من فضل الله تعالى أنَّه لا يحاسب على كلِّ معصية، بل يعفو عن كثير، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل: ٦١]، وكما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، لا يذيقهم كل ما عملوا؛ بل يذيقهم بعض الَّذي عملوا، ولماذا يذيقهم بعض ما عملوا؟ قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وليس هذا انتقامًا من الله، ولكنَّه تنبيه للغافل، وتعليم للجاهل، وتذكير للناسي، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، هكذا كان السلف يقولون حينما يصابون، ولو بالشيء البسيط، يقولون: هذا بشؤم المعصية، فالله تعالى يقول: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

لما أصاب المسلمين في أحد ما أصابهم، تساءلوا عن سبب ما حدث، وكيف حدث، ولماذا حدث؟! انتصرنا في بدر ونحن أقل عددًا وأضعف عددًا! قتلنا سبعين، وأسرنا سبعين من صناديد قريش وفراعنة الكفر وأئمة الضلال، فما الَّذي حدث حتَّى استشهد منا سبعون؟! فقال القرآن: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾، ارجعوا باللائمة على أنفسكم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

QaradawiBooks.com

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والله ما كنت أعرف أنَّ فينا من يريد الدنيا حتَّى نزلت هذه الآية[1]. كان يظنُّ رضي الله عنه أنَّ الجميع مبرَّأ من كلِّ شيء، لكن هذه لحظات ضعف لا تستمر عند المؤمنين، ولذلك قال القرآن: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

حتَّى لا تتكرَّر المأساة:

يجب أنْ نستحضر حجم المأساة الَّتي حلت بالأُمَّة، وأنْ نقف على دراسة هذه الأزمة، ودراسة أسبابها ونتائجها، حتَّى لا تتكرر المأساة، إذا ظلت أسبابها قائمة، ويصنع الناس طاغية جديدًا كالطاغية القديم، فالناس هم الَّذين يصنعون الفراعنة بأنفسهم، كما قيل في المثل: «يا فرعون من فرعنك؟ قال: ما وجدت أحدا يردني». يقول الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

لعن الله الفراعنة، ولعن أتباعهم، فقال عن قوم عاد: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠].

وقال عن قوم فرعون: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩]، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠]، فقد نصنع فراعنة من جديد إذا استمررنا في الطريق.

(١) سبق تخريجه صـ٤٠٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا بدَّ من الدراسة الهادئة:

لا بدَّ للأُمَّة أنْ تدرس أحداثها خاصة بعد الهدوء، يمكن في فترة الانفعال وثورة الغضب لا تستطيع أنْ تصل إلى حكم صحيح، كما جاء في الحديث: «**لا يقْضِي القاضي بين اثنين وهو غضبانُ**»[1]. لأنَّ القاضي إذا قضى وهو غضبان، سيؤثر الغضب والانفعال على حسن إدراكه وتقديره للأمر، إنَّما يجب أنْ يهدأ تمامًا ثم يحكم، وقاس الفقهاء على ذلك كل انفعال، كأنْ يكون القاضي جائعًا أو حزينًا أو غير ذلك.

فيجب على الأُمَّة أنْ تدرس هذه الأحداث بعد أنْ يهدأ انفعالها، لتعرف ما الَّذي حدث، ولماذا حدث؟! فتستفيد من هذا الدرس، وإنه لدرس بليغ قاسٍ جدًّا، وثمنه كبير، وسيؤثر في منطقتنا وأمتنا بصفة عامة إلى وقت طويل، وسيدفع ثمنه بعض الأجيال القادمة.

فهل حاولت الأُمَّة أنْ تدرس وتستفيد؟ وهل حاول الناس أنْ يكون يومهم خيرًا من أمسهم، وأنْ يكون غدهم خيرًا من يومهم؟ وأنْ يقولوا كما علَّمنا القرآن: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٣]، هل حدثت مراجعة؟ هل حدث ما يُسمّى في عصرنا «النقد الذاتي»؟ أو ما يُسمّى في الاصطلاح الإسلامي «محاسبة النفس»؟

من المسؤول عما حدث؟

ينبغي للأُمَّة أنْ تحاسِب نفسها قبل أنْ تحاسَب، وأنْ تزن أعمالها قبل أنْ توزن عليها، وأنْ تسأل نفسها قبل أنْ يصير السؤال إلى غيرها. على

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٨)، ومسلم في الأقضية (١٧١٧)، عن أبي بكرة. بلفظ: «لا يقضين حكم...».

QaradawiBooks.com

كل أفرادها، وخصوصًا أهل الرأي والفكر، وأهل القيادة، وأهل المسؤوليَّة على كل مستوى: المستوى الفكري، والمستوى السياسي، والمستوى الاجتماعي، والمستوى الاقتصادي.

الأُمَّة كلُّها مسؤولة، الناس عادة يحاول كل منهم أنْ يلقي المسؤوليَّة على غيره، فالعامة يلقون المسؤوليَّة على العلماء، والعلماء يلقون المسؤوليَّة على الحكام، والحكام يلقون المسؤوليَّة على الاستعمار، وكل واحد يحاول أنْ يهرب من المسؤوليَّة، وأنْ يلقي وزرها على غيره، ولكن الواقع أنَّ الجميع مسؤول، فالمسؤوليَّة مشتركة، كما جاء في الحديث المتَّفق عليه، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ: «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته: الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيَّتها، والخادم راعٍ في مال سيِّدِه ومسؤولٌ عن رعيَّته، ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته**»[1]. فالكلُّ مسؤول.

من المستفيد من خسائرنا؟

نحن في فترة في غاية من الخطورة، إذا لم ننتبه يمكن أن نضيع، لا شكَّ أنَّ الَّذي ربح واستفاد مما حدث من خسائرنا كلها هو إسرائيل، إسرائيل هي الكاسب الأكبر، وهي الرابح الأعظم من وراء هذا كله، وهي الآن تتكلم بلغة التعاظم، الكل يحاول أنْ يتنازل وهي تتصلب وتتشدد، تتكلم من منطق القوة، تريد السلام ولا تريد أنْ تترك شبرًا من الأرض.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩).

QaradawiBooks.com

إسرائيل هي المستفيدة، فمن حقها أنْ تتعجرف وتتعالى، وتتكلم بهذه اللغة، ما دمنا نحن متفرقين بهذه الطريقة، لا يمكن أنْ تقوم لنا قائمة إلا إذا تكاتفنا، ونسي الجميع ذواتهم، ونسوا المصالح الآنية، والمصالح المحلية، والمصالح الصغيرة، أمام القضايا الكبيرة.

قضايا الأُمَّة لا يجوز التخلي عنها:

هناك قضايا كبيرة، لا تظنوا أنَّ قضية المسجد الأقصى وقضية فلسطين هي قضية الفلسطينيين وحدهم، بحيث إذا غضبنا من الفلسطينيين نتخلى عن فلسطين، ونقول: لا تساعدوا الفلسطينيين. كما غضب بعض الناس على الأفغانيين، فقال: إياكم أنْ تساعدوا الأفغان. ما هذا الهوس؟! ما هذا الخبل في التفكير؟ هذه قضايا الأُمَّة، ليست قضايا فرد ولا قطر!

كثيرًا ما قلت: لو أنَّ الفلسطينيين أنفسهم تخلوا عن أرضهم، وتخلوا عن قضيتهم، لوجب أنْ نتبنَّاها نحن، ونقاتل من أجل الأرض؛ لأنَّها ليست أرضهم وحدهم، ولا أرض العرب فقط، وإنَّما هي أرض المسلمين جميعًا، أرض الأُمَّة الإسلاميَّة، أرض الأجيال الإسلاميَّة السابقة واللاحقة إلى أن تقوم القيامة، لا يمكن أبدًا أن نفرط في هذه الأرض.

من الخطأ النظرة الجزئية الآنية الضيقة إلى هذه القضايا، لذلك ينبغي أنْ يقف الجميع صفًّا واحدًا أمام العجرفة الإسرائيلية. يمكن للسياسيين أنْ يلعبوا لعبتهم السياسية عن طريق المفاوضات، والمجاهدون يجاهدون، هذا يقبل، وهذا يرفض، وهذا يعارض، والأُمَّة القوية تستفيد من هذا كله، الأُمَّة في حاجة إلى أنْ تعي واجبها في هذه الظروف القاسية.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ من معركة مع اليهود:

أنا شخصيًّا موقن أنَّه لا بدَّ من معركة مع اليهود. متى ستكون؟ الله أعلم، ستكون بيننا وبينهم معركة أشار إليها الحديث النبوي: «**لا تقوم الساعة حتَّى تُقاتلوا اليهود، فيقتلهم المسلمون، فيقول الحجرُ والشجر: يا عبدَ الله ـ** أو يا مسلمُ ـ **هذا يهوديٌّ ورائي فتعالَ فاقتُلْه**»[1]. هل يقول الحجر والشجر هذا بلسان الحال، أو بلسان المقال؟ هذا ممكن، وذاك ممكن، المهم أنَّ كلَّ شيء سيكون حينها مع المسلمين، يدلُّهم على عدوهم، والدلالة في اللغة كلام.

وقد ينطق الله الحجر والشجر كرامة للمسلمين، وخصوصًا هؤلاء المشار إليهم في الحديث، الَّذين يدخلون المعركة تحت شعار العبودية لله، وتحت راية الإسلام، لا تحت راية قومية، لا إقليمية ولا عصبية، ولذلك الحجر والشجر يقول: «**يا عبدَ الله** ـ يا مسلمُ ـ **هذا يهوديٌّ ورائي فتعالَ فاقتُلْه**».

لا يقول: يا فلسطينيُّ، أو يا أردنيُّ، أو يا سوريُّ، أو يا مصريُّ. ولا يقول: يا عربي. وإنَّما يقول: يا عبد الله، لا عبد الشهوات، ولا عبد الأهواء، ولا عبد المبادئ الهدامة. وإنَّما يا عبد الله، يا مسلم.

هذه هي الطائفة المنصورة، الَّتي أشار الحديث إلى ملامحها، يقول رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي قائمةً بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتَّى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»[2].

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٦.

(٢) سبق تخريجه صـ١٧٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نحن نعتقد هـذا، فليفاوض من يفاوض، وليكسب من اليهود من يكسب، وليطالب هذا بالجهاد، وهذا بغيره؛ فمثل هذه القضايا الخطيرة لا بدَّ أنْ تختلف فيها الآراء، لا يمكن أنْ يجتمع الناس على رأي واحد، لا سيما في مثل هذه القضايا ذات الأوجه المُتَعَدِّدة، وحمل الناس على رأي واحد سذاجة؛ فالإسلام فتح باب الاجتهاد في القضايا الَّتي تختلف فيها وجهات النظر، حتَّى في أمور الدين، فكيف بالأمور الَّتي تتصل بالسياسات الشرعيَّة وغير الشرعيَّة، والقضايا من هذا النوع فيها أخذٌ وردٌّ، وجذب وشدٌّ، وكرٌّ وفرٌّ، لا بدَّ فيها من اختلاف الأنظار، وينبغي أنْ تتسع صدورنا للآراء المختلفة، دون أنْ يتَّهم بعضنا بعضًا بالخيانة، أو بالردَّة أو بالكفر.

سقوط الشيوعيَّة وضياع حتميات ماركس وتنبُّؤاته:

المرحلة الَّتي نمرُّ بها مرحلة خطيرة، ويمكن ـ إذا أحسنَّا الاستفادة منها، وأحسنا أخذ العبرة منها ـ أنْ تكون لصالح الإسلام، ولصالح الأُمَّة الإسلاميَّة، وخصوصًا بعد أن انكشف زيف تلك المبادئ الهدامة، الَّتي فتنت الكثيرين من أبناء المسلمين مدة غير قليلة من الزمن، الشيوعيَّة كانت تزعم أنَّها سترث الأديان، فالأديان كلها ستنهزم وتنتصر هي، وتصبح هي الوارثة للإسلام والمَسيحيَّة، وكل دين، كانت حتميات ماركس وتنبؤاته تقول هذا، ولكن ذهبت كل تنبؤات ماركس أدراج الرياح، وضاعت حتمياته سدى، وسقطت الشيوعيَّة.

لقد كان الناس يتوقعون سقوط الشيوعيَّة، كثير من الفلاسفة كانوا يتوقعون أنَّ الشيوعيَّة لن تعمر طويلًا، ولكن ما كان أحد يتوقع أنْ تنهار

QaradawiBooks.com

بهذه السرعة، كعقد انفرط وسقطت حباته وتناثرت هنا وهناك بسرعة، أوربا الشرقية، والاتحاد السوفيتي نفسه، ثم ألبانيا، وهكذا سقطت الشيوعيَّة، وهذا كله يفتح الطريق أمام الإسلام.

سفينة الإنقاذ للبشريَّة:

الإسلام هو الدين القادر على أنْ يكون سفينة الإنقاذ للبشريَّة المهددة بالغرق نتيجة المادِّيَّة الجارفة، الَّتي يشكو الناس منها في الغرب، ويحسون معها بالفراغ الروحي، وضياع الإنسان في هذه الحضارة؛ فهذه الحضارة استطاع الإنسان فيها أنْ يصل إلى القمر، ولكنَّه لم يستطع أنْ يسعد نفسه على ظهر الأرض، استطاع أنْ يحلق في الهواء كالطير، وأنْ يسبح في الماء كالسمك، ولكنَّه لم يستطع أنْ يسعد على ظهر الأرض كإنسان، هذه الحضارة هيأت للإنسان المتعة والرفاهية، ولكنَّها لم تهيئ له السكينة الَّتي هي سر السعادة.

السعادة لا تستجلب من الخارج، وإنَّما تنبع من الداخل، لأنَّ أساس السعادة هو هذا الاطمئنان، هو هذا اليقين، الَّذي لا يأتي إلا من طريق الإيمان: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

بشائر بظهور الإسلام على كل الأديان:

نحن نوقن أنَّ للإسلام دوره في المستقبل، وعندنا البشائر بهذا، عندنا بشائر من القرآن، وعندنا بشائر من السُّنَّة، وبشائر من التاريخ، وبشائر من الواقع.

QaradawiBooks.com

بشائر من القرآن:

القرآن بشر بظهور الإسلام على كل الأديان، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وهذا الوعد بظهور الإسلام تكرر في ثلاث سور من القرآن الكريم، في سورة التوبة، وفي سورة الفتح، وفي سورة الصف: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣، والفتح: ٢٨، والصف: ٩].

صحيح أنَّ الإسلام انتصر قديمًا، ولكنَّه لم يظهر على كل الأديان، انتصر على اليهوديَّة، وانتصر على النصرانية، ولكن بقيت أديان كالبوذية والكنفوشيوسية والهندوسية والوثنية، ولكن سيأتي يوم ينتصر الإسلام عليها وعلى كل دين، هذا ما بشر به القرآن، حيث قال الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، [التوبة: ٣٢]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًا﴾ [النور: ٥٥]. البشائر القرآنية كثيرة.

بشائر من السُّنَّة:

والبشائر النبويَّة كثيرة أيضًا، فالأحاديث الَّتي تبشر بانتصار الإسلام وظهوره على جميع الأديان كثيرة، كحديث: «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الدِّين ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، إلَّا أدخله الله بعزِّ عزيزٍ أو بذُلِّ ذليل، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلام، أو ذلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكفر**»[1]. أي أنَّ

(١) سبق تخريجه صـ ١٨٤.

QaradawiBooks.com

الإسلام سيعم الكرة الأرضية كلَّها، قال سيِّدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سُئل أي المدينتين تفتح أولًا، قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أوَّلًا**» يعني: القسطنطينية[1].

وقول الصحابة للنبيِّ ﷺ: «**أيُّ المدينتَيْن تُفتح أوَّلًا، قسطنطينيَّة أو روميَّة؟**». يدلُّ على أنَّ الصحابة كانوا قد سمعوا من النبيِّ ﷺ ما يدلُّ على أنَّ كلتا المدينتين ستُفتح، ولكن أيهما سيُفتح أولًا، فقال ﷺ: «**مدينة هرقل تُفْتَح أوَّلًا**». ومدينة هرقل هي القسطنطينية، أو إستانبول، ورومية هي «روما».

وقد فُتحت مدينة هرقل والحمد لله، فتحها ذلك الشاب العثماني، ابن الثالثة والعشرين محمد بن مراد، المشهور في التاريخ باسم «محمد الفاتح»، فقد كان هذا الشاب يفكر ـ وهو في العشرين من عمره ـ أنْ يفتح القسطنطينية، عندما قرأ في كتب السنة ما رواه الحاكم في المستدرك وغيره، أنَّ النبي ﷺ قال: «**لتُفْتَحَنَّ القسطنطينيَّة، فلنعمَ الأميرُ أميرها، ولنعم الجيشُ ذلك الجيش**»[2]. عند ذلك تاقت نفسه، واشتاق أنْ يكون هو الموعود بهذا، وتمنى أنْ يكون هو ذلك الأمير، وجيشه هو ذلك الجيش، وفعلًا خطَّط الشاب ودبَّر، وهيَّأ الله له فتح القسطنطينية، وفتحها سنة ألف وأربعمائة وثلاث وخمسين ميلادية (١٤٥٣م)، من يزور إستانبول ويذهب إلى جامع الفاتح هناك، يجد هذا الحديث مكتوبًا هناك

(١) سبق تخريجه صـ ١٨٤.

(٢) رواه الحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وأحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

QaradawiBooks.com

على باب المسجد الكبير: «**لتُفتحن القسطنطينيَّة، فلنِعْمَ الأميرُ أميرها، ولنِعْمَ الجيشُ ذلك الجيش**». فتحت القسطنطينيَّة، فبقي إذنْ أن تُفتح روميَّة (روما، إيطاليا، أوربا)، ومعنى هذا أنَّ الإسلام سيعود إلى أوربا مرة أخرى، هذا ما تبشر به الأحاديث النبويَّة.

وإن كان ممَّا يؤسف له، أنَّ كثيرًا من المسلمين يجهلون هذه البشائر، أو يتجاهلونها، ولا يظهرون إلا الأحاديث الَّتي يفهمون أنَّها توحي باليأس والقنوط، وأنَّ الإسلام قد أفل نجمه، وغربت شمسه، كحديث: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»[(١)].

أو كحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «**اصبروا، فإنَّه لا يأتي عليكم زمان إلَّا والَّذي بعده شرٌّ منه، حتَّى تلقوا ربَّكم**» سمعته من نبيِّكم ﷺ[(٢)].

أو أحاديث الفتن والملاحم، وأشراط الساعة وآخر الزمان، الَّتي يفهمون منها أنَّ الإسلام قد انتهى دوره، ولم تبقَ له مهمة، ولن ترتفع له راية، ويتجاهلون المبشرات بانتصار الإسلام وظهوره على الدين كله، وهي كثيرة في القرآن والسُّنَّة.

بشائر من التاريخ:

ومُبَشِّرات كذلك من التاريخ، فقد أثبت التاريخ أنَّ الإسلام أشد ما يكون قوَّة، وأصلب ما يكون عودًا في الأزمات والملمات، فالأزمات هي الَّتي تظهر قوَّة الإسلام وصلابته، وقد ظهرت قوَّة الإسلام وصلابته أيام حرب الردَّة، وأيام غزو التتار لبغداد، فقد غزا التتار بغداد سنة

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٥٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٨).

QaradawiBooks.com

ستمائة وستَّة وخمسين من الهجرة (٦٥٦هـ)، وأسقطوا الخلافة العبَّاسيَّة، ودمَّروا الحضارة الإسلاميَّة.

وسنة ستمائة وثمان وخمسين من الهجرة (٦٥٨هـ)، أي بعد مرور سنتين فقط من سقوط بغداد، استعاد المسلمون ثقتهم بأنفسهم، وهزموا التتار هزيمة منكرة في موقعة حاسمة من مواقع التاريخ، عرفت بموقعة «عين جالوت»، وذلك على أيدي الجيش المصري، بقيادة المُظَفَّر سيف الدين قطز. استعاد المسلمون ثقتهم، وانتصروا انتصارًا حاسمًا.

وهكذا ظهرت قوَّة الإسلام في ذلك الوقت، ظهرت أمام الزحف التتري من الشرق، والزحف الصليبي من الغرب، وقد أظهر التاريخ أنَّه كان بين الطرفين نوع من التآمر الخفيِّ، خفي على كثيرٍ من المسلمين، لكن أثبت البحث التاريخي بعد ذلك أنَّه كان بين التتار والصليبيِّين صلات، فبعض التتار كان مُتَزَوِّجًا من نساء نصرانيَّات، وكان بينهم مراسلات. ولكن الإسلام استطاع أنْ يجند أجناده من جديد، لينتصر على هؤلاء، ففي الإسلام قوَّة ذاتيَّة تظهر جليَّة واضحة وقت الشدائد.

بشائر من الواقع:

والواقع يبشر بظهور الإسلام، وضرورة القيام بحل مشكلات العالم، فالبشريَّة في حاجة إلى طوق للنجاة، في حاجة إلى من ينقذها من المادِّيَّة الَّتي تهدد العالم، فمن الَّذي يقوم بدور المنقذ؟! لا تستطيع المسيحيَّة أنْ تقوم بهذا الدور، ليس عندها الرسالة القادرة على هذا، فالناس في حاجة إلى رسالة تعطيهم الآخرة ولا تحرمهم الدنيا، وتعطيهم الإيمان ولا تسلبهم العلم، وتعطيهم الرُّوحانيَّة ولكنَّها لا تعزلهم عن المادِّيَّة، وتعطيهم المستقبل ولكنَّها تحييهم في الحاضر، وهذه الرسالة المتوازنة

QaradawiBooks.com

هي رسالة الإسلام. لا توجد رسالة فيها هذا التوازن إلَّا رسالة الإسلام، الرسالة الإسلاميَّة هي الرسالة الوسط للأمَّة الوسط، فالمَسيحيَّة عاجزة تمامًا عن هذا، واليهوديَّة أشدُّ عجزًا، فليست اليهوديَّة دعوة بطبيعتها قابلة للانتشار، بل هي دعوة عنصرية، والماركسيَّة قد انتهت، والوثنيَّة وعباد الأصنام والبقر لا يمكنهم أنْ ينقذوا العالم، لم يبقَ إلَّا الإسلام، المنقذ الوحيد للبشريَّة ممَّا تعانيه.

من المسؤول عن عدم انتشار الإسلام؟

المسلمون مطالبون أنْ يقدموا صورة طيِّبة عن الإسلام، لينقذوا به العالم ممَّا يُهَدِّده، لا بدَّ أنْ يقدموا صورة طيِّبة للإسلام في أرضه، فإنَّ المسلمين هم الحجاب الحاجز عن رؤية الإسلام الحقيقي، فهم المسؤولون عن عدم انتشار الإسلام، لأنَّهم لم يطبقوه في أرضهم.

الناس يقولون: لماذا لا نرى الإسلام كما نراه في الكتب؟ المسلمون يقولون: إنَّ الإسلام دين القوة، فلماذا نراهم ضعفاء؟! ودين العلم، فلماذا نراهم جهلاء؟! ودين الأخوة، فلماذا نراهم متعادين؟! ودين الوحدة، فلماذا نراهم متفرقين؟! وهكذا يقولون. فنحن ـ المسلمين ـ بهذا الوضع صورة سيئة للإسلام.

الإسلام انتشر قديمًا بالقدوة والأسوة الحسنة، بالإنسان المؤمن، بالإنسان الأخلاقي، بالفرد الصالح، والمجتمع الصالح، ولذلك نحن في حاجة إلى أنْ نعود إلى الإسلام من جديد، حتَّى يرى الناس الإسلام مطبقًا في مجتمع صالح، وهذا يبدأ بتكوين الفرد الصالح، بتكوين الجماعة الصالحة، والشعب الصالح؛ وصولًا إلى الدولة الصالحة، إلى الأُمَّة الصالحة الكبرى، الَّتي تجمعها راية الخلافة.

QaradawiBooks.com

تكوين الفرد الصالح:

نبدأ بتكوين هذا الفرد الصالح في نفسه المصلح لغيره، الَّذي تكون تكوينًا إسلاميًّا متكاملًا، تكون عقله بالثقافة، تكونت روحه بالعبادة، تكون جسمه بالرياضة، تكون من كل ناحية من النواحي، هذه هي الشخصية الإسلاميَّة، والعقلية الإسلاميَّة، والنفسية الإسلاميَّة، والروح الإسلاميَّة، هذا ما نريده في الإنسان المسلم، وهذا ما تقوم عليه مثل هذه الجمعيَّات والمؤسسات.

عملنا أن نهيئ هذا الإنسان المؤمن الموصول بالله، فالله تبارك وتعالى حينما خاطب نبيه محمدًا ﷺ قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]، ﴿أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، يعني لا نصر بغير المؤمنين، فالملائكة لا تنزل إلا على المؤمنين المستحقين للنصر، كما نزلت في بدر، ونزلت في حنين، ونزلت في الخندق، فهي لا تنزل إلا على الَّذين آمنوا، كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [الأحزاب: ٩]، ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الأنفال: ١٢]، لا بدَّ أنْ يوجد الَّذين آمنوا حتَّى يستحقوا نزول الملائكة، تشد أزرهم، وتكثر سوادهم، لا بدَّ أن نعمل على وجود الَّذين آمنوا، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]، ولا بدَّ أنْ يكون المؤمنون مؤتلفين مترابطين، لا مبعثرين، ولا ممزقين، هذا ما ينبغي أنْ نسعى إليه، ونحرص عليه.

وفي الختام:

أيها الإخوة، هذه خواطر مرسلة، ألقيتها إليكم دون إعداد ولا تهيئة، ولكنَّها خواطر نفس تعيش في هذه الأيام، تنظر إلى حال المسلمين،

QaradawiBooks.com

فيتفتت الكبد لما تــراه من هذه الأحوال، ونرجــو أنْ تكون هذه الأحوال درسًا لنا، نستفيد منه، فالأمم الصالحة تستفيد من المحن والشدائد، لتصبح الشــدائد ـ رغم ما فيها ـ منفعة، كما جرى للمسلمين في غزوة أحد، رغم أنَّهم أصابهم فيها ما أصابهم، فكانت خيرًا لهم ومنفعة، كما قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، فكانت تمحيصًا، وتطهيرًا، وتمييزًا للخبيث من الطيب.

نسأل الله تبارك وتعالى أنْ يعيننا على أن نتجاوز ما أصابنا في تلك الفترة، وأن نستفيد من هذه المحنة، وأن نعمل على أنْ يكون يوم أمتنا الإسلاميَّة خيرًا من أمسها، وأنْ يكون غدها خيرًا من يومها، ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٤، ٥]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

وصلِّ اللهمَّ وسلم وبارك على سيِّدنا ونبيِّنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

نسخة مجانية

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

غير مرخصة للطباعة

الفوائد البنكيَّة وشبهات حول معاملات المؤسسات الإسلاميَّة:

السؤال: مجموعة من الأسئلة يستفسر أصحابها عن فوائد البنوك وشهادات الاستثمار، وهل هي من الربا، خاصة وأنَّ هناك من قال بحل هذه الفوائد والشهادات؟ وعن معاملات بعض المؤسسات الإسلاميَّة، وما يثار حولها من شبهات؟

الجواب: لقد كتبت في موضوع الفوائد البنكية، وبيَّنت أنَّها الربا المحرم، يوم أنْ أثير كلام حول شهادات الاستثمار، وأصدرت في هذا كتابًا اسمه «فوائد البنوك هي الربا الحرام»، وأنا لا أقول هذا من عند نفسي، بل هذا ما أجمعت عليه المجامع العلمية الإسلاميَّة، كمجمع البحوث الإسلاميَّة في الأزهر الشريف في القاهرة، ومجمع الفقه لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ومجمع الفقه الإسلامي العالمي في جدة، والمؤتمرات العالمية للاقتصاد الإسلامي، وللفقه الإسلامي، وللدعوة الإسلاميَّة، ومؤتمرات المصارف الإسلاميَّة المختلفة، كل هذه المجامع الفقهية والمؤتمرات الإجماعيَّة أجمعت على أنَّ الفوائد البنكية هي الربا المحرم شرعا، فهذا إجماع، وهذا الإجماع لا ينسخه إلا إجماع مثله.

أمَّا أنْ يأتي أحد بفتوى يخالف فيها هذا الإجماع، فكلامه لا وزن له، إنَّه لا يمكنه أنْ يقاوم أفراد العلماء، أمثال الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ حسن مأمون، فكيف يقاوم المجامع الفقهية والمؤتمرات الإجماعيَّة!؟ هذا كلام لا وزن له.

QaradawiBooks.com

نحن كنا أغلقنا ملف الربا: حرام أم حلال في أوائل هذا القرن، ورد على ذلك، وألفت كتب، وسلم الناس أنَّه حرام، وطالبوا بوجود بديل، وقام البديل بالفعل، وقامت البنوك الإسلاميَّة، وانتشرت وتكاثرت، والحمد لله.

ثم بعد هذا عاد الناس من جديد، وفتحوا ملف الربا مرة أخرى، وأثار بعضهم شبهات حول البنوك الإسلاميَّة، وهذه البنوك الإسلاميَّة قامت على أساس إسلامي، وقوانين إنشائها ونظمها الأساسيَّة تفرض عليها ألا تتعامل بما يخالف الشريعة الإسلاميَّة، فأصبح هناك مسؤوليَّة على مجلس الإدارة، وعلى الإدارة التنفيذية، وعلى هيئة الرقابة الشرعيَّة المكونة من العلماء، للقيام على تنفيذ هذه العملية، وهذه الإدارة مسؤولة أمام الله عن الحلال والحرام في العمليات البنكية.

ثم إنَّ أغلب حملات التشكيك هذه حملات مغرضة، وراءها البنوك الربوية، ووراءها القوى المعادية للإسلام، الَّتي لا تريد أنْ يقوم شيء إسلامي ناجح، فهي تريد ضرب التحرك الإسلامي، تريد ضرب الدعوة الإسلاميَّة، وضرب الصحوة الإسلاميَّة، أعداء الإسلام كانوا يقولون: احذروا الإسلاميين المتطرفين المتشددين الَّذين يحرمون كل شيء. أمَّا اليوم فيقولون: احذروا الإسلاميين المعتدلين، احذروا الإسلام المعتدل. لأنَّهم وجدوا أنَّ المتطرفين أقصر عمرًا، لم يستمروا طويلًا، وهذا شأن التطرُّف دائمًا، كما قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الدين يسر، ولن يشادَّ الدِّين أحد إلَّا غلبه**»[1]. فالاعتدال هو القاعدة الأوسع انتشارًا، والأرسخ قدمًا، والأطول عمرًا، والأعمق أثرًا.

(١) رواه البخاري (٣٩)، والنسائي (٥٠٣٤)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

إنَّ الإعلام الغربي يحاول بكل طاقاته تشويه صورة الصحوة الإسلاميَّة، وأنْ يخوف الناس منها، وخاصة المسؤولين والحكام، فيوحي إليهم: أن احذروا الإسلاميين، احذروا الأصوليين، احذروا الشباب المسلم المعتدل. مع أن هذا النوع من الشباب المسلم الملتزم المعتدل، هو حبل النجاة لهذه الأُمَّة، وهو الَّذي يقوم بنهضتها، وهو محور المستقبل لها، لذلك علينا نحن ـ المسلمين ـ أن نحذر من التشكيك بكل ما هو إسلامي، أن نحذر التشكيك بكل صوره، وأن نكون أوعى من ذلك.

الاقتراض من البنوك الربويَّة:

السؤال: هل يجوز الاقتراض من البنوك الربويَّة لأجل البناء، حيث إنَّ بعض الزملاء اقترح عليَّ أن أقترض لبناء بيتي من البنك الربوي؛ لأجل الضرورة، فما هي الضرورة؟ وما ضوابطها؟

الجواب: مثل هذه الأسئلة تكون نتيجة غياب الأحكام الشرعيَّة عن التطبيق، ونتيجة هذا لا بدَّ أنْ يجد الفرد المسلم نفسه في مأزق، وتلك هي محنة الفرد المسلم في المجتمع المسلم، الَّذي لا يلتزم بكل أحكام الإسلام، فلا بدَّ أنْ يحصل نوع من التناقض بين ضمير المسلم، وبين الواقع الَّذي يعيشه، يمشي في الشارع فيجد المرأة المتبرجة، أو ينزل الفندق فيجد الخمر وغيره من المحرمات، وهكذا يعاني الفرد المسلم في المجتمع الَّذي لا يطبق كل أحكام الإسلام.

كذلك موضوع الربا، فهنا المسلم عليه أنْ يتحرى الحلال قدر الإمكان، وأنْ يبتعد عن الحرام، إلا لضرورة أو حاجة، لأنَّ العلماء يقولون: الحاجة تنزل منزلة الضرورة، خاصة كانت أو عامة. مثل الحاجة

QaradawiBooks.com

إلى البناء السكني، وليس أي بناء، فقد قال لي مرة بعض الناس: يا شيخ، أنا مضطر للاقتراض من البنك الربوي!

فقلت له: لماذا أنت مضطر؟

فقال: لأنِّي بنيت عمارة من سبعة عشر طابقًا، وأنهيت منها اثني عشر طابقًا، وبقيت خمسة طوابق بدون تشطيب، فأنا مضطر، وهذه ضرورة. ففسر الضرورة على هواه.

لا شكَّ أنَّ السكن الشخصي حاجة من الحاجات الأساسيَّة للإنسان، بل ربما كان ضرورة من الضروريات، كأن تكون الإيجارات مرتفعة جدًّا، أو لا يجد الشخص السكن الَّذي يؤجره، ففي هذه الحالة يجوز أنْ يقترض بالفائدة؛ لأنَّه مضطر، وليس عنده ما يدفعه، وليس عنده شيء يمكنه بيعه والاستغناء عنه، ولم يجد من يقرضه بغير الفائدة، فله في هذه الحالة أنْ يقترض بالفائدة، وفقا للقاعدة الأصولية: «الضرورات تبيح المحظورات». وهذه القاعدة مأخوذة من قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وهذه القاعدة تكملها قاعدة أخرى هي «ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها». فيقترض ويعطي الفائدة، والدولة تتحمل الإثم أمام الله ﷻ.

وهناك فرق بين أخذ الربا وبين إعطائه، أخذ الربا وأكله لا يجوز أبدًا بحال، لا يحل لإنسان أنْ يعطي مالا ويأخذ عليه ربا، فهذا أكل للربا، أمَّا إعطاء الربا فيجوز للضرورة كما قلنا.

وبناء على ذلك لا يجوز للناس أنْ يتوسعوا في معنى الضرورة، فإذا احتاج الشخص لألف، لا يجوز له أنْ يأخذ ألفين، أو احتاج لألفين،

QaradawiBooks.com

لا يجوز له أنْ يقترض ثلاثة، وإنَّما يأخذ ما أبيح فقط بسبب الضرورة، هذا ما أراه في هذه القضية، والله تعالى أعلم.

وصلَّى الله وسلم على سيِّدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٥

حوار حول قضايا الصحوة[١]

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على من ختم الله به النَّبيِّين، وأرسله رحمةً للعالمين، وحُجةً على الناس أجمعين، مُعلِّمِ الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، وقائدِ الخلق إلى الحقِّ، سيِّدِنا وإمامِنا وأسوتِنا وحبيبِنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات الأحبَّة ـ بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخوانكم وأخواتكم في المشرق العربي؛ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنِّي لسعيدٌ كلَّ السعادة أنْ ألتقي بهذه الوجوه المشرقة بنور الإيمان، وبمصابيح اليقين بالله تعالى وبدينه، الواثقة بربِّها وبنفسها وبغدها.

(١) ألقيت في مخيم علمي للفتيات بالمغرب، عام ١٩٩٦م، تزامنا مع إعلان الوحدة الاندماجية بين كل من: حركة الإصلاح والتجديد، ورابطة المستقبل الإسلامي المغربيتين، تحت مسمى: حركة التوحيد والإصلاح.

QaradawiBooks.com

حركة التوحيد والإصلاح:

وأنا سعيد أيضًا أنْ أحضر في هذه الآونة الطيِّبة، ومع هذا الحدث الذي أشار إليه الأخ الحبيب، حدث توحُّد حركتين إسلاميَّتين مرجوَّتين لهذا البلد، ولهذا الدين: حركة الإصلاح والتجديد، وحركة المستقبل الإسلامي، فأصبحتا بحمد الله حركة واحدة.

وهذا الاندماج عملٌ صالح وسيرٌ في الطريق السليم، حيث ينبغي أنْ يتوحد العاملون للإسلام ما استطاعوا، ما دام فكرهم واحدًا، وهدفهم واحدًا، ومنهجهم واحدًا، فلماذا الاختلاف والتفرُّق والتباعد، ونحن أحوج ما نكون إلى هذا التلاحم؟

إنَّ أعداءنا يعملون صفًّا واحدًا، وينسَوْن ما بينهم من فروقٍ وخلافات، ونحن للأسف يتباعد بعضنا عن بعض، ولهذا كان اندماج الحركتين الإسلاميَّتين في هذا الوقت عملًا صالحًا طيِّبًا، استبشرت به حينما أُخبرت به، وازددتُ يقينًا بأنَّ الأُمَّة إلى خير، وأنَّ الغد لهذا الدين، وأنَّ المستقبل للعاملين لنصرته.

يسرُّني أنْ ألتقي بالإخوة عامَّة، وبالأخوات خاصَّة، وقد جئنا إلى مخيم الأخوات، لذلك فإنِّي أوجِّه حديثي هذا إلى الأخوات بصفة خاصَّة، وليعذرني الإخوة الشباب، فطالما أخذوا أكثر من حقِّهم وجاروا على حقِّ الأخوات، وأنا أشكو من زمن أنَّ الرجال «كابسين على أنفاس النساء»، كما نقول باللهجة المصريَّة. ولذلك نحن في حاجة إلى أن نُعطي الأخوات بعض حقوقهنَّ.

المرأة نصف المجتمع:

يقولون: المرأة نصف المجتمع. وهذا صحيح، إذا قيس الأمر من

QaradawiBooks.com

الناحية العدديَّة، حتَّى ذكر الأستاذ «كريسي موريسون» في كتابه «العلم يدعو إلى الإيمان» الَّذي تُرْجِمَ إلى العربيَّة أنَّ من أدلَّة وجود الله تعالى التوازن بين عدد الرجال وعدد النساء طَوَالَ التاريخ.

تأثير المرأة في المجتمع:

إنَّ المرأة نصف المجتمع حقيقة، لكنَّها من ناحية التأثير أكثر من النصف، تؤثِّر في زوجها وأولادها تأثيرًا ملموسًا، فلا عجب أن اهتمَّت الدعوة الإسلاميَّة بالمرأة، حتَّى كان أوَّل صوت ارتفع بتأييد الدعوة الإسلاميَّة الأُولى ونصرتها صوتَ امرأة، هي خديجة رضي الله عنها، حينما قالت للنبيِّ ﷺ: «والله لا يُخْزيكَ اللهُ أبدًا؛ إنَّك لتصل الرَّحم، وتصدُق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتُكسب المعدوم، وتُقْري الضيف، وتُعينُ على نوائب الحقِّ»[1].

وكان أوَّل دم أريق في الإسلام دم امرأة، هي سُميَّة أمُّ عمار، وزوجُ ياسر[2]. فلا عجب أنْ يكون للمرأة في الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة، والحركة الإسلاميَّة المعاصرة دور.

إفساح المجال للمرأة:

ويجب أن نفسح المجال للمرأة لتقوم بدورها، وتؤدِّي واجبها، فقد شكا لي بعض الأخوات في مصر والجزائر، أنَّ الأخت تكون في ميدان الدعوة في غاية النشاط، حتَّى تتزوج أحد الإخوة الذي عرفها في هذا الميدان، فيُجمِّد نشاطها.

---

(١) سبق تخريجه صـ٧٠.

(٢) سبق تخريجه صـ٧٠.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ أن نُفسح للأخت المسلمة لتقوم بدورها، والإخوة الذين أفسحوا لها المجال انتفعوا بدورها وكان له أثره، كالإخوة في السودان، والإخوة في حزب «الرفاه» التركي.

تفعيل دور المرأة:

فلا بدَّ إذنْ من تفعيل دور المرأة في اليقظة والبعث والإحياء الإسلامي المعاصر، لتقوم بدورها في تنمية نفسها ما استطاعت، تُنمِّي نفسها روحيًّا، وثقافيًّا، وفكريًّا، وسياسيًّا، واجتماعيًّا.

ولا يقال: إنَّ ذلك من عمل الرجال. فهو من عمل الرجال والنساء، والقرآن حينما يقول في كثير من آياته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لا يُخاطب الرجال وحدهم، وإنَّما يُخاطب الرجال والنساء، وكذلك حينما يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يُخاطب بذلك الرجال والنساء.

ولذلك لمَّا كانت السيدة أمُّ سَلَمة رضي الله عنها، تُمَشِّط لها جاريتها شَعرها، وسمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**يا أيُّها النَّاس...**»، لفَّت شَعرها لتذهب إلى النبيّ ﷺ، فقالت لها جاريتها: إنَّه يقول: «**يا أيُّها الناس**». قالت: أنا من الناس[1].

فينبغي للمرأة المسلمة أنْ تشعر بهذه الهُويَّة، وأنَّها جزء من المجتمع، وجزء من الصحوة، فتُنمِّي نفسها، ثمَّ تعمل مع أسرتها، إنْ كان لها أسرة، فإن كانت متزوجة تُعين زوجَها إن كان من أهل الدعوة، أو تدعوه إذا لم يكن من أهلها، وتُربِّي أولادها على الإسلام الصحيح الإيجابي البنَّاء.

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٢٩٥)، عن أم سلمة.

QaradawiBooks.com

ثمَّ تعمل على إيقاظ بنات جنسها، فالمرأةُ أقربُ إلى المرأة، ثمَّ تعمل في المجتمع عامَّة، ويمكنها أنْ تدعو الرجال، وكم حاضَرَتْ الأخت زينب الغزالي في مجتمعات رجاليَّة.

وليس صوتُ المرأة عورةً كما يقولون. العورة أنْ تخضع بالقول، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وكان الصحابة والتابعون يذهبون إلى السيدة عائشة ويسألونها وتُجيبهم، وتروي لهم الأحاديث، وتفتيهم في الدِّين، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فإذا سألوهنَّ فسيُجبنهم.

فلا بدَّ للمرأة أنْ تقوم بدورها في هذه المجالات كلها، وخصوصًا إذا كانت ذات مواهب وقُدرات، كأنْ تكون أديبة، أو كاتبة، أو محاضرة.

ويجب على الأخت المسلمة أنْ تُعِدَّ نفسها للقيام بهذا الدور كما ينبغي، ونحن نرى المرأة في الجهة الأخرى ـ جهة العلمانيِّين والماركسيِّين وغيرهم ـ تقوم بدورها، فرأينا في الشيوعيين نساءً دخلنَ السجون، وتحمَّلن عذابه من أجل مذهب باطل.

ورأينا في المسيحيَّة جيوشًا من النساء المُترهِّبات، يعملن على نشر المسيحية في العالم، عشرات الآلاف من النساء يتركن الحياة الرغيدة في بلادهنَّ ليعشنَ في الغاباتِ والأدغال والقُرى النائية عيشةً بدائيَّة، من أجل نشر المسيحيَّة.

ورأينا المرأة جُنديًّا في الجيش الإسرائيلي تقاتل العرب والمسلمين، وقد هُزم المسلمون سنة ١٩٦٧م على يد امرأة هي «جولدا مائير»، وهُزموا

QaradawiBooks.com

في باكستان على يد امرأة هي «أنديرا غاندي»، فالمرأةُ غير المسلمة تقوم بدورها، فلماذا لا تقوم المرأة المسلمة بدورها؟ فهذا هو الواجب عليها.

إعانة المرأة على دورها:

ويجب على الإخوة الرجال أنْ يساعِدوها على هذا الدَّور، لتقوم به خير قيام، وتكون إلى جنب الرجل في خدمة هذا الدين، فالقرآن يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ويقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، بعضهم أولياء بعض، ومن هذه الولاية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليست هذه المهمة مقصورةً على الرجال وحدهم، ومن اللافت أنَّ القرآن الكريم ذكر هذه الولاية بعد أنْ قال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

فكما أنَّ المنافقين والمنافقات يقومون بدورهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ـ كما نرى العلمانيَّات واللادينيَّات والمُتَفَرْنِجات والمُتَفَرْنِسات يقمْنَ بدورهنَّ ويصنعن زعامات، ومَنْ وراءهم ينفخون فيهنَّ حتَّى يرتفع صوتهنَّ ـ كما نرى في مصر نوال السعداوي وغيرها ـ فلماذا لا تكون هناك زعامات وقيادات نسائيَّة إسلاميَّة؟ يجب أنْ يعمل الإسلاميون على ذلك.

QaradawiBooks.com

ولعلَّ هذه المُخيَّمات العلميَّة الَّتي تُقيمهـا الأخوات في هذه الدار وأمثالها تؤدي بعض الواجب لإعداد الأخت المسلمة، والداعية المسلمة، والمُربية المسـلمة، حتَّى تؤدي واجبها في خدمة هـذا الدين ونصرته، وتوعية هذه الأُمَّة، هذا ما أرجوه إن شـاء الله، وأكتفي بهذا القدر لنفتح الباب للأسئلة.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

مستقبل الصحوة الإسلاميَّة، والأوضاع في بلاد الخليج:

السؤال: كيف ترى مستقبل الصحوة الإسلاميَّة، في ظلِّ ما تتعرَّض له من تضييقات وضربات؟ وكيف ترى الحال الآن في بلاد الخليج بعد الحرب الأخيرة؟

الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم، جزى الله أختنا العزيزة خيرًا على أسئلتها، وأريد أنْ أطمئنكنَّ إلى أنَّ الصحوة الإسلاميَّة ماضية في طريقها.

هناك هجمة شرسة من القوى المعادية للإسلام، وأُمَّته، وصحوته، وحركته، لضرب هذه الصحوة وتعويقها، سواء كانت هذه القوى في الداخل، أو في الخارج.

الصحوةُ الإسلاميَّة الَّتي كانت ملءَ السمع والبصر، ويُنتظر أنْ تصل إلى القمَّة في أكثر من بلد، قُطِع عليها الطريق الآن، وضُرِبت ضربات عديدة، وبقدر قوة الصحوة جاءت قوَّة الضربات، ولكنَّها لا تُميت الصحوة، بل تعطيها قوَّة، ولذلك أقول: إنَّ الصحوة ماضية، رغم ما يُكال لها من ضربات وحشيَّة متتابِعة.

والحمد لله أنَّ الإسلام إذا غربت شمسُه في مكان أشرقت في مكان آخر، فلما خرج من الأندلس في أوربا من ناحية المغرب، دخل أوربا من ناحية المشرق على يد الأتراك العثمانيين، وهذا أمر معروف طوال التاريخ في مَدِّه وجَزْره.

QaradawiBooks.com

حزب «الرفاه» التركي:

وفي عصرنا استطاع الإخوة في حزب «الرفاه» التركي الوصول ـ بحمد الله ـ إلى السلطة، وهذا إنجاز كبير بالنسبة إلى تركيا العلمانيَّة الَّتي طَرَدت الإسلام من الحياة، من التشريع، والتعليم، والثقافة، والإعلام، والتقاليد الاجتماعيَّة، حتَّى حُرِّمَ الأذانُ في فترة من الفترات باللغة العربية، إلى أنْ شاء الله أنْ تحيا تركيا من جديد، فبدأت تنتشر آلاف المدارس القرآنيَّة في طول البلاد وعرضها.

وأخونا نجم الدين أربكان يصارع لإبقاء حزبه في الحياة السياسية، فكلما أحلُّوه غيَّر اسمه وظهر به، فكلمة «الإسلامي» ممنوعة في تركيا، ولذلك حين حاول البعض أنْ يفتتح فرعًا لبنك فيصل الإسلامي في تركيا رفضوا بسبب اسمه، وقالوا: فلتكن مؤسسة فيصل الماليَّة. فكلمة الإسلام، أو الشريعة ممنوعة هناك، والدستور يُؤيِّد ذلك، حتَّى قلنا لهم: نُريد أن نعمل هيئة رقابة شرعية لإحدى المؤسَّسات. فقالوا: لا. لأنَّ كلمة شرعيَّة ممنوعة.

وبرغم هذا الوضع في تركيا استطاع حزب أربكان أنْ يحصل على مقاعد برلمانية، صحيح أنَّه لم يأخذ أغلبيَّة مطلقة، لكنَّ النسبة الَّتي حصل عليها أعطته حقَّ تشكيل الحكومة.

وقبل ذلك نجح الإخوة في تركيا في البلديَّات، خصوصًا الكبرى منها، مثل بلدية إستانبول وأنقرة، وغيرها، واستطاعوا أنْ يخدموا عامَّة الناس، حتَّى إنَّهم ذهبوا إلى البغايا، وتحاوروا معهنَّ في التخلِّي عن هذا الطريق، فقالوا: ألجأتنا الحاجة. فقالوا لهن: سنوفِّر لكُنَّ البديل، على أنْ تترُكْنَ هذا الطريق. فاستَجبْن لهم، ولم يساندنهم في

QaradawiBooks.com

الانتخابات وحسْب، بل كُنَّ داعيات كذلك، فالمسلم لا يَيْئس حتَّى من النساء الساقطات، ويقول: إنهنَّ في جهنَّم وبئس المصير. لا، فإنَّ فيهنَّ بقيَّة خير.

فالإخوة وفقهم الله لأن أخذوا الأمور بالتدرُّج، والأخ نجم الدِّين أربكان رجل سياسي محنَّك، أخذ الأمر بعقلانيَّة، وراعى سنَّة التدرُّج، وكما قلت من قديم: إنَّ التدرُّج سُنَّة شرعيَّة، وسُنَّة كونيَّة.

ولذلك قلتُ للإخوة: لا تطالبوا أربكان أنْ يُغيِّر تغييرات جذريَّة. وهو لا يستطيع ذلك أصلًا؛ لأنَّه ليس معه أغلبيَّة مطلقة، ثمَّ إنَّ الذي يحكم تركيا حقيقة هو الجيش، ولكنَّه أيضًا استطاع أنْ يكسب بعض كبار ضباط الجيش.

ولذلك حينما ذهب إلى طهران كان معه حوالي أكثر من مائتي شخص منهم كبار الضباط، واستطاع أنْ يخطو خطوة مهمَّة، ويعقد صفقة اقتصاديَّة كبيرة، رغم اعتراضات أمريكا عليها، مع أنَّ كثيرًا من حكامنا العرب إذا أشارت أمريكا لهم ـ مجرَّد إشارة ـ بألَّا يفعلوا كذا، فإشارتها أمر، وأمرها قهر.

ولكنَّ أربكان لم يبالِ بأمريكا، وعَقَدَ الصفقة الاقتصاديَّة في وقت تريد فيه أمريكا ضرب إيران، وقطْعَ الطريق عليها، وعزلها عن العالم كله، ثمَّ إنَّه أعاد اثنين مليون كردي من الذين هُجِّروا إلى بلادهم، ورفَعَ المرتبات، وقام بأمور كثيرة في مدة قصيرة، وهذا يدلُّنا على أنَّ الإخوة هناك يُرجى أنْ يوفقهم الله تعالى، وحتى «تشيلر» زعيمة الحزب الأول، ووارث «أتاتورك» تُسلِّم لأربكان حتَّى الآن، إلى حدٍّ ما.

QaradawiBooks.com

مُبَشِّرات بانتصار الإسلام:

لهذا فأنا مُطْمَئِنٌّ، وأريد أنْ أطمئنكم بأنَّنا مستبشرون، وقد كتبت رسالة لعلَّها لم تصلكم هنا، اسمها «المُبشِّرات بانتصار الإسلام»، من رسائل ترشيد الصحوة، ذكرت فيها عددًا من المُبشِّرات، تجعلنا نطمئن إلى مستقبل الإسلام: مبشرات من القرآن في آيات كثيرة، ومبشرات من السنَّة في أحاديث كثيرة جدًّا، وبألوان مختلفة من السُنن.

ومبشِّرات من التاريخ الإسلامي، بأنَّ الأُمَّة أشد ما تكون قوة، وأصفى ما تكون جوهرًا، وأصلب ما تكون عودًا عند الشدائد والمحن، عندها يظهر معدنها الأصيل، وتظهر قوة الإسلام الذاتية، من حرب الردة، إلى الحروب الصليبيَّة، إلى حروب التتار، إلى حروب الاستعمار الحديث.

وهناك أيضًا مبشرات من الواقع، فالواقع يقول: إنَّ الأُمَّة بخير. فمن كان يظن بأنَّ الجزائر بعد مائة وثلاثين سنة من الاستعمار، الذي أراد أن يُفرِّغ البلد من دينها ولغتها، ويطمس هُويَّتها ـ أنْ تعود هذه الصحوة الإسلاميَّة في الجزائر، وقد كنت أخطب الجمعة فيها فيحضر أكثر من مائتي ألف، فهذا يدلُّ على أنَّ واقع الأمة أيضًا مبشر.

وهناك أيضًا مبشِّرات من سنن الله ﷻ، فنحن نرى أنَّ سنن الله معنا وليست علينا، ومن هذه السنن: سنَّةُ التغيير، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وسنَّةُ التداول، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

والإمام الشهيد حسن البنَّا يذكر أنَّه لو نظرنا إلى تداول القيادة العالميَّة نجد أنَّ الدور القادم لنا وليس علينا، فقيادة العالم في وقتٍ من الأوقات كانت شرقيَّة، زمن الحضارات القديمة: الفرعونيَّة، والفينيقيَّة،

QaradawiBooks.com

والآشوريَّة، والفارسيَّة، وغيرها، ثمَّ انتقلت القيادة الحضاريَّة إلى الغرب على يد اليونان والرومان، ثمَّ عادت إلى الشرق مرة أخرى على يد الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، ثمَّ عادت إلى الغرب كما هي الآن.

والمفروض بحسب السُّنَن أنْ تعود الحضارة والقيادة مرة ثانية إلى الشرق، وخصوصًا أنَّ الغرب لم يُحسن القيادة، ولم يُؤدِّ حقَّها، وقد أفلس في الناحية الروحية والأخلاقية، فنحن مستبشرون بأنَّ الغد لنا ـ إن شاء الله ـ إذا استمسكنا بالإسلام، وراعينا سننه في تغيير الأنفس والمجتمعات[1].

الأوضاع في بلاد الخليج:

وأمَّا بلاد الخليج، فهي للأسف في وضع لا تُحسد عليه، فقد استطاع أعداء الإسلام أن يضربوا الأُمَّة ضربة مُوجِعةً وقاسيةً، ولا أقول: ضربةً قاضيةً. وإنَّما كانت ضربةً عنيفةً، كسبوا بها مكاسب هائلة، وخسرنا بها خسائر هائلة، كانت ضربةَ مُعلِّمٍ كما نقول في مصر.

وضربة المُعلِّم هذه هي حرب الخليج، خسرت الأُمَّة فيها مليارات الدولارات، وأصبحت معها البلاد الَّتي كانت غنيَّة مدينة؛ لأنَّها استدعت هذه الجيوش الغربية إلى أرضها بأموالنا، فلمَّا جاؤوا تخلَّصوا من أسلحتهم القديمة، ثمَّ جَرَّبوا أسلحتَهم الجديدة، وأخذوا يهدمون في منطقة الخليج، لتبنيها بعد ذلك شركاتهم وبأموالنا أيضًا، ومع هذا بقي الوجود العسكري الغربي ـ وخصوصًا الوجود الأمريكي ـ في هذه الديار، وبعد أنْ كان الإنجليز يحكمونها ثمَّ خرجوا منها، من قطر

(١) رسالة نحو النور ضمن مجموعة الرسائل صـ٢٧٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والبحرين وعُمان، فإذا بالوجود الغربي يعود، في صورة الوجود العسكري الأمريكي، وهذا من أشد ما يُؤسف له.

ولكنِّي أقول: إنَّ الصحوة الإسلاميَّة في هذه البلاد صحوة قوية جدًّا، فعدد الشباب والشابات، والإخوة والأخوات، والملتزمين والملتزمات، بالآلاف المؤلفة، وأذكر أوَّل ما ذهبت إلى قطر، كنت أصلِّي التراويح في رمضان، فيصلي ورائي عشرة أو عشرون شخصًا، ثمَّ بعد ذلك بسنوات يصلي في أكبر مسجد في قطر قُرابة ألفين رجلًا، وألف امرأة، وكنا نستغرق في ذلك ساعتين، فأنا أريد أنْ أطمئنكم أنَّ الأُمَّة والحمد لله بخير.

وفي مصر للأسف نرى أنَّ الحركة الإسلاميَّة مُضطهدة، والحُكْمَ المصري يُطارد أبناءها، لا لشيء إلَّا لأنَّ الشعب معهم، إذا تقدَّموا في أيِّ انتخابات يكسبون ثقة الناس في النقابات المهنية المختلفة، ولمَّا لم يستطيعوا أنْ يُزوِّروا الانتخابات قالوا: إنَّهم قلة منظمة، ولا بدَّ أنْ يحضر نصف الأعضاء. ولكنَّ نقابة كنقابة المهندسين بها نحو ثلاثمائة ألف عضو، كيف يحضر نصفهم إلى الانتخاب؟ ومع ذلك، لمَّا غيروا القانون المنظِّم، استطاع الإخوة أيضًا أنْ ينجحوا نجاحًا كاسحًا، وهم كذلك ينجحون في نوادي هيئة التدريس المختلفة، واتحادات الطلاب في الجامعات.

من أجل هذا أقاموا لهم المحاكمات العسكريَّة، ومحاكم أمن الدولة ليعاقبوهم بها، فبعضهم حُكم عليه بخمس سنوات، وبعضهم حُكم عليه بثلاث سنوات، وأيضًا أدخلوا الإخوة في حزب الوسط إلى محاكمات عسكريَّة، وحكموا على مجموعة منهم.

QaradawiBooks.com

ومع ذلك أريد أنْ أطمئنكم إلى أنَّ هذا كله لا يعوق الحركة الإسلاميَّة، بل يعطيها مزيدًا من القوة والصلابة، والتقدُّم في طريق الدعوة، وفقًا لِسُنَّة التَّغيير، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وسُنَّة التداول، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

الإصلاح بين المجاهدين الأفغان:

السؤال: سمعنا بأنكم قمتم بمحاولة للإصلاح بين المجاهدين في أفغانستان، فما هي نتيجة هذه المحاولة؟

الجواب: ساهمتُ قديمًا في محاولة تجميع الإخوة الأفغانيين، وخصوصًا الإخوة الذين يسمونهم الأصوليين: بُرهان الدين ربَّاني، وحِكمتْيار، وعبد ربِّ الرسول سيَّاف، ويُونس خالِص. هؤلاء يطلقون عليهم الأصوليين، في مقابل التقليديين، فكنا نريد أن نجمع هؤلاء الأربعة الأصوليِّين في جبهة واحدة، وحاولنا ذلك عدة مرات، واتفقنا معهم على بعض الأمور، لكنَّهم بعد فترة ينقضونها، وبعد انسحاب الروس حاولنا معهم محاولة، واتفقنا معهم على بعض الأمور، ولكنَّهم للأسف أيضًا لم ينفذوها.

الحقيقة خذلنا هؤلاء الإخوة، والعصبيَّة القبليَّة عند الأفغان أمرٌ فظيع، هذه العصبيَّة الجاهليَّة هي الَّتي جعلتهم يحاربون بعضهم، ويقتلون بعضهم، ويدمرون بلدهم، ويشوِّهون بذلك جهادهم الإسلامي الجميل ضد الروس، ذلك الجهاد الذي وقف العالم الإسلامي كله معهم يناصرهم فيه، وذهب الشباب إليهم وضحَّوا معهم بأرواحهم، كما ضحَّى معهم غيرُهم بأموالهم، لكنَّهم شوَّهوا هذا الجهاد بخلافاتهم وتفرقهم واقتتالهم.

QaradawiBooks.com

والآن ذهب إليهم القاضي حسين أحمد ـ زعيم الجماعة الإسلاميَّة في باكستان ـ للقيام بجهد في الجمع والإصلاح بين برهان الدين وحِكمتْيار، ولعلَّ هذه الخطوة تؤتي ثمارها.

والحقيقة أنَّ هناك جهات يهمها ألا يتفق هؤلاء الأفغان، بدليل أنَّهم أخرجوا لهم هذه القوة الجديدة الَّتي لم تشترك في الجهاد، وهي حركة «طالبان»، فقد ظهرت هذه الحركة فجأة، ولم يكن لها نصيبٌ في جهاد الروس، وفجأة رأينا عندهم دبابات وطائرات، من أين لهم هذا؟

هناك قوى يهمها أنْ يظلَّ البلد منقسمًا متصارعًا، يضرب بعضُهم رقابَ بعض، وهذا ما نأسف له، ولا نملك إلا أن ندعو الله لهم، أنْ يصلح ذاتَ بينهم، ويوحِّد كلمتهم على ما فيه خير دينهم وبلدهم.

التقريب بين السُّنَّة والشيعة:

السؤال: نعلم أنكم شاركتم مؤخرًا في ندوة عن التقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، وخاصة بين السُّنَّة والشيعة؛ فمن خلال تفاعلكم في هذه الندوة وغيرها من الندوات، ما هي آفاق التقارب بين السُّنَّة والشيعة، وهل هناك جديَّة في هذا المضمار؟

الجواب: هذه المشاركات هي محاولات للتقريب، وينبغي أن نعمقها، ونوسع آفاقها، حتَّى تؤتي أُكلها، فنحن نرى أنَّ الأُمَّة المعادية للأمة تحاول أنْ تُمزقها شر ممزق، وتحاول أنْ توسِّع الهُوَّة، وتُعمق الفجوة بين السُّنَّة والشيعة، وتريد إشعال حرب دينيَّة بينهما.

تعرفون أنَّ حربًا قامت بين العراق وإيران، كان طابعها قومي، وهم يريدون أنْ تقوم حرب ذات طابع ديني بين السُّنَّة والشيعة، كما هو الحال

QaradawiBooks.com

الآن في البحرين، لأنَّ إيران متمرِّدة على الانصياع على السياسة الأمريكية، فهم يريدون معاقبتها، بأنْ يشعلوا ضدَّها عداء العالَم الإسلامي كله.

وأنا أرى أنَّه يجب علينا أن نفوِّت عليهم هذه الفرصة، ونفتح ذراعنا لمن كان من أهل القبلة، كما قال النبي ﷺ: «**مَن صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمَّة الله وذمَّة رسولِه، فلا تخفروا الله في ذِمَّته**»[1].

طبعا يوجد بعض الإخوة ـ مثل الإخوة السلفيِّين ـ موقفهم متشدِّد جدًّا من قضية التقارب مع الشيعة، فهم يُكفِّرون الشيعة تكفيرًا صريحًا، ويقولون: إنَّهم ينكرون القرآن، وينكرون السُّنَّة، إلخ، ولذلك لا يسعَون إلى التقارب معهم.

ونحن نرى أنَّهم يشهدون الشهادتين، ويصلُّون، ويزكُّون، ويصومون، ويحجُّون، ولهم في أمور أخرى تأويلات، يمكن أن نصفهم عليها بالابتداع، مثل كثير من الصوفيَّة من أهل السُّنَّة، لكن نبتعد عن التكفير ما لم يكن كفرًا بواحًا.

مقترحات للتقارب:

ولذلك رحَّبت بهذه النَّدوة لتقوية الاتِّجاه نحو التقارب، ولأقترح عليهم بعض الخطوات العمليَّة لنجاحه، من ذلك: أن يُعترف بأهل السُّنَّة في إيران، ويكون منهم بعض الوزراء، ونحن في مصر عندنا بعض الوزراء من الأقباط، فهم وإن كانوا أقليَّة غير مسلمة لكن لها وجود

(١) رواه البخاري في الصلاة (٣٩١)، عن أنس بن مالك.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

سياسي، وكذلك السُّنَّة في إيران ـ وهم بضعة عشر مليونًا ـ يجب أنْ يكون لهم تمثيل سياسي.

ومن ذلك أنْ يُسمح لأهل السُّنَّة بأن يكون لهم مسجد في طهران، فليس معقولًا أنْ يوجد مئات الآلاف من أهل السُّنَّة في طهران ولا يوجد لهم بها مسجد جامع، فهذا ممَّا نقترحه عليهم مع غيره من الأمور العمليَّة لدعم التقريب، ونرجو أن نصل إلى قاعدة المنار الذهبية الَّتي دعا إليها الشيخ رشيد رضا، وتبنَّاها الشيخ حسن البنَّا، وهي: نتعاون جميعًا فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه[1].

ملاحظات على تجربة البنوك الإسلاميَّة:

السؤال: بصفتكم مشاركًا في الهيئات الشرعية لعدد من البنوك الإسلاميَّة، ومؤصِّلًا لفقه الاقتصاد الإسلامي، إلى أيِّ مدى نجحت البنوك الإسلاميَّة في تحقيق أهدافها، وفي تجاوز تجربة البنوك الرِبَويَّة، خاصة أن هناك مجموعة من الاتِّهامات والشبهات بشأن التزام بعض البنوك الإسلاميَّة بعدم التعامل بالرِّبا، وغيرها من الأمور؟

الجواب: لا شك أن قضية البنوك الإسلاميَّة كانت حلمًا، ففي أول الأمر حاولوا أنْ يُحلِّلوا الرِّبَا ويُبرِّروه ـ ومنهم بعض الشرعيين للأسف ـ بدعاوى مختلفة، فمن يقول: إنَّ رِبا العصر ليس رِبا الجاهليَّة. ومن يقول: إنَّ الرِّبا المُحرَّم هو رِبَا الأضعاف المضاعفة وليس ربا الخمسة في المائة (٥٪)، أو العشرة في المائة (١٠٪). ومن يقول: إنَّ ضرورات العصر تقتضي إباحة الربا.

(١) انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧).

QaradawiBooks.com

ثم بطلت هـذه الدعاوى من الناحية النظريَّة بدراسـات الدارسـين وبحوثهم، ثمَّ بدأت خطوات عمليَّة نحو إيجاد بنوك بلا فوائد رِبَويَّة، وقد كانوا يقولون: إنَّ هذا مستحيل؛ فالاقتصاد عصبُ الحياة، والبنوك عصبُ الاقتصاد، والفوائد الرِبَويَّة عصبُ البنوك، فلا تحلموا ببنك غير رِبويّ.

ثم شـاء الله أنْ يقومَ أول بنك في دُبي، هو بنك دُبي الإسلامي، ثمَّ قام بنك فيصل الإسـلامي في القاهرة، وبيت التمويل الكويتي، والبنك الإسلامي الأردني، وغيرها من البنوك.

لكن التزام هذه البنوك بالإسـلام ليس واحدًا، وأعتقد أنَّ أفضل هذه البنوك هو بنك «التقوى»، الذي أُسـس في مدينة «لوجانو» في سويسرا، وقام عليه بعض الإخوة الملتزمين، وأنا أترأس هيئةَ رقابته الشرعيَّة، وهذا البنك حريصٌ حتَّى في عدم الدخول في الشبهات، فمثلًا قضية المرابحة مختلَف فيها، فلم يدخل فيها، كذلك لم يَدخل سـوق السـلع والمعادن الدولية، لأنَّ أوراق السلع تكون مسـتوفاة، لكن وجود السلع نفسها في الواقع محل شكوك، فلم يدخلوا هذا المجال، والسر في ذلك أنَّ القائمين على البنك أناس ملتزمـون من ناحية، ومن ناحية أخـرى هم تجار في السوق العالمية، وليسوا مجرد مصرفيين، ولذلك فبنك التقوى من أحسن البنوك، حتَّى من ناحيـة الأرباح، فالبنوك الإسـلاميَّة تختلف من ناحية التزامها بالأحكام الشرعيَّة، فمثلًا مصرف قطر الإسلامي يوجد به تدقيق داخلي من ناحية الرقابة الشرعية، لكنَّه أيضًا يدخل في المرابحة.

ثم إنَّ توجيهات هيئات الرقابة الشرعيَّة أحيانًا تُطبَّق، وأحيانًا لا تُطبَّق، لأنَّ كثيرًا من موظَّفي البنوك الإسلاميَّة جاؤوا من البنوك الرِبَويَّة، فليسوا متحمسـين للفكرة، ولا عندهم فقـه في المعاملات الشـرعيَّة، فيتصور

QaradawiBooks.com

بعضهم مثلًا أن لا فرق بين التمويل الربوي والمرابحة، البنوك الإسلاميَّة على كلِّ حال كانت خطوة إلى الأمام، فقد كانت في الأصل بدائل للبنوك الربويَّة، وينبغي أنْ تتبعها خطوة نحو تطوير البدائل وتحسينها.

وقد سألني بعض الإخوة: هل البنوك الإسلاميَّة سليمة مائة في المائة (١٠٠٪)؟

قلت له: لا، ليس معظمها سليمًا بهذه النسبة، ولكن لو وُجِد بنك إسلامي بنسبة سبعين في المائة (٧٠٪) فهو أحسن من البنك الرِّبَويّ، ثمَّ إنَّه ليست عليك مسؤوليَّة، فمثلًا قانون إنشاء بنك فيصل، ونظامه، ولوائحه يشترط أنْ يكون التعامل إسلاميًّا، وفيه هيئة رقابة شرعية مسؤولة عن إسلاميَّة البنك، وأنت تتعامل معه بناء على هذه الاعتبارات، فالبنك مسؤول عن سلامة معاملاته أمام الله، وعلى كلِّ حال البنوك الإسلاميَّة خطوة جيدة، ونرجو أنْ تتحسن إن شاء الله.

مشاركة المرأة في الأعمال الفنِّيَّة:

السؤال: ما رأي فضيلتكم في مشاركة المرأة في الإنشاد الجماعي أو الفردي أمام الجمهور، والمشاركة في العمل المسرحي، خاصَّة ونحن ندعو إلى بدائل إسلاميَّة، وعندنا جماهير ثقافيَّة؟

الجواب: قضية الفنون في الإسلام هي قضية في غاية الأهمية، وأنا كتبت فيها كثيرًا، وممَّا كتبت فصل في كتابي «ملامح المجتمع المسلم»، ثمَّ اقترح عليَّ الدكتور عصام البشير أنْ أنشره مستقلًّا، فنشرته بعنوان: «الإسلام والفن» في رسائل ترشيد الصحوة، لأننا في الواقع لا نستطيع أن نستغني عن الفن؛ فالفن له أثر في حياتنا.

QaradawiBooks.com

نحن مهزومون في مجال الفن:

وقد قلت من قديم: إنَّ الغرب غزانا في عدة ميادين، ونجح في بعضها، واستطعنا أن نستعيد بعضها، من ذلك قضية المرأة، فقد كانت المرأة المسلمة في فترة من الفترات غربية الطابع، ثمَّ استطعنا إلى حدٍّ كبير أن نستردَّ للمرأة المسلمة وعيها بقيمتها وخصائصها وطابعها، وفي قضيَّة الاقتصاد كذلك أقمنا بنوكًا إسلاميَّة.

القضية الَّتي ما زلنا مهزومين فيها هي قضيَّة الفنون، وللأسف نحن نقع بين طرفي الإفراط والتفريط في هذه القضيَّة، هناك من يُحرمون الإنشاد ولو من الرجال، مثل بعض الإخوة السلفيين الذين يقولون: إنَّ الأناشيد الإسلاميَّة بدعة. فلا عجب ممن يحرِّمون إنشاد الرجال أنْ يحرموا إنشاد النساء.

تضييق دائرة الحرام:

وأنا ممَّن يُضيِّقون دائرة الحرام، حتَّى اعتبر البعض ذلك تُهمة، فقد كنت ذات مرة في البحرين، وقدَّم لي أحد الإخوة ورقة طويلة جمعت عدَّة اتهامات، منها أنِّي متَّهم بتضييق دائرة المُحرَّمات.

فقلت لهم: التهمة ليست مُوجَّهة إليَّ، بل هي مُوجَّهة إلى الإسلام؛ لأنَّ الإسلام هو من ضيَّق دائرة المُحرَّمات، فالأصلُ في الأشياء الإباحة، إلا ما جاء النص بتحريمه، ولذلك كانت المُحرَّمات في الإسلام محدودة، والمباحات غير محدودة، فلا تحريم إلا بنصٍّ صحيح الثبوت صريح الدلالة، ولذلك فالذين يوسِّعون دائرة المُحرَّمات يحرِّمون الأغاني، خصوصًا إذا كانت من المرأة.

QaradawiBooks.com

غناء المرأة:

وأنا لم أجد دليلًا على تحريم إنشاد المرأة أو غنائها، وقد استمع النبي ﷺ إلى جاريتين تُغنِّيان في بيته، حين كان عند زوجته عائشة، فلما دخل أبو بكر رضي الله عنه انتهرهما، وقال: أمزمور الشيطان في بيت رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «**دعْهما؛ إنَّ لكل قومٍ عيدًا، وهذا عيدنا**»[(١)]. وفي رواية: «**لتعلم يهودُ أنَّ في دينِنا فُسْحة، إنِّي أرسلتُ بحنيفيَّة سَمْحة**»[(٢)]. إلى آخر ما ورد، فأنكر على أبي بكر، وأجاز ذلك في المناسبات السارَّة، وبعضهم يقول: معنى جاريتين، أنهما صغيرتان، ولذلك أجازهما. ولو كانتا صغيرتين لما غضب أبو بكر هذا الغضب.

فغناء المرأة في حدِّ ذاته لا أرى فيه حرجًا، بالعكس فقد أنكرت على بعض الأخوات في مصر أنهنَّ جعلن معظم الأغاني مواعظ، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها، أنَّها زفَّت امرأةً من الأنصار، فقال النبيُّ ﷺ: «**فهل بعثتُم معها جارية تضرب بالدُّف وتغنِّي؟**». قلت: تقول ماذا؟ قال: «**تقول:**

أتيناكم أتيناكم ... فحيُّونا نحيِّيكمْ
لولا الذهبُ الأحمـ ... ـرُ ما حلَّت بِوَادِيكم
لولا الحنطةُ السمرا ... ء ما سمنتْ عَذَاريكم»[(٣)]

فهذا غناء يناسب المقام، والعُرف، فليس المقام مقام وعظ، ولذلك كان من المهارة اختيار الكلمات المناسبة لكلِّ مقام.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العيدين (٩٥٢)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرِّجوه: حديث قويٌّ. وحسَّن إسناده الحافظ في التغليق (٤٣/٢)، عن عائشة.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٣٢٦٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٣٧): فيه رواد بن الجراح وثقه أحمد وابن معين وابن حبان، وفيه ضعف. عن عائشة.

QaradawiBooks.com

صوت المرأة:

وليس صحيحًا أنَّ صوتَ المرأة عورة يجب حبسه، كما يقول البعض. فلا دليل على ذلك، الممنوع فقط في صوت المرأة هو الخضوع بالقول، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فالمرأة الَّتي تتميَّع وتتكسَّر في صوتها تخضع بالقول، وهذا يُطمِعُ فيها الرجال الذين في قلوبهم مرض الشهوة.

تحسين الصوت:

وربما قال البعض: الغناء خضوعٌ بالقول لأنَّه قائم على تحسين الصوت.

وليس صحيحًا أنَّ تحسين الصوت خضوع، فالخضوع تميُّع وتكسُّر في القول ظاهر في إرادة الإغراء، والتَّميُّع والتكسُّر ليس لازمًا مع الصوت الحسن وإجادة اللحن، فإننا نسمع أحيانًا لأغنية فايزة أحمد المعروفة:

ست الحبايب يا حبيبة يا أغلى من روحي ودمي[1]

تغنِّي للأم، وليس فيها خضوع بالقول، أو أغنيتها «بيت العز يا بيتنا»[2] تغني للأسرة، وليس فيها خضوع بالقول.

فليس هناك مانع أنْ تغنِّي امرأة لأبيها، أو أمها، أو ابنها، أو أخيها، أو زوجها، بأغاني تُقوِّي الصِّلات الأسريَّة، والأخويَّة، والزوجيَّة، بكلامٍ عفيف، وأداءٍ معتدلٍ وقور، فالخضوع بالقول ليس هو تحسين الصوت.

---

(١) من كلمات حسين السيد.

(٢) وهي من كلمات مرسي جميل عزيز.

QaradawiBooks.com

استخدام الموسيقى:

وأنا لا أجد مانعًا أنْ توجد أغاني كهذه ويُستخدم معها الدُّف، بل إنِّي لا أرى أنَّ هناك دليلا صحيحًا صريحًا على تحريم الموسيقى، وحين نُريد أن نُقيمَ دولة إسلاميَّة لا يُمكن أن نمنع الفنون، فإنَّ لها رسالة مهمَّة مؤثّرة، ومن ذلك الموسيقى بما لها من تأثير فطري في الوجدان، وخصوصًا إذا صحبتها كلمات إيجابيَّة.

وقد حضرت في تركيا احتفاليَّة يقيمها إخواننا في حزب «الرفاه»، في ٢٩ مايو من كل سنة، لإحياء ذكرى فتح القسطنطينية، فيجيؤون بمغنٍ مشهور، فيغني أغاني طيبة، وبموسيقى قويَّة تحرك الجماهير فتُردِّد معه.

وأذكر أنَّ نشيدًا ظهر في مصر أيام حرب سنة ١٩٥٦م، مطلُعه:

الله أكبر فوق كَيْدِ المعتدي والله للمظلومِ خيرُ مؤيِّدِ
أنا باليقين وبالسلاحِ سأفتدي بلدي ونور الحقِّ يسطع في يدي
قولوا معي، قولوا معي: اللهُ فوقَ المعتدي[1]

كلماته بسيطة، ولكن حين صحبته الموسيقى أكسبته قوَّة وتأثيرًا، وألهبت حماس الجماهير، ولذلك لا نستطيع أن نُحرِّم كل الموسيقى، في كلِّ حال، وفي كلِّ وقت.

ومع ذلك قلت للبعض في وقت من الأوقات: إنَّني وإن كنتُ أعتقد بأنَّ الأصل في الموسيقى الحِلّ، لكنِّي أقترح عليكم أنْ تتمهلوا في استخدامها؛ لأنَّها ستثير عليكم الهجوم، وتشوِّش على قضاياكم ذات

(١) وهو من كلمات الشاعر الأزهري عبد الله شمس الدين.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأولويَّة، وابني عبد الرحمن يوسف، شاعر ومنشد، وأصدر بعض الأشرطة، منها شريط أنشدَ فيه قصيدتي «يا أُمَّتي وجب الكفاح»، عمل منه نسخة بِدُفٍّ للراغبين، وأخرى بغير دُفٍّ لبلاد الخليج والسعوديَّة، فهي قضيَّة تخضع لفقه الواقع.

المرأة والمسرح:

أمَّا بالنسبة للسؤال عن المسرح، فأنا ألَّفتُ مسرحيَّتين في حياتي، أوَّل ما بدأتُ التأليف كتبت مسرحيَّة شعريَّة اسمها «يوسف الصِّدِّيق»، ولم تُمثَّل؛ لأنَّ تمثيل الأنبياء لا يجيزه العلماء، وأنا منهم؛ ثمَّ ألفت مسرحيَّة تاريخيَّة اسمها «عالم وطاغية»، تحكي قصة سعيد بن جُبَيْر مع الحَجَّاج، وقد مُثِّلت في بلادٍ كثيرة، وقد مثَّلها الإخوة في قَطَر أكثر من مرَّة، ولاقت نجاحًا.

التمثيل والكذب:

وقد سألني بعض الإخوة: ألا تدخل هذه المسرحيَّات في باب الكذب، فالمؤلف أحيانا يختلق شخصيات، وينطِقها بكلام، وقد لا يكون لذلك حقيقة واقعيَّة أو تاريخيَّة؟

قلت له: هذا ليس كذبًا؛ لأنك تعرف بأنه تصوير للمعاني وتجسيدها، وهو أشبه باستنطاق الطير وسائر الشخصيَّات في قصة كليلة ودمنة، واستنطاق الطير والنمل في القرآن بكلام صاغه الله صياغة قرآنيَّة معجزة، واستنطاق الأشياء في الأمثال، من ذلك هذا المثل: قال الحائط للمسمار: لِمَ تشقُّني؟ فقال المسمار: سلْ من يدقُّني. والحائط والمسمار لم يتكلَّما، إنَّما هو استنطاق الشيء لتصوير معنى وتجسيده.

QaradawiBooks.com

العناصر النسائيَّة في الأعمال الفنِّيَّة:

لذلك فالمشكلة في المسرح ليست هي أنَّه كذب، أو لا، بل المشكلة في ظهور المرأة في العمل المسرحي، هذه المشكلة هي الَّتي تدور حولها الإشكالات، والسؤال: هل يمكن عمل مسرح وسينما دون عنصر نسائي؟

هذا ضدُّ الحياة؛ لأنَّ المرأة موجودة في كل قصة، حتَّى في قصص القرآن نفسها، في قصة آدم وزوجه، وقصة نوح وامرأته، وقصة إبراهيم وزوجتيه: سارة وهاجر، وقصَّة موسى وأمه وأخته، وامرأة فرعون، وابنة الشيخ الكبير الَّتي تزوجها، ولذلك لا تستطيع أنْ تُجسِّد قصَّةً في عمل فنيّ من غير امرأة.

ولكن المشكلة هي: كيف ندخل العنصر النَّسائي هذه الأعمال الفنيَّة دون أنْ يكون مخالفًا للشرع؟ لا مفرَّ من الجمع بين الحرص على ظهور المرأة في الأعمال الفنيَّة، في السينما والتليفزيون والمسرح، والحرص في ذات الوقت على أنْ يكون ظهورها لا يخالف الإسلام، سواء في هيئتها أو أدائها، فضلًا عن المحتوى ذاته.

التمكُّن في مجال الفن:

لا بدَّ من خوض معركة الفن، مع العلم أنَّها معركة تحتاج إلى إعداد وتهيئة، سواء في كتابة النص، أو في تحويله إلى حوار، أو في إخراجه، أو تصويره، أو فيمن يُجسِّده، أو بِمَن يُموِّله، فالأمر إذنْ ليس سهلًا، والإخوة في السودان أرسلوا من سنين أناسًا إلى أمريكا وأوربا لدراسة الإخراج المسرحي والسينمائي والإذاعي، إلخ، ثمَّ لمَّا تقلدوا الحكم،

QaradawiBooks.com

وجدوا أنَّ هذا الإعداد لا يتعدَّى خمسة في المائة (٥٪) ممَّا هو مطلوب، وأنَّ الإعلامَ غابةٌ كبيرة يسيطر عليها العلمانيُّون وغيرهم، فلم يصمدوا أمامهم.

لهذا أقول: لا بدَّ أن ندخلَ معركة الفنّ بإعداد جيد، وتهيئة كبيرة، وكفاءات عالية، وأعداد كافية، في كلِّ ناحية من نواحيها.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِيِّ

أضواء على الأصول العشرين
للإمام الشهيد حسن البَنَّا

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي سعيدٍ الخُدْرِي رضي الله عنه ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم مُنْكرًا فليُغَيِّرْه بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانِه، فإن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». رواه مسلم.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم، إنَّما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم**». مُتَّفقٌ عليه.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا أو عرَّافًا، فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد**». رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٦

أضواء على الأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البَنَّا[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمةً؛ إنَّك أنت الوهاب، ربَّنا آتنا من لدنك رحمةً، وهيِّئْ لنا من أمرنا رشدًا، اللهمَّ اجعلْ يومنا خيرًا من أمسنا، واجعلْ غدنا خيرًا من يومنا، وأحسِنْ عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجِرْنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

(أمَّا بعد)

فمن فضل الله تبارك وتعالى علينا أنْ جمعنا على دعوة الإسلام، وأنْ جعل لنا رسالة في الحياة، نعيش لها، ونجاهد في سبيلها، ونموت عليها، لئلَّا نكون كأولئك الَّذين يعيشون في الحياة ولا هدف لهم، إلَّا أنْ يأكلوا ويشربوا، أو يلهوا ويلعبوا، ثمَّ يَنفقوا كما تَنفق الدواب، الَّذين قال

(١) سلسلة محاضرات أُلقِيتْ في الدوحة بدولة قطر في نهاية الثمانينيَّات من القرن العشرين، وقد سُجِّلتْ في أشرطة كاسيت، ووُزِّعتْ في أنحاء العالم على نطاق واسع، انظر: مقدمة كتابنا: شمول الإسلام.

QaradawiBooks.com

الله عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد: ١٢]. فنحمد الله أن جعل لنا رسالةً هي رسالة الإسلام.

ونسأل الله ﷻ أنْ يجعلَ أقوالَنا وأعمالَنا ونيَّاتِنا خالصة لوجهه، ويُحرر بواعثنا ويُجرِّدها حتَّى تكون له وحده، كما قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

روابط لا بدَّ منها:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ كلَّ جماعة مؤمنة تحتاج إلى روابط تربط فيما بينها، هناك الرابط الفكري، وهناك الرابط العاطفي، وهناك الرابط التَّنظيمي، لا بدَّ من هذه الروابط الثلاثة.

الرابط العاطفي والتنظيمي:

الرابط العاطفي هو الَّذي نُعبِّر عنه بالأُخوَّة، أو الحب في الله، وهو الَّذي كان الإمام الشهيد يبدأ به أحاديثه الأسبوعية الشهيرة، المعروفة باسم «حديث الثلاثاء»، كان ـ قبل أنْ يبدأ فيها بالجانب التَّعليمي، أو الجانب الفكري ـ يبدأ بما يسميه «عاطفة الثلاثاء»، وهي تقوية جانب المحبَّة والأُخوَّة بين أبناء الدعوة وجنود الحركة، حتَّى يصبحوا كالبنيان المرصوص؛ يشد بعضه بعضًا، فهذا الجانب لا بدَّ منه، جانب الأخوة والمحبة، وهو جانب لا يعرفه الماديون، لا يعرفه إلا أبناء الدعوة الإسلامية، أنْ يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، بل يرتقي في هذا الحب إلى أنْ يصل إلى درجة الإيثار، ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر: ٩].

QaradawiBooks.com

وهذا الجانب هو الَّذي لفت أنظار الكثيرين، حتَّى كتب مَنْ كتب أنَّ العمل للإسلام لا بدَّ له من جماعة، فالعمل الفردي لا يجدي؛ لأنَّ الفرد مهما كان عطاؤه لا يستطيع أنْ يعمل الكثير، قدرته محدودة، وعطاؤه محدود، ولهذا قال موسى عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٤]. فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ولهذا جاءت أوامر الله تعالى بالتعاون والاتحاد، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤]، إلى آخره، فكان لا بدَّ من العمل الجماعي.

ولا بدَّ للعمل الجماعي من نظام يعرف كل إنسان فيه حدوده، ويعرف ما له، وما عليه، هذان الجانبان يمثلان الرابط العاطفي والرابط التنظيمي.

الرابط الفكري:

وقبل هذين الرابطين يوجد الرابط الفكري الَّذي يربط بين الجماعة بعضها وبعض، فلا بدَّ أنْ يكون بين أبناء الجماعة الواحدة فكر مشترك تصدر عنه، وليس معنى ذلك أنْ يكونوا نسخًا مكررة، أو قوالب مصبوبة، يحفظون ألفاظًا محددة يلوكونها، ولا يستطيع أحد منهم أنْ يتصرف في شيء، كما نرى عند بعض الجماعات الَّتي تمسخ أفرادها، ولا تجعل لأيٍّ منهم شخصيَّة، ولا قدرة على التفكير، ليس هذا هو المراد، ولكن المراد أنْ يكون هناك أصول مشتركة للفكر، أنْ تكون هناك أصول وقواعد فكرية محددة يتفقون عليها، وإنْ كان هناك خلاف في التفصيل، هذا معنى الفكر المشترك.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأصول العشرين:

من أجل هذا كان الركن الأول هو ركن الفهم، والمقصود به أن تفهم الإسلام في حدود أصول وقواعد معينة حدَّدها الإمام الشهيد في عشرين أصلًا، صاغها صياغة علمية أصولية معتدلة، أي أنَّه لم يُفرِّط فيها مع المُفرِّطين، ولم يغْلُ مع الغالين، كان وسطًا بين الإفراط والتفريط.

ولذلك رأيته في وقت من الأوقات قد أدخل هذه الأصول بعضها في بعض، وأدمج بعضها في بعض، ورفعها إلى اتحاد الجمعيات الدينيَّة في مصر، لتكون أساسًا لالتقاء هذه الجماعات المختلفة، وهذا سر ما نراه في هذه الأصول من اعتدال، بحيث تلتقي عليها الجماعات المختلفة، فهي تُمثِّل الوسطية، تُمثِّل الاعتدال، تُمثِّل التوازن.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(الأصل الأوَّل)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الإسلام نظامٌ شامل يتناول مظاهرَ الحياة جميعًا، فهو دولةٌ ووطن، أو حكومةٌ وأُمَّة، وهو خلقٌ وقوَّة، أو رحمةٌ وعدالة، وهو ثقافةٌ وقانون، أو علمٌ وقضاء، وهو مادَّةٌ وثروة، أو كسبٌ وغِنًى، وهو جهادٌ ودعوة، أو جيشٌ وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة، سواءً بسواء**»[(١)].

اتجاه الزيادة على الإسلام:

تبدأ الأصول العشرين بالأصل الأول الَّذي يُمثِّل شمول الإسلام، نحن نعلم أنَّ الإسلام أصيب في فهمه بعدة آفات، هناك آفة الزيادة على الإسلام، وهذا عمل المبتدعين الَّذين يضيفون إلى الإسلام ما ليس منه، وهذه الزيادة مردودة على صاحبها قطعًا، كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[(٢)]، «**إيَّاكم ومُحْدَثَاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة**»[(٣)]. وسنأتي إلى هذا الأمر حينما نتحدث عن البدعة في الأصلين: الحادي عشر، والثاني عشر.

اتجاه النقص من الإسلام:

وهناك آفة النقص من الإسلام، إذا كان هناك مَنْ زاد في الإسلام ما ليس منه، فهناك مَنْ نقص من الإسلام ما هو منه، بل ما هو من صلبه، وإذا كانت الإضافات والزيادات من عمل العصور السابقة فإن من عمل

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٦، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.
(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.
(٣) سبق تخريجه صـ٩٦.

QaradawiBooks.com

العصر الحديث النقص من الإسلام، تجزئة الإسلام، أخذ جانب منه، وترك جانب أو جوانب، فهناك مَنْ أراد أنْ يحذف من الإسلام الجانب السياسي، جانب الدولة، ويرى أنَّ الإسلام دين لا علاقة له بالسياسة، أو بالحكم، وهناك مَنْ أراد أنْ يحذف من الإسلام الجانب الجهادي العسكري، ويرى أنَّ الإسلام حق لا علاقة له بالقوة.

وظهرت في الهند دعوة فاسدة، أو نبوة مكذوبة، تسمَّى القاديانية، يتزعمها غلام أحمد القادياني الَّذي ادَّعى النبوة، وأهم ما جاءت به هذه النبوة المكذوبة أمران:

الأول: إبطال الجهاد، بزعم أنَّ الجهاد كان في العصر الأول عصر الصحابة، ولا جهاد في هذا العصر.

والثاني: طاعة ولي الأمر ولو كان كافرًا، يعني طاعة الإنجليز، فقد كانوا أولياء الأمر في ذلك الوقت، وإذا أطعت وليَّ الأمر الكافر، وأبطلت الجهاد فقد مكنت للاستعمار تمكينًا أبديًّا.

هذه هي آفة النقص من الإسلام، وخاصة هذان الجانبان: الجانب السياسي في الإسلامي، وجانب الجهاد في الإسلام، وقد ركَّز عليهما المستعمرون خصوم الإسلام، وحاولوا بواسطة الغزو الثقافي أنْ يفسدوا بعض عقول المسلمين، حتَّى كتب مَنْ كتب في وقت من الأوقات أنَّ الإسلام لا علاقة له بالحكم.

الإسلام وأصول الحكم:

واستطاع هذا الغزو أنْ يتسلل إلى القلعة الدينية الإسلامية العتيدة، المتمثلة بالأزهر، فقام الشيخ علي باشا عبد الرازق، وهو من خريجي

QaradawiBooks.com

الأزهر، ومن أسرة أرستقراطية مشهورة في مصر تنتمي إلى الحزب الدستوري، وكان وزيرًا للأوقاف، قام بتأليف كتاب سمَّاه «الإسلام وأصول الحكم»، وقال بأنَّ الإسلام لا علاقة له بالحكم، ولا بأصول الحكم، وأنَّه دين وليس دولة، ورسالة وليس مُلكًا، وأنَّ النبي لم يجئ ليكون مَلِكًا، فقد عرضوا عليه الملك فأبى، وأنَّ الدنيا أحقر من أنْ يأتي الدين لينظمها أو ليحكمها، الدين أمر عظيم، والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، فكيف يأتي الدين ليسوس الدنيا؟ وهكذا جاء بأمور في منتهى الغرابة في هذا الوقت، وقد كان الأزهر أزهرًا، وكان الأزهريون أزهريين، فثارت الدنيا، واجتمعت هيئة كبار العلماء، وحكمت بمصادرة الكتاب، وإخراج هذا العالم من زمرة الأزهريين، وسَحْبِ شهادة العالِميَّة منه، على رغم ما كان له من نفوذ، ورد عليه كثير من العلماء، أزهريين وغير أزهريين، منهم المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين، الَّذي صار شيخ الأزهر فيما بعد، في كتابه «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم»، وغيره.

من هنا نبدأ:

وبعد ذلك سلك أزهري آخر هذا المسلك، وحطب في هذا الحبل، وهو الشيخ خالد محمد خالد في كتابه «من هنا نبدأ»، والَّذي كان ينادي بقوميَّة الحكم، لا بإسلاميَّته، وردَّ عليه أخونا الكبير الداعية الجليل الشيخ محمد الغزالي في كتابه «من هنا نعلم»، ونادى فيه بإسلامية الحكم، لا بقوميته، وفنَّد القضايا الَّتي تناولها الشيخ خالد في كتابه.

ونحمد الله أنَّ الرجل تاب وأناب، ورجع عن هذا الكلام علانية، وألَّف في ذلك كتابًا سمَّاه «الدولة في الإسلام»، وقال بأنَّ ما كتبه كان خطأ، وكان تحت تأثير ظروف نفسية واجتماعيَّة وسياسية معينة، ومَنْ

QaradawiBooks.com

تاب تاب الله عليه، خاصة إذا خطَّأ الإنسان نفسه علنًا، لأنَّ من الخطأ في الأمور الفكرية أنْ يكتفي الإنسان بقوله: تبتُ. وتظل أفكاره القديمة كما هي، دون أنْ يكتب بأنها خاطئة، ويمنع نشرها.

هكذا كان المستعمرون يريدون أن تسود هذه الفكرة، أنَّ الإسلام لا علاقة له بالدولة، ولا بالسياسة، فكان هناك تركيز على حذف بعض الجوانب من الإسلام، يريدونه عقيدة بلا شريعة، أو عبادة بلا سلوك، أو سلامًا بلا جهاد، أو زواجًا بلا طلاق، أو دينًا بلا سياسة، هكذا كانوا يريدونه.

ولما قام الإمام الشهيد حسن البَنَّا بدعوته كانت هذه الأفكار موجودة فوقف وقفته في بيان حقيقة الإسلام، وشمول النظام الإسلامي، أنَّه عقيدة، وعبادة، وأخلاق، وأنَّه نظام سياسي، واجتماعي، واقتصادي، ونظام يتناول مظاهر الحياة جميعًا.

وقد أخذ هذا الأمر منه جَهْدًا أي جَهْدٍ، إثبات أنَّ الدين لا ينفصل عن السياسة، وأنَّ الدولة جزء من الإسلام، الأمر الَّذي نجده نحن الآن سهلًا ومفهومًا وواضحًا قد أخذ منه جهدا كبيرًا جدًّا، كان النَّاس يتساءلون: ما دخل الدين بالسياسة، وما دخل السياسة بالدين؟

فجاب حسن البنَّا البلاد من أقصاها إلى أقصاها ليخطب، ويحاضر ويتحدث، ويكتب الرسائل والمقالات؛ ليثبتَ أنَّ السياسة من الدين، وأنَّ الدين من السياسة، وأنَّ الإسلام لا يعرف الفصل بينهما، وأنَّ الرسول كان هو صاحب الدين وصاحب السياسة، وأنَّه لم يكن معه حاكم آخر للسياسة، كان هو النبي، والقائد، والإمام، والحاكم، وأنَّ أبا بكر كان كذلك، وقال الصحابة قولتهم الشهيرة: رضيه رسول الله

QaradawiBooks.com

لديننا؛ أفلا نرضاه لدنيانا[١]؟ وبات معروفًا: أنَّ الخلافة إمامة في الدين والدنيا معًا، هي نيابة عن رسول الله ﷺ في حراسة الدين، وسياسة الدنيا به، كما قال ابن خلدون وغيره[٢].

هذا المعنى أخذ جهدًا ووقتا حتَّى أصبح ثابتًا في أذهان الناس، أصبح من الأمور الَّتي يركز عليها الإمام الشهيد دائمًا إثبات هذا الشمول، أنَّ الإسلام يتناول مظاهر الحياة جميعًا، فهو روحانيَّة وعمل، صلاة وجهاد، عبادة وقيادة، مصحف وسيف، دين ودنيا، أراد أنْ يؤكد هذا المعنى تأكيدًا لا شبهة فيه، خاصة جانب الدين والدولة، وجانب المصحف والسيف، أو الحق والقوة، أو الدعوة والجهاد.

حتى هذه الشعارات الَّتي أعلنها الإمام الشهيد ليحفظها الإخوان، ويهتفوا بها، الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن شرعتنا، والجهاد عدتنا، مهما اختلفت هذه الألفاظ، حتَّى الشارة الَّتي جعلها للإخوان كانت شارة متميزة، مصحف يحوطه سيفان، وتحته كلمة (وأعدوا)، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فقد أراد أن تتركز معانيها في النفوس، معاني شمول الإسلام.

وكان لا بدَّ من هذا التركيز، فقد كانت الجماعات الدينية تهمل معنى الشمول، كانت هناك جماعة تُعنَى بجانب العقيدة، ومحاربة الشرك والخرافة، والقبور، وكذا، وتُعنَى جماعة بجانب العبادة، وتطهيرها من

(١) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨٧٧/٣)، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٢) مقدمة ابن خلدون (٦٨٨/٢)، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، نشر لجنة البيان العربي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٦م.

QaradawiBooks.com

البدع، وإقامتها على السنَّة، وكذا، وتُعنَى جماعة بجانب المرأة، ومحاربة السفور والتبرج، وكذا، وتُعنَى جماعة بالجانب الرياضي، وهكذا.

ولا مانع من أن تُعنَى كل جماعة بجانب من الجوانب، لا مانع شرعًا ولا عقلًا أنْ تتخصَّص كل جمعية من الجمعيات في ناحية معينة، على ألا تُنكر الجوانب الأخرى، ولا جهود العاملين فيها، ولا تعتقد أنَّ الإسلام هو فقط ما تخصَّصت فيه، ولكن تقول: هذا جهدي أركزه في هذه الناحية. أمَّا أنْ تنكر شمول الإسلام، وتنكر على الآخرين جهدهم فيه، فهذا هو الخطر، كان هذا هو حال الجماعات الدينيَّة.

أمَّا الجماعات والأحزاب السياسية، فرغم أنَّ فيها أفرادًا من المتدينين، إلا أنَّه كان تدينًا شخصيًّا، يصلون ويصومون، ولا شيء وراء ذلك، كانوا متأثرين بالغزو الفكري الغربي الَّذي يقول بالفصل بين الدين والدولة، الفكر الَّذي يتضمن العلمانية الَّتي ترى أنَّ الدين شيء، والدولة شيء آخر، أنَّ الدين علاقة بين الإنسان وربه، أمَّا تنظيم شؤون الحياة، والحكم الَّذي يشمل كل العلاقات: الدولية، والدستورية، والإدارية، والمالية، والمدنية، والتجارية، والشخصية، وغير ذلك، فهذا أمر آخر، كل جماعة تنظم نفسها حسب ما تريد، كان هذا شأن الأحزاب السياسية، فهي علمانية الطابع للأسف، وإن كان فيها أفراد متدينون، إلا أنَّهم جهلوا حقيقة الإسلام.

التأكيد على شمولية الإسلام:

من أجل هذا كان لا بدَّ من بذل جهد لإثبات شمول الإسلام، وكان الشمول هو الأصل الأول، أنَّ الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة

QaradawiBooks.com

جميعًا، يتناول الدولة والحكومة، والأمَّة، ولذلك كان من الأمور الأساسية في دعوة الشيخ حسن البنَّا تحرير الأرض الإسلامية، أيًّا كانت هذه الأرض، بدءًا بأرض مصر، حيث قامت الدعوة ونشأت الحركة.

وقد سمعت بنفسي من الإمام الشهيد في المؤتمرات الوطنية الَّتي أقيمت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في أنحاء مصر، كان الإمام الشهيد يحاضر فيها ويخطب، ويعلم النَّاس المطالب القومية والوطنية كما كان يقال في ذلك الوقت، وكان يتحدث عن قضيَّة الوطن، ويقول: هناك الوطن الخاص، ويتمثل في وادي النيل بشماله وجنوبه، مصر والسودان، وهناك الوطن العام وهو الوطن العربي، وهناك الوطن الأكبر هو الوطن الإسلامي، فكل أرض دخلها الإسلام وارتفعت فيها المآذن، وعاش فيها المسلمون هي أرضنا، فحيث وجد الإسلام كانت أرضنا، وكان وطننا، ووجب علينا أنْ ندافع عنه، هذا المعنى السياسي والجهادي معًا، يرتبطان بعضهما ببعض، فتحرير أوطان الإسلام، والدفاع عنها حيثما كانت من الأمور الأساسية الَّتي كان لا بدَّ من التركيز عليها.

بينما كان دعاة الوطنية في ذلك الوقت يقولون: مصر للمصريين، وسوريا للسوريين. وكل جماعة تنادي بوطنية ضيقة، حتَّى فكرة العروبة في ذلك الوقت لم يكن لها صوت يُسمَع، حينما قامت الدعوة سنة ١٩٢٨م ما كان في مصر مَنْ ينادي بالعروبة، ولما قيل لأحد رؤساء الوزراء عن اليهود وخطرهم، وفلسطين وما يُدبَّر لها؛ قال لهم: أنا رئيس وزراء مصر، ولست رئيس وزراء فلسطين. واعتبر أنَّ الأمر بعيد عنه، وأنَّه ليس لنا أن نفكر في شيء لا علاقة لنا به، كأن خطر اليهود بعيد جدًّا عن مصر، فالَّذين فكروا في قضيَّة فلسطين من أول الأمر هم حسن

QaradawiBooks.com

البنَّا وإخوانه، اعتبروها قضيَّة إسلاميَّة، وأنَّ كلَّ مسلم يجب عليه أنْ يدافع عنها، وأنَّها ليست قضيَّة الفلسطينيين وحدهم، ومنذ سنة ١٩٣٦م كانت المظاهرات تقوم في الثاني من نوفمبر من كل سنة، احتجاجًا على وعد بلفور، وتذكيرًا بقضيَّة فلسطين، وكانت مجلة «الإخوان المسلمين» تكتب كتابات، وتنشر صورًا عن القضيَّة.

هكذا كان لا بدَّ من التأكيد على شمولية الإسلام، وعلى تثبيت الجانب الجهادي، والجانب السياسي في رسالة الإسلام، إلى جوار الجوانب الأخرى الَّتي ذكرها الإمام الشهيد، أنَّ الإسلام جيش وفكرة، وهو خلق وقوة، ورحمة وعدالة، وهو علم وقضاء، أو ثقافة وقانون، وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى، أي أنَّ الجانب الاقتصادي لا بدَّ منه، والجانب الخلقي لا بدَّ منه، كل هذه الجوانب جزء من الإسلام كما أنَّه عقيدة صادقة، وعبادة صحيحة، سواء بسواء.

مراتب الأحكام:

وليس معنى قوله: سواءً بسواء. أنَّه هذه الجوانب في منزلة واحدة، بل يعني أنَّها كلها أجزاء من الإسلام، أمَّا كل جانب فله منزلته قطعًا، هذه قضيَّة يجب أن نعطيها اهتمامنا، صحيح أنَّ العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والدولة، والجهاد من الإسلام، ولكن لكلٍّ منها منزلة خاصَّة، فأساس الأسس هو العقيدة، وأساس العقيدة هو التوحيد، ينبغي أن نعرف هذا الأمر جيدًا، وكل عمل لا ينبني على عقيدة سليمة مردود، فلا ينبغي أن ننسى أنَّ هذه الجوانب وإن كانت من الإسلام لكنّها ليست في مرتبة واحدة، فللعقيدة المنزلة الأولى، منزلة الأساس من البناء.

QaradawiBooks.com

ثم تأتي العبادة الَّتي هي أركان الإسلام، سمَّاها النبي ﷺ أركان الإسلام، «**بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيتِ من استطاع إليه سبيلًا**»[(١)]. ثمَّ تأتي بعد ذلك الأخلاق والمعاملات.

ونحن نعلم أنَّ الأوامر في الإسلام درجات، والنواهي في الإسلام درجات، ففي جانب المأمورات هناك الفرائض، ومنها الفرائض الركنية، والفرائض غير الركنية، وهناك الواجب، وهو ما كان فوق السُّنَّة ودون الفرض، وهناك السُّنَّة المؤكدة، وهناك المستحب.

وفي جانب المنهيَّات هناك الكفر، الشرك الأكبر والعياذ بالله، وهناك الكبائر، والكبائر نفسها درجات، حتَّى إنَّ النبيَّ ﷺ يقول: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟**»[(٢)]. فالكبائر منها ما هو أكبر، وما هو دون ذلك، وهناك صغائر المُحرَّمات، وهناك المُحرمات المتَّفق عليها، والمُحرمات المختلف فيها، المشتبِهات، وهناك المكروهات، ومنها ما هو مكروه تحريمًا، وما هو مكروه تنزيهًا، فهذه كلها درجات، فلا بدَّ أن نعرف أنَّ الأوامر والنواهي ليست في درجة واحدة، ومن الخطر والخطل أن نذيب الفوارق بين بعضها وبعض، سواء في سلوكنا، أو في تقديرنا للآخرين، أو في إنكارنا عليهم، يجب أنْ تعطي كلَّ شيء حكمه ومنزلته.

أصل الشمول:

هذا هو الأصل الأوَّل من الأصول العشرين، الأصل الَّذي نستطيع أن نعبر عنه بأصل الشمول، شمول الرسالة الإسلامية، والنظام الإسلامي،

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، كلاهما في الإيمان، عن ابن عمر.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

أنَّه نظام شامل، يصحب الإنسان في كل مجالات حياته، وفي كل أطوار حياته، منذ يولد إلى أنْ يموت، بل يُشرِّع له قبل أنْ يولد، وبعد أنْ يموت، لأنَّ هناك أحكامًا تتعلق بالجنين في بطن أمه، وهناك أحكام تتعلق بالميت بعد أنْ يموت، وهي تصحب الإنسان في كل جوانب الحياة، ليس في المسجد فقط، بل أيضا في البيت، والسوق، والمدرسة، والعمل، وفي كل مكان.

لهذا كان من الأمور الَّتي قرَّرها الفقهاء أنَّ الشريعة حاكمة على جميع أفعال المكلَّفين، فليس هناك فعل من أفعال المكلَّفين إلا وللشريعة فيه حكم من الأحكام الخمسة، فتقول: هذا فرض أو مُستحب، أو محرم، أو مكروه، أو مباح، لا تستطيع الشريعة أنْ تسكت عن فعل من الأفعال، قد يسكت المجتهد حين تتعارض أمامه الأدلة، أو لا يستطيع أنْ يجيب فيتوقف ويقول: لا أدري. أمَّا الشريعة فلا تسكت.

هذا هو الشمول الَّذي نريده، ولو أحببنا أن نفصل في معنى الشمول، ونشرح الكلمات الَّتي ذكرها الإمام الشهيد في هذا الأصل، ونقف عند كل واحدة منها، لاستطعنا أن نفعل، ولكن لا داعي لهذا، لأنَّ مدلولاتها معروفة، ولا تخفى على مثل هذا الجمع، إنَّما أحببت أنْ أشير بإشارات إلى المعاني الأصولية الأساسية في هذا الجانب، هذا هو الأصل الأوَّل.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(الأصل الثاني)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والقرآن الكريم، والسُّنَّة المُطَهَّرة مرجع كلِّ مسلم في تعرف أحكام الإسلام، ويُفهَم القرآن طِبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تَكلُّفٍ ولا تعسفٍ، ويُرجَع في فهم السُّنَّة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات**»[1].

هذا هو الأصل الثاني الَّذي يحدد مصادر المعرفة بالإسلام، إذا أردنا أن نعرف الإسلام فمن أين نعرفه؟ هنا يأتي الأصل الثاني ليحدِّد مصدر المعرفة بالمصدرين المعصومين: كتاب الله، وسُنَّة رسوله. هذان هما مصدرا الإسلام، فمن أراد أنْ يعرف مصدر الإسلام فليرجع إلى القرآن والسُّنَّة.

الإسلام هو المنهج الإلٰهي الَّذي يحدد الله به للناس حقوقهم وواجباتهم، ويعرفهم التكاليف المطلوبة منهم شرعًا، وبما أنَّ الإسلام منهج إلٰهي فمصادره إلهيَّة أيضًا، ليس مصدر الإسلام العقل، ولا الحدس، ولكن مصدره الوحي، لا بدَّ من مصدر معصوم يعرفنا: ماذا يريد الله تعالى منا؟ ما الَّذي يرضاه، وما الَّذي يسخطه؟ ومن هنا كان الوحي هو المصدر، ويتمثل الوحي في الوحي المتلوِّ الجَلي، وهو القرآن الكريم، وفي الوحي غير المتْلوِّ، وهو السُّنَّة المطهَّرة.

كتاب الله تعالى هو المصدر الأول، والسُّنَّة هي المصدر الثاني في الترتيب، وهي المُبيِّنة للقرآن، والمُفصِّلة لما أجمل، والمُخصِّصة لما عمَّم، والمُقيِّدة لما أطلق، فلا بدَّ من المصدريْن، ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، فلا يجوز أنْ يعتمد أحد على القرآن وحده، كما قال

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٦ ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

QaradawiBooks.com

بعض النَّاس قديمًا، وناقشهم الإمام الشافعي في «الرسالة»، وهؤلاء كنسهم التاريخ وانتهوا.

وإن كان هناك من المُحْدَثين مَنْ قام يحيي هذه الدعوة، ويقول: في القرآن غنًى عن كلِّ شيء، ولم يفرِّط الله تعالى من شيء، وهو وحده المعصوم، وهو وحده المكتوب، إلى آخره. وقد ناقشهم المرحوم الداعية الكبير الدكتور مصطفى السباعي في كتابه القيِّم الَّذي ينبغي أنْ يُقرأ، وهو كتاب «السُّنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي»، فهذا الكتاب يرد على الَّذين يزعمون أنَّ القرآن يغني عن السُّنَّة.

والقرآن لا يغني عن السُّنَّة؛ لأنَّ القرآن نفسه يوجب إطاعة الرسول، واتباع السُّنَّة، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، فمن قال: إنَّ القرآن يغني. فقد خالف القرآن نفسه.

كما أنَّ القرآن لا يمكن أنْ يُفهَم إلا في ضوء السُّنَّة؛ لأنَّ السُّنَّة هي الَّتي بيَّنت وفصَّلت ما في القرآن الكريم، فالصلاة مثلًا جاءت مجملة في القرآن الكريم، لم يُبيِّن لنا القرآن عدد الصلوات اليومية، ولا عدد ركعات كل صلاة، ولا مواقيت كل صلاة، متى تبدأ، ومتى تنتهي؟ ولا ما اشتملت عليه ركعاتها، ولا الشروط اللازمة للصلاة، كل هذا فصَّلته السُّنَّة، وهكذا بالنسبة للصيام، والزكاة، والحج، فالسنَّة مهمة جدًّا، ولا بدَّ منها بجوار القرآن الكريم.

وهناك بعض النَّاس يقول: نأخذ ببعض السُّنَّة دون بعض. كالذين

QaradawiBooks.com

يقولون مثلًا: نأخذ بالسنن المتواترة، ولا نأخذ بسنن الآحاد. أو الَّذين يقولون: نأخذ بالسُّنَّة العملية، ولا نأخذ بالسُّنَّة القولية، كما يقول القذافي الآن. مع أنَّ جمهرة السنَّة هي السُّنَّة القولية، معظم السُّنَّة وغالبها في قول رسول الله ﷺ، والأفعال بالنسبة للأقوال تعتبر شيئًا قليلًا، فإذا هجرنا السُّنَّة القولية وأعرضنا عنها فقد هجرنا معظم السُّنَّة في الحقيقة، فلا بدَّ من الرجوع إلى السُّنَّة كلها، سواء كانت متواترة أو آحاد، وسواء كانت قولًا أو فعلًا أو تقريرًا؛ لأنَّ السُّنَّة ـ كما قال الأصوليون ـ هي ما رُوِي عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. القول مثل: «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته**»[(١)]، أو «**الحلال بَيِّنٌ والحرام بيِّن**»[(٢)]. والفعل مثل: أنَّه ﷺ كان أطول النَّاس صلاة إذا صلَّى لنفسه، وكان أخفهم صلاة إذا صلَّى بالناس[(٣)]. فهذا من أفعاله، والتقرير: هو أنْ يسمع ﷺ القول فيقره، أو يُفعَل الفعلُ أمامه فيقره، مثل إقراره الحبشيين على لعبهم بحرابهم في المسجد، ومثل إقراره اختلاف الصَّحابة عندما قال لهم: «**مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُصَلِيَنَّ العصرَ إلَّا في بني قُرَيْظة**»[(٤)]. فصلَّى بعضهم في الطريق عملًا بمقصود النص، ولم يُصلِّ آخرون إلا في بني قريظة حتَّى وإنْ فات الوقت، عملًا بظاهر النص، فأقرَّ هؤلاء وهؤلاء، ولم يُعنِّف أحدًا من الفريقين، فهذا الإقرار دليل منه ﷺ على شرعيَّة الاجتهاد، وهكذا، فالسُّنَّة سواء كانت قولًا أو فعلًا أو تقريرًا مصدر للتشريع، وهي مصدر للاقتداء، فقد زاد أهل الحديث على الأصوليين في تعريف السُّنَّة:

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

(٣) رواه أحمد (٢١٩٠٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. عن أبي واقد الكندي: كان رسول الله ﷺ أخف الناس صلاة بالناس، وأطول الناس صلاة لنفسه.

(٤) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في المغازي (٤١١٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

أنْ تكون صفة خُلُقية أو خِلقية. فيدخل في السُّنَّة أيضًا: أنَّه ﷺ كان أبيضَ مُشربًا بحمرة[١]، وأنَّه كان أشد حياءً من العذراء في خدرها[٢]، وأنَّه كان أجود الناس، وأشجع الناس[٣]، إلى آخره، فهذه كلها تدخل في السُّنَّة، فلا بدَّ من الرجوع إلى السُّنَّة، والسُّنَّة الَّتي يُرجع إليها ويؤخذ منها الحكم هي ما كانت في مرتبة الصحيح، أو مرتبة الحسن من الأحاديث، أمَّا الأحاديث الضعيفة فلا يؤخَذ منها أحكام.

وإذا أردنا أن نفهم القرآن فيجب أن نفهمه في ضوء اللغة العربية، كما قال الإمام الشهيد، فليس لأيِّ أحد أنْ يفهم القرآن كما يشاء، أحيانًا تجد بعض النَّاس يُنزِّلون القرآن على حسب أهوائهم، أو على حسب المدلولات العرفية للألفاظ في العصر الحديث، فالألفاظ ترتحل أحيانًا من معنى إلى معنى، فأحيانًا يكون له معنى حادث لم يكن موجودًا في عصر نزول القرآن.

من ذلك مثلًا: كلمة «سياحة» لها في عصرنا معنى معروف، فيأتي هؤلاء إلى قوله تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]. ويقولون: القرآن يحثُّ على السياحة. ليبرروا بذلك فتح الأندية الليلية، والكازينوهات لجذب السياح، فهل هذا معنى السياحة الَّتي ذكرها القرآن في هذه الآية؟! وهل إذا قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]. أنْ يبدله أزواجًا

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٩٤٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وابن حبان في التاريخ (٦٣١١)، عن على بن أبي طالب.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٢)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٠)، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٣٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٧)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ينتقلن من بلد إلى بلد؟! فبعض النَّاس يقسرون القرآن قسرًا على معانٍ لم يقصدها، فلا بدَّ أن نرجع إلى معاني الألفاظ في عصر نزول القرآن، فنعرف ماذا يُراد باللفظ في العصر النبوي، عصر الصحابة؟ ولذلك لا بدَّ أن نرجع إلى ما صحَّ عن النبي ﷺ في تفسير القرآن، لأنَّ هناك أحاديث في التفسير لم تصح، ولا بدَّ أن نعرف ما صحَّ عن الصحابة أيضًا في تفسير القرآن، فالتفاسير المأثورة لها مكانتها، ولا نقسر القرآن على ما نريده نحن.

بعض النَّاس يفهم من القرآن أشياء ما كانت تخطر في بال أحد، قرأت في كتاب لأحد أساتذة التاريخ يتكلَّم عن الدولة الإسلامية، فقال: كان العرب يُكْرِهون فتياتهم على البغاء، يُكْرِه الأب ابنته على البغاء ليقبض من ورائها، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣]. ففهم من كلمة فتاة ما نفهمه في عصرنا أنَّ الفتاة هي مقابل الفتى، وهي البنت.

مع أن مَنْ تتبع الكلمة في القرآن يعرف أنَّ المراد بالفتاة هنا الجارية، ملك اليمين، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥]. كلمة فتياتكم هنا تعني الجواري أو الإماء، فكان بعض العرب يُكْرِه جواريه على البغاء ليكسب من ورائها، ولم يُعرف أبدًا أنَّ العرب يُكرهون بناتهم على الزنا، بل كانوا يقتلون بناتهم في الصغر خشية أنْ يحدث منهنَّ في الكبر شيء من هذا فيجلبن العار لهم، فهذا سوء فهم، ولذلك من المهم أن نعرف مدلولات الألفاظ في عصر النزول.

QaradawiBooks.com

ولكي نفهم القرآن لا بدَّ أن نردَّ بعضه إلى بعض، فالقرآن يفسِّر بعضه بعضًا، ويصدِّق بعضه بعضًا، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ولذلك لمَّا قرأ بعض الصحابة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. قالوا: وأينا يا رسول الله لا يظلم نفسه؟ فقال لهم النبي: «**ليس هو كما تظنُّون، إنَّما هو كما قال لقمان لابنه:** ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[(١)]. فبيَّن لهم أنَّ قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾. يعني أنَّهم لم يلبسوا توحيدهم بشرك، اجتنبوا الشرك، ففسر القرآن بالقرآن.

فمن المهم إذنْ أن نفهم القرآن في ضوء ما جاء في القرآن والسُّنَّة المطهرة، وفي ضوء ما جاء عن الصحابة والتابعين، أي ما أجمعوا عليه، فرأي الفرد منهم مهما كان ليس معصومًا، بل يجب أنْ يُرد إلى القرآن والسُّنَّة، لأنَّ أيَّ إنسان يؤخذ من كلامه ويترك، حتَّى في فهم القرآن، فمع أنَّ ابن عباس رضي الله عنه يعتبر ترجمان القرآن، وقد دعا له النبي ﷺ أنْ يفقهه في الدين، ويُعلِّمه التأويل[(٢)]، إلا أنَّ له تأويلات لا تُعتَبر، مثل ما روي عنه من أنَّ المراد بالسفهاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥]. هم النساء والصبيان[(٣)]. ورُوِي أيضًا عن بعض أصحابه أنَّ المراد بالسفهاء: النساء. وفي عدد قريب من مجلة «الأمة» كتبت بعض

---

(١) متَّفقٌ عليه: البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٢٤)، عن ابن مسعود.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الوضوء (٧٥) بلفظ: «اللهم علمه الكتاب»، وبلفظ: «اللهم فقهه في الدين»، (١٤٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٧٧) بلفظ: «اللهم فَقِّهْه». «وعَلِّمْه التأويل». رواها أحمد (٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده على شرط مسلم.

(٣) هكذا رُوي عن ابن عباس وابن مسعود والحكم بن عيينة والحسن والضحَّاك، وقال مجاهد وعكرمة وقتادة: هم النساء. انظر: تفسير ابن كثير (٢١٤/٢) وما بعدها، تفسير قوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، تحقيق سامي محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

الأخوات حول هذه الآية، وتساءلت: كيف يكون المراد بالسفهاء النساء؟ وهذا في الحقيقة كلام مردود، وإنْ جاء عن ابن عباس، وإن جاء عن أصحابه، لأنَّه تعالى لو أراد النساء ما قال: السفهاء. كان سيقول: السفيهات، أو السفائه. لأنَّ سفهاء جمع سفيه، وليست جمع سفيهة، حيث إن «فَعِيلة» تُجمع على «فَعِيلات» أو على «فَعَائل»، أمَّا «فُعَلاء» فهي جمع مُذكَّر، ثمَّ إنَّ السفه كلمة ذم، ولا يُذم الإنسان على ما ليس من اختياره، كيف تُذم المرأة لكونها أنثى، وتوصف بالسفه، وهي لم تخلق نفسها أنثى؟ وكيف يُذم الصغير لكونه صغيرًا، ويسمى سفيهًا؟ بل نجد في القرآن عكس ذلك، ففي آية المداينة يقول الله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فجعل السفه قسيمًا للضعف، وليس قسمًا منه، من هنا نقول: يمكن أنْ تأتي آراء عن كبار المفسرين ـ حتَّى عن ابن عباس ـ إذا عرضناها على بقية القرآن، وعلى أصول الإسلام الأخرى نجدها غير مقبولة.

من ذلك أنَّ ابن جرير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]. وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. اختار أنَّ المراد بها أهل الكتاب[1].

وهذا كلام غير مقبول، لأنَّ الآيات وإن جاءت في أهل الكتاب، إلا أنَّ العموم الَّذي جاءت به يشمل أهل الكتاب وغيرهم، ولذلك حقَّق الأصوليون أنَّ العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، كما تقول: أساء فلان التغذية فمرض، ومَنْ أساء التغذية أصابه المرض. فالجملة الأولى

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/٣٥٠).

QaradawiBooks.com

خاصة، والجملة الثانية حكم عام، وكذلك حين يقول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أو ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أو ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. فهذا حكم عام يشمل اليهود وغيرهم، يشمل أهل التوراة، وأهل الإنجيل، وأهل القرآن، وليس معقولًا أنَّ مَنْ لم يحكم بما أنزل الله في التَّوراة أو الإنجيل يكون كافرًا، أو ظالمًا، أو فاسقًا، ولا يكون مَنْ لم يحكم بما أنزل الله في القرآن كافرًا، أو ظالمًا، أو فاسقًا، فهذا معناه أنَّ القرآن دون التوراة والإنجيل.

ومعناه كذلك أنَّ الله جلَّ شأنه يكيل بكيلين، هذا ينافي عدلَ الله ﷻ، وينافي المساواة بين ما أنزل الله في كتبه، إن لم يكن القرآن هو أفضلها جميعًا، وهو كتاب الخلود، والمهيمن على ما سبقه، فيجب أن نرجع في فهم القرآن إلى القرآن نفسه، وإلى ما جاء عن رسول الله، وما أجمع عليه الصَّحابة والتابعون، كما نرجع إلى اللغة العربية كذلك.

ونحن لا نرجع إلى اللغة العربية وحدها لمعرفة مدلولات الألفاظ، بل نرجع كذلك إلى مقتضى السياق والسباق، ما سبق الآية وما لحقها، بحيث تُفهم الآية أو الجزء من الآية في إطار النص كله، فهذا يُحدِّد المعنى المراد، فلا يجوز لأحد أنْ يقتطع الآية أو جزء منها عما قبلها وما بعدها ويريد أنْ يُحمِّلها معنى معينًا، أو يحملها على المجاز بينما هي في الأصل على الحقيقة، فلا ينبغي أنْ يُحمل اللفظ على المجاز إلا بقرينة تجعله مجازًا.

لا بدَّ من الرجوع إلى القرآن الكريم فهو المصدر الأول في شريعة الإسلام، ليس المصدر الأول في الأحكام الفقهية فقط، بل هو كذلك المصدر الأول في الأحكام الاعتقاديَّة، والسلوكيَّة، والتشريعيَّة، ثمَّ تأتي السُّنَّة في المرتبة الثانية.

QaradawiBooks.com

لماذا لم يذكر الإمام البنَّا الإجماع والقياس؟:

ونلاحظ أنَّ الإمام الشهيد لم يذكر في هذا الأصل الإجماع والقياس، وهما يمثلان مع القرآن والسُّنَّة المصادر الأربعة عند جمهور أهل السُّنَّة، فهل معنى هذا أنَّه ينكر الإجماع والقياس؟ لا، وذلك لسببين:

السبب الأول: أنَّ الإجماع والقياس ثابتان في الحقيقة بالقرآن والسُّنَّة، فإذا أثبتَّ مرجعية القرآن والسُّنَّة فقد أثبتَّ ما تفرَّع عنهما من أدلَّة، مثل: الإجماع والقياس، واعتبار المصلحة، أو شرع مَنْ قبلنا، أو غير ذلك، فهي أدلة مستنبطة من القرآن والسُّنَّة.

السبب الثاني: أنَّه هنا لا يتحدث عن الأحكام الفقهية فقط، وإنَّما عن مطلق الأحكام، سواء كانت أحكامًا اعتقادية، أو أحكامًا أخلاقية، أو أحكامًا فقهية عملية، فإذا أردنا أن نعرف كل هذه الأحكام نرجع إلى القرآن والسُّنَّة، فهم يتحدثون عن الإجماع والقياس إذا أرادوا الأحكام الفقهية العملية خاصة، لكنَّه هنا يتحدث عن الإسلام كله، عقيدةً، وعبادةً، وأخلاقًا، وتشريعًا، وتنظيمًا، إذا أردنا أن نعرفها نرجع إلى القرآن والسُّنَّة.

ثم هنا اعتبار آخر: أنَّه ـ كما قلنا ـ يريد بهذه الأصول أنْ يجمع المسلمين جميعًا، ولذلك صاغها صياغة بحيث لا يختلف عليها أحد.

كنا ذات مرة نتحدث، وكان معنا أحد الإخوة، كنا نسميه ابن حزم، لأنَّه كان ظاهري النزعة، وكان يحفظ «المُحلَّى»، وكتب ابن حزم، وكان علامة، أظنه توفي رَحِمَهُ اللَّهُ، وجاء الحديث عن الأصول العشرين، فقال: لو ذكر الإمام الشهيد الإجماع والقياس لخالفته في هذا، لأنَّنا نحن الظاهرية لا نقول بالقياس. فهو ظاهري، وتبنى رأي ابن حزم في الأمور كلِّها،

QaradawiBooks.com

يعتبر من الإخوة العلماء العاملين، لكنَّه لا يعتبر القياس مصدرًا من المصادر كما هو رأي المدرسة الظاهرية، فكان من حكمة الإمام البنَّا أنَّه ترك التفصيل خشية من الاختلاف، واكتفى بالقرآن والسُّنَّة.

قلنا: إنَّ أفضل المناهج في تفسير القرآن: أنْ يُفسَّر القرآن بالقرآن، فإذا لم نجد فيه ما يفسره، نذهب إلى السُّنَّة، فهي مبيِّنة للقرآن، ومُفصِّلة له، ولا يستغني القرآن عنها، كما لا تستغني هي عنه، فإذا لم نجد في القرآن ولا في السُّنَّة نذهب إلى الصحابة رضوان الله عليهم، فهم الَّذين شاهدوا أسباب نزول القرآن، وعايشوا رسول الله ﷺ، وكان جبريل روَّاحًا غدَّاءً بآيات الله، وهم حضروا ذلك كله، فعرفوا فِيمَ نزل، وخاصة فقهاؤهم وعلماؤهم، مثل الخلفاء الأربعة، ومثل ابن مسعود الَّذي يقول: والله ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم: أين نزلت، وفِيمَ نزلت[1]، ومثل ابن عباس الَّذي جمع علم الصحابة إلى علمه، وغير هؤلاء، وتأتي بعد الصحابة مدرسة التابعين الَّذين أخذوا علمهم عن الصحابة، مثل مجاهد، وعكرمة، وعطاء، وغيرهم.

ثم بعد ذلك لا مانع أن ننظر في القرآن الكريم فنجتهد نحن في ضوء اللغة العربية، لا نخرج عليها، ولا نلوي أعناق النصوص ليًّا لنؤيِّد معنىً مُعيَّنًا، كما يفعل بعض النَّاس الَّذين يُحرِّفون الكلم عن مواضعه، يستدلون بالآيات على غير ما أريد بها، هذا طبعًا مرفوض.

هناك أناس يستدلون بالقرآن على غير ما أراد القرآن، حتَّى إنَّنا لمَّا أُخذنا إلى المعتقلات سنة ١٩٤٨م، وسنة ١٩٤٩م، وسنة ١٩٥٤م، كانوا

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٠٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٦٣).

QaradawiBooks.com

يحاربوننا بالقرآن، كانوا يقولون: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: ٣٣]. ينزلون آيات الله في غير موضعها.

حتى الطوائف المنحرفة تستدل بالقرآن، مثل القاديانيين، ومثل البهائيين الَّذين يتبعون البهاء، ويقرؤون قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١، ٢]. ويقولون: النبأ العظيم هو ظهور البهاء. ويقرؤون قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]. ويقولون: يوم الخروج هو يوم خروج البهاء. فهكذا يقولون أي شيء، وينكرون المعجزات، إذا سألتهم: أين معجزات البهاء؟ يقولون: ليس هناك معجزات. وإذا سألتهم عن معجزات الأنبياء الثابتة يقولون: ليس هناك عصا وحيَّة وإحياء للموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، إلى آخره، فإلقاء العصا يعني الحجَّة الَّتي تبطل الأكاذيب، كما قال الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر[1]

فالعصا في قولهم كناية عن الحجة البيِّنة الواضحة الَّتي تلقف دعاوى المدَّعين، وأكاذيب المكذِّبين، وإحياء الموتى في قولهم يعني إحياء موتى القلوب، وإبراء الأكمه والأبرص يعني علاج المرضى الَّذين مرضت عقولهم، أمرضتها الشبهات والشهوات، وهكذا، فالسير وراء هؤلاء النَّاس يعني مسخ القرآن، وهذا هو الخطر الَّذي أصاب الكتب القديمة فمسخها التحريف.

(١) ذكره الثعالبي في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ولم ينسبه صـ٣١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والتحريف نوعان: تحريف لفظي، وهو تبديل لفظ مكان لفظ؛ وتحريف معنوي، وهو إخراج الكلام عن المراد منه إلى مراد آخر، فهذا مسخ لكتاب الله، ولذلك ينبغي أنْ يُرفَض هذا المسخ تمامًا.

وإذا أردنا أن نفهم القرآن فيجب أن نفهمه في حدود اللغة الَّتي نزل بها، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥]، ومن هنا يجب أن نتعرَّف على لسان العرب، ونعرف نحوه، وصرفه، وبيانه، ومعانيه، حتَّى نفهم القرآن.

أمَّا الَّذي لا يعرف اللسان العربي فكيف يفهم القرآن؟ تجد مَنْ لا يعرف علم النحو يريد أنْ يفسِّر القرآن، ويجادلك بالقرآن، وهو لا يعرف الفاعل والمفعول، يقول: كيف يخاف اللهُ من العلماء؟ فتقول له: من أين جئت بهذا؟ يقول: من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]. يقرأ «اللهُ» بالرفع! لا يعرف أنَّ في اللغة العربية فاعلًا ومفعولًا، وأنَّ فيها ما يُسمَّى تقديم المفعول على الفاعل، ولذلك لا يعرف أنَّ ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ في الآية هم الفاعل، هم الَّذين يخشون الله، فالعلماء فاعل مُؤخَّر، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، أي: لا يخشى اللهَ من عباده إلا العلماءُ، لكنَّه لا يعرف فاعلًا ولا مفعولًا، ولا تقديمًا ولا تأخيرًا، فكيف تُفْهِم مثل هذا؟

لا بدَّ إذنْ أنْ يكون عند المرء شيء من اللغة العربية حتَّى يفهم القرآن، ويفهم السنَّة، لأنَّ الأمر أحيانًا قد يترتَّب عليه أحكام، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۞ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۞ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۞ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٠]. علام يعود الضمير في قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾؟ هل يعود

QaradawiBooks.com

الضمير إلى: ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾؟ أم يعود إلى ﴿كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾؟ القاعدة اللغوية تقتضي أنْ يكون الضمير عائدًا إلى أقرب مذكور، وهو الكتاب المكنون، والكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾، أي الملائكة، فهو كتاب محفوظ لا تصل إليه الشياطين، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢]، هذا الأوفق من ناحية القاعدة، وهو الأوفق كذلك من ناحية المعنى، لأنَّهم كانوا يقولون: القرآن تتنزل به الشياطين. فكيف تتنزل به الشياطين وهو في كتاب مكنون لا يمكن أنْ يصل إليه إلا الملائكة المطهرون.

فمعرفة القرآن تحتاج إلى معرفة بالعربية، بالنحو، والصرف، والبلاغة، والمعاني، إلى آخره، فلا بدَّ لمن يريد أنْ يتعرف على أحكام الإسلام أنْ يكون عنده قدر من هذه الثقافة، أو على الأقل يأخذها من أهلها، إذا لم يكن يتلقَّى هو يأخذ من أهلها، بدلًا من أنْ يدَّعي العلم، ويزعم لنفسه أنَّه مجتهد، وأنَّ الدين ليس حكرًا على أحد، صحيح أنَّ الدين ليس حكرًا على أحد، ولكن علم الدين كأيِّ اختصاص في الدنيا لا بدَّ له من أهل، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. ويقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

الشاهد مما أريد أنْ أقول: إنَّ المنهج الأمثل في التعرف إلى كتاب الله هو الرجوع إلى القرآن أولًا، ثمَّ إلى السُّنَّة، ثمَّ إلى ما جاء عن الصحابة والسلف في تفسير القرآن، ثمَّ ما جاء في اللغة العربية، ونحاول

QaradawiBooks.com

أن نفهم الآيات في حدود سياقها وسباقها وفي إطارها العام، ولا نحاول أن نقْسُرها قسرًا على معانٍ هي غريبة عليها، أو بعيدة عنها، ولا نُحرِّف الكلمات عن مواضعها، ولا ننقل الأدلة عما جاءت له، لأنَّ بعض النَّاس يستدل أحيانًا بما ليس بدليل، يضع الدليل في غير موضعه، كالذين يرون أنَّ الأولياء يتصرفون في الكون كما يشاؤون، أحمد البدوي، وإبراهيم الدسوقي، والرفاعي، والجيلاني، اقتسموا الدنيا أربعة أرباع، وأخذ كل واحد ربعًا، كما اقتسم الروس والأمريكان النفوذ في العالم، وإذا سألتهم: ومن أعطاهم هذا؟ يقولون: الله هو الَّذي أعطاهم ذلك، والقرآن يقول: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

صحيح أنَّ القرآن قال هذا، ولكن بالنسبة لأهل الجنة، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤]. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢]، ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٤، ٣٥]، ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣١]، فالله تعالى يتحدث في هذه الآيات عن جزائهم في الجنَّة أنَّ لهم فيها ما يشاؤون، أي أنَّ في الجنَّة مَنْ اشتهى شيئًا حُقِّق له، إذا كنت في الدنيا تشتهي شيئًا ولا تستطيعه، فإنك إذا اشتهيت في الجنة شيئًا يهيِّئه الله لك، إذا أردت أنْ ترى أخاك فلانًا تجده عندك، أو تجد نفسك عنده، وكذلك كل ما تشتهيه، روى البخاري عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ كان يومًا يحدث، وعنده رجل من أهل البادية أنَّ رجلًا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: ألستَ فيما شئتَ؟ قال: بلى، ولكنِّي أحبُّ أنْ أزرع، قال: فبذر، فبادر الطَرْفَ نباتُه واستواؤه واستحصاده، فكان أمثال الجبال،

QaradawiBooks.com

فيقول الله: دونك يا ابنَ آدم، فإنَّه لا يُشبعك شيء. فقال الأعرابي: والله لا تجده إلا قرشيًّا، أو أنصاريًّا، فإنهم أصحاب زرع، وأمَّا نحن فلسنا بأصحاب زرع. فضحك النبيُّ ﷺ[1]. هذا معنى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾. وليس ما يقوله أدعياء التصوف الَّذين يعطون لبعض النَّاس سلطة في الكون تنازع سلطة الله ﷻ، هذا غير معقول، فمن الخطأ أن نُخرج الآيات عن دلالتها.

كما أنَّ من الخطأ والخطل والخطر أن نتبع المتشابهات، وندع المحكمات، فقد نزل القرآن: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. فالواجب أنْ نرد المتشابهات إلى المحكمات، لا نجعل المتشابهات هي الأصل، بل إذا كانت هناك آية تحتمل معنيين نردها إلى الآية الأخرى، فبذلك تُحْكَمُ المعاني وتنضبط، ولا تصبح رجراجة سائبة هلامية.

هذه بعض الضوابط الَّتي لا بدَّ منها لفهم القرآن، ولفهم السُّنَّة أيضًا، تختلف السنَّة عن القرآن بأنَّ فيها ما هو قطعي الثبوت، وما هو ظني الثبوت، أمَّا القرآن فهو كله قطعي الثبوت، أي ثبت بالتواتر اليقيني الَّذي لا شك فيه، ليس هناك نص قرآني محتمل الثبوت، بل هو من بداية سورة الفاتحة حتَّى نهاية سورة النَّاس ليس فيه كلمة واحدة مشكوك في ثبوتها، لا يستطيع أحد أنْ يزيد فيه، ولا أنْ ينقص منه، بدأت سورة براءة بغير البسملة، فلم يستطع أحد أنْ يضع فيها البسملة،

(١) رواه البخاري في المزارعة (٢٣٤٨)، وأحمد (١٠٦٤٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذا القرآن ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فهو قطعي الثبوت.

وفي السُّنَّة ما هو قطعي الثبوت مثل الأحاديث المتواترة، سواء كان التواتر عمليًّا، مثل أنَّ الصلاة خمسة، وأنَّ صلاة الصبح اثنان، والظهر أربع ركعات، وأنَّ الصلاة أفعال وأقوال مفتتحة بالتكبير مختومة بالتسليم، أو كان التواتر قوليًّا، مثل حديث: «**مَنْ كذب عليَّ مُتَعَمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَه من النار**»[(١)].

وهناك بعض أحاديث الآحاد احتفَّت بها قرائن فنقلتها من الظنية إلى القطعية، مثل حديث: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات**»[(٢)]. وحديث: «**الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّن**»[(٣)]. وغيرها من أحاديث الآحاد الَّتي انتقلت إلى درجة القطعي لأنَّ المسلمين تلقوْها بالقبول جيلًا بعد جيل، ولم يعارضها معارض، فأصبحت قطعيَّة لدى المسلمين، وأمَّا ما عدا ذلك من السُّنَّة فهو ظني الثبوت.

ومن ناحية الدلالة هناك في القرآن والسُّنَّة ما هو قطعي الدلالة، وما هو ظني الدلالة، أمَّا قطعي الدلالة فهو ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، مثل الآيات الَّتي تذكر الأعداد، كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]. لا تزيد ولا تنقص، وكما في قوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. لا تزيد ولا تنقص، وكذلك الآيات الَّتي

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في العلم (١١٠)، ومسلم في المقدمة (٣)، عن أبي هريرة. وقد ذكره ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات (٥٦/١)، عن أكثر من ستين نفسًا، وهو حديث متواتر مشهور.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٤٤.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

تذكر الأنصبة والمقادير، النصف، والثلث، والربع، والسدس، والثمن، الَّتي جاءت في المواريث.

وأمَّا ظني الدلالة فهو ما يحتمل أكثر من وجه، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. أكل امرأة يُتوفَّى عنها زوجها تتربص بنفسها هذه المدة، سواء كانت حاملًا أم غير حامل؟ جمهور المسلمين على أنَّ الآية لا تشمل الحامل، لكن ورد عن علي بن أبي طالب[١]، وابن عباس[٢] أنَّ الحامل تتربص بنفسها أبعد الأجلين، ففي القرآن والسُّنَّة نصوص ظنية الدلالة، وهي موضع الاجتهاد، يبحث المجتهد في مورد النص ليرجح أي الأفهام أولى بالقبول، وأحق بالترجيح، هذه أمور ينبغي أن تُعرف.

المهم في السُّنَّة أنْ تكون ثابتة، وثبوتها يعني أن تكون صحيحة أو حسنة، ويُعرف ذلك من خلال السند، لأنَّ السُّنَّة وصلتنا عن طريق الأسانيد، فلان عن فلان عن فلان عن فلان إلى الصحابي الَّذي سمع الرسول ﷺ، أو شاهده، والإسناد من خصائص الأمة الإسلامية، فليس عند الأمم الأخرى مثل هذا الإسناد، ولم تتلقَّ كتبها المقدسة بالأسانيد، أمَّا نحن فلا يقبل عندنا شيء إلا بالإسناد، كما قال ابن سيرين: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء[٣]. قال عبد الله بن المبارك لأحدهم: من أين جئت بهذا؟ قال: حدثني بها فلان. قال: عن مَنْ؟ قال: عن فلان. قال: عن مَنْ؟ قال: عن فلان. قال لـه: لا؛ فبين فلان وفلان

(١) رواه الطبري في التفسير (٤٥٤/٢٣).
(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٩)، ومسلم في الطلاق (١٤٨٥).
(٣) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١٥/١).

QaradawiBooks.com

مفاوز تنقطع فيها أعناق المُطيِّ[١]. لم يولد هذا إلا بعد أن مات هذا، فمن أين جئت بهذا الكلام؟ ومن هنا عمل المسلمون علم تواريخ الرجال وعلم الجرح والتعديل، ليُعرف متى وُلد هذا، ومتى توفي هذا؟ ومَنْ أخذ عن مَنْ؟ يُعرف الشيخ، وتلاميذه، وحلقاته، وتُعرف سيرته وسلوكه، فليس الأمر كما يتصور الَّذين يطعنون في السُّنَّة ويقولون: يمكن أن نركب الأسانيد، ونقول: حدثنا فلان، عن فلان، عن فلان. كأن الأمر يمكن التلفيق فيه، لا، بل للأمر رجال، كما قيل لعبد الله بن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة؟! قال: يعيش لها الجهابذة[٢]. يكشفون زيفها، وقد عاشوا لها فعلًا، ووضعوا القواعد، وأصَّلوا الأصول، فلا بدَّ من الإسناد، ولا بدَّ أنْ يكون رجال الإسناد ثقات، والراوي الثقة هو المتصف بالعدالة والضبط، وعدوله أنْ يكون من أهل التقوى، أنْ يكون مرضيَّ السيرة، وكانوا أحيانًا يتشددون في مسألة العدالة، ولا يكفي أنْ يكون الراوي عدلًا، بل يجب أنْ يكون حافظًا ضابطًا، لأنَّهم كانوا يخشون من رواية المغفلين، فاشترطوا أنْ يكون الراوي واعيًا حافظًا ضابطًا.

هذه كلها معانٍ لا بدَّ أن نعيَها حين نرجع إلى سُنَّة رسول الله ﷺ، فنرجع إلى أهلها الثقات، الَّذين حفظوها في دواوين، وفي كتب، وعرَّفونا بالصحيح وبالحسن، وبالضعيف وبالمنكر، وبالموضوع، فلا بدَّ من الرجوع إلى أهل السُّنَّة الثقات إذا أردنا أن نأخذ حكمًا من الأحكام، أو نعرف قيمة من القيم الإسلامية، أو أدبًا من الآداب الإسلامية، حتَّى

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٠٤/٨)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية صـ٣٦، تحقيق أبي عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، نشر المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

QaradawiBooks.com

لا تروج علينا الأحاديث الضعيفة، أو الأحاديث الموضوعة للأسف، كما نرى بعض النَّاس يردون الصحيح، ويقبلون الموضوع، دعك من الضعيف، كما كتب أحدهم يردُّ حديث البخاري، ويقبل حديثًا موضوعًا، يقول: كيف يقول رسول الله: «**لن يُفْلِحَ قومٌ ولَّوْا أمرهم امرأة**»[١]. وهو القائل: «خذوا نصفَ دِينِكم عن هذه الحُميراء»[٢]؟ والحديث الأخير موضوع، حقَّق المُحَقِّقون وقالوا: هو حديث باطل. ومعناه ليس مقبولًا، إذ ماذا يأخذ النَّاس عن سائر الصحابة؟ ولو قلنا: إنَّ نصف الدين ما يتعلق بالنساء. فهل الرجال لم يرووا أحاديث تتعلق بالنساء؟ وأين أحاديث بقية أمهات المؤمنين؟ ثمَّ إنَّ كلمة «حميراء» كلمة تدليل، يقولها الرجل لامرأته، فليس معقولًا أنْ يتوجه بها للناس، فهذا حديث مردود وباطل، وللأسف تروج أحاديث باطلة، فقد ظلمت السُّنَّة في الحقيقة، شاعت أحاديث غير صحيحة، ورُدَّت أحاديث صحيحة، والأوْلى أن نرجع إلى أهل الاختصاص في هذا، وقد ظهرت ـ والحمد لله ـ مجاميع من السُّنَّة، تفيدنا في هذه الناحية، علينا أنْ نستفيد منها، ونرجع إليها، حتَّى نضع كلَّ شيء في موضعه.

---

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٤٢٥)، وأحمد (٢٠٤٠٢)، عن أبي بكرة.

(٢) هذا الحديث من الأحاديث الباطلة التي لا أصل لها، قال السخاوي: قال شيخنا ـ يعني ابن حجر ـ في تخريج أحاديث ابن الحاجب من إملائه: لا أعرف له إسنادًا، ولا رأيته في شيء من كتب الحديث، إلا في النهاية لابن الأثير، ذكره في مادة «حمر»، ولم يذكر من خرَّجه، ورأيته أيضًا في كتاب الفردوس، لكن بغير لفظه، وذكره من حديث أنس أيضًا بغير إسناد، ولفظه: «خذوا ثُلثَ دِينِكم من بيت الحُمَيْراء». وبيَّض له صاحب مسند الفردوس فلم يُخَرِّج له إسنادًا. وذكر الحافظ عماد الدين ابن كثير أنَّه سأل الحافظين الْمِزِّي والذهبي عنه، فلم يعرفاه. انظر: المقاصد الحسنة للسخاوي (٤٣٢)، تحقيق محمد عثمان الخشت، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. والحُمَيْراء: تصغير الحمراء يريد بها البيضاء.

QaradawiBooks.com

هذا هو الأصل الثاني: الرجوع إلى كتاب الله، وإلى سُنَّة رسوله ﷺ، وإلى الثقات من أهل الاختصاص في فهمهم، حتَّى لا نجور على شيء من كتاب الله، أو من سنَّة رسول الله ﷺ، وهما المرجع، وهما المصدر، وهما المعصومان، وكل أحد يؤخذ من كلامه، إلا النبي المعصوم ﷺ.

أكتفي بهذا القدر في شرح هذا الأصل.

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

(الأصل الثالث)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وللإيمانِ الصادق، والعبادةِ الصحيحة، والمجاهدة؛ نورٌ وحلاوةٌ يقذفها الله في قلب مَنْ يشاء من عباده، ولكنَّ الإلهامَ والخواطرَ والكشفَ والرُّؤى ليست من أدلَّة الأحكام الشرعيَّة، ولا تُعتبر إلَّا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدِّين ونصوصِه**»[1].

بعد أنْ حدَّد الإمام الشهيد في الأصل الثاني مصدر المعرفة بالإسلام، ومن أين نستقي أحكام الإسلام، أراد بالأصل الثالث أنْ ينفي بعض الأوهام لدى بعض الأفراد والفئات الَّتي تتخذ مصادر أخرى غير القرآن والسُّنَّة، مثل الكشف، والإلهام، والرؤى، الأحلام والمنامات، وخاصة رؤيا النبي ﷺ في المنام، وما إلى ذلك، هل تُعتبر هذه الأمور من أدلة الأحكام الشرعيَّة، أم لا تُعتبر؟

هنا نجد الإمام الشهيد ذكر في هذا الأصل ثلاثة أمور أساسية:

الأمر الأول: أنَّه لم يُنكر أثر الإيمان، والعبادة، والمجاهَدة للنفس ورياضتها في تنوير القلب، وتجْلية البصيرة، وفي إذاقة الإنسان حلاوة الطاعة، وهذا أمر لا خلاف فيه، إذا كان هناك بعض غلاظ الحس، وبعض الحرفيين الَّذين ينكرون هذا الأثر، فالإمام الشهيد لا ينكره.

وهو لم يقل بوجود هذا الأثر من عند نفسه، بل استنادًا إلى الأدلَّة القرآنية والنبويَّة، فالله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال: ٢٩]. أي نورًا في صدوركم تفرِّقون به بين الحق والباطل، ويقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

---

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٦، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]. ويقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]. ومن المخارج الَّتي تحتملها الآية: المخرج من الإشكالات، والشبهات الَّتي يقع فيها الإنسان، فهذا المخرج من أثر التقوى، وجاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: «**اتَّقوا فِراسةَ المؤمن؛ فإنَّه ينظرُ بنور الله**»[(١)]. كما جاء في الحديث أنَّه ﷺ قال: «**لقَدْ كانَ فِيما قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحدَّثون، فإنْ يكُ في أُمَّتي أحدٌ، فإنَّه عُمَرُ**»[(٢)]. والمُحَدَّث هو الَّذي يُلهَم الشيء فإذا هو صواب، فقد جاء في القرآن والسُّنَّة أنَّ هناك من النَّاس مَنْ استنارت بصائرهم، وكشف الله لهم الحُجُب فأبصروا بطريق الكرامة من الله ﷻ ما خفي على غيرهم، كما رُوِي عن عمر في القصة المعروفة، أنَّه كان على المنبر فنظر إلى جيش المسلمين والعدو يأتيهم من خلفهم، فقال: يا ساريةُ الجبلَ[(٣)]. فإذا سارية يسمعه، والمسلمون الَّذين يسمعون الخطبة يتساءلون: ما هذه الجملة المعترضة الَّتي قالها؟ فكيف رأى الجيش؟ وكيف سمع سارية الصوت؟ هذا أمر غير معتاد.

ودخل أنس بن مالك على عثمان بن عفان، وكان قد رأى امرأة في الطريق، فنظر إليها، وتأمَّل في محاسنها، فلما دخل على عثمان، قال: ما لي أراكم تدخلون عليَّ وأثر الزنا في أعينكم؟ فقال: ما هذا يا أمير

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣١٢٧)، وقال: حديث غريب. والطبراني في الأوسط (٧٨٤٣)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (١٨٢١). عن أبي سعيد الخدري. ورواه الطبراني (١٠٢/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٩٤٠): إسناده حسن. عن أبي أمامة.

(٢) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٨٩)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه اللالكائي في كرامات الأولياء (٦٧)، تحقيق أحمد الغامدي، نشر دار طيبة، السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م. والبيهقي في الاعتقاد صـ٣١٤، تحقيق أحمد عصام الكاتب، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

QaradawiBooks.com

المؤمنين؛ أَوَحيٌ بعد رسول الله؟ قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن[١]. ففي القرآن والسُّـنَّة وأحوال السـلف ما يدلُّ على أنَّه قد يحدث هذا الأثر، ولهذا لم يُنكِره الإمام البنَّا.

لكن الَّـذي يُنْكر أنْ يصبح هذا الأمر قاعـدة بحيث يعتمد عليه في أخذ الأحكام الشرعيَّة، بحيث إذا قيل لأحدهم: كيف عرفت هذا الحكم؟ يقول: عن طريق الإلهام! وإذا كان أهل الحديث يقولون: حدثنا فلان، عن فلان، عن فلان، عن صحابة رسول الله. فهو يقول: حدثني قلبي عن ربي. ويقول: أنتم تأخذون علومكـم ميتًا عن ميت، أمَّا نحن فنأخذ عن الحي الَّذي لا يموت! وقال بعضهم: إذا رأيت الصوفي يقول: حدثنا، وأخبرنا؛ فاغسـل يدك منه. ولما قيل لبعضهم: تعال معي نروي عن عبد الرزاق. قال له: ماذا يصنع بعبد الرزاق مَنْ يروي عن الخلَّاق؟! أنا آخذ من فوق مباشرةً، وهذا طبعًا مرفوض يقينًا.

ومهما ادَّعى أصحـاب الأذواق ومواجيد النفـوس أنَّهم وصلوا من الصفاء والنقاء إلى درجةٍ عاليـة، لا تجعلهم أهلًا لأنْ يؤخذ عنهم حكم شرعي، فليس أحد منهم معصومًا، هذه الخواطر، وما يدَّعَى أنَّه إلهام أو كشف لا يمكن أنْ يؤخذ منه حكم شرعي، لا في أمور الاعتقاد، ولا في الأمور العملية.

أمَّا من ناحية الأمور الاعتقادية، فقد كنا ـ ونحن في الأزهر ـ ندرس كتابًا يسمَّى «العقائد النسفية»، وفي بداية الكتاب يحدد المصنف مصادر المعرفة، الَّتي توصِّل إلى العقائد السـليمة، فيقول: أسباب العلم للخلق ثلاثة: الحواس السـليمة، والعقـل، والخبر الصـادق، والخبر الصَّادق

(١) تفسير الرازي (٤٣٤/٢١)، نشر دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.

غير مرخصة للطباعة
نسخة محمية
QaradawiBooks.com

نوعان: الخبر المتواتر الَّذي نقله جماعة عن جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عادةً، وخبر الرسول المؤيَّد بالمعجزة[١].

هذه أسباب العلم للخلق، ما يأتي عن طريق الحسّ، وهو أساس العلم التَّجريبي، وما يأتي عن طريق العقل، بالتفكير المنطقي، والمقدمات السليمة، وما يأتي عن طريق الخبر، وقسَّمه إلى خبر متواتر، سواء يتعلق بالدين أو بالدنيا، فربما لم ترَ مدينة «بكين»، ولكن هل تشك في وجودها، لأنَّ الخبر تواتر بوجودها، فلا يمكن أنْ يتفق النَّاس كلهم على الكذب، وكذلك الشخصيات التاريخية، مثل الإسكندر الأكبر، أو نابليون، أو هارون الرشيد، أو الإمام الشافعي، هذه الشخصيات عرفناها عن طريق الأخبار المتواترة، فالخبر المتواتر يفيد العلم، أي يفيد اليقين، ثمَّ هناك خبر الرسول المؤيَّد بالمعجزة، فما دام ثبت بالمعجزة أنَّه يتكلَّم عن الله، فهذا هو الوحي، هذه أسباب العلم.

ثم قال النسفي: والإلهام ليس من أسباب العلم بصحة الشيء عندنا أهل الحقِّ[٢]. فلا يأتي مَنْ يقول: أنا أُلهمت كذا وكذا! فمن أين نعرف أنَّ إلهامك هذا صحيح؟ وكيف نطمئن إلى أن ما وصلت إليه بالإلهام حق؟ قد يكون حقًّا عنده نفسه إنْ صح إلهامه، لكن لا يستطيع أنْ يُلزم به غيره، هذا من ناحية الاعتقادات.

أيضًا لا يمكن أنْ يُقبل شيء في الأحكام العملية عن طريق الإلهام، لا يجوز أنْ يأتي من يقول: هذا حلال، وهذا حرام، وهذا مستحب، وهذا

(١) شرح العقائد النسفية للتفتازاني صـ١٥ وما بعدها، تحقيق د أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

(٢) المصدر السابق صـ٢٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مكروه، وهذا مباح، عن طريق الإلهام والكشف. لا يجوز أنْ يصحح حديثًا أو يضعفه عن طريق الإلهام والكشف، كنت أقرأ قريبًا كتابًا يُلخص فيه صاحبه كلام ابن عربي، فكان يقول: صح عندنا كشفًا، وإن لم يصح سندًا أنَّ الله تعالى يقول: «كنتُ كَنْزًا خفيًّا فخلقتُ الخلق ليعرفوني»[1]. فهذه مشكلة أنْ يأتي أحد ويصحح الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة بالكشف، أو يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي كذا. بل يقول بعضهم: رأيته في اليقظة، وقد أمرني أنْ أفعل كذا، وكذا، وقال لي: قم قاتل، أنت المهدي المنتظر. فلا يمكن أنْ يؤخذ حكم شرعي بادعاء الإلهام والكشف.

مصادر الأحكام الشرعيَّة محددة، هي القرآن والسُّنَّة، هذان هما المصدران المعصومان، وما ليس معصومًا لا يمكن أنْ يُقبل، ومن هنا كانت نتائج الإلهام والكشف والرؤى غير مقبولة، ولا يمكن أنْ يؤخذ منها حكم شرعي، وذلك لأسباب:

أولًا: لأنَّ الَّذي أُمرنا أن نتبعه ونطيعه هو كتاب الله، وسنة رسوله، ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، وكما قال

(١) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٢٢/١٨): «ليس من كلام النبي ﷺ، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف». وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلئ، والسيوطي وغيرهم. انظر: كشف الخفاء للعجلوني (٢٠١٦)، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥١هـ.

QaradawiBooks.com

أبو الحسن الشاذلي أحد أئمة الصوفية: إنَّ الله تعالى قد ضمنَ لي العصمة بالكتاب والسُّنَّة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسُّنَّة[١]. فنحن نتبع المصدر المعصوم، مَنْ يدرينا أنَّ هذا الخاطر رحمانيٌّ أو نفسانيٌّ أو شيطانيٌّ؟ فالخواطر والإلهامات مثل الرؤى، ومن الرؤى ما هو رحمانيٌّ، ومنها ما هو نفسانيٌّ، ومنها ما هو شيطانيٌّ، كما جاء في صحيح مسلم: «**الرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحةِ بُشرى من الله، ورُؤيا تحزينٌ من الشيطان، ورُؤيا ممَّا يُحَدِّث المرءُ نَفْسَه**»[٢]. وكما أنَّ مصادر الرؤى ثلاثة فمصادر الخواطر والإلهامات ثلاثة، فمن يدريني إن كانت الخواطر والإلهامات رحمانيَّةً أو نفسانيَّةً أو شيطانيَّةً؟ لا نستطيع أن نعرف، ولذلك فهي غير معصومة، ولا يؤخذ الشرع من غير معصوم، فلا يجوز أن أحلل أو أحرِّم من عند نفسي، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، ولذلك قبل بعض المتصوفة ـ للأسف ـ أشياء محرمة، على أساس أنَّهم ألهموا بها، أو ألهم بها شيوخهم، فأقرُّوا بعض المعاصي والمنكرات، وكنت أعرف رجلًا طيِّبًا يعمل مُدرسًا، وكان له شيخ من الصوفية، فقال لي مرة: إن لشيخه كرامات، وهو من الصالحين، ويقوم الليل، ولكنَّه يتناول المخدرات. قلت له: كيف يكون من الصَّالحين وله كرامات، ويتناول المخدرات، كيف تؤكد هذه على تلك؟! قال لي: ماذا أصنع بقلبي؛ لا يستطيع أنْ يكذِّب ما يراه من كراماته وخوارقه؟ قلت: ألم تقرأ ما يقوله العلماء: إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء، أو يمشي

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (٤/٢)، نشر مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، ١٣١٥هـ.
(٢) رواه مسلم في الرؤيا (٢٢٦٣)، وأحمد (٧٦٤٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

على الماء، فلا تغتروا به حتَّى تعرضوا أمره على الكتاب والسُّنَّة، وإلا فاعلموا أنَّه ساحر دجال[١]؟ قال: نعم. قلت: فكيف تقبل بذلك؟ قال: لعلَّ له تأويلًا، لعله يستعين بهذه الأشياء على قيام الليل. قلت: ليته ما قام الليل، يكفيه أنْ يصلي الفرض، بدلًا من أنْ يستعين بالحرام على أمر مندوب. فهذه الأفكار تفسد الفهم والتفكير، وتجعله يقبل ما لا يُقبل إطلاقًا، ومن هناك كانت الخواطر والإلهامات مرفوضة لأنَّها غير معصومة.

ثانيًا: لأنَّ الإسلام أمرنا أن نطلب العلم، ونتفقه في الدين، لكن الَّذين يعتمدون على هذه الأشياء يرفضون العلم، يقولون: لماذا تتعب نفسك في طلب العلم؟ فرِّغْ قلبك يفض الفيض عليك من أعلى. فالكشف عندهم يأتي عن طريق تخلية القلب، وهذا الأمر ذكره الإمام الغزالي ـ للأسف ـ في كتاب «الإحياء»، أنَّ على الإنسان أنْ ينقطع عن الدنيا بالكلية، ويشتغل بذكر الله باستمرار، حتَّى لا يبقى على لسانه إلا كلمة «الله، الله»، فإذا ذهبت الكلمة من لسانه يظل يرددها بقلبه، ويظل على الانقطاع والترديد إلى أن تُفاض عليه الأنوار، وكذا[٢]!

ورغم أنني أحب الإمام الغزالي فعلًا، وأحترمه وأقدره، ولا شك أنَّ له قيمته في الثقافة الإسلامية، والسلوك الإسلامي، ولكن هل هذا هو المنهج الَّذي جاء به النبي ﷺ؟ هل هذا ما فعله الصحابة؟ لو انقطع الصحابة عن الدنيا وانشغلوا عنها ما فتحوا الفتوح، ولا نشروا الإسلام في الآفاق، ولا كان هذا العالم الإسلامي كله.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٣٣/١).

(٢) إحياء علوم الدين (١٩/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثم إنَّه إذا فرَّغ قلبه، ثمَّ جاءه بعد ذلك ما جاءه، ما يدريه ـ كما يقول الإمام ابن تيمية ـ أن ما جاءه من الرحمن أو من الشيطان[1]؟ لم يقل الإسلام: فرِّغ قلبك. وإنَّما قال: أخرج منه ما كان لغير الله، واجعله مملوءًا بحب الله، اخرج منه عبادة غير الله ليسكن فيه عبادة الله، أخرج منه التوكل على غير الله، واجعله مملوءًا بالتوكل على الله. وهكذا، تخلية وتحلية.

ثم إذا كانت هذه هي النتيجة، فقد يصل إليها رهبان النصارى، وأحبار اليهود، وكهنة الوثنية، البوذية، والهندوسية، وغيرهما، لأنَّه يمكن أن تحدث لهم مثل هذه الأشياء، فهل هذه الرياضة هي المراد؟ ليست هي المراد، وإنَّما الإسلام طريق قائم على الاتباع لا الابتداع.

ثالثًا: لأنَّ نتائج الكشف والإلهامات غير ثابتة، ولا مطَّردة، بل هي مضطربة ومتناقضة ومتضاربة، يضرب بعضها بعضًا، وينقض بعضها بعضًا، يأتي أصحاب الكشف بخرافات ما أنزل الله بها من سلطان، تقرأ في كتاب مثل «الطبقات الكبرى» للشعراني مثل هذه الخرافات، يتكلم عن أشياء من خرافات الأولين، أن في السماء الأولى كذا، وفي الثانية كذا، وهكذا، مثل كلام الفلك اليوناني القديم، تخريفات ينكرها العلم الحديث تمامًا، فإذا اعتمدنا على نتائج الكشف والإلهام لوصلنا إلى أشياء لا قيمة لها من الناحية العلمية، ولا من الناحية الواقعية، ولا من الناحية الدينية، ولذلك ينبغي أن نرفض هذه النتائج، ولا نقبل أن نأخذ إلا من المصادر المعصومة، من القرآن، ومن السُّنَّة.

إنَّما يجب أن نطلب العلم من بابه، وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وإذا كانوا يقولون: مَنْ قال: أخبرنا وحدثنا. فانفض يدك منه. فهل

(١) مجموع الفتاوى (٣٩٩/١٠).

QaradawiBooks.com

نصل إلى العلم إلا بأخبرنا، وحدثنا؟ لولا هذا ما وصلتنا سنة رسول الله ﷺ، فلا بدَّ من طلب العلم، أمَّا ما يقولونه بأن الإنسان بحسبه أنْ ينتظر وسيأتيه العلم اللدني، وأنَّه علم يُفاض على الإنسان، وقد يكون خلاف العلم الظاهر تمامًا، ويقولون بأن هناك علم الشريعة، وعلم الحقيقة، فعلم فقهاء الشريعة هو علم أهل الظاهر، أمَّا العلم الَّذي يتعلموه فهو العلم اللدني، علم الحقيقة، كما يقولون: مَنْ نظر إلى الخلْق بعين الشريعة مقتهم، ومَنْ نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم. أي إذا نظرت إلى النَّاس بعين الشريعة تقول: هذا كافر، وهذا فاجر، هذا يهودي، وهذا نصراني، أمَّا إذا نظرت إليهم بعين الحقيقة تعذر الجميع، لأنَّ القدر يُسيِّرهم جميعًا، فهم وإن عصوا أمر الله، فقد أطاعوا إرادة الله، وهذا يعني أنَّ الكفرة والفجرة الَّذين ساموا المسلمين سوء العذاب، حتَّى إبليس نفسه، كلهم في نظرهم معذورون، وهم يستدلون بقصة الخضر عليه السلام في سورة الكهف على قضيَّة الشريعة والحقيقة، أنَّ موسى عليه السلام أنكر على الخضر، فبيَّن له أن ما فهمه بحسب الظاهر، أمَّا ما فعله فبحسب الباطن، هذا مع أنَّ الخضر بيَّن لموسى الحكمة المعقولة المفهومة فيما فعله، حين قال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]. فارتكب بذلك أخفَّ الضررين، خرق فيها خرقًا، وهو ضرر صغير، لئلا يصادرها هذا الملك الغاصب بالكلية، فهذا الفعل مبني على قاعدة: ارتكاب أخف الضررين لتفادي أعظمهما، وكذلك حين قال: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨٠، ٨١]. فحين تعارضت مصلحة الغلام ومصلحة الأبوين، قدَّم مصلحة الأبوين، ولذلك لما أراد أحد الخوارج أنْ يقتل أحد الأطفال الصغار، قيل له: إذا علمت ما علمه الخضر

QaradawiBooks.com

فاقتله. لو علمت أنَّه إذا بلغ سيكفر، ويضر بنفسه وبأبويه فاقتله، لكن مَنْ يفعل هذا الآن؟ هل يكون موقفنا الآن موقف موسى، أم موقف الخضر؟ موقف موسى بلا شك، فإذا رأينا أحدًا يخرقُ سفينة، أو يقتل غلامًا لا بدَّ أنْ يكون موقفنا موقف موسى عليه السلام، وليس هناك أحد الآن يكون موقفه مثل موقف الخضر؛ لأنَّ الخضر قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]. وهذا يعني أنَّ عنده وحي بذلك، عنده أمر به، فليس هناك مَنْ يقول الآن: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]. لأنَّه ليس هناك وحيٌ بعد رسول الله، فالاعتماد على الخواطر والإلهام في تقرير الأحكام مردود.

وكذلك الاعتماد على الرؤى في تقرير الأحكام مردود، بعض النَّاس يتَّخذ من الرؤى والمنامات مصدرًا لما يفعله أو ينتهي عنه، ونحن طبعًا لا ننكر كلَّ الرؤى، فهناك بعض الرؤى صادقة كما جاء عن الرسول ﷺ، لكن كيف نعرف أنَّ هذه رؤيا صادقة، وهذه غير صادقة؟ ثمَّ إنَّ الرؤية مهما كانت صالحة لا تعدُو أن تكون مبشِّرات كما قال الرسول ﷺ: «**أيُّها النَّاس، إنَّه لم يبقَ من مُبَشِّرات النبوَّة إلَّا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له**»[(١)]. فهذه الرؤى تنبه الإنسان أو تنذره، أو تبشره، وقالوا: إنَّ «فرويد» نفسه لم ينكر الأحلام التنبؤية. ورغم إمكانية حدوثها لا تستطيع أنْ تأخذ منها حكمًا.

وهناك بعض الرؤى من الشيطان، كما روي أنَّ أعرابيًّا جاء إلى النبيِّ ﷺ وقال: إنِّي حَلَمْتُ أنَّ رأسي قُطِعَ فأنا أتَّبِعه، فزجره النبيُّ ﷺ وقال: «**لا تخبرْ بتَلَعُّب الشيطانِ بك في المنام**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٧٩)، وأحمد (١٩٠٠)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الرؤيا (٢٢٦٨)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

وهناك بعض الرؤى أحاديث نفس، على نحو ما يقولون: «الجوعان يحلم أنَّه في سوق العيش» أي الخبز[١]. عنده أمور يهتمُّ بها في النهار فيحلم بها في الليل، تنعكس سراديب اللاشعور، فلا نستطيع أن نفصل بين هذه الرُّؤى بعضها وبعض.

ثم هل إذا رأى أحدهم النَّبي ﷺ في منامه، هل يمكن أنْ يأخذ منه حكم؟ إذا ادَّعى أحدهم أنَّه ﷺ جاءه في نومه، وقال له: فلان فاسد فاذهب فاقتله. هل يجوز له أنْ يقتل هذا الرجل بناء على رؤياه؟ أو قال له: هذه الجماعة سيئة فاتركها. وهي جماعة تدعو إلى القرآن والسُّنَّة. هل يصلح الاعتماد على الرؤيا في ذلك؟ لا يصلح، لأنَّنا نحتكم إلى شرع النبي ﷺ، وقبل أنْ يموت أكمل الله له الدين، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فبما أنَّ الشرع قد اكتمل، فلسنا في حاجة إلى رؤيا أو إلى شيء من هذا أبدًا، ومَنْ يدريه أن مَنْ جاءه هو رسول الله ﷺ؟ صحيح أنَّ النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: «**مَنْ رآني في المنام فقد رآني حقًّا؛ فإنَّ الشيطانَ لا يتمثَّلُ بي**»[٢]. ولكن لا بدَّ أن تكون عارفًا رسول الله من قبل، وإلا فكيف تعرف أن مَنْ جاءك هو رسول الله؟ ولذلك حينما كان أحدهم يقول لابن سيرين، إمام المعبرين: رأيت رسول الله ﷺ. يقول له: صفه لي. فإذا ذكره بأوصافه كما جاءت في السُّنَّة، يقول له: قد رأيته. وإذا ذكر أوصافًا أخرى، يقول: لم تره[٣].

(١) انظر: الأمثال العامية لأحمد تيمور باشا صـ١٧٦، مطابع دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٥٦م.

(٢) رواه البخاري في التعبير (٦٩٩٤)، عن أنس.

(٣) عزاه ابن حجر في تغليق التعليق (٢٦٧/٥، ٢٦٨)، إلى إسماعيل القاضي. تحقيق سعيد القزقي، نشر المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ.

QaradawiBooks.com

وكذلك جاء أحدهم إلى ابن عباس، وقال له: رأيت رسول الله ﷺ. فقال له: صفه لي. فقال: ذكرت الحسن بن علي. قال: قد رأيته. لأنَّ الحسن كان أشبه النَّاس برسول الله ﷺ، إذنْ فليس كل مَنْ ادَّعى أنَّه رأى رسول الله يكون قد رآه، حتَّى قال بعض المحققين: لا يمكن لأحد أنْ يتحقق من ذلك تمامًا إلا الصحابة، لأنَّهم يعرفونه تمامًا. أمَّا الآخرون فيُخَمِّنون، أو يذكرونه بالأوصاف المتقاربة.

ولذلك لمَّا ذُكِرَ لابن حزم أنَّ بعضهم احتجَّ على منع الصائم من القبلة في النهار بحديث عبد الله بن عمر عن أبيه، أنَّه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام، فرأيتُه لا ينظرني، فقلتُ: يا رسولَ الله، ما شأني؟ فقال: «ألستَ تُقَبِّل وأنت صائم؟!» قلتُ: فوالَّذي بعثكَ بالحقِّ، لا أُقَبِّل بعدها وأنا صائم[1]. عقَّب ابن حزم على هذا الخبر بقوله: الشرائع لا تؤخذ بالمنامات، لا سيَّما وقد أفتى رسولُ الله ﷺ عمرَ في اليقظة حيًّا بإباحة القبلة للصائم، فمن الباطل أنْ ينسخ ذلك ميتًا! نعوذ بالله من هذا[2]. والأوْلى هو ما رواه أبو داود أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: هششتُ فقبَّلتُ وأنا صائم، فقلت: يا رسولَ الله، صنعتُ اليوم أمرًا عظيمًا؛ قبَّلتُ وأنا صائم! فقال رسول الله ﷺ: «**أرأيتَ لو مضمضتَ من الماء وأنت صائم؟**» قلتُ: لا بأس به. قال: «**فمَهْ؟**»[3].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الإيمان والرؤيا (٣١١٤٤).

(٢) المحلى بالآثار (٣٤٢/٤).

(٣) رواه أحمد (١٣٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٢٣٨٥)، وابن خزيمة (١٩٩٩)، والحاكم (٤٣١/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الصيام، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

فالقبلة بالنسبة للجماع كالمضمضة بالنسبة للشرب؛ لا تُبطل صيامًا، هذا ما ثبت عن عمر في هذا الأمر، ولذلك لا يجوز أنْ تؤخذ أحكام شرعيَّة من الرؤى.

وذكر الإمام الشَّاطبي أنَّ الخليفة المهدي العباسي دخل عليه أحد الفقهاء المعروفين، وهو القاضي شَرِيك بن عبد الله، فازْورَّ عنه، لم يكلمه، ثمَّ طلب الخليفة السيف والنِّطَع؛ يريد أنْ يقتله، فسأله: ما الَّذي حدث يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيتُك في المنام مُعرِضًا عنِّي، لا تعطيني وجهك، فسألت مُعَبِّري، فقال: إنَّه يُظهر لك طاعة، ويُضمر لك معصية. فقال: والله ما أنت بالخليل إبراهيم، ولا مُعَبِّرُك بيوسفَ الصِّدِّيق. (أي أنَّ رؤياك ليست وحيًا، وليس مُعبرك هو يوسف الصديق فيكون تعبيره صحيحًا)، أبمثل هذه الأحلام تُضرب أعناق المؤمنين؟ فألجمه وأفحمه، لم يستطع أنْ يتكلَّم، وما صنع به شيئًا[1].

وممَّا حكاه الإمام الغزالي: أنَّهم أرادوا أنْ يقتلوا رجلًا، فسألهم: لمَ تريدون أنْ تقتلوني؟ قالوا: إنَّ فلانًا ـ يعنون رجلًا صالحًا ـ رأى إبليسَ في المنام قد دخل عددًا من البلاد، ولم يدخل بلدًا مُعَيَّنًا، فلما سألوه: لماذا لم تدخل هذا البلاد؟ قال: يكفيني فيها فلان؛ يقول بخلق القرآن. فسألهم: لو أخبركم إبليس في اليقظة بأنَّني أقول بخَلْقِ القرآن، هل كنتم تُصَدِّقونه؟ قالوا: لا. قال: فليست فتواه في المنام بأحسن من فتواه في اليقظة[2]. فالناس أحيانًا يُغْرقون ويبالغون في هذه الأشياء،

(١) رواه محمد المغربي الإفريقي في المحن صـ٢٦٠، تحقيق د. عمر سليمان العقيلي، نشر دار العلوم، السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م. وانظر: الاعتصام للشاطبي (٢٦١/١، ٢٦٢)، تعليق الشيخ محمد رشيد رضا، نشر المكتبة التجارية الكبرى.

(٢) الاعتصام (٢٦٢/١).

QaradawiBooks.com

وبعض البيئات الَّتي لا تتعمَّق فيها الثقافة الإسلاميَّة الحقيقيَّة تروج فيها مثل هذه الأباطيل.

من أجل هذا أراد الإمام الشهيد حسن البنَّا ـ خاصَّة في وجود بيئات صوفيَّة تروجُ فيها مسائل الرؤى والكشف والإلهام والخواطر ـ أنْ يحسم هذه الأمور، أنَّها ليست من أدلَّة الأحكام الشرعيَّة، ولا تُعتبر إلَّا إذا كانت لا تصطدم بالأحكام الشرعيَّة، فيمكن أنْ تُعتبر، ولكنَّهم قالوا: تعتبر في المباحات، وبشرط ألَّا تصطدم بالأحكام الشرعيَّة. كأنْ يرى أحدهم في منامه ـ مثلًا ـ منزلًا جميلًا، تحيطه حديقة خضراء، أو نحو ذلك، وقد همَّ أنْ يخطب بنت فلان، فينشرح صدرُه للخِطْبة ويقدم عليها، لا بأس طالما لم يتعلَّق بذلك حكم شرعي، بالتَّحريم، أو الوجوب، أو الكراهة، أو الاستحباب، فلا مانع أنْ يأخذ بمثل هذه الأمور ما دامت في دائرة المباحات، ولم تصادم أصلًا، ولا حكمًا شرعيًّا.

هذا مجمل ما يقال في ناحية الإلهام، وما يتَّصل به من الرُّؤى، والخواطر، والكشف، ونحو ذلك، لا بدَّ أنْ تضبط بالضوابط الشرعيَّة الأصوليَّة الَّتي تمنع الأخذ بالأباطيل، والجريِ وراء الشُّبهات الَّتي لو فتحنا بابها لا تقف عند حدٍّ.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(الأصل الرابع)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والتمائم والرُّقَى والوَدَع والرمل والمعرفة والكهانة وادِّعاء معرفة الغَيْب، وكلُّ ما كان من هـذا الباب مُنْكَر تجب محاربته، إلَّا ما كان آيةً من قرآن، أو رقيةً مأثورةً**»[1].

هذا الأصل استكمال للأصل الثالث، وردٌّ على الَّذين يدَّعون معرفة الغيوب، والكشف عن أستار المستقبل، ومعرفة ما تُخَبِّئه الصدور، بطرق معيَّنة، كالكهانة، والعرافة، وضرب الرمل، وغيرها من الأشياء الَّتي وُجِدت عند النَّاس من قديم الزمان، خاصَّة في البيئات الوثنيَّة، وكانت معروفة أيضًا عند العرب، ثمَّ انتقلت إلى المسلمين للأسف.

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ الغيب لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، بل هذا ما نطق به القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، هناك أمور مغيَّبة لا يعلمها إلا الله، أو مَنْ أعلمه من خلقه من رسله، فالنبي بذاته لا يعلم الغيب، ولا يكشف أستاره.

ونحن حينما نتحدَّث عن الغيب نقصد الغيب المُطْلَق، أمَّا الغيب النسبي الَّذي يمكن أنْ يُعرف عن طريق الظنِّ بوسائل مُعَيَّنة، بالتوصُّل إلى نتائجَ عن طريق مُقَدِّمات، كما تفعل مثلًا هيئة الأرصاد الجوِّيَّة، تتوقَّع أنْ يكون هناك أمطار، أو رياح، أو كذا، هذا ليس علمًا بالغيب، وإنَّما هو تنبُّؤ بنتائج من خلال مُقَدِّمات موجودة فعلًا، أنَّ هناك موجة باردة قادمة من سيبيريا إلى أوربا، حسب السُّنن

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٦، ٣٥٧، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

QaradawiBooks.com

الكونيَّة، والمعتاد من قوانين الله، تنتقل الموجة إلى الشرق في حدود كذا، وهذا ليس من علم الغيب.

وكما يحدث هذا في الأمور الكونيَّة يحدث في الأمور الاجتماعيَّة، كما يتوقع مثلًا أن تزيد المواليد، بحسَب إحصاءات ونسب معيَّنة، أنْ يحدث طلاق كذا، وزواج كذا، ومواليد كذا، ما يمكن تسميته الأرصاد الاجتماعيَّة، فهذا لا يدخل في علم الغيب.

ولذلك لا ينافي الإيمان بأنَّ الغيب لله وحده أن نُخطِّط للمستقبل، ربَّما أنكر بعض المُتَدَيِّنين التخطيط للمستقبل، ويقول: ليس المستقبل بأيدينا، إنَّما هو بيد الله. لكن الحقيقة أنَّ هذا التخطيط من باب الأرصاد المبنيَّة على رعاية سنن الله وقوانينه، أنَّه إذا كانت المواليد تزيد بنسبة كذا فيجب أن نعد من المدارس والمستشفيات والمرافق ما يسع هذه الزيادة، فهذا لا مانع منه.

يجب إذنْ أن نفرق بين الغيب المطلق الَّذي لا يعلمه إلا الله، مثل موعد قيام الساعة، أو موت شخص من الأشخاص، لكن ما يدور في الصدور، يمكن من خلال علم الفراسة أنْ ينظر شخص إلى آخر فيعرف ماذا يدور في رأسه، فهذا غير معرفة الغيب المطلق.

أمَّا العرَّافون، والكهنة، والرَّمَّالون، وأمثالهم فهم مُدَّعون، ولا ينبغي للمسلم أنْ يصدقهم، أو يشجعهم على هذا، وكما ورد في حديث أبي هُرَيْرة: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد**»[1]. لأنَّه أنزل على مُحَمَّد ﷺ أنَّ هذا الغيب المُطْلق لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى.

(١) رواه أحمد (٩٥٣٦)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود في الطب (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، كلاهما في الطهارة، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٥٢٢).

QaradawiBooks.com

لهذا حرص الإمام الشهيد على تأكيد هذا المعنى، وعلى أننا ينبغي أنْ نسُـدَّ الأبواب الَّتي فتحها كثير من الجهلة والعـوام والأدعياء، مثل العرافة، والكهانة، وضرب الرمل والودع، وأيضا التمائم الَّتي يسـمونها أحيانًا حجابًا، أو حرزًا، أو جَمْعة، ويكون بداخلها مواد معيَّنة، أو أوراق مكتوبة، ويضعونها للوقاية من العين أو الحسد، أو الجن، ويلحق بذلك أنواع من الرقى تكون بكلمات غير مفهومة، يخاطبون بها الجن، ويرقون بها الإنسـان، كل هذه الأنـواع من الباطـل والدجل والادِّعـاء حرَّمها الإسـلام، فقد جاء عن النبيِّ ﷺ: «**إنَّ الرُّقى والتَّمائمَ والتِّوَلَةَ شِـرْكٌ**»[١]. يقصد بالرقى ما كان بكلمات تنافـي الوحيد، أو بغير ذكر الله تعالى، أو كانت بكلمات غير مفهومـة، وكذلك التمائم الَّتـي يعلقونها، كما قال النبيُّ ﷺ: «**من تعلَّقَ تميمةً فلا أتمَّ اللهُ لَهُ، ومـنْ تعلَّقَ ودَعةً فلا وَدَعَ اللهُ لَه**»[٢]. وقال: «**مَن عَلَّقَ تَميمةً فقد أَشـرَكَ**»[٣]. لأنَّه يعتمد عليها من دون الله، أو مع الله، وقد رأى النبيُّ ﷺ في يد رجـل حَلْقة، فقال: «**ما هذا؟**» قال: اتَّخذتها من الواهنة. قال: «**ما تَزِيدُكَ إلَّا وهنًا، انْبِذْها عنك، فإنَّك إنْ متَّ وهي عليـك وُكِلْتَ إليهـا**»[٤]. فكهذا أنكر النبـيُّ ﷺ هذه الأمور،

---

(١) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرِّجـوه: صحيح لغيره. وأبـو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، كلاهمـا في الطب، وصحَّحـه الألباني في صحيح ابن ماجـه (٢٨٤٥)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (١٧٤٠٤)، وقال مخرِّجوه: حسن. والحاكم في الطب (٢١٦/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٥٢٤١)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (١٢٦٦)، عن عقبة بن عامر.

(٣) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مخرِّجوه: إسـناده قويٌّ. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٢)، عن عقبة بن عامر.

(٤) رواه أحمد (٢٠٠٠٠)، وقال مخرِّجوه: إسـناده ضعيف. وابن ماجه في الطب (٣٥٣١)، وابن حبـان فـي الرقـى والتمائـم (٦٠٨٥)، والطبرانـي (١٧٢/١٨)، وقال الهيثمـي في مجمع =

QaradawiBooks.com

وقاومها، وكذلك أصحابه من بعده، ولما رأى حذيفة شيئًا من هذا قطَّعه، وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦](١). وجاء عن سعيد بن جُبَيْر: مَنْ قطع تميمة كان كعتق رقبة(٢). كأنَّه حرَّرها، لأنَّه إنقاذ للناس من هذه الشِّركيَّات.

المقصود من هذا الأصل: تحرير النَّاس من الاعتقادات الشِّركيَّة الَّتي يعتمد النَّاس فيها على غير الله، فهذه الخرافات الَّتي تروج في البيئات الوثنيَّة عادةً يجب أنْ تُقاوَم.

كما أنَّ المقصود أنْ يحترم النَّاس سننَ الله، ويحترموا شبكة الأسباب والمسبَّبات الَّتي أقام الله عليها هذا الكون، فمَنْ أصابه مرض عليه أنْ يتداوى، فالذي خلق الداء خلق الدواء، لا أنْ يترك الأسباب، ويطلب من الدجَّالين أنْ يعملوا له حرزًا، أو تميمة، أو جَمْعَةً، أو حجابًا، ولو كانت هذه الأشياء تضر أو تنفع الأمر هكذا لعمل الصحابة الأحجبة والتمائم ليدفعوا بها الأعداء، ويتَّقوا بها المخاطر، ويجلبوا بها النصر، وهو ما لم يكن، فلا بدَّ من احترام الأسباب والسنن.

والمقصود من هذا الأصل كذلك سد الباب على الدجَّالين والأدعياء، لأنَّ الباب لو فُتح لهم سيأكلون أموال النَّاس بالباطل، ويضحكون على عقول العوام والسُذَّج، وهؤلاء يصدقون أي شيء، وخاصة أن صاحب الحاجة يعجبه أي كلام، سواء كان مريضًا طال مرضه أو قصر، أو كانت

= الزوائد (٨٤٠٢): رواه ابن ماجه باختصار، رواه أحمد والطبراني، وفيه مبارك بن فضالة وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات. عن عمران بن حصين.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٠٤٠)، تحقيق أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الطب (٢٣٩٣٩).

QaradawiBooks.com

عانسًا لم تتزوَّج، أو زوجة تأخر حملها، فتريد أنْ تتعلق بأي خيط، بأدنى شيء، فتذهب إلى هؤلاء النصَّابين، وتقع في شراكهم، ولا تستطيع أن تخرج من أحابيلهم، ويستنزف منها أموالًا وراء أموال، وهكذا، ولهذا جاء الإسلام ليسد هذه الأبواب كلها، ويدعو إلى اعتماد النَّاس على السنن والأسباب.

وليس معنى الاعتماد على السنن والأسباب أنَّ الدعاء ممنوع، أو أنَّ كلَّ الرقى غير مشروعة، لا، فالدعاء مطلوب، إذ هو استعانة العاجز بالقادر، والرقية المشروعة يمكن أنْ يرقي الإنسان بها نفسه، أو يرقي بها غيره، فقد كان النبي ﷺ يرقي الحسن والحسين بالرقية المشهورة: «**أعوذ بكلمات الله التامَّة، من كلِّ شيطان وهامَّة، ومن كلِّ عين لامَّة**»(١).

وروى أبو سعيد الخُدْري رضي الله عنه أنَّ جبريل أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: يا مُحَمَّدُ، اشتكيتَ؟ فقال: «**نعم**». قال: «**باسم الله أَرْقِيكَ، من كلِّ شيء يُؤذيكَ، من شرِّ كلِّ نَفْسٍ أو عين حاسد الله يشفيكَ باسم الله أرقيكَ**»(٢).

وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنَّه شكا إلى رسولِ اللهِ ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم ـ قد كان يُهلِكُه ـ ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ضعْ يدَكَ على الَّذي تألَّم من جسدك، وقلْ باسم الله ثلاثًا، وقلْ سبع مرَّات أعوذ بالله وقدرته من شرِّ ما أجد وأُحاذر**»(٣).

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٧١)، عن ابن عباس.
(٢) رواه مسلم في السلام (٢١٨٦)، وأحمد (١١٥٣٤)، عن أبي سعيد الخدري.
(٣) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٢)، وأحمد (١٦٢٦٨)، عن عثمان بن أبي العاص.

QaradawiBooks.com

ويمكن أنْ يذهب المرء إلى المريض، ويدعو له بالشفاء أيضًا، كما روى ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**ما من مسلمٍ يعودُ مسلمًا فيقولُ سبعَ مرَّاتٍ: أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أنْ يشفيَكَ. إلَّا شُفِيَ؛ إلَّا أنْ يكونَ قد حضرَ أجلُه**»[1]. فكل هذا مشروع، لكن مع استخدام الأسباب الأخرى، يستخدم الرقية والدعاء ويستخدم معها الطب والتداوي، فيجمع بين الجانب المادي والجانب الروحي، هذا هو الَّذي جاء به الإسلام.

اتِّخاذ تمائم من القرآن:

في بعض مسائل التمائم خلاف، منها: هل يجوز أنْ تكون هناك تميمة من القرآن مثلًا؟ فقد ورد مثلًا قراءة المُعَوِّذتين، وآية الكرسي، ونحو ذلك، لكن هل يجوز أنْ يكتبها الإنسان في ورقة ويحملها كتميمة؟ كان بعض السلف يرقي طفله، ولأنه لا يعرف القراءة فكان يكتب له الآيات في ورقة ليحملها، فأخذ من ذلك بعض الفقهاء جواز أن تكون هناك تمائم مكتوبة من القرآن، ولكن ورد عن آخرين منع هذا، وأنا في الحقيقة ممن يُرجِّحون المنع، وإنَّما أذكر الخلاف حتَّى نعرف الأمر الخلافي من الأمر المُجمَع عليه، حتَّى لا نقيم معركة في أمور تختلف فيها وجهات النظر، فقد تجد من النَّاس مَنْ أفتاه بعض العلماء بمثل هذا ويفعله، فله ذلك إذا اقتنع به، لكن إذا أردنا أن نرجِّح، فأنا أرجِّح منع هذه الأمور لأسباب:

---

(١) رواه أحمد (٢١٣٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الجنائز (٦ ٣١٠)، والترمذي في الطب (٢٠٨٣)، وقال: حسن غريب. والحاكم في الطهارة (٣٤٢/١)، وصحَّحه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وصحَّح إسناده ابن حجر في نتائج الأفكار (١٨٤/٤)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

أولًا: أخذًا بعموم النهي الوارد في النصوص الَّتي نهت عن التمائم، فهي لم تُفَرِّق بين ما هو من القرآن، وما هو من غير القرآن، فالنَّهي عام.

ثانيًا: سدًّا للذريعة، حتَّى لا نفتح الباب لغير هذا، فما دام الباب فُتِح للتمائم بالقرآن يمكن أنْ تدخل منه التمائم بغير القرآن، فإذا كان الرجلُ صالحًا ورآه النَّاس يحمل تميمة، فما يدريهم أنَّها تميمة من القرآن؟

ثالثًا: أنَّ الإنسان قد تصيبه الجنابة، أو يدخل المرحاض وأماكن النجاسة، فيدخل إليها وهو يحمل القرآن.

رابعًا: وهو أمر مهم، أنَّ القرآن لم ينزل ليوضع في تمائم تُحْمَل أو تُعَلَّق، صحيح أنَّ القرآن شفاء، وأنَّه مبارك، ولكن ليس معنى أنَّه شفاء أنَّه يشفي من نزلات البرد، وارتفاع درجة الحرارة، ونحوها من الأمراض العضوية بمجرد قراءة آياته، والرقية بها، وتعليقها، وإنَّما هو شفاء للأُمَّة من أمراضها الاجتماعيَّة، والاقتصادية، والسياسية، والأخلاقية، فالقرآنُ دستور الأُمَّة، هو منهاج حياتها، كما أنَّ بركة القرآن ليست في حمله وتعليقه، وإنَّما هي في اتباعه وتحكيمه، كما قال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. فالبركة في اتباع القرآن، وتقوى الله في تحكيم هذا الكتاب في سائر شؤون حياتنا، هذا بالنسبة لما يتعلق بالأصل الرابع.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(الأصل الخامس)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ورأيُ الإمام ونائبه فيما لا نصَّ فيه، وفيما يحتمل وجوهًا عدَّة، وفي المصالح المُرْسَلَة؛ معمولٌ به ما لم يصطدم بقاعدة شرعيَّة، وقد يتغيَّر بحسَب الظروف والعُرف والعادات، والأصلُ في العبادات التعبُّدُ دونَ الالتفات إلى المعاني، وفي العاديَّات الالتفاتُ إلى الأسرار والحِكَم والمقاصد**»[(١)].

مجالات السياسة الشرعيَّة:

هذا أصل مهم جدًّا، يحدِّد لنا مجال السياسة الشرعيَّة، الَّذي يتمثل فيها رأي الإمام، أو نوَّابه، مثل رأي الولاة، والقضاة، ومَنْ يقوم على ولاية الأمر، هذا الرأي الاجتهادي معمول به في مجالات معينة.

(١) ما لا نصَّ فيه:

من هذه المجالات: ما لا نصَّ فيه. نحن نعلم أنَّ الشرع الحكيم لم ينصَّ على كل شيء، ولكنَّه نصَّ على أشياء، وترك أشياء دون أنْ يُلزِمنا فيها بشيء معيَّن، وهي منطقة تسمَّى «منطقة العفو»، لم يتركها الله عَزَّوَجَلَّ اعتباطًا، وإنَّما تركها تيسيرًا، كما سئل النبي ﷺ عن الحلال والحرام في بعض المأكولات من الأطعمة، فقال: «**ما أحَلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حَرَّم فهو حَرام، وما سكت عنه فهو عَفْوٌ، فاقبلوا من الله عافيتَه، فإنَّ الله لم يكُنْ لِيَنسى شيئًا**». ثمَّ تلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤][(٢)].

ما سكت عنه فهو عفو، أي: أعطاك الحرية فيما سكت عنه، فلا تشدِّد فيه

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٧، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٧.

QaradawiBooks.com

على نفسك، لأنَّ الله لم ينصَّ فيه على شيء، فهذه منطقة العفو، منطقة الفراغ من التشريع، تُركت قصدًا، ونستطيع أن نملأها عن طريق الاجتهاد، قد يكون عن طريق قياس ما لا نص فيه على ما فيه نص، إذا وُجِدت بين الفرع والأصل علة مشتركة، ولم يكن هناك فارق، لأنَّه لا قياس مع الفارق، إلى غير ذلك من شروط القياس المعروفة في أصول الفقه، وقد نملؤُها عن طريق الاستحسان، وغيرها من طرق الاجتهاد، فرأي الإمام هنا معتبر فيما لم ينص عليه الشارع، وما لم ينص عليه الشارع كثير جدًّا.

أحيانًا ينصُّ على الهدف ويترك الوسائل، كما في قضيَّة الشورى مثلًا، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالشورى أصبحت بهذا النص مبدأً، لكن بماذا تتحقَّق الشورى؟ هل تتحقق بالانتخاب؟ أم بالاستفتاء العام لجميع الناس؟ أم للمتعلمين منهم؟ أم لأهل الحل والعقد فقط؟ وهل يكون الانتخاب مباشرًا أم غير مباشر؟ وهل يكون على درجة واحدة، أم على درجتين؟ وهل تجعل للجميع صوتًا واحدًا، أم تجعل للأميِّ صوتًا، وللمتعلم صوتين؟ وهل هناك شروط معينة لمن له حق الانتخاب، من حيث السن، والعدالة، وغيرهما؟ كل هذه الأمور لم يحدِّدها النص، ولذلك فهي قابلة للاجتهاد، فرأي الإمام هنا معتبر، يمكن أنْ يدعو إلى استفتاء عام عند عمل دستور، أو عند انتخاب رئيس للدولة، أو غير ذلك، لا بأس من ذلك طالما أنَّ اجتهاده فيما لا نصَّ فيه، سواء لم يكن في الأمر نص أصلًا، أو لم يكن هناك نص في تفصيلاته المتعلقة به، مثل القضاء عندنا، فالحكم يجب أنْ يكون بما أنزل الله، ويكون بالعدل، لكن هل يكون القضاء على درجة واحدة، أم على درجات؟ فهناك قضاء ابتدائي، وهناك استئناف، وهناك نقض، أو تمييز، أو غير ذلك، وهل يكون

QaradawiBooks.com

القاضي واحدًا في كل القضايا؟ أم يكون هناك أكثر من قاضٍ في القضايا الكبيرة؟ كل هذه أمور لم يحدِّدها الشارع، فإذا جاء الإمام أو نائبه، أو ولي الأمر وحدَّد شيئًا من ذلك، فهو داخل فيما لا نصَّ فيه، والأمر متروك للاجتهاد، وهذا رحمة من الله ﷻ، كما ورد في الحديث المعروف من أحاديث الأربعين النووية الَّذي رواه الدارقطني، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى فرض فرائضَ فلا تُضيِّعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياءَ رحمةً لكم غير نسيانٍ فلا تبحثوا عنها**»[1]. فهي متروكة للاجتهاد البشري، وهذا من فضل الله، ومن دلائل خلود الإسلام وشريعته، لأنَّه لو ألزمنا بصورة تفصيليَّة تليق بالعصر النبوي مثلًا، ربما لا تليق بكل العصور التالية، ولهذا ترك التفصيل في الأمور العامة، فتطبيق مثل هذه الأمور العامَّة يختلف باختلاف البيئات، فالبيئة البدوية غير البيئة الحضرية، والمجتمع البسيط غير المجتمع المركَّب المعقَّد، والمجتمع الأمِّي غير المجتمع المثقف المتعلم، وهكذا، فرأي الإمام فيما لا نص فيه معمول به شرعًا.

(٢) ما يحتمل وجوهًا عدة:

ومن المجالات الَّتي يُعمل فيها برأي الإمام: ما يحتمل وجوهًا عدة. هناك أمور في الشرع تحتمل أكثر من وجه، من ذلك مثلًا موضوع الأسرى، إذا حارب المسلمون حربًا شرعيَّة بشروطها، وكان عندهم أسرى، ماذا يصنعون فيهم؟ هنا نجد عدة احتمالات:

(١) رواه الدارقطني في الرضاع (٤٣٩٦)، والطبراني (٢٢١/٢٢)، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وحسَّنه النووي في الأربعين النووية، الحديث الثلاثون، وقال ابن رجب: حسنه أبو بكر السمعاني في أماليه. جامع العلوم والحكم (١٥٠/٢)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م. عن أبي ثعلبة. والعمدة هو: حديث أبي الدرداء السابق.

QaradawiBooks.com

إما أنْ يُمنَّ على هؤلاء الأسرى فيُطلق سراحهم لوجه الله ترغيبًا في الإسلام، وإما أنْ يُفادَوا، بأنْ يدفع الأسير ـ مثلًا ـ عشرة آلاف دولار، أو مائة ليفدي نفسه، أو نبادل أسرى من المسلمين بأسرى من العدو، كما فدى النبي ﷺ بعض أسرى بدر بالمال، ومَنْ لم يكن عنده مال وقدر على الكتابة علَّم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة[1]، وإما يُسْترق الأسير خاصَّة إذا كانوا هم يفعلون ذلك، إذا كانوا يسترقون أسرانا جاز لنا أن نسترق الأسير، وفي بعض الأحيان يجوز قتل الأسير، وخاصة إذا كان من العتاة الَّذين يسمونهم في عصرنا «مجرمي الحرب»، وقال بعض الفقهاء أيضًا: يجوز أنْ يدخل الأسرى في ذمَّة المسلمين. يقولون: نريد أن نعيش عندكم ونكون من أهل الذمَّة.

هذه خمسة احتمالات جائزة، للإمام أو نائبه أنْ يختار من بينها، قد يرى عدم الاسترقاق، لأنَّ الدول في عصرنا لم تعد تسترق الأسرى، ولو فعلنا ذلك سيجلب علينا ضجَّةً نحن في غنى عنها، ولسنا مُلزمين شرعًا بأن نسترق، فالاسترقاق أحد الوجوه الجائزة، فإذا استبعده فله غيره.

وقد يرى أنَّ الأوْلى أن ندعو إلى الإسلام ونعلن عنه بإظهار سماحته، فيطلق سراح الأسرى بغير مقابل، وقد يرى أنَّ المسلمين بحاجة إلى المال، وعند العدو وفرة منه، فيطلب منه عن كلِّ أسير مبلغًا معيَّنًا، فاختيار الإمام أو نائبه من بين هذه الاحتمالات يدخل في باب الاجتهاد، وكما يقول ابن قدامة وغيره: إنَّ اختيار الإمام هنا ليس اختيار تشهٍّ، بل هو اختيار قائم على تحقيق الأفضل والأحسن من مصالح المسلمين.

(١) رواه أحمد (٢٢١٦)، وقال مخرِّجوه: حسن. والحاكم في الجهاد (١٤٠/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الإجارة (١٢٤/٦)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

فهو لا يعمل ما يحلو له، بل يوازن بين المصالح والمفاسد، والمنافع والمضار، فيختار أهون الضَّرريْن، وأعلى المصلحتَيْن، ويرجح درء المفسدة على جلب المصلحة، والمصلحة الكبيرة على المصلحة الصغيرة، وهكذا، فمن هذه الموازنات اختيار أحد الوجوه.

واختيار الحاكم وجهًا من الوجوه في الأمور الخلافية الَّتي تحتمل وجوهًا عدة يرفع الخلاف، قد يكون هناك أمر تختلف فيه الأنظار، تكون فيه عدة اجتهادات، أو عدة مذاهب، أو عدة آراء، ويأتي الإمام أو نائبه ويختار رأيًا من هذه الآراء ويتبنَّاه هنا يرتفع الخلاف باختياره، هناك مثلًا بعض المذاهب ترى أن من حق الأب أنْ يُزوِّج ابنته البالغة بغير رضاها، كما هو في المذهب الشافعي والمالكي والغالب عند الحنابلة، أمَّا مذهب أبي حنيفة فلا يجيز للأب أنْ يزوجها إلا برضاها، فإذا أخذ الإمام بمذهب أبي حنيفة يصبح هو المعمول به، لنفترض أنَّ المذاهب الثلاثة تشترط إذْن ولي الفتاة، فجاء الإمام ورأى أنَّ الولاة في عصرنا أصبحوا طمَّاعين، ويبحثون لبناتهم عن صاحب المال، وصاحب الوجاهة، ولا يبالون بعواطفهنَّ ورضاهن، ويُضحُّون بمستقبلهن من أجل مصلحتهم الماديَّة، ولهذا اختار مذهب أبي حنيفة، الَّذي يشترط رضا البنت، وأن تتزوَّج بكفء، فإذا لم تتزوج بكفء فمن حقِّ الأولياء أنْ يعترضوا، إذا جاء الإمام واختار هذا المذهب وتبناه فاختياره يرفع الخلاف، يصبح هو المعمول به في هذه الحالة، هذا هو المجال الثاني.

(٣) المصالح المُرسَلة:

ومن المجالات الَّتي يُعمل فيها برأي الإمام: المصالح المرسَلة. والمصلحة هي كل ما يحقق نفعًا للناس، أو يرفع ضررًا عنهم، ومعنى

QaradawiBooks.com

أنَّها مرسَلة أنَّها غير مقيَّدة، ليس فيها تقييد من قِبل الشارع، لا بالاعتبار، ولا بالإلغاء، فإذا كانت هناك مصلحة معتبرة من قبل الشارع فينبغي اعتبارها، وإذا كانت هناك مصلحة مُلغاة من قبل الشارع فينبغي إلغاؤها، فلنفرض أن في الخمر مصالح معينة، كبعض المنافع التجارية، فلو قال أحدهم: نريد أنْ نزرع العنب، لنصنع منها خمرًا، ونُصدره إلى أوربا، أو غيرها، فنكسب بذلك الملايين. نقول له: لا، هذا لا يجوز؛ لأنَّ هذه المصلحة أهدرها الشارع، ألغى اعتبارها، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

ولو قال أحدهم: لا بدَّ لكي نجتذب السياح، ونكسب من ورائهم العملة الصعبة، أن ننشئ لهم الملاهي الليليَّة، والخمارات، ونحوها. نقول له: هذه المصلحة ملغاة من قِبَل الشارع ما دامت تتحقَّق بما هو حرام. ومثل هذا ذكره القرآن حين قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]. كانوا يحجُّون ويطوفون بالبيت عرايا، وكان من وراء هذا الحج مكاسب تعود على أهل مكة، فجاء الإسلام وقال: هذه المكاسب مُلغَاة، لأنَّها تعتمد على هذه المصادر المحرمة، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]. إن خفتم فقرًا فسوف يغنيكم الله من فضله، فهناك مصالح ملغاة.

لكن هناك مصالح مرسلة، لم يأت نصٌّ باعتبارها، ولا بإلغائها، فإذا أصدر بها الإمام قرارًا أو أمرًا، أو قانونًا، فقراره معمول به شرعًا، كما لو أصدر قانونًا ينظم حركة المرور، بحيث تسير السيارات وتتوقف بطريقة معينة، يراعي بذلك المصلحة فهو معمول به، طالما أنَّ هذا الأمر ليس

QaradawiBooks.com

للشارع فيه نص تفصيلي، لا بالاعتبار ولا بالإلغاء، كل ما عندنا فيه هو نصوص عامَّة تُحرِّم الاعتداء على الناس، وكذا

وباب المصلحة المرسَلَة واسعٌ جدًّا، قال بها الإمام مالك، والحنابلة، بل وُجِد عند التحقيق أنَّ جميع المذاهب تقول بالمصلحة المرسلة، قد تتوسَّع بعض المذاهب في ذلك أكثر من غيرها، لكن الجميع يعتمدون المصالح.

والأدلة على رعاية المصالح المرسَلة كثيرة، فاستقراء أفعال النبي ﷺ، واستقراء أفعال الصحابة يدل عليها، عمل الصحابة أشياء لم يكن فيها نص، ولكن لمجرد تحقيق المصلحة، مثل سيِّدنا عمر رضي الله عنه، فقد دوَّن الدواوين، ومصَّر الأمصار، واعتمد التاريخ الهجري للمسلمين، وعمل البريد، واتَّخذ دارًا للسجن، وبعد ذلك عمل الصحابة عُمْلة إسلامية، ولم تكن في عهد النبي ﷺ، ومن ذلك كتابة القرآن في مصاحف، ثمَّ جمع النَّاس في عهد سيِّدنا عثمان على مصحف واحد، كل هذا لتحقيق المصالح المرسلة، وإن لم يفعل ذلك النبي ﷺ، فتحقيق المصالح، ودفع المضار أو رفعها، كما قال النبي ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[1]. كل هذا مجال للسياسة الشرعيَّة، فإذا رأى الإمام شيئًا في هذا فرأيه معمولٌ به.

(١) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس، والدارقطني في البيوع (٣٠٧٩)، عن أبي سعيد الخدري، وقال النووي في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، ورواه مالك في الموطأ مرسلًا، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوِّي بعضها بعضًا. وقال ابن الملقِّن في خلاصة البدر المنير (٤٣٨/٢): وصحَّحه إمامنا ـ أي الشافعي ـ في حرملة. وقال ابن رجب: وقد استدلَّ الإمام أحمد بهذا الحديث فقال: قال النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار». وقال أبو عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبَّله جماهير أهل العلم، واحتجوا به، وقول أبي داود: إنَّه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف. والله أعلم. انظر: جامع العلوم والحكم (٢١٠/٢، ٢١١).

QaradawiBooks.com

ولكن يُشترط أن تكون هذه المصلحة حقيقيَّة، وليست وهمية، وأنْ يكون الشارع قد اعتبر جنسها، وأن تكون ملائمة ومحققة لمقاصد الشارع، وإذا عُرضت على عقول المسلمين وفطرهم تلقتها بالقبول كما يقول الإمام الشاطبي[١]، وألا تكون مناقضة ولا معارضة لقاعدة شرعيَّة، ولا لنص شرعي.

ولذلك خطَّأ العلماء أحد الفقهاء الكبار حين أفتى أحد الأمراء الأندلسيين، كان قد جامع جاريته أو امرأته في نهار رمضان، وسأل القاضي الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، فقال له: تصوم شهرين متتابعين. فأنكر الفقهاء عليه؛ لماذا أفتيته بهذا؟ قال: لأنَّه يستطيع أنْ يحرر كل يوم رقبة. فرأى أنْ يشدد عليه حتَّى لا يعود إلى هذا الأمر، مع أنَّ أول ما ينبغي أنْ يُطلب منه هو تحرير رقبة، فإن لم يجد يصوم شهرين متتابعين، كما جاء في الصحيحين عن أبي هُرَيْرة[٢]، لكنَّه خالف النص باجتهاده.

وهو في الحقيقة خالف النص، وأخطأ المصلحة، فلو نظر في الأمر نظرة مدققة لوجد أنَّ المصلحة في تحرير الرقيق، فلو أعتق هذا الأمير في الشهر ثلاثين رقبة، لفعل ما يتشوَّف إليه الشارع، فقد جعل الشرع تحرير رقبة كفارة لقتل نفس، ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٩٢]، لأنَّ مَنْ قتل نفسًا فعليه إحياء نفس، وهو لا يستطيع أنْ يحييها، فكان تحريره رقبة إحياءً لها، كأنَّ الشرع بذلك يعتبر الرق نوعًا من الموت، أو الهلاك الأدبي والمعنوي، فحينما تُحرِّر الرقيق فكأنما أعطيته حياة جديدة، لكن الإمام يحيى بن يحيى لم

(١) الاعتصام (٢/١٢٩، ١٣٠).

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١)، كلاهما في الصوم.

QaradawiBooks.com

يلحظ هذا المعنى، وكل ما سيطر على تفكيره أنَّه يريد أنْ يزجر هذا الأمير، فهذه مصلحة معارضة للنص، ولذلك لا تُقبل.

وقد ظهر في عصرنا أناس يدعون إلى اعتبار المصالح ولو صادمت النصوص، وهؤلاء أسميهم (المدرسة الطوفية)، نسبة إلى نجم الدين الطوفي، الَّذي كان يقول بأن المصالح تُقَدَّم على النص الظني لا القطعي، وعلى الإجماع[١]، ولهذه المدرسة شبهات، يستندون فيها على تصرفات وفتاوى لسيدنا عمر رضي الله عنه، أنَّه عطَّل بعض النصوص من أجل المصلحة، من ذلك مثلًا أنَّه قال: عطَّل عمر سهم المؤلَّفة قلوبهم المذكور في القرآن من أجل المصلحة، كان يعطيهم النبي ﷺ وأبو بكر، ولم يعطهم عمر.

والواقع أن ما فهموه من سيِّدنا عمر يُعتبر فهمًا خاطئًا، فعمر لم يُعطِّل سهم المؤلَّفة قلوبهم، كل ما صنعه أنَّه قال لعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وعباس بن مرداس، زعماء القبائل العربية الطمَّاعين الَّذين كانوا يأخذون من هذا السهم: إنَّ الله أعزَّ الإسلام وأغنى عنكم[٢]. لأنَّه ليس من الضروري أنْ يظل المؤلَّفُ مؤلَّفًا أبد الدهر، وقد كان هؤلاء مؤلَّفين لأنَّهم ضعفاء الإسلام، وقبائلهم داخلة جديدًا في الإسلام، فأراد النبي ﷺ أنْ يتألَّفهم حتَّى تثبت قبائلهم، فما دام إسلامهم قد حسُن، وحسُن إسلامهم من ورائهم، فلم يعد هناك مبرر لإعطائهم من مال الزكاة تأليفًا لهم[٣].

---

(١) لبيان مقولة نجم الدين الطوفي انظر كتبنا: الدين والسياسة صـ١١٥، ١١٦، والسياسة الشرعية صـ١٦٠ ـ ١٦٥، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، ودراسة في فقه مقاصد الشريعة صـ١٢٨ ـ ١٣٤، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

(٢) رواه البيهقي في قسم الصدقات (٢٠/٧)، عن عبيدة السلماني.

(٣) وقد اعتبر الحنابلة وجماعة من المالكية هذا السهم باقيًا، وقولهم هو الصواب الذي تؤيده الأدلَّة، كما بينتُ ذلك بالتفصيل في كتابنا: فقه الزكاة (٦٠٦/٢ ـ ٦٢٢)، مصرف: المؤلفة قلوبهم، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢٥، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

وتقدير المصلحة في هذه الألفة يرجع إلى الإمام، فمن حقِّه أنْ يؤلف أو لا يؤلف، ومن حقِّه أنْ يؤلف هذا ولا يؤلف ذاك، فكل ما فعله عمر أنَّه قال: ليس اليوم مؤلفة. وليس معنى هذا عطَّل السهم، كما نقول نحن الآن: ليس اليوم رقيق، أو في الرقاب. فهل يعني هذا أننا عطَّلنا آية (وفي الرقاب)؟ لا، بل إذا وجد مَنْ هم في الرقاب نُحررهم، وإذا لم يوجدوا ينتهي الأمر، وإذا وجد الفقراء نعطيهم، وإذا لم يوجدوا ينتهي الأمر، كما ورد في عهد عمر بن عبد العزيز أنَّهم كانوا يبحثون عن الفقراء فلم يجدوهم، كما بعث إليه عامله يحيى بن سعيد في أفريقيا يقول: لم أجد فقراء؛ فماذا أصنع بهذه الأموال؟ قال له: اشترِ بها رقابًا وأعتقها[1]. فإذا لم يوجد صنف تُعطَى الأصناف الأخرى، ولا يعتبر هذا تعطيلًا لسهم المؤلفة، بل ما حدث أنَّه لم تكن هناك مؤلفة في العهد العمري، ومعظم الأمثلة الَّتي ذكروها من هذا النوع.

وبالعكس لقد كان عمر وقَّافًا عند كتاب الله، وعند رسول الله، وحين ردته امرأة في كلامه على المنبر، قال: أصابت امرأة وأخطأ عمر[2]. وأي واحد يقول له: سمعت رسول الله ﷺ قال: كذا. يرجع إليه، كما هو معروف في عدة وقائع.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ٦٥، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ط٦، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(٢) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٤٢٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٥٠٦)، والبيهقي في الصداق (٢٣٣/٧)، وقال منقطع. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٠٢): رواه أبو يعلى في الكبير وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف وقد وثق. وذكره البوصيري في إتحاف الخيرة (٣٢٧٦)، بسند أبي يعلى؛ وجود إسناده ابن كثير في تفسيره (٢٤٤/٢)، والسخاوي في المقاصد (٨١٤).

QaradawiBooks.com

فالقول بأنَّ المصلحة تُقدَّم على النص مرفوض يقينًا، وليس له سند، ولذلك قال الإمام الشهيد هنا: ورأي الإمام ونائبه فيما لا نصَّ فيه، وفيما يحتمل وجوهًا عدة، وفي المصالح المرسلة ـ معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعيَّة.

اشترط الإمام الشهيد للعمل برأي الإمام في هذه المجالات ألا يُخالف القواعد الشرعيَّة، لأنَّه قد يكون في المسألة أكثر من رأي، ولكن إذا تضمَّن عقد بيعته أنْ يعمل برأي معين منها فيجب عليه ألا يخالفه لأنَّه يُخالف بذلك قاعدة شرعيَّة ثابتة، فمثلًا إذا اشْتُرِط على الإمام عند بيعته أنْ يعمل بالشورى، وأنْ تكون نتائجها ملزمة له، وليست معلمه، فلا يصح أنْ ينقض هذا الشرط ويقول: أنا من حقي أنْ أختار ما أشاء، ففي المسألة خلاف. لأنَّه بذلك يصطدم بقاعدة: المسلمون عند شروطهم. وأن العهد يجب الوفاء به، فإذا اتفقنا معه على شيء، وعاهدناه عليه، لا يجوز له أنْ ينقضه باسم أن له الحق في الاختيار بين الآراء، لأنَّ ذلك يصطدم بقاعدة الوفاء بالعهد، أو الوفاء بالشرط، هذا معنى: ما لم يصطدم بقاعدة شرعيَّة.

تغيُّر رأي الإمام:

وقد يتغيَّر رأي الإمام من حال إلى حال، كما حدث مع سيِّدنا عمر فيما يعرف بالمسألة الحمارية، فلو ماتت امرأة وتركت زوجًا، وأُمًّا، وإخوة من أُمٍّ، وإخوة أشقاء، لأب وأمٍّ معًا، فمقتضى النصوص أنْ يأخذ الزوج النصف، وتأخذ الأم السدس، ويأخذ الأب السدس، ويأخذ الإخوة لأُمٍّ الثلث فرضًا، فإذا بقي شيء يأخذه الإخوة الأشقاء تعصيبًا، وهنا لا يبقى لهم شيء، وهكذا كان يحكم عمر رضي الله عنه، كان يُوزِّع التركة في مثل هذه الحالة، ويقول للإخوة الأشقاء: لم يبقَ لكم شيء.

QaradawiBooks.com

وذات مرة جاءه إخوة أشقاء، وكانوا مجادلين، لا يسلمون بسهولة، فلما أعطى إخوتهم من الأم الثلث، لم يبقَ لهم شيء؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين، هبْ أنَّ أبانا كان حمارًا ـ وفي رواية: هبْ أنَّ أبانا كان حجرًا ـ ألسنا من أم واحدة؟ فنظر عمر في القضيَّة، وأشركهم جميعًا في الثلث الباقي، ولذلك تُسمَّى هذه المسألة «المسألة المُشرَّكة»، كما تُسمَّى «المسألة الحمارية»، أو «المسألة الحجرية»، فلما قيل لعمر: إنَّك حكمتَ فيها غير هذا الحكم فيما سبق. قال: تلك على ما قضيناه، وهذه على ما قضينا[1]. فيمكن أنْ يتغيَّر رأي المجتهد، ورأي الإمام، والفتوى تتغيَّر بتغير المكان والزمان والعرف والحال كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، ولهذا الأمر أدلة كثيرة، وقد كتبت فيه بحثًا نُشر في حوليَّة كلية الشريعة، بعنوان «عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية»، ومن هذه العوامل: تغير الفتوى بتغير موجباتها.

وكما يتغيَّر رأي الإمام من حال إلى حال، ومن وقت إلى وقت، يتغير الرأي من إمام إلى آخر، فقد كان سيِّدنا أبو بكر يرى التسوية في العطاء، يعطي المسلم اللاحق مثلما يعطي المسلم السابق، ويعتبر أنَّ أجر السبق في الإيمان والجهاد على الله، فجاء عمر وقال: لا والله لا أجعل مَنْ قاتل رسول الله كمن قاتل معه[2]. وجعل للعطاء درجات ومعايير، فالرجل وبلاؤه، والرجل وسبْقُه، والرجل وحاجته، وهكذا، فالاجتهاد قد يتغير من إمام إلى إمام، فهذا لا حرج فيه.

وقد أشار الإمام الشهيد في الأصل إلى أمر مهمٍّ، أشار إليه الإمام الشاطبي في كتابيه: «الموافقات» و«الاعتصام»، وهو أنَّ الأصل في

(١) رواه الدارمي في المقدمة (٦٧١).
(٢) الخراج لأبي يوسف صـ٥٤.

QaradawiBooks.com

العبادات التعبد، دون الالتفات إلى المعاني، أمَّا العاديات، أو المعاملات، أو أمور الدنيا فالأصل فيها النظر إلى الحكم والأسرار والمقاصد[1]، وهذا يعني أنَّه لا يجوز أن نحكم عقولنا في الأمور العبادية، كما فعل أحدهم في أحد ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر، قام يدعو العلماء إلى الاجتهاد والتجديد، وترك الجمود والتقليد، وذكر أنَّ صديقًا له في أمريكا اشترى كنيسة، وحوَّلها إلى مسجد، فلمَّا جاء يوم الجمعة لم يجتمع الناس، أو اجتمع عدد قليل، ولهذا فكَّر أنْ يجعل صلاة الجمعة يوم الأحد، لأنَّه اليوم الَّذي يجتمع فيه الناس، وقال بأنه يجب أن نجتهد في هذا الأمر، أنَّ نجم الدين الطوفي لو كان حيًّا لأجاز ذلك بناءً على المصلحة، بدل أنْ يبقى المسجد خاليًا، وقد دفع فيه الرجل آلاف الدولارات، فقمت لأردَّ عليه ضمن مَنْ ردُّوا عليه، قلت: في الحقيقة هذه المصلحة مرفوضة؛ لأنَّ هذه عبادة، والشارع هو الَّذي يُحدِّد زمان العبادة ومكانها وشروطها، الشارع في أمور العبادات مُنشئ، وفي أمور المعاملات مُهذِّب ومُنظِّم، نقصد بالعبادات صورها وكيفياتها الَّتي نتقرب بها إلى الله، فليس من حقنا أن نخترع صلاة من عند أنفسنا، لا، بل الله هو الَّذي حدد لنا صور العبادات، والكيفيَّات الَّتي نتقرب به إليه، وحدد لنا زمانها، ومكانها، ومقاديرها، فلا يجوز لأحد أنْ يقول: لماذا لا نجعل الصبح أربع ركعات، لا سيما وأنَّها في أول النهار حيث يقوم المرء نشيطا؟ ولا أنْ يقول: لماذا لا نجعل للركعة الواحدة ركوعين، كما أنَّ لها سجودين؟ هذا لا يجوز؛ لأنَّ الأصل أنْ يقف في أمور العبادات عند حدِّ التعبُّد، عند الامتثال لأمر الله، دون أنْ تسأل عن السبب أو الحكمة، ولذلك لا يجوز أن ننقل صلاة الجمعة إلى يوم الأحد، قلت

(١) انظر: الاعتصام (١٣٢/٢، ١٣٣)، والموافقات (٣٠٠/٢).

QaradawiBooks.com

له: ماذا تسميها حينئذ: صلاة الجمعة أم صلاة الأحد؟ وهل ستغير الآية إلى: إذا نودي للصلاة من يوم الأحد؟ وهل ستغير اسم سورة الجمعة إلى سورة الأحد؟ هذا مرفوض يقينًا.

ثم إنَّ نجم الدين الطوفي لو كان موجودًا في الواقع ما قال هذا الكلام، لأنَّه وإنْ بالغ في اعتبار المصلحة ما بالغ، إلا أنَّه اشترط أنْ يكون الأخذ بالمصلحة في غير العبادات، وغير المُقدَّرات، أمَّا العبادات فكما أوضحنا، وأمَّا المُقدَّرات فكما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]. لا يجوز لأحد أنْ يزيد على مائة أو ينقص منها، أو يجعل حد القذف مثل حد الزنا، ومن المقدَّرات أنْ تعتد المرأة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرًا، وتعتد المرأة المطلقة ثلاثة قروء، فلا يجوز لأحد أنْ يغيِّر في العبادات ولا في المُقدَّرات، لأنَّ الأصل فيهما الامتثال، وإلا أصبح الدين ألعوبة، يعمل فيه أي أحد ما يشاء.

أمَّا الأصل في العاديات والمعاملات فهو الالتفات إلى الحِكَم والأسرار والمقاصد، والبحث عنها، وهذا ما جعل بعض الفقهاء ينظر في سفر المرأة بدون مَحْرَم، ويجيز لها في أسفار الطاعة ـ الحج والعمرة ـ أن تسافر بغير مَحْرَم، إذا كانت مع نسوة ثقات، أو حتَّى مع امرأة ثقة، بل حتَّى جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية جواز ذلك إذا كان الطريق آمنًا[1]، ولم يشترط بعضهم أنْ يكون سفرها للحج والعمرة فقط، بل حتَّى الأسفار المباحة، فهذا نظر إلى المقصد، إلى المصالح، فالشارع ـ كما قلت ـ ليس منشئًا للمعاملات، جاء الإسلام فوجد النَّاس يمارسون

(١) انظر: الفروع لابن مفلح (٥/٢٤٥)، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

حياتهم بطرق معينة، فكل ما فعله أنَّه وجَّههم إلى الصواب، ونهاهم عن الخطأ، إياكم والربا، إياكم والاحتكار، إياكم والغش، لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلًا بمثل، وإلا يدًا بيد، وهكذا فهو يُهذِّب ويُنظِّم شؤون المعاملات، أمَّا في العبادات فهو مُنشئ مخترع مؤسِّس، فهناك فرق بين هذا وذاك.

وطالما لا نصطدم في أمور العادات والمعاملات بنصٍّ شرعي، أو قاعدة شرعيَّة، فالباب فيها واسع للنظر إلى المقاصد والعلل، وهذا في الحقيقة يجعل باب السياسة الشرعيَّة متَّسعًا، لا ينبغي أن نُضيِّق فيه على عباد الله، وأمامنا في ذلك مثل من فقه الصحابة رضي الله عنهم.

ولذلك نقول مثلًا: لو قامت في عصرنا دولة إسلامية يمكن أن تتعدَّد فيها الأحزاب، في رأيي شخصيًّا لا مانع من هذا، لا مانع أنْ تقوم أحزاب متشدِّدة، وأحزاب أخرى ميسرة وموسعة، ويتقدموا جميعًا للانتخابات، ومَنْ يختاره النَّاس يكون الأمر له، بشرط أنْ يكون الجميع ملتزمًا بالإسلام.

لنفترض مثلًا أنَّ النَّاس في عصرنا اكتشفوا أنَّ انتخاب رئيس للدولة مدى الحياة أمر مُقيِّد لهم، ويصعب التخلص منه، حتَّى وإنْ كان مسلمًا، ولهذا رجحوا أنْ يكون انتخاب الرئيس خمس أو ست سنوات، فإذا كان صالحًا أعادوا انتخابه، وإلا استبدلوا به آخر، هذه كلها أمور تتعلق بالمصالح، ولا تصطدم بالنصوص الشرعيَّة، ولا بالقواعد الشرعيَّة.

يمكن أنْ يقول بعض الناس: لكنها قد تصطدم بالثوابت التاريخية، مثل انتخاب المسلمين الخلفاء الراشدين. هذا صحيح، لكن فعل الصحابة لا يدلُّ على الوجوب، بل فعل النبي ﷺ نفسه لا يدلُّ على

QaradawiBooks.com

الوجوب، لا يدلُّ على أكثر من المشـــروعيَّة، أي يدلُّ على الجواز، أمَّا الوجوب فيحتاج إلى دليل آخر، وليس معنى دليل في هذا، وإنَّما الأمر قائم على رعاية المصلحة.

ومن ذلك نظام التصويت، بعض النَّاس يقول: هذا نظام ديمقراطي، والديمقراطية كفر. لكن يا أخـــي في الأمور الَّتي تتكافـــأ فيها وجهات النظر؛ بماذا نرجـــح؟ هناك رأيـــان مطروحان، وكلاهمـــا محتمل، فبمَ نرجح؟ ليس إلا بالأخذ بالأكثريَّة، ونظام التصويت، وفي الســـيرة وقائع تشهد لهذا النظام، مثل نزول النبي ﷺ على رأي الأكثريَّة في غزوة أحد، صحيح أنَّه لم يعد الأصـــوات، لأنَّ الأمور كانت أبســـط مما هي عليه اليوم، لكن في بعض الأحيان حصل العدُّ، كما فعل سيِّدنا عمر بالنسبة للستة أصحاب الشورى، قال: إذا اجتمع خمسة، وخالف واحد، يجب أن نطيع الخمســـة، وإذا أبَى اضربـــوا عنقه، فلا يجوز أنْ يفـــرق الجماعة، وكذلك إذا اتفق أربعة، وخالف اثنان، أمَّا إذا تســـاووا، ثلاثة في مقابل ثلاثة، فيمكن أنْ يستعينوا بعبد الله بن عمر مُرجِّحًا، أو الثلاثة الَّذين فيهم عبد الرحمن بن عوف. اعتبر أنَّ لعبد الرحمن بن عوف مَزيَّةً ترجيحيَّة، هذه صورة من صور التصويت.

هذا الأصل ـ في الحقيقة ـ من الأصول المهمة الَّتي تُفتِّح أمامنا آفاقًا للسياسة الشرعيَّة، تجعل الداعين إلى إقامة دولة إسلامية، وإقامة مجتمع إسلامي ذوي أفق واسع في النظر إلى الأمور، فلا يُضيِّقوا على أنفسهم، ولا على غيرهم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(الأصل السادس)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وكلُّ أحدٍ يُؤخذ من كلامه ويُترك إلَّا المعصوم ﷺ، وكلُّ ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقًا للكتاب والسُّنَّة قبلناه، وإلَّا فكتاب الله وسُنَّة رسوله أوْلى بالاتباع، ولكنَّا لا نعرض للأشخاص فيما اختُلِف فيه بطعنٍ أو تجريحٍ، ونَكِلُهم إلى نيَّاتهم، وقد أفضَوْا إلى ما قدَّموا**»[(١)].

يتضمَّن هذا الأصل حقائق ثلاثًا لها أهميتها:

الحقيقة الأولى: أنَّه لا عصمة لأحد غير رسول الله ﷺ، نفي العصمة عمن عداه، فرسول الله ﷺ هو المؤيَّد بالوحي، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، حتَّى ما اجتهد فيه من أمور وأخطأ فيها ينزل الوحي ويسدِّد ويصحِّح، ولا يقره على خطأ، حتَّى لا يتبعه النَّاس فيه، لأنَّ أقواله وأعماله تشريع، فكل مَنْ عدا النبي ﷺ بشر يصيب ويخطئ، حتَّى الصحابة أنفسهم ليسوا معصومين من الخطأ. المعصوم من الخطأ هي الأمة إذا أجمعت؛ لأنَّها لا تجتمع على ضلالة، أمَّا الأفراد والجماعات فيها فليسوا معصومين من الخطأ، فكل أحد يُؤخذ من كلامه ويُترك إلا المعصوم ﷺ، وهذا القول في الحقيقة منسوب إلى الإمام مالك[(٢)]، ومنسوب قبله إلى مجاهد[(٣)]، ومنسوب قبله إلى ابن عباس[(٤)]

---

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٧، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩٣/٨).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٠٠/٣)، والبيهقي في المدخل (٣٠).

(٤) رواه الطبراني (٣٣٩/١١) مرفوعًا. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٠): رجاله مُوَثَّقون. عزاه البخاري لابن عباس موقوفًا من قوله، في القراءة خلف الإمام صـ١٤، تحقيق فضل الرحمن الثوري، نشر المكتبة السلفية، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

QaradawiBooks.com

رضي الله عنهم جميعًا، أنَّ البشر مهما أوتوا من العلم، ومهما علا كعبهم في التقوى والصلاح يُؤخَذ من كلامهم ويُــردُّ عليهم، ولا عصمة لأحد دون رســول الله ﷺ، فهو وحده الَّذي أمرنا بطاعته واتباعه، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، هذه القاعدة المُسلَّمة هي الحقيقة الأولى.

الحقيقة الثانية بناء على الحقيقة أو القاعدة الأولى: وهي أننا لا بدَّ أن نرجع بما وردنا عن السلف إلى الميزان الَّذي لا يضل ولا يخطئ، إلى الكتاب والسُّنَّة، فالسلف ليسوا معصومين، وكلمة السلف تشمل الصحابة ومن تبعهم بإحســان من القرون الأولى الَّذين هم خير القرون، فما جاء عن السلف موافقًا الكتاب والسُّــنَّة قبلناه، وما جاء مخالفًا أعرضنا عنه وردَدْناه، فما داموا بشرًا يُؤخذ منهم ويُترك فلا مانع أنْ يخطؤوا، إذا تبيَّن لنا أن أحدهم اعتمد على آية أو حديث وظهر أنَّ فهمه خطأ، أو تبيَّن أنَّ الحديث ضعيف، أو غير ذلك فنحن نرده، فليس هناك أحد فوق النقد، وقد وجدنــا الصحابة يرد بعضُهم على بعــضٍ، ويُخطِّئ بعضُهم بعضًا، ولا يرون حرجًا في ذلك، ورأينا بعض التابعين يخالفون الصحابة، ورأينا أتباع التابعين يخالفون التابعين.

ومدار الأمر في القبول والرفض قائم على الاجتهاد، أي المهم أنْ يتبيَّن لنا ـ بالأدلة والبحث ـ خطؤهم، أنَّ هذا الأمر لا يوافق القرآن والسُّنَّة.

وإذا كان الأمر كذلك فيما جاءنا عن الســلف، فمــن باب أولى أنْ يكون الأمر كذلك فيما جاءنا عن الخلف، إذا أمكننا أن نرد بعض ما جاء عن ابن عباس، أو ســعيد بن المســيب، أو عطــاء، أو الزهري، أو أبي حنيفة، أو الشــافعي، فيمكننا أن نرد بعض ما جاء عــن فقهاء العصور

QaradawiBooks.com

المتأخرة من باب أولى، فالأمر في ذلك يرجع إلى الدليل، إلى الميزان، إلى المعيار المعصوم، وهو الكتاب والسُّنَّة، حسب ما يتبيَّن لنا، فما كان موافقًا قبلناه، وما كان مخالفا رددناه، هذه هي الحقيقة الثانية.

الحقيقة الثالثة: أنَّ ما تبيَّن لنا من أقوال السلف، من الصحابة أو التابعين، وتابعيهم أنَّه قول خطأ، أو مرجوح، أو مخالف للكتاب والسُّنَّة، لا يجعلنا نطعن فيهم أو نجرحهم، فهذا لا يجوز؛ لأنَّ الأمر قائم على الاجتهاد، والمجتهد مأجور، سواء أصاب أو أخطأ، حتَّى في حالة الخطأ هو مأجور، فلا يجوز لنا أن نُجرِّح إنسانًا أَجَرَه الله على اجتهاده.

على أنَّ هناك أقوالًا وآراءً تكون بنت زمانها ومكانها، ولو كان سلف هذه الأمة في مثل وضعنا لغيَّروا آراءهم، أحيانًا تكون لهم آراء متأثرة بزمان أو مكان أو تفكير معيَّن، فيجب أن نعذرهم في هذا، ونكِلهم إلى نيَّاتهم، لا أن نطعنَ فيها، لأنَّ النيَّات أمرها إلى الله ﷻ، وقد أفضوا إلى ما قدَّموا، أصبح حسابهم عند الله، هو الَّذي يتولَّى جزاءهم، فنكلهم إليه ﷻ، فهو الَّذي يعرف المخلص من غير المخلص، ونحن لم نؤمر أن ننقِّب عما في القلوب، ولا أن نفتش عن النيَّات، إنَّما نحكم بالظاهر، والله يتولَّى السرائر، فنحن لا نطعن أو نُجرِّج في سلف هذه الأُمَّة، بل نحتفظ للجميع بمكانتهم، وكلُّهم مأجور إنْ شاء الله.

هذه هي الحقائق الثلاثة لهذا الأصل بإيجاز.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(الأصل السابع)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ولكلِّ مُسلمٍ لم يبلغ درجة النظر في أدلَّة الأحكام الفرعيَّة أنْ يتَّبع إمامًا من أئمَّة الدِّين، ويحسُن به مع هذا الاتباع أنْ يجتهد ما استطاع في تعرُّف أدلَّته، وأنْ يتقبَّل كلَّ إرشادٍ مصحوبٍ بالدليل متى صحَّ عنده صلاحُ مَنْ أرشده وكفايتُه، وأنْ يستكملَ نقصه العلمي إنْ كان من أهل العلم حتَّى يبلغ درجة النظر**»[(١)].

يتعرض هذا الأصل لموضوع الاجتهاد والتقليد، واتباع المذاهب وعدم اتباعها، وهنا نجد الإمام الشهيد يقف ـ على عادته دائمًا ـ في موقف الاعتدال، وموقف الوسط، فإذا نظرنا إلى هذه القضيَّة نجد أن فيها ثلاثة اتجاهات، أو ثلاث مدارس:

(١) مدرسة إيجاب التقليد:

المدرسة الأولى هي المدرسة الَّتي توجب تقليد أحد المذاهب الأربعة إيجابًا على كل مسلم، أي لا بدَّ أنْ يكون كل مسلم حنفيًّا، أو مالكيًّا، أو شافعيًّا، أو حنبليًّا، ولا يجوز له أنْ يلقى الله وهو ليس على أحد من هذه المذاهب، أي إذا أسلم شخص في أمريكا أو اليابان تسأله: إلى أي المذاهب ستنتسب؟ هذه هي المدرسة القديمة، وهو ما كنا ندرسه في الأزهر حقيقة، كنا ندرس منظومة في التوحيد اسمها «الجوهرة»، جاء فيها:

وَمَالِكٌ وَسَائِرُ ٱلأَئِمَّهْ كَذَا أَبُو الْقَاسِمْ هُدَاةُ ٱلأُمَّهْ
فَوَاجِبٌ تَقْلِيدُ حَبْرٍ مِنْهُمو كَذَا حكا الْقَوْمُ بِلَفْظٍ يُفْهَمُ[(٢)]

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٧، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

(٢) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني، على هامشه التحرير الحميد صـ٣٩٩ ـ ٤٠٣، نشر مكتبة الإرشاد، إستانبول، ط١، ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

مالك وسائر الأئمة، وأبو القاسم الجنيد، يعني: أنَّ كل واحد ينبغي أنْ يُقلِّد شيخًا في المذهب، وشيخًا في الطريقة. هذا هو الَّذي ساد، إيجاب اتِّباع مذهب من المذاهب.

بل قال الشيخ الصاوي في حاشيته على «الجلالين»: ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل، وربما أدَّاه ذلك إلى الكفر؛ لأنَّ الأخذ بظواهر الكتاب والسُّنَّة من أصول الكفر[1]! وهذا كلام في غاية الخطورة، فهؤلاء أوجبوا التقليد على العامي، بل على مَنْ عنده قدر من العلم، هذا يعني أنَّه يجب على الَّذين يدرسون في الأزهر في كليات الشريعة، وأصول الدين أنْ يقلدوا أحد المذاهب.

وهذا بالطبع كلام مرفوض؛ لأنَّه لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله، مصدر الوجوب هو القرآن والسُّنَّة، فأين فيهما ما يوجب على المسلم أنْ يكون حنفيًّا، أو مالكيًّا، أو شافعيًّا، أو حنبليًّا؟ هل هذا معقول؟

وقالوا: يجب على المقلِّد أنْ يسأل العالم. استدلوا بقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. ولكن السؤال غير التقليد، ثمَّ إنَّ العامي قد يسأل حنفيًّا في مرة، وفي مرة أخرى يسأل شافعيًّا، وفي مرة ثالثة يسأل مالكيًّا، وهكذا، ولم يقل أحد: إنَّه يجب أنْ يظلَّ يسأل إنسانًا أو مذهبًا بعينه طَوال حياته. لم يرد هذا في القرآن ولا في السُّنَّة، وقد ناقشهم الإمام ابن القيم مناقشة مفصلة في كتابه «إعلام المُوقِّعين»، كما ناقشهم الإمام الشوكاني في رسالته «القول المفيد في الاجتهاد والتقليد»، فليس عندهم ـ في الحقيقة ـ دليل يقوم على

(١) حاشية الصاوي على الجلالين (١٠/٣)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

QaradawiBooks.com

رجلين، يمكن أنْ ينهض للدلالة علـــى وجوب تقليد المذاهب الأربعة، هذه هي المدرسة الأولى.

(٢) مدرسة إيجاب الاجتهاد:

وهناك مدرسة ثانية تقابل المدرســة الأولى على خط موازي، وهي الَّتي توجب الاجتهاد، وتُحرِّم التقليد على كلِّ مســلم، وإنْ كان عاميًّا، وإنْ كان بدويًّا في صحــراء، أو في بريَّة، أو كان ريفيًّــا في قرية، وهذا ما يتبنَّاه إخواننا السلفيون في عصرنا، وهو رأي ابن حزم، أنَّه يجب على كلِّ إنسان أنْ يجتهد ولا يُقلِّد أحدًا.

وهذا أيضًا بالنسبة للعامي صعب؛ كيف يجتهد؟ هم يقولون: يجب عليه أنْ يســأل العالم عن الدليل، وليس فقط عن الحكم. لكــن ما الَّذي يُعرِّفه بالأدلة؟ إذا ذكر له آية أو حديثًا، ما الَّذي يدريه إنْ كان هذا النص محكمًا أو منســوخًا، مؤولًا أو غير مؤول؟ لعله مطلق قد قُيِّد، أو عام قد خُصِّص، أو عارضه معارض آخر، كيف يعــرف أن هذا الأمر للوجوب أو غير الوجوب، وأن هذا النهي للتحريم أو غيــر التحريم؟ إلى آخر ما جاء في علم الأصول والاستنباط من قضايا تتعلق بالفقه والاجتهاد، لا يدري العامي عنها شيئًا.

ثم إنَّ المجتهد أحيانًا يقول رأيه في المســألة، كما قال أحدهم لسيدنا عمر، وكان يسأله عن مســألة: حكم فيها عليٌّ بكذا، وزيد بن ثابت بكذا. فقال له: لو كنت أنا لحكمت فيها بكذا. قال: وما يمنعك والأمر إليك؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله، وسُنَّة رســول الله لفعلت، ولكنَّه رأي، والرأي مشترك[1]. أنا أرى رأيي، وهو يرى رأيه في قضيَّة فقهية، فلا ألزمهم برأيي.

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٦١٤).

QaradawiBooks.com

من هنا نقول: إنَّ إيجاب الاجتهاد وتحريم التقليد على الناس، حتَّى على العوام منهم، هو في الحقيقة تكليف بما لا يُطاق، هذه هي المدرسة الثانية.

غير مرخصة للطباعة

(٣) المدرسة الوسطية:

ولذلك كان الاتجاه الوسط هو الاتجاه الأدنى إلى الصواب، وهو ما تمثله المدرسة الوسطيَّة، أنَّه لا مانع من أنْ يتبع المسلم مذهبًا، مثل أنْ ينشأ أحد النَّاس في بلد أهله مالكية في الأندلس أو في المغرب، أو نشأ في إندونيسيا فوجد النَّاس يتبعون مذهب الشافعي، أو نشأ في تركيا أو باكستان فوجد النَّاس يتبعون المذهب الحنفي، فتعلم المذهب حيث نشأ، لا مانع من هذا، فالمذاهب عبارة عن مدارس اجتهاديَّة، وجهات نظر تمثِّل فقه أصحابها، ليست مرفوضة تمامًا لأنَّها اجتهادات، وليست معصومة أيضًا لأنَّها اجتهادات بشرية، قابلة للصواب كما أنَّها قابلة للخطأ، ولذلك قال أبو حنيفة: هذا فقهنا، وهذا رأينا، فمَنْ جاءنا بأحسن منه قبلناه[١]. وقال الشافعي: أقصى ما يقوله مجتهد عن نفسه أنْ يقول: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب[٢]. بل اعتبر بعضهم كلام الشافعي تشدُّدًا، قالوا: الصواب والخطأ في رأيه ورأي غيره متكافئان، لأنَّها كلها اجتهادات. فلا مانع أنْ يأخذ أي شخص بأي مذهب.

وإن كان العامي في الحقيقة ـ كما قالوا ـ لا مذهب له، إنَّما مذهبه مذهب مَنْ يفتيه، والعامي هو مَنْ لم يكن من أهل العلم، لم يدرس علم الشرع، وإن كان طبيبًا أو مهندسًا، فهو في علم الشرع عامّي، كما أنَّني

(١) إعلام الموقعين (٦٠/١).

(٢) نقل ابن حجر الهيتمي أنَّ ذلك مذهب الشافعية. الفتاوى الفقهية الكبرى (٣١٣/٤).

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

عامِّي في الطب والهندسة، لا ينبغي لهذا العامي أنْ يقول مثلًا: أنا مذهبي مالكي. وما يدريه بالمذهب المالكي؟ فلا يقول عن نفسه: أنا مالكي. إلا مَنْ عرف أصول مالك وارتضاها، يقول: آخذ بالحديث المرسل في قضايا معينة، وأقدِّم عمل أهل المدينة على أحاديث الآحاد في مجالات معينة، وآخذ بالمصلحة المرسلة حينما يكون كذا وكذا، وأشترط لقبول الحديث كذا وكذا، وعندما يتعارض الحديث مع الآية أقدِّم كذا، وهكذا. فمثل هذا يُسمَّى مالكيًّا؛ لأنَّه عرف أصول مالك وارتضاها، ويجتهد أو يفتي على أساسها، فيمكن لعالم مثل ابن العربي أنْ يقول: أنا مالكي. لكن كيف يقول العامي: أنا مالكي. وهو لا يعرف من أصول مالك شيئًا؟ الحقيقة أنَّ العامي لا مذهب له، وقوله: إنَّ له مذهبًا. هو قول في غير موضعه، وهو يؤخذ من باب المجاز أو التساهل، أمَّا مذهبه فهو مذهب مَنْ يفتيه، قد يستفتي في كل مرة عالمًا فيأخذ بفتوى مَنْ أفتاه، ومَنْ نشأ في بيئة تتبع مذهبًا معينًا له أنْ يتبع هذا المذهب.

وتأمل تعبير الإمام الشهيد: **لكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلَّة الأحكام الفرعية أنْ يتَّبع إمامًا من أئمة الدين.** لكل مسلم الحق أنْ يتبعه، لم يعتبر التقليد واجبًا كما تقول به المدرسة التقليدية، ولا حراما كما تقول به المدرسة الأخرى، وإنَّما هو أمر جائز، في دائرة الجواز، ولم يُعبِّر بلفظ التقليد، بل قال: لكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية. حددها بالمسلم العامي الَّذي لم يبلغ درجة النظر في الأدلة، إذًا النَّاس قسمان: قسم قادر على النظر في أدلة الأحكام، بلغ درجة النظر، درس الفقه وأصول الفقه، ودرس الحديث والتفسير، واستطاع أنْ ينظر في الأقوال وأدلتها، ويوازن بينها، ويصل إلى رأي، فهذا لا يُقلِّد، بل ينبغي أنْ ينظر.

QaradawiBooks.com

والقسم الثاني هو مَنْ لم يبلغ درجة النظر، وهو الَّذي أجاز له الإمام البنَّا أنْ يتبع إمامًا من أئمة الدين، وانظروا إلى تعبير الإمام الشهيد هنا، قال: يتبع. ولم يقل: يُقلِّد. لأنَّ مدلول كلمة «اتباع» غير مدلول كلمة «التقليد»، التقليد يعني أنْ تُسلِّم بكل ما يقوله الآخر، أمَّا الاتباع ففيه نوعٌ من الاستنارة، وكأنه يتبع منهجه، لا مجرد اتباع قوله، ثمَّ إنَّ الإمام البنَّا لم يقيد الاتباع بالأئمة الأربعة، بل قال: يتبع إمامًا من أئمة الدين. وهذا يعني أنَّه يمكن أنْ يدخل فيه الزيدية، والإباضية، والظاهرية، ما دام لم يبلغ النظر له هذا.

كل ما في الأمر ألا يجعل نفسه عبدًا لصاحب المذهب، لا يجعل صاحب المذهب كأنه نبي معصوم مُشرِّع، ويأخذ كل أقواله حجَّة، لا يناقش قوله أبدًا ولا يتفكر فيه، هذا هو الخطر الَّذي جاء بالعصبيَّة المذهبيَّة في عصور الجمود والتقليد، أصبح بعض النَّاس يعتبرون مذهب إمامهم كأنه القرآن والسُّنَّة، حتَّى قال بعضهم: كل آية أو حديث خالفت قول أصحابنا فهي مُتأوَّلة أو منسوخة! كأنَّما أصبحت أقوال أصحاب المذهب هي الأصل، وأنَّ القرآن والسُّنَّة يجب أنْ يردَّا إليها، فهذا التعصب المذهبي الَّذي جاءت به عصور المذهبية يجب أنْ يُرفض.

وإنَّما ينبغي على مَنْ نشأ على اتباع مذهب معيَّن أنْ يتعرَّف على أدلَّة إمامه ما استطاع، خاصَّة في الأمور المشتبهة بطبيعتها، وخاصة حينما يحيك الأمر في صدره، وخاصة عندما يجادله فيه مجادل، إذا قال له أحدهم مثلًا لشخص يتبع المذهب الحنفي: كيف تصلي وقد لمست المرأة؟ أمَا قرأت قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾ [المائدة: ٦]. هنا يحسن به أنْ يذهب إلى شيخه الحنفي، أو يرجع إلى كتب الحنفية ليعرف لماذا قال المذهب: إنَّ لمس المرأة لا ينقض الوضوء؟

QaradawiBooks.com

سيجد ابن عباس يقول: إنَّ المس واللمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع، إنَّ الله حييٌّ كريم يكني عما شاء بما شاء[١]. فيعرف معنى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ﴾. وأنَّ السيدة عائشة بحثت عن النبي ﷺ في الليل فلمست باطن قدميه وهو في سجوده، ولم يخرج من الصلاة[٢]، وهكذا يتعرف على أدلَّة إمامه فيستريح إلى الحكم، فلا مانع إذًا أنْ يتبع المسلم مذهبًا، ما دام لم يبلغ درجة النظر، لكن يحاول أنْ يعرف أدلة إمامه.

كما يحسن بالمسلم أنْ يتقبل كلَّ إرشاد مصحوب بالدليل، متى صحَّ عنده صدق مَنْ أرشده وكفايته، لنفترض أنني أتبع المذهب الحنفي ـ وقد نشأت في الأزهر حنفيًّا بالفعل ـ جاءني مَنْ يقول لي: لماذا يا أخي لا ترفع يديك في الصلاة إلا عند تكبيرة الإحرام؟ ينبغي أن ترفعها عند الركوع وعند القيام من الركوع كذلك. فأقول له: هكذا درست في كتاب «نور الإيضاح»، وكتاب «مراقي الفلاح على نور الإيضاح»، وكتاب «اللباب على الكتاب»، وكتاب «اللباب في شرح الكتاب للميداني على القدوري»، وكتاب «الاختيار شرح المختار»، وكتاب «الهداية شرح البداية» للمرغيناني، من كتب الفقه الحنفي، وقالوا: لا يجب على المسلم أنْ يرفع يديه إلا عند تكبيرة الإحرام. لأنَّ ابن مسعود رضي الله عنه روى عن النبي ﷺ ذلك[٣]. فقال: صحيح أنَّ ابن مسعود روى هذا، لكن هناك

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٨٢٦)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٣٣٨)، تحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، نشر دار الصميعي، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) رواه مسلم في الصَّلاة (٤٨٦)، وأحمد (٢٥٦٥٥)، عن عائشة.

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود قال: ألا أصلي بكم صلاة رسول الله ﷺ؟ فصلى، فلم يرفع يديه إلا في أول مرة. رواه أحمد (٣٦٨١)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات. وأبو داود في الصلاة (٧٤٨)، وقال عقبه: هذا حديث مختصر من حديث طويل وليس هو بصحيح على هذا اللفظ. والترمذي في الصلاة (٢٥٧)، وقال: حسن.

QaradawiBooks.com

أكثر من عشرين صحابيًّا رووا عن النبي ﷺ أنَّه كان يرفع يديه عند الركوع، وعند القيام من الركوع. فإذا صحَّ عندي صدق قائل هذا الكلام، أي أنَّه ليس كذابًا ولا دجَّالًا، لا يمكن أنْ يتقوَّل على رسول الله ﷺ، وصحت عندي كفايته، أي أنَّه من أهل العلم الَّذين يعرفون الأمور من مصادرها، في هذه الحالة أتقبل إرشاده، لا أقول: لا، هذا كلام مؤول أو منسوخ كما قال البعض. بل أقبل الإرشاد المصحوب بالدليل، وهكذا ينبغي على مَنْ كان على مذهب أنْ يدع مذهبه إذا ظهر له ضعفه، إلى الصواب الَّذي ظهر له، إلى ما ترجَّح له.

ومن ناحية أخرى: يحسن به إذا كان من أهل العلم أنْ يستكمل نقصه العلمي حتَّى يبلغ درجة النظر، لماذا يقف عند حد التقليد؟ ينبغي أنْ يرتفع من حضيض التقليد إلى أفق الاجتهاد.

والاجتهاد درجات، منها الاجتهاد الترجيحي، أنْ يرجِّح رأيًا على رأي، ومعظم الفقه عندنا خلافي، فلا يقف عند التقليد ما دام يتبع الأدلة، هذا هو الَّذي ينبغي لأهل العلم أنْ يفعلوه، أنْ يستكملوا نقصهم العلمي، فيستطيعوا أنْ يرجِّحوا في أمور الاجتهاد الترجيحي.

فمثلًا وأنا أبحث في فقه الزكاة وجدت من يقول: لا تجب الزكاة إلا في الأقوات الأربعة: التمر والزبيب والقمح والشعير؛ وما عدا ذلك لا زكاة فيه. وذكروا حديثًا في هذا، وأضاف بعضهم إليها: ما ييبس ويُكال ويُدَّخر من الأقوات، مثل الذرة، والأرز مثلا عند البلاد الَّتي تجعل الرز قوتًا. ومذهب أبي حنيفة يقول: تجب الزكاة من كل ما أخرجت الأرض، مما يستنبته النَّاس ويستنموه، سواء كان يؤكل أو لا يؤكل، ييبس ويُدخر أو لا ييبس ولا يدخر، يُكال أو لا يكال. يمكن

QaradawiBooks.com

أنْ يكون قمحًا، أو خضارًا، أو فاكهة، أو شايًا، أو زهورًا تتخذ للعطر، أو مطاطًا أو قطنًا يتخذ في الصناعة، وهكذا تجب الزكاة عند أبي حنيفة في كل ما أخرجت الأرض مما يستنبته النَّاس ويستنموه، وأنا كباحث مسلم وجدت أنَّ رأي أبي حنيفة هو الأرجح والأصلح، فما دمت وصلت إلى درجة النظر أستطيع أنْ أجتهد وأرجح، ولا يجوز أنْ يقال: أغلق باب الاجتهاد، ولا يجوز لأحد أنْ يرجح. لا، بل من حقنا أن نرجح، ولا يمكن أن نقدم الإسلام للناس في عصرنا ما لم نفتح باب الاجتهاد، إذا جمدنا سنقدم الإسلام للناس حسب أقوال السابقين، وبعض هذه الأقوال يصلح لعصرنا، وبعضها لا يصلح.

وقد ضربت لبعض الإخوة مثلا في ذلك، كنت منذ عدة سنوات في ماليزيا أحاضر في جامعة الملايو، وسألني مدير الجامعة عن موضوع أثاره الشيوعيون، حيث قالوا للمسلمين هناك: إنَّ الإسلام يُحابي كبار الملاك والإقطاعيين على حساب صغار الزُّرَّاع. قالوا: كيف؟ قالوا: لأنَّه يعفي من الزكاة كبارَ الملاك والإقطاعيين الَّذين يملكون مزارع المطاط والمانجو والشاي ونحوها، وقد تكون بالمئات أو الآلاف من الأفدنة، ويجعل عبئها على صغار الفلاحين الَّذين يزرعون قمحًا أو شعيرًا أو ذرة في أرض صغيرة يملكونها، ولعلها مستأجرة.

وعرفت مأخذ هذا الكلام، فقد جاء من أن ماليزيا تتبع المذهب الشافعي، وهذا المذهب يقول: لا تؤخذ الزكاة من الأرض إلا ما كان قوتًا في حال الاختيار. وبناء على هذا لا تأخذ المجالس الإسلامية الزكاة من كبار الملاك والإقطاعيين الَّذين يملكون بساتين المانجو، والتفاح، وجوز الهند، والشاي، والمطاط، ونحوها.

QaradawiBooks.com

ولهذا حين أقوم بالاجتهاد أرجح مذهب أبي حنيفة، وهو الَّذي رجَّحه ابن العربي المالكي، إمام المالكية في عصره، وقال: إنَّ هذا هو الَّذي يؤيده الكتاب والسُّنَّة، يؤيده قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]. ويؤيده حديث: «**فيما سقت السماءُ العُشرُ**»[١]. وأن قول أبي حنيفة هو أقوى المذاهب في المسألة، وهو أليقها بشكر النعمة، وأحوطها لحظ المساكين، إلى آخره[٢]. فمع أنَّه مالكي فقد رجح مذهب أبي حنيفة.

وقلت لهم: مذهبكم شافعي، وقد كان للشافعي مذهب قديم في العراق، ومذهب جديد في مصر، فمن يدري؛ لعل الشافعي لو بعث اليوم ورأى هذه التناقضات لغيَّر اجتهاده؟ فمن حقِّ المسلم أنْ يرجح، بل من واجبه أنْ يستكمل نقصه العلمي حتَّى يبلغ درجة النظر.

وليس الأمر كما قال بعضهم في كتب الحنفية: مَنْ ارتحل إلى مذهب الشافعي عُزِّر. أي عوقب، وكان بعضهم يقول: لا تجوز صلاة الشافعي خلف الحنفي أو العكس؛ لأنَّه قد يكون لمس المرأة، ولمسها ينقض الوضوء. وكان لهذا التعصب المذهبي أثره في المساجد، حتَّى في المسجد الحرام، والمسجد النبوي، فكان هناك أربعة محاريب لأربعة أئمة، كل جماعة تصلي على مذهبها، وهذا في الحقيقة أمر مرفوض.

هذه هي قضيَّة المذهبية والتقليد كما عرضها حسن البنَّا، فهو لم يُضيِّق مع المُضيِّقين، ولم يفتح الباب على مصراعيه مع مَنْ فتحوه،

---

(١) رواه البخاري (١٤٨٣)، عن ابن عمر.

(٢) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (١٠٤/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

وإنَّما وقف منها موقفًا معتدلًا، فللمسلم أنْ يتَّبع مذهبًا، وإن لم يلزمه الله باتباعه، وله أنْ ينتقل من مذهب إلى مذهب، وله أنْ يأخذ من المذاهب الأخرى ما يرى أنَّه أقوى، بل يجب عليه إذا تبيَّن له قوة الدليل في غيره أنْ يترك مذهبه، لأنَّ الحقَّ أحق أنْ يُتَّبع، والمسلم أسير الدليل، وليس أسير التقليد لمذهب معين، هذا هو القول الموجز المُركَّز حول هذه القضيَّة.

* * *

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة

(الأصل الثامن)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببًا للتفرُّق في الدين، ولا يُؤَدِّي إلى خصومةٍ ولا بغضاء، ولكلِّ مُجتهدٍ أجرُه، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظلِّ الحبِّ في الله، والتعاون على الوصول إلى الحقيقة، من غير أنْ يَجُرَّ ذلك إلى المِراء المذموم والتعصُّب**»[1].

يتضمَّن هذا الأصل عدَّة حقائق:

الحقيقة الأولى: أنَّ الخلاف الفقهي لا يكون سببًا للتفرق في الدين، لأنَّ من الطبيعي أنْ يحدث الخلاف في الفروع، ولهذا الخلاف أسباب.

من أسباب الخلاف: طبيعة اللغة الَّتي نزلت بها الشريعة، لأنَّ فيها ألفاظًا مشتركة، فيها حقيقة، وفيها مجاز، فلا بدَّ أنْ يختلف النَّاس في فهم الألفاظ اللغوية، فمثلًا إذا قال الله تعالى: ﴿ **وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ** ﴾ [البقرة: ٢٨]. فما معنى القُرْء؟ اللغة نفسها تقول: معنى القُرْء أحيانا الطهر، ومعناه أحيانًا الحيض. فهل المراد: ثلاثة حِيَضٍ أم ثلاثة أطهار؟ فالقرء لفظ مشترك يدلُّ على أكثر من معنى.

وأحيانا يكون الحرف الواحد سببًا في الخلاف، كما في قوله تعالى: ﴿**وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ**﴾ [المائدة: ٦]. فهل الباء للإلصاق، أم للتبعيض، أم أنَّها زائدة؟ وكل معنى من هذه المعاني يترتَّب عليه حكم وفهم في معنى مسح الرأس في آية الوضوء.

---

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٧، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

QaradawiBooks.com

وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [المائدة: ٦]. هل الملامسة هنا حقيقيَّة بمعنى وضع البشرة على البشرة؟ أم هي ملامسة مجازية كما جاء عن ترجمان القرآن ابن عباس: إنَّ المسَّ واللمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع إنَّ الله حييٌّ كريم يُكنِّي عمَّا شاء بما شاء[1]. فهو يُعلِّم النَّاس الأدب في هذه الأمور، كما قال: فالَّذين قالوا: إنَّ الملامسة في الآية على حقيقتها. قالوا: إن مجرد وضع البشرة على البشرة ينقض الوضوء. وقال الآخرون: إنَّ الملامسة كناية عن الجماع، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. وكما قالت مريم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]. قالوا: إنَّها لا تنقض الوضوء. فطبيعة اللغة تقتضي الخلاف.

ومن أسباب الخلاف: أنْ يبلغ حديثُ الرسول ﷺ أحدَ الفقهاء، ولم يبلغ الفقيه الآخر، وقد حدث هذا في عصر الصحابة، وعصر التابعين، أو قد يبلغ الحديث كلا الطرفين، لكنَّه بلغ أحدهما بطريق صحيح في نظره، ويبلغ الآخر بطريق غير صحيح في نظره، بأنْ يكون فيه راوٍ ضعيف، أو مجهول، أو بطريق لا يطمئن إليه، وهم كذلك يختلفون في التصحيح والتضعيف، يقول أحدهما: هذا الراوي ثقة عندي. ويقول الآخر: ليس بثقة عندي. فهذا يقبل الحديث، والآخر يرده، وقد يشترط أحدهم لقبول الحديث ما لا يشترطه الآخر، كأنْ يقول مثلًا: إذا كان الحديث مما تتوافر الدواعي على نقله فلا بدَّ أنْ يكون مشهورًا. ولا يشترط الآخر مثل هذا الشرط، قد يُشترط في بعض الأحيان أنْ يكون الراوي فقيهًا، قد يأخذ أحدهم بالحديث المرسل، ولا يأخذ به

(١) سبق تخريجه صـ ٥٨٧.

QaradawiBooks.com

ثانٍ، ويأخذ به ثالث بشروط معينة، يقول: إذا عضَّده حديث مُسند آخر، ولو من وجه ضعيف، أو عضَّده بعض أقوال الصحابة، أو قياس، أو غير ذلك، مثل هذا يكون سببًا في الاختلاف الفقهي.

ومن أسباب الاختلاف عن الفقهاء: أنْ يعتبر أحدهم أمرًا معينًا في الأدلَّة، ولا يعتبره الآخر، قد يقول أحدهم: عمل أهل المدينة معتبر عندي. ويقول الآخر: لا؛ فعمل أهل المدينة كعمل أهل الكوفة، كعمل أهل البصرة، فبعد أن تفرق الصحابة أصبحت المدن كلها بعضها كبعض. وقد يقول أحدهم: أنا آخذ بالاستحسان فيما لا نص فيه. ويقول الآخر: لا؛ فمَنْ استحسن فقد شرَّع، والتشريع لله وحده. وهكذا يأخذ أحدهم بالمصلحة المرسلة، ولا يأخذ بها الآخر، ويأخذ أحدهم بشرع مَنْ قبلنا، ولا يأخذ به الآخر، فهناك أنواع من الأدلة المختلف فيها.

حتى الأدلة المتَّفق عليها ـ القرآن والسُّنَّة ـ متَّفق عليها في الجملة، لكن في التفصيل توجد اختلافات كثيرة جدًّا، منها: هل يفيد الأمر الوجوب، أم لا؟ وهل كل أمر يفيد الوجوب أم أحيانا لا يفيد الأمر الوجوب؟ كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. هل كتابة الدَّيْن واجبة في كل حال؟ أم في حال دون حال؟ ذهب الجمهور إلى أنَّ الكتابة هنا للندب والإرشاد، ومثل ذلك قالوه في قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]. وبعضهم يقول: كل أمر للوجوب. وبعضهم يقول: ما جاء في القرآن للوجوب، وما جاء في السُّنَّة للندب. وبعضهم يقول: ما جاء مقترنا بوعيد فهو للوجوب، وما لم يكن مقترنًا بوعيد فهو للندب. كذلك اختلفوا في النَّهي: هل هو للتحريم، أم للكراهة؟ فهذه الأمور موجودة،

QaradawiBooks.com

وأنا أشير إليها بإشارات لتعلموا أن أسباب الاختلاف كثيرة جدًّا، وأنَّ الَّذين يجهلون هذه الخلافات يُقحمون أنفسهم في ميادين لا يعرفونها، وينكرون على العلماء فيما لا يجوز الإنكار فيه، مع أنَّ أئمة الأمَّة اختلفوا، والصحابة ﷺ اختلفوا، فهناك أسباب كثيرة جدًّا للاختلاف فيما يتعلق بالأدلة.

ومن أسباب الاختلاف: اختلاف النزعة البشرية، هناك مَنْ يميل إلى الأخذ بالظاهر، بالحرفية، وهناك مَنْ يميل إلى مراعاة مقصود النص وفحواه، وهذا ثابت منذ عهد الصحابة، كما أشرت لكم في قصة بني قريظة، حيث كاد المسلمون أنْ يبادوا بسبب تعاون بني قريظة مع المشركين الغزاة المهاجمين، فكان لا بدَّ أنْ يؤدِّبهم الرسول ﷺ، فقال بعد غزوة الأحزاب: «**مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُصَلِّيَنَّ العصرَ إلَّا في بني قُرَيظة**»[1]. وحين أوشكت الشمس على الغروب وهم في الطريق اختلف الصحابة، فقالت جماعة: إنَّما أراد منا السرعة، ولم يقصد منا أن نؤخر الصلاة عن وقتها، فنحن سنصلي في الطريق. وقال جماعة أخرى: لن نصلي العصر إلا في بني قريظة، حتَّى وإن وصلنا في منتصف الليل. وبلغ فعلُ هؤلاء وهؤلاء النبيَّ ﷺ، فلم يُنكر على واحد من الفريقين، ولذلك قال ابن القيم: هؤلاء الَّذين صلوا في الطريق هم سلف أهل المعاني والمقاصد، والذين صلوا في بني قريظة هم سلف أهل الظاهر[2]. فهذا من اختلاف النزعة البشرية.

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في صلاة الخوف (٩٤٦)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٠)، عن ابن عمر.

(٢) إعلام الموقعين (١/١٥٥، ١٥٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن ذلك: اختلاف المزاج الشخصي، فكما قلت لكم: هناك ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما، فابن عمر يأخذ نفسه بالشدة، كان يدخل الماء باطن عينيه في الوضوء، كان ابن عمر شديدًا على نفسه، وعلى الناس، كما يظهر في فتاواه، لا يأخذ بظاهر قوله تعالى: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]. وإنَّما يغتسل ويدخل الماء باطن عينيه، وظل يفعل ذلك حتَّى عمي رضي الله عنه. وكان يبعد الأطفال عنه خشية أنْ يسيل شيء من لعابهم عليه، وربما خالطه أراجيع من الداخل فيتنجس ثوبه، وأمَّا ابن عباس فكان يضم الأطفال إليه ويقول: إنَّما هي رياحين نشمها. ولهذا اشتهر في الفقه شدائد ابن عمر ورخص ابن عباس، فهذا نوع من الاختلاف.

وهناك اختلاف البيئة نفسها، فالبيئة تؤثر على صاحبها، وهذا أمر لا يُنكَر، فبيئة الحجازيين غير بيئة العراقيين، أعداد النَّاس في الحجاز قليلة، وعاداتهم محدودة، والبيئة غير حضارية، وهذا غير الَّذين عاشوا في العراق، فالعراق ورث المدنية الفارسية، ولهم أنظمة، وأوضاع، وقوانين، وتفرعت الحياة تفريعات عديدة، ولذلك اشتهروا بالقياس وبالرأي أكثر ممَّا اشتهر به أهل الحجاز الَّذين اشتهروا باتباع الحديث والأثر.

ولهذا رجع الإمام الشافعي عن بعض اجتهاداته حينما ذهب إلى مصر بسبب تغير البيئة، لأنَّه رأى وسمع في مصر من الأحاديث والآثار ما لم يكن قد رأى وسمع من قبل في العراق، فالإنسان ابن بيئته، وهو ابن مكانه وزمانه، ولا يستطيع المجتهد أنْ يتخلى عن العنصر الذاتي مائة في المائة (١٠٠٪)، هذا ليس من طبيعة البشر، ولذلك تجد لأهل الهند وباكستان تفكيرهم الخاص، ولأهل مصر تفكيرهم الخاص، فالبيئة تحكم وتؤثر، وطبعًا البيئة نفسها تتغيَّر، ويتغيَّر معها تأثيرها، من أجل هذه الأسباب حدث الاختلاف الفقهي.

QaradawiBooks.com

ولم يكن هذا الاختلاف شـرًّا، فقـد اختلف أصحـاب النبي ﷺ، وكانت لهم آراء مختلفة، ولكنهم عاشوا في ظلِّ الحب والأخوَّة والوحدة الإسلامية، وعرفوا أنَّ المجتهد إذا اجتهد وأصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر، فوسِـع بعضهم بعضًا، وكذلك اختلف تلاميذهم من التابعين، الفقهاء السبعة بالمدينة، وعطاء، وطاووس، والحسن البصري، والشعبي، والنخعي، وإبراهيم، وعلقمة، ومسروق، واختلف أتباع هؤلاء فيما بعد ذلك، ومنهم الأئمـة الأربعة، واختلف سـائر فقهاء الأمَّـة بعضهم مع بعض، فلم يجعل هذا بينهم عداوة، ولا خصومة، ولا بغضاء، من ذلك أنَّ الإمام أحمد كان يرى أنَّ سيلان الدم ينقض الوضوء، فقيل له: وماذا عمن لا يـرى ذلك؛ هـل تصلي خلفـه؟ فقال: كيـف لا أصلي خلف سعيد بن المسـيب[1]؟ أي لو كان موجودًا لصلى خلفه، فكان ينظر إلى الأمور بسماحة، وسعة أفق.

ومن هنا نقول: إنَّ الاختلاف في الفـروع الفقهية أمر لا بدَّ منه، وذكر الإمام الشـهيد هذا في أكثر من رسالة من رسـائله، أنَّ الإجماع على أمر فرعي يكاد يكون متعذِّرًا، فالَّذيـن يريدون أنْ يجمعوا النَّاس على الفروع، ويقولون: نريد أن ندع المذاهب، وننظر إلـى الأمر نظرة جديدة في ضوء الكتاب والسُّـنَّة. سـينتهي بهم الأمر إلى أنْ يجعلوا من أنفسـهم مذهبًا خامسًـا، ليس أكثر من ذلك، لأنَّهم يقولون: لا نأخذ برأي الرجال، وإنَّما نأخذ بالحديث. والأخـذ بالحديث لا خلاف فيه، لكن مـاذا عن فهمك للحديث؟ إذا كان الحديث وحي، فإن فهم الإنسـان للحديث ليس وحيًا، هو عمل بشري، ولذلك سيظل النَّاس يختلفون في الأفهام، فيأخذ بعضهم

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧٥/٢٣).

QaradawiBooks.com

بظاهر النص، ويأخذ بعضهم بفحوى النص، وكلاهما يجتمعون على الأخذ بالنص، فلا يمكن إلا أنْ يختلفَ النَّاس في هذه الأمور، لأنَّنا لو نظرنا إلى بعض النصوص سنجد مَنْ يقول: لم يقصد الرسول ﷺ كذا، ولم يُرد كذا.

من ذلك مثلًا: أنَّ الإنسان إذا قدم من سفر لا ينبغي أنْ يفاجئهم بقدومه، ويدخل عليهم في منتصف الليل، وقد كان هذا الأمر معقولًا وقت أن كان يركب المسافر راحلته، ويسافر متى شاء، ويرجع متى شاء، فإذا وصل مثل هذا من سفره ينتظر إلى الصباح ثمَّ يدخل على أهل بيته، لكن إذا كان عادت الطائرة بالإنسان في عصرنا منتصف الليل، فماذا يفعل؟ هل يظل في المطار؟ إذنْ تحدث مشكلة، ومن قريب كنت قادمًا قريبًا من إسطنبول وكنت قد قدرت أنْ أبيت في البحرين، لأنَّه لا توجد طائرة في ذلك الوقت إلى قطر، ثمَّ وجدت أنَّ هناك طائرة ستسافر إلى قطر بعد ساعتين، فقررت أنْ أسافر فيها، وبعد أنْ وصلت إلى قطر حوالي الساعة ١٢,٣٠ ليلًا حاولت الاتصال بأهلي في البيت فوجدتهم في سبات عميق، فركبت تاكسي ووصلت وأخذت أدق الجرس حتَّى صحوا، ليس هناك حل إلا هذا، فهل أنا خالفت الحديث؟

لا، فالحديث حين نهى أنْ يطرق المسافر أهله ليلًا، فهو يحتمل معنيين: أنَّه حينما يأتيهم بهذه الطريقة فكأنَّه يتخونهم، يتطلب عثراتهم، كالمفتش المفاجئ، كأنه يبحث عن تهمتهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنَّ المرأة تحتاج ـ خاصة إذا كان زوجها مسافرًا ـ إلى أنْ تتهيَّأ له، فتتزيَّن وتتجمَّل وتهندم من نفسها، والإسلام دين ذوق، فهذا هو المقصود، ولذلك قلنا في شرح الأصل الخامس: إنَّ الأصل في العبادات التعبد والامتثال دون النظر إلى المقاصد والمعاني والأسرار، والأصل في العادات والمعاملات النظر إلى الحكم والأسرار والمقاصد الَّتي وراءها.

QaradawiBooks.com

من هنا نقول: إنَّ الَّذين يحاولون أنْ يجمعوا النَّاس على رأي واحد يحاولون شيئًا غير ممكن، وكثيرًا ما يصلون إلى أشياء لا يقبلها غيرهم، كأنْ يقول أحدهم: الذهب المُحلَّق حرام على النساء. أنا لا أقبل هذا الاجتهاد، هو اجتهاد من الاجتهادات، لكن لا يمكن أنْ يفرضه على غيره، يظل رأيًا من الآراء، فأن تدعي أنَّ أخذك بهذا الحديث هو الصحيح، فأنا لا أصحِّحه، وإذا صحَّحته ربما أقول: إنَّه منسوخ. أو أجد له تأويلًا آخر، وأرى أنَّ الإجماع منعقد على خلاف ذلك، فادعاء إمكان جمع النَّاس على رأي واحد، ورفض آراء الرجال والرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة فهذا غير ممكن، لأنَّنا سنرجع في فهمنا للكتاب والسُّنَّة إلى آراء الرجال لا محالة، فلا بدَّ من وقوع الاختلاف.

والاختلاف ليس بخطر، لأنَّه لو فُهِم على حقيقته لا يُؤدِّي إلى خصومة ولا إلى تفرق في الدين، ولذلك قال بعض العلماء: نحن نخالف ولا نختلف. أن تختلف آراؤنا، ولا يؤدي هذا الاختلاف إلى التفرق المنهي عنه، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، «**لا تختلفوا؛ فإنَّ مَنْ كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[1]، هذا هو الاختلافُ المذموم الَّذي يجعل الأمَّة طوائف يعادي بعضها بعضًا، ويهدم بعضها بعضًا، أمَّا مجرد الاختلاف في الرأي فليس ممنوعًا إطلاقًا، وقد اختلف سلف الأُمَّة في الفروع فلم يؤدِّ ذلك إلى خصومة، ولا إلى بغضاء، ولكل مجتهد أجره، هذه هي الحقيقة الأولى.

الحقيقة الثانية: أنَّه لا مانع من التحقيق العلمي الموضوعي الهادئ النَّزيه في مسائل الخلاف، فنحن نعترف أنَّه لا بدَّ من الاختلاف الفقهي،

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

وأنَّ له أسبابه، وقد ألَّف فيه مؤلفون قديمًا وحديثًا، لكن لا مانع من أنْ يُحقِّق أهل العلم في مسائل الخلاف، ويبحثوا فيها، يمكن أن نبحث مثلًا في الزكاة: هل هي في الأقوات الأربعة ممَّا أخرجت الأرض؟ أم فيما يُقتات في حال الاختيار؟ أم فيما ييبس ويُدَّخر ويُكال؟ أم في كل ما أخرجت الأرض؟ هذا أمر يمكن بحثه.

ويمكن أن نبحث: هل يجوز البيع بأجل مع زيادة في الثمن، أو ما يعرف الآن بالبيع بالتقسيط؟ هل هو حلال أم حرام؟ اختلف الفقهاء في ذلك، ولنا أن نبحث في هذا الأمر، ونرى أي الرأيين أوْلى.

ويمكن أن نبحث في أمور العبادات: هل لمس المرأة ينقض الوضوء أم لا ينقضه؟ كثير من الأشياء يمكن أن نبحثها، ونصل فيها إلى الرأي الَّذي نراه أرجح، وما أراه أنا أرجح، قد لا يراه غيري أرجح، وبالعكس، لأنَّ عملية الترجيح ليست قطعيَّة، فمن هنا نستطيع أن نبحث مسائل الخلاف بحثًا علميًّا، لنرى الصحيح فيها من الخطأ، والقوي فيها من الضعيف، والراجح فيها من المرجوح، فنأخذ الصواب وندع الخطأ، ونأخذ القوي وندع الضعيف، ونأخذ بالراجح وندع المرجوح، هذا هو المفروض حينما يلوح لنا هذا، ولا يتعصب الإنسان لرأيه أو لمذهبه كما قلنا في الأصل السابق، بل ينبغي أنْ يتمسك بالرأي الأقوى والأرجح، حتَّى وإن كان مذهبه خلاف ذلك، كل ما في الأمر أننا إذا وصلنا إلى هذا لا نُجرِّح الآخرين، ولا نطعن فيهم، ولا ننكر عليهم إنكارًا يجرِّدهم من أهليتهم الاجتهاديَّة، ولا أنْ يؤدي ذلك إلى المراء والتعصب، بل نبحث في ظل الحب والتسامح والأُخوَّة، ونعمل بالرأي الَّذي نراه أرجح، وندعو الآخرين بالحكمة إلى هذا الرأي، دون أنْ يؤدي ذلك إلى تفريق الأُمَّة.

QaradawiBooks.com

ولعلَّكم تعرفون قصة صلاة التراويح المشهورة الَّتي ينسبونها إلى الإمام الشهيد حسن البنَّا، حينما ذهب إلى قرية من القرى فوجدهم مختلفين في صلاة التراويح: أهي ثماني ركعات أم هي عشرون؟ وتعرفون أنَّ معظم بلاد المسلمين يُصَلُّون التراويح عشرين ركعة، حتَّى في بلاد الحرمين إلى الآن، وتُذاع على هذا الأساس، وهذا هو المنصوص عليه في كتب المذاهب الأربعة، ولكن هناك من العلماء ـ مثل الشوكاني والصنعاني وصديق حسن خان، وغيرهم ـ وجدوا أنَّ النبي ﷺ لم يزد على ثماني ركعات ـ مع الوتر ـ في رمضان وفي غير رمضان، كما صحَّ ذلك عنه[1]، ودعوا إلى ذلك، ويمكن أنْ ينظر الإنسان: أي الأمرين أوْلى؟ فقد يصل إلى أنَّ الأوْلى الثمانية، وهذا ما وصل إليه الإمام الشهيد فعلًا، فكان يصلي بالإخوان صلاة التراويح في المركز العام ثماني ركعات، وهذا ما وصلت إليه شخصيًّا من قديم ـ وأنا طالب ـ أنَّ الأوْلى أن تكون صلاة التراويح ثماني ركعات، وحين دعوت النَّاس في قريتي وأنا طالب إلى أنْ يصلوا التراويح ثماني ركعات فوجئوا، فقلت لهم: هل الأفضل أنْ تعطي أحدًا عشرين رغيفًا غير سوية، أم تعطيه ثمانية أرغفة طيبة صالحة؟ قالوا: بل ثمانية. قلت: ذلك مثل العشرين الَّتي نصليها خطفًا لا خشوع فيها ولا اطمئنان، كان عندنا إمامٌ يصلي الركعة بجزء من الآية يجعلها ضابطًا فقط للعدِّ، فالأحسن أن نصلي ثمانية في وقت العشرين، وكان النبي ﷺ يصلي ثمانية، وكان عمر رضي الله عنه يصلي عشرين، فهذا جائز، وهذا جائز. فإذا اطمأنَّ الإنسان إلى هذا الرأي في ظل التحقيق العلمي ورجَّحه عن غيره، فليأخذ به، كلُّ

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٤٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٣٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ما في الأمر ألا نجعل من هذا الاختلاف معركة فنفرق المسلمين إلى قسمين، أو فريقين يتقاتلان: فريق الثمانية، وفريق العشرين، فلما ذهب الإمام الشهيد إلى تلك القرية وجد النَّاس مختلفين هذا الاختلاف، وينتظرونه ليحكم بينهم، ولو حكم لأحد الفريقين ستكون مشكلة، فقال لهم: أريد أن أسألكم. قالوا تفضل. قال: ما حكم صلاة التراويح؟ قالوا: سُنَّة. قال: وما حكم الأُخوَّة بين المسلمين؟ قالوا: فريضة، هي من الإيمان، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. قال: أمِنْ أجل سُنَّة تضيِّعون فريضة؟ إذا سألتموني عن رأيي فإني أرى أنْ يذهب كل منكم إلى بيته ليصلي بما ترجَّح له، ولا يخاصم بعضكم بعضًا، ويعادي بعضكم بعضًا.

قال بعض المتشددين عن ذلك: إنَّه فرار من الحكم، لماذا لا يذكر لهم الحكم؟ وليس هذا صحيحًا، فهناك بعض الأمور تحتمل الرأي والرأي الآخر، كما روي عن الإمام أحمد في الأشياء الَّتي ورد فيها أكثر من صيغة، أنَّه يمكن فعل هذه، وفعل هذه[١]، وورد عن الإمام ابن تيمية: أنَّه لو ذهب أحد إلى بلد يجهر النَّاس فيه بالبسملة فليجهر بها معهم[٢]. بدل أنْ يعتبروا الصلاة باطلة، وتقوم بينهم معركة بسببها، فليجهر بها معهم، يقول ابن تيمية هذا في تأليف القلوب، وروي عن الإمام الشافعي أنَّه لما ذهب إلى بغداد لم يقنت في صلاة الصبح مراعاةً لأبي حنيفة وأصحابه هناك، وهذا من أدب الأكابر، ليس كمَن يذهبون إلى غيرهم فيتعمدوا أنْ يثيروا الأمور الخلافية الَّتي تثير النفوس، وتمزق الصفوف، كأن هناك رغبة في ذلك، وليس هذا أدب الإسلام.

(١) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٥٩/٢)، نشر عالم الكتب.
(٢) مجموع الفتاوى (٢٦٩/٢٢).

QaradawiBooks.com

أدب الإسلام أن نحاول أن نجمع النَّاس ولا نفرقهم، وقد كانت دعوة الإخوان ـ منذ قامت ـ دعوة تبني ولا تهدم، وتجمع ولا تفرِّق، تحاول أن تجمع النَّاس على الأساسيَّات، وقد قامت هذه الأصول العشرين نفسها ـ ابتداءً ـ ليجتمع عليها المختلفون من أتباع الجماعات الدينية في مصر، فمثَّلت الحد الأدنى الَّذي لا بدَّ منه، وصيغت بهذه الحكمة، وبهذا الاعتدال، وبهذه اللباقة، حتَّى يمكن أنْ يجتمع عليها المختلفون.

هذا هو موضوع الخلاف الفقهي في الفروع، فلا ينبغي أنْ يؤدي هذا الخلاف إلى خصومة، ولا عداوة، ولا بغضاء، فلكل مجتهد أجره، ولا مانع من التحقيق العلمي في مسائل الخلاف في ظل الوحدة والحب والتسامح، على ألا يجرَّ ذلك إلى التعصب المذموم، والجدل المستمر، وفي الحديث: «**ما ضلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كانوا عليه إلَّا أوتوا الجدل**»[1]. وأحيانًا لا يؤدي الجدل إلى نتيجة، يظل كل أحد متمسكًا برأيه، والذين ذمُّوا التقليد أصبحوا في الحقيقة مُقَلِّدين؛ لأنَّهم أيضًا اتَّبعوا شخصًا مُعَيَّنًا، فكل ما يقوله صواب، فصار الأمر في النهاية تبعيَّة لآراء اجتهاديَّة، هذه قضيَّة الخلاف الفقهي في الفروع.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ١٢٢.

QaradawiBooks.com

(الأصل التاسع)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وكلُّ مسألة لا ينبني عليها عمل، فالخوض فيها من التكلُّف الَّذي نُهِينا عنه شرعًا، ومن ذلك: كثرة التفريعات للأحكام الَّتي لم تقع، والخوض في معاني الآيات القرآنيَّة الكريمة الَّتي لم يصل إليها العلم بعد، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم، وما شجر بينهم من خلاف، ولكلٍّ منهم فضلُ صحبتِه وجزاءُ نيَّته، وفي التأوُّل مندوحة**»[1].

أراد الإمام حسن البنَّا بهذا الأصل أنْ يجعل من الأخ المسلم إنسانًا إيجابيًّا، يبني ولا يهدم، يشغل نفسه بما ينفع، لا يجري وراء القضايا النظريَّة، والأبحاث الجدليَّة الَّتي لا تُرجى من ورائها حقيقة، وإنَّما تُفرق ولا تجمع.

والمسلم الإيجابي هو الَّذي يبحث دائمًا عمَّا ينفع، ولذلك نجد الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسألون النبي ﷺ عمَّا ينفعهم، وكما قال ابن عباس: إنَّما سألوا أربع عشرة مسألة كلها في القرآن[2]: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]،

---

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٧، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

(٢) رواه البزار (٥٠٦٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ ﴾ [المائدة: ٤]، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥]، إلى آخره، فهي أسئلة عما ينفعهم في حياتهم.

لم يسألوا فيما يسأل فيه بعض المسلمين اليوم، كما سأل أحدهم: هل سؤال القبر بالعربي أم بالسرياني؟ لنفترض أنَّه بالسرياني؛ هل ستتعلم اللغة السريانية لتجيب بها عن سؤال الملكين؟! المهم أنك ستُسْأل بلغة تفهمها، والأهم أنْ تُعِدَّ للسؤال جوابًا، وما كان الصحابة يسألون عن مثل هذا، إنَّما كانوا يسألون عما ينفع.

وقريبًا سألني أحدهم في أحد دروس الثلاثاء بمسجد عمر بن الخطاب عن اسم أم موسى، واسم أخته، والمرأتين اللتين سقا لهما، فقلت له: أبهم القرآن أسماءهن، لم يذكر لنا القرآن اسم واحدة منهن، فلماذا لا نُبْهِم ما أبهم القرآن؟ ما فائدة التَّعيين؟ وقلت له: لقد ذكرتني بسؤال أحدهم عن اسم أخت موسى عليه السلام أيضًا. فأجبته ضاحكًا: هل تريد أن تكون نسيبًا له؟ هل تريد أن تتزوج أخته؟ إذنْ لا فائدة من هذا السؤال.

وحين ذكر القرآن قصة أهل الكهف تعرض للخلاف في عددهم: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٢]. لم يقل عددهم بالضبط، لأنَّه لا يترتب على ذلك عمل، وما دام لا يترتب على

QaradawiBooks.com

هذا عمل فالخوض فيه من التكلف المنهي عنه شرعًا، ولذلك لم يكن الصحابة يسألون إلا عما ينفع.

وحين وجد سيِّدنا عمر بن الخطاب ﷺ صبيغ بن عسل يسأل عن المتشابهات في القرآن أوسعه ضربًا وأوجعه، حتَّى قال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد ـ والله ـ لقد ذهب الَّذي كنت أجد في رأسي[١]. كان يبحث عن المشتبهات ويثير حولها الجدل.

وقد نهى النبي ﷺ عن عُضَل المسائل، أو الأغلوطات، أو شرار المسائل[٢]، أنْ يأتي مَنْ يسألك أمام النَّاس يريد أنْ يُعَجِّزك، أو يُخجِّلك، أو يتعالم، أو يتفاصح، ليس وراء سؤاله نيَّة حسنة، ولا منفعة، فلا داعي للبحث عما لا فائدة منه، وهو من التكلف المنهي عنه شرعًا.

ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**دعوني ما تركتكم، إنَّما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فأْتُوا منه ما استطعتم**»[٣]. كانوا يسألون كثيرًا، وقد يترتب على سؤالهم تضييق وتشديد عليهم، كما حدث عندما أمر موسى قومه أنْ يذبحوا بقرة، فتعنتوا وتقعروا، ظلوا يسألون: ﴿**ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ**﴾ [البقرة: ٦٨]، ﴿**ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا**﴾ [البقرة: ٦٩]، ﴿**ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا**﴾ [البقرة: ٧٠]. وهكذا أخذوا يسألون، وكل سؤال يحتاج إلى جواب وتحديد وتفصيل، والتفصيل يعني التَّضييق

(١) رواه الدارمي في المقدمة (١٤٦).

(٢) رواه الطبراني (٣٦٨/١٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٠٣٩)، وفيه سليمان الواسطي قال عنه ابن عدي في الكامل ترجمة (٧٦٢): يسرق الحديث ويشتبه عليه. عن معاوية بن أبي سفيان.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج (١٣٣٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والتَّشديد عليهم، شدَّدوا فشدَّد الله عليهم، ولو ذبحوا أيَّ بقرة لأغنتهم، كما قال النبي ﷺ[١].

ونزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ۝ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ١٠١، ١٠٢].

ولذلك كان النبي ﷺ يحرص على قلَّة السؤال حتَّى تقل التكاليف، لا يريد أنْ تكثر التكاليف على الأمَّة، ولذلك جاء في الحديث: أنَّ رسول الله ﷺ صلى ذات ليلة في المسجد، فصلى بصلاته ناس، ثمَّ صلى من القابلة، فكثر الناس، ثمَّ اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «**قد رأيتُ الَّذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلَّا أنِّي خَشِيتُ أنْ تُفرض عليكم**» وذلك في رمضان[٢]. ولهذا قال ﷺ: «**إنَّ من أعظم النَّاس جُرمًا مَنْ سأل عن شيءٍ لم يُحرَّم فحُرِّم من أجل مسألته**»[٣].

ولمَّا خطب في المسلمين وقال: «**يا أيُّها النَّاس، قد فرض الله عليكم الحجَّ، فحُجُّوا**». فقال رجل: أكلَّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكت حتَّى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلتُ: نعم، لوجبت ولما استطعتُم**»[٤].

---

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٣٠٠/١) من رواية ابن مردويه، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أنْ يكون من كلام أبي هريرة. ورواه الطبري في التفسير (٢٠٤/٢)، موقوفًا على ابن عباس. وقال ابن كثير (٢٩٨/١): إسناده صحيح.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٢٩)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦١)، عن عائشة.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٢٨٩)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٤) رواه مسلم في الحج (١٣٣٧)، وأحمد (١٠٦٠٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هناك أناس يحبون التشديد على أنفسهم وعلى الآخرين، والدينُ يُسْر، ومن هنا فالبحث عما لا ينفع، والتقعر في الأمور، والتشدد فيها، كل هذا مما نهى الإسلام عنه.

ومن الأمور الَّتي لا ينبني عليها عمل أيضًا: الخوض في معاني الآيات القرآنية الَّتي لم يصل إليها العلم بعد، مثل أوائل السور، ألم، وألمص، وألمر، وحم، وطس، وطسم، وق، وص، إلى آخره، قال السلف عنها: الله أعلم بمراده، لكل كتاب سر، وسرُّ القرآن أوائل السور، هي من المتشابهات الَّتي لا يعلم تأويلها إلا الله. وحاول البعض أنْ يجد لها معنى، كأن تكون اسمًا للسورة، أو دلالة على التنبيه إلى التحدي بإعجاز القرآن، أنَّ القرآن الَّذي أعجزكم أن تأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة مثله ـ مُؤلَّفٌ من الحروف الَّتي تتكلمون بها، ومع هذا عجزتم، أليس هذا دليلًا على أنَّه من قوة فوق قوتكم، وقدرة أعلى من قدرتكم؟ أليس هذا دليلًا على أنَّها من كلام الله؟

هذا هو كلام الأئمة، فلا حاجة للخوض في الحديث عن هذه الحروف، والتطويل فيه، كما فعل بعضهم في عصرنا رجل يسمَّى رشاد خليفة، يعيش في أمريكا، جلس على الكمبيوتر وأخذ يعد بعض الحروف وخرج بمتوافقات من القرآن حول العدد ١٩، خرج بنتائج غاية ما توصف به أنَّها من مُلَح العلم[1]، في الدراسات الأصولية نقول: هذا من مُلَح العلم، وليس من صلب العلم. والمُلَح هي الطرائف، أو

(١) وقد انتهت شذوذات رشاد خليفة إلى إنكار السُّنَّة، ثم أنكر آيتين من القرآن في آخر سورة التوبة، ثم ختم كفره بدعوى أنَّه رسول الله، قائلًا: إنَّ محمدًا خاتم النبيين، وليس خاتم المرسلين! وقد صدر بذلك قرار من مجلس المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي.

QaradawiBooks.com

اللطائف، لكنها ليست من صلب العلم، لكن للأسف يقبل عوام النَّاس وجماهيرهم على مُلَح العلم أكثر مما يقبلون على صلب العلم، يهللون لهذه الملح، أمَّا العلم الأصلي فقلَّما يجتمع النَّاس عليه.

واعتمد أحدهم على هذه الحروف وزعم زعمًا لعلكم قرأتموه، أنَّ القيامة ستقوم بعد مائتين وثمانين سنة، فهذا من التكلف، وهو منافٍ للقرآن الَّذي جعل علمها عند الله، قال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. ولا ينبني عليها عمل، لأنَّ الساعة إذا كانت ستقوم الآن فالمسلم بطبيعته يعمل، كما قال الرسول ﷺ: «**إنْ قامتِ الساعةُ وفي يدِ أحدِكم فسيلةً، فإن استطاعَ ألَّا تقومَ حتَّى يغرِسَها فليغرِسْها**»[(١)].

ومن الأمور الَّتي ذكرها الإمام الشهيد ـ أيضًا ـ فيما لا ينبني عليه عمل: المفاضلة بين الصحابة رضوان الله عليهم، بالبحث عن أيِّهما أفضل: أبو بكر أم عليٌّ؟ عثمان أم عليٌّ؟ والبحث فيما حدث بين الصحابة بعضهم وبعض في معركة الجمل ومعركة صفِّين، وهذه القضايا الَّتي كتب فيها عبد الرحمن الشرقاوي في الأهرام؛ يريد أنْ يعيدها جذعة، فالبحث في هذه الأمور لا يجدي، وأوْلى ما يقال فيها ما قاله خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين سئل عما حدث بين الصحابة من خلاف قال: تلك دماء طهَّر الله منها أيدينا فلا نُلطِّخ بها ألسنتنا[(٢)]. نحمد الله على أننا لم نشترك فيها، فلا داعي لأن نخوض فيها بألسنتنا فنكفر هذا ونؤثم

(١) سبق تخريجه صـ٧٤.

(٢) ذكره الخطابي في العزلة صـ٤٤، نشر المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

QaradawiBooks.com

هذا ونخطئ هذا. ولذلك حينما سألوا عليَّ بن أبي طالب نفسه عن هؤلاء الَّذين اختلفوا معه: هل هم كفار يا أميـر المؤمنين؟ قال: من الكفر فرُّوا. قالوا: هل هم منافقون؟ قـال: لو كانوا منافقين لم يذكـروا الله إلا قليلًا. قالوا: فما هم إذنْ؟ قال: إخواننا بالأمس بغوا علينا اليوم[1]. أي لا نسميهم أكثر من بغـاة، وورد أنَّه قال ذلك فـي الخوارج الَّذين كانـوا يكفرونه، ويكفرون مَنْ معه، ويستحلون دمهم، فلا ينبغي أنْ يكون الخوض في هذه الأمور شغلًا لأصحاب الدعوة وحملة الرسالة.

إنَّ أصحاب الدعوة وحَمَلة الرسالة مشـغولون بأمور أخرى كثيرة، بهموم المسلمين وما أكثرها، بالمصائب الَّتي تحلُّ بهم، بالقوى المعادية للإسـلام، وهي تتفق فيما بينهـا وتتفق على المسـلمين، هناك القوى الخارجيَّـة، اليهوديَّة العالميَّة، والشـيوعيَّة الدوليَّـة، والصليبيَّة الغربيَّة والشرقيَّة، والوثنيَّة الهنديَّة وغيرها، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائـدة: ٨٢]، وهناك القـوى الداخلية، العلمانية والانحلالية وغيرها، كل هذه القوى من يمين ويسـار، وشـرق وغرب تقف ضد الإسلام، فليشغل المسـلمون أنفسهم بهؤلاء بدل أنْ ينشغلوا بالأمور الجدليـة، وما لا طائل من ورائه، ولذلك وجَّه الإمام الشـهيد جنود الحركة الإسـلامية إلى أنْ يدعوا كل مسالة لا ينبني عليها عمل، ويشـغلوا أنفسـهم بالأمور العملية، بالأمور الإيجابية، هذا هو شـأن الإنسان المسـلم، وليس من شأنه أنْ يسـبح في الأوهام، ويمشي وراء الجدل الَّذي لا ينتهي إلى نتيجة.

* * *

(١) رواه ابن أبي شيبة في الجمل (٣٨٩١٨)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٧٣/٨).

QaradawiBooks.com

(الأصل العاشر)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ومعرفةُ الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، وآيات الصفاتِ وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من المتشابه، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويلٍ ولا تعطيل، ولا نتعرَّض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء؛ ويسعُنا ما وَسَعَ رسولَ الله ﷺ وأصحابه:** ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]»[(١)].

يتعلَّق هذا الأصل بموضوع العقيدة، ولا شكَّ أنَّ العقيدة هي أساس الإسلام، بل هي أساس كلِّ دين، ولا يُقبل عمل لا يقوم على أساس العقيدة، ولذلك أي عمل صالح يقوم به إنسان على غير أساس الإيمان فهو غير مقبول، ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، فالعقيدة هي الأساس، ولذلك كان لا بدَّ من تأكيد هذا الأمر.

لا بدَّ من معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا عرفت الله فقد عرفت نفسك، وعرفت غايتك، وعرفت سرَّ وجودك، فالله تعالى هو مصدر الوجود، وواهب الحياة، وخالق الكون، ورب الدارين، وليست معرفة الله تعالى مجرد معرفة ذهنية، بل هي معرفة إيمانية تنير العقل، وتشبع القلب، وتُحرِّك الإرادة، هذا هو المقصود بمعرفة الله.

---

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٧، ٣٥٨، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

QaradawiBooks.com

ولا بدَّ أن نُنـزِّه الله تعالى عـن كل نقص، فالله تعالـى عندنا نحن المسـلمين متَّصف بكل كمال، مُنزَّه عن كل نقص، له الكمالات العليا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشـر: ٢٤]، المذكورة في القـرآن الكريم: العزيـز، الحكيم، الرؤوف، الرحيم، الغفور، الشكور، البر، التواب، إلى آخر هذه الأسماء الَّتي ورد في بعض الأحاديث أنَّها تسعة وتسـعون اسمًا[1]، وأوصل بعض العلماء عدد الأسـماء المذكورة في القرآن إلى أكثر من ذلـك، أخذًا من صفاته تعالى في القرآن الكريم، فلا بدَّ من معرفة الله، وتنزيهه عن النقائص الَّتي ألصقها به أمثال اليهود في توراتهم.

مَنْ قرأ التوراة لا يعرف الله كما نعرفه في القرآن، فهو في التوراة إلهٌ آخر، قد يكون وثنًا، هو شـيء ناقص يجهل المغيَّبات، يسأل آدم: ماذا وراءك، وماذا كذا؟ يخلق آدم ثمَّ يندم على خلقه، ويحسـده ويغار منه، ويخشى أنْ يأكل من الشجرة فتكون له المعرفة والخلود، ويلقى إسرائيل أو يعقوب في ليلة مقمـرة فيتصارعان فيصرعه يعقـوب، وكان يعقوب لا يعرف في أول الأمر أنَّـه الرب، وعرف ذلك أثنـاء المصارعة فقال: لا أدعك تفلت حتَّى تبارك ذريتي. فباركها!

أهذا هو فاطر السـماوات والأرض، العزيز الجبَّار المتكبِّر، الخالق البارئ المصوِّر؟ ليس هو، فالرب في التـوراة غير الله الَّذي في القرآن، فالرب في التوراة رب متحيِّز، يسـمونه ربَّ إسـرائيل، ويسـمونه ربَّ الجنود، أي إنَّه إلٰه عسـكري، أمَّا عندنا فالله تعالـى رب العالمين، رب

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الشروط (٢٧٣٦)، والدعوات (٦٤١٠)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

السماوات والأرض، له كل الكمالات، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، ليس كما يدعي النصارى أنَّه جزء من أقانيم ثلاثة، أو عضو في شركة مساهمة، أو عضو في العائلة الإلٰهية: الأب، والابن، والروح القدس.

الحقيقة أنَّ عقيدتنا نحن المسلمين أمر آخر، أعلى وأغلى وأنقى من كل ما جاء في الأديان السابقة المُحَرَّفة، ومن كلِّ ما جاء في الفلسفات المختلفة، حتَّى الفلاسفة الَّذي يسمونهم «الفلاسفة الإلهيين»، الَّذين أثبتوا الإلٰهية ولم ينفوها، ولم يكونوا ملحدين، هؤلاء لم يعرفوا الله كما نعرفه، الإلٰه عند أرسطو يُسمَّى «المحرك الأول»، ليس لأنَّه يحرك الكون ويتحكم فيه، بل لأنَّ الكون يتحرك شوقًا إليه، أمَّا هو فلا يستطيع أنْ يحركه، لأنَّه في نظر أرسطو لا يعلم فيه شيئًا، ولا يدبِّر فيه أمرًا، بل لا يعقل إلا ذاته، ولذلك يقول المؤرخ الأمريكي المعروف وول ديورانت، صاحب كتابَي «قصة الفلسفة»، «قصة الحضارة»: يا لإله أرسطو من إلٰه مسكين، لا يعرف في الكون شيئًا، ولا يدبر فيه شيئًا، إنَّه أشبه بملك الإنجليز؛ يملك ولا يحكم. وإذا كان إلٰه أرسطو لا يعلم إلا ذاته فإله أفلوطين ـ الَّذي تُنسب إليه الأفلاطونية الحديثة ـ لا يعلم ذاته، هذا هو الإلٰه في الأديان والفلسفات.

أمَّا الله في الإسلام وفي القرآن شيء آخر، فأسمى عقائد الإسلام معرفة الله تعالى وتوحيده، وتنزيهه عن كل نقص، وعن مشابهة الخَلْق، وعن أيِّ نوعٍ من الوثنية والشرك.

ويشمل هذا التوحيد «توحيد الربوبية»، بمعنى أن لا ربَّ، ولا خالق، ولا رازق إلا الله، فالخالق الرازق، المحيي المميت، الضار النافع، المدبر

QaradawiBooks.com

لكلِّ الأمور هو الله ﷻ، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩].

ولكن هذا النوع من التوحيد لا يكفي؛ لأنَّ قريشًا ومشركي العرب كان يقرون به كما دلت على ذلك الآيات، ولكنهم مع ذلك كانوا يعبدون الأصنام، كان ينقصهم توحيد آخر اسمه «توحيد الإلٰهية»، كان ينبغي أنْ ينتهي بهم توحيد الربوبية إلى توحيد الإلٰهية، فلا يعبدون إلا الله، ولا يدعون إلا الله، ولا يرجون إلا الله، ولا يسجدون إلا لله، لكنهم مع اعترافهم بأنَّ الله تعالى خالق السماوات والأرض، والمحيي والمميت ـ عبدوا الآلهة المُزيَّفة، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]. وقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]. ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾ [مريم: ٨١]، إلى آخره، فتوحيد الله تعالى ـ بهذين المعنيين ـ لا بدَّ منه، فمعرفة الله تعالى، وتوحيده، وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام من غير شكٍّ.

وهنا أثيرت قضيَّة في مسائل العقيدة، وهاج حولها الجدل، وخاصة في عصرنا، هي قضيَّة آيات الصفات وأحاديث الصفات، والمقصود بآيات الصفات تلك الَّتي يوهم ظاهرها المشابهة للخلق، مثل الآيات الَّتي تثبت اليد لله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١]. ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤]. والآيات الَّتي تثبت

QaradawiBooks.com

العين أو الأعين لله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]. والآيات الَّتي تثبت الوجه لله تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]. والآيات الَّتي تثبتُ استواء الله تعالى على العرش: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الرعد: ٢]. والآيات الَّتي تثبت الفوقية لله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]. إلى غير ذلك من الآيات، ومثلها أحاديث الصفات.

هناك اتجاهان للعلماء فيما يتعلَّق بآيات وأحاديث الصفات: اتجاه للسلف واتجاه للخلف.

اتجاه السلف:

كان علماء السلف المتقدمون من الصحابة والتابعين وأئمة العصور الأولى يمررون هذه الآيات والأحاديث كما جاءت، ولا يتعرضون لها بتأويل، يؤمنون بها كما جاءت دون أنْ يؤوِّلوها، مع نفيهم التَّشبيه والتَّكييف بالنسبة لله ﷻ، ولذلك لما سُئل ربيعة بن عبد الرحمن شيخ الإمام مالك، وكذلك لما سُئل الإمام مالك نفسه عن الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. ما معنى ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾؟ فقال للسائل كلمته الشهيرة: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأراك رجل سوء. وأخرجوه من المسجد[1]، فهذا ـ كما قلنا ـ يتكلَّف بالخوض في المسائل الَّتي لا ينبني عليها عمل،

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦، ٨٦٧)، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، نشر مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

يريد أنْ يقيم معركة حولها، ويريد الإمام مالك أنْ يفقه النَّاس في دينهم، فالاستواء معلوم، والكيف مجهول، لا يُبحث هذا الأمر، كل ما يقال: إنَّه بلا تكييف، ولا تمثيل، ولا تأويل ولا تعطيل، فالسلف لا يُؤوِّلون هذه الآيات ولا يعطلونها من معانيها، لا يفرغونها من معانيها اللغوية، ولا يكيِّفون أي لا يقولون: إنَّه استوى بالكيفيَّة الفلانية. ولا يشبِّهون أي: لا يمثلون فيقولون: استوى كالاستواء على هذا الكرسي. لا يقولون هذا، لأنَّ الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، فهو مخالف لخلقه تمامًا، هذا هو اتِّجاه السلف.

وهناك ـ في الحقيقة ـ رأيان في تفسير اتجاه السلف، رأي يقول: كان السلف مُفَوِّضين، سكتوا عن هذه الآيات وفوَّضوا معانيها إلى الله. وهذا الرأي قال به الإمام البيهقي وغيره، والرأي الثاني قال به شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته، قال: لم يكن السلف مفوضين، بل كانوا يؤمنون بألفاظ الآيات والأحاديث كما جاءت، غير أنَّهم لا يبحثون في الكيفية، ولا يشبهون. أي أنَّهم يثبتون الأيدي والأعين والوجه والاستواء لله تعالى، ولكنهم يقولون: لا نعرف كيفيتها. المهم أنَّ خلاصة هذين الرأيين في تفسير منهج السلف في هذه الآيات: هو عدم التأويل، ونفي التشبيه والتمثيل يقينًا.

اتجاه الخلف:

أمَّا علماء الخلف الَّذين جاؤوا بعد العصور الأولى فقد خشوا أنْ يفهم النَّاس هذه الآيات والأحاديث على غير وجهها، وخاصَّة بعد اختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم، وبعد ترجمة كتب الفلسفة، وبعد ظهور طوائف متعددة مثل المعتزلة وغيرهم، فقالوا: لا بدَّ من التأويل،

QaradawiBooks.com

وإنَّ لهذه الألفاظ تأويلها، واللغة العربية تحتمل ذلك، أنَّ هذه الألفاظ مجاز أو كناية، فيؤوِّلون قوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾. على أنَّ الملك تحت تصرفه وقدرته، كما هو الحال عندما يملك شخص التصرف في شيء يقول: هذا في يدي. حتَّى وإن كان أقطعَ اليدين، فهذا التعبير كناية، وليس شرطًا أنْ يكون لله يد أو يدين، ويؤوِّلون الوجه في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾. على أنَّ المراد بالوجه الذات، وليس المراد به وجهًا معينًا، لأنَّه لو أريد بالوجه معناه الظاهر لكان معنى ذلك أنَّ الوجه فقط يبقى، وباقي الكيان يفنى ويهلك، وهذا غير صحيح، فالمقصود الذات كلها، وكذلك في قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾. يعني استولى على الملك، وأيضًا قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. كناية عن عظمة ملكه، وهكذا أخذوا يؤوِّلون الآيات.

ولما لجأ الخلف إلى التأويل ساعدتهم في ذلك اللغة العربية، فهي لغة لا تضيق بالمجاز والكناية، ودفعهم إلى ذلك الخشية من أنْ يظن النَّاس أنَّ الله ﷻ مُركَّب، وأنَّه جسم كأجسام البشر، له يد وعين وأذن كما لهم، وأنَّه يضحك ويبكي ويرضى ويغضب كما يفعلون، فهذا ما دفعهم إلى التأويل، فنيَّتُهم فيه حسنة قطعًا.

وقد وقفت المدرسة السلفية منذ عصر ابن تيمية ضد هذا التأويل وقوفًا شديدًا جدًّا، وكان الحنابلة بصفة عامة ضد هذا التأويل، منذ عهد الإمام أحمد الَّذي رفض القول بخلق القرآن، وجاء بعده بعض الحنابلة وقالوا: ليس القرآن فقط غير مخلوق، بل حتَّى هذا المصحف المكتوب نفسه غير مخلوق. كيف وقد كتبه النَّاس بأيديهم، وبمدادهم؟ لكن هكذا بالغ بعض عوام العلماء منهم في هذه الأمور، فكان الحنابلة ضد التأويل من قديم، ثمَّ جاء الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وهذه المدرسة

QaradawiBooks.com

فأوسعوا هذا الأمر بحثًا وطوَّلوا الباع فيه، وكتبوا الكتب، ودافعوا عنه باللسان وبالقلم، وخطَّؤوا الخلف المُؤوِّلين، وضللوهم بهذا، وجاء في هذا العصر مَنْ تبنَّى رأي ابن تيمية وابن القيم من أتباع الاتجاه السلفي، وبالغوا أكثر من ابن تيمية وابن القيم، لأنَّهما ـ فيما رأيت ـ لم يُكفِّروا مَنْ أوَّل، لكنهم فقط خطَّؤوه أو ضللوه واعتبروه خروجًا عن نهج السلف، ولم يقولوا بكفر مَنْ فعل ذلك، لكن بعض أتباعهم يكفرون مَنْ أوَّل، فأحيانًا يكون الأتباع ملكيين أكثر من الملك.

ولهذا وجَّه الإمام الشهيد حسن البنَّا بألا نجعل من مسألة آيات وأحاديث الصفات معركة، نثير فيها الخلاف والجدل في كل مكان، وكل زمان، فلا ينبغي ألا نتعرض للخلاف بين العلماء فيها، يمكن أن نقول: إن مذهب السلف في هذه القضيَّة أسلم باتفاق الجميع، حتَّى الخلف أنفسهم قالوا: مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم. ومعنى هذا أنَّهم اعترفوا أنَّ في التأويل مخاطرة، وأنَّ في عدم التأويل السلامة، ولا يعدل الإنسان بالسلامة شيئًا في مسائل العقيدة، ثمَّ ما يدريني أنَّ التأويل الَّذي قمت به صحيح؟ وإذا سأل الله تعالى يوم القيامة إنسانًا مذهبه على طريقة السلف: لماذا قلت فيَّ كذا وكذا؟ سيقول: لقد وصفتك بما وصفت به نفسك، ونسبت إليك ما جاءنا في كتابك، وعلى لسان رسولك. وإذا سأل إنسانًا مذهبه على طريقة المؤوِّلين: لماذا أوَّلت اليد في آية كذا بالقدرة، وفي آية كذا النعمة؟ طبعًا لن تكون حجَّته بقوة حجَّة الأول، فالأول استند إلى النصوص، لكن هذا سيقول: استندت إلى اجتهادي، وأردت أنْ أنزِّهك حتَّى لا يُلصق بك النَّاس ما لا يليق بكمالك، وأردت أن أدافع عن ذاتك المقدَّسة، وصفاتك العليا أمام أصحاب الأديان والفلسفات الأخرى.

QaradawiBooks.com

ربما كان له عذر في ذلك، لكن موقف الأول أقوى لأنَّه يستند إلى النصوص، فاتباع السلف هو الأوْلى، إذا كان الرسول ﷺ وصحابته لم يبحثوا في هذه الأمور فلماذا نبحث فيها؟

ينبغي أن نقول في آيات وأحاديث الصفات، وفي كل ما يلحق بهما من المتشابه، ما قاله الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. هناك أناس يتبعون المتشابهات، كما ذكر القرآن: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. فلا داعي للشقاق وإطالة الجدل في هذه الأمور.

ولذلك من اللطائف الَّتي ذكرها الإمام الشاطبي في كتابه «الاعتصام» في قضيَّة خلق القرآن: أنَّ رجلًا من العلماء غير المعروفين جيء به إلى الواثق من خلفاء العباسيين الَّذين كانوا يقولون بخلق القرآن، وكان قاضيه أحمد بن أبي دؤاد من المعتزلة هو الَّذي يتولى مناظرة العلماء وإفحامهم، وكانت له شهرة طبَّقت الآفاق، فقال هذا العالم للخليفة: أنا أناظره، وسترى. فسأل القاضي: هل ترى أنَّ إيمان المرء لا يكمل إلا إذا اعتقد بخلق القرآن؟ قال: نعم. فقال: هل دعا إليه رسول الله ﷺ؟ قال: لا. قال: هل كان يعلم بهذه المسألة؟ قال: نعم. قال: كان يعلم بها ووسعه أنْ يتركها؟ قال: نعم. قال: وهل كان كذلك أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ؟ قال: نعم. قال: إذا كان هؤلاء يعلمونها، ووسعهم أنْ يسكتوا عنها، أفلا يسعنا ما وسع رسول الله ﷺ، وخلفاءه من بعده؟ إن كانوا يجهلون ذلك أفتأتي أنت يا لكع بن لكع تدَّعي علم ما لم يعلموا؟ وفي بعض الروايات قال له: ألم يقل الله

QaradawiBooks.com

تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]؟ فكيف تأتي أنت بمسألة لم ترد في دين الله؟ وظل وراءه حتَّى انهار تمامًا، وسلَّم الخليفة الواثق للرجل، وأمرهم أنْ يفكوا قيده ـ وكانوا قد جاؤوا به مُكبلًا ـ فجذب قيده إليه، فقال له: لماذا جذبته؟ قال: أردت أنْ يشهد لي يوم القيامة بما أصابني من ظلم[1]. هكذا كان في الأمة من يثير هذه الأمور، ويوسع دائرة الشقاق، وما كان أغنى المسلمين عن إثارة مسألة خلق القرآن، وغيرها من الأمور الَّتي لا ينبني عليها عمل.

والغريب أنَّ في النَّاس مَنْ لا يزال يثير هذه القضايا، وهي قضايا تاريخية، يريد أن نبحث من جديد: هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ هذه ليست مشكلتنا، المهم أنَّ القرآن من عند الله، وهو الَّذي يجب أنْ يحكم وأنْ يُتَّبع، مشكلتنا: هل القرآن دستور الأمة أم ليس دستورها؟ أيجب أن نرجع إلى القرآن أم لا؟ هذا هو الَّذي ينبغي أن نبحث فيه، فالواجب أنْ يسعنا ما وسع رسول الله ﷺ، وما وسع أصحابه، وما وسع التابعين لهم بإحسان، وما وسع جماهير المسلمين في القرون الأولى، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

لا ينبغي أن نجعل هذه القضيَّة مثارة بين المسلمين في كل مكان كما يفعل البعض، يصعد أحدهم على المنبر ويسأل المسلمين: أين الله؟ ومَنْ قال له: ليس لله مكان، كما يقول الأشاعرة وغيرهم. فهذا كافر، وهذا ضال، والحقيقة أن تكفير النَّاس بهذا غير مقبول، ولم يكفرهم ابن تيمية ولا غيره، وهم أناس لهم مكانتهم في تاريخ العلم والفكر

(١) الاعتصام (٢٤٣/١، ٢٤٤).

QaradawiBooks.com

الإســـلامي، يمكن أن نخطئهم، ولكن لا نستطيع أن نُكفِّرهم، وقد ذكر ابن تيمية في بعض رســـائله هذا الأصل: المجتهدون حتَّى في مســـائل الأصول، وفي مسائل العقيدة الفرعية، مثل هذه المسألة، ومسألة أفعال العباد، ومسائل القدر، ومسألة رؤية الله يوم القيامة ـ هؤلاء أجرهم على الله، ســـواء كان اجتهادهم في المســـائل النظرية، أو المسائل العملية[1]. وهذا هو الصحيح؛ لأنَّ الإنســـان لا يُطالَب إلا بمـــا أدَّى إليه اجتهاده، ما دام لا يقصد محادَّة الله ورســـوله، أو معارضة كتاب الله، ونبذه وراءه ظهريًّا، فلكل مجتهد ـ حتَّى في هذه المسائل ـ أجره إن شاء الله.

* * *

(١) درء تعـــارض العقل والنقل (٢٧٧/١)، تحقيق د. محمد رشـــاد ســـالم، نشـــر جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

(الأصل الحادي عشر)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وكلُّ بدعةٍ في دِين الله لا أصلَ لها، استحسنها النَّاس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه؛ ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل الَّتي لا تؤدِّي إلى ما هو شرٌّ منها**»[(١)].

أصل كلمة البدعة من بَدَعَ الشيء، أي: اخترعه على غير مثال سابق، ولذلك يُوصف الله تعالى بأنه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ١٠١]. أي أنشأهما وخلقهما على غير مثال سابق، فالابتداع إنشاء شيء ليس مشروعًا من قبل.

ويُعرِّف الإمام الشاطبي البدعة بأنها: طريقة في الدين تُضاهي الطريقة الشرعيَّة، يُقصَد بها المبالغة في التعبُّد لله تعالى[(٢)].

البدعة «طريقة في الدين»، أي لا بدَّ أنْ تكون في أمور الدين، في العقائد، وفي العبادات، في الشؤون الدينية، لأنَّه يجوز للناس في أمور الدنيا وشؤون المعاملات أنْ يخترعوا ويبتدعوا ما شاؤوا، كما قال النبيُّ ﷺ للصحابة: «**أنتم أعلم بأمر دُنْياكم**»[(٣)]. طوِّروا فيها وحسِّنوا، وابتكروا ما شئتم، ومن هنا جاء الإسلام في أمور الدنيا بالابتكار والابتداع، وفي أمور الدين بالاقتداء والاتباع.

وقد رعى المسلمون هذا الأمر، فوقفوا في أمور الدين عند حدود الشرع، اتَّبعوا ولم يبتدعوا، وفي أمور الدنيا ابتكروا ما شاء الله لهم، ولما

---

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٨، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

(٢) الاعتصام (٣٧/١).

(٣) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، عن أنس وعائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تأخر المسلمون في عصور الانحطاط والتخلف عكسوا الأمر، فجمدوا في أمور الدنيا، وابتدعوا في أمور الدين، وهذا هو الخطر، فلا بدَّ أنْ يفهم المسلمون أنَّ الدين لا ابتداع فيه، لأنَّ الدين قد حُدِّد واكتمل، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وما كان كاملًا لا يقبل الزيادة، كما لا يقبل النقص أيضًا.

البدعة إذنْ هي كل طريقة في الدين غير الطريقة الشرعيَّة، وإن كانت تضاهيها وتماثلها، وإن كانت النية فيها حسنة، هذا هو الخطر في الابتداع، أنَّ المبتدع يريد أنْ يتقرب إلى الله، يريد أنْ يزيد في التعبد، فيخترع صلوات وأوراد معينة، يبالغ بها في التعبد، والواقع أنَّ هذه المبالغات هي الَّتي أفسدت الأديان، دخل التحريف على الأديان بسبب فتح باب الابتداع، استطاع النَّاس بآرائهم البشرية، وبأهوائهم واجتهاداتهم الخاصة أنْ يزيدوا في الدين، فزادوا وحرَّفوا، فمثلًا كان شهر الصيام عندهم يأتي في الحر فأخروه إلى في الربيع، وجعلوه أربعين يومًا بدلًا من ثلاثين، فأخروا في الزمن، وزادوا في العدد، وظلوا يحرفون، فبدلًا من أنْ يكون الصيام عن الأكل والشرب فليكن صيامًا عما فيه روح مثلًا، وابتدعوا نظام الرهبنة، كما أشار القرآن: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]. فحرموا أنفسهم من حق الزواج، وحرموها من طيبات الحياة، واعتزلوا الدنيا، وشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، كما قال رسول الله ﷺ: «**لا تُشَدِّدوا على أنفسكم فيُشَدَّدَ عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد اللهُ عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار**»[1]. فالابتداع يُحرِّف الأديان ويخربها.

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٤)، وأبو يعلى (٣٦٩٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٦/٦): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء، وهو ثقة. وقال الألباني في الضعيفة (٣٤٦٨): إسناده يحتمل التحسين. عن أنس.

QaradawiBooks.com

ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[١]. أي مردود على صاحبه كما تُرد العملة الزائفة، فأي ابتداع في شؤون الدين المحضة مردود ومرفوض.

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ، ثمَّ أقبل علينا فوعظَنا موعظةً بليغةً ذرَفتْ منها العيونُ، ووجِلتْ منها القلوبُ، فقلنا: يا رسولَ اللهِ، كأنها موعظةُ مُودِّعٍ فأوصِنا. قال: «**أُوصِيكم بتقوى الله، والسَّمْعِ والطاعة؛ وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، وإنَّه مَن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المَهْدِيِّين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمور؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة**»[٢]. يقصد بمحدثات الأمور المحدثات في شؤون الدين، وليس كما زعم بعض الكتاب الدخلاء، حين قال: استنكار الجديد موقف جاهلي، فلا يجوز أن نستنكر المبتدعات. فهم أنَّ الإسلام ينكر أي مبتدعات، لا؛ بل هو ينكر الابتداع في الدين، أمَّا الابتداع في شؤون الحياة فلا ينكره، لا ينكر الابتداع في الشؤون العلمية، والحضارية، ولهذا ابتدع المسلمون علوم النحو والصرف والبلاغة، حتَّى علم أصول الفقه ابتكره المسلمون لضبط الاستدلال، وابتكروا علم الجبر، وغيره، وأضافوا إلى العلوم القديمة، فالابتكار الَّذي منعه الإسلام هو الابتكار في شؤون الدين، أنْ يخترع النَّاس أشياء يتعبدون بها لله، أو يبالغون بها في التعبد لله، وهم بذلك يلزمون أنفسهم بما لم يلزمهم الله به، ويضيقون على أنفسهم فيما وسَّع الله عليهم، ويبذلون جهودهم في بدعة كان الأولى أنْ يبذلوها في إحياء سنَّة، ولذلك جاء في الحديث:

---

(١) سبق تخريجه صـ٥١١.

(٢) سبق تخريجه صـ٩٦.

QaradawiBooks.com

«**ما أحدث قومٌ بدعة إلا رفع مثلها من السُّـنَّة**»[١]. فطاقة الإنسان محدودة، وإذا وُجِّهت إلى البدع حُرمت منها السنن، فالنبي ﷺ رفض الابتداع، واعتبر كل بدعة ضلالة، وهذه الكلية قائمة، هناك بعض العلماء قسم البدعة إلى بدعة حسنة، وبدعة غير حسنة، وأعطاها الأحكام الخمسة، فجعل منها ما هو واجب، وما هو مستحب، وما هو مكروه، وما هو حرام، وما هو مباح، لكن هذا التقسيم هو للبدعة بمعناها اللغوي، أي كل مُستحدَث من الأمور، لكن البدعة بمعناها الشرعي كما عرفها الإمام الشاطبي كلها ضلالة.

والذي يقوم بالبدعة كأنه يستدرك على الله، إنَّ الله تعالى أكمل الدين فلماذا تريد أن تزيد فيه؟ جاء رجل إلى الإمام مالك وقال له: إنِّي أريد أن أُحْرِم من عند قبر النبي ﷺ. قال: لا، بل احرم من ذي الحليفة. الَّتي تُسمَّى الآن «آبار عليٍّ»، فقال له: ما المانع؛ إنَّما هي خطوات أزيدها؟ قال: إذا فعلت ذلك فكأنك تزعم أنَّ النبي ﷺ خان الرسالة[٢]. كأنك تستدرك على رسول الله ﷺ بعد أن اكتمل الدين، ولم يعد يقبل الزيادة.

ولو فُتِح باب الزيادة في الدين فلن يقف عند حدٍّ، يزيد فيه كلُّ أحد من عند نفسه، ويصبح الدين مجموعة من أهواء الناس، وهذا هو الخطر، وهو ما أفسد الأديان كما قلت لكم، وإذا وجَّهنا الهمم إلى البدع أضعنا مثلها من السنن، وإذا وجَّهنا الهمم إلى الابتداع في الدين أضعنا الابتداع في الدنيا، فيفسد الدين، وتفسد الدنيا معه، ومن هنا يجب الوقوف في وجه هذه البدع، سواء تعلقت بالعقائد، مثلما ذكرنا في بدعة خلق القرآن، ما الداعي إلى أنْ ندعو النَّاس إلى اعتقاد لم يأمر به النبي ﷺ

(١) رواه أحمد (١٦٩٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وجوَّد إسناده الحافظ في الفتح (٢٥٣/١٣)، عن غضيف بن الحارث.

(٢) الاعتصام للشاطبي (١٣١/١).

QaradawiBooks.com

ولا أصحابه؟ هذا نوع من الابتداع أضر بالمسلمين، فكم أضرت محنة خلق القرآن بالمسلمين، وكم عُذِّب فيها من أئمة، وشغلت الدولة بأكملها، والعجيب أنَّ الَّذين قاموا بهذا هم الَّذين يعتبرهم النَّاس أحرار الفكر في الإسلام، يعتبر بعض المؤرخين للفكر الإسلامي ـ أمثال أحمد أمين وغيره ـ أنَّ المعتزلة هم أحرار الفكر، بخلاف الأشاعرة، والحنابلة! مع أنَّ هؤلاء الأحرار هم مَنْ وقفوا ضد حرية الفكر، وتعاملوا مع مخالفيهم بالسوط والسجن، فأين حرية الفكر إذنْ؟ وقد نشأ هذا من الابتداع، ولو نظروا لوجدوا أنَّ هذا الأمر لم يفعله النبي ﷺ ولم يدعُ إليه، ولكن للأسف دخول الفلسفات الأجنبية إلى الفكر الإسلامي هو الَّذي أدَّى إلى هذا الموقف، فالبدع مرفوضة سواء كانت في العقائد، أو في العبادات الَّتي لم يشرعها الله تعالى ورسوله، بأذكار أو صلوات أو نحوها، طالما ليس لها أصل في الشرع.

أمَّا إذا كان لها أصل في الشرع فلا تعتبر بدعة، يقول البعض مثلًا: جمع سيِّدنا عمر النَّاس على صلاة التراويح، وقال: نعم البدعة هذه[1]. وهو يقصد البدعة بالمعنى اللغوي، وليس بالمعنى الشرعي، والواقع أنَّ هذا الأمر له أصل؛ لأنَّ النبي ﷺ صلَّى بالناس ليلة وليلة، ثمَّ تكاثر النَّاس فلم يخرج إليهم، حتَّى قال: «**إنِّي خشيتُ أنْ تُفرض عليكم**»[2]. فإذنْ صلاة التراويح جماعة في رمضان مشروعة، لأنَّها موجودة منذ عهد النبي ﷺ، وقد زالت الخشية الَّتي كان يخشاها النبي ﷺ بموته، وانقطاع الوحي، ولم يعد ممكنًا أنْ تُفرض، فهناك أصل لما قام به سيِّدنا عمر، والبدعة المرفوضة هي الَّتي ليس لها أصل من الشرع.

(١) رواه البخاري في صلاة التراويح (٢٠١٠).

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٢٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦١)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ومن بدع العقائد: بدعة وحدة الوجود، القول بأنه لا ثنائية في الكون، ليس هناك خالق ومخلوق، ولا رب ومربوب، وإنَّما هو وجود واحد، ومن هذه البدع: بدعة الحلول، أنَّ الله يحلُّ في الإنسان، كما يقول أبو يزيد ونحوه: ليس في الجُبَّة غير الله[1]. فبدع العقائد وبدع العبادات مرفوضة.

وكما يتمثل الخطر على الإسلام في الزيادة عليه، يتمثل كذلك في النقص منه، ويتمثل في عمل خلخلة في منازل الأشياء ومراتبها، وإذا كانت الزيادة على الدين في العصور القديمة أكثر، حيث يبالغ النَّاس في التعبد، فالنقص من الدين في العصور الحديثة أكثر، حيث يحاول النَّاس أنْ يخرجوا من الإسلام ما هو منه، بل ما هو من صلبه، ولذلك حينما قام حسن البنَّا بذل جهدًا ضخمًا في تعريف النَّاس بشمول الإسلام، ولكن بعض النَّاس الآن يريدون الإسلام سلامًا بلا جهاد، ودينًا بلا دولة، يريدونها علمانية بحيث يكون الدين علاقة بين الفرد وربه، أو في المسجد فقط دون سائر مناحي الحياة، يريدون زواجًا بلا تعدُّد، وزواجًا بلا طلاق، يريدون إدخال النصرانية على الإسلام، فهذا النقص من الإسلام يجب أنْ يرفض، لأنَّه نوع من الابتداع أيضًا، أنْ ينقص النَّاس ما هو جزء منه، وما هو من صلب تعاليمه، فكما نرفض الزيادة نرفض النقص.

إنَّ هذه البدع تُلوِّث نقاء الدِّين، وتُكدِّر صفاءَه، ولهذا يجب أنْ نحاربَها حتَّى نقضي عليها، كلُّ ما في الأمر أنَّ الإمام الشهيد هنا ـ باعتباره رجل دعوة، وصاحب رسالة، يريد أنْ يُكوِّن أُمَّة، ويبني نهضة كبرى ـ قال: يجب أنْ تحارَب هذه البدع بأفضل الوسائل الَّتي لا تؤدِّي إلى ما هو شر منها. ونحن عندنا في الفقه الإسلامي جواز السكوت عن

(١) مجموع الفتاوى (١٩٩/١٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المنكر إذا أدَّى إنكارُه إلى منكر أكبر منه، ولهذا أصل في القرآن والسُّنَّة، ففي القرآن نجد أنَّ سيِّدنا موسى حين أنكر على أخيه هارون، وقال له: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٢، ٩٣]. حينما فتن السامري بني إسرائيل، وصنع لهم عجلًا فعبدوه في غيبة موسى، فقال هارون لأخيه: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤]. قال: لقد حافظت على وحدة الجماعة، حتَّى تعود ونبحث علاج هذه المشكلة معًا، وحتى لا تقول: لِمَ تصرَّفت في الأمر وحدك، ولَمْ تنتظرني حتَّى أعود؟ فصبر مؤقتًا على هذا الشرك ـ عبادة العجل ـ خوفًا من تمزيق وحدة الجماعة، فهذا يدلُّ على أنَّه يمكن السكوت على منكر إلى حين.

وجاء في السُّنَّة أنَّ النبيَّ ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: «**لولا حداثةُ عهد قومك بالكفر لنقضتُ الكعبة، ولجعلتُها على أساس إبراهيم، فإنَّ قريشًا حين بنت البيت استقصرت**»[(١)]. حين بَنَتْ قريش الكعبة قصُرت بهم النفقة فتركوا جزءًا من الكعبة لم يدخلوه فيها، وكان يريد أنْ يقيمها كاملة على قواعد إبراهيم، لكنهم حديثو عهدٍ بكفر، وسينكرون ما يفعل، رغم أنَّه رسول الله، وأنَّ هذا الكلام كان بعد أن انتصر، لكنَّه سكت عن إعادة بنائها، فإذا كان إنكار البدع سيؤدي إلى ما هو شرٌّ منها نسكت عنها، وننتقل إلى التَّغيير بالقلب، كما في الحديث: «**من رأى منكم منكرًا فليُغَيِّره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٢)]. فيجوز الاكتفاء بالإنكار القلبي للبدعة خشية أنْ تثار فتنة في النَّاس من الإنكار باليد أو باللسان.

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٥٨٤)، ومسلم (١٣٣٣)، كلاهما في الحج، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

هذا هو الأصل الحادي عشر الَّذي يُعنى برفض البدع، ووجوب إنكارها، ولكن مع استحسان الوسيلة، بشرط ألَّا تؤدي الوسيلة في إنكار البدع إلى ما هو شر منها، ومن الوسيلة الحسنة: اختيار الأسلوب الحسن، والتعاون مع مجموعة في ذلك، وهكذا.

أذكر أنِّي كنت أخطب في مسجد ـ وأنا طالب في كلية أصول الدين ـ في مسجد مدينة بمصر اسمها المحلة الكبرى، وكان المسجد جديدًا، ابتدأت الخطابة فيه، وأردت أنْ أقيمه على السُّنَّة من أول الأمر، أردت أنْ يكون الأذان فيه هو الأذان الشرعي، كانوا حينها يقولون بعده: الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله، ويا خاتم رسل الله، يا مليح الوجه يا رسولَ الله، إلى آخره. وكان النَّاس معتادين أنْ يختموا الصلاة بأصوات عالية، والأذان يوم الجمعة أذانان أو ثلاثة، فأعطيت للناس دروسًا أبين لهم فيها السُّنَّة والبدعة، إلى أنْ أقنعت عددًا حولي من الناس، وأقمت المسجد على السُّنَّة فعلًا، ثمَّ جاءني بعض النَّاس من مساجد أخرى ليناقشوني في موضوع الأذان، فأخذت أناقشهم بالحكمة وبالحسنى، فقلت لهم: ما هو الأذان الشرعي؟ قالوا: هو ما يعرفه كلُّ الناس، حتَّى قول المؤذن: الله أكبر، الله أكبر، لا إلٰه إلا الله. قلت: هذا هو المتَّفق عليه، لو أذن به أحد فلن يقول له أحد: أذانك ناقص. لكن الزيادة عليه يختلف النَّاس فيها، بعضهم يقول: هي بدعة. وبعضهم يقول: ليست بدعة. فالمتَّفق عليه إذنْ خير من المختلف فيه. ثمَّ سألتهم: هل كان بهذه الزيادة في عهد النبي ﷺ أو عهد الصحابة أو التابعين؟ قالوا: لا، ولكن زيادة الخير خير. فقلت: هذا القول يعني أنكم أحسن من النبي ومن الصحابة. فلا بدَّ من التلطُّف مع النَّاس في إنكار البدع والمنكرات حتَّى يستجيبوا، ثمَّ إنَّ هناك مَنْ يرتزق من وراء هذه البدع،

QaradawiBooks.com

ومثل هذا سيقاتل طبعًا دون بدعته، هو لن يسمح لك أنْ تقيم حجة أو دليلًا، سيشوش عليك، والأفضل في هذه الحالة أنْ تسكت إلى حين، حتَّى تتهيَّأ لك الفرصة، هذا معنى: الإنكار بأفضل الوسائل الَّتي لا تؤدِّي إلى ما هو شر منها. هذه مهمة الداعية، فهو ليس مجرَّد مفتٍ، بل هو صاحب دعوة أيضًا، وصاحب الدعوة يتخير الوسائل، ويتحيَّن الفرص، ويبحث عن الأوقات المناسبة، وعن أفضل الحلول، وأحسن الطرق، كما قال القرآن: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. أي لو كانت هناك طريقتان للجدال: طريقة حسن، وطريقة أحسن منها. فعليك أنْ تستخدم الطريقة الأحسن، هذا هو الأصل الحادي عشر.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

(الأصل الثاني عشر)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والبدعة الإضافيَّة والتَّرْكيَّة والالتزام في العبادات المطلقة خلافٌ فِقْهي، لكلٍّ فيه رأيُه، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان**»(١).

هذا الأصل هو تكملة للأصل الحادي عشر، والبدعة الإضافية هي الَّتي يكون أصلها مشروع، ولكن الكيفيَّة الَّتي تؤدى بها مُحدَثة، لنفرض مثلًا أنَّه وردت أحاديث في فضل قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، كالحديث الَّذي رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَن قرأ سورةَ الكَهفِ يومَ الجُمُعةِ أضاءَ له من النورِ ما بَينَ الجُمُعتينِ**»(٢). لكن لم يرد أنَّها تُقرأ بطريقةٍ مُعَيَّنة، بعض النَّاس ـ مثلًا ـ يأتون في المسجد بقارئ، ويجلسون حوله يستمعون منه إلى سورة الكهف، هذه الصورة أو الكيفيَّة لقراءة سورة الكهف مُحدَثة مُبتدعة، لذلك تُسمى بدعة إضافية، فالأصل وإنْ كان مشروعًا لكن هذا التفصيل وهذه الصورة مبتدَعة.

والبدعة التركية هي ترك ما واظب عليه ﷺ وأصحابه، اعتقادًا بأنَّ تركه أفضل وأقرب إلى مرضاة الله سبحانه من فعله، والمفروض أنَّ فعل النبي ﷺ سُنَّة، وتركه سُنَّة، كما لو قال أحدهم مثلًا: أنا لن أتزوج تقربًا إلى الله. يكون بذلك مبتدعًا، لأنَّ ترك ما هو مشروع يعتبر نوعًا من الابتداع، بشرط أنْ يتركها تقربًا وعبادة، وتركه الزواج بهذه النية يدخل

---

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٨، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

(٢) رواه الحاكم في التفسير (٣٦٨/٢)، وصحَّح إسناده، تعقبه الذهبي فقال: نعيم ذو مناكير. وحسَّنه المناوي في فيض القدير (١٩٨/٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٠). ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢٠)، وقال عقبه: وهذا هو المحفوظ، موقوف.

QaradawiBooks.com

في معنى الرهبنة، والرهبانية هي عبارة عن ترك المباحات تقربًا، أحل الله لهم الزواج، فقالوا: لا نتزوج. وأحلَّ لهم التمتع بالطيبات، فقالوا: نحرم أنفسنا. وكثير من أنواع الزهد الَّتي يمارسها المتصوفة هي نوع من البدع التركية، تركوا أشياءَ مباحة تقربًا إلى الله، وأحيانًا يقولون بأمور فيها نوع من التنطع، كمن أُعطِي منهم تفاحة فرفض أخذها، فقيل له: لماذا؟ قال: لأنِّي لا أستطيع أنْ أقوم بشكرها. فلما بلغ ذلك الحسن البصري قال: وهل يستطيع الأحمق أنْ يؤدي شكر نعمة الماء البارد[1]؟

فالبدعة التركية إذنْ هي ترك المشروع تعبدًا، وهي نوع من الإحداث والابتداع.

ومن الإحداث والابتداع أيضًا: الالتزام في العبادات، وهو أنْ يلزم أحد النَّاس نفسه بشيء معيَّن لا يتعداه، يصلي عددًا من الصلوات كل يوم، أو في يوم معين، أو في مكان معين، أو يقرأ سورة الإخلاص مائة مرة في الضحى من كل يوم، يلتزم بشيء معين، يحدد مكانه، أو يحدد زمانه، أو يحدد عدده، وعملية التحديد والتخصيص هي من حق الشارع، فكأن المبتدع بالتعيين والتحديد والتخصيص قد أخذ حق الشارع نفسه.

طبعًا هذه الأنواع من البدع: الإضافية، والتركية، والالتزام في العبادات ـ ليست في منزلة البدع الأصلية الأساسية، ولذلك ذكر الإمام الشهيد أنَّ فيها خلافًا، وهو في الواقع يريد أنْ يجتذب هذه الطوائف إلى ساحة الدعوة، لا يريد أنْ يُنفِّرها من أول الأمر، كأنَّه يقول: نرفض البدع الأصلية، أمَّا ما فيه خلاف فيمكن أن نقبله، ونمحص الحقيقة بالدليل والبرهان.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الشكر (٧٢).

QaradawiBooks.com

وإنْ كان الــرأي الَّذي أرجحه شــخصيًّا في الحقيقة: هــو أنَّ الرأي الراجح الَّذي يقوم عليه الدليل والبرهان، ويؤدي إليه التمحيص العلمي هو أنَّ هذه البدع يجــب أنْ تُرد، وخاصة البدع الإضافيــة والتركية، أمَّا مســألة الالتزام فهي قابلة للكلام، أنْ يقول أحدهم: أنا ألتزم كل يوم أنْ أقرأ كذا، أو أسبح كذا. وإنْ كان الأولى أنْ يحاول المرء أنْ يخلخل هذا الاتزام، ولذلك يأخذ البعض على الإخوان التزامهم بالمأثورات بشكل مرتب، صحيح جاءت بها كلها أحاديث عن النبي ﷺ، لكنها لم ترد عنه بهذا الترتيب، بهذه الطريقة الَّتي تقــال بها، فهذا أيضًا نوع من الالتزام، والأوْلــى أنْ يحاول المرء خلخلــة الالتزام بهذا الترتيــب، فيقرأها مرة بالمقلوب، ومرة يقدم فيها ويؤخر، حتَّى لا يُظن أنَّها جاءت بهذه الطريقة أو بهذه الصورة، وأنَّها واجبة، فمــن المهم أنْ يعرف النَّاس الأمور على مراتبها، حتَّى لا يُظــن ما ليس بواجبٍ واجبًــا، ورد أنَّ بعض الصحابة كانوا يتركون بعض السنن خشية أنْ يُظن وجوبها، كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لا يضحيان في بعض أعياد الأضحى مخافة أنْ يرى النَّاس ذلك واجبًا[1]، يتركان الأضحية ـ مع أنَّها سُــنَّة ـ حتَّى لا يظن النَّاس وجوبها، وكذلك ابن عباس أعطــى لأحدهم درهمين ليشــتري بهما لحمًــا، وقال: هذه أضحية ابن عباس[2]. أراد أنْ يخفف على النَّاس حتَّى لا يظنوا الوجوب، وهو ما يحدث فعلًا من بعض الناس، يظنون وجوب بعض السنن حين يرون شــيوع الالتزام بها، فما بالك بالأشــياء الَّتي ليست صورتها في الأصل سنة، ومن هنا ينبغي أن نخفف الالتزام فيها.

---

(١) رواه البيهقي في الضحايا (٩/٢٦٤، ٢٦٥)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٤/٣٥٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨١٤٦)، والبيهقي في الضحايا (٩/٢٦٥).

QaradawiBooks.com

ولذلك نجد الإمام حسن البنَّا حين تحدث عما سمَّاه «ورد الرابطة»، الَّذي يكون الدعاء به ساعة الغروب من كل ليلة، قال: يتلو بالدعاء المأثور: «**اللهمَّ إنَّ هذا إقبال لَيْلِكَ وإدبارُ نهارِكَ، وأصواتُ دعائِكَ فاغفرْ لي**»[1]. ثمَّ يستحضر صورة من يعرف من إخوانه في ذهنه ويستشعر الصلة الروحية بينه وبين من لم يعرفه منهم، ثمَّ يدعو لهم بمثل هذا الدعاء: اللهمَّ إنَّك تعلم أنَّ هذه القلوب قد اجتمعت على محبتك، والتقت على طاعتك، وتوحَّدت على دعوتك، وتعاهدت على نصرة شريعتك، فوثق اللهمَّ رابطتها، وأدم ودها، واهدها سبلها، إلى آخره. ففي الدعاء المأثور قال: يدعو به. وفي الدعاء الَّذي صاغه هو قال: يدعو بمثله. فالمهم أنْ يدعو لنفسه ولإخوانه بترابط القلوب، والخير، والهداية، إلى آخره، فالأفضل في الأمور الَّتي لم يلزمه الشارع بصورتها التفصيلية أنْ يحاول التغيير في صورها في بعض الأحيان حتَّى لا يُظن وجوبها بهذه الصورة المُلتزَمة، ورغم أنَّ هناك خلافًا في هذه الأمور فالأفضل ـ كما يقول الإمام الشهيد ـ أن تمحص الحقيقة بالدليل والبرهان، والمسلم أسير الدليل والبرهان، إذا تبيَّن له الحق اتَّبعه، ولا يتَّبع الهوى، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

* * *

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٥٣٠)، والترمذي في الدعوات (٣٥٨٩)، والحاكم في الصلاة (١٩٩/١)، وصحَّحه ووافقه الذهبي. عن أم سلمة.

QaradawiBooks.com

(الأصل الثالث عشر)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ومَحَبَّة الصالحين، واحترامُهم، والثناء عليهم بما عرف من طِيب أعمالهم؛ قُرْبة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾** [يونس: ٦٣]**، والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعيَّة، مع اعتقاد أنَّهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا في حياتهم أو بعد مماتهم، فضلًا عن أنْ يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم**»[(١)].

في هذا الأصل توضيح لأربع حقائق مُهِمَّة:

الحقيقة الأولى: محبَّة الصالحين، واحترامهم، والثناء عليهم بما عُرِف عنهم من صالح الأعمال، أو عظيم الجهاد، أو ما قدَّموه من علم نافع، أو تربية صالحة، إلى آخره، هذا أمر أساسي، أنَّ هناك أناسًا صالحين، والصالحون هم الَّذين آمنوا وعملوا الصالحات كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩]. فكل مؤمن عمل الصالحات فهو من الصالحين، وينبغي أن نحبه حيًّا وميتًا، فـ«**أوثق عُرَى الإيمان: الحبُّ في الله، والبغضُ في الله**»[(٢)]، وكما نحب الصالحين أحياءً نحبهم أيضًا أمواتًا، ولذلك نحب الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ونحب رسول الله ﷺ، ونحبُّ الصحابة رضوان الله عليهم، ونحبُّ التابعين لهم بإحسان، ونحبُّ كلَّ مَنْ آمن بهذا الدِّين، وعمل به، وعمل

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٨، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

(٢) رواه أحمد (١٨٥٢٤)، وقال مخرِّجوه: حسن بشواهده. والطيالسي (٧٨٣)، وابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٤٧٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٣٠): حسن بمجموع طرقه. عن البراء بن عازب.

QaradawiBooks.com

له، نحبُّ الأئمَّة الَّذين خدموا هذا الدين، ونحب المجاهدين والصلحاء، فمحبَّة هؤلاء قربة لله تبارك وتعالى، فكما نبغض الأشرار والفجار فنحن نحب الصالحين والأخيار، وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟ فكما أننا نبغض لله، نحب لله، ومَنْ أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان كما في حديث أبي داود[1].

هذه الحقيقة مُسَلَّمَة: حب الصالحين، نحبهم، ونحترمهم، ونثني عليهم، ونُقدِّر لهم مواقفهم، ونذكر لهم كل ما قدَّموا من خير للإسلام، سواء كان هذا الخير يتمثَّل في علم، كأهل العلم منهم: الإمام أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم، أو كان يتمثَّل في تربية صالحة، كالصوفية الأوائل: الجنيد، والشبلي، والحارث المحاسبي، وغيرهم من الَّذين قدموا التربية الصالحة، وكانوا متمسكين بالكتاب والسُّنَّة، أو كان هذا الخير يتمثَّل في جهاد لخدمة هذا الدين ونصرته طوال العصور، طارق بن زياد، ومحمد بن القاسم بن محمد، ونور الدين محمود الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي، وغيرهم، والذين جمعوا بين هذا وذاك من ألوان الخير، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية الَّذي جمع بين العلم والتربية والجهاد، فهؤلاء قطعًا نحبهم، ونحترمهم، ونثني عليهم، فهذا جزء من ديننا، وهو يتعلق بمسألة الولاء والبراء، نبرأ من أهل الكفر، ونوالي أهل الإيمان، هذه هي الحقيقة الأولى: محبة الصالحين.

الحقيقة الثانية: مَنْ هم الأولياء؟ بعضهم يعبر أحيانًا عن الصالحين بالأولياء، وقد شاعت مسألة الأولياء في عصور الانحطاط والتخلف عند المسلمين، وأصبحت عالَمًا خاصًّا، له مفاهيمه، وله حدوده، وله رجاله،

(١) سبق تخريجه صـ ١٤٧.

QaradawiBooks.com

ويقوم على الخوارق، فالسنن الكونية لينة في هذا العالم، يستطيعوا أنْ يخرقوا القوانين، ويتجاوزوا السنن، فالنار عندهم لا تحرق، والسكين عندهم لا تذبح.

الحقيقة أنَّ عالم الولاية بهذا المعنى لم يكن معروفًا عند الصحابة، ولا التابعين، ولا تابعي التابعين، ولا القرون الأولى، أنَّ هناك شخصًا اسمه الولي، تُخْرَق له العادات، يستطيع أنْ يفعل بيده ما يشاء، كأنَّ الكون عجينة ليِّنة يشكلها كما يريد، وكما ذكروا هم في حديث قدسي: «عبدي أطعني أجعلك عبدًا ربَّانيًّا، تقول للشيء: كن. فيكون»[1]. أنْ يكون هناك وليٌّ يستطيع أنْ يفعل ما يشاء في حياته، وبعد مماته أيضًا، ويتوجَّه إليه النَّاس بما يريدون، وعلامة الوليّ عندهم أنْ تكون له عمامة خضراء، ويمسك بسبحة معينة، ويحكي النَّاس عن خوارقه، وبعد أنْ يموت يُقام له ضريح يُزار، هذا العالم لم يكن معروفًا في القرون الأُولى.

لهذا أراد لنا الإمام الشهيد أنْ يحدِّد: مَنْ هم الأولياء الصالحون الَّذين يجب أنْ نحبهم، ونحترمهم، ونثني عليهم، ونذكر لهم صالح أعمالهم؟ هذا أمر فصَل فيه القرآن، حسمته الآيات في سورة يونس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤]. مَنْ هم الأولياء؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾. هم أهل الإيمان والتقوى، هؤلاء ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، في الآخرة، لأنَّ الآخرة لا خوف فيها ولا حزن، إنَّها دار أمن مطلق ليس فيها خوف قط، ودار سرور مطلق ليس فيها حزن قط، وأيضًا في الدنيا، لأنَّ الإيمان يسد

(١) لم أقف عليه في كتب السُّنَّة المعتمدة، إنَّما ذكر هكذا بدون إسناد.

QaradawiBooks.com

منافذ الخوف في قلوب أصحابه فلا يخافون إلا الله، وكذلك لا يضغط عليهم الحزن على ما فات، كما قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]. وكما جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ استعاذ من الهم والحزن[1].

وهذا أشبه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]. أهل الاستقامة هؤلاء في سورة الأحقاف هم أنفسهم أهل الولاية في سورة فصلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]. فالأولياء هم أهل الإيمان والتقوى والاستقامة، وهم الَّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

هؤلاء الأولياء ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، والبشرى في الحياة الدنيا هي بشرى بالنصر والتمكين، وما وعد الله به الصالحين من عباده، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، والبشرى في الحياة الآخرة هي بشرى بالجنة، كلٌّ حسب درجته، فالولي إذنْ هو المؤمن المتقي، فكل مَنْ آمن بالله واتقاه فهو ولي.

وليس الولي شخصًا معصومًا من الذنوب مثلًا، وليس شخصًا صاحب خوارق، وإن كانوا هم يعتقدون أنَّ الوليَّ هو الشخص صاحب الخوارق، فإذا قامت على يديه الخوارق فهو الولي، ويمكن أنْ يتنبأ

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٦٩)، عن أنس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بالغيب، وتخرق له العوائد، هذا هو الولي عندهم، وهذا المعنى للولي ليس شرعيًّا، فالولي هو المؤمن المتقي، بل بعض العلماء يرى أنَّ الولي البعيد عن الخوارق والكرامات أفضل ممَّن تقع له هذه الأمور، بدليل أنَّ الصحابة قلَّما كانت تحدث لهم هذه الأشياء عمَّن يسمونهم الأولياء، كل ما نعرفه أنَّ سيِّدنا عمر كُشِف له المسلمون وهم يحاربون في موقعة من المواقع، وانكشف ظهرهم، وكان اسم قائدهم سارية، فقال وهو يخطب على المنبر: يا ساريةُ؛ الجبلَ، الجبلَ[1]. فتعجب الصحابة من هذه الجملة المعترضة، وسمع سارية نداء عمر، حصل إرسال واستقبال، لكن هذه الحوادث نادرة، ويوقعها الله تعالى لحاجة المسلمين إليها، أمَّا أنْ يَدَّعي أحدهم ـ أو يُدَّعى له ـ أنَّه يتصرَّف في الكون فهو كلام مرفوض، وليس هذا إنكارًا للكرامة.

الحقيقة الثالثة: بعد أن بيَّن الإمام الشهيد وجوب محبَّة الصالحين، وحدَّد: مَنْ هم الأولياء شرعًا؟ ذكر أنَّ الكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعيَّة، والكرامة هي أمر خارق للعادة يُظهره الله على يد عبد ظاهر الصلاح، يفرِّج على يده كربة، أو يكشف غمة، ونحو ذلك كرامةً له، أنكرها المعتزلة، ولكن أثبتها أهل السُّنَّة، قالوا: لا مانع عقلًا أنْ يخرق الله بعض العادات لبعض الصالحين.

وذكروا أنَّ القرآن يدل على ذلك، مثل أهل الكهف، ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف: ٢٥]، وبقوا في كهفهم بلا أكل ولا شرب، فهذا أمر غير معتاد، هو نوع من الكرامة.

---

(١) رواه البيهقي في الاعتقاد صـ٣١٤، ٣١٥، وجوَّد ابن كثير سنده في البداية والنهاية (١٧٥/١٠)، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

وما قيل إنَّ مريم عليها السلام كانت تأتيها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، ولمَّا سألها زكريا عليه السلام: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]. فالقرآن وإن لم ينص على شيء من هذا، ولكن السؤال يدلُّ على أنَّ الأمر غير معتاد.

واعتُبِر أنَّ ما حدث للخضر عليه السلام في قصَّته مع موسى عليه السلام يمثِّل نوعًا من الكرامة، وإن كان الأرجح أنْ يكون الخضر نبيًّا لا وليًّا، لأنَّه يقول في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]. وهذا يعني أنَّه من أمر الله، أنَّه من وحي الله، فالأرجح أنْ يكون نبيًّا.

أيًّا ما كان الأمر فظهور الخوارق من الله سبحانه وتعالى لبعض عباده أمر ثبت في وقائع كثيرة، ولذلك كان أهل السُّنَّة يذكرونه في الرسائل والمنظومات الَّتي كان يكتبونها في العقائد، مثل منظومة «الجوهرة» للقاني، وكنا ندرسها في الأزهر، جاء فيها:

وأثبتن للأوليا الكرامة ومَنْ نفاها فانبذن كلامه[1]

يقصد المعتزلة الَّذين نفوا الكرامات.

نحن إذنْ نثبت الكرامة للأولياء، ولكن بشرائطها الشرعيَّة، أي نثبتها لمؤمن مستقيم ظاهر الصلاح، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾، أمَّا لو ظهرت على يد فاجر، أو إنسان مُفرِّط في حدود الله، أو متلاعب بدين الله، فهذه ليست كرامة، ولذلك قال بعض الصوفية: إذا رأيت الرجل يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، ولكنَّه لا يتبع رسول الله ﷺ فاعلم أنَّه ساحر أو شيطان. إذا لم يكن واقفًا عند حدود الله، لا تثبت له الكرامة،

(١) انظر: شرح الصاوي على الجوهرة صـ٣٤٤ ـ ٣٤٦، تحقيق عبد الفتاح البزم، نشر دار ابن كثير، دمشق.

QaradawiBooks.com

مهما خُرِقت له العوائد، تجد أحدهم لا يصلي، يقول: سقط عني التكليف، لأنَّ اليقين قد أتاني، والله يقول: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]! مع أنَّ اليقين في هذه الآية يعني الموت، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾ [المدثر: ٤٦، ٤٧]، أي أتانا الموت، وقيل لأحدهم: ألا تحج؟ فقال: هناك أناس يحجون إلى الكعبة، وأناس تحج إليهم الكعبة! وإذا أنكرت على أحد ارتكابه المعاصي والموبقات يقولون: إنَّما تنكر على النَّاس لأنَّك تنظر إليهم بعين الشريعة، لكن إذا نظرت إليهم بعين الحقيقة تجد أنَّ معصيتهم طاعة! وللشعراني كتاب اسمه «الطبقات الكبرى»، يقول فيه كلامًا ساقطًا، يقول عن واحد يأتي حمارًا في الشارع: إنَّه يفعل ذلك ليسقط منزلته عند الناس! وهذا كلام فارغ، ولهم أشياء غريبة.

وقد ذكرت لكم أنَّه كان لي صديق عنده نزعة صوفية، وكان يحكي لي عن شيخه، وكان مُتيَّمًا به، وعرفت أثناء الكلام أنَّ شيخه يتناول الحشيش. قلت له: كيف يفعل هذا؟ أليس الحشيش حرامًا؟ قال: نعم. قلت: كيف تعتبره صالحًا ووليًّا؟ قال: لعلَّه يا أخي يستعين به على قيام الليل. قلت: يستعين بحرام على أداء نفل؟ ليته ما قام الليل، يكفيه أنْ يصلي الفرض. ولذلك لا تثبت الكرامة إلَّا لأهل التقوى والإيمان، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

على أنَّ هناك خوارق معينة لا تتكرر، قال عنها العلماء: إنَّها خاصة بالأنبياء. مثل قلب العصا حيَّة، أو شق البحر بالعصا، أو إحياء الموتى، هذه المعجزات الكبار لا تتكرَّر، فإذا ادَّعى ذلك أحد من غير الأنبياء لا نصدِّقه، أمَّا أنْ يضع أحدهم يده على مريض، ويدعو الله أنْ يشفيه فيشفى، فمثل هذا النوع من الكرامات يمكن أنْ يُقبل.

QaradawiBooks.com

وأمر آخر: هل نحن مُطالَبون كلما ذُكِرت كرامة لأحدهم أن نصدقها؟ وإذا لم نصدقها يكون إيماننا مدخولًا أو منقوصًا؟ بالطبع لا، فإثبات الكرامة شيء، أمَّا أنَّها حدثت لفلان بعينه فهو شيء آخر، وكثير من دعاوى الكرامة لا تقوم عليها حجة، ولم تثبت بسند صحيح، وعادة النَّاس أنْ ينقلوا هذه الأشياء دون تحقق أو تمحيص، حتَّى الَّذي وُجِد منها في الكتب، لأنَّهم كانوا إذا نقلوا الأمور الَّتي تتعلق بالحلال والحرام تثبتوا ومحَّصوا وشدَّدوا في الأسانيد، أمَّا هذه الأمور فاعتبروها حكايات، والنتيجة أنَّ هذه الحكايات أفسدت عقول الكثيرين، كما فعلوا في التاريخ، وقبلوه على علته، وكانت النتيجة أنْ شُوِّه تاريخ الصحابة، وتاريخ الأُمَّة في قرونها الأولى، فكثير من هذه الحكايات تُنقل، وكثير منها عليه آثار الصنعة، ويخالف المعقول، وجمعها في سياق واحد يفيد بأن هذا الكون لا سنن له ولا قوانين، يقولون: اتُّهم أحدهم مرة بسرقة لؤلؤة، فقال لهم: تتهموني بسرقة لؤلؤة؟ سأريكم. وكانوا في مركب، فقال: يا حيتان البحر؛ أقسمت على كل واحد منكم أنْ يأتي وفي فمه لؤلؤة. فجاءت إليه الحيتان من كل صوب وألقى كل منها لؤلؤة! وما حكاه الإمام الغزالي: أنَّ أحدهم ذهب يزور رجلًا ليتعلم منه، فوجده لا يحسن الوضوء، فرجع عنه، وكان في القرب منه أسد فاعترضه، فرجع إلى الرجل ليتصرف مع الأسد، فقال الرجل للأسد: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني؟ فانزوى الأسد عن الطريق، فقال الرجل لضيفه: اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الأسد[1]. ومن هذه الحكايات كثير، ذكرها القشيري في «الرسالة»، والشعراني في «الطبقات الكبرى»، وما يحكيه الناس، وما لهؤلاء

(١) إحياء علوم الدين (٢٥/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا يجدون لنا حلًّا مع إسرائيل، وأسلحتها المتطورة؟ لم نجد في الحقيقة مثل هذه الحكايات في عصر الصحابة والتابعين، وإنَّما جاءت بعد ذلك في العصور الَّتي بعدهم.

أيضًا هذه الخوارق لا تدلُّ علـــى أنَّ مَنْ ظهرت على يديه وليٌّ لله تعالى، لماذا؟ لأنَّها يمكـــن أنْ تقع من البر والفاجـــر، ومن المؤمن والكافر، نتيجة القيام برياضة روحيَّة معيَّنة، فتجد بعض النَّاس ينظرون إليك ويقولون: أنت فعلت كذا، أو ســـيحصل لك كذا. عندهم قدرة على قراءة الأفكار، أو الاستشفاف، أو التلباثي، أو التخاطب عن بُعد، وأحيانًا يتحملون أشـــياء غريبة جدًّا، حتَّى ذكر الشيخ رشيد رضا أنَّ أحد صوفية الهنـــود دفنوه أربعين يومًا، ثـــمَّ أخرجوه حيًّا، هل هؤلاء الَّذين يعبدون البقر أولياء أيضًا؟ هـــل نعتبر الوثنيين الَّذين تقع منهم الخوارق أوليـــاء؟ هذا يمكن أنْ يحدث من صوفيـــة كل دين، أو من أصحاب الرياضات، تقع منهم أشياء غريبة، فاتخاذ هذا دليلًا على أنَّ مَنْ وقعت منه وليٌّ لله، وأنَّه يُصدَّق في كل ما يقوله ـ ليس صحيحًا، ويحكون في هذه الأيام عن بعض الفلبينيين الَّذين يقومون بعمليات جراحية بدون مشرط، ولا مخدر، يضع أحدهم يده على بطن المريض ويخرج منها شـــيئًا دون أنْ يفتحها، ولا أدري هل هذا خداع بصر، أو خفة يد، أو سحر، ولو فُرِض وقوع هذا من هذا الشخص وهو نصراني كاثوليكي، يقوم بتـــلاوة صلوات عند القيام بهـــذه العمليات، ويضع الصليب وراءه، هل يـــدلُّ على أنَّه ولـــي لله، وأنَّه مـــن أهل الإيمان والتقـــوى، وأنَّ دينـــه صحيح؟ قطعًـــا لا، فينبغي أن نعـــرف أن هذه الخوارق قد تظهر على يد كافر أو فاجر، فهذه قضيَّة يجب تأكيدها في مسألة الكرامة.

QaradawiBooks.com

الحقيقة الرابعة: أنَّ هؤلاء الأولياء ـ وإن ثبتت لهم الكرامة ـ لا يملكون لأنفسهم، ولا لغيرهم نفعًا أو ضرًّا، فمهما علا كعبهم في العبادة والتقوى فَهُم بشر، تحكمهم الطبيعة البشريَّة، القصور الذاتي للطبيعة البشريَّة، محدوديَّة العلم والقدرة والإرادة، ولذلك لا يملكون لأنفسهم في حياتهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا حياة ولا موتًا ولا نشورًا، فكيف يملكون شيئًا من ذلك لغيرهم بعد مماتهم، إنَّما يحكمهم العجز البشري، لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله تبارك وتعالى، وليسوا من أهل الوحي حتَّى يُوحى إليهم، كيف وقد قال الله لرسوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]؟ ولذلك حفر المشركون الحفر في غزوة أحد ووقع فيها الرسول ﷺ، وكُسِرت ثنيته؛ لم يكن يعلم الغيب.

والأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم به الله، حينما جاء إخوة يوسف عليه السلام إلى أبيهم يعقوب عليه السلام، قالوا له: ﴿إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۞ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ [يوسف: ١٧، ١٨]. كان تصوره حينذاك صحيحًا، وكلامه سليمًا، أن أنفسهم سوَّلت لهم أمرًا، وفي المرة الثانية حينما دَبَّر يوسف حيلة لأخذ أخيه، جاؤوا أيضًا إلى أبيهم وقالوا: ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ۞ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۞ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ [يوسف: ٨١ ـ ٨٣]. قال نفس الكلام، فهل كان تصوره في هذه المرة سليمًا؟ لا؛ فما سولت لهم أنفسهم أمرًا، وما أرادوا به شرًّا هذه المرة، فهو لا يعلم الغيب، فإذا كان الأنبياء لا يعلمون الغيب فكيف بالأولياء؟ كيف يعلم الغيب هؤلاء الَّذين يدعون

QaradawiBooks.com

أنَّ الكون ملك لهم؟ يوجد في عالم الأولياء المزعوم جماعة يسمونهم الأقطاب الأربعة، وهم: السيد البدوي، وأحمد الرفاعي، وعبد القادر الجيلاني، وإبراهيم الدسوقي. لكل واحد منهم ربع الدنيا، يتصرف فيه، ولا يجوز له أنْ يعتدي على ربع غيره، ولا أعلم من أين جاؤوا بهذا الكلام؟ هذا الكلام لا أصل له، وتعرفون أنِّي من قرية قريبة من طنطا، حيث مقام أحمد البدوي، وكنت أسمعهم في صغري يقولون: اختار الله من الأنبياء أحمد، ومن الأولياء أحمد. وللأسف هذا الكلام رائج عند العوام، وله سدنة يقومون عليه، ويتعيشون منه، ويقيمون الموالد والحفلات، ويأخذون من النَّاس أشياء أشبه بالإتاوات، ويروجون للخوارق والأكاذيب، وكل هذا طبعًا لا أصل له في دين الله، فلا يملك الأولياء لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، لا في حياتهم ولا بعد مماتهم، فكيف يملكون ذلك لغيرهم؟

هذه هي الحقائق الأربعة الَّتي يُشير إليها هذا الأصل الثالث عشر: وجوب محبة الأولياء والصالحين، وأن الأولياء هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾. فهم أهل الإيمان والتقوى، وأن الكرامة ثابتة لهؤلاء الأولياء الصَّالحين بالشرائط الشرعيَّة، والكرامة هي الخوارق المعقولة، وليست المعجزات الكبار فهي لا تثبت إلا للأنبياء، وإن كنا لسنا مكلفين بإثبات أي كرامة إلا إذا صحَّت دينًا، أو تواتر بها الخبر تواترًا يقينيًّا.

وأخيرًا: إن هؤلاء الأولياء لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، سواء في حياتهم أو بعد مماتهم، هذه هي الحقائق الأربعة لهذا الأصل.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(الأصل الرابع عشر)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وزيارة القبور أيًّا كانت سنَّةٌ مشروعة بالكيفيَّة المأثورة، ولكنَّ الاستعانةَ بالمقبورين أيًّا كانوا ونداءَهم لذلك، وطلبَ قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذرَ لهم، وتشييدَ القبور وسترها وإضاءتَها والتمسُّحَ بها، والحلفَ بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات ـ كبائر تجب محاربتها، ولا نتأوَّل لهذه الأعمال سدًّا للذريعة**»[1].

هذا الأصل يكمل الأصل السابق، ويتعلق بمسألة الأولياء والصَّالحين، فكما قلت لكم: من علامات الولاية عند النَّاس أنْ يُقام ضريح للشخص الَّذي يعتبرونه وليًّا، وهذا أمر لم يكن معروفًا من قبل، فقد مات الصحابة رضوان الله عليهم، ولم نرَ أحدًا أُقِيم له ضريح، أو شُيِّد له قبر، بالعكس لا تكاد تُعرف مقابر الصحابة رضوان الله عليهم، كبار الصحابة، وكبار المجاهدين، وكبار القادة، وكل المقابر المحددة الآن ظنية، لأنَّهم لم يكونوا حريصين على هذا، كان القائد أو الجندي منهم يموت ويدفن في حفرة من الأرض وانتهى الأمر، لم يعملوا مقامًا لزيد بن حارثة، أو جعفر بن أبي طالب، أو عبد الله بن رواحة الَّذين قتلوا في مؤتة، فهذه الأشياء مُحدثة.

على كل حال يقول الإمام الشهيد: زيارة القبور سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكنَّ الاستعانةَ بالمقبورين ـ إلى آخر ما ذكر ـ كبائر تجب محاربتها. فزيارة القبور سنة مشروعة، كان النبي ﷺ قد نهى عنها من

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٨، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

QaradawiBooks.com

قبل، ثمَّ أمر بزيارتها، قال: «**نهيتُكم عن زيارة القبور فزُوروها**»[١]. وإن كان هناك كلام في زيارة النساء للقبور، هل تجوز أم لا؟ لأنَّه ورد حديث: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمُتَّخِذين عليها المساجد والسُّرُج[٢]. ولكن في هذا الحديث كلام في ثبوته وصحَّته، هناك مَنْ ضعَّفه، ومَنْ حاول أنْ يحسِّنه، ومن هنا تبقى الزيارة مشروعة عند الكثيرين للرجال والنساء.

والأصل في الزيارة انتفاع الزائر قبل انتفاع المزور، إذ المقصود منها العظة والعبرة، وهما يتعلَّقان بالزائر، ولذلك قال: «**فإنَّها تُذَكِّرُكم بالآخرة**». فالمقصود من زيارة القبور أنْ يعرف الإنسان مصيره، وأنَّه لا بدَّ أنْ ينتقل يومًا ما من فراشه، ومن بيته، ومن قصره إلى هذه الحفرة، فالقصد تذكير الإنسان بالموت، وما بعد الموت، فالأصل من الزيارة أنْ ينتفع بها الزائر أساسًا، وإنَّما ينتفع المزور بالسلام والدعاء، ولذلك من السُّنَّة عند زيارة القبور أنْ تقول: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنَّا إنْ شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية**»[٣]. على اختلاف ألفاظ الروايات الواردة في هذا، فالمقصود الزائر، لأنَّ الدعاء يمكن أنْ يصل للمزور من أي مكان، يمكن أنْ تدعو له وأنت في بيتك فيصله الدعاء وينتفع به، هذا بالنسبة للزيارة الشرعيَّة.

---

(١) رواه مسلم في الجنائز (٩٧٧)، وأحمد (٢٢٩٥٨)، عن بريدة.

(٢) رواه أحمد (٢٩٨٤)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره، دون ذكر السرج. وأبو داود في الجنائز (٣٢٣٦)، والترمذي في الصلاة (٣٢٠)، وحسَّنه، والنسائي (٢٠٤٣)، وابن حبان (٣١٨٠)، كلاهما في الجنائز، وصحَّح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تخريج المسند (٢٦٠٣)، عن ابن عباس.

(٣) رواه مسلم في الجنائز (٩٧٥)، عن بريدة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أمَّا الزيارة البدعيَّة فهي ما يفعله الكثيرون ممن ينتسبون إلى الطرق الصوفيـــة، أو غيرهم ممن دخلت عليهم البدع، وأفســـدت الشـــركيَّات عقائدهم، وهم الَّذين أصبحوا يسمون «القبوريين»، لأنَّ القبور أصبحت بالنســـبة لهم كأنها معابد، فابتدعوا فيهـــا بدعًا كثيرة، مـــن هذه البدع: تشـــييدها، وتعليتها، وتزيينها، والتباهي بها، والكتابة عليها: أن هذا قبر فلان الباشا، وهذا قبر فلان البيه. ولم تكن تُشيد القبور من قبل، بل كان القبر الشـــرعي حفرة في الأرض، وإن ارتفع عنها فبمقدار شـــبر لا يزيد عنه، أمَّا أن تُشيد القبور وتُزيَّن حتَّى أصبح النَّاس يتباهون بها، وأصبحت هناك طبقية في تشييد القبور، فقبر الفقير غير قبر الغني غير قبر متوسط الغنى، قبر البيه غير قبر الباشا، ولعلكم تعرفون أن في مصر مقابر قديمة أصبحت بيوتًا لكثير من الأســـر الفقيرة حينما ألمَّت بهم أزمة السكن، لأنَّ هذه القبور كان مبنية بناء فخمًا جدًّا، أحسن من كثير من الشقق.

ومن بدع القبور كذلك: إضاءتها، وهذا يظهر خاصة في مقابر الأولياء أو الصالحين أو آل البيت، وإيجاد الفـــرش، والمقاصير، والعطور الَّتي تُصبُّ هنا وهناك، هذه الأمور كلها ما أنزل الله بها من سلطان، وكان من نتيجة ذلك أن من يذهب لزيارة القبور لا يتذكَّر الموت، ولا يشـــعر به، تدخل النساء مثلًا مقبرة الحســـين أو السيدة فيطلقن الزغاريد كأنهن في عرس، فأين ذلك من تذكر الموت؟ ليس هناك شيء يذكر برهبة الموت، ووحشة الموت، أصبحت هذه المقابر فتنة.

ومن بدع القبور: الطواف بها، أصبح النَّاس يطوفون بها كما يطوفون بالكعبة، فلا يجوز الطواف بالقبور، ولا التمســـح بمقصوراتها، قلت في مرة لأحدهم وأنا طالب: لماذا تتمسح بهذه المقصورة؟ قال: لأنَّها بركة. قلت: أيُّ بركة وقد صنعها أحد الخواجات؟

QaradawiBooks.com

ومن بدع القبور: النذر لأصحابها، مع أنَّ المفروض أنْ يكون النذر لله، ويكون في عبادة، لكن هؤلاء ينذرون إضاءة القبور بالشموع وقت أن كانت تضاء بها، وصاروا الآن يقيمون صناديق خاصة بالنذور لتلك القبور، كما أنَّهم يذبحون لهؤلاء الأولياء نذرًا لهم.

ومن العجائب مما زلت أذكره وأنا طالب بمعهد طنطا الثانوي كنا ندرس كتاب الأضحية في الفقه الحنفي، واصطدمت بشيخنا الَّذي كان يدرسني، وهو من علماء المذهب الحنفي المتضلعين، ولكنَّه كان من عشَّاق السيد البدوي، قلت له: يأتي النَّاس بآلاف الخراف والكباش من القرى والريف ويذبحونها نذرًا للسيد البدوي، بينما في أيام الأضحية لا تكاد تجد مَنْ يذبح فيها إلا القليل جدًّا، يذبحون في قريتنا في هذا المولد حوالي مائتي خروف، وفي أيام الأضحية لا تجد إلا واحدًا أو اثنين يذبحون، وينبغي على العلماء أنْ يبينوا للناس أنَّ هذه النذور لغير الله، والأوْلَى أنْ تذبح في إحياء سُنَّة الأضحية، خاصة أنَّ مذهب أبي حنيفة يقول: إنَّ الأضحية واجبة على أهل اليسار، وطالما أنَّهم يذبحون للأولياء فهم من أهل اليسار. فكانت النتيجة أنَّه طردني من الفصل لأني في نظره تطاولت على مقام الأولياء، فهذه النذور الَّتي تقام للأولياء من الكبائر فعلًا.

ومن أخطر بدع القبور طلب قضاء الحاجات من أصحابها، وبعضهم يكتب لهم رسالة بحاجته ويضعها بجواره، وبعضهم كتب لمقام الإمام الشافعي تلغراف حين كانت زوجته متعسرة في الولادة، وهذا حرام، وللأسف روَّج لهذا بعض المنتسبين للعلم الديني، فالبعض يفعل ذلك تكسبًا وارتزاقًا، والبعض يفعله اعتقادًا واقتناعًا، يعتبره تدينًا، وهذه هي مشكلة البدع، أن أصحابها يفعلونها تديُّنًا وتقرُّبًا إلى الله، فالفرق بين البدعة والمعصية: أنَّ صاحب المعصية يعرف أنَّه عاصٍ لله فيطلب التوبة،

QaradawiBooks.com

أمَّا صاحب البدعة لا يطلب التوبة منها لأنَّه يعتقد أنَّه يتقرب بها إلى الله، فكيف يتوب؟

ومن هنا كان الخطر في هذه البدع أنَّها كبائر، وربما تنتهي بالإنسان إلى الشرك الأكبر، بل هناك مَنْ يقول: إنَّها الشرك بعينه. وهنا نجد الإمام الشهيد لم يرد أنْ يصرح بأنها شرك، لأنَّه يريد أنْ يتألف هؤلاء النَّاس ويُجمِّع، حتَّى إذا دنوا من الجماعة صحَّحوا عقائدَهم، بالإضافة إلى أن تكفير مَنْ قال: لا إلٰه إلا الله. مشكلة سنأتي إليها في الأصل العشرين، أنَّ هؤلاء في الأصل مسلمون يشهدون أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجون البيت، ويؤمنون أنَّ القرآن من عند الله، ويؤمنون بالآخرة، ويتعصبون للإسلام، وكذا، ولكنهم للأسف يقولون: هؤلاء أولياء الله، وهم أقرب إلى الله منا، وقاسوا الخالق على المخلوق، فكما أنَّ الملوك والأمراء والرؤساء لا يُستطاع أنْ يوصل إليهم إلا بوسائط معينة، فهم قالوا: إننا لا نستطيع أن نصل إلى الله بأنفسنا، لأنَّنا أهل معاصٍ، وهم أهل الطاعة، فهم أحق من يصلون بنا إلى الله. وكانت النتيجة أنَّهم يدعونهم، ويتوسلون بهم لقضاء الحاجات، وهذا القياس في الحقيقة هو الخطأ الأكبر، لأنَّ الله تعالى لا يقاس على خلقه، فهناك حُجُب بين الخلق بعضهم البعض، بينهم وبين الملك أو الرئيس أو الأمير، أمَّا الله تعالى فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال النبي ﷺ: «**إنَّكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنَّكم تدعون سميعًا قريبًا**»(١).

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٠٥)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٤)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

وفي رواية: «**إنَّ الَّذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»[١]. فهذا القرب لا يحتاج المرء معه إلى واسطة.

إنَّ التوحيد الحقيقي أنْ تتصل بالله مباشرة، تُفرد الله ﷻ بالعبادة والاستعانة، وأهم شيء في العبادة هو الدعاء، فإذا دعوت غير الله فإنك تفعل ما كان يصنعه المشركون قديمًا، كان يدعون آلهتهم عند الشدائد، والدعاء فعلًا هو روح العبادة، أو مخ العبادة، أو كما جاء في الحديث الَّذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما: «**الدعاء هو العبادة**»[٢]. ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فوضع القرآن كلمة العبادة موضع كلمة الدعاء دلالة على أنَّ الدعاء هو العبادة، فلا يجوز أنْ يُدعى غير الله، لأنَّ ذلك هو روح الشرك، وإن كان المشركون يعتقدون أنَّ هذه الأصنام لم تخلق السموات والأرض، ولم ترزق، ولم تدبر الأمر، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فهم لم يكونوا ينكرون توحيد الربوبية، إنَّما كانوا ينكرون توحيد الإلٰهية، أي إفراد الله تعالى بالعبادة والاستعانة، فلا نعبد إلا الله، ولا نستعين إلا الله، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. أي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة فلا نستعين سواك،

(١) رواه أحمد (١٩٥٩٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه أحمد (١٨٣٥٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الوتر (١٤٨١)، والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٦٩)، وقال: صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٢٩). عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

هذا هو التوحيد، فالاستعانة بالمقبورين، وطلب الحاجات منهم هو روح الشرك، ولذلك قال المشركون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. وسائط لهم عند الله، ولم يشفع هذا لهم.

ومن هنا كان لا بدَّ أنْ تقاوَم هذه البدع الَّتي شاعت في بعض العصور، طلب الحاجات من الموتى الَّذين يزعمون أنَّهم أولياء، حتَّى كان من المأثور عند أهل الطرق قولهم: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور. حين تضيق بكم الأمور الجؤوا إلى أهل القبور، وهذا مرفوض.

ثم إنَّك لا تعرف: إن كان صاحب القبر الَّذي تزعم أنَّه ولي من أهل الجنة أو من أهل النار؟ ما لم يكن عندك نص شرعي، مثلما ورد في العشرة المبشرين بالجنَّة، ومثل الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة، فلا تدري إن كان غيرهم مات على التوحيد أو مات على الشِّرك؟ ليس عندنا يقين في هذا.

وعثمان بن مظعون رضي الله عنه، كان من السابقين الأوَّلين، وأوذي في سبيل الله، وهو صاحب القصة المعروفة حينما ردَّ جوار الوليد بن المغيرة، وقال: والله إن غدوي ورواحي آمنًا في جوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني ـ لنقص كثير في نفسي. ورد جوار الوليد، وقال: أنا أرضى بجوار الله عزَّ وجلَّ، ولا أريد أنْ أستجير بغيره. وبعدها بقليل دخل معركة وأصيبت عينه، فقال له الوليد: والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية، ولقد كنت في ذمة منيعة. قال: بل والله إن عيني الصحيحة

QaradawiBooks.com

لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإنِّي لفي جوار من هو أعزُّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس[١].

حينما مات عثمان قالت أم العلاء الأنصارية: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال لها النبيُّ ﷺ: «**وما يدريك أنَّ الله أكرمه؟**» فقالت: بأبي أنت يا رسولَ الله، فمَنْ يكرمه الله؟ فقال: «**أمَّا هو، فقد جاءه اليقين، واللهِ إنِّي لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعلُ بي؟**». قالت: فوالله لا أزكِّي أحدًا بعده أبدًا[٢]. قال العلماء: إنَّ رسول الله قال ذلك قبل أنْ ينزل عليه قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]. فهو أنكر عليها هذه الصيغة من التأكيد، لأنَّها قالت: شهادتي عليك لقد أكرمك الله. فكيف يأتي بعد ذلك مَنْ يؤكد أنَّ فلانًا من أهل الجنَّة؟ ومن هنا وجب إغلاق باب الاستعانة بغير الله كليًّا، إنَّما يستعان بالله وحده.

ويقول الإمام الشهيد: ولا نتأوَّل لهذه الأعمال سدًّا للذريعة. لأنَّ بعض المدافعين عن التصوف، وعن عالم الأولياء لا يزالون إلى اليوم يدافعون عن هذه الأشياء، والمسلم يعتقد أنَّ الله تعالى هو النافع الضار، وهو الخافض الرافع، فالمسلم ليس كالمشركين الَّذين يعتقدون أنَّ الأصنام لها قوة ذاتية تؤثر على الله، بل يعتقد المسلم أن هؤلاء الأولياء هم من عباد الله، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، سواء في حياتهم أو بعد مماتهم، ومهما أحبهم المسلم لا يتأول لهم تأوُّلًا

(١) السيرة النبويَّة لابن هشام (٣٧٠/١).
(٢) رواه البخاري في الشهادات (٢٦٨٧)، وأحمد (٢٧٤٥٧)، عن أم العلاء.

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

يخرجهم عن طبيعتهم البشريَّة، وينزلهم منزلة الشركاء مع الله، أو الوسائط إليه، فمحاولة تفسير هذه البدع تفسيرًا يخفِّف من غلوائها أمر مرفوض، لأنَّ ظاهرها مشابه لعمل المشركين فينبغي أن ترفض تمامًا، وأقل ما يقال فيها: إنَّها من أكبر الكبائر. إن لم نقل: إنَّها الشرك بعينه. هذه خلاصة ما يقال في شرح الأصل الرابع عشر.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(الأصل الخامس عشر)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والدعاء إذا قُرِن بالتوسُّل إلى الله بأحدٍ من خلقه خلافٌ فرعيٌّ في كيفيَّة الدعاء، وليس من مسائل العقيدة**»[1].

هذا الأصل تتمة للأصل السابق، وهو يعالج قضيَّة طال فيها الجدل، وهي قضيَّة التوسل، وينبغي أنْ يُفصل بين ما ذكر في التوسُّل هنا وما ذكر في الأصل السابق من الاستعانة بالمقبورين، والاستغاثة بهم، وطلب قضاء الحاجات منهم، والنذر لهم، إلى آخره، فهذه قضيَّة أخرى مرفوضة تمامًا، وهي الشرك أو ما يقرب من الشرك، لكن بعض النَّاس يخلط هذا بذاك، ويدخلونه كله في باب التوسل.

التوسل المقصود هنا: أنْ يُدعى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أنْ يُتوجَّه إلى الله تعالى بالدعاء، ولكن مع التوسُّل بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو بأحد من الأنبياء، أو بأحد من الصالحين، هذا هو الَّذي تكلم فيه الإمام الشهيد هنا، ويقول: إنَّه يتعلق بمسائل الفروع، وليس بمسائل العقيدة.

هناك مسائل اعتقادية ومسائل عملية، مسائل العقيدة هي الَّتي يقال فيها: إيمان وكفر، أو ضلال وهدى. ومسائل الفروع هي الَّتي يقال فيها: حلال وحرام، ومكروه ومستحب، وجائز. وما دام المدعو هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقضيَّة التوسُّل إليه بأحد من خلقه تدخل في باب العمل، وليس في باب الاعتقاد، وهي قضيَّة مختلف فيها قديمًا وحديثًا.

إذا اتضح هذا فيمكننا أن نقول: هناك بعض النَّاس يبالغون في مسألة التوسُّل هذه، وخاصة جماعات التصوف عادة، ولهم ما يسندهم من

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٨، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعض المذاهب، وبعض الكتب في جواز التوسُّل إلى الله ﷻ، وفي المقابل هناك مَنْ يمنع التوسل، ويقتربون به مما جاء في الأصل السابق، وهو الاستعانة بغير الله ﷻ.

ويجب أن نقرر أولًا: أنَّ الاستعانة بغير الله مرفوضة، «**إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ**»[(١)]، فيجب أن نتوجَّه بالدعاء إلى الله وحده، هذا أمر مفروغ منه، لكن الخلاف إنَّما هو في مسألة الكيفية.

هنا ينبغي أنْ يتضح أن كلمة التوسل، والوسيلة كثيرًا ما تستخدم استخدامات مختلفة، فالكلمة ـ كما قال ابن تيمية ـ فيها إجمال[(٢)]. يترتب على هذا الإجمال خلط في المفاهيم، ويترتب على خلط المفاهيم خلط في الأحكام.

هناك أنواع من التوسُّل لا حرج فيها بالإجماع، هي مشروعة يقينا ولا يخالف فيها أحد، مثل التوسُّل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته، كما ورد في بعض الأحاديث: «**اللهمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّكَ أنت اللهُ الَّذي لا إله إلَّا أنت، الواحد الأحد، الَّذي لم يلدْ ولم يولدْ، ولم يكن له كُفوًا أحد**»[(٣)]. أو كما ورد في الحديث المشهور: «**اللهمَّ إنِّي أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو**

---

(١) رواه أحمد (٢٦٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٣٠٢)، عن ابن عباس.

(٢) مجموع الفتاوى (١٩٩/١).

(٣) رواه أبو داود في الصلاة (١٤٩٣)، والترمذي في الدعوات (٣٤٧٥)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٥٧)، وابن حبان في الرقائق (٨٩١)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير مسدد، فمن رجال البخاري. وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٤١). عن بريدة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

استأثرتَ به في علم الغيب عندك؛ أن تجعل القرآنَ ربيعَ صَدْري، ونورَ قَلْبِي»[1]. فهذا التوسُّل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته مشروع بالإجماع، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، هذا النوع من التوسُّل لا حرج فيه، فهو مشروع يقينًا.

هناك أيضًا توسُّل إلى الله تعالى بالعمل الصالح، أي يُقَدِّم الإنسان لله عملًا صالحًا خالصًا ويتوسَّل إلى الله به، كما روي في الصحيحين وغيرهما في قصة الثلاثة أصحاب الغار أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينا ثلاثةُ نَفَرٍ ممَّن كان قبلكم يمشون؛ إذ أصابهم مطر، فأَوَوْا إلى غار، فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنَّه ـ والله ـ يا هؤلاء، لا يُنجيكم إلَّا الصدق، فليدعُ كلُّ رجل منكم بما يعلم أنَّه قد صدق فيه. فقال واحد منهم: اللهمَّ إنَّك تعلم أنَّه كان لي أجير عمل لي على فَرَق من أرز، فذهب وتركه، وأنِّي عمدتُ إلى ذلك الفَرَق فزرعته، فصار من أمره أنِّي اشتريت منه بقرًا، وأنَّه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمَدْ إلى تلك البقر فسُقْها. فقال لي: إنَّما لي عندك فَرَقٌ من أُرْز. فقلت له: اعمَدْ إلى تلك**

(١) رواه أحمد (٣٧١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في الدعاء (٢٩٩٣٠)، والبزار (١٩٩٤)، وابن حبان في الرقائق (٩٧٢)، والحاكم في الدعاء (٥٠٩/١)، وقال صحيح على شرط مسلم، إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه. وقال الذهبي: أبو سلمة لا يدري من هو، ولا رواية له في الكتب الستة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١٢٩) بعد أن نسبه لأحمد وأبي يعلى والبزار: ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان. وانتهى الشيخ شاكر من بحثه إلى توثيق أبي سلمة، وسلامة الحديث من إرسال عبد الرحمن عن أبيه. كما صحح الحديث الألباني وأشبع فيه القول في الصحيحة (١٩٨)، وذهب مذهبهما الشيخ شعيب في تعليقه على صحيح ابن حبان، ورجع عن ذلك في تعليقه على المسند، وقال: أبو سلمة الجهني لم يتبين لأئمة الجرح والتعديل من هو، فهو في عداد المجهولين. عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

البقر؛ فإنَّها من ذلك الفَرَق. فســاقها، فإن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك من خشيتك، ففرِّج عنَّا ما نحن فيه. فانساحت عنهم الصخرة.

فقال الآخر: اللهمَّ إنَّك تعلم أنَّه كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنتُ آتيهما كلَّ ليلة بلبنِ غنمٍ لــي، فأبطأتُ عليهما ليلــة، فجئتُ وقد رقدا وأهلــي وعيالي يَتَضاغَوْن من الجوع، فكنتُ لا أســقيهم حتَّى يشــرب أبواي، فكرهتُ أن أوقظهما، وكرهتُ أن أدعهما فيستكنَّا لشَرْبَتِهما، فلم أزل أنتظر حتَّى طلع الفجر، فإن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك من خشيَتِكَ، ففرِّجْ عنَّا ما نحن فيه. فانساحت عنهم الصخرة حتَّى نظروا إلى السماء.

فقال الآخر: اللهمَّ إنَّــك تعلم أنَّه كان لي ابنةُ عــم، من أحبِّ النَّاس إليَّ، وأنِّي راودتها عن نفسها فأبت، إلا أنْ آتيَها بمائة دينار، فطلبتُها حتَّى قدرتُ، فأتيتُها بها، فدفعتُها إليها، فأمكنتني من نَفْسِها، فلما قعدتُ بين رجلَيْها قالت: اتَّقِ اللهَ ولا تَفُضَّ الخاتــم إلَّا بحقِّه. فقمتُ وتركتُ المائة دينار، فإن كنتَ تعلم أنِّي فعلت ذلك من خشيَتِكَ، ففرِّج عنا ما نحن فيه. ففرَّج الله عنهم فخرجوا»[1]. فهذا النوع من التوسُّل لا حرج فيه.

وهناك أيضًا التوسُّل بدعاء الصَّالحين، أن تطلب من أحد الصَّالحين أنْ يدعو لك، تتوسَّــل إلــى الله تعالى بدعائه، فهذا أمر مشــروع، حتَّى النبي ﷺ حينما استأذنه عمر رضي الله عنه في العمرة، وأذن له، قال له: «**لا تَنْسَنا يا أُخَيَّ من دعائك**». وفي رواية: «**أشركنا يا أُخيَّ في دعائك**». فكان عمر يقول عن هذه الكلمة: ما يسُرُّني أنَّ لي بها الدنيا[2]. فرحًا بها.

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٢١٥)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٤٣)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (١٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الوتر (١٤٩٨)، والترمذي في الدعوات (٣٥٦٢)، وقال: حسن صحيح.

QaradawiBooks.com

ونحن ندعو للنبي ﷺ حينما نقول: اللهمَّ صلِّ على محمد. وكذلك حينما نقول بعد الأذان: «**اللهمَّ آتِ محمَّدًا الوسيلةَ والفضيلة، وابْعَثْه المقام المحمود الَّذي وعدته**»[١]. وكان النَّاس يأتون إلى النبي ﷺ، يقولون: يا رسولَ الله، هلكت الأموال فادعُ لنا. فكان يدعو لهم[٢]، فالتوسُّل بدعاء الأحياء من الصَّالحين أمرٌ مشروع.

وكذلك لما أجدبوا بعد وفاة النبيِّ ﷺ في عهد عمر رضي الله عنه، قال سيِّدنا عمر: اللهمَّ إنَّا كُنَّا إذا أجدبنا توسَّلنا إليك بنبيِّنا فتسقينا، وإنَّا نتوسَّل إليك الآن بعمِّ نبيِّنا فاسقنا[٣]. أي العبَّاس رضي الله عنه، والتوسُّل به يعني أنْ يدعو وهم يُؤمِّنون من ورائه، فهذا توسل بدعائه، إذنْ لم يكن التوسُّل بذات النبيِّ ﷺ، وإنَّما كان بدعائه، ولو كان التوسُّل بذاته لتوسَّلوا به بعد مماته، ولم يتوسَّلوا بالعبَّاس، ولكنَّهم توسَّلوا بالعبَّاس، أي بدعاء العباس، وهذا من مشروعيَّة دعاء الصالحين، مَنْ يُعتقد فيهم الصلاح، وكلَّما كانوا ذوي قربى من النبيِّ ﷺ يكون أفضل، كما توسَّلوا بالعبَّاس استبشارًا بدعائه، فالتوسُّل بدعاء الصالحين لا حرج فيه.

لكن التوسُّل الَّذي فيه خلاف هو التوسُّل بذوات الصالحين، أو بذات النبي ﷺ، أو بجاهه، أو بحرمته: هل يجوز أو لا يجوز؟ هنا موضع الخلاف، مِن العلماء مَنْ أجازه، ومنهم مَنْ لم يجزه، ومن الَّذين لم يجيزوه، وكتبوا في ذلك كتابة مطوَّلة مفصلة: شيخ الإسلام ابن تيمية، وله في ذلك كتابٌ معروف هو «قاعدة جليلة في التوسُّل

(١) رواه البخاري في الأذان (٦١٤)، عن جابر.
(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجمعة (١٠١٤)، ومسلم في صلاة الاستسقاء (٨٩٧)، عن أنس.
(٣) رواه البخاري في الاستسقاء (١٠١٠)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

والوسيلة»، وقال بأنَّ التوسُّل بذات النبيِّ ﷺ، أو بجاهه، أو بحرمته لم يعرفه المسلمون الأوائل، ولم يتوسَّل أحد من الصحابة بالنبيِّ ﷺ في حياته، ولا بعد مماته، لا عند قبره، ولا عند غير قبره[١]. لم يعرف هذا في عهد الصحابة، ولا في عهد التابعين، ولا في عهد القرون الأولى، فإذا كان هذا بالنسبة للنبيِّ ﷺ، وهو سيِّد الخلق، وصفوة رسل الله وخاتمهم، وصاحب اللواء يوم القيامة، وصاحب المقام المحمود والشفاعة العظمى، فكيف بالنسبة لغيره؟ هذا رأي ابن تيمية ومَنْ تبعه، أن هذا التوسُّل غير مشروع.

وفي المقابل استدل الآخرون بأشياء بعضها صحيح غير صريح، وبعضها صريح غير صحيح، فمن الصريح غير الصحيح: «توسَّلوا بجاهي؛ فإنَّ جاهي عند الله عظيم»[٢]. فهذا الحديث لا أصل له، ليس في كتاب من كتب السُّنَّة، فلا قيمة له في مجال النقد العلمي، ومن الصحيح غير الصريح حديث عثمان بن حُنَيْف: أنَّ رجلًا ضريرًا أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يا نبيَّ الله، ادعُ الله أنْ يُعافِيَني. فقال: «**إن شئتَ أخَّرتُ ذلك، فهو أفضل لآخرتك، وإنْ شئتَ دعوتُ لك**». قال: لا، بل ادعُ الله لي. فأمره أنْ يتوضَّأ، وأنْ يُصَلِّي ركعتين، وأنْ يدعو بهذا الدعاء: «**اللهمَّ إنِّي أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّكَ مُحَمَّد ﷺ نبيِّ الرحمة، يا مُحَمَّد إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي في حاجتي هذه فتقضي، وتُشَفِّعني فيه، وتُشَفِّعه فيَّ**». قال: فكان يقول هذا مرارًا. ثمَّ قال بعدُ: أحسب أنَّ فيها: «**أن تُشَفِّعني فيه**». قال:

---

(١) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية صـ٢٨٤، تحقيق ربيع بن هادي عمير المدخلي، نشر مكتبة الفرقان، عجمان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣١٩/١): وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث.

QaradawiBooks.com

ففعل الرجل، فبرأ[١]. فأخذ القائلون بالتوسُّل بهذا الحديث، وهناك مَنْ ضعَّفه، وهناك مَنْ صحَّحه، ومن الَّذين صحَّحوه الشيخ الألباني مع أنَّه ضدَّ التوسُّل.

ولكنَّهم قالوا: على افتراض صِحَّته فهو ليس صريحًا بالتوسُّل بالنبيِّ ﷺ، ولكن الَّذي يبدو أنَّه توسُّلٌ بجاهه وبشفاعته ﷺ، ولذلك قال الرجل في الآخر: اللهمَّ شفِّعه فيَّ. ومعنى شافع أنَّه يدعو، كما يشفع للأُمَّة يوم القيامة، أي: يدعو الله لها، ولهذا اعتبروا أنَّه توسَّل بدعاء النبيِّ ﷺ، ولذلك قالوا: لو اكتفى بدعائه، ولم يدعُ له النبيُّ ﷺ ربَّما لم يبرأ، وهذا الدعاء إنَّما يتحقَّق في حياة النبيِّ لا بعد مماته، بل حتَّى دعاؤه في حياته ـ كما يقول ابن تيمية ـ غير مضمون الاستجابة، كما ورد في الحديث: «**لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابة، وإنِّي ادَّخرت دعوتي شفاعة لأُمَّتي يوم القيامة**»[٢]. فهي دعوة واحدة لكلِّ نبيٍّ مضمونة الإجابة، أمَّا ما عدا ذلك تبقى بين الخوف والرجاء، وكما جاء في الحديث الآخر: «**ما مِن مسلمٍ يدعو بدَعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رَحِمٍ إلَّا أعطاه اللهُ بها إحدى ثلاثٍ: إمَّا أنْ يُعَجِّلَ له دَعوتَه، وإمَّا أنْ يدَّخِرَها في الآخرةِ، وإمَّا أنْ يصرِفَ عنه مِنَ السُّوءِ مِثلَها**»[٣]. فيمكن أن تحصل الإجابة بإحدى هذه

(١) رواه أحمد (١٧٢٤٠، ١٧٢٤١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الدعوات (٣٥٧٨)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٨٥)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٤١٩)، والحاكم في الوتر (٣١٣/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٤)، ومسلم في الإيمان (١٩٨)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١١١٣٣)، وقال مخرّجوه: إسناده جيد. وأبو يعلى (١٠١٩)، والحاكم في الدعاء (٤٩٣/١)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجا للرفاعي. ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٢١٠): رجال أحمد وأبي يعلى وأحد إسنادي البزار رجال الصحيح، غير علي بن علي الرفاعي وهو ثقة. عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

الصور، فإذا افترضنا أنَّ هذا الحديث صحيح فليس صريحًا في التوسُّل بجاه النبيِّ ﷺ، أو بحرمته، أو بغير ذلك.

ومن هنا نقول: الأرجح في هذا، والَّذي يطمئنُّ إليه القلب هو ما كان عليه الصحابة والتابعون، فما دام الصحابة والتابعون والقرون الأولى ـ وهي خير قرون هذه الأمَّة، وهم الَّذين يُقْتدى بهم فيُهتدى ـ لم يكونوا يتوسَّلون بالنبيِّ ﷺ، فلماذا نخالفهم؟ أولى من ذلك أن نذهب إلى الأدعية المأثورة عن النبيِّ ﷺ، فندعو الله تعالى بها، بدل التوسُّل بهذه المُبْتَدَعات، والمُتَّفق عليه خيرٌ من المُخْتَلَف فيه، «**دعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ**»[1]، فلو دعونا بالأدعية المأثورة لم نجد اعتراضًا من أحدٍ قطُّ، ولو دعونا بالدعاء المتوسِّل بالنبيِّ ﷺ سنجد قطعًا ألف معترض ومعترض، والأولى بدين المسلم أنْ يجعله في المنطقة المأمونة، بأنْ يتوجَّه بالدعاء إلى الله ﷻ مباشرة.

وإذا كان هذا هو الأولى بالنسبة للتوسُّل بالنبيِّ ﷺ فهو أشدُّ أولويَّة بالنسبة للتوسُّل بغيره من الصَّالحين، ولذلك أجاز بعض النَّاس أنْ يُتَوَسَّل بالنبيِّ ﷺ وحده؛ لأنَّ له منزلة خاصَّة لا تُدانيها منزلة بخلاف غيره من الصحابة والتابعين أو الصَّالحين، أو من يُسَمُّونهم الأولياء، أو غير ذلك، فجعل التوسُّل خاصًّا بالنبيِّ ﷺ، وسدَّ البعض الآخر الباب بالكُلِّيَّة.

---

(١) رواه أحمد (١٧٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٨)، وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي في الأشربة (٥٧١١)، وابن حبان في الرقائق (٤٩٨/٢)، والحاكم في البيوع (١٥/٢)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٧٩)، عن الحسن بن علي.

QaradawiBooks.com

وأنا في الحقيقة أقول لكم: إنَّ ما أستريح إليه هو ما كان عليه الصحابة والسلف، وهو الدعاء بالمأثور، فليس هناك أفضل منه، وفي الدعاء بالمأثور أجران: أجر الدعاء باعتباره عبادة، وأجر الاتِّباع، ثمَّ هو أبعد عن أنْ تدخل في ألفاظ مُوهِمَة بالشرك، أو مُوقِعة في الشرك، وأنت لا تدري، هذا هو الأفضل.

ثم إنَّ الَّذي ينظر إلى أصول الإسلام يجد الإسلام ربط النجاة في الدنيا والآخرة بالإيمان والعمل الصالح، فبدل أنْ تتوسَّل بجاه رسول الله ﷺ، توسَّلْ بطاعة رسول الله ﷺ، باتِّباع سُنَّته، وحبِّه، وخدمة دِينِه، ونصرة شريعته، هذا هو التوسُّل الصحيح، فمن أراد أنْ يتوسَّل فليُزَكِّ نفسه قبل كلِّ شيء، ففي هذا الفلاح، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، أمَّا الاتِّكال على الشفاعات، والوسائط، والوسائل، فليس يغني، كما قال بعضهم: لولا الواسطة لذهب الموسوط. وهذا قياس للغائب على الشاهد، وقياس للغائب على المخلوق، فهو قياس مرفوض، إنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء، ولا ينبغي أنْ يقاس على خلقه، وبابه مفتوح للجميع، فينبغي أنْ يتَّكل الإنسان بعد الله على إيمانه وعمله، بدل أنْ يتَّكل على الشفاعات وغيرها، فالذي أفسد الأديان الأخرى هو الاتِّكال على هذه الشَّفاعات، وانتقل الأمر شيئًا فشيئًا من التوسط بها إلى دعائها مع الله، إلى دعائها من دون الله ﷻ، وهذا هو الشرك الأكبر، هذه هي خلاصة القول في موضوع التوسل، ونكتفي بهذا القدر.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(الأصل السادس عشر)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والعُرفُ الخاطئ لا يُغَيِّر حقائقَ الألفاظ الشرعيَّة، بل يجب التأكُّد من حدود المعاني المقصود بها، والوقوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كلِّ نواحي الدُّنيا والدِّين، فالعِبْرة بالمُسَمَّيات لا بالأسماء**»[1].

هذا الأصل ـ في الواقع ـ مهم، نحن نعلم أنَّ للعرف أهميَّةً في حياة الناس، وفي دين الله أيضًا، والعرف هو ما اعتادته جماعة من النَّاس في حياتهم، والعادة هي ما تكرر حتَّى أصبح شيئًا مألوفًا، وتحصل بدونه معاناة، ومعظم حياة الإنسان مجموعة عادات، وُلِد غير متكلم فتعود أنْ يتكلم، وولد لا يمشي فتعود أنْ يمشي، ولذلك قالوا: العادة طبيعة ثانية.

هناك عادات فردية، وهناك عادات جماعية وهي الَّتي تُسمى العرف، ما تعارف عليه قوم من الناس، وقد يكون العرف عمليًّا، مثل تعارف النَّاس على أنْ يأكلوا بطريقة ما، ويلبسوا ملابس معينة، وتعارف بعض النَّاس على أنْ يقصوا اللحى ويطيلوا الشوارب، أو العكس، كما قد يكون العرف قوليًّا يتصل بالكلمات، يتعارف النَّاس على أن تؤدي الكلمات معنى معينًا.

ولذلك وُجِدَ في الحقائق ما يسمى حقيقة لغوية، وحقيقة شرعيَّة، وحقيقة عرفية، الحقيقة اللغوية هي ما دلت عليها اللغة، مثل كلمة «القمر»، وهو الكوكب المعروف الَّذي يظهر في الليل، ولذلك تعتبر كلمة «القمر الصناعي» حقيقة عرفية وليست لغوية، وتختلف الحقائق

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٨، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

اللغوية عن الحقائق الشـرعيَّة فللصلاة في اللغة معنى، ولها في الشرع معنى، وكذلك الطهارة، والزكاة، ولذلك يقال في كتب الفقه: المعنى في اللغة كذا، والمعنى في الشـرع كذا. فالشـرع أحيانًـا يخصص الكلمة ويجعل لها مدلولًا خاصًّا غير مدلولها العام في اللغة.

وهناك حقيقة عرفية، مثل القمر الصناعي كمـا ذكرنا، ومثل الدابة، فهي في العـرف البهيمة، على حيـن أنَّها في اللغـة كل ما يدب على الأرض، ولذلك الإنسان في اللغة دابة، حينما يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]. فهذه تشـمل الإنسان والحيوان، فهناك ما يدب علـى الأرض، وهناك ما يطيـر بجناحيه، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ [الأنعـام: ٣٨]، فالدابـة تشـمل الإنسان لغة، لكنها لا تشمله عرفًا، فهناك حقيقة عرفية.

ولا يمنع الشـرع من أنْ يتعارف النَّاس على ألفـاظ معينة تصطلح عليها، ويجري بها عرف الناس، ويترتب على ذلك أحكامًا، فالأيمان في الفقه مثلًا مبنية على العرف، لو قال أحدهم: والله لا آكل لحمًا. ثمَّ أكل سـمكًا، فلا يحنث في يمينه؛ مع أنَّ القرآن سمَّى السمك لحمًا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ [النحل: ١٤]. ولكن العرف لا يسمي السـمك لحمًا، بل يميز بين السمك واللحم، فهذا حكم مبني على الأعراف اللفظية الَّتي تعـارف النَّاس عليها، فالشـرع يحترم هذه الألفاظ ويبني عليها أحكامًا، فالشرع في كثير من الأمور يقر العرف.

وهناك أعراف عامة لكل البلاد، وهناك أعراف خاصة بكل بلد، لأهل مصر عرف، ولأهل فلسـطين عرف، ولأهل قطر عـرف، وهناك أعراف لفئات من النَّاس مثل العرف التجاري عند التجاريين، والعرف الزراعي

QaradawiBooks.com

عند الزراعيين، والعرف الطبي عند الأطباء، فهذه الأعراف تحترم، وللعرف مدخل في الشرع، كما يقول ابن عابدين:

والعرف في الشرع له اعتبار لذا عليه الحكم قد يدار[1]

وقد شرح ابن عابدين هذا في رسالته «شذى العَرْف فيما بُني من الأحكام على العُرْف»، فهناك أحكام مبنية على العرف.

حتى النصوص نفسها قد تأتي بناء على عرف، فإذا تغير العرف ينبغي أنْ يتغير الحكم، جاء الشرع فوجد للناس أعرافًا فأقر بعضها، وألغى بعضها، في البيوع وغيره، وجد الربا والاحتكار قائمين فألغاهما، ووجد أشياء أخرى فأقرَّها، قد يقرُّها كليًّا، أو يضع لها حدودًا وضوابط، مثل السَّلَم، أقرَّه رسول الله ولكنَّه قال: «**من أَسْلَم فلْيُسْلِمْ في كيلٍ معلوم، ووزنٍ معلوم، إلى أجلٍ معلوم**»[2]. فوضع له ضوابط حتَّى لا يحدث غرر ولا نزاع ولا غبن لأحد الأطراف، وهكذا.

أقول: قد تأتي بعض النصوص بناء على عرف، فإذا تغيَّر العرف تغيَّر الحكم نفسه، بشرط أن نكون متأكدين من أنَّه مبني على العرف فعلًا، فمثلًا في الزكاة جعل النبي ﷺ نصابين للزكاة: نصابًا للفضة، ونصابًا للذهب، عشرين مثقالًا من الذهب، ومائتي درهم من الفضة، فهل حينما جعل النبيُّ ﷺ نصابين للزكاة قصدَ أنْ يكون هناك خلاف بين الأغنياء بعضهم وبعض؟ والنصاب هو الحد الأدنى للغِنى، فصادف الأمر حين تشريع الزكاة أنَّ هناك عملتين يتعامل بهما الناس، ولم يكن للعرب نقود

(١) رسالة نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف لابن عابدين، انظر: مجموعة رسائل ابن عابدين (١١٤/٢)، نشر عالم الكتب.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في السلم (٢٢٤٠)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٤)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

خاصة بهم، فكانت تأتيهم الدراهم الفضية من فارس وهي الأغلب، أو تأتيهم الدنانير الذهبيَّة من الدولة البيزنطيَّة، وكان الدينار يُصرف بعشرة دراهم، فجعل منهما نصابين، ولم يقصد أنْ يكون هناك نصابان متفاوتان أعظم التفاوت كما هو الحال في عصرنا، حيث يتفاوت نصاب الذهب تفاوتًا شنيعًا عن نصاب الفضة، فإذا حسبت ما مع أحدهم بنصاب الفضة تجد أنَّ الزكاة تجب عليه، وإذا حسبت ما معه بنصاب الذهب تجد أنَّه فقير يستحق الزكاة، ولم يقصد الشارع هذا، بل قصد الحد الأدنى للغنى، وما دام التفاوت قد حدث فلا بدَّ أن ننظر في نصاب الفضة، وليس هذا موضع بحث الموضوع، لكن نقول: هذه طبيعة الأعراف، ويمكن أن تتغيَّر.

والَّذي يهمنا ما أكَّد عليه الإمام الشهيد، أنَّ هناك أعرافًا شرعيَّة، خاصَّة الأعراف اللفظيَّة بالذات، المفروض إذا نشأ عرف خاطئ ألا يغير حقائق الألفاظ الشرعيَّة، كما أنَّه لا يغير حقائق الأحكام الشرعيَّة بصفة عامة، فلو نشأ عرف يخالف الأحكام الشرعيَّة، ويستحيل أنْ يجمع كل النَّاس عليه لأنَّ هذه الأُمَّة لا تجتمع على ضلالة، لكن لو أقر تسعون في المائة منهم هذا العرف الخاطئ فإقرارهم لا يجعل الحرام حلالًا، ولا يجعل الباطل حقًّا، كذلك بالنسبة للألفاظ الشرعيَّة.

من ذلك ـ مثلًا ـ كلمة «الجهاد»، فهي تعني بذل الجهد من النفس والمال وغيره لتكون كلمة الله هي العليا، فإذا جاء مَنْ يصف أحدهم بالمجاهد الكبير، لأنَّه مناضل في سبيل العلمانية، أو الماركسية.

ومن ذلك كلمة «الشهادة»، الَّتي تعني المنزلة الكبيرة لمن قُتل في سبيل الله من الصالحين، فصارت هذه الكلمة رخيصة عند بعض النَّاس فأصبح أي أحد شهيدًا، يقولون: الشهيد پاتريس لومومبا ـ أحد

QaradawiBooks.com

الاشتراكيين في الكونغو ـ أو الشهيد چيفارا. هذا التغيير لحقيقة الألفاظ الشرعيَّة ودلالاتها ـ خاصة إذا كانت مرعية ومحترمة ـ هو تغيير مرفوض.

ومن هذا كثير، حتَّى بين الفئات الدينية الَّتي تستحدث كلمات فضفاضة لم تكن هي المعروفة من قبل، من ذلك كلمة «الولي»، من هو الولي في عرف الشرع، أو في ميزان القرآن والسُّنَّة؟ القرآن يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. والحديث يقول: «**مَنْ عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب**»[1]. مَنْ الولي؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾. فكل مؤمن تقي يستقيم على أمر الله هو وليٌّ، هذا ما كان يعرفه الصحابة والتابعون، أنَّ المؤمنين المتقين أولياء الله، أنَّ هناك أولياء الله، وأعداء الله.

ثم استحدث النَّاس بعد ذلك عالمًا آخر سموه عالم الأولياء، وأصبح الولي هو مَنْ تقع الخوارق والكرامات على يديه في حياته، أو يبنى له ضريح يدفن فيه بعد مماته، وقد يوجد إنسان مستقيمًا على أمر الله، مؤديًا للفرائض، مجتنبًا للمحرمات والمكروهات، بل حريصًا على النوافل، منفقًا في سبيل الله، داعيًا إلى الخير، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر ـ ثمَّ لا يعتبرونه وليًّا رغم ذلك، وإذا نظرت إلى تاريخ الصحابة والتابعين فقلَّما تجد مَنْ وقعت على يديه الخوارق أو الكرامات، ألم يكن هؤلاء أولياء؟ هذا العدد الكبير الَّذي تركه النبي ﷺ من الصحابة، عشرات الآلاف، ومَنْ تبعهم بإحسان، هؤلاء أولياء أم ليسوا أولياء؟ كانوا أولياء، لكن هذا ما استحدث في الأوساط الدينيَّة، لذلك من المهم أن نعرف أنَّ الأعراف الخاطئة لا تغير حقائق الألفاظ الشرعيَّة.

(١) سبق تخريجه صـ٢٠، وفيه: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال الإمام الشـــهيد هنا: يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها، والوقوف عندها. لا بدَّ أن نعرف ماذا يريد الشرع من هذه الكلمات، ولذلك من الأشياء الَّتي ننادي بها دائمًا ما نطلق عليه تحديد المفاهيم، فالناس يختلفون في أمور كثيرة، ولو حـــددت المفاهيم فلعله لا يوجد خلاف، ولهذا يقول علماؤنا: نريد تحرير موضع النزاع، أو تحرير المراد. وقد يظهر أحيانًا أنَّ الخلاف لفظي، فتجدهم يقولون: هذا خلاف لفظي. أي لا يترتَّب عليه ثمرة في النهاية، ولذلك من المهم أنْ تُعرف المعاني المقصودة، وحدود هذه المعاني المقصودة بالألفاظ المذكورة.

أحيانًا يطلق بعض النَّاس ألفاظًا معينة، مثل الرجعية، والجمود، فما هما؟ إن كان المقصود بالجمود التمســـك بالكتاب والسُّنَّة، والوقوف عند حدود الله تعالى، والاعتصام بعرى الإســـلام وقيمه وثوابته فنحن أول الجامدين، وإنْ كان المقصود بالرجعيـــة الرجوع إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والســـلف الصالح، فقد أجمعت الأُمَّة على أنَّ كل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف، فينبغي أن نحدد المراد من الألفاظ.

كما ينبغي ألا ترهبنا هذه الكلمات، كان المعتزلة قديمًا يقولون عن أهل الحديث: الحشوية. وهم الَّذين حفظوا سُنَّة رسول الله ﷺ.

وللإمام الشافعي بيت مشهور يقول:

إن كان رفضًـــا حـــبُّ آلِ محمدٍ فليشـــهد الثقلان أنِّـــي رافضي[1]

إن أي واحد يحب آل بيت رسول الله تسمونه رافضيًّا فأنا رافضيٌّ.

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (٧١/٢)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

QaradawiBooks.com

ولابن تيمة أيضًا بيت يقابل هذا، يقول:

إن كان نصبًا حبُّ صحبِ محمدٍ فليشهد الثقلان أنِّي ناصبي[١]

فأحيانا يقولون لمن يدافع عن الصحابة: أنت ناصبي، تكره آل البيت. فإنْ كان مَنْ يدافع عن أصحاب رسول الله ﷺ، الَّذين أثنى الله عليهم في كتابه، وأثنى عليهم رسوله، وهم الَّذين بلَّغونا القرآن والسنن يسمَّى ناصبيًّا فنحن ناصبيون.

ولابن القيم أيضًا بيت في موضوع الأسماء والصفات يتحدى به من يتهمونه بالتجسيم يقول:

فإن كان تجسيمًا ثبوت صفاته وتنزيهها عن كل تكذيب مفتري
فإني بحمد الله ربي مجسِّم فهاتوا شهودًا واملؤوا كل مَخْبَرِ[٢]

إن كان مَن يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، لا يؤوِّلون، ولا يُعطِّلون، ولا يُشبهون ـ تسمونهم مُجسِّمين، فأنا مُجسِّم.

وفي مرة من المرات قلت لجماعة: إذا كان مَن يدعون إلى الإسلام، وإلى إقامة دولته، وإلى إعلاء كلمته، وإلى توحيد أُمَّته، وإلى تحكيم شريعته ـ تسمونهم رجعيين، فاللهم أحيني رجعيًّا، وأمتني رجعيًّا، واحشرني في زمرة الرجعيين. فينبغي ألا تخيفنا الأسماء، المهم توضيح المعاني وتحديدها.

كما ينبغي ألا نرفض المضامين الجيدة بسبب أسماء يجعل بعض النَّاس حولها هالة، فقد يترتب على اللعب بالألفاظ، والخداع بها رفض

---

(١) انظر: المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢٠/١)، جمع وترتيب محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ.

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٨٧/٢)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

النَّاس لمعانٍ جيدة، أو قبولهم لمعانٍ سيئة، ولهذا كان من المسائل الَّتي أثارها بعض النَّاس حول دعوة الإخوان، ولقي الإمام الشهيد منها ما لقي ـ مسألة العلاقة بين الدين والسياسة، ذلك أنَّ كلمة السياسة لها عند النَّاس إيحاء غير حسن، أصبحت كلمة السياسة مكروهة بعد أن جرَّب النَّاس السياسيين، وعرفوا من ألوان خداعهم، ونفاقهم، وكذبهم، وتضليلهم للأمة، وتقربهم إلى أعداء الدين والأمة، إلى آخره، فأصبح النَّاس يستغلون هذه الكلمة ويقولون: هؤلاء يخلطون الدين بالسياسة، هم سياسيون ودعوتهم سياسية.

ولذلك عُني الإمام الشهيد بمعالجة هذه القضيَّة في أكثر من رسالة، ففي رسالته «بين الأمس واليوم»، قال: إذا قيل لكم إلامَ تدعون؟ فقولوا: ندعو إلى الإسلام الَّذي جاء به محمد ﷺ، والحكومة جزء منه، والحرية فريضة من فرائضه. فإنْ قيل لكم: هذه سياسة! فقولوا: هذا هو الإسلام، ونحن لا نعرف هذه الأقسام[1].

وفي رسالته «إلى أي شيء ندعو الناس؟» قال: يقول قوم آخرون: يا قومنا؛ إننا نناديكم والقرآن في يميننا، والسُّنَّة في شمالنا، وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام، فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا، وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسيًّا فنحن أعرق النَّاس والحمد لله في السياسة، وإنْ شئتم أنْ تسموا ذلك سياسة فقولوا ما شئتم فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المُسمَّيات وانكشفت الغايات. يا قومنا؛ لا تحجبكم الألفاظ عن الحقائق، ولا الأسماء عن الغايات، ولا الأعراض

(١) انظر: رسالة بين الأمس واليوم ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا صـ١١٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عن الجوهر، وإنَّ للإسلام لسياسة في طيِّها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة، وتلك هي سياستنا لا نبغي بها بديلا، فسوسوا بها أنفسكم، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة الأخروية، ولتعلمن نبأه بعد حين[١].

وكما يترتب على اللعب بالألفاظ، والخداع بها رفض النَّاس لمعانٍ جيدة، يترتب عليها كذلك قبولهم لمعانٍ سيئة، كما يسمون التحلل من القيم والأخلاق والتقاليد الفاضلة حريةً شخصيةً، أو مجاراة للتطور، أو نحو ذلك، كما قال الشاعر:

ما كان في ماضي الزَّمَانِ مُحرَّمًا ... للنَّاسِ في هذا الزَّمَانِ مُبَاحُ
صاغوا نُعُوتَ فضائلٍ لعُيُوبِهم ... فتَعَذَّر التمييزُ والإصلاحُ
فالفَتْكُ فنٌّ، والخِدَاعُ سِياسَةٌ ... وَغِنَى اللصوصِ بَرَاعَةٌ وَنَجَاحُ!
والعُرْيُ ظُرْفٌ، والفسادُ تَمَدُّنٌ ... والكذبُ لطفٌ، والرياء صلاحُ[٢]!

اختلطت الأمور، فأصبح النَّاس يقبلون أشياء مرفوضة، خاصَّة وأنَّهم وضعوا لها أسماء برَّاقة، كالسم مخلوطًا بالعسل أو الدسم، فهذا هو الخطر.

هناك أيضًا بعض النَّاس ينكرون أشياء موجودة بمعناها في الإسلام وفي التراث الإسلامي، ولكن ليس بنفس الاسم المشتهر، يقولون: هذا الأمر لم يعرفه الإسلام. مثل ما قاله لويس عوض وغيره، بأنَّ الإسلام لم يعرف الحرية بالمعنى الَّذي نعرفه الآن، فهذا المعنى جاءنا من الثورة الفرنسية ومن الغرب، ولم يعرف التراث الإسلامي الحرية إلا بمعنى حرية الرقيق.

---

(١) انظر: رسالة إلى أي شيء ندعو الناس ضمن مجموعة الرسائل صـ٣٧.

(٢) هو شاعر المهجر إلياس فرحات في رباعياته.

QaradawiBooks.com

وهذا الكلام خطأ، فقد تكون كلمة الحرية غير مستعملة، مع أنَّ هناك أشياء تدل على أنَّها استعملت أحيانًا، كما في مقولة عمر بن الخطاب: متى استعبدتم النَّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[1]؟ فهذا هو معنى الحريَّة السياسية الآن، وحتى لو لم تستعمل الكلمة بلفظها من قبل، لكن بالنظر إلى مضمونها ومحتواها نجد أنَّها استعملت.

ففي الحرية الدينية نجد قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. فالإسلام رفض قبول إيمان أي أحد تحت أي ضغط، حتَّى إيمان فرعون، حين قال: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]. قيل له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]. ليس لديه حرية، فلا يُقبل الإيمان الاضطراريُّ، إنَّما الإيمان المقبول هو الَّذي يأتي عن طواعية واختيار، تملك أنْ تقول: لا. وأن تقول: نعم. فالحرية الدينية موجودة.

كما أنَّ الحرية السياسية موجودة، وإلا فماذا يعني الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر غير الحرية، بل هما أكثر من الحرية، لأنَّهما أحيانا يكونان واجبين، إذا لم يوجد أحد غيرك يقول كلمة الحق فيجب عليك أنْ تقولها، وإذا وجد غيرك أصبح حقًّا لك.

وكذلك الحرية المدنية موجودة، كما في قصة الشباب الَّذين قالوا لسيدنا عمر: إذا كنا ارتكبنا خطأ لقد ارتكبت عدة أخطاء، تجسَّست علينا، وقد قال

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ١٩٥، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، وحسن المحاضرة للسيوطي (٥٧٨/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢]. وتسوَّرت علينا الجدار، وقد قال الله: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]. إلى آخره[١]. فالحرية موجودة، ولكن أحيانًا يضلل النَّاس أنَّ اللفظ ليس موجودًا، فهذا دليلٌ على وجود الحرية في الإسلام والتراث الإسلامي، فأحيانا يضلِّل النَّاس أنَّ اللفظ ليس موجودًا، ولكن ليس المهم اللفظ، المهم هل المعنى موجود أم ليس موجودًا؟

قد يقول بعض الناس: كلمة «العدالة الاجتماعيَّة» هي كلمة من مستحدثات هذا العصر. قد تكون الكلمة غير موجودة، أمَّا مضمون «العدالة الاجتماعيَّة» هل هو موجود في الإسلام أم ليس موجودًا؟ هو موجود يقينًا، وهناك كثير من الأشياء من هذا النوع، فينبغي أنْ يُلاحظ هذا جيدًا، وهذا ما نبه عليه الإمام الشهيد: أنَّه ينبغي معرفة الألفاظ والحدود المقصودة بها، والاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين، وتحديد المفاهيم، وتحديد المصطلحات.

ولكن أيضًا ليس المقصود الجمود على مصطلحات معينة، ولهذا قال علماؤنا هذه الكلمة القيمة: لا مشاحَّة في الاصطلاح. أي يمكن أنْ يصطلح بعض النَّاس على شيء، ويصطلح غيرهم على شيء آخر، فلا مشاحَّة في ذلك، المهم أن نعرف معنى هذا الاصطلاح، وأن لا مشاحَّة في الاصطلاح، أنت تسمِّيه كذا، وأنا أسمِّيه كذا، المهم أن نتفاهم معًا، لا تستطيع أنْ تفرض عليَّ مصطلحك، ولا أستطيع أنْ أفرض عليك مصطلحي.

هناك بعض النَّاس يتعصبون لمصطلحاتهم تعصبًا أعمى، مثل إخواننا في حزب التحرير، لهم مصطلحات خاصة، يريدون أنْ يفرضوها على البشرية كافة.

---

(١) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٤٤٨)، عن ثور الكندي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من ذلك مثلًا أن عندهم: لا تقل: مبادئ الإسلام. للإمام المجدد أبي الأعلى المودودي كتاب اسمه «مبادئ الإسلام»، فهم يقولون: هذا خطأ؛ لأنَّ هنـــاك ثلاثة مبادئ فقط فـــي العالم، هناك مبدأ الرأســـمالية، ومبدأ الشيوعية، ومبدأ الإســـلام، لكن ليس في الإسلام مبادئ، الإسلام نفسه مبدأ. ولكن من فرض ذلك؟! هذا مصطلحك، وأنت حرٌّ في مصطلحك، لكنَّه لم يصبح مصطلحا عامًّا، حتَّى نفرضه على النَّاس جميعًا، ولا هو حقيقة لغويَّة، ولا حقيقة شرعيَّة، ولا حقيقة عرفيَّة عامة، إنَّه حقيقة عُرفيَّة عندك أنت فقط.

ومن ضمن الكلام الَّـــذي يقولونه أيضًا: إنَّ النظـــام الاجتماعي هو العلاقة بين الرجل والمرأة فقط. أمَّـــا العلاقة مثلًا بين الأغنياء والفقراء، أو العلاقة بين طبقات المجتمع بعضها وبعض، أو كذا وكذا، لا علاقة له بالنظام الاجتماعي؛ لأنَّ النظام الاجتماعي عندهم هو ما يتعلق بالأسرة فقط. وهذا مصطلحٌ خاصٌّ أيضا لا تســتطيع أنْ تفرضه على الناس، لي أنْ أقول: لا مشاحَّة في الألفاظ، ســـمِّه أنت ما تسميه، وحسبنا أن نفهم ماذا تريد، قد يسميه بعض النَّاس مثلًا: الأحوال الشخصية. قد نقبل هذا أو نرفضه، المهم حينما نتحدث نفهم ما يسمَّى بالأحوال الشخصية، قد تسميه فقه الأسرة، أو تسميه كذا، وهكذا.

ولذلك جـــاء في الحديث الَّـــذي رواه ابن ماجـــه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لَيشـــربَنَّ ناسٌ من أُمَّتـــي الخَمْرَ، يُســـمُّونها بغير اسْـــمِها، يُعْزَفُ على رؤوسهم بالمعازف والمُغنِّيات، يخسف اللهُ بهم الأرض، ويجعل منهم القردةَ والخنازيرَ**»[1]. فتســـميتهم إيَّاها بغير اســـمها قد يكون أنْ يسمُّوها

(١) سبق تخريجه صـ٤٨.

QaradawiBooks.com

مشـــروبات روحيَّة، أو بيـــرة، أو غير ذلك، أنا لا يهمني الاســـم، الَّذي يهمني مضمونها: أهي مُسْكِرة أم ليست مُسْكِرة؟ فإذا كانت مُسْكِرَة فكلُّ مُسْكِر خمر.

قد يُسَمِّي النَّاس الربا فائدة، فهل إذا سموه فائدة، هل معنى ذلك أنَّه أصبح حلالًا؟ لا، لا يصبح حلالًا بمجرد التسمية، كثير من المحرَّمات قد يطلق عليها اســـم غير اســـمها، وقد يكون الأمر بالعكس، فمثلًا في البنوك يسمون الأشـــياء الَّتي تســـتثمر وديعة، وللوديعة في الفقه مدلول معين، والموجود هذا ليس وديعة، هو شيء آخر غير الوديعة، يمكن أنْ يســـمى مضاربة، أو نحو ذلك، فهذا التغير في الاســـم ليس هو المهم، المهم عندنا هو المســـمَّيات لا الأســـماء، فيجب الاحتـــراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين، ولا عبرة بالأســـماء متى وضحت المسمَّيات، نكتفي بهذا القدر في شرح الأصل السادس عشر.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(الأصل السابع عشر)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوبٌ شرعًا، وإن اختلفت مرتبتا الطلب**»[(١)].

العقيدة هي أساس العمل، فلا يقبل عمل إلا بعقيدة، لو لم يكن الإنسان مؤمنًا وعمل أعمالًا في ثقل الجبال لا تقبل منه، كما قال الله تعالى في شأن الكفار: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]. وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]. فالعقيدة أساس العمل، من حيث أنَّ العمل لا يقبل عند الله إلا إذا كان مبنيًّا على عقيدة، على إيمان، لا بدَّ أنْ يؤمن بالله، وبالرسول الَّذي بلَّغه عن الله حتَّى يقبل عمله.

وهي أساس العمل من حيث أنَّها هي الدافع إلى العمل، الَّذي يدفع الإنسان إلى العمل اعتقاده، وخصوصًا أنَّه جاء في بعض الآثار: «ليس الإيمان بالتمنِّي، ولكن ما وَقَرَ في القلب وصَدَّقه العمل»[(٢)]. وجاء في القرآن كثيرًا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧]. هذا الاقتران يدلُّ على أنَّ الإيمان هو الَّذي يحفز الإنسان إلى العمل، ويحركه إلى العمل، ويدعوه إلى العمل، فالعقيدة أساس العمل من هذين الوجهين.

---

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٨، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الإيمان والرؤيا (٣٠٩٨٨)، من قول الحسن البصري.

QaradawiBooks.com

ونقصد بالعقيدة ـ طبعًا ـ العقيدة الإسلاميَّة القائمة على توحيد الله تبارك وتعالى، وعلى الإيمان برسوله محمد ﷺ، وكل ما جاء به وصحَّ عنه من الآخرة والغيبيَّات فهو داخل في العقيدة، هذه العقيدة هي أساس العمل، ولذلك عملنا الأول هو تصحيح العقيدة، لا بدَّ من تصحيح العقيدة وتثبيتها.

وقد ظلَّ النبي ﷺ ثلاثة عشر عامًا في مكة يبني الإنسان على أساس العقيدة، لم تكن هناك تشريعات في ذلك الوقت، لم تكن قد فرضت الفرائض، ولا حُدَّت الحدود، لأنَّ المهم هو بناء العقيدة، وما نزل من القرآن في تلك الفترة يتعلق بتثبيت أصول العقائد، والمعاني الربانية، وأصول الفضائل، والتنفير من الشرك، وأصول الرذائل، وبيان مصائر المشركين المكذبين، ومصائر المؤمنين الصادقين، والرسل وأتباعهم، إلى آخره، كل هذا كان في العهد المكي، فما دامت العقيدة أساس العمل يجب أن توجه الجهود الأولى لبناء العقيدة الصالحة، العقيدة الراسخة، العقيدة السليمة البعيدة عن الشركيات، والخرافيات، والأباطيل، هذا أمر لا شك فيه.

ولذلك فالَّذين يقولون: لم يهتم حسن البنَّا بأمر العقيدة. فهو قول غير صحيح، بل اهتم بهذا، وكتب فيه «رسالة العقائد»، وهي من أوائل ما كتب، وحينما أصدر مجلته الشهيرة «الشهاب»، كان أول باب فيها هو باب العقيدة، وبدأ بالركن الأول في العقائد وهو الألوهية، كتب عدة مقالات تحت عنوان «الله»، ومعلوم أنَّ العقائد ثلاثة أبواب رئيسية: الإلهيَّات، والنبوَّات، والسمعيَّات. فالعقيدة هي أساس العمل، قبل الاهتمام بالعمل يجب الاهتمام بالعقيدة، والتركيز عليها تصحيحًا وترسيخًا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والعمل الَّذي ينبثق عن العقيدة نوعان: عمل قلبي، وعمل جارحي، عمل يتعلق بالباطن، وعمل يتعلق بالظاهر، وعمل القلب أهم من عمل الجوارح، ذلك لأنَّ القلب هو موضع نظر الله تبارك وتعالى، «**إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**»[(١)]، وحينما يلقى الإنسان ربَّه ﷻ فإنما ينجيه قلبه من هول القيامة، ومن عذاب الله، ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ ـ ٨٩]، ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]، فالمدار على القلب، لأنَّه يمثِّل حقيقةَ الإنسان، فليس الإنسان هو هذا الغلاف الطيني، ليس هو هذا الهيكل من اللحم والدم، والعظام والأعصاب، والخلايا والأجهزة، وإنَّما هو هذا الشيء الَّذي يسكن هذه الحجرة، هذا البناء الطيني، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، القلب، الروح، النفس، سمِّه ما تسميه، فهذا هو حقيقة الإنسان، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**ألا إنَّ في الجَسَدِ مُضْغَة إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب**»[(٢)]. كما قال أبو هُرَيْرة رضي الله عنه: القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا صلح الملك صلحت جنوده، وإذا فسد الملك فسدت جنوده[(٣)]. فالأساس القلب، ومن هنا كان اهتمام الإسلام بالقلب قبل كل شيء، ولذلك يمكن أنْ يصلي الإنسان، ويصوم، ويحج، ويعتمر، ويذكر الله، ويفعل الخير، ولكن لا يقبل شيء من هذا إلا مع صدق النيَّة، والإخلاص لله تبارك وتعالى، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، فلا يقبل عمل بلا إخلاص، كل

(١) سبق تخريجه صـ ١٤٤.

(٢) متَّفقٌ عليه: البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

(٣) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٣٧٥).

QaradawiBooks.com

النَّاس هلكى إلا العالمين، والعالمون هلكى إلا العاملين، والعاملون هلكى إلا المخلصين، فالإخلاص عمل قلبي، ولذلك بدأ الإمام البخاري جامعه الصحيح بهذا الحديث: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دُنْيا يُصيبها، أو امرأةٍ يتزوَّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[1]. فلا يقبل عمل إلا بنيَّة، قد يؤدي الإنسان العمل في الظاهر، ولا ينال عليه أي أجر، إذا لم تصحبه النيَّة الصادقة الخالصة لله تبارك وتعالى، وهذا ما جعل السلف رضوان الله عليهم يخافون من أعمالهم ألَّا تقبل، خشية ألَّا يتوافر فيها عنصر النية والإخلاص، وقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. أهم الَّذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يا بنت الصِّدِّيق، ولكنَّهم الَّذين يصومون ويُصَلُّون ويتصدَّقون، وهم يخافون ألَّا تُقْبَلَ منهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾**»[2]. أي هم يؤتون ما آتوا من الصالحات، ومع هذا يخشون ألَّا يقبل الله تعالى منهم، وهذا هو الفرق بين المؤمن والمنافق؛ فالمنافق يعمل السيئات ويقول: أطمع أنْ يُغفر لي. والمؤمن يعمل الحسنات ويقول: أخشى ألَّا يُقبل مني. وحكى الله عن اليهود فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]. هذا هو الخطر، وجاء عن بعض السلف أنَّ أحد

(١) سبق تخريجه صـ١٤٤.

(٢) رواه أحمد (٢٥٢٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في التفسير القرآن (٣١٧٥)، وابن ماجه في الزهد (٤١٩٨)، والحاكم في التفسير (٣٩٣/٢)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٣٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

تلاميذه عاده في مرض موته فوجده يبكي بكاءً شديدًا، فقال له: لِمَ تبكي؛ وقد صنعت وصنعت، وفعلت وفعلت؟ فقال: وما يدريني أنَّ شيئًا من هذا قد قُبِل مني؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. فليس المهم أنْ تؤدِّي العمل فقط، ولكن المهم أنْ يقبل منك، والله لا يتقبل إلا من المتقين، والتقوى محلها القلب كما قال النبي ﷺ مشيرًا إلى صدره: «**التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا**»[(١)]. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. ولهذا يقول ابن عطاء الله في حكمه: ربما فتح الله لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قدَّر عليك المعصية فكانت سببًا في الوصول؛ معصية أورثت ذُلًّا وانكسارًا خير من طاعة أورثت عُجْبًا واستكبارًا[(٢)]. فهو يشير إلى عمل القلوب، فعمل القلوب مهمّ لأنَّه هو الَّذي يقف وراء الأعمال الظاهرة، فإذا لم يقف وراءها لم تكن لهذه الأعمال قيمة، كما هاجر أحدهم مع المهاجرين، ولكنَّه هاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه، هاجرت أم قيس، وكان يحبها، فقال: ما معنى العيش من دونها؟ وهاجر وراءها، فسمَّاه الصحابة مهاجر أم قيس، فهذا لم يهاجر لله، فلا بدَّ من وجود النيَّة، لأنَّه أساس قبول العمل.

بل أحيانا يعمل الإنسان عملًا ناقصًا فتأتي النية الصالحة فتُكمِّله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) (٣٢)، عن أبي هريرة.

(٢) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق صـ٢٢٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد يعمل الإنسان عملًا فلا يصيب موقعه الصحيح، ولكن بركة النيَّة تصحح له الخطأ، كما جاء في الحديث: «**قال رجلٌ: لَأتَصدَّقَنَّ الليلةَ بِصدَقةٍ. فخرجَ بِصدقتِه فوَضَعَها في يدِ سارِقٍ، فأصْبحُوا يَتحدَّثُون: تُصُدِّقَ الليلةَ على سارِقٍ. فقال: اللهُمَّ لكَ الحمدُ، على سارِقٍ! لَأتَصَدَّقَنَّ الليلةَ بِصدَقةٍ. فخرجَ بِصدَقتِه فوضعَها في يدِ زانيةٍ، فأصبحُوا يَتحدَّثُونَ: تُصُدِّقَ الليلةَ على زانيةٍ. فقال: اللهُمَّ لكَ الحمْدُ، على زانيةٍ! لَأتَصدَّقَنَّ الليلةَ بِصدَقةٍ. فخرجَ بِصدَقتِه فوضعَها في يدِ غنيٍّ، فأصبحُوا يَتحدَّثُونَ: تُصُدِّقَ الليلةَ على غَنِيٍّ. فقال: اللهُمَّ لكَ الحمدُ، على سارِقٍ، وعلى زانيةٍ، وعلى غنيٍّ. فأُتِيَ، فقِيلَ لهُ: أمَّا صدَقَتُكَ على سارقٍ فلعلَّهُ أنْ يَستَعِفَّ عن سرِقَتِه، وأمَّا الزّانيةُ فلَعلَّها أنْ تَستعِفَّ عن زِناها، وأمَّا الغنيُّ، فلَعلَّهُ أنْ يَعتبِرَ فيُنفِق مِمَّا أعْطاهُ اللهُ**»[(١)]. فبركة النيَّة صحَّحت له ما وقع من قصور في أداء العمل.

وقد يُكتب للإنسان أجر العمل وهو لم يعمل فيه شيئًا ببركة نيَّته، إذا كان له حظّ من الليل، يقوم في الليل ليصلي، ثمَّ غلبته عيناه يومًا، قال النبيُّ ﷺ: «**مَن أتى فِراشَه وَهوَ ينوي أنْ يقومَ يُصَلِّي منَ اللَّيلِ، فغلَبتهُ عيناهُ حتَّى أصبحَ، كُتِبَ لَه ما نَوى، وَكانَ نومُهُ صدقةً عليهِ من ربِّهِ ﷻ**»[(٢)]. وجاء في الحديث الآخر: «**إذا مَرِضَ العبدُ، أو سافر، كُتِب له مثلُ ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٥٨.

(٢) رواه النَّسائي في قيام الليل (١٧٨٧)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٤٤)، وابن خزيمة في الصلاة (١١٧٢)، وابن حِبَّان في قيام الليل (٢٥٨٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده جيد. وصحَّحه الألباني في الإرواء (٤٥٤)، عن أبي الدرداء.

(٣) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٩٦)، عن أبي موسى الأشعري.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهناك أعمال يجدها الإنسان يوم القيامة ولم يعملها من قبل، كما ورد في الحديث الَّذي رواه الترمذي عن أبي كبشة الأنماري، أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّما الدُّنيا لأربعة نفر: عبدٍ رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتَّقي فيه ربَّه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا فهو صادق النِّيَّة يقول: لو أنَّ لي مالًا لعملت بعمل فلانٍ فهو بنيَّته، فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا، فهو يَخْبِطُ في ماله بغير علمٍ لا يتَّقي فيه ربَّه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأخبثِ المنازل، وعبدٍ لم يرزقه اللهُ مالًا ولا علمًا فهو يقول: لو أنَّ لي مالًا لعملتُ فيه بعمل فلان فهو بنيَّته فوزرهما سواء**»[(١)]. فهذا الَّذي كتب الله له مثل أجر صاحبه قد عرف الله صدق نيَّته، فليس الأمر بمجرَّد الكلام، هذا يدلُّنا على قيمة النيَّة، ومن هنا كان عمل القلب أهم من عمل الجارحة.

عمل القلوب هو أساس الإيمان، وقد جاء في الحديث الَّذي رواه الإمام أحمد: «**الإسلام علانية، والإيمان في القلب**»[(٢)]. حقيقة الإيمان في القلب، ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٤]، الإيمان الحقيقي محله القلب، وأعمال الدين الأساسية كلها أمور قلبيَّة: الإخلاص لله، والحياء من الله، والرجاء في رحمة الله، والخوف

(١) رواه أحمد (١٨٠٣١)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٢٥)، وقال: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٣٥)، عن أبي كبشة الأنماري.

(٢) رواه أحمد (١٢٣٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في الإيمان والرؤيا (٣٠٩٥٥)، وأبو يعلى (٢٩٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٠): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجاله رجال الصحيح، ما خلا علي بن مسعدة، وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم وابن معين، وضعفه آخرون. عن أنس.

QaradawiBooks.com

من عذاب الله، والتوكل على الله، والأمل فيما عند الله، والمحبة لله، والشوق إلى الله، والصبر على قضاء الله، والرضا به، والشكر لله على نعمائه، ما نسمِّيه مقامات كلها أعمال قلبيَّة، فعمل القلب في الحقيقة هو أساس الدين.

ولا بدَّ بالطبع أن تترجم أعمال القلوب إلى أعمال ظاهرة، ولا بدَّ من تطهير القلوب من أدران الشرك والمعاصي، لهذا كانت التزكية من مهمَّة النبي ﷺ، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

وكما أنَّ أعمال القلوب في ناحية الطاعة هي الأساس، وهي الثقيلة في الميزان، والحبية إلى الرحمن، فإن من أخطر الأشياء معاصي القلوب، هناك المعاصي الظاهرة، معاصي الجوارح، وهناك معاصي القلوب، ومعظم النَّاس للأسف لا يهتمون إلا لمعاصي الجوارح، الزنا، وشرب الخمر، وعدد محدود من المعاصي يركز النَّاس عليه فقط، وقد تجد بعض النَّاس يصلي، ويصوم، ويحج، ويعتمر، ولكن قلبه والعياذ بالله مليء بمعاصٍ موبقة مهلكة، الكِبْر، والغرور، والإعجاب بالنفس، والرياء، والحقد، واليأس من رَوْح الله، والأمن من مكر الله، سمَّاها الإمام الغزالي «المهلكات»، أخذًا من حديث: «**ثلاث مُهْلِكَات: شحٌّ مطاعٌ، وهوًى متَّبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[1]. وفي الحديث: «**دبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم: الحسدُ والبغضاء، والبغضاءُ هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشَّعرَ. ولكن تحلق الدِّين**»[2]. وفي الحديث: «**لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كِبْر**». قال رجل: يا رسولَ الله؛ إنِّي أحبُّ أنْ يكون نعلي حسنًا، وثوبي

(١) رواه البزار (٦٤٩١)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٦٥٤): هو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إنْ شاء الله تعالى. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس.

(٢) سبق تخريجه صـ١٤٦.

QaradawiBooks.com

حسـنًا؛ أهذا من الكبر؟ قال: «**لا، إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، الكِبْرُ بَطَر الحقِّ، وغمط الناس**»[١]. الكبر أنْ تردَّ الحقَّ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، وغمط النَّاس يعني احتقارهم، وفي الحديث: «**بحَسَبِ امرئٍ من الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاه المسلم**»[٢]. أي يكفيه من الشر أنْ يحقر أخاه المسلم، كلها معاصي القلوب، وللأسف معظم معاصي المتدينين وعلماء الدين هي معاصي القلوب، بعضهم يعمل أعمالًا كبيرة، لكنها لا تساوي شيئًا إذا ضيَّعها بحبِّ الجاه، أو حُبّ المَحْمَدَة، أو حُبّ الشُّهرة.

وفي حديث مسلم عن أبي هُرَيْرة: «**إنَّ أوَّلَ النَّاس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد فأُتيَ به فعرَّفه نعمَه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتَّى استشهدت. قال: كذبتَ؛ ولكنَّكَ قاتلتَ لأنْ يقال: هو جريء؛ فقد قيل. ثمَّ أمر به فسُحبَ على وجهه حتَّى ألقي في النَّار، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن فأتي به فعرَّفه نِعَمَه فعَرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلمَ وعلَّمتُه وقرأتُ فيك القرآنَ. قال كذبتَ؛ ولكنَّكَ تعلَّمْتَ ليُقال: عالم، وقرأتَ القرآنَ ليُقال: هو قارئ؛ فقد قيل. ثمَّ أمر به فسُحِبَ على وجهه حتَّى أُلْقِيَ في النَّار، ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرَّفه نِعمَه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلَّا أنفقت فيها لك. قال كذبت؛ ولكنَّك فعلت ليقال: هو جوَاد؛ فقد قيل. ثمَّ أمر به فسُحبَ على وجهه، ثمَّ أُلْقِيَ في النَّار**»[٣]. فهؤلاء يكذبون على الله، وهذه مشكلة أنْ تقوم بالأعمال الظاهرة والنيَّة مدخولة، فلا بدَّ من تصحيح النيَّات، ولذلك كان بعض

(١) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٦٤٤)، عن ابن مسعود.

(٢) سبق تخريجه صـ٦٨١، وفيه: «التقوى هاهنا».

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٥)، وأحمد (٨٢٧٧).

QaradawiBooks.com

السلف يقول: طوبى لمن صحَّت له خطوة لا يريد بها إلا وجه الله تعالى. وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه: سئل رسول الله ﷺ: إنَّ الرجل يقاتل ليُرى مكانُه، والرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل حميَّة؛ فأيُّهُم في سبيل الله؟ فأجاب النبيُّ ﷺ بجواب جامعٍ فقال: «**مَنْ قاتلَ لتكون كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[1]. فليس كلُّ مَنْ حمل السلاح، ولا كلُّ من وقف بين الصُّفوف يكون مجاهدًا في سبيل الله، فعمل القلب أهم من عمل الجارحة، سواء في جانب الطاعات أو في جانب المعاصي، فمن المهم جدًّا أنْ يفتش الإنسان عن دخيلة نفسه بميكروسكوب، لأنَّ الإنسان كثيرًا ما تخدعه نفسه، يظن أنَّه يعمل في طاعة، بينما هو يعمل لأهوائه، ولذلك قد يُطلب منه أمران كلاهما طاعة فيعمل أحدهما ويتخلَّى عن الآخر، وقد يغتاب أحد النَّاس ويتأول لذلك بأنه من أجل الإسلام، مع أنَّه يعرف واحدًا آخر مثله تمامًا ولا يتكلَّم عنه بكلمة، إذًا المسألة مسألة هوى، فلا بدَّ من التفتيش في دواخل النفس عن معاصي القلوب.

وبالرغم من أن عمل القلب أهم من عمل الجارحة إلا أنَّ تحصيل الكمال فيهما مطلوب شرعًا كما قال الإمام الشهيد. فليس معنى أهمية عمل القلب أنْ نترك عمل الجوارح، وليس كما يقول بعض العوام: المهم طهارة القلوب. لا، بل لا بدَّ من أداء الفرائض، وإقامة الشَّعائر، وتعظيم أمر الله عزَّ وجلَّ.

أو كما يقول بعض الصوفية: لقد وصلنا إلى مرتبة لم يعد مطلوبًا منا فيها أمر ولا نهي، سقط عنا التكليف، لأنَّ اليقين قد أتانا، والله يقول: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]! وهذا تضليل ومسخٌ للمعنى القرآني، لأنَّ المراد باليقين هنا الموت، كما في قوله:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١٢٦)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤).

QaradawiBooks.com

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٤٦، ٤٧]، أي حتَّى أتانا الموت، ولذلك ظل النبي ﷺ يعبد الله إلى آخر حياته، وفي مرض الموت خرج ليصلي، ولما لم يستطع أنْ يؤمَّ النَّاس قال: «**مُرُوا أبا بكر فلْيُصَلِّ بالنَّاس**»[١]. فليس هناك مُكلَّف تسقط عنه العبادة إطلاقًا.

ولا كما يقول بعض الفلاسفة أيضًا: جاء الدين ليُهذِّب العوام، شرع الفرائض وألزم بها لكي تأخذ بنواصي العوام إلى مكارم الأخلاق والفضائل، ونحن مستغنون عن هذا. وليس هناك أحد أعلى من أنْ تُطلَب منه إقامة شعائر الله، وأداء فرائضه، كل النَّاس ـ من أعلى فيلسوف إلى أدنى أُمِّيٍّ في قرية من القرى، أو بادية من البوادي ـ مأمورون ومنهيُّون، فلا بدَّ من أداء العمل الظاهري كالعمل الباطني، وعمل الجوارح كعمل القلوب، فتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعًا، فالصَّلاة مثلًا لا بدَّ أنْ يؤدِّيها الإنسان بما لها من شروط، من طهارة الثوب والبدن والمكان، والطهارة الصغرى بالوضوء، والطهارة الكبرى بالغسل، واستقبال القبلة، وستر العورة، ويسبغ وضوءها، ويتم ركوعها وسجودها، وكل ما هو مطلوب لها، وبجوار هذا أيضًا يحقق الخشوع فيها، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، فروح الصلاة هو الخشوع، ولا فلاح إلا به، وأساسُ الخشوع خشوع القلب، «لو خشع قلبُ هذا لخشعت جوارحُه»[٢]، فتحصيل الكمال في عمل القلب وعمل الجارحة مطلوب شرعًا، وإن اختلفت مرتبتا الطلب، لأنَّه كما قلنا: عمل القلب أكثر إلحاحًا من عمل الجارحة، لأنَّه أساس القبول عند الله تبارك وتعالى.

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٤)، ومسلم في الصلاة (٤١٨)، عن عائشة.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في صلاة التطوع (٦٨٥٤)، عن سعيد بن المسيب من قوله.

QaradawiBooks.com

(الأصل الثامن عشر)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والإسلام يُحرِّر العقل، ويحثُّ على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويُرَحِّب بالصالح والنافع من كلِّ شيء، والحكمةُ ضالَّةُ المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها**»[1].

أراد الإمام الشهيد بهذا الأصل تحديد الموقف من العقل والعلم، ومن التطور، ومن الاقتباس، ومن الآخرين، ومما يسمَّى القديم والجديد، أو الأصالة والمعاصرة، ونحوهما.

جاء الإسلام دينًا يحرِّر العقل من أسْر التقليد، ومن أسْر الخرافة، ومن أسْر اتِّباع الظنون والعواطف والأهواء، يريد الإسلام العقل الحر، تحرير العقل الإنساني.

كان الإنسان قد وقع أسيرًا للخرافات الشركية الَّتي انحطَّت بعقله، بحيث عبد ما هو في الأصل مخلوق للإنسان، ومُسَخَّر له، عبدَ الطبيعة، وعبدَ الأشجار، وعبدَ الكواكب، وعبدَ الأنهار، وعبدَ الأبقار، وعبدَ الأصنام، وعبدَ الأوهام، وعبدَ البشر، فجاء الإسلام يحرر العقل من هذا.

وجاء الإسلام ليُحرِّر العقل من الجمود، ومن التقليد الأعمى، سواء كان تقليد الآباء والأجداد، وهو الأمر الَّذي وقف عقبة في سبيل الأنبياء والرسل جميعًا، ﴿أَنَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود: ٦٢]، هذه هي القضيَّة، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣، ٢٤]،

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٨، ٣٥٩، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

QaradawiBooks.com

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، والقرآن مليء بهذا النوع من الإنكار على اتباع الآباء والأجداد، فقد يكونون على هدى، وقد يكونون على ضلال، فهل يُتبعون إذا كانوا على ضلال؟! وحتى إذا كانوا على هدى فجاءهم رسولهم بما هو أهدى سبيلًا، فينبغي على الإنسان العاقل أنْ يتَّبع ما هو أهدى، فكيف يتَّبع الضَّلال ويدع الهدى؟! من أجل هذا حمل القرآن على تقليد الآباء والأجداد.

كما حمل القرآن على تقليد الكبراء والسادة المطاعين، من الرؤساء والسلاطين، وشيوخ القبائل، وكل مَنْ له زعامة في الناس، فقد كان هذا أيضًا آفة من الآفات، وقد نعى القرآن على هذا في عدد من سوره، في مواقف القيامة بين الأتباع والمتبوعين، أن كل طائفة تحاول أن تلقي التَّبعة على الأخرى، المتبوعون يتبرَّؤون من التابعين، والتابعون يلقون اللوم على المتبوعين، ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨]، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۞ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩]، فلم يعفِ التابعين من المسؤوليَّة، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧]، وفي سورة سبأ أيضًا: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ

QaradawiBooks.com

﴿ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣]، وهكذا، فالقرآن يريد من هذه المحاورات يوم القيامة أنْ يثبت أنَّ أحدًا لا ينفع أحدًا، وأنَّ طاعة الكبراء، والسير في ركابهم، وإلقاء الزمام إليهم لا يعفي الإنسان من المسؤوليَّة، فلا بدَّ أنْ يستعمل الإنسان عقله، أمَّا أنْ يفكر بعقله غيره، ويظن أنَّه بهذا ناجٍ فهيهات هيهات، فقد خلق الله العقول لتفكر، لا لتُطمس، لا لتُلغى، ولا لتُجمَّد، وتدع غيرك يُفكر لك، تدع الأموات يحكمون فيك، مثل الَّذين يحكم فيهم أجدادهم الَّذين ماتوا من قرون، ولا تدع الكبراء يقودونك كما تقاد البهيمة من آذانها، وكما قال ابن الجوزي: لا يُحمد، ولا يَجمُل بمن أعطاه الله شمعة أنْ يطفئها ويمشي في الظُّلمة[1]. كذلك مَنْ أعطاه الله العقل لا يجوز أنْ يطفئ شمعته، ويمشي في ظلمة التقليد، ومن هنا رفض الإسلام التقليد، سواء كان تقليد الآباء والأجداد، أو تقليد السادة والكبراء.

وكذلك رفض الإسلام تقليد الجمهور، تقليد العامة من الناس، فبعض النَّاس يمشي مع النَّاس كما حكى أحمد شوقي في مسرحيته الشعرية (مجنون ليلى)، على لسان بِشر، أحد أبطال القصة:

أحِبُّ الحسينَ ولكنَّمَا لساني عليه وقَلْبِي مَعَهْ!
حَبَسْتُ لسانيَ عن مَدْحِهِ حِذَارَ أميَّةَ أن تَقْطَعَهْ
إذا الفتنةُ اضطرمتْ في البلاد ورُمْتَ النجاةَ فكُن إمَّعةْ[2]!

(١) تلبيس إبليس صـ٧٤، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (المسرحيات) صـ١١٢، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

وهذا ما حذَّر منه الحديث: «**لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إنْ أحسن النَّاس أحسنَّا، وإنْ ظلموا ظلمنا، ولكنْ وَطِّنوا أنْفُسَكم، إنْ أحسن النَّاس أنْ تُحْسِنوا، وإنْ أساؤوا فلا تظلموا**»[(١)]. فجاء الإسلام يُحرِّر العقل الإنساني من أسر هذا التقليد، وأوجب على الإسلام أنْ يفكر بعقله، ولا يدع غيره يفكر له، فهذا أمر مهم.

كما حرَّر الإسلامُ العقل أيضًا من اتِّباع الظنون في موضع اليقين، هناك أشياء يُطْلب فيها اليقين، ولا يكفي فيها الظن، ولا التخمين، ولا الوهم، ولا الشك، بل لا بدَّ أنْ تصل إلى اليقين، هناك مراتب للإدراك، منها إدراك الشيء إدراكًا لا يحتمل النقيض، وهو ما يسمَّى اليقين، ومنها إدراك الشيء إدراكًا راجحًا، بحيث يحتمل النقيض احتمالًا خفيفًا، وهو ما يسمَّى الظن، ومنها إدراك الشيء بحيث يحتمل نقيضه احتمالًا متساويًا، وهو ما يسمَّى الشَّك، ومنها إدراك الشيء بحيث يحتمل نقيضه احتمالًا قويًّا، وهو ما يسمى الوهم، وفي أمور العقائد لا بدَّ أن تؤسَّس على اليقين، ولذلك ذمَّ القرآن المشركين بقوله: ﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا**﴾ [يونس: ٣٦]، ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا**﴾ [النجم: ٢٨]. وكذلك قال عن النصارى في مسألة قتل المسيح: ﴿**مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا**﴾ [النساء: ١٥٧]. فاتباع الظن في أمور العقائد لا يغني كما جاء في الحديث المتَّفق عليه: «**إيَّاكم والظَنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث**»[(٢)]. فلا بدَّ من اليقين.

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٧)، وقال: حسن غريب. والبزار (٢٨٠٢)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧١)، عن حذيفة بن اليمان. ولكنَّه يتماشى مع القواعد العامة والمبادئ الكليَّة في الإسلام.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الفرائض (٦٧٢٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقد ذكرت في بعض ما كتبت: أن أهم ما جاء به القرآن: إنشاء العقليَّة العلميَّة، وذلك أهم من الجري وراء مسألة الإعجاز العلمي، والطرائف والمُلَح الَّتي تُذكَر في هذا الجانب، وتفسير الآيات القرآنية على أنَّها تشير إلى حقائق علمية، وإلى كذا، أن ننتبه إلى أنَّ القرآن يؤسِّس العقلية العلمية، لأنَّنا في الواقع لا نقول هذا إلا بعد أنْ تكتشف الحقائق العلمية، حينها نقول: أشار القرآن إلى كذا. ولكن نحن لم نعرفها، ومن هنا كان الأهم من هذا، لكي نفيد الفرد المسلم، والمجتمع المسلم، والمجتمع الإنساني ـ أن ننشئ العقلية العلمية، في مقابل العقلية العامية، أو العقلية الخرافية، تلك الَّتي تقبل أي شيء، وتصدِّق أي شيء، ولا تفكر تفكيرًا علميًّا، وقد ذمَّ الله المشركين بقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

لهذا حرص القرآن على أنْ ينشئ العقليَّة العلميَّة، الَّتي ترفض التقليد، وترفض اتِّباع الظنون، وترفض اتِّباع الأهواء والعواطف، العقليَّة الَّتي تتفكر، وتتدبَّر، وتنظر، ولذلك يقول القرآن: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ﴾ [ق: ٦]، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ [الغاشية: ١٧]، لا يوجد كتابٌ في الدنيا يأمر الإنسان بالنظر والتفكر كالقرآن الكريم، ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، هذه الفواصل القرآنية بالعشرات تدلُّ على أنَّه لا بدَّ من عمل العقل، ولذلك كان القرآن هو الكتاب الوحيد الَّذي ينوِّه بأولي الألباب، أي أصحاب العقول، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨]، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩]، فالتنويه بأصحاب

QaradawiBooks.com

العقول هو ما جاء به القرآن، فهو يريد الإنسان صاحبَ اللبّ، صاحبَ العقل، ويدعو إلى التفكُّر في كل شيء، التفكُّر في خلق السماوات والأرض، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وفي خلق الأنفس، ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، وفي تاريخ الأمم، ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، النظر في التاريخ، والنظر في الكون، والنظر في الإنسان، كل هذا دعا إليه القرآن، بل قال الله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]. فكل ما خلق الله من شيء هو موضع للنظر، فالإسلام يدعو إلى التفكر، وخاصة التفكير البعيد عن العقل الجماعي، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [سبأ: ٤٦]. ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾: أي مخلصين في طلب الحقيقة، ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾: أي يجلس الإنسان إلى صديق له، يأنس له، ويطمئن إليه، فيتحاوران في هدوء، أو يخلو هو إلى نفسه يفكر تفكيرًا هادئًا، بعيدًا عن تأثير العقل الجمعي، معروف في علم النفس أنَّ العقل الجمْعي يدفعُ الإنسان إلى أمر لم يكن ليفكر فيه لو كان منفردًا، وهذا أمر قد يستغله الزعماء، فيدفعون الجماهير إلى أشياء يريدونها هم، مجموعة صغيرة تُخطِّط، ثمَّ تخرج في مظاهرة، فيضرب أحدهم حجرًا، وتتبعه الجماهير، أو يهتف فتهتف الجماهير من خلفه، وأحيانًا يتورَّط الإنسان في أشياء بسبب العقل الجمْعي، من باب المجاملة، أو الخوف، أو الطمع، أو المحاكاة، أو المشاركة الوجدانيَّة، أو المشاركة العمليَّة، وهذا هو الخطر، لكن الإنسان بمفرده، أو مع واحد آخر، قد يفكر تفكيرًا هادئًا بعيدًا عن

QaradawiBooks.com

تأثير الآخرين، وعن الضغط الخارجي، من هنا قال القرآن: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾.

ويكفي في الدلالة على قيمة العقل في الإسلام أنَّه جعلَ من مهمَّته إثبات أكبر حقيقتين من حقائق الوجود: إثبات وجود الله تبارك وتعالى، وإثبات النبوة. فإثبات وجود الله يكون بالعقل، خاصَّة إذا كان الأمر في محادَّة مع ملحد أو منكر أو شاك، كيف تثبت له وجود الله؟ هل تقول له: قال الله تعالى: كذا. أو قال رسول الله: كذا؟ هو لا يؤمن بالله، ولا برسوله، فكيف تستدل له بما ينفيه وينكره؟ لا بدَّ أن تثبت له وجود الله بالعقل قبل كل شيء، حتَّى قبل أنْ تثبت النبوَّة لا بدَّ أن تثبت وجود الله، وإلا كيف تثبت رسالة، وهو لا يؤمن بالمرسل؟ فلا بدَّ أن تثبت المُرسل حتَّى تثبت الرَّسول، لا بدَّ أن تثبت وجود الله أولًا.

والإيمان بوجود الله فطرة، لكن في مواجهة المنكرين لا بدَّ أن تقيم الدليل، وتستدل بالصنعة على الصَّانع، وبالخلق على الخالق، وكما قال الأعرابي قديمًا: البعرة تدلُّ على البعير، والسَّير يدلُّ على المسير، فكيف بسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدلُّ ذلك على العَليِّ القدير؟ فإثبات الحقيقة الكبرى ـ وجود الله ـ يكون بالعقل.

ثم يأتي بعد ذلك إثبات النبوة، لا بدَّ أنْ يثبت العقل أنَّ الله تعالى لا يدع عباده هملًا، ولا يتركهم سُدى، لا بدَّ أنْ يبعث إليهم من يدلُّهم على الطريق، ويرشدهم إلى الله ﷻ، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، فهذا داخل في الحكمة الإلهيَّة، والرحمة الإلٰهية.

QaradawiBooks.com

ولكي نثبت أنَّ فلانًا هذا رسول من عند الله نحتاج إلى بيِّنة، الَّتي يسمِّيها العلماء «المعجزة»، ويسمِّيها القرآن «البينات»، أو «الآيات»، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤]، فإثبات النبوة لا يدلُّ عليه إلا العقل، وهذا ما جعل علماء المسلمين يقولون: إنَّ العقل أساس النقل. بمعنى أنَّ النبوة الَّتي جاءت بالنقل أساس إثباتها العقل، نستدل ابتداءً على أنَّ هذا نبي بالعقل، لا بالنقل، ما الدليل على أنَّ محمَّدًا رسول الله، أو أنَّ موسى رسول الله، أو عيسى رسول الله؟ لا بدَّ أنْ يعرف النَّاس ذلك بعقولهم، بأشياء يقطع العقل بأنها لا تصدر إلا عمَّن يتكلم باسم الله ﷻ، عمَّن هو مُؤيَّد ومُرسَل من الله ﷻ، أنَّ هذا القرآن لا يمكن أنْ يكون من عند محمد، لا يمكن أنْ يكون إلا من عند مَنْ هو أعظم من محمد، وهو خالق محمد، وخالق كل شيء، وهكذا، من هنا نقول: إنَّ العقل يدلُّ على الحقيقتين الكبريين، ومن هنا قال علماؤنا: إنَّ العقل أساس النقل. وما دام العقل أساس النقل فلا يُتصوَّر أنَّ العقل والنقل يتناقضان، وهذا ما سنعرض له في الأصل التاسع عشر، ولكن الَّذي يهمُّني أنْ أقوله هنا: إنَّ الإسلام يحرر العقل، يحرره من الخرافة، ويحرره من التقليد، ويحرره من الأوهام، ويهدي هذا العقل للعلم، يفرض عليه أنْ يطلب العلم، وينتفع به، من هنا حثَّ الإسلام على النظر في الكون، ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

لهذا اعتبر الإسلام طلب العلم فريضة، ومن العلم ما هو فريضة عينيَّة، ومنه ما هو فريضة كفائيَّة، فلا بدَّ أنْ يتعلم الإنسان من علوم الدين ما يُصحِّح به عقيدته، ويضبط عبادته، ويُقوِّم سلوكه، ويقف به عند حلال الله وحرامه، ويعرفه بأمر الله تعالى ونهيه، فطلب العلم في الأمور

QaradawiBooks.com

الأساسية فريضة، ينبغي أنْ يعرف الأساسيات أولًا، ثمَّ بعد ذلك إذا عرضت له قضيَّة يسأل فيها، كلما عرض له شيء معين يستوجب أنْ يتعلمه تعلمه، إذا أصبح عنده مال فيجب أنْ يعرف كيف تكون زكاته؟ إذا كان تاجرًا يعرف زكاة التجارة، وإذا كان صاحب إبل وبقر وغنم يعرف زكاة الحيوانات، وإذا أراد أنْ يحج يعرف الأحكام الأساسية في الحج، وهكذا، هذا العلم العيني.

وأمَّا العلم الكفائي فهو العلم الَّذي يحتاج إليه الناس، كالذي يتعلم ليعلم الناس، ويفقههم، ويفتيهم، لا بدَّ أنْ يكون في المسلمين مَنْ يعلِّمهم ويفتيهم، وينذرهم، ولذلك أنكر القرآن أنْ يخرج المسلمون كلهم للجهاد ولا يخرج منهم أحد للتفقه وطلب العلم، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وهذا ليس خاصًّا بعلوم الدين بل علوم الدنيا تدخل في ذلك أيضًا، كل علم يحتاج إليه النَّاس في دنياهم فواجب على المسلمين أنْ يتعلَّموه ويتقنوه حتَّى لا يكونوا عالة على غيرهم، هذا ما قرَّره الفقهاء والأصوليون من المسلمين، أنَّ تعلُّم علوم الدنيا، ـ مثل علم الطب، والهندسة، والحساب، وغير ذلك ـ يدخل في فروض الكفاية، لأنَّ فروض الكفاية هي الَّتي لا تقوم الجماعة إلا بها، وإذا قام بها عددٌ كافٍ سقط الإثم والحرج عن الباقين، وإذا لم يقم بها أحد أثمت الأُمَّة، وللأسف ـ كما يقول فضيلة الشيخ الجليل محمد الغزالي ـ معظم المسلمين إذا ذُكر فرض الكفاية لا يخطر ببالهم إلا صلاة الجنازة[1]! مع

(١) انظر: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية للشيخ محمد الغزالي صـ٢٨، ضمن سلسلة: كتاب الأمة، نشر رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ.

QaradawiBooks.com

أنَّ فرض الكفايــة يتعلق بكل ما تحتاج إليه الأمَّــة، العلوم والصناعات تدخل كلها في فروض الكفاية، فيجب على المسلمين أنْ يكون عندهم عدد كافٍ مــن الأطباء، ومــن المهندســين، ومــن الكيميائيين، ومن الفيزيائيين، ومن التكنولوجيين، ومــن كل ناحية ما يغنيهم عن غيرهم، هذا ما ينبغي الالتفات إليه، كل العلوم الدنيوية والفنية الَّتي يحتاج إليها النَّاس يجب أنْ يكون في المســلمين عدد كافٍ يشتغل بها بحيث يكون قادرًا على أنْ يسدَّ الثغرات، ويلبِّي الحاجات، ويغطِّي كل ما تحتاج إليه الأمة، وإلا كانت للأسف عند الأمة حاجات لا تُغطَّى، وثُغرات لا تُسد، وهذا ما عاب عليه الإمام الغزالي أهل زمنــه، أنَّ البلد الواحد قد يكون فيه خمســون فقيهًا، ولا يوجد فيه إلا طبيب من أهل الذمَّة، وهو الَّذي يُرجَع إليه في بعض الأحكام الشــرعيَّة، لأنَّ من أحكام الشرع ما يتعلَّق بالطب، فلا بدَّ أنْ يوجد الأطباء من المسلمين، وبدل أنْ يفحص المرأة المسلمة طبيب كافر يفحصها طبيب مسلم، بل الأفضل أنْ تفحصها طبيبة مســلمة، ومعنى هذا أنَّه لا بدَّ أنْ يوجد في المسلمات أيضًا عدد يكفي في مجالات معينة، ولذلك أجمع المسلمون على أنّ طلب العلم فريضة على كل مســلم ومســلمة، صحيح أن لفظ الحديث هــو: «**طلب العلم فريضةٌ على كلِّ مســلم**»[1]. لكن المقصود كلُّ إنسان مسلم، فهو يشمل الذكر والأنثى، فالإســلام يُحَرِّر العقل، ولا يوجد ديــن حرَّر العقل كما حرَّره الإسلام، ويحثُّ على النظر في الكون.

والإسلام يرفع قدر العلم والعلماء، يكفي أنْ تقرأ عن فضل العلم في القرآن الكريم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. تشــمل

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٣)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

هذه الآية كلَّ علم، لأنَّها تقارن بين العالم والجاهل، لم تقل: ماذا يعلم؟ المفعول به هنا محذوف، قالوا: يُنزَّل الفعل المتعدي هنا منزلة الفعل اللازم. فليس المقصود هنا تعلق العلم بشيء معيَّن، ولكن المقصود: مَنْ يعلم ومَنْ لا يعلم، العالم والجاهل، هل يستوي هذا وذاك؟ لا يستويان، وأحيانًا يُعبر عن هذا بقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ [فاطر: ١٩، ٢٠]. كما قال تعالى أيضًا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فبدأ الله تعالى بنفسه، وثنَّى بملائكته، وثلَّث بأولي العلم، اعتبر شهادتهم لها وزنها في هذا المقام، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، إلى آخر ما جاء في القرآن الكريم، وفي الأحاديث، الكثير والكثير، ولذلك لا تكاد تخلو كتبُ السُّنَّة من كتب وأبواب في شأن العلم، وفضل العلم، والحث على التعلم، إلى آخره، ومن هذه الكتب كتبت كتابي «الرسول والعلم»، لأنَّه بحث عن العلم في ضوء السُّنَّة النبويَّة، فالإسلام يرفع قدر العلم والعلماء.

كما يرحِّب الإسلام بالصَّالح النافع من كل شيء، سواء كان قديمًا أو جديدًا، من عندنا أو من عند غيرنا، ولهذا استشهد الإمام البنَّا بالحديث الَّذي رواه ابن ماجه: «**الحكمة ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها**»[1]. صحيح أنَّ الحديث ضعيف السند، ولكن معناه صحيح، ومعناه متَّفق عليه، فعلًا حيث وجد الإنسان الحكمة أخذها، ولذلك قال

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، عن أبي هريرة، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي (٥٠٦). ولكن معناه صحيح بالإجماع.

QaradawiBooks.com

النبي ﷺ: «**أصدقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمة لَبِيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل**»[١]. وهذه القصيدة قالها لبيد في الجاهليَّة قبل أنْ يُسلم، لكنَّها كلمةُ حقٍّ، فنحن نأخذ الحكمة من أيِّ وعاءٍ خرجت.

وقد روى أبو داود عن معاذ رضي الله عنه قوله: «أُحَذِّركم زَيْغة الحكيم، فإنَّ الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحقِّ». قال: قلتُ لمعاذ: ما يُدريني رحمك اللهُ أنَّ الحكيم قد يقول كلمة الضلالة وأنَّ المنافق قد يقول كلمة الحقِّ؟ قال: «بلى، اجتنب من كلام الحكيم المُشْتَهِرات الَّتي يقال لها: ما هذه؟ ولا يَثْنينك ذلك عنه، فإنَّه لعلَّه أنْ يُراجِع، وتلقَّ الحقَّ إذا سمعتَه فإنَّ على الحقِّ نورًا»[٢]. قد يزيغ الحكيم فيقول كلمة الباطل، والمنافق قد يقول كلمةَ الحقِّ، فلو جاء الحقُّ من منافق نأخذه منه ولا يُهِمُّنا.

وكان الإمام عبد الله بن المبارك يسير في الطريق يومًا فسمع سكرانًا يتغنَّى ببيت شعر ويقول:

أذلّني الهوى فأنا الذليلُ ... وليس إلى الَّذي أهوَى سبيلُ

فأعجبه البيت، وعلى طريقة العلماء القدامى أنَّهم كانوا يدونون أي شيء يعجبون به، وهذه عادة طيبة، كلما سمع الإنسان بيت شعر، أو شيئًا لطيفًا دوَّنه، فأخرج ابن المبارك كراسته وسجل فيها هذا البيت، فقيل له: أتكتب بيت شعر سمعته من سكران؟! فقال لهم: أَمَا سمعتم

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٤١)، ومسلم في الشعر (٢٢٥٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو داود في شرح السُّنَّة (٤٦١١)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٦٠/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

المثل الَّذي يقول: رُبَّ جوهرة في مزبلة؟ قالوا: نعم. قال: فهذه جوهرة وجدتها في مزبلة[١]. وهكذا الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها.

والإسلام يرحِّب بالنافع الصالح من كل شيء، قديمًا كان أم جديدًا، في وقت من الأوقات كان النَّاس يقدسون القديم لمجرد قدمه، ولا يبالون بالجديد، ولذلك يقول أبو العلاء المَعَرِّي مُتَحَدِّيًا:

وإنِّي وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تَسْتَطِعْهُ الأوائلُ[٢]

انظر إلى قوله: وإن كنت الأخير زمانه. هذه جملة معترضة بين شرطتين، يعني إن كان الأصل أنَّ الجديد لا يساوي الأقدمين، لكن أنا بالذات سآتي بما لم يأتِ به الأوائل، كانت القاعدة المقررة عندهم أنَّ الأوائل لا يدانيهم أحد، ولذلك قال عنترة بن شداد:

هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ أَم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ تَوَهُّمِ[٣]

أي: أنَّ الشعراء ما تركوا قولًا مستصلحًا مستحسنًا إلا وقالوه.

وقال كعب بن زهير:

ما أَرانا نَقولُ إِلّا رَجيعًا وَمُعَادًا مِن قَولِنا مَكرورًا[٤]

فكانوا يرَوْن أن مَنْ مضوا أتوا بكل شيء، ولهذا قال بعضهم: ليس في الإمكان أبدع ممَّا كان. وقال آخرون: ما ترك الأول للآخر شيئًا.

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (٦/١٣٥، ١٣٦).

(٢) انظر: سقط الزند صـ١٩٣، نشر دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧م.

(٣) شرح ديوان عنترة بن شداد رواية الخطيب التبريزي صـ١٤٧، من معلقته، تحقيق مجيد طراد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

(٤) ديوان كعب بن زهير صـ٢٦، تحقيق علي فاعور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

ودافع بعضهم عن نفسه وقال: يا جماعة؛ ما تركة الأولون كان في وقته شيئًا جديدًا. وذكر صاحب «شرح القاموس» وغيره هذين البيتين:

قل لِمَنْ لا يرى المعاصر شيئًا ... ويرى للأوائل التَّقْدِيمَا
إنَّ ذاك القديم كان جديدًا ... وسيُمْسِي هذا الجديدُ قديمًا[1]

فما تعتبرونه قديمًا كان جديدًا في وقته، والجديد سيصبح قديم، هذا حينما كان النَّاس يعظمون القديم.

أمَّا الآن في عصرنا فقد أصبح الأمر بالعكس، أصبح النَّاس يعظِّمون الجديد، أمَّا القديم فهو دلالة عندهم على الرجعيَّة، والتأخر، وطبعًا القِدم والجِدَّة أمر نسبي، لأنَّ قديم اليوم كان جديد الأمس، وجديد اليوم سيصبح قديم الغد.

ثم إنَّ القِدم والجِدَّة لا علاقة لها بخيريَّة الأشياء أو شرِّيتها، وجود الشيء متأخرًا عن غيره في الزمن لا يجعل الثاني أفضل من الأول، ولا العكس، ولذلك يجب أنْ يُنظر إلى الأشياء في حدِّ ذاتها، بغضِّ النظر عن زمانها: هل تحتوي على حق أم باطل؟ هل تتضمَّن خيرًا أم شرًّا؟ هل فيها مصلحة أم مفسدة؟ أي يجب أن ننظر إليها نظرة موضوعيَّة، يجب أنْ يكون معيارنا: ما في الأشياء؟ وماذا تتضمَّن؟ أمَّا أنَّها قديمة أم جديدة فليس أمرًا ذا بال، ولذلك فالمهم أن نأخذ الصالح النافع من كل شيء.

وقد أعجبني أنَّ إخواننا في الهند ـ الشيخ أبا الحسن الندوي وجماعة ندوة العلماء ـ عندهم شعار يقول: نجمع بين الجديد النافع، والقديم الصَّالح. فنحن لا نرفض القديم لمجرَّد قِدمه، ولا نقبل الجديد لمجرَّد جِدته، المهم أنْ يكون قديمًا نافعًا، أو جديدًا صالحًا.

(١) تاج العروس شرح القاموس للزبيدي (٩٣/١)، نشر دار الهداية.

QaradawiBooks.com

ولذلك فأدعياء التجديد أو التحديث أو المعاصرة، الَّذين ينادون بضرورة رفض أي قديم، وإلا كان صاحبه رجعيًّا أو متأخرًا، هؤلاء نظرتهم خاطئة، والمعركة بين القديم والجديد ـ كما أشرت ـ هي معركة قديمة، وقد صاروا يسمونها الآن الأصالة والمعاصرة، وأحيانًا يقولون عنها: المحافظة والتجديد. فالأسماء تختلف، ولكن المضمون واحد.

والجديد غالبًا ما يعني في الواقع ما هو مستورد من أوربا، أو من الغرب، فبعض النَّاس يريدون بهذا الجديد المستورد أنْ يلغوا القديم، مثل طه حسين وغيره، وهؤلاء هم الَّذين سخر منهم أديب العربية والإسلام مصطفى صادق الرافعي، فكان يقول عنهم: هؤلاء يريدون أنْ يجدِّدوا الدين واللغة، والشمس والقمر[1]! وكما ورد على لسان الشاعر الفيلسوف محمد إقبال: إنَّ الكعبة لا تجدَّد. فهناك أشياء فضلها في قِدمها، وفضل الكعبة أنَّها البيت العتيق، فلا تجدَّد الكعبة بأن تجلب لها حجارة من أوربا، لأنَّ قيمتها فيما هي عليه، فليس كل شيء قابلًا لأنْ يُجدَّد، وهؤلاء الَّذين يريدون تجديد كل شيء دعوتهم مرفوضة، فالمقبول هو الجديد الصالح، أمَّا الجديد الَّذي يلغي القديم فهو مرفوض، ومن هنا قال شوقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصيدته الرائية الَّتي مدح فيها الأزهر:

قُم في فَمِ الدُنيا وَحَيِّ الأَزهَرا ... وَانثُر عَلى سَمعِ الزَمانِ الجَوهَرا
وَاخشَع مَلِيًّا وَاقضِ حَقَّ أَئِمَّةٍ ... طَلَعوا بِهِ زُهرًا وَماجوا أَبحُرا
والله ما تدرِي لعلَّ كفيفَهم ... يومًا يكونُ أبا العلاءِ المبصرا

(١) من عبارة الرافعي على غلاف تحت راية القرآن، نشر دار الكتاب العربي، ط٧، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

QaradawiBooks.com

وفي هذه القصيدة يقول مندداً بأدعياء التجديد:

لا تَحــذُ حَــذوَ عِصابَــةٍ مَفتونَةٍ يَجِــدونَ كُلَّ قَديمِ شَــيءٍ مُنكَرا
وَلَوِ استَطاعوا في المَجامِعِ أَنكَروا مَن مــاتَ مِــن آبائِهِــم أَو عُمِّرا
مِن كُلِّ ســاعٍ في القَديمِ وَهَدمِهِ وَإِذا تَقَــدَّمَ لِلبِنايَــةِ قَصَّــرا[1]

هؤلاء هم العصابة المفتونة، فنحن نرحب بالصالح النافع، سواء كان قديمًا أو جديدًا، وسواء كان من عندنا، أو كان مُقتبسًا من غيرنا، حتَّى وإن جاء من أوربا، ولذلك نحن نأخذ التكنولوجيا من أوربا، ولو كان عندهم مثلًا نظام حسن في البريد، أو في الوقاية من الأمراض، أو في تطعيم الأطفال، أو هندسة البناء، أو رصف الطرق، أو نحو ذلك، فنحن نستفيد من هذا، فما يتعلق بالماديات، وما يتعلق بتنظيم الحياة لا مانع أن نقتبسه من غيرنا، أمَّا ما يتعلق بالعقائد والقيم، أو المفاهيم والأفكار، أو التشريع والقوانين، أو الآداب والتقاليد فهذا لكل أمة منه ما يناسبها، لا يجوز للأُمَّة أنْ تنسلخ عن شخصيتها، وتأخذ من الأمم الأخرى عقائدها، أو أفكارها، أو قيمها، أو تقاليدها، أو تشريعاتها، دون تمييز بين ما يلائمها وما لا يلائمها، وما يجوز وما لا يجوز، فهذا هو الَّذي يُرفض، فنحن نقتبس من غيرنا كل ما يلائمنا ولا حرج، فالحكمة ضالة المؤمن.

ولذلك لما أُشير على النبي ﷺ بأنْ يحفر خندقًا حول المدينة رحَّب بهذا، وكان من إشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه[2]، وكان أسلوبًا من أساليب الفرس في الدفاع عن المدن لم يعرفه العرب، ولذلك لما جاء المشركون

(١) انظر القصيدة كاملة في أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٥١/١) وما بعدها.
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢٢٤/٢).

QaradawiBooks.com

ورأوا الخندق فوجئوا به، وقالوا: ما كانت هذه مكيدة لتكيدها العرب. ليس عندهم مثل هذا، هم فقط يركبون جيادهم، ويمتطون سيوفهم، ويحاربون غيرهم، أمَّا أنَّهم يفكرون أيامًا وليالي، ويخططون ويحفرون فليس من عادتهم، لكن النبي ﷺ أراد أنْ يطور وسائل الدفاع، وأنْ ينتفع بأساليب الأمم.

ولما عُرض عليه أنْ يخطب على شيء عال رحَّب بهذا، كان يخطب في أول الأمر على جذع نخلة، فعرض عليه أنْ يُصنع له منبر حتَّى يراه النَّاس فرحَّب بالفكرة، وجيء بنجار روميٍّ صنع له هذا المنبر[1]، لأنَّ العرب لم يكن فيهم نجارون ولا حدادون، ولا بنَّاؤون، ولعلهم كذلك إلى اليوم، معظم الَّذين كانوا يقومون بهذه المهن في الأصل من جنسيات أخرى غير العرب، فجيء بنجار روميٍّ وصنع له منبرًا، فلا مانع من ذلك، فما يتعلق بالوسائل والأساليب بالذات لا يضر أنْ تأخذه من أيِّ مكان.

وفي غزوة بدر انتفع النبي ﷺ بأسرى المشركين الَّذين يحسنون الكتابة، كان الأسرى سبعين شخصًا، منهم مَنْ يُحسن الكتابة، فجعل النبي ﷺ مَنْ يُعلِّم عشرةً من أبناء المسلمين الكتابة فديةً له، بدل أنْ يدفع خمسة أو عشرة آلاف فدية لنفسه يفتح فصلًا لمحو الأميَّة ويشتغل فيه، فأول من خطَّط لمحو الأميَّة، ووضع مشروعًا لذلك هو رسول الله ﷺ، وإن كانت الأمَّة الإسلامية الآن للأسف في مؤخِّرة الأمم في هذه الناحية، فهؤلاء مشركون، لكن ما لي وشركهم؟ إنَّما أتعلَّم منهم

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩١٧)، ومسلم في المساجد (٥٤٤)، عن سهل بن سعد الساعدي.

QaradawiBooks.com

القراءة والكتابة، ويقول زيد بن ثابت: وكنت ممَّن تعلم على هؤلاء حتَّى حذقت[١]. فالمهم في محو الأميَّة أنْ تصل إلى درجة الحِذْق في القراءة والكتابة، بحيث لا يرتد عنها مرة أخرى، فلا بأس أنْ يستفاد من خبرتهم وإنْ كانوا مشركين.

من هنا نقول: حقائق الأشياء الأساسية موجودة ثابتة، وهناك أشياء فرعية، ووسائل وكيفيَّات تتغيَّر، فالقول بأنَّ كلَّ شيء يتغيَّر ويتطوَّر ليس صحيحًا، ومن هنا نقول أيضًا: إنَّ الإسلام فيه ثوابت، وفيه متغيِّرات، هناك أشياء لا يتطرق إليها احتمال التغيير إطلاقًا، وهناك أشياء قابلة للتغير، تركها الله تعالى لنا رحمة بنا غير نسيان، كما جاء في الحديث: «**إنَّ الله فرض فرائضَ، فلا تُضَيِّعوها، وحدَّ حدودًا، فلا تعتدوها، وحرَّم أشياءَ، فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غيرَ نِسْيانٍ فلا تبحثوا عنها**»[٢]. فهناك منطقة نسمِّيها منطقة العفو أخذًا من الحديث الشريف: «**ما أحلَّ اللهُ في كتابه فهو حلالٌ، وما حَرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عَفْوٌ، فاقبلوا من الله عافيتَه، فإنَّ الله لم يكنْ لينسى شيئًا**». ثمَّ تلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤][٣]. فهذه حقيقةٌ لا ريْبَ فيها، وأعتقد أنَّنا بهذا نكون قد فهمنا معنى هذا الأصل الثامن عشر.

* * *

(١) رواه أحمد (٢١٦١٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في العلم (٣٦٤٥)، والترمذي في الاستئذان (٢٧١٥)، وقال: حسن صحيح. وعلقه البخاري في صحيحه (٧١٩٥) بصيغة الجزم.

(٢) سبق تخريجه صـ ٥٦٤.

(٣) سبق تخريجه صـ ٤٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(الأصل التاسع عشر)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وقد يتناول كلٌّ من النظر الشرعي والنظرِ العقليِّ ما لا يدخل في دائرة الآخر، ولكنَّهما لن يختلفا في القَطْعي، فلن تصطدمَ حقيقة علميَّة صحيحة بقاعدة شرعيَّة ثابتة، ويُؤوَّلُ الظَّنِّي منهما ليتَّفق مع القطعي، فإن كانا ظنيَّيْن فالنظر الشرعي أولى بالاتِّباع حتَّى يثبت العقلي أو ينهار**»[1].

يتَّصل هذا الأصل بالعلاقة بين الدين والعلم، أو بين النقل والعقل، أو بين الوحي والفكر، هل يمكن أنْ يحدث بينهما تناقض، بحيث يثبت أحدهما، وينفي الآخر، ولا يكون هناك مجال للالتقاء بينهما؟

اعتقادنا أنَّه لا يحدث بينهما تناقض، فلا يمكن أنْ يتعارض الدين الحقيقي مع العلم الحقيقي، لا يمكن أنْ يتناقض نقل صحيح وعقل صريح، وإذا حدث هذا فإمَّا أنْ يكون ما اعتقدناه نقلًا ليس صحيحًا، أو ما اعتقدناه عقلًا ليس صريحًا، ما ظنَّاه دينًا ليس بدين، أو ما ظنَّاه علمًا ليس بعلم، فالدين والعلم لا يتناقضان، وما جاء به الوحي لا يمكن أنْ يتناقض مع ما جاء به العقل والفكر، هذه حقيقة عندنا نحن المسلمين.

قد يكون قد حدث هذا التناقض والتعارض بين الدين والعلم عند المسيحيين وعند الغربيين، لأنَّ الأمر يختلف عندهم عما عندنا، فالدين عندهم أمر وجداني بحت، لا مكان للعقل فيه، ذلك لأنَّ العقيدة المسيحيَّة عقيدة غامضة تقوم على أمور غير معقولة، ولا مفهومة، كقولهم إنَّ الواحد ثلاثة، والثلاثة واحد، وتحول العشاء الرباني إلى جسد المسيح، وأشياء

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٩، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غريبة جدًّا. من أجل هذا يقولون: لا تفكِّر في العقيدة، لأنَّ العقيدة ليس لها علاقة بالعقل والفكر، فاعتقد وأنت أعمى، أو أغمض عينيكَ ثمَّ اتَّبعني.

لكنَّنا نحن المسلمين لا يقوم الأمر عندنا على هذا الأساس، بل كما قلت لكم: إنَّ علماءَنا يقولون: العقل أساس النقل. وأي دعوى من دعاوى العقيدة يطالب القرآن أصحابها بالبرهان، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وعاب على المشركين أنَّهم اعتقدوا بما لم ينزل الله به سلطانًا، وما ليس لهم به علم، ويخاطبهم: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]. فالعلم هو الحَكَم في هذه الأمور، ففي الأمور المنطقية لا بدَّ من البرهان، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وفي الأمور التجريبية والحسية لا بدَّ من الحس، ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] هل رأيتم هذا؟ ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]، وفي الأمور التاريخية لا بدَّ من التوثيق، وصحة النقل، ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، فلكلِّ علمٍ أدواتُه، وبغيرها لا تقبل الدعاوى، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. فالسمع والأبصار والأفئدة هي أدوات العلم، فالعلوم الدينيَّة والنقليَّة والتاريخيَّة ونحوها تؤخذ عن طريق السمع، والعلوم التجريبيَّة تؤخذ عن طريق البصر والملاحظة والتجربة، والعلوم المنطقيَّة والفكريَّة تؤْخذ عن طريق العقل، هذه هي أدوات التعلم، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فهذه هي نظرة

QaradawiBooks.com

الإسلام إلى العلم، ولذلك لا يُتصوَّر أنْ يتناقض الدين مع العلم، قد يحدث هذا عند الآخرين، كما حدث عند المسيحيين في الكنيسة الغربية، فقد وقف الدين ضد العلم، والعلماء، والمفكرين، وكلما وصلوا إلى حقيقة علميَّة، أو اخترعوا شيئًا، وجدوه يتناقض مع أشياء مقرَّرة عندهم، فكانت النتيجة أنَّهم وقفوا ضد العلماء، وقامت محاكم التفتيش الشهيرة، وارتكبت من الفظائع ما يقشعر له بدن التاريخ، مذابح بشرية، جرائم بشعة لا يُعرف لها مثيل، ومحاكمة العلماء والحكم عليهم بالإحراق، حتَّى إن منهم مَنْ لم يستطيعوا أنْ يصلوا إليه حيًّا فحاكموا جثته بعد موته، وحكموا عليها بالإحراق، فعلوا الأفاعيل، مَنْ يقرأ تاريخ محاكم التفتيش يصيبه الذهول من هول الفظائع الَّتي ارتُكبت، لكن المسلمين لم يعرفوا هذا، فليس عندهم صراع بين الدين والعلم، كما قلت وأقول دائمًا: الدين عندنا علم، والعلم عندنا دين. الدين عندنا علم لأنَّه يقوم على أساس العقلانية والبرهان، وعلى أساس البصيرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [محمد: ١٤]. ولذلك قال علماؤنا المُحقِّقون: لا يقبل إيمان المقلِّد. لا بدَّ أنْ يكون إيمانه مدعومًا بالدليل، ولو كان دليلًا إجماليًّا، ولو لم يعبر عنه تعبيرًا منطقيًّا، لكن على الأقل حينما يُسْأل: لماذا آمنت بالله؟ يقول: ولمَ لا، وهو الَّذي خلقني، وخلق الكون؟ فهذا معناه أنَّه يعتمد على قانون السببيَّة والعلِّيَّة، وحينما يُسأل: لماذا آمنت بمحمد؟ يقول: ولمَ لا، وقد جاء بهذا القرآن المُعجز؟ هذا هو الإيمان المدعوم بالبرهان، وليس كالذين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. فلا يتصوَّر أنْ يقوم صراع في الإسلام بين الدين والعلم، أو بين النقل والعقل.

QaradawiBooks.com

لكن قد يحدث أنْ يتعرض النظر الشرعي لأشياء تتصل بالعلم، أو يتعرض النظر العقلي لأشياء تتصل بالشرع، أحيانا تتضمن بعض النصوص أشياء معينة قد يُظن أنَّها ضد العقل، أو ضد العلم، فماذا يحدث في هذه الحالة؟ إذا فرضنا وجود أشياء في النقل تناقض العقل ماذا نعمل؟ في هذه الحالة ننظر: هل هذه الأشياء ثابتة يقينًا، هل هي قطعية أم غير قطعية؟ نحن نعلم أن بعض النصوص قطعي، وبعضها ظني، وكل من القطعي والظني يتعلق بالثبوت، ويتعلق بالدلالة، فما معنى ذلك؟

القرآن كله قطعي الثبوت، لأنَّه ثابت بالتواتر اليقيني الَّذي لا ريب فيه، لا يستطيع أحد أنْ يزيد فيه، ولا أنْ ينقص منه، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، هذا من ناحية ثبوته، كذلك الأحاديث المتواترة، وألحق بها بعض العلماء الأحاديث الَّتي وردت في الصحيحين، وتلقَّتها الأمَّة بالقبول، ولم يخالف فيها أحد، قالوا: يمكن تفيد القطع أيضًا. وخالف في ذلك آخرون، أمَّا معظم السُّنَّة فثابتة بالظن، لأنَّ ثبوت الآحاد ظني.

أمَّا من ناحية الدلالة فمعظم النصوص ظنيَّة الدلالة، هناك نصوص قطعيَّة الدلالة، وأكثر النصوص ظنيَّة الدلالة، فمثلًا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]. في هذه الآية قطعيَّة الثبوت ككل آيات القرآن، لكن من ناحية الدلالة تجد فيها اختلافات كثيرة، فمثلًا: هل الغاية في قوله: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾. داخلة أم غير داخلة؟ أي هل المرفق ضمن المغسول؟ أم حتَّى المرفق فقط؟ لأنَّ اللغة العربية تحتمل هذا وذاك، ففي قوله تعالى: ﴿أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

QaradawiBooks.com

لا يدخل الليل في الصيام، وفي بعض الأحيان تدخل الغاية في الحكم، ثمَّ هل تفيد (الواو) في الآية الترتيب والتعقيب، أم لا تفيد ذلك؟ وهل تفيد الباء التبعيض أم الإلصاق في قوله: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾؟ مثل هذه الاختلافات تجعل النصَّ ظنيَّ الدلالة.

إذا كان الأمر كذلك فماذا نفعل إذا اختلفت النصوص ظنيَّة الثبوت أو ظنيَّة الدلالة مع ما يثبته العقل من أمور؟ عندنا في هذه الحالة يمكن اللجوء إلى تأويل النص، فمثلًا حديث: «**سَيْحان وجَيْحان والفُرات والنيلُ كلٌّ من أنهار الجنَّة**»[1]. ما معنى هذا؟ حدَّثني الأستاذ الدكتور مصطفى الزرقا أنَّ رجلًا من أساتذة القانون الوضعي فتح صحيح البخاري، فقرأ فيه: أنَّ النيل والفرات ينبعان من الجنة[2]. فطوى الكتاب ولم يرجع إليه بعد ذلك، لأنَّه اعتقد أن هذا خرافة، فمنابع النيل والفرات معروفة، فكيف يقال إنهما من الجنَّة؟ مع أنَّه كان له في التأويل مندوحة، المفروض قبل أن نرفض نتأكَّد من أنَّه لا توجد وسيلة للفهم مطلقًا، ونقول: إنَّه مدسوس، أو كذا. أمَّا إذا كان هناك مجال لتأويل الظني فلنؤوِّله ليتفق مع القطعي، والقطعي الَّذي لا ريب فيه هو أنَّ لهذه الأنهار فعلًا منابع، ولذلك على الرغم من أن ابن حزم ظاهري يتمسَّك بحرفيَّة النصوص، بدلالتها الظاهرية، ولا يقول بالقياس، ولا بالمقاصد، ولا بالعلل، ولا بشيء من هذا، إلا أنَّه أوَّل هذا الحديث، وقال: إنَّه كما

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٣٩)، عن أبي هريرة.

(٢) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: عن مالك بن صعصعة: «ثم رفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة. قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار؛ نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال أمَّا الباطنان فنهران في الجنة، وأمَّا الظاهران فالنيل والفرات». رواه البخاري في بدأ الخلق (٣٢٠٧)، ومسلم في الإيمان (١٦٤).

QaradawiBooks.com

نقول عن يوم من الأيام الطيبة: هذا يوم من أيام الجنة. وقال: هذا تعبير مجازي، نوع من التشبيه، وليس معنى هذا أنَّ هذه الأنهار نابعة من الجنة حقيقة[١]. وكذلك حديث: «**ما بين بيتي ومِنْبَري روضةٌ من رياض الجنَّة**»[٢]. فإذا وجد الإنسان نصًّا ظنيًّا معيَّنًا لا يتفق مع ما أثبته العقل، وأثبته العلم، وأثبته الواقع يؤوِّل هذا النص، لأنَّه ليس قطعي الدلالة، لماذا تحمله على الحقيقة، مع أنَّ في الإمكان حمله على المجاز؟ فهذا التأويل سائغ، بل هو ضروري في هذه الحالة، وكثير من الأشياء من هذا النوع، تكون محمولة على المجاز، مثل حديث الصحيحين: «**اشتكت النَّارُ إلى ربِّها فقالت: ربِّ، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنَفَسَيْن: نَفَس في الشتاء، ونَفَس في الصيف، فأشدُّ ما تجدون من الحرِّ، وأشدُّ ما تجدون من الزَّمْهَرِير**»[٣]. فالَّذين يقرؤون الجغرافيا الفلكيَّة يقولون: أسباب الحرِّ والبرد معروفة، موجة قادمة من سيبيريا، أو مرتفع جوي، أو منخفض جوي، أو كذا، فكيف تقولون: إنَّ الحرَّ والبردَ نفَسَين لجهنَّم؟ فمثل هذا الحديث يمكن أنْ يُؤوَّل فعلًا، وكذلك حديث: «**الحُمَّى من فَيْحِ جهنَّمَ فأبردوها بالماء**»[٤]. يمكن أنْ يقول: لا، بل سبب الحمَّى كذا. لكن الحديث على سبيل التشبيه، وهكذا، فإذا وجدت نصوص من هذا النوع ـ وهي أكثر ما توجد في الحديث ـ ينبغي أن تُؤوَّل بحيث تتفق مع القطعيَّات الَّتي يثبتها العقل، أو يثبتها العلم، أو يثبتها الواقع، لأنَّه لا يمكن أن تختلف حقيقة علمية مقطوع بها مع حقيقة دينية مقطوع بها،

(١) المحلى (٣٣٠/٥).

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٩٥)، ومسلم في الحج (١٣٩٠)، عن عبد الله بن زيد المازني.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٦٠)، ومسلم في المساجد (٦١٧)، عن أبي هريرة.

(٤) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٦٤)، ومسلم في السلام (٢٢٠٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

لأنَّ الحقيقة العلمية مبنية على واقع كوني، والله تعالى هو خالق الكون، والحقيقة الدينية مبنية على وحي أنزلــه الله، فالله هو منزل الوحي، وهو صانع الكون، فكيف يتعارض أثــران جاءا من عنده؟ هو الموحي، وهو الخالق، فكيف يخبرنا عن الكون خبرًا لا يتفق مع الكون الَّذي صنعه؟ هذا مستحيل، ومن هنا نقول: إذا اختلفت الظنيَّات مع القطعيَّات نُؤوِّلها.

هناك أمر مهمٌّ أيضًا، وهو أنَّه ينبغي على المســلم أنْ يتوقَّف عندما يعتقد أنَّه يخالف العقل أو نحو ذلك، فإنَّ كثيرًا من الأشياء قد يظن أنَّها مخالفة للعقل وهي ليست كذلك، أو مخالفة للعلم وليست كذلك، لأنَّ العلم أحيانًا يتغير، والعقل يختلف من بيئة إلى بيئة، ومن زمن إلى زمن، ومن أمَّة إلى أمَّــة، ومن فرد إلى فرد، والفرد نفســه يتغير أيضًا، فتفكير الفرد في حالة الشباب يختلف عن تفكيره في حالة النضج والشيخوخة، أحيانا يعتريه في شــبابه النزوع إلى حبِّ الظهور وكــذا، يريد أنْ يحكم على الأشياء بسرعة، ويريد أنْ يشذَّ ليظهر ويُعرَف، وبعدة مدة من الزمن يبدأ في مراجعة نفسه، ولذلك رجع كثير من النَّاس عما كتبوه من قبل، انظر إلى الأستاذ خالد محمد خالد، كتب أشياء في كتابه «من هنا نبدأ»، ثمَّ رجع وخطَّأ نفســه، وكتب كتابــه «الدولة في الإســلام»، وأعلن فيه خطأه، وكذلــك الدكتور مصطفى محمــود، كانت له كتابــات إلحادية وإباحية، ثمَّ بدأ ينتقل من مرحلة الشكِّ إلى مرحلة الإيمان كما كتب هو عن نفسه، وبدأ يكتب أشياء أخرى، وهكذا، فعقل الإنسان الَّذي نريد أن نحاكم الدين إليه ليــس مأمونًا، فأي عقل هذا الَّــذي نقول: إنَّ الحقيقة الدينية لا توافقه. عقل مَنْ؟ ليس عقل فرد في بيئة من البيئات، في زمن من الأزمان، وإنَّما هو العقــل العام الَّذي يُبنى على دلائل ومُســلَّمات لا شك فيها، وعلى قطعيَّات لا جدال فيها، هذا هو العقل المقصود.

QaradawiBooks.com

ظنَّ كثير من النَّاس في أشياء أنَّها قواطع عقلية، وهي ليست كذلك، ومن هنا اندفع كثير من المعتزلة والفلاسفة إلى ردِّ بعض النصوص، أو التعسف في تأويلها، لأنَّها في ظنهم تخالف ما اعتقدوه أمورًا عقلية قطعية، وليس الأمر كذلك، فقد أوَّل المعتزلة مثلًا الآيات والأحاديث الَّتي جاءت في الميزان يوم القيامة، قالوا: ليس هناك ميزان يوم القيامة توضع فيه الحسنات والسيئات، وإنَّما هو كناية عن العدل. ولكن هذا ما أخبر عنه القرآن: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٦ ـ ٩]. لكنهم استنكروا أنْ توزن الأعمال وهي صفات أو أعراض وليست أجسامًا، مع أنَّ في عصرنا ثبت أنَّ هناك موازين يقاس بها غير الأجسام، مثل ميزان الحرارة والبرودة، وميزان الضغط الجوي، وعدَّاد الكهرباء، كل هذه أمور جديدة، معايير وموازين للأشياء، لكنهم تصوروا الميزان كفتين كما في الواقع، لكن الله تعالى قادر على أنْ يوجد ميزانًا معينًا لوزن هذه الأشياء المعنوية.

واستنكر بعضهم كذلك أنْ يرى الإنسان عمله يوم القيامة، وحينما يقول القرآن: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٦ ـ ٨]. يقولون: ليس هذا هو المقصود، وإنَّما المراد أنَّه يرى جزاء عمله، لأنَّ العمل انتهى، وبمجرَّد انتهائه لا يمكن أنْ يُرى، فالعرض لا يبقى زمنين. ويذكرون هذا المثل: لا يستحم الإنسان في نهر واحد مرتين. فهو وإنْ كان في الظاهر يستحم في مكان واحد من النهر، لكن مياهه ليست واحدة، وإنَّما تجري باستمرار ويأتي غيرها، فهم يضربون هذا المثل للدلالة على أنَّ الأعراض تنتهي ولا تبقى، ثمَّ جاء عصرنا فوجدوا أنَّ العمل الَّذي كانوا يسمونه عرضًا، الصوت، والكلام، ونحوها،

QaradawiBooks.com

كلها باقية، هي ذبذبات موجودة في الكون، واستطاع الإنسان بوسائله أنْ يحبسها، كما يُسجل صوتي الآن في هذا المسجل، وكذلك نفس الشيء بالنسبة للرؤية، بعد ظهور الفيديو الآن أصبحت مشاهد الإنسان مسجلة، ويمكن أنْ يراها بعد انتهاء العمل، إذنْ لم يكن هناك مبرر لتأويل قوله: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾. بمعنى: ليروا جزاءهم. بل سيَرَوْا عملَهُم نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]. ولعلَّ هذا هو الكتاب الَّذي يقرؤه الأمِّي وغير الأمِّي كأنه شريط مسجَّل، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. ولهذا نقول: ينبغي احترام النص، ولا يلجأ الإنسان إلى التأويل إلا إذا لم يجد سبيلًا غيره، وكان النص مصادمًا للقطعيَّات الَّتي لا ريب فيها، أمَّا الاستبعاد المجرَّد للنصوص فلا يجوز، كالذين أنكروا معجزات الأنبياء، واستبعدوا إمكان انقلاب العصا إلى حيَّة، وعودة الحياة إلى الميت، وانفلاق البحر بالعصا، وإبراء الأكمه والأبرص، وانشقاق القمر، أنكروا هذه المعجزات بمجرَّد الاستبعاد، مع أنَّ العقل لا يستحيل وقوعها، فهناك فرق بين المستحيل العقلي والمستحيل العادي، المستحيل العقلي هو ما لا يتصوَّر العقل وجوده بحال من الأحوال، أمَّا المستحيل العادي فهو الَّذي تحيله العادة، وإن لم يحكم العقل باستحالته، فإمكان تحول التراب إلى ذهب، وماء البحر إلى زئبق أمر جائز عقلًا، فليس بعيدًا عن قدرة الله شيء، لكن العادة تجعل هذا الأمر مستحيلًا، لا يمكن وقوع هذا الأمر حسب القوانين العادية، أمَّا العقل فلا يحيل هذا، فالذي خلقه من أول الأمر ترابًا يمكن أنْ يجعله ذهبًا، والَّذي جعل النَّار تحرق يمكن أنْ يسلبها خاصيَّة الإحراق، وقد حدث هذا فعلًا حين قال الله تعالى:

QaradawiBooks.com

﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. فبعضُ النَّاس حكَّمت العادة وجعلت المستحيل عادة مستحيلًا عقلًا، ولذلك أنكروا ما هو ثابت.

أنكر المعتزلة مثلًا رؤية الله تعالى في الآخرة، ومثلهم الإباضية والشيعة، بناء على أنَّ الرؤية تستلزم أنْ يقابل المرئي الرائي، وأنْ يكون في جهة محدَّدة أمامه، وكذا، وتعسفوا في تأويل الآيات الَّتي وردت في القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. والأحاديث المشتهرة المستفيضة، مثل حديث: «**إنَّكم سترون ربَّكم، كما ترون هذا القمر، لا تُضامون في رؤيته**»[(١)]. أنكروا ذلك، وتعسَّفوا في تأويل الرؤية، مع أنَّها غير مستحيلة عقلًا، والآخرة غير الدنيا، والنَّشأة غير النَّشأة، فلا ندري كيف تكون الرؤية في الآخرة، ومَنْ قال لكم: إننا سنكون في الآخرة مثل الدنيا تمامًا؟ فنحن نثبت الرؤية، ولكن نقول: ستكون بلا كيف نعرفه. كما قال السلف في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. أننا نثبت هذه الأمور بلا تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[(٢)]. فالمخوف فعلًا هو تحسينُ الظن بالعقل، ورد النقل بسهولة، أو التعسف في تأويله بدون مبرر، وخصوصًا أنَّ العقل الإنساني ـ كما قلت ـ يتغيَّر ويتطوَّر، والمعارف الإنسانيَّة تتغيَّر، وكثير من الأشياء الَّتي كانت تعتبر في وقت من الأوقات مقدَّسات علمية تغيَّرت، فمثلًا بعض الفلاسفة من أجل

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٥٤)، ومسلم في المساجد (٦٣٣)، عن جرير بن عبد الله.

(٢) العلو للذهبي صـ١٦٨، تحقيق أشرف عبد المقصود، نشر مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

معتقدات معيَّنة اعتبروها مسلَّمات، ومن أجلها أفكار ورثوها عن أرسطو وعن أفلوطين وغيرهما ـ أوَّلوا قطعيات في الإسلام، وقالوا: إنَّ البعث روحاني، والمعاد روحاني، وليس هناك جنَّة ونار بمعنى أنَّ في الجنَّة أكلًا وشربًا، وفي النار تعذيب للبدن، بل الجنة والنار روحيَّان. وهكذا أنكروا قطعيَّات ثابتة من أجل معتقدات ظنُّوها قطعيَّة، وكانوا يعتقدون مثلًا أن عناصر الكون أربعة: الماء، والهواء، والتراب، والنار. ثمَّ أثبت العلم الحديث الآن أنَّ هذا كلام فارغ، فالماء ليس عنصرًا، بل هو مركب من أوكسجين وهيدروجين، والتراب مركب من بضعة عشر عنصرًا، والهواء مركب من الأكسجين، والنيتروجين، وثاني أكسيد الكربون، وكمية من بخار الماء، وغازات أخرى خاملة، وأنَّ العناصر فاقت المائة الآن، وهي الَّتي يسمونها العناصر البسيطة، لكنهم كانوا يعتقدون أنَّ ذاك هو العلم الَّذي لا ريب فيه، ولذلك يقول بعض الناس: إنَّ التلميذ الصغير في المدارس الابتدائية الآن يعرف من المعلومات الكونية الصحيحة أكثر مما كان يعرفه أرسطو طاليس. تطور العلم وتقدم، فأصبحت الأشياء الَّتي كانت من قبل مسلَّمات يعتبرها العلم في عصرنا خرافات وجهالات، فكيف نطمئن إلى هذا العقل، ونرفض على أساسه ومن أجله النصوص الدينيَّة الصحيحة، والقواعد الشرعيَّة الثابتة؟ فلا بدَّ أن ننظر ما هذا الَّذي نعتبره عقلًا، حتَّى لا نؤوِّل ما نؤوِّل، ونرد ما نرد إلا على أساس سليم وصحيح، وبعد اطمئنان كامل.

الآن يقولون: بعد انقلاب أينشتاين بنظريته عن النسبيَّة تغيَّرت كثير من الأشياء الَّتي كانت تعتبر من قبل مسلَّمات، عملية تحطيم الذرة، بعدما كانوا يقولون: المادة لا تفنى ولا تُستحدث. الآن أصبحوا يقولون: ما هي المادة، وما هي الطاقة؟ اقتربت المادة من الطاقة، والطاقة من

QaradawiBooks.com

المادة، وصاروا يبحثون في أدق الأشياء، فلا ينبغي المسارعة في الحكم على الأشياء، يجب أنْ يتريث الإنسان الَّذي يحترم أصول العلم، وفلسفة العلم، عندما يريد أنْ يؤوِّل، أو يرد.

الذي نؤكِّده: أنَّ القواطع لا تتعارض بعضها مع بعض، سواء كانت قواطع دينيَّة، أو قواطع علميَّة، مستحيل أنْ يحدث هذا التعارض، وما حدث من ذلك سببه أنَّهم أخذوا كثيرًا من الأفكار اليونانية واعتبروها قواعد ومسلَّمات دينيَّة، كأنَّ ما قاله أرسطو دين لا ريب فيه، ولذلك لما قيل لهم: الأرض كروية. هاجوا عليه وثاروا، وحكموا عليه بالسجن، مع أنَّ المسلمين كانوا يدرسون هذا، كما في كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم[1]، يدلل على كرويَّة الأرض، هذا موجود في كتب القرن الخامس الهجري، ثمَّ جاؤوا بعد ذلك بقرون عديدة يحاكمون مَنْ يقول بمثل هذا الأمر، فليس عندنا مثل هذا، لأنَّ الدين والعلم عندنا يسيران جنبًا إلى جنب، لا يوجد تناقض بينهما، فالقطعيات لا تتناقض إطلاقًا.

إذا حدث تعارض بين قطعيٍّ وظنيٍّ نُؤوِّل الظنِّي حتَّى يتَّفق مع القطعي، كثير من الأمور العلميَّة نظريات، والنظريَّات ليست حقائق، نظريَّة دارون مثلًا هي فكرة لشخص أو رأي من الآراء، خالفه معاصروه، وخالفه مَنْ بعده، حتَّى إنَّ تلاميذه أنفسهم طوَّروا نظريته، ما يسمى «الداروينية الحديثة»، فليست هذه النظريات حقائق لكي نؤوِّل من أجلها، كما حاول بعض النَّاس أنْ يؤوِّلوا آيات القرآن لتتفق مع نظرية دارون، فالعلوم الإنسانية هي علوم ظنيَّة بالإجماع، علم النفس، وعلم التربية،

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٧٨/٢)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وعلم الاجتماع، وعلم السياسة، وعلم الاقتصاد، كل هذه العلوم الَّتي تتصل بالإنسان فردًا أو مجتمعًا كلها علوم ظنية، ولذلك قرأت كتابًا في علم الاقتصاد، اقتبس مؤلفه كلمة قالها «وليم جيمس»، صاحب المدرسة النفسية الشهيرة في أمريكا، كان يقول عن علم النفس: إنَّه ليس علمًا، بل هو أمل لعلم. فاقتبس هذا الاقتصادي هذه الكلمة، وقال عن علم الاقتصاد: إنَّه ليس علمًا، بل هو أمل لعلم. العلم هو ما يكون في الأشياء الَّتي تقوم على الملاحظة والتجربة، ولكن يصعب بالنسبة للإنسان أنْ تنضبطَ الملاحظة والتجربة، لأنَّ كلَّ إنسان مملكة وحده، كيف يمكن أنْ تحكم على البشر كلهم إذا أخذت عينات منهم؟ ما يدريك أنَّ جميع النَّاس مثل أصحاب العيِّنات؟ أمر صعب جدًّا، ولذلك قال بعض الَّذين كتبوا في هذه التجارب: إنَّها ظنيَّات وتخمينات. من أجل هذا لا يمكن أنْ نأخذ مثلًا: نظرية فرويد في علم النفس، أو نظرية «دوركايم» في علم الاجتماع، أو نظرية ماركس في الاقتصاد، ونؤوِّل من أجلها القرآن، أو السنن الصحيحة المحكمة، لأنَّ هذه النظريات كلها في دائرة الظنيَّات، وما دامت هذه النظريَّات ظنيَّة، والأحاديث الَّتي تقابلها ظنيَّة فالأولى تثبيت النصِّ الديني وتقديمه على النظريَّة الظنيَّة، كنظريَّات العلوم الإنسانية والاجتماعيَّة، فنحن نحترم النص الديني حتَّى تثبت هذه النظريات أو تنهار.

أعتقد أنَّنا بهذا نكون قد ألقينا الضوء على هذا الأصل التاسع عشر.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(الأصل العشرون)

قال الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لا نُكفِّرُ مسلمًا أقرَّ بالشهادتَيْن وعمل بمقتضاهما وأدَّى الفرائض بـرأيٍ أو معصيةٍ، إلَّا إنْ أقرَّ بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدِّين بالضرورة، أو كذَّب صريحَ القرآن، أو فسَّره على وجـهٍ لا تحتمله أسـاليب اللغـة العربيَّة بحـال، أو عمل عملًا لا يحتمل تأويلًا غير الكفر**»[1].

يتعلَّق هـذا الأصل بهذه القضيَّـة الخطيرة الَّتي ظهـرت آثارها بعد الإمام الشهيد، خصوصًا في السجون، وتحت سطْوة الظلم والسياط الَّتي أكلت اللحـوم، وأدوات التعذيب الَّتي سـحقت العظام، حدث هذا من أناس يزعمون أنَّهم مسلمون، ومع هذا يرتكبون هذه الأعمال، مما أدَّى إلى أنْ يتساءل الكثيرون داخل السـجون: ما هُويَّة هؤلاء الَّذين يعذبوننا لأنَّنا ندعو إلى الله، وإلى تحكيم شريعته؟ هل مسلمون، أم كفار؟ ولا بدَّ أنْ يكون هؤلاء كفارًا، وإذا كانوا كفارًا فالَّذين يحركونهم ويأمرونهم من الحكام المتربعين على عروش السلطان والسـيادة هم أشد منهم كفرًا، والشعوب الَّتي تسـكت عنهم، وترضى بهم هم كفار أيضًا، لأنَّ الرضا بالكفر كفر. وهكذا تسلسـل التكفير مـن المعذِّبين إلـى الحكام إلى الجماهير، وانتشـر القول بتكفير النَّاس بالجملة، وكانت قضيَّة خطيرة، ووجد في السجون مَنْ يفلسف هذه القضيَّة، ويحاول أنْ يجد لها قواعد، وأنْ يجد لها مسـتندات وأدلَّـة، ووقف الإخوة من أهـل الفقه والعلم، وعلى رأسـهم المرشـد الثاني، الرجل الصابر الصامد، الأسـتاذ حسن الهضيبي، وقف ضدَّ هؤلاء، وكتب ردًّا عليهم ظهر فيما بعد في الكتاب

(١) رسالة التعاليم صـ٣٥٩، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.

QaradawiBooks.com

المعروف بعنوان «دعاة لا قضاة»، فالقضيَّة إذنْ قضيَّة خطيرة، والتوسع في التكفير كما سميته من قبل «الغلو في التكفير»، فلا بدَّ أنْ يُكفَّر مَنْ هو أهل للكفر، ولكن المشكلة هي الغلو والإسراف في التكفير، التوسع والمبالغة في التكفير، هذه هي البدعة الجديدة، وهذه هي الظاهرة الخطيرة الَّتي يجب تحديد الموقف منها.

التكفير خطأ ديني:

طبعًا لم يدرك الإمام الشهيد رَحِمَهُ اللَّهُ هذا التوسع والإسراف في التكفير إلى الحد الَّذي رأيناه نحن، فنحن رأينا هذا، واعتبرناه خطأ كبيرًا، بل انحرافًا خطيرًا، هو خطأ ديني لأنَّ الإسلام يشدِّد في مسألة رَمْي المسلم بالكفر، فقد قال رسول الله ﷺ: «**من رمى مؤمنًا بكفرٍ فهو كقَتْلِه**»[١]. وقال: «**أيُّما رجلٍ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»[٢]. وفي رواية أخرى: «**من دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدوُّ الله. وليس كذلك، إلَّا حار عليه**»[٣]. فرمي المسلم بالكفر خطأ من الناحية الدينية.

التكفير خطأ علمي:

وهو خطأ علمي أيضًا، لأنَّ العلم يقتضي التَّبيُّن والتَّدقيق والتثبُّت، فلا يجوز أن نرمي أحدًا بالكفر ما لم نَتبيَّن ونَتيقَّن، لأنَّه ما دام قد ثبت إسلامه، وتيقنَّا أنَّه مسلم فاليقين لا يُزال بالشك، لأنَّ أشدَّ ما ترمي به مسلم أن تقول عنه: إنَّه كافر. وهذا لا بدَّ أنْ تقوم عليه الأدلَّة القاطعة، حتَّى قال العلماء: إذا أتى امرؤ قولًا أو عملًا يحتمل عدَّة وجوه للكفر،

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٤٧)، عن ثابت بن الضحاك.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٠٤)، ومسلم في الإيمان (٦٠)، عن ابن عمر.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٤٥)، ومسلم في الإيمان (٦١)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

ووجهًا واحدًا يحتمل الإسلام، فعلى المفتي أنْ يحمل هذا الأمر منه على الوجه الَّذي يحتمل الإسلام إبقاءً للمسلم في دائرة الإسلام، وتحسينًا للظن به، وحمْلًا له على الصلاح. هذا هو الأصل، فالتكفير خطأ من الناحية العلمية.

التكفير خطأ سياسي:

وهو أيضًا خطأ حركي وسياسي، لأنَّ الدعوة الَّتي تدعو النَّاس إلى الإسلام إذا رمت النَّاس بالكفر فمعنى ذلك أنَّها دخيلة على المجتمع وغريبة عنه، أنَّ هذا المجتمع إذنْ ليس لها، وإنَّما هو مجتمع الشيوعيين، والماركسيين، والعلمانيين، واللادينيين، فما شأنكم بهذا المجتمع؟ اخرجوا من هذا المجتمع، فالمجتمع ليس مجتمعكم. بينما يقول حسن البنا: المجتمع مجتمعنا، والأمَّة أمَّتنا، وكل ما نريده: أنْ تُحْكَم الأمَّة وفق عقيدتها.

الأُمَّة مسلمة، وحكامها هم الَّذين خرجوا عليها، ومرقوا منها، وحكموها بغير ما أنزل الله، جاء المستعمر وفرض عليها قوانين فوقيَّة من عنده، لا تؤمن بها الأُمَّة، ولا تدين لها، ولا تخضع لها، ولا تحترمها، ولا تعتقد بكمالها، ولا بقدسيَّتها، ولا بعدالتها، ثمَّ جاء من بعد المستعمرين مَنْ ورثوا هذا الأمر، فالإدانة لهؤلاء الحكام، أمَّا إذا قلنا: الأمة نفسها غير مسلمة. فهو أمر خطير جدًّا.

من أجل هذا ينبغي أنْ يُمحَّص هذا الأمر ويُحقَّق، حتَّى لا تختلط الأوراق، ولا تلتبس السبل، ولا تذوب الحدود بين الإسلام والكفر، والكلمات القليلة الَّتي وضعها الإمام الشهيد هنا في هذا الأصل يمكن أنْ تكون منارة على الطريق.

QaradawiBooks.com

وقد انطلق الإمام الشهيد من أنَّ الجماعات الدينيَّة في بداية دعوته كانت تتراشق بتهم الكفر، يكفر بعضهم بعضًا، كما نرى في عصرنا إلى اليوم بعض الجماعات المتشدِّدة تكفر الآخرين لأدنى شيء، وكانت في ذلك الوقت جماعات يكفر بعضها بعضًا، السلفيَّة والصوفيَّة، أو أنصار السُّنَّة والجمعيَّة الشرعيَّة، وأصحاب الطرق، وغير ذلك، كان هناك تراشق بالاتهامات إلى حد الكفر، وهذا أمر خطير، ولهذا وضع هذا الأصل، وختم به الأصول الَّتي بلغت العشرين بهذه الكلمات: لا نُكفِّرُ مسلما أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدَّى الفرائض برأي أو معصية، إلى آخره.

مَنْ هو المسلم؟ هذه حقيقة يجب أنْ تُجلَّى، المسلم الَّذي يُحكم له بالإسلام: هو الَّذي ينطق بالشهادتين مختارًا طائعًا، فالإنسانُ يدخل في الإسلام بشهادته أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، يقولها مستيقنًا بها من قلبه، مُقرًّا بها بلسانه، فإذا قال ذلك حكمنا بإسلامه، والقلب طبعًا ليس لنا عليه سبيل، إنَّما نحكم بإسلامه إذا قال ذلك بلسانه، وما دمنا لم نؤمر أن نفتش عن قلوب النَّاس فأمره إلى الله، ولا يستحق النجاة من الخلود في النار، ودخول الجنة إلا إذا قالها من قلبه، وإلا كان من المنافقين، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠]، فهؤلاء المنافقون لهم شأن آخر، إنَّما نتكلم عن الكلمة الَّتي تجعل الإنسان في الدائرة الإسلاميَّة، تجعله من المسلمين، في زمرة المسلمين، تدخله في الإسلام، فالمفتاح الَّذي يفتح لك باب الإسلام لتلجَ إليه هو الشهادتان، ثمَّ تأتي الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وسائر العبادات بعد الشهادتين، لأنَّ هذه الفرائض والعبادات لا تُقْبل إلا من

QaradawiBooks.com

مسلم، فلو لم يكن مسلمًا لا تُقبل صلاتُه، ولا زكاته، ولا صيامه، ولا حجُّه، إلى آخره، فالأصل أنَّه بالشهادتين يكون مسلمًا قبل أنْ يؤدي هذه الفرائض، ولذلك لو أنَّ إنسانًا أسلم ساعة الشروق فليس عليه أنْ يصلي إلا حينما يأتي الظهر، فإلى أنْ يأتي وقت الصلاة، أليس مسلمًا؟ بلى هو مسلم، ولو فرض أنَّ امرأة أصابتها الدورة الشهرية ثمَّ أسلمت، وستمكث أسبوعًا حتَّى تطهر وتصلي، أليست مسلمة في هذه المدة؟ بلى هي مسلمة، كذلك الزكاة، ربما يسلم ولا تجب عليه الزكاة إلا بعد حول، فهو في هذه المدَّة مسلم، وكذلك قد لا يأتي رمضان إلا بعد أشهر طويلة فهو أيضًا مسلم في هذه المدة، وكذلك حتَّى يأتي الحج، وقد يؤخره كما ترى بعض المذاهب، أنَّه واجب على التراخي، إذنْ يدخل الإنسان الإسلام بالشهادتين، وهذا ما جعل بعض السلف يقولون: الإسلام هو الكلمة. يقصدون كلمة التوحيد، كلمة الشهادة، أو هي باب الدخول في الإسلام، أو مفتاح هذا الباب، أنْ يقول: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله. إذا شهد بهذا فقد دخل في دين الإسلام.

هذا هو الإنسان المسلم، وهذا هو ما كان يطلبه الرسول ﷺ، وأصحابه من النَّاس إذا أرادوا أنْ يدخلوا في الإسلام أنْ يعلنوا الشهادتين، هذا ما كان يطلبه من عمه أبي طالب لكي ينجو من النار، ويستحق الجنة، وما زال يهمس بها في أذنه على فراش موته أنْ يقول هذه الكلمة، يشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّه رسول الله[1]، فالشهادتان باب الخروج من النار ودخول الجنة، وكان دعوته للناس أنْ يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله.

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٦٠)، ومسلم في الإيمان (٢٤)، عن المسيب بن حزن.

نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

هذا هو المسلم، وإذا نطق الإنسان بالشهادتين فقد أصبح مسلمًا، وعُصِم دمه وماله، كما جاء في الحديث المشهور أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أُمرت أنْ أُقاتلَ النَّاسَ حتَّى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، ويُقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مِنِّي دماءهم وأموالهم إلَّا بحقِّ الإسلام، وحسابُهم على الله**»[(١)].

ومن هنا لمَّا قتل أسامةُ بن زيد رجلًا في إحدى المعارك، حينما رآه قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله. ولم يبالِ بهذه الكلمة وقتله، ولمَّا بلغ ذلك النبيَّ ﷺ أنكر على أسامة أشد الإنكار، وقال: «**يا أسامةُ، أقتلتَه بعدما قال: لا إلٰه إلا الله؟!**»، وكرَّر ذلك عليه حتَّى قال أسامةُ: تمنَّيْتُ أنِّي لم أكن أسلمتُ إلَّا يومئذ[(٢)]!

وفي القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ [النساء: ٩٤]. فكل ما يدلُّ على الإسلام أن نكتفي بالظاهر، فالأحاديث الَّتي عصمت الدم والمال بمجرَّد الشهادتين تدلُّ على أنَّ الإنسان أصبح مسلمًا بهما.

وأمَّا الأحاديث الأخرى الَّتي جعلت من قال: لا إلٰه إلا الله. فقد حرم جسده على النار، أو استحق الجنة، كالحديث الَّذي رواه أبو هُرَيْرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ أعطاه نعليه، وقال له: «**اذهبْ بنَعْلَيَّ هاتَيْن، فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلٰه إلَّا الله مُسْتَيْقِنًا بها قلبُه، فبَشِّره بالجنَّة**». فكان أوَّل من لقيتُ عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هُرَيْرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ، بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إلٰه

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، كلاهما في الإيمان، عن ابن عمر.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٦٩)، ومسلم في الإيمان (٩٦)، عن أسامة بن زيد.

QaradawiBooks.com

إلا الله مستيقنًا بها قلبه، بشَّرته بالجنَّة، فضرب عمر بيده بين ثدييَّ فخررتُ لِستي، فقال: ارجعْ يا أبا هُرَيْرة. فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ، فأجهشتُ بكاءً، وركبني عمر، فإذا هو على أَثَري، فقال رسول الله ﷺ: «**ما لك يا أبا هُرَيْرة؟**» قلتُ: لقيتُ عمر، فأخبرته بالَّذي بعثتني به، فضرب بين ثدييَّ ضربة خررتُ لِستي، قال: ارجع. فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمر، ما حملك على ما فعلت؟**» قال: يا رسولَ الله، بأبي أنت، وأمي، أبعثت أبا هُرَيْرة بنعليك، من لقي يشهد أن لا إلٰه إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشِّرْه بالجنَّة؟ قال: «**نعم**». قال: فلا تفعلْ، فإنِّي أخشى أنْ يتَّكِلَ النَّاس عليها، فخلِّهم يعملون، قال رسولُ الله ﷺ: «**فخَلِّهم**»[(١)]. أخذ برأي عمر في أنَّ إعلان هذه الحقيقة وإذاعتها قد يُؤَدِّي إلى تكاسل بعض النَّاس عن العمل، فمن سياسة الدعوة ألا يُعلن هذا الأمر بهذه الصورة على الناس، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، لكن الحقيقة ثابتة، وهي أنَّ من مات وهو يقول: لا إلٰه إلا الله. كان من أهل الجنة، لأنَّه يُخشى على الإنسان أيضًا أنَّه إذا عاش على المعاصي، وترك الفرائض مرة بعد مرة أنْ يسودَّ قلبه، كما في الحديث: «**إنَّ العبدَ إذا أخطأ خطيئةً نُكِتَتْ في قلبه نُكْتَةٌ سوداءُ، فإذا هو نَزِعَ واستغفر وتاب سُقِلَ**[(٢)] **قلبُه، وإنْ عاد زيد فيها حتَّى تعلو قلبه، وهو الران الَّذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [المطففين: ١٤]»[(٣)]. فقد تُؤَدِّي الذنوب إلى الكفر في النهاية، قد تجرُّ الصغائر إلى الكبائر،

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٣١).

(٢) السقل بالسين لغة في الصقل.

(٣) رواه الترمذي في التفسير (٣٣٣٤)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٤)، والنسائي في الكبرى في التفسير (١١٥٩٤)، وابن حبان في الرقائق (٩٣٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٥١٧/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقد تجرُّ الكبائر إلى الكفر والعياذ بالله، أمَّا من مات يشهد أن لا إلٰه إلا الله دخل الجنَّة، وقد جاء في الأحاديث المتكاثرة في الصحيحين: «**يخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا الله، وفي قلبه وزن شَعِيرةٍ من خير، ويخرج من النَّار من قال: لا إلٰه إلا الله، وفي قلبه وزن بُرَة من خيرٍ، ويخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا الله، وفي قلبه وزن ذرَّة من خير**»[1]. ستكون نهايته في الجنة، الشاهد هنا: أنَّ المسلم هو مَنْ نطق بالشهادتين طائعًا مختارًا، مستيقنًا بهما قلبه، وبعد ذلك تأتي الفرائض والأعمال بطبيعة الحال، لا بدَّ أنْ تؤدى بعض الأعمال على الأقل، هذا هو المسلم.

تشترط بعض الكتابات الحديثة أنْ يفهم المرء مدلول كلمة «لا إلٰه إلا الله»، وأنَّها منهج حياة، وأنَّها تقتضي كذا وكذا، وهذا في الحقيقة اشتراطٌ ما أنزل الله به من سلطان، وما كان رسول الله ﷺ يقول لمن أراد أنْ يدخل في الإسلام: هل تعرف أنَّ معنى «لا إلٰه إلا الله» كذا وكذا. وما كان الصحابة يفعلون ذلك، المهم أنَّه إذا نطق بالشهادتين فقد دخل في الإسلام، ولكي يحسن إسلامه، ويتم إيمانه، ويحقق إيمانه في الواقع يحتاج إلى أنْ يفهم معنى «لا إلٰه إلا الله»، ويفهم حقيقة التوحيد، بأن لا يرجو إلا الله، ولا يخشى إلا الله، ولا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله، ولا يسالم إلا في الله، ولا يحارب إلا في الله، وصلُهُ وقطْعُه، وحبُّه وبغضُهُ، كل هذا لله، علامات كثيرة، كما جاء في الحديث: «**الإيمان بضعٌ وسبعون** ـ أو بضعٌ وستُّون ـ **شُعبةً، فأفضلها قول: لا إلٰه إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان**»[2]. هذه الشعب يستكملها الإنسان، لكن المهم أنَّه إذا

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٩) مختصرًا، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

نطق بالشهادتين يدخل في الإسلام، ويصبح أخًا للمسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، مطالب بأداء فرائض الإسلام، والانتهاء عن محرماته، إلى آخره.

إذا دخل المرء في الإسلام فبماذا يخرج منه؟ يقول الإمام الشهيد هنا: لا نُكفِّرُه برأي أو معصية. ولكنَّه قيَّد قيدًا قد يظهر منه لأول وهلة أن كلامه متناقض؛ كيف يقول: لا نكفر مسلمًا ـ أقر بالشهادتين، وعمل بمقتضاهما، وأدى الفرائض ـ برأي أو معصية؟ فإذا كان قد أدَّى الفرائض، وعمل بمقتضاهما، فأين المعصية إذنْ؟

الواقع أنَّ هذا القيد الَّذي ذكره الإمام الشهيد هو ـ كما يقول الشرعيون في مثل هذه الأحوال ـ قيد لبيان الواقع، نحن نعرف في القيود الشرعيَّة الَّتي تأتي في النصوص ما نسميه قيودًا لبيان الواقع، ما معنى ذلك؟ حينما يقول القرآن مثلًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ ﴾ [آل عمران: ١٣٠]. هل يعني هذا أنَّ الربا إذا لم يكن أضعافًا مضاعفة يكون حلالًا؟ لا، إنَّما هو يبين الواقع، فالواقع أنَّ الربا الَّذي كان موجودًا يصل فعلًا إلى أضعاف مضاعفة، كان المبلغ الصغير يكبر ويتضاعف سنة بعد سنة بالربا المركب، فإما أنْ تقضي، وإما أنْ تُرْبي، ويزيد في الأجل فيزيد في المبلغ، إلى أنْ تصبح النسبة أضعافًا مضاعفة، ولكن ليس معنى هذا أن ما دون الأضعاف المضاعفة شيء مباح، لا، بل هذه تسمَّى قيود لبيان الواقع، وقد كان يسيطر على الإمام الشهيد وهو يكتب هذه الأصول ما تقع فيه الجماعات الإسلامية في مصر في ذلك الوقت من اتهام بعضها بعضًا بالكفر، وهي كلها جماعات عاملة للإسلام، فالناس فيها مصلون صائمون طائعون، ولكن من أجل اختلافهم في آراء معيَّنة تتصل بالأسماء والصفات، وبالقرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ أو تتصل بالتصوف

QaradawiBooks.com

أو كذا، أو مسألة أثر ارتكاب الكبيرة على الإيمان، وهذا الخلاف في الآراء موروث مما كانت عليه الفرق والمذاهب الإسلامية من قديم، فهل تُكفَّر هذه الجماعات لمجرد أن لها رأيًا قد نُخَطِّئه، أو نُبَدِّعه، أو نُؤثمه، أو نضلل مَنْ قال به، هل تُكفَّر بمثل هذه الآراء أم لا؟ وهل يكفر المسلم إذا عمل معصية وهو في الأصل ملتزم بالإسلام؟ فكلام الإمام الشهيد هنا إنَّما هو عن واقع الجماعات، بدليل أنَّه يقول: لا نُكفِّرُه برأي أو معصية. وقد تكون المعصية فعل محظور، أو ترك مأمور، فللمعصية وجهان: وجه إيجابي، ووجه سلبي. الوجه الإيجابي أنْ يرتكب المسلم المُحرَّم، وخاصة ارتكاب الكبائر، لأنَّ الصغائر معروف أنَّها تُكفَّر بالوضوء، وبالصلوات الخمس، وبمجرد اجتناب الكبائر، كما قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. والوجه السلبي للمعصية أنْ يترك ما افترض الله ﷻ، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، ونحوها، فهل يكفر مرتكب الكبيرة سواء كانت بوجهها الإيجابي أو السلبي؟

كان الخوارج هم أول مَنْ قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة، بل ما يعتقدون هم أنَّها كبيرة، وإن لم تكن كبيرة في نفسها، ولذلك كفَّروا عليَّ بن أبي طالب لأنَّهم اعتقدوا أنَّه ارتكب كبيرة، وهي أنَّه حكَّم الرجال في دين الله، كيف يقبل التَّحكيم، ولا حكم إلا لله؟ وهذا ما جعل أمير المؤمنين رضي الله عنه يقول: كلمة حقٍّ يراد بها باطل[1]، لا بدَّ للناس من أمير برٍّ أو فاجر[2]. القول بأنه لا حكم إلا لله يعني أنَّه لا أمر ولا نهي ولا تشريع إلا لله، أمَّا الحكم بمعنى الإمارة فلا بدَّ للناس من إمارة، بارَّةً

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٦٦)، عبيد الله بن أبي رافع.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الجَمَل (٣٩٠٦٢)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٨٤/٨).

QaradawiBooks.com

كانت أو فاجرة، بدليل أنَّ القرآن رضي بالتَّحكيم فيما هو دون ذلك، قال في خلاف الأسرة بعضها مع بعض: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]. وقال في أمور الحج: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]. وهو ما حاجَّ به حبر الأمة، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس الخوارجَ، ورجع معه آلاف منهم بعد محاججتهم[١].

الخوارج إذنْ هم أول من قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة، ولهم في ذلك طبعًا استدلالات وشبهات، لأنَّه ما من صاحب بدعة ـ خفَّت أو غلُظت، صغُرت أو كبُرت ـ إلا وله شبهات يستند إليها، يأخذ ببعض المتشابهات من القرآن، أو من السُّنَّة، وهذا هو الخطر، الخطر في اتباع المتشابهات، وترك المحكمات، ولو أنَّ النَّاس ردوا المتشابهات إلى المحكمات، وردوا الفروع إلى الأصول، وردوا الكليَّات إلى الجزئيَّات، وردوا الظنيَّات إلى القطعيَّات لوصلوا إلى الحقيقة، لكن يأتي أحدهم مثلًا إلى حديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرق السارقُ حين يسرقُ وهو مؤمن، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربُها وهو مؤمن**»[٢]. فيقول: لقد نفى عنه الإيمان، إذن هو كافر. أو حديث: «**لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضرب بعضُكم رقابَ بعض**»[٣]. أو الأحاديث الَّتي أطلقت على المعاصي أنَّها كفر، مثل حديث: «**اثنتان في النَّاس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على المَيِّت**»[٤]. فأخذ هؤلاء هذه الأحاديث المحتمَلة، وتركوا القطعيَّات، لو

(١) رواه النسائي في الكبرى في الخصائص (٨٥٢٢)، والحاكم في قتال أهل البغي (٢/١٥٠، ١٥١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٤) رواه مسلم في الإيمان (٦٧)، وأحمد (١٠٤٣٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

رجعوا إلى الأحاديث الَّتي أثبتت الإسلام بمجرد أنْ يقول المرء: لا إلٰه إلا الله. وجعلت له النجاة في الآخرة، والخروج من النار منوطًا بهذا، ولو ردوا النصوص بعضها إلى بعض لما وصلوا إلى هذه النتيجة، ولعرفوا أنَّ الكفر منه ما هو كفر أكبر، ومنه ما هو كفر أصغر، فقد تطلق كلمة الكفر على كفر أصغر مجازًا، كما أنَّ كلمة الإيمان تطلق أيضًا على الإيمان الكامل، وتطلق على أصل الإيمان، فحينما يقول: «**لا يزني الزاني حينَ يزني وهو مؤمنٌ**». أي مؤمن إيمانًا كاملًا، وخصوصًا ساعة زناه، كأنَّما يغيب عنه في هذه الحالة معنى الإيمان، تضعف عنده رقابة الله ﷻ، كما ورد أنَّ الإيمان يفارقه، ويصبح كأنه ظلَّة عليه، حتَّى إذا أقلع رجع إليه إيمانه من جديد، وهكذا، فهذه المعاصي الكبار تنقص الإيمان وتجرحه وتخدشه، ولكنها لا تنقضه من أساسه، لا تهدمه، لا تقتلعه من جذوره، لا زال يوقن أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وأنَّ هناك آخرة، وجنَّةً ونارًا، وأنَّ القرآن كتاب الله، إلى آخره، هذه العقائد لا زالت تغمر قلبه وتعمره، فكيف نزيل عنه الإيمان؟ فهم أخذوا بعض الأحاديث دون بعض، وأوتي هؤلاء أكثر ما أوتوا من أنَّهم يأخذون بالحرفية، ويأخذون بالمتشابه، وينسون أنَّ من الألفاظ ما يحتمل الحقيقة والمجاز، فلو قلتَ مثلًا: لا علمَ إلا ما نفع، أو لا مالَ إلا ما بقيَ لك عند الله، «**ليس لكَ من مالِكَ إلَّا ما تصدَّقتَ فأمضيتَ**»[1]، هذه كلها مجازات، فالعلم علم، سواء نفع أو لم ينفع، لكن العلم الكامل هو الَّذي ينفع صاحبه، لكن لنفترض أنَّه لم ينتفع به هل ينفي ذلك أنَّه يعلم حقيقة؟ فهذه طبيعة اللغة، ولكن أوتي هؤلاء من وقوفهم عند الظواهر، وجمودهم على حرفيَّة النصوص، وعدم ردهم النصوص بعضها إلى بعض.

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٨)، وأحمد (١٦٣٠٦)، عن عبد الله بن الشِّخِّير.

QaradawiBooks.com

فأول قضيَّة شغلت الفكر الإسلامي هي قضيَّة التكفير، وأول من قال بها هم الخوارج، وكانوا أجلافًا من العرب البُداة، فيهم شدَّة وغِلظة وحماس، ولم يكونوا أناسًا منافقين، بالعكس كانوا أناسًا ذوي شجاعة وزهادة وعبادة ورغبة في الآخرة، ولكنهم أوتوا من فهمهم، من عقولهم، ولذلك قال عنهم النبي ﷺ: «**يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه إلى صلاتهم، وقيامَه إلى قيامهم، وقراءتَه إلى قراءتهم**». ومع ذلك وصفهم بأنَّهم: «**يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة**». وذلك لعدم فقههم لدين الله، ولذلك وصفوا أيضًا بأنَّهم: «**يدَعون أهلَ الأوثان، ويقتلون أهل الإسلام**»[1]. وقد عرف ذلك بعض المعتزلة حينما وقع في يد خارجيٍّ، لمَّا سأله: من أنت؟ قال: مشرك مستجير. قال: إذنْ نجيرك حتَّى نبلغك مأمَنَك. كما يقول القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]. فلو قال له: أنا مسلم. كان يمكن أنْ يقطع رقبتَه، فاستطاع بهذه الحيلة أنْ يفلت برأسه، فهذا الغلوُّ في تكفير النَّاس أصبح ينال من دمائهم وأموالهم، وقد كفَّروا عليَّ بن أبي طالب ثمَّ قتلوه، وفعلوا ذلك تقرُّبًا إلى الله ﷻ، لأنَّهم قتلوا عليًّا تديُّنًا! تعبَّدوا لله بقتله! حتَّى قال شاعرهم عمران بن حطان يصف عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليٍّ:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تقيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا ... إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْشِ رِضْوَانَا
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسَبُهُ ... أَوْفَى البَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانَا[2]

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) من شعر عِمران بن حِطَّان، شاعر من الخوارج، كما في الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١١٢٨/٣)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

تصوَّروا، عمران بن حطَّان من رواة البخاري، ولذلك يشتدُّ الشيعة على البخاري وينكرون عليه كيف يروي لمثل هذا الخارجي المتعصب، ولكن لأنَّ الخوارج ما كانوا يكذبون في رواية الحديث، لأنَّ الكذب عندهم كبيرة، فكيف بالكذب على رسول الله؟ يعتبرونه كفرًا، ولذلك لا يتصور أنَّهم يكذبون، فهم أهل صدق، ولهذا روى البخاري عنهم، فتكفير النَّاس بارتكاب الكبائر مسألة خطيرة، كما ذهب إلى ذلك الخوارج، قالوا: إنَّه يكفر، ويخلد في النار.

ثم جاء المعتزلة بعد ذلك وقالوا: مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن، وإنَّما هو في منزلة بين المنزلتين، ويخلد في النار، في عذاب أقل من عذاب الكافر. وقال بعضهم: إنَّه منافق.

واستقرَّ رأي أهل السُّنَّة والجماعة وجمهور الأُمَّة على أنَّ مرتكب الكبيرة عاصٍ آثم فاسق، ولكن كبيرته لا تخرجه من الملَّة، يبقى مسلمًا، واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، من ذلك أنَّ الله تعالى قال في شأن القاتل عن عمد الَّذي يجب في شأنه القصاص: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ [البقرة: ١٧٨]. فاعتبر القاتل أخًا للمقتول، أو أخًا لوليِّ الدم، أي لا زالت الأخوة بينهما، وهذه أُخوَّة في الدين، لم ينفها بين القاتل والمقتول وولي الدم.

وكذلك قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩]. فأثبت لكلتا الطائفتين الإيمان مع أنَّ إحداهما باغية على الأخرى، ثمَّ قال:

QaradawiBooks.com

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وفي الحديث: «**إذا التقى المسلمان بسَيْفَيْهما فالقاتلُ والمقتولُ في النَّار**»(١). فأثبتَ لهما الإسلام مع أنَّهما يستحقَّان النَّار، فهناك فرق بين أنْ يُحكَم عليهما بالكفر وأن يُحكَم عليهما بالفسق واستحقاق النار.

ويقول العلماء: لو كانت هذه الكبائر مُخْرجة من الملَّة، ومكفِّرة لصاحبها ما كان هناك داعٍ للتفرقة في عقوباتها. لماذا قلنا: إنَّ عقوبة السرقة قطع اليد، وعقوبة الزنا الجلد أو الرجم، وعقوبة الردة القتل؟ لو كانت هذه الكبائر موجبة للكفر لكانت عقوبتها جميعًا نفس عقوبة الردة وهي القتل، «**مَنْ بدَّل دِينَهُ فاقتلوه**»(٢)، فاختلاف العقوبات دليل على أنَّ صاحبها لا يزال مسلمًا، ويستوجب كل منها عقوبة دون عقوبة المرتد، فالأدلة كثيرة.

ولهذا استقرَّ الرأي عند جماعة المسلمين، وعند أهل السُّنَّة والجماعة من قديم على أنَّ المعاصي والكبائر ـ سواء كانت فعلًا أو تركًا ـ لا تُخْرج صاحبَها من الإسلام، لا يُحكم على صاحبها بالكفر، إلا إذا استحلَّ الكبيرة أو المعصية، اعتقد أنَّها حلالًا، ولم يبالِ بتحريم الله ﷻ، وأنكر تحريم الله لها، هذا أمر آخر إذنْ، فهو لا يكفر بالمعصية، وإنَّما يكفر بالاستحلال، كذلك لو أنكر فرضيَّة الفرائض، أو حُرمة المحرَّمات، فتركُ الصلاةِ أمرٌ، وإنكارُ فرضيتها أمرٌ آخر، اختلفوا في حكم تارك الصلاة، ولكن جمهور علماء الأُمَّة على أنَّ تارك الصلاة فاسق وليس بكافر، ولكنهم أجمعوا على أنَّ مَنْ ترك الصلاة مُنكرًا لفرضيَّتها، مُستخِفًّا بحرمتها، مستهزئًا بها، فهو كافر مرتدٌّ مارق، فهناك فرق بين الأمرين.

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣١)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة.

(٢) رواه البخاري في الجهاد (٣٠١٧)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

هذا هو المقصود بكلام الإمام الشهيد: عدم تكفير المسلم لمجرَّد أنَّ له رأيًا من الآراء، أو تأويلًا من التأويلات، ما دام أنَّه في غير القطعيَّات، أو إذا ارتكب معصية كبيرة، فعلًا كانت أو تركًا.

والذي استقرَّ عليه أهل السُّـنَّة أيضًا: أنَّهم لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة، حتَّى لو كان من أهل البدع، كالمعتزلـة، والرافضة، والخوارج، ما عدا الغلاة منهم طبعًا، أمَّا كل أهل البـدع هؤلاء فما كفروهم، القول الصحيح الَّذي عليه الجمهور، والَّذي عليه الأدلة: أن هؤلاء ليسوا كفارًا، حتَّى إنَّ شيخ الإسـلام ابن تيمية قال: لم يكفر العلماء الخوارج الَّذين صحَّـت الأحاديث في ذمِّهم من عشـرة أوجه، بعضهـا رواه البخاري، وبعضها رواه مسـلم[١]، وفيها أمر بقتالهم: «**إذا لقيتُموهم فاقتلوهم، مَنْ قتلهم فهو أولى بالله منهم**»[٢]. هؤلاء لم يكفرهم العلماء.

وكذلك لم يكفر الرسـول ﷺ الرجل الَّذي اعتبر أصلًا لهم، الَّذي قال له: هذه قسمة ما أُرِيدَ بها وجه الله. قال: «**ويحَكَ فمن يَعْدِلُ إذا أنا لم أعدل؟!**»[٣] فلم يحكم الرسول ﷺ على هذا الرجل بالردة.

كذلك لم يكفر عليُّ بن أبي طالب الخوارج رغم أنَّهم سلُّوا السيوف عليه وقاتلوه، واسـتحلُّوا دمه ودم أصحابه، وكل ما قاله لهم: لكم علينا ثلاث: ألا نمنعكم من فيء ما دامت سـيوفكم مع سيوفنا، وألا نمنعكم من المساجد، وألا نبدأكم بقتال[٤]. وسئل عنهم: هل هم كفار؟ قال: من الكفر فرُّوا. قيل: هل هم منافقـون؟ قال: لو كانوا منافقين لم يذكروا الله

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧٩/٣).

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠٦٦) (١٥٤).

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١٥٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٢)، عن ابن مسعود.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في الجمل (٣٩٠٨٥)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٨٤/٨).

QaradawiBooks.com

إلا قليلًا. قيل: فمن هم؟ قال: إخواننا بالأمس بغوا علينا اليوم[١]. فاعتبرهم بغاةً، ولم يعتبرهم كفَّارًا، وقاتلهم كما يُقاتَل البغاة، ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

كذلك لم يكفِّر الإمام أحمد المعتزلة والجهميَّة الَّذين كانوا يقولون بخلق القرآن، ووقف في وجههم، ولم يلن لهم قط، وتحمَّل من السجن والعذاب والأذى ما لا يحتمله إلا أفذاذ الرجال من أُولي العزم، ومع هذا ـ كما قال الإمام ابن تيمية ـ لم يكفرهم، بل دعا لهم، استغفر لهم، وترحَّم عليهم، يقول ابن تيمية: أشد من القول المبتدع أنْ يدعو الإنسان إليه. لأنَّ هناك من يقول القول السوء أو المبتدع، أو يرى الرأي الضال، ولكنَّه يقوله في نفسه، ولا يدعو إليه غيره، فإذا دعا إليه كانت الدعوة أشد من القول، فإذا عاقب غيره على عدم القول به كما كان يفعل المعتزلة أيام المأمون والمعتصم والواثق، أنَّهم لم يكتفوا بالدعوة إلى البدعة، ولكن يضْطرون النَّاس إلى القول بها بالعصا والسكين، والسجن والتعذيب، فهم يعاقبون على عدم القول به، يقول ابن تيمية: وأشد من العقاب أنْ يُكفَّر مَن لا يقول بهذا القول. فتكفير الشخص أشد من عقابه بالسجن ونحوه، ويقول ابن تيمية: ومع هذا ترحَّم الإمام أحمد بعد ذلك على هؤلاء واستغفر لهم، لأنَّه لم يتبيَّن له أنَّهم مكذِّبون لله ورسوله[٢]. أي أنَّهم مخلصون فيما أرادوا ولكنهم ضلوا الطريق، وأخطؤوا السبيل إلى معرفة الحق واتِّباع السُّنَّة، فاستغفر لهم، وهذا من عظمته رضي الله عنه، أنَّه بعد ذلك دعا لهم، ولسان حاله يقول: ما الَّذي تستفيده إذا دخل أخوك المسلم النار؟ فكان يترحَّم عليهم، وهذا من روائع البطولة الأخلاقية للمفكر.

(١) سبق تخريجه صـ٦١٠.

(٢) مجموع الفتاوى (٤٨٨/١٢، ٤٨٩).

QaradawiBooks.com

من أجل هذا نقول: إنَّ أصحاب البدع المعروفة من الفرق المعروفة في الحياة الإسلامية لم يكفرهم المسلمون، إلا مَنْ غلا ببدعته حتَّى خرج إلى الكفر، مثل بعض فرق الرافضة الَّذين قالوا بنبوَّة عليٍّ أو بإلهيته، أو نحو ذلك، أو الَّذين قالوا بإلهية الحاكم بأمر الله، أو نحو ذلك، مثل النصيرية، والدروز، والإسماعيلية، وغيرهم من الباطنية الَّذين مرقوا من الإسلام تمامًا، ولم يعودوا مسلمين إلا بمجرَّد الانتساب القديم، لكن هم في الحقيقة لا يؤمنون بالصلاة، ولا بالصيام، ولا بكذا، وكذا، فإبقاء هؤلاء في الإسلام غلط عظيم.

وبعض النَّاس يريد أن تتَّسع دائرة الإسلام، وأنْ يتسامح مع كل من كان من أهل الإسلام في الأصل، وإن انشق عنه، لا، فهذه الفرق المنشقة ليست إسلامية بحال، ولا يجب أنْ يتحملها الإسلام، ويقول ابن تيمية عن هؤلاء النصيرية والدروز وما شابه: هم أشد كفرًا من اليهود والنصارى[1]. وقد حدث أنَّهم كانوا مع كل مُغير على المسلمين، كانوا دائمًا ينضمُّون مع كل عدوٍّ من اليهود، والنصارى ضد المسلمين، لأنَّهم يكرهون المسلمين في أعماق قلوبهم، وليس لهم في الإسلام نقير ولا قطمير، ولذلك لا يصح للمسلم أنْ ينكح نساءَهم، ولا أنْ يأكلَ ذبائحهم، لأنَّهم لا يعتبرون حتَّى كأهل كتاب، فاليهود والنصارى أقربُ إلينا منهم لأنَّهم يعتبرون أهل كتاب، ويؤمنون بالدين في الجملة، وبالآخرة في الجملة، وبالنبوَّات في الجملة، لكن هؤلاء لا يؤمنون بنبوة، ولا بآخرة، ولا بكتاب، يؤمنون بتناسخ الأرواح، وبأشياء عجيبة، وأديانهم خليط من الفلسفات القديمة، مع بعض أشياء من الهند، وأشياء من الفرس، إلى آخره، فهم لا يمتُّون إلى الإسلام بصلة.

(١) مجموع الفتاوى (١٤٩/٣٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولذلك بعض الفرق المنشقَّة في عصرنا مثل البهائية والبابية لا يعتبرون أيضًا مسلمين بحال، وهم بأنفسهم يعتبرون أنفسهم دينًا جديدًا، ولكن بعض النَّاس ـ للأسف ـ لا يعرف حقيقة هؤلاء، ويظنُّهم من الفرق الإسلاميَّة، وهم ليسوا فرقة إسلامية بحال، ويجب أنْ يُحكم بكفرهم حكمًا صريحًا.

ويقترب القاديانية من هؤلاء أيضًا، وإن كانوا أقرب منهم إلى الإسلام، ولكن علماء الهند وباكستان أجمعوا على اعتبارهم أقليَّة غير إسلامية، نظرًا لأنَّ غلام أحمد القادياني نفسه ادَّعى النبوَّة ادِّعاءً صريحًا في عدد من رسائله، وخصوصًا ما كتبه باللغة الأوردية، فهم يرون كفره أمرًا صريحًا، ولم يتبرأ أتباعه منه، وما داموا لم يتبرؤوا منه فإذن هم يؤمنون بنبوَّة بعد نبوَّة محمد ﷺ، وهذا يجعلهم في دائرة الكفر.

نقول: لا ينبغي أن نُكَفِّر بالرأي والتأويل ما لم يصل إلى درجة الانشقاق عن الإسلام، والخروج عن دائرته، أمَّا التكفير بمجرد الرأي، كما فعلت بعض الفرق وكفر بعضهم بعضًا، فهذا أنكره المحققون من علماء المسلمين، وكتب الإمام الشوكاني في هذا، وأنكر أشد الإنكار، وندَّد أشدَّ التَّنديد بالذين يكفرون كل مَنْ خالفهم في الرأي، وكذلك تلميذه صديق حسن خان.

بعض النَّاس كالمعتزلة مثلًا ينكرون رؤية الله في الآخرة، أو يقولون بخلق القرآن أو نحو ذلك، أو لا يأخذون بظاهر ما جاء في الميزان والصِّراط وسؤال القبر، ومع هذا لم نرَ أن أهل السُّنَّة كفروهم، وإنَّما اعتبروهم مبتدعين، من أصحاب الفسق في الاعتقاد، ولم يعتبروهم كفارًا، وعلى هذا ينبغي أنْ يكون معتمدنا ومستندنا، وهذا معنى قول الإمام الشهيد: لا نُكفِّرُ مسلمًا أقرَّ بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدَّى الفرائض ـ برأي أو معصية. لا نكفره بسبب الرأي، حتَّى لو أخطأ في

الرأي، لأنَّه لو كان من أهل العلم وأخطأ بعد أن تَحرَّى فهو معذور، بل مأجور، يؤْجر على اجتهاده أجر المخطئ أجرًا واحدًا.

ثم ذكر الإمام الشهيد بعد ذلك خمسة أشياء هي الَّتي يمكن أن تكون أساسًا للحكم بالكفر على الشخص، يقول: إلا إنْ أقرَّ بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذَّب صريحَ القرآن، أو فسَّره على وجه لا تحتمله أساليبُ اللغة العربية بحال، أو عمل عملًا لا يحتمل تأويلًا غير الكفر.

إذنْ يكفر المسلم إذا أقرَّ بكلمة الكفر يعني أقرَّ بها طائعًا مختارًا، قد يقر بها الإنسان تحت وطأة التعذيب أو نحو ذلك، كما فعل عمار بن ياسر ذلك تحت شدة التعذيب، وجاء إلى النبي ﷺ يبكي، ويقول: يا رسول الله فعلت وفعلت. فنزل قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦]. فلا يُحكم على شخص بالكفر إلا إذا شرح به صدرًا، أمَّا مجرَّد كلمة ينطق بها المرء بلسانه مكرهًا فلا ينبغي أنْ يُحكم بها، ولذلك تجد بعض النَّاس يريد أنْ يحكم بالكفر على مَنْ سبَّ الدين، بعض العلماء قال: لا؛ لأنَّه لو كان يقصد سبَّ دين الإسلام نفسه فهذا يكفر، إنَّما لو يقصد شتم شخص أساء إليه ولا يقصد سبَّ الإسلام فلا يكفر بذلك، وإن ارتكب محرَّمًا، لأنَّه استخدم هذا اللفظ في غير موضعه. فإذا نطق المسلم بكلمة الكفر صريحة تدلُّ على كفره فهذا كافر، أمَّا إذا نطق بكلمة تحتمل كفرًا وغير كفر فنحملها على الوجه الصحيح، تحسينًا بالظن بالمسلم، فالعلماء في الحقيقة شدَّدوا هنا بين الصريح والمحتمل.

كما يكفر المسلم إذا أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، وهو ما يعرفه الخاص والعام من المسلمين، ما لا يحتاج إلى إقامة أدلة عليه، مثل فرضيَّة

QaradawiBooks.com

الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، ومثل حرمة الزنا، وشرب الخمر، ومثل حلّ البيع، والزواج، ومثل قضايا الميراث المعروفة، مثل الأمور المقطوع بها، والتي أصبحت معروفة عند جميع المسلمين، فهناك أمور ليست معروفة عند الجميع، مثل أنَّ الجدة ترث السدس، فهذا حكم مجمَع عليه عند المسلمين لكنَّه لا يبلغ درجة المعلوم من الدين بالضرورة، فهذا لا يُكفَّر به، أمَّا المعلوم من الدين فالكل يعرفه ولا يحتاج إلى استدلال خاص، فإذا أنكره يكفر بها، معلوم من الدين مثلًا تبرئة القرآن عائشة رضي الله عنها من التهمة المنسوبة إليها، فبنزول القرآن في هذا الأمر لا يجوز لأحد أنْ ينسب إليها شيئًا، وهذا يمكن أنْ يدخل في القضيَّة التالية وهي التكذيب بصريح القرآن.

نسأل الله سبحانه وتعالى أنْ يُفقِّهنا في ديننا، وأنْ يعلمنا ما ينفعنا، وأنْ ينفعنا بما علمنا، اللهمَّ اجعل لنا من أمرنا رَشدًا، اللهمَّ أكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤْثر علينا، وارضَ عنا وأرضنا، اللهمَّ حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين؛ فضلًا منك ونعمة، اللهمَّ أعلِ بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن، وتقبلنا في جندك الصادقين، وحزبك الغالبين، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا؛ ربنا إنَّك رؤوف رحيم، وصلِّ اللهمَّ على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم، اللهمَّ آمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن الأسئلة

مفهوم العلمانية:

السؤال الأول: هل مفهوم العلمانية هو فصل الدين عن الدولة فقط، أم أنَّ للكلمة مدلولات أخرى يجب أن نعرفها، خاصَّة وأنَّه قد كثُر الحديث عن هذا المصْطلح في كتابات الإسلاميين؟

الجواب: معنى كلمة العلمانية فعلًا هو فصل الدين عن الدولة، وعن قيادة المجتمع، وأصل الكلمة طبعًا مأخوذ من الغربيين، وهي منسوبة إلى العلم، لأنَّ العلم عندهم مقابل الدين، الدين شيء، والعلم شيء، فالعلماني هو اللاديني، فهو مقابل للدين، وإن كان لا يرفض الدين من أصله، فليس معنى العلمانيَّة رفض الدين من أساسه، وإنَّما حصر الدين في نطاق معين من الحياة، ولذلك لا نقول عن المجتمع الشيوعي أو الروسي مثلًا: إنَّه علماني. لا، هو أكثر من علماني، لأنَّه يرفض الدين أساسًا، ولا يعترف به، أمَّا المجتمع الأمريكي، أو الإنجليزي، أو المجتمعات الغربية الليبرالية عمومًا، وكذلك بعض المجتمعات العربية المقلدة للمجتمعات الغربية، فهي مجتمعات علمانية، بمعنى أنَّها لا ترفض الدين أساسًا، وإنَّما ترفض أنْ يقود الدين الحياة، وأنْ تصبح الدولة ملتزمة بأحكام الدين، فهي تعترف بالدين في حدود معينة، تحصر الدين في زاوية معينة، ففي الحياة يأخذ المسجد، وفي القوانين يأخذ دائرة الأحوال الشخصية، وفي الإذاعة والتلفزيون يأخذ حديثًا دينيًّا في الصباح مثلًا، أو الأذان، أو نحو ذلك، وفي الصحف يأخذ صفحة دينية، فيأخذ جزءًا من الحياة، ولكن لا يوجِّه الحياة ولا يصبغها بصبغته، ولا يقودها بتعاليمه، ويمكن أن تظهر العلمانية في السياسة، وفي

QaradawiBooks.com

التشريع، وفي التعليم، وفي الإعلام، وفي جوانب الحياة المختلفة، هذا هو المعنى الأساسي للعلمانية.

وقد يُقبل منطق العلمانية في مجتمع نصراني، أو مجتمع غربي، لأنَّ النصرانية ـ بحسب تعاليمها ـ تقبل قسمةَ الحياة، وتقبل انشطار الإنسان، فتعاليم المسيح تقول: أعطِ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. فقسمت الحياة بين قيصر وبين الله، وقسمت الإنسان قسمين، بحيث توجِّه الكنيسة الجزء الروحي منه، وتوجِّه الدولة الجزء المادي منه.

أمَّا الإسلام فلا يقبل هذه القسمة إطلاقًا، فقيصر وما لقيصر لله الواحد القهَّار، الحياة كلها لله، ويجب أنْ يوجِّهها الإسلام، ولذلك لا يقبل الإسلام العلمانية بحال من الأحوال، فقبول العلمانية يعني قبول الكفر والظلم والفسوق، لأنَّها تطيح بالأحكام الشرعيَّة الَّتي تقود الحياة وتوجهها وتنظمها من ألفها إلى يائها، إنَّ أطول آية في القرآن تنظم شأنًا من شؤون الحياة، فإذا كانت العلمانية مقبولة في نظر المسيحيين فلا يمكن أن تقبل في نظر الإسلام بحال من الأحوال.

يمكن أن تقبل العلمانية في نظر الفلسفة الغربية، فالإله في نظر أرسطو ـ المحرك الأول أو العلة الأولى كما يسميه ـ لا يفعل في الكون شيئًا، لا يدبِّر فيه أمرًا، ولا يعلم فيه شيئًا، لا يعلم إلا ذاته، حتَّى قال أحد مؤرِّخي الفلسفة وهو «وول ديورانت»: يا لإله أرسطو من إلٰه مسكين؛ إنَّه كملك الإنجليز، يملك ولا يحكم[1]. ولذلك يقولون: لعلَّ سر إعجاب الإنجليز بفلسفة أرسطو أنَّ الإلٰه عنده مثل ملك الإنجليز. أمَّا عندنا نحن فالله تعالى يحكم كلَّ شيء، فهو الَّذي يأمر وينهى، ولا يمكن أنْ يرضى

(١) مباهج الفلسفة صـ١٦١، ١٦٢، ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني، نشر مكتبة الأنجلو فرنكلين.

QaradawiBooks.com

المسلم بغير الله ربًّا، ولا يبتغي غير الله حَكَمًا، ولا يتَّخذ غير الله وليًّا، هذا مفهوم العلمانية كما أعرفه.

تعدد الجماعات الإسلامية:

السؤال الثاني: ما رأي فضيلتكم في جماعات إسلامية تتبنى جزءًا من الإسلام وتقول علنًا: إنَّه ليس الإسلام كله، ولكن هذا هو جهدنا. ألا يعتبر هذا تبديدًا للطاقة الإسلامية، وإهدارًا لجهود العاملين في تلك الجماعات، وأموالهم؟

الجواب: لا، ليس إهدارًا، فلو قالت إحدى الجماعات الإسلامية: نحن متخصِّصون في عمل الخير، نشتغل في هذه الناحية، نغيث الملهوفين، ونطعم الجائعين، ونكسو العُراة، ونعلم الأميِّين. وقالت جماعة أخرى: نحن نهتم بمسألة المرأة، وبمحاربة السفور والخلاعة والانحلال. وقالت جماعة أخرى: ليس لنا شغل غير في الناحية العسكرية، نجنِّد الشباب ليقاتلوا في كل مكان فيه جهاد في سبيل الله بحق. وقالت جماعة أخرى: نحن نشتغل بالسياسة، نجهِّز أناسًا يدخلون البرلمان، وينادون بتحكيم الشريعة. ليكن مثل هذا التَّخصص، أنا لا أمانع فيه، كل ما أمانع فيه أنْ تقول أي جماعة عن تخصصها: هذا هو كل الإسلام. أو يُخَطِّؤوا الَّذين ينادون بشمول الإسلام، أو يعيبوهم، أو ينكروا عليهم.

أذكر حينما ذهبت إلى «لَكْنو» في الهند لزيارة الشيخ أبي الحسن الندوي في ندوة العلماء، أرسل إليَّ شاب من جماعة التبليغ كان يدرس هناك، وكان قد قرأ كتابي «درس النكبة الثانية.. لماذا انهزمنا وكيف ننتصر؟»، فأخذ منه عبارات معينة في أهمية التربية والتكوين للجيل

QaradawiBooks.com

المؤمن قبل الجهاد، وقال: هذا ما تنادي به جماعة التبليغ، أنَّ التربية واجبة قبل كلِّ شيء. وكنت ألقي محاضرة عن الغزو الفكري، وبعد المحاضرة ناديته، وقلت له: ما رأيك في المحاضرة؟ قال: الآن اقتنعت بعد أنْ سمعت. فقلت له: لا مانع أنْ تقوم جماعة مثل التبليغ تنادي بالمحافظة على أداء الصلاة، والتأدب بأدب السُّنَّة، وتحترم المسلم وتحبه، لكن المانع أنْ تقول: إياكم والقراءة لأبي الأعلى المودودي. أو تقيم حربًا على الجماعة الإسلامية، أو تقف ضد الجهاد، أو تنكر على مَنْ يعملون في السياسة حمايةً لحقوق المسلمين أو غير ذلك، أمَّا لو وقفت نشاطها على تبليغ الإسلام للناس، وتقول: هذا هو جهدي. فهذا لا مانع منه، المشكلة أنْ تهدم الآخرين، أو تنكر عليهم، أو تقول عن جهدها: هذا هو الإسلام، أو نحن وحدنا على الإسلام، وغيرنا على الباطل. هذا هو الَّذي ننكره، فإذا وجدت أكثر من جماعة تعمل في دوائر اهتمام مختلفة لا مانع من هذا، فمثل هذا نسميه «اختلاف التنوع»، وليس «اختلاف التضاد»، فيمكن أن نختلف اختلاف التنوُّع، بأنْ تعمل كل جماعة في دائرة معينة، ويكون لها اهتمام خاص، تبذل جهدها فيه، ولكن في القضايا المصيرية يقف الجميع صفًّا واحدًا، عندما نقف ضد الاحتلال اليهودي لفلسطين يجب على جميع العاملين للإسلام أنْ يتعاونوا، وعندما نقف ضد الغزو الروسي لأفغانستان يجب على الجميع أنْ يتعاونوا، وعندما تقف جماعة طاغوتية ضد جماعة إسلامية وتعلن الحرب عليها ينبغي أنْ تقف الجماعات الإسلامية كلها معها، هذا هو الَّذي نريده، فليس تعدُّد الجماعات تبديدًا للطاقات، لأنَّ النَّاس تتفاوت قدراتهم، يقول البعض: أنا لا أستطيع أنْ أعمل إلا في الجانب الخيري، لا أستطيع أنْ أجاهد، ولا أتحمَّل دخول السجن، ولو أدخلوني فيه مرة

QaradawiBooks.com

وضربوني سوطًا واحدًا لسقطت مغشيًّا عليَّ. مثل هذا نقول له: حسبك أنْ تعمل في الجانب الخيري، وادعُ لنا. فهذا ما قصدته من اختلاف التنوع والتخصص.

واقع الإخوان من الشمول:

السؤال الثالث: ماذا قدمت جماعة الإخوان عمليًّا لإثبات التزامها بالأصل الأول الَّذي يُعنَى بشموليَّة الإسلام؟ وماذا قدمت في الجمع بين الجماعات الإسلامية في إطار شمول الإسلام؟

الجواب: لا شك أنَّ جماعة الإخوان التزمت بالأصل الأول، نظريًّا وعمليًّا، وصبغت كيانها بصبغة الشمول، ومَنْ يقرأ منكم النظام الأساسي للجماعة ـ مثلًا ـ يجد الشمول في الأهداف والوسائل واضحًا جليًّا، فقد جاء في بنود هذا النظام ما يلي:

مادة ٢: الإخوان المسلمون هيئة إسلاميَّة جامعة تعمل لتحقيق الأغراض الَّتي جاء من أجلها الإسلام الحنيف، وما يتصل بهذه الأغراض:

(أ) شرح دعوة القرآن الكريم شرحًا دقيقًا يوضِّحها ويردها إلى فطريتها وشمولها، ويعرضها عرضا يوافق روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات.

(ب) جمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنيَّة وتجديد أثرها الكريم فيها، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة.

(ج) تنمية الثروة القوميَّة، وحمايتها، وتحريرها، والعمل على رفع مستوى المعيشة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(د) تحقيق العدالة الاجتماعيَّة، والتأميـــن الاجتماعي لكلِّ مواطن، والمســـاهمة في الخدمة الشـــعبيَّة، ومكافحة الجهل والمـــرض والفقر والرذيلة، وتشجيع أعمال البر والخير.

(هـ) تحريـــر وادي النِّيل والبلاد العربية جميعًا والوطن الإســـلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي، ومساعدة الأقليَّات الإسلاميَّة في كلِّ مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييدًا كاملًا، والسَّيْر إلى الجامعة الإسلامية.

(و) قيام الدولة الصالحة الَّتي تنفِّذ أحكام الإســـلام وتعاليمه عمليًّا، وتحرسها في الداخل وتُبلغها في الخارج.

(ز) مناصرة التعـــاون العالمي مناصرة صادقة في ظـــلِّ المُثُل العليا الفاضلة الَّتـــي تصون الحريَّـــات وتحفظ الحقوق، والمشـــاركة في بناء السَّلام والحضارة الإنسانيَّة، على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة، كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة.

مادة٣: يعتمد الإخوان المســـلمون في تحقيق هـــذه الأغراض على الوسائل الآتية، وعلى كلِّ وسيلة أخرى مشروعة:

(أ) الدعوة بطرق النشـــر والإذاعة المختلفة من الرســـائل والنشرات والصحف والمجلات والكتب والمطبوعـــات، وتجهيز الوفود والبعثات في الداخل والخارج.

(ب) التربية بطبع أعضاء الهيئة على هـــذه المبادئ، وتمكين معنى التدين العملي لا القولي في أنفســـهم أفرادا وبيوتـــا، وتكوينهم تكوينًا صالحًا ـ بدنيًّا بالرياضة، وروحيًّا بالعبادة، وعقليًّا بالعلم ـ وتثبيت معنى الأخوَّة الصادقة، والتكامل التام والتعـــاون الحقيقي بينهم، حتَّى يتكوَّن

QaradawiBooks.com

رأي إسلامي عام موحَّد، وينشأ جيل جديد يفهم الإسلام فهما صحيحا ويعمل بأحكامه، ويوجِّه النهضة إليه.

(ج) التوجيه بوضع المناهج الصَّالحة في كل شؤون المجتمع من التربية، والتعليم، والتشريع، والقضاء، والإدارة، والجنديَّة، والاقتصاد والصحَّة العامة، والحكم، إلى آخره، والاسترشاد بالتوجيه الإسلامي في ذلك كله والتقدم بها إلى الجهات المختصة، والوصول بها إلى الهيئات النيابية والتشريعية والتنفيذية والدولية، لتخرج من دور التفكير النظري إلى دور التفكير العملي.

(د) العمل بإنشاء مؤسَّسات اقتصاديَّة واجتماعيَّة ودينيَّة وعلميَّة، وبتأسيس المساجد والمدارس والمستوصَفات والملاجئ، إلى آخره، وتأليف اللجان لتنظيم الزكاة والصدقات لأعمال البر، والإصلاح بين الأفراد والأسر، ومقاومة الآفات الاجتماعيَّة، والعادات الضارَّة، والمخدرات والمسكرات والمقامرة والبغاء، وإرشاد الشباب إلى طريق الاستقامة، وشغل وقت الفراغ بما يفيد وينفع، ويستعان على ذلك بإنشاء أقسام مستقلة اهـ.

فهكذا تجد الشمول في الأهداف، والشمول في الوسائل، وتجد أيضًا نشاط الجماعة يمثل كل هذه الجوانب، ففي جانب التربية تجد أثر تربية الفرد المسلم الَّتي يتعاقد عليها الإخوان واضحًا في أولئك الَّذين يلقون الشدائد الَّتي تنوء بها الجبال، ويصبرون عليها، ويخرجون منها ـ والحمد لله ـ أصفى معدنًا وجوهرًا، وأصلبَ عودًا، وأشدَّ قوة، هذا من أثر التربية طويلة المدى، بعيدة الجذور، بعد أنْ فهموا الإسلام فهمًا خاصًّا، وهو ليس إسلام الإخوان المسلمين، وإنَّما هو إسلام القرآن والسُّنَّة، إسلام

QaradawiBooks.com

الصحابة والتابعين، لكن لأنَّه صار غريبًا في هذا العصر أصبح يُنسب إليهم، ويعرفون به، هذا الإسلام طبَّقوه عمليًّا في الحياة، حتَّى أصبحت له مظاهر شتى في حركتهم، ومن قرأ منكم «رسالة المؤتمر الخامس» يجد الإمام البنَّا يصف شمولَ نشاط الجماعة فيقول:

تستطيع أن تقول ولا حرج عليك: إنَّ الإخوان المسلمين:

١ ـ دعوة سلفيَّة: لأنَّهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسُنَّة رسوله.

٢ ـ وطريقة سنيَّة: لأنَّهم يحملون أنفسهم على العمل بالسُّنَّة المطهَّرة في كلِّ شيء، وبخاصَّة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلًا.

٣ ـ وحقيقة صوفيَّة: لأنَّهم يعلمون أنَّ أساس الخير طهارة النفس، ونقاء القلب، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله، والارتباط على الخير.

٤ ـ وهيئة سياسيَّة: لأنَّهم يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل، وتعديل النظر في صلة الأُمَّة الإسلامية بغيرها من الأمم في الخارج، وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد.

٥ ـ وجماعة رياضيَّة: لأنَّهم يعنون بجسومهم، ويعلمون أنَّ المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وأنَّ النبي ﷺ يقول: «**إنَّ لجسدك عَلَيْكَ حقًّا**»[1]. وإنَّ تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أنْ تؤدَّى كاملة صحيحة إلا بالجسم القوي، فالصلاة والصوم والحج والزكاة لا بدَّ لها من جسم يحتمل أعباءَ الكسب والعمل والكفاح في طلب الرزق، ولأنهم تبعًا

(١) سبق تخريجه صـ٤٨.

QaradawiBooks.com

لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع ـ وربما فاقت ـ كثيرًا من الأندية المتخصِّصة بالرياضة البدنيَّة وحدها.

٦ ـ ورابطة علميَّة ثقافيَّة: لأنَّ الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ولأن أندية الإخوان هي في الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح.

٧ ـ وشركة اقتصاديَّة: لأنَّ الإسلام يُعني بتدبير المال وكسبه من وجهه وهو الَّذي يقول نبيُّه ﷺ: «**نِعْم المالُ الصَّالحُ للرجل الصالح**»[(١)]. ويقول: «**من أمسى كالًّا من عمل يَدِهِ أمسى مغفورًا له**»[(٢)]، «**إنَّ اللهَ يحبُّ المؤمنَ المُحْتَرِف**»[(٣)].

٨ ـ وفكرة اجتماعيَّة: لأنَّهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامي، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها، وشفاء الأُمَّة منها[(٤)] اهـ.

فالجماعة التزمت بما دعت إليه وطبَّقته فعلًا في حياتها، وعاشت ملتزمة بهذه الجوانب كلها، وحاولت أنْ تعمل توازنًا بينها، وهذا هو

---

(١) رواه أحمد (١٧٧٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في البيوع (٢/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١٩)، عن عمرو بن العاص.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٧٥٢٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢٣٨): رواه الطبراني في الأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم. وضعفه العراقي في تخريج الإحياء صـ٥٣٦. عن ابن عباس. ومن الأحاديث الصحيحة في هذا الباب ما رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢): «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أنْ يأكل من عمل يده، وإنَّ نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده».

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٨٩٣٤)، والكبير (٣٠٨/١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٨١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢٣١): رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٧٠٤)، عن ابن عمر.

(٤) رسالة المؤتمر الخامس ضمن مجموعة الرسائل صـ١٢١ ـ ١٢٣.

QaradawiBooks.com

منهجها، فليس من منهج حسن البنَّا الانشغال بالسياسة وحدها والانخراط فيها، وترك التربية، أو الانشغال بالعلم فقط، والتفقه فيه، وقراءة كتبه، ونسيان الجانب التربوي، أو الاهتمام بقضايا المسلمين، أو الاهتمام بالجانب الرياضي وتقوية البدن، إلى آخره، لكن التوازن بين كل الجوانب هو الَّذي ميَّز منهج حسن البنَّا.

تفاوت الصحابة:

السؤال الرابع: هناك مَنْ يقول: إنَّ الصحابة لم يكونوا يفرقون بين الواجب والسُّنَّة في أخذهم وتطبيقهم. فما رأيكم؟

الجواب: قطعًا هناك من الصحابة مَنْ كان يقوم بالواجب، وبالسُّنَّة، وبما هو أكثر من السُّنَّة، تعرفون أنَّ هناك سننًا مؤكدة، وسننًا غير مؤكدة، فبعضهم لم يكن يكتفي بالسنن المؤكدة، كان يقوم الليل كله، ولكن لأنَّ النَّاس درجات، فكان هناك من الصحابة من هو دون هذا، وقد روى البخاري وغيره: أنَّ أعرابيًّا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة؟ فقال: «**الصلوات الخمس إلَّا أنْ تطوع شيئًا**»، فقال: أخبرني ما فرض الله علي من الصيام؟ فقال: «**شهر رمضان إلَّا أنْ تطوع شيئًا**»، فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة؟ فقال: فأخبره رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، قال: والَّذي أكرمك، لا أتطوع شيئًا، ولا أنقص مما فرض الله عليَّ شيئًا، فقال رسول الله ﷺ «**أفلح إن صدق**»، أو «**دخل الجنة إنْ صدق**»[1]. وفي رواية: «**أفلحَ ـ وأَبِيه ـ إنْ صدق**»[2]. وفي حديث آخر مثل هذا، حينما قال رجل:

(١) رواه البخاري في الصوم (١٨٩١)، عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١١)، وأبو داود في الصلاة (٣٩٢)، عن طلحة بن عبيد الله.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ سرَّه أنْ ينظرَ إلى رجلٍ من أهل الجنَّة فلينظرْ إلى هذا**»[١]. هذا ثابت في الصحيح، أنَّ الرجل اكتفى بالفرائض، وهو من الصحابة، لأنَّ كل مَنْ رأى النبيَّ ﷺ حيًّا وآمن به فهو صحابي، فهذا يدلُّنا على أنَّ الصحابة درجات، ليسوا كلهم في مرتبة أبي بكر وعمر، ولكن هناك مَنْ هو دون ذلك، وكلهم صحابة، لكن هناك منهم من كان يفرق بين الواجب والسُّنَّة، ومَنْ اقتصر على الفرض فقط، وهناك من ترك الكبائر، والصغائر، والمكروهات، وترك بعض الحلال خشية الوقوع في المكروه، وهناك من ارتكب بعض الحرام، فنحن نعلم أن من الصحابة مَنْ أقيمت عليه الحدود، مثل الرجل الَّذي جيء به سكرانًا إلى النبي ﷺ أكثر من مرة، وضُرِب في الخمر، حتَّى لعنه بعض الصحابة وقال: لعنه الله؛ ما أكثر ما يُؤْتى به. فقال له الرسول ﷺ: «**لا تلعنوه، فواللهِ ما علمتُ إنَّه يحبُّ الله ورسوله**»[٢]. وفي رواية: «**لا تكونوا عونَ الشيطان على أخيكم**»[٣]. فلم ينزع النبي ﷺ عن الرجل أُخوَّته للمسلمين، بل أقرَّ بأنه يحبُّ الله ورسوله، رغم أنَّه ضُرب في الخمر أكثر من مرة، وهذا يدلُّنا على أنَّ المعاصي، حتَّى الكبائر، لا تنفي أصل الإيمان، ولا تؤدِّي إلى الكفر، وأنَّ هذا من أكبر ما يرد على المُكفِّرين، وأنَّه لا ينبغي أنْ يمسك الإنسان بالسيف يريد أنْ يقطع رقاب العصاة، «**لا تكونوا عونَ الشيطان على أخيكم**»، «**لا تلعنوه، فواللهِ ما علمتُ إنَّه يحبُّ الله ورسوله**»، فليس صحيحًا أنَّ كلَّ الصحابة كانوا على درجة واحدة في الأخذ والالتزام.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٣٦.

(٢) رواه البخاري في الحدود (٦٧٨٠)، عن عمر بن الخطاب.

(٣) رواه البخاري في الحدود (٦٧٨١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أسباب الدعوة إلى شمول الإسلام:

السؤال الخامس: ما هي أدلة الأصل الأول من الكتاب والسُّنَّة؟

الجواب: شدَّد الإمام حسن البنَّا على شمول الإسلام، لعدة أسباب:

أولًا: لأنَّ الإسلام فعلًا نظام شامل، جاء بالعقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات، وكل ما قاله في ذلك منصوص عليه في القرآن والسُّنَّة، وأطول آية في القرآن نزلت في شؤون المعاملات، وهذا الشمول يتَّضح من كتب الفقه الإسلامي الَّتي شملت كل شيء، من باب الطهارة، إلى الجنايات، إلى المعاملات المدنيَّة، هذا فقه الشريعة الإسلامية، ونجد القرآن يقول في شأن العبادة مثلًا: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وفيما يتعلَّق بقانون الأحوال الشخصيَّة يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٨٠]. في قانون الجنايات يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]. وفي العلاقات الدولية يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. كما جاءت بلفظ ﴿كُتِبَ﴾، أي: فُرض، فما كان في الجهاد، وما كان في القصاص، وما كان في الوصية، وما كان في الصيام جاء كله بصيغة واحدة، وهذا يدل على أنَّ أوامر الله ونواهيه يجب الالتزام بها، لا فرقَ فيها بين أنْ تكون في العبادات، أو المعاملات، كلها سواء، فالإسلامُ جاء بنظام شامل في هذه النَّواحي كلها، والدليل على ذلك نصوص القرآن والسُّنَّة، وهي كثيرة، ولا ينكرها مسلم، فلم يجئ حسن البنَّا بشيء من عنده حينما قرر هذا الشمول.

ثانيًا: أنَّ الإسلام نفسه يرفض التجزئة، يرفض أنْ يُؤخذ بعضُه ويُترك بعضُه، أو يُؤمن ببعضه ويُكفَر ببعض، وقد شدَّد القرآن على بني إسرائيل

QaradawiBooks.com

حينما فعلوا هذا، فقال لهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥]. فلا يجوز للمسلم أنْ يقول: أنا آخذ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، ولا آخذ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾؛ لأنَّ عقوبة الإعدام لا تصلح لهذا العصر. نقول له: لا فرق بين هذه وتلك، كلاهما فرض من الله. فالإسلام يرفض التجزئة.

وقد خاطب الله رسوله بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]. فلا يجوز ترك بعض ما أنزل الله، لأنَّ الإسلام متكامل، يمسك بعضُه بحُجز بعض، أنا أشبهه بالوصفة الطبية المتكاملة، كما لو ذهبت إلى طبيب وأعطاك وصفة متكاملة، يقول: كُلْ كذا، ولا تأكل كذا، وخذ هذا القرص قبل الأكل، وهذا القرص بعد الأكل، ومارس رياضة معيَّنة. هذه وصفة متكاملة، إذا أخذت بعضها وتركت البعض لم تعمل برأي الطبيب، وقد تتعرَّض لآثار جانبيَّة، فلا ينفعك أنْ تقول: لقد أخذت ببعض وصفته. وهكذا الإسلام لا بدَّ أنْ يؤخذ كاملًا.

ولما أراد بعض اليهود أنْ يدخل في الإسلام ويتمسَّك ببعض أحكام اليهودية القديمة، مثل تعظيم يوم السبت، رفض القرآن هذا، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨][1]. أي: في شرائع الإسلام كلها، فالإسلام دين شامل، يرفض أخذ بعضه، وترك البعض.

(١) رواه أبو الحسن الواحدي في أسباب النزول صـ٦٧، نشر دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

ثالثًا: أنَّ الحياة نفسها لا تنقسم، هي تيار واحد، وكل الدعوات العامة الَّتي سـمَّاها بعضهم «الأيدلوجيات» الثورية، أو الانقلابية، أو الشمولية ـ لا تقبل الانفصال، كتب هذا دعاة الاشـتراكية ونحوها، مثل حزب البعث وأمثاله، قالوا بصراحة أنَّ الاشتراكية ليست مذهبًا اقتصاديًّا كما يظن بعض الناس، هـي مذهب للحياة، والحياة لا تنفصـل، لا ينفصل الاقتصاد عن السياسة، ولا عن الاجتماع، ولا عن التَّعليم، بل كل هذا نهر واحد يجري في مجرى واحد، ويصب في مصبٍّ واحد، ولذلك أبوا إلا أنْ يكون كل شـيء في أيديهم، لم يرضوا أنْ ينظِّموا هم الناحيـة الاقتصادية، وينظِّم غيرهم سائر النواحي، حتَّى الدين نفسـه لا بدَّ أنْ يكون مُوجَّهًا، لا بدَّ أنْ يكون المنبر تحت أيديهم، هم الَّذين يعيِّنون الخطباء والوعاظ، وهم الَّذين يضعون المناهج التعليميـة والدينية في المـدارس والجامعات، فالحياة نفسـها لا تنقسـم، من أجل هذا شـدَّد الإمام البنَّا على ضرورة أن نأخذ الإسلام أخذًا شاملًا، ولا نُبَعِّضه، ولا نُجَزِّئه، ولا نقبل بعضه دون بعض.

الزيادة على الأصول العشرين والنقص منها:

السؤال السـادس: وضع الإمام البنَّا الأصول العشـرين ليسير عليها الإخوة، فهل يجوز لأي أخٍ أنْ يقترح فيها، أو يُعَدِّل؟

الجواب: تجوز الزيادة على الأصول العشرين، أمَّا التعديل لا، إلا إذا اجتمع برلمان يمثل الإخـوان في العالم كله، ويقـول: نرى أن نحذف الأصل الفلاني، أو نعدل فيـه. وفي هذه الحالة يكون الإخوان قد غيَّروا اسـتراتيجيتهم، أو مفاهيمهم الأصلية، لكن لأنَّ حسن البنَّا هو مؤسِّس مدرسـة الإخوان، فكل مَنْ يدخل هذه المدرسـة يرتضي أصول حسن البنَّا، ومفاهيمه الأساسية، فما دام هو رأس المدرسة، وصاحب حركتها

QaradawiBooks.com

فلا ينبغي التعديل في هذه الأصول، يمكن أن نضيف إليها، نقول مثلًا: نحن بحاجة إلى إضافة خمسة أو عشرة إلى هذه العشرين تكملةً لها. فهذه ليست معارضة لما وضعه من أصول، هو فقط لم ينص عليها، يمكن أنْ يضيف أحد فيقول: الإسلام نسيج وحده، هو نظام فريد، ليس اشتراكيًّا، أو رأسماليًّا، فلا يجوز أنْ يضاف إلى مذهب من المذاهب، ولا كذا. يمكن أن نضيف مفاهيم معيَّنة نرى أنَّ النَّاس يحتاجونها، ولكن يجب أنْ يُقرَّها برلمان أو هيئة تأسيسيَّة، وإلا تظل منسوبة إلى صاحبها، من حقِّ كل أحد أنْ يقول ما يشاء، يجوز أنْ يأتي أحد ويقول: أنا أعارض حسن البنَّا في أصل من الأصول مثل أصل التوسُّل، وأرى أنَّ التوسُّل من أكبر الكبائر، ويجب النص على ذلك. ليكن هذا رأيه، ولكنَّه ليس رأي حسن البنَّا، ولا رأي الجماعة الَّتي تبنَّت فكره.

تفسير القرآن بالقرآن:

السؤال السابع: ما معنى تفسير القرآن بالقرآن؟

الجواب: قلنا إنَّ القرآن نزل يُصدِّق بعضه بعضًا، ويُبيِّن بعضُه بعضًا، فما أُجْمِل في بعض المواضع قد يكون مُفصَّلًا في بعض المواضع الأخرى، وأوَّل مَنْ سنَّ لنا سنة تفسير القرآن بالقرآن هو رسول الله ﷺ، قلنا: إنَّ الصحابة حين فهموا من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. أنَّهم لم يخلطوا إيمانهم بأيِّ ظلم للنفس، أو بأيِّ معصية صغرت أم كبرت، فسَّر لهم الرسول ﷺ الظلم المذكور بالقرآن نفسه، بقول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣][1]. ففسر الظلم بالآية بالشرك.

(١) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]. =

QaradawiBooks.com

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. اختلف الفقهاء في معنى القرء: هل هو ثلاث حِيَض، أم ثلاث أطهار؟ لكن المهم هنا هل تتربص كل مطلقة بنفسها ثلاثة قروء؟ نقول: لا؛ لأنَّ هناك آيةٌ أخرى فسرت هذه الآية، خصَّصت عمومها، وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤]. جاءت الآية لتقول: هناك مطلَّقات من غير ذوات القروء، بأن كانت صغيرة لم تبلغ سنَّ الحيض، أو كانت يائسة انقطع عنها الحيض، أو كانت حاملًا عدتها وضع الحمل، هذا هو معنى تفسير القرآن بالقرآن، أنَّه قد يكون مجْملًا في بعض الآيات ومفصَّلًا في بعض الآيات الأخرى، فلا بدَّ أن تربط القرآن بعضه ببعض.

مسُّ القرآن بغير طهارة:

السؤال السابع: ما حكم مسِّ القرآن بغير طهارة؟

الجواب: قلنا إنَّه لا يصح الاستدلال على حرمة مسِّ القرآن بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩]. لأنَّ الضمير في قوله: ﴿يَمَسُّهُۥٓ﴾. يعود على أقرب مذكور، وهو ﴿ كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾. أي اللوح المحفوظ، وأن ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ في الآية هم الملائكة.

= قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس كما تقولون، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]». رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٢٤)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

وحيث لم نجد في القرآن دليلًا على حرمة مسِّه نبحث في السنَّة عن دليل آخر، فإذا وجدنا دليلًا آخر من السُّنَّة نأخذ منه الحكم، وقد وجد بعض الفقهاء دليلًا آخر في حديث عمرو بن حزم: «**لا يمسُّ القرآنَ إلَّا طاهرٌ**»[١]. فاستدلَّ به مَنْ صحَّحه على حرمة مسِّ القرآن، وقال بعضهم: المراد بالطهارة فيه الطهارة الكبرى وليست الصغرى، أي لا يمس القرآن جُنُب. واعتبر بعضهم الطهارة هي الإيمان، إلى آخره، وهناك مَنْ رفض هذا الحديث مثل ابن حزم[٢]، لم يصح عنده، ولم يأخذ بالآية لأنَّها ليست دالة على الحكم، فرأى أنَّه يجوز أنْ يمس الإنسان القرآن وهو غير متوضئ، حتَّى وهو جُنُب، حتَّى وهو كافر. واستدل على ذلك بأنَّ الرسول ﷺ بعث برسائله إلى الملوك والأمراء، وكان فيها قرآن، فأمسكوا بها. الشَّاهد أنَّه يُبْحث في هذا عن دليل من غير القرآن، فمَنْ صحَّ عنده الحديث أخذ به، ومن لم يصح عنده فلا حرج عليه.

الوصف بالمنكر والوصف بالشِّرك:

السؤال الثامن: لماذا سمَّى الإمام البنَّا التمائم والرقى والودع والرَّمل والعرافة والكهانة في الأصل الرابع منكرًا، ولم يسمِّها شركًا أو كفرًا، كما ورد في بعض الأحاديث، ألا يعتبر هذا تهاونًا في العقيدة؟

الجواب: كلمة منكر كلمة عامة تشمل الشِّرك الأكبر والشِّرك الأصغر، والكبائر والصغائر، ولو قال: إنَّها شرك. فربما احتجنا أيضًا إلى تحديد

(١) رواه مالك في القرآن (٦٨٠)، تحقيق الأعظمي، وأبو داود في المراسيل (٩٢)، والدارقطني في الطهارة (٤٣٩)، وقال ابن كثير في تفسيره (٥٤٥/٧): أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبي العاص، وفي إسناده نظر.

(٢) المحلى (٩٤/١، ٩٥).

QaradawiBooks.com

معنى الشرك، خشية من أنْ يفهم منه البعض أنَّه الشرك الأكبر، وينتهي به الأمر إلى أنْ يكفر الآخرين، وتصبح مشكلة أخرى، فهو لم يحب أنْ يستعمل كلمة الشرك أو الكفر حتَّى لا تُفهم على غير وجهها، وكما قلت لكم: إنَّه أراد بهذه الأصول أنْ يجمع ولا يُفرِّق. ولذلك تَجنَّب الألفاظ المثيرة بقدر الإمكان، فكلمة منكر كافية، والمنكر يجب أنْ يُحارَب.

السحر والاستعانة به:

السؤال التاسع: ما هو السحر، وما موقف الإسلام منه؟ وهل يمكن استخدام السحر ضد أعداء الإسلام؟

الجواب: السحر أمر معروف يقر بوجوده أهل السُّنَّة، إذا كان المعتزلة لا يرون للسحر حقيقة، وأنَّه هو مجرَّد تخييل وإيهام فقط، أمَّا أهل السُّنَّة فيقرون بوجود حقيقة للسحر، وأنَّه يمكن أنْ يؤثر، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قصة هاروت وماروت: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فأشار إلى أنَّه يمكن أنْ يضر، وجاءت الإشارة إليه أيضًا في سورة الفلق: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٤، ٥]. والنفث في العقد من عمل السحرة.

وجاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسولَ الله ﷺ رجل من بني زريق، يقال له لبيد بن الأعصم، حتَّى كان رسول الله ﷺ

QaradawiBooks.com

يخيل إليه أنَّه كان يفعل الشيء وما فعله، حتَّى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنَّه دعا ودعا، ثمَّ قال: «**يا عائشةُ، أَشَعَرْتِ أنَّ الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وَجَعُ الرَّجُل؟ فقال: مطبوب. قال: من طبَّه؟ قال: لَبِيد بن الأعصم. قال: في أيِّ شيء؟ قال: في مُشْطٍ وَمُشاطةٍ، وجُفِّ طَلْعِ نخلةٍ ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذَرْوَانَ**». فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «**يا عائشة، كأنَّ ماءها نقاعة الحناء، أو كأنَّ رؤوس نخلها رؤوس الشياطين**». قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجته؟ قال: «**قد عافاني الله، فكرهت أنْ أثور على النَّاس فيه شرًّا**» فأمر بها فدفنت[١]. فالسحر موجود، وله تأثير.

والفقهاء مختلفون في السحر: هل هو كفر أم فسق؟ فرأى بعضهم أنَّه فسق، وهو طبعًا من الموبقات السبع، كما قال النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبعَ المُوبقات**». قالوا: يا رسولَ الله، وما هنَّ؟ قال: «**الشِّرْكُ بالله، والسِّحْر، وقتل النفس الَّتي حرَّم الله إلَّا بالحقِّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[٢]. ورأى بعضهم أنَّه قد يصل بصاحبه إلى الكفر إذا استعانَ بشيءٍ ضدَّ الإسلام، أو استخدم كلمات كفريَّة لاستحضار الشياطين أو غير ذلك، وقد جاء عن أحد الصحابة أنَّ حدَّ الساحر ضربةٌ بالسيف، فعن بجالة بن عبدة قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب أن: اقتلوا كل ساحر وساحرة.

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٦٣)، ومسلم في السلام (٢١٨٩).

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

قال: فقتلنا ثلاث سواحر[١]. وصحَّ قتل الساحر عن حفصة أم المؤمنين[٢]، وعن جندب[٣] من الصحابة رضي الله عنهم، ولهذا رأى بعضهم أنَّ عقوبة الساحر أنْ يُقتل.

أمَّا عن سؤال: هل يمكن استخدام السحر ضد أعداء الإسلام؟ فلو كان شيء من هذا ينفع لأهلكنا إسرائيل، لا ينبغي في الحقيقة التعويل على الجن، والسحر، وهذه الأساليب، إنَّما ينبغي أنْ تُعتَمد السنن والأسباب الَّتي أقام الله تعالى عليها نظام الكون، وهذا ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم، وهو ما أمر به القرآن والسُّنَّة، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

بل لا ينبغي أن نعتمد حتَّى على الملائكة، فالقرآن يقول: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال: ١٢]. فلا بدَّ أولًا أنْ يوجد الَّذين آمنوا، ولا بدَّ ثانيًا أنْ يكونوا في الميدان لينصروا الله ورسوله، ثمَّ بعد ذلك تنزل الملائكة لتقاتل معهم، لا أنْ يجلسوا وتقاتل الملائكة نيابة عنهم.

بين الإمام ورئيس الجماعة:

السؤال العاشر: هل يمكن أنْ تعطى صلاحيَّات الإمام المذكور في الأصل الخامس لمسؤول الجماعة في المنطقة؟

---

(١) رواه أحمد (١٦٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط البخاري. وأبو داود في الخراج (٣٠٤٣)، وأبو يعلى (٨٦٠)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (١٩١٧)، عن بجالة.

(٢) رواه عبد الرزاق في اللقطة (١٨٧٤٧)، وابن أبي شيبة في الديات (٢٨٤٩١)، عن ابن عمر.

(٣) رواه الترمذي في الحدود (١٤٦٠) مرفوعًا وضعفه، وصحَّحه موقوفًا. والدارقطني في الحدود (٣٢٠٥)، والبيهقي في القسامة (١٣٦/٨).

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الجواب: المقصود بالإمام في الأصل الخامس إمام المسلمين، أو رئيس الدولة، أو الخليفة، أو مَنْ يقوم مقامه، ويمكن مع التحفظ أنْ يعطى رئيس الجماعة بعض هذه الصلاحيات إذا كان قائمًا مقام الإمام في غيبته، وأنا أتحفظ في هذا أيضًا، لا أستطيع أنْ أعطي كل ما للإمام لرئيس الجماعة، لرئيس الإخوان، والسلفيين، والتبليغيين، والجهاديين، يكون لكل جماعة رئيس، فتكون مشكلة، فهذا أمر يحتاج إلى انتباه وأناة، فليس كل ما يثبت للإمام يثبت لرئيس أي جماعة.

المفروض ـ في الحقيقة ـ أن تُحدَّد اختصاصات رئيس كل جماعة من خلال لائحة، ونظام أساسي، يتَّفق عليها أهلها، فيعرف ما له، وما عليه، ويكون المسلمون فيما اتفقوا عليه عند شروطهم، يتفقوا معه في الشورى ملزمة أو معلمة، وفي مدة ولايته الانتخابية، وما هي حدوده وسلطاته، وهكذا.

السؤال الحادي عشر: ما العمل إذا كان رأي الإمام مخالفًا للأخلاق الإسلامية، وهل يمكن أنْ يكون هو رئيس الدولة بغض النظر عن أخلاقه؟

الجواب: يمكن فعلًا أنْ تقع من رئيس الدولة مخالفة للأخلاق الإسلامية، ويمكن أنْ يكون عاصيًا، لكن الأصل عند الاختيار أنْ يُختار الرجل الصالح، لكن قد يفسد الصالح، وقد يعصي المطيع، هذا ممكن، والمفروض حينئذ أنْ يُنْصَح ويُنبَّه، فإنْ تنبَّه وعاد واستقام فبها، وإلا فالمفروض أنْ تعزله الأمَّة إذا لم تكن في عزله فتنة يُخشى على كيان الجماعة منها، أحيانًا نُبقي على المنكر الواقع مخافة وقوع منكر أكبر

QaradawiBooks.com

منه، فقضيَّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخلع الإمام، تحكمها أصول وضوابط.

السؤال الثاني عشر: هل تبنت جماعة الإخوان رأيًا في موضوع الشورى، وهل هي ملزمة أم معلمة؟

الجواب: الَّذي أعرفه أنَّ نظام الجماعة قائم على أنَّ الشورى مُلزِمَة، على الإلزام برأي الأكثريَّة، يقولون: إنَّ الرأي الأكثر في المجالس الشورية، والتنفيذية هو الَّذي يمضي.

مخالفة الرأي الاجتهادي للإمام:

السؤال الثالث عشر: إذا تبنَّى الإمام رأيًا مُعيَّنًا وألزم النَّاس به، فما موقفه مع مَنْ يخالفه، ولا يرضى اختياره، وخاصة إذا كان للمخالف علم واجتهاد وحجة قوية؟

الجواب: قلنا: يحق للإمام أنْ يتبنَّى رأيًا في مجالات معينة: فيما لا نص فيه، وفيما يحتمل وجوهًا عدة، وفي المصالح المرسلة. أمَّا إذا تبنَّى رأيًا يصطدم بنص شرعي صحيح الثبوت صريح الدلالة، أو بقاعدة شرعيَّة مُجْمَع عليها، فهذا لا يُقبل، أمَّا إذا كان أمرًا قابلًا للاجتهاد فيجب على الآخرين أنْ يطيعوه، وإلا تحدث فتنة، حتَّى وإن كان رأي الآخر أقوى منه حجة، فما دام الأمر قابلًا للاجتهاد تجب الطاعة، كما هو الحال في قضاء القاضي، فقد قالوا: إن قضاءه يَنفذ، إلا في أشياء معينة: إذا كان مصادمًا للنص الجلي الواضح، أو الإجماع القاطع، فحينها يُنقض قضاؤه. وكذلك يُنقَض رأي الإمام إذا تبنَّى رأيًا مخالفًا لقواطع النصوص والقواعد، ولكن يجب التريث في القول بالمخالفة، لأنَّ بعض النَّاس يعتبر مخالفة ظاهر النصوص مخالفة، كما حدث مع الصحابة حين قال

QaradawiBooks.com

لهم النبي ﷺ: «**مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخِرِ فلا يُصَلِّيَنَّ العصرَ إلَّا في بني قُرَيْظة**»[1]. فالَّذين أخذوا بظاهر النصِّ ولم يُصَلُّوا إلَّا في بني قُرَيْظة اعتبروا الَّذين أخذوا بمقصود النص وفحواه وصلوا في الطريق ـ مخالفين، فيجب أنْ تكون هناك أناة في اعتبار المخالفة أو عدم اعتبارها.

معنى الأصول والفروع:

السؤال الرابع عشر: ما المقياس الَّذي يمكن به الحكم على اختلافٍ ما بأنَّه اختلاف في الأصول، أو اختلاف في الفروع؟

الجواب: يُقْصَد بالفروع الفقهيَّة الأحكام العمليَّة، الَّتي تتعلَّق بأمور العمل، هل هي حلال أو حرام أو مستحبَّة أو مكروهة أو مباحة؟ تتعلَّق بالوضوء، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والبيع والشراء، والزواج والطلاق، بأمور العبادات والمعاملات، هذه كلُّها فروع، أمَّا الأصول فتتعلق بالعقائد، أو بأصول الفقه، أي البحث في الأدلة، في الكتاب والسُّنَّة، والإجماع والقياس، وغيرها من الأدلة، فبعض هذه الأصول يتعلق بأصول الدين، وبعضها يتعلق بأصول الفقه، وأكثر ما يتبادر إلى الذهن من معنى الأصول: أصول الدين أو العقائد الَّتي يترتب عليها إيمان وكفر، وحق وباطل، وليس مجرد خطأ وصواب.

السؤال الخامس عشر: هل يجوز الاختلاف مع الجماعة في رأي من الفروع، إذا اختارت الجماعة فيه رأيًا معيَّنًا؟

الجواب: الأصل في الأمور الفرعيَّة أنَّها أمور فرديَّة، لا يُفرض على أحد فيها رأي، إلا في الأشياء الَّتي تتعلق بالسياسة العامة، فمثلًا: إذا

(١) سبق تخريجه صـ ٥٢٣.

QaradawiBooks.com

رأى بعض أفراد الجماعة أنَّ الشورى مُعْلِمَة، ورأت الجماعة أنَّ الشورى مُلزِمَة، فينبغي أنْ أتنازل عن رأيي لرأي الجماعة.

ومثلًا: إذا كنا في سفر، ورأى الأمير الَّذي اختارته الجماعة أن نجمع في الصلوات، فينبغي أن نجمع، حتَّى لو كان رأي البعض أن عدم الجمع أوْلى، فاتباعًا لسياسة الجماعة يسعنا في الأمور الخلافية أن نتنازل عن رأينا إلى رأي الجماعة.

الإلزام في المسائل الخلافيَّة:

السؤال السادس عشر: هل تتَّخذ الجماعة موقفًا من الفروع تبعًا لظروف نشأتها، ومدى تمكُّنِها، بحيث لا تسمح بالخلاف وتعدُّد الآراء في مرحلة معينة، وتسمح به في مرحلة أخرى؟

الجواب: أنا أفضِّل في المسائل الخلافيَّة أنْ يُتْرك الأفراد بلا إلزام، يُتْرك كل شخص إلى اختياره، إلى ما يقتنع به، أو ما يصل إليه باجتهاده، ولا تلزم الجماعة بشيء من هذا إلا فيما يتعلَّق بوحدتها وسياستها العامة، مثل مسألة الشورى: هل مُلزمة أو مُعلمة؟ كي تَتَبنَّى الرأي فيها، ومسألة اختيار الأمير: هل يُختار مدى الحياة، أم لسنوات معيَّنة ثمَّ يعاد انتخابه، أو يختار غيره إذا وُجِد مَنْ هو أصلح منه؟ مثل هذه الأمور الَّتي تتعلق بسياستها العامة.

أمَّا في الأمور الَّتي لا تتعلق بهذه السياسة فلا أرى أنْ تلزم الأفراد بشيء، لا أرى أنْ تقول مثلا: يجب القصر في السفر، سواء كان طويلًا أو قصيرًا. لا، بل كل أحد يأخذ في هذا بما اطمأنَّ إليه قلبه، وبما أفتاه به مفتيه، فربما أُفتي هنا بأمور يطمئن إليها مَنْ يعيشون معي في قطر، ويفتي آخرون في السعودية بأمور يطمئن إليها مَنْ يعيشون في السعودية، يفتي البعض بالتيسير في مكان، ويفتي آخرون بالتشديد في مكان آخر،

QaradawiBooks.com

ويقبل بهم مَنْ استفتاهم، فإذا لم يتعلق الأمر بوحدة الجماعة وسياستها العامة فأنا أرى أنْ يُترك كل إنسان وما يختاره من رأي في الفروع الفقهية المختلف فيها.

تدريس الفقه:

السؤال السابع عشر: كيف يمكن لنقيب الأسرة تدريس مادة الفقه ضمن برنامج الأسرة، في ضوء ما ورد في الأصل الثامن؟

الجواب: إذا كان النقيب من أهل العلم، واستكمل نقصه العلمي، واستطاع بذلك أنْ يعرف الرأي الصحيح من الخطأ، وأنْ يرجِّح بين الأقوال، فيعرف الرأي القوي والأقوى، أو فهو يدرس الكتاب المقرر، ويذكر رأيه بأدلته ومن مصادره، وإذا لم يكن قد استكمل نقصه العلمي فهو يدرس رأي المؤلف في كتابه، يدرس مثلًا: «فقه السُّنَّة»، أو «الحلال والحرام»، أو غيرهما، ويقول: هذا والله رأي المؤلف.

التقارب بين السُّنَّة والشيعة:

السؤال الثامن عشر: هل كان للإمام الشهيد حسن البنَّا موقف محدد من الخلاف العقائدي، والخلاف الفقهي بين السُّنَّة والشيعة، وهل كانت له محاولات في الدعوة والتقريب بينهما؟

الجواب: نعم هو كان يرى أننا يمكن ـ بقدر الإمكان ـ أن نتقرَّب مع الشيعة في النواحي الَّتي يمكن التعاون فيها، وتبنَّى في الحقيقة قاعدة المنار الذهبية الَّتي وضعها الشيخ رشيد رضا، وهي: «نتعاون فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»[1]. فقال بأننا يمكن أن نتعاون

(١) انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧).

QaradawiBooks.com

مع الشيعة فيما اتفقنا عليه، نحارب الاستعمار معًا، ونحارب الصهيونية معًا، ونحارب الشيوعية معًا، ونحارب المظالم الاجتماعيَّة معًا، ونحارب الأحزاب العلمانية معًا، وندعو إلى تحكيم الإسلام، ونقف في وجه الإلحاد والإباحية، يمكن أنْ نتفق في هذه الأمور ونتعاون فيها، ويبقى لكلٍّ وجهة نظره فيما عداها، ولذلك كان يُؤيِّد جماعة التقريب الَّتي ظهرت في القاهرة.

وطبعًا إخواننا في البلاد الَّتي فيها شيعة، مثل العراق ولبنان وغيرها يقولون: أنتم يا مصريون لم تختلطوا بالشيعة، ولم تحتكوا بهم، ولم تعرفوا ما عندهم من كراهية لأهل السنَّة. وربما كان هذا صحيحًا، فمن فضل الله ﷻ حقيقةً أن مصر الَّتي حكمها الفاطميون أكثر من قرن من الزمان سلمت من التَّشيُّع تمامًا، ليس فيها شيعي واحد من أهلها، وهذا بفضل صلاح الدين الأيوبي ﷺ، فقد طهر مصر من الشيعة والتشيع، حتَّى إنَّه منذ عدة سنوات تسلل جماعة من الشيعة إلى مسجد صغير في منطقة المعادي، واستولوا عليه، وبدؤوا ينفقوا عليه، وأقاموا فيه مؤذِّنًا وإمَامًا، وفي يوم جاء المؤذن وقال: أشهد أنَّ عليًّا وليُّ الله. فهاجت الدنيا، ووقف شيخ الأزهر، وعُزل هذا الشخص من المسجد، صحيح أنَّ المصريين لم يخالطوا الشيعة في بلادهم، ولكنهم يرفضونهم كما رأيت، ولكن كان الإمام حسن البنَّا يحسن الظن في أنَّه يمكن أنْ تقوم جبهة من السُّنَّة والشيعة ضد الإلحاد والإباحية والتنصير والشيوعية والصهيونية، وخاصة أن في الشيعة بعض النَّاس يظهرون التعقل والتودُّد لأهل السُّنَّة، وإنْ كان إخواننا الآخرين يقولون: هذا من باب التقية. وهذه مشكلة لأنَّك لا تستطيع أنْ تحكم على ما في داخل الإنسان إنْ كان طيبًا أو خبيثًا، وقد أُمِرنا أن نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

QaradawiBooks.com

والجماعة هناك في إيران يدعوني لزيارة إيران، وما زلت حتَّى اليوم أرفض[١]، لكن هذه المسألة تدخل أيضًا في باب الاجتهاد، لعلك تجد من وراء هذا مصلحة، بل يمكن أنْ تتحالف مع الكافر نفسه في بعض الأحيان لتحارب كفرًا أكبر منه، فهي تدخل في مسائل السياسة الشرعيَّة، وهذه السياسة بابها واسع، فالموازنة بين المصالح بعضها وبعض لتختار أعلى المصلحتين، وبين الأضرار بعضها وبعض لتختار أخف الضررين ـ هي عملية في منتهى الدقَّة، وكثيرًا ما يغفل عنها أبناء الحركة الإسلامية، أنكروا يومًا على أبي الأعلى المودودي وجماعته حين أيَّدوا ترشيح فاطمة جناح لرئاسة الجمهورية ضد أيوب خان سنة ١٩٦٥م، قالوا: كيف تؤيدون امرأة، والنبي ﷺ قال: «**لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة**»[٢]؟ ونحن نعلم أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذلك، ولكن لا يجوز تأييد الطاغية، غاية ما في الأمر أن هذه المرأة قد يسهل التخلص منها، وهذا الرجل لا يسهل التخلص منه، ففقه الموازنة فقه دقيق جدًّا في باب السياسة الشرعيَّة.

سبب تأخير الأصل العاشر:

السؤال التاسع عشر: لماذا لم يجعل الإمام حسن البنَّا الأصل العاشر في أول الأصول العشرين نظرًا لمحتواه، وأن العقيدة الصحيحة تسبق كل أنواع الفهم والعمل الأخرى؟

الجواب: ربما كان سبب ذلك هو أنَّ مقاومة العلمانية أخذت جهدًا ضخمًا من الإمام حسن البنَّا، فالعلمانية ترى تجزئة الإسلام، وترى حذف الجوانب السياسية، والجهادية، والاجتماعيَّة من الإسلام، وتريد أن تحصر

(١) وقد استجبت لهذه الدعوة سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٣٩.

QaradawiBooks.com

الإسلام في العلاقة بين ضمير الإسلام وربِّه، وتحصر الإسلام في المسجد، بل حتَّى المسجد ليس حرًّا، وإنَّما هو مُوجَّهٌ تبعًا لسياسة الدولة، لهذا كان التركيز في الحقيقة على شمولية الإسلام، أنَّه عقيدة وعبادة، وأخلاق وقوة، ودين ودنيا، ودعوة ودولة، ومصحف وسيف، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: أنَّ مسألة آيات وأحاديث الصفات الَّتي تعرض لها هذا الأصل كانت مثار معارك بين جماعات في مصر، جماعة أنصار السُّنَّة من جهة، والجمعيَّة الشرعيَّة من جهة أخرى، ويتبادلان التُّهم والتكفير، ولو جعل الأصل العاشر مكان الأصل الأول فكأنما يؤجج هذه المعركة، فأحب أنْ يؤخِّره حتَّى لا يدخل المعركة مع الداخلين، هذا ما أفهمه من هذا التأخير.

موقف الإمام البنَّا من التفويض:

السؤال العشرون: ذكر بعض المخالفين للإمام الشهيد حسن البنَّا أنَّه قد فوَّض في آيات وأحاديث الصفات، حتَّى المعنى المراد من لفظها، أرجو توضيح هذه النقطة؟

الجواب: أشرت عند شرح الأصل العاشر إلى مسألة التفويض، وقلت: إنَّ هناك رأيين في الاتجاه السلفي، رأي يقول: كان السلف مُفوِّضِين، أي يسكتون عن المعنى المراد من آيات وأحاديث الصفات. وهذا الرأي قال به الإمام البيهقي وغيره.

والرأي الآخر قال به ابن تيمية وغيره، وهو أنَّ السلف لم يكونوا مُفوِّضِين، وإنَّما كانوا يُمررون آيات وأحاديث الصفات كما هي، أي يفهمون من اللفظ معناه اللغوي كما هو، لكن دون تكييف ولا تمثيل، ولا تعطيل.

QaradawiBooks.com

وأنا لم أرَ في كلام الإمام الشهيد هنا ما يدل على أنَّه يقول بالتفويض بمعنى السكوت، كل ما قاله: نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء؛ ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وأعتقد أنَّ له في هذا الأمر كلامًا أوسع من هذا الكلام يمكن الرجوع إليه في «رسالة العقائد»، لأنَّه نقل فيها مجموعة أقوال عن السلف في مسألة آيات وأحاديث الصفات.

السؤال الحادي والعشرون: ما هو التصوف؟ ومن أين جاءت هذه التسمية؟ وما حدود المشروع والمرفوض منه؟ وما تعليقكم على اتجاه جامعة الأزهر بتدريس علوم التصوف وطرقه؟

الجواب: التصوف اتجاه يهتم بالجانب الروحاني، والجانب والنفسي، والجانب الخُلقي للإنسان، وليس للكلمة مدلول واحد، فهي تختلفُ من زمن إلى زمن، ومن بيئة إلى بيئة، وهو اتجاه يكاد يوجد في كل الأديان تقريبًا، وهو الاتجاه إلى الزهد والتقشف، وأحيانًا يكون مع هذا الجانب السلوكي العملي جانب نظري، نظرة فلسفيَّة، وهذا الأمر يجعل هذا الاتجاه أشد خطرًا، فنجد في البيئة الإسلامية نظريات متعددة، مثل نظرية الحلول، أنَّه ليس في الجُبَّة غير الله، ونظرية الاتحاد، أنَّه ليس هناك رب ومربوب، وخالق ومخلوق، بل هو وجود واحد، ولذلك تسمَّى وحدة الوجود، إلى آخر هذه النظريات.

واختلفوا في التسمية: فبعضهم ينسبه إلى الصوف، حيث كانوا يلبسونه قديمًا ـ وكان خشنًا ـ دلالة على الخشونة والتقشف، وبعضهم

QaradawiBooks.com

ينسبه إلى الصفاء، صفا فصوفي حتَّى سُمِّي الصوفي، وبعضهم ينسبه إلى أهل الصُفَّة، وهم من فقراء المسلمين كانوا يمكثون في مسجد النبي ﷺ، حيث لا مأوى لهم، مثل أبي هُرَيْرة وغيره، ولا تهمنا التسمية كثيرًا، إنَّما يهمنا حقيقته وحكمه.

ونحن في الحقيقة لا نستطيع أن نحكم على التصوف حكمًا واحدًا، فنقول: كل التصوف فسق وانحراف. ولا نقول: كل التصوف مقبول. فمنه المقبول، ومنه المردود، ولا شكَّ أنَّ التصوف ظهر في فترة احتاج النَّاس فيها إلى شيء يرطب حياتهم، بعد الفتوحات، والغنائم، والاختلاط بالحياة المدنية، وطغيان الجانب المادي، وظهور الترف والسرف والبذخ في الحياة، لهذا كان النَّاس في حاجة إلى شيء يقاوم هذا الغلو المادي.

يضاف إلى ذلك أنَّ المتكلمين اشتغلوا بالجانب العقلي والجدل والرد على الشبهات، وهذا إن أقنع العقل لا يملأ القلب، واشتغل الفقهاء بالجانب الظاهري، مثل الاهتمام بشروط صحة الوضوء، وشروط صحة الصلاة، أمَّا خشوع القلب، والنفس وآفاتها، ومداخل الشيطان إليها، فلم يحظَ لديهم بالاهتمام، لهذا كان النَّاس في حاجة إلى الاهتمام بهذا الجانب.

وهذا الجانب الروحي والنفسي والخُلقي هو في الحقيقة من جوانب الإسلام، لأنَّه يهتم بالتربية الروحية والخلقية والإيمانية، ولهذا وُجِدَ مَنْ يهتم بهذا، وكان الصوفية الأوائل ملتزمين بالكتاب والسُّنَّة، كما قال الجنيد الَّذي يعتبر شيخ القوم: عِلمُنا هذا مُقيَّد بالكتاب والسنَّة، وكلُّ الطرق مسدودة إلا على مَنْ اقتفى آثار رسول الله ﷺ[1]. وكان الشافعي

(١) انظر: الرسالة القشيرية (٧٩/١)، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار المعارف، القاهرة.

QaradawiBooks.com

يقول: إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء، ويمشي على الماء، فلا تعجلوا بالحكم بصلاحه، قبل أن تقيسوا أمره بكتاب الله ﷻ[١]. فكان كثير منهم ملتزمًا بالكتاب والسُّنَّة.

ثم حدث بعد ذلك الانحراف والغلو في الفكر، وفي السلوك، ودخلت عليهم أفكار كثيرة مثل الرجوع إلى الأذواق والمواجيد، وليس إلى النصوص والأدلة، يقول بعضهم: حدثني قلبي عن ربي! ولما قيل لبعضهم: تعال معي نروي عن عبد الرزاق. قال له: ماذا يصنع بعبد الرزاق مَنْ يروي عن الخلَّاق؟! أنا آخذ من فوق مباشرةً، ويقول: أنتم تأخذون علومكم ميتًا عن ميت، أمَّا نحن فنأخذ عن الحي الَّذي لا يموت! فهكذا أخذوا عن الوجدان الشخصي، واعتبروا هذا معيارًا للأحكام، وهذا أمر خطير، ولذلك كانوا يقولون: العلم حجاب عن الله! وفرَّقوا بين الحقيقة والشريعة، ومن الكلمات الَّتي أثرت عنهم: مَنْ نظر إلى الخلْق بعين الشريعة مقتهم، ومَنْ نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم. أي أنَّ الفقيه إذا نظر إلى النَّاس بعين الشريعة قال: هذا كافر، وهذا فاجر، هذا يهودي، وهذا نصراني. أمَّا إذا نظر إليهم بعين الحقيقة عذر الجميع، لأنَّ القدر يُسيِّرهم جميعًا، فهم وإنْ عصوا أمر الله فقد أطاعوا إرادة الله! فهذا أمر خطير، أنَّهم يعذرون الجميع ولا يفرقون بين موسى وفرعون، وبين آدم وإبليس، وبين محمد وأبي جهل.

ومن الأشياء الخطيرة الَّتي دخلت عليهم أيضًا: البدع الشركية، فأفسدت عليهم صفاء التوحيد، ومسائل القبور وغيرها من مشكلات الصوفية في الحقيقة، والإمام الشهيد إنَّما يعالج في الحقيقة هذه

(١) تفسير ابن كثير (٢٣٣/١).

QaradawiBooks.com

المشكلات الَّتي جاءت عن طريق الصوفية، هذا من ناحية العقائد، وهناك كذلك البدع في العبادات، أوراد وأدعية وصلوات ما أنزل الله بها من سلطان، هذا كله من آفات الصوفية.

وأخطر من ذلك البدع النظرية الفكرية الفلسفية، مثل فكرة الحلول، أنَّ الله يحل في الناس، أو فكرة وحدة الوجود، أنَّ الكلَّ واحد، أو ما قاله ابن عربي:

قد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلًا كل صورة ... فمرعى لغزلان وديرٌ لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن[1]

يعنى أنَّ الجميع سواء، فهذه البدع النظرية أخطر ما في التصوف.

لكن هناك طبعًا متصوفة صادقون، فلا نستطيع أن نقول: إنَّ التصوُّف كلَّه منحرف. لا، هناك تصوف سنِّي ملتزم، يحاول الرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة، ويحارب البدعة، حتَّى ابن تيمية نفسه له مجلدان في فتاويه: واحد عن التصوف، وآخر عن السلوك. ولتلميذه ابن القيم عدة كتب في التصوف، وهما من كبار شيوخ السلفية، لابن القيم «مدارج السالكين شرح منازل السائرين إلى مقامات إياك نعبد وإياك نستعين»، وله «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، وله «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، وله «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، وله «روضة المحبين»، إلى آخره، ولابن تيمية رسالة صغيرة عن الفقراء، تكلم فيها عن التصوف، وقال: إنَّ الصوفية طائفة كغيرهم، فيهم الظالم لنفسه،

(١) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربي صـ٣٩، ٤٠، نشر المطبعة الأنسية، بيروت، سنة ١٣١٢هـ.

QaradawiBooks.com

والمقتصد، والسابق بالخيرات بإذن الله، فليس كل الصوفية ممدوحين، ولا كلهم معيبين[١]. وهذا هو الإنصاف، نقول: إنَّ فيهم الخير، وفيهم الشر. فيهم ناس خدموا الإسلام، وفيهم ناس كانوا بلوى على الإسلام.

وطبعًا هناك الصوفية المرتزقة، لا هم هؤلاء، ولا هؤلاء، التصوف عندهم ابتياعًا للعلف، وليس اتباعًا للسلف، كما يقولون:

وَقَالُوا: سَكِرْنَا بِحُبِّ الْإِلَهِ وما أسكرَ القَوْمَ إِلَّا القُصَعْ[٢]

هذا نوع آخر، فنحن لا نستطيع أن نقول: إنَّ كلَّ المتصوفة سواء.

* * *

(١) مجموع الفتاوى (١٨/١١).

(٢) البيت لظهير الدين ابن عسكر الموصلي، كما في وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٨/١)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مسموح بطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	٥، ٦	٥١، ٢٥٤، ٢٥٥، ٤٢٤، ٤٤٩، ٦٥١
سورة البقرة		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾	٨ ـ ١٠	٧٢٢
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	٢٥	١٢٤، ٢٥٥
﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾	٢٨	٥٩٢
﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	٣٤	١٥٠
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٣٧	١٥٠
﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٤٤	٦٩٢
﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾	٦٨	٦٠٦
﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾	٦٩	٦٠٦
﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾	٧٠	٦٠٦
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	٧٤	٢٣٣

نسخة مجانية

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ﴾	٨٥	٧٥٢
﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾	١٠٢	٧٥٧
﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	١١١	٣٧٤، ٧٠٧، ٧٠٧
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾	١١٥	٣٤١
﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾	١٣٨	٩٩، ١٨١، ٤٢٣
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	١٤٣	٣١، ١٠٢، ٢٤٦، ٣٤٥، ٤٠٤
﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾	١٥٤	٣٣٥
﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾	١٥٦	٣٤٤
﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾	١٦٦	٦٨٩
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ﴾	١٦٧	٦٨٩
﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١٧٣	٤٧٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾	١٧٨	٧٣٢، ٧٥١، ٧٥٢
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾	١٨٠	٧٥١
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾	١٨٣	٢٤٨، ٢٨٢، ٧٥١، ٧٥٢
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٨٦	٦٥٠
﴿أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾	١٨٧	٧٠٩
﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾	١٨٩	٧٦، ٦٧٤
﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾	١٩١	١٧٧
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾	٢٠١	٧٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾	٢٠٦	١٤٨، ٦٨٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾	٢٠٨	٧٥٢
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ ﴾	٢١٤	٢٩٧، ٣١٦
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾	٢١٥	٦٠٤
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾	٢١٦	٧٥١
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾	٢١٧	١٧٧، ١٧٨، ٢٨٧، ٢٨٨، ٦٠٤
﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ﴾	٢١٨	٣٨٢
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾	٢١٩	٢٨٨، ٥٦٧، ٦٠٤
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾	٢٢٠	٦٠٤
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾	٢٢٢	٦٠٥
﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾	٢٢٨	٧٥٥
﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾	٢٣٤	٥٣٧
﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾	٢٣٧	٤٥، ٥٩٣
﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾	٢٥٠	٢٧٨
﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	٢٥٥	٦١٧
﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾	٢٥٦	٦٧٣
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	٢٧٧	٦٧٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾	٢٨٢	٣٠٣، ٥٢٧، ٥٩٤
﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٨٤	٣٠٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾	٧	٤٤، ٥٣٥، ٦١٩، ٦٢٠، ٦١١، ٧٦٨
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾	١٨	٦٩٨
﴿يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾	٢١	٢٣٢
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾	٣١	٥٤٥، ٥٢٢
﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	٣٧	٦٤٠
﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾	٥٤	١٧٦، ٢٣٩
﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾	٦٤	٢٥٩
﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	١٠١	٢٣٩، ٣٢٤
﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	١٠٢	١٨
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾	١٠٣	٩٠، ٥٠٩
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾	١٠٥	٥٩٩
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	١١٠	٢٤٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾	١٣٠	٧٢٧
﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾	١٤٠	٤٨٦
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾	١٤٢	٦، ٢٩٣
﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾	١٤٦	٢٩٨
﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾	١٥٢	٤٠٦، ٤٥٦، ٤٥٧
﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾	١٥٤	٣١٥

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾	١٥٩	٣٧٩، ٥٦٣
﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾	١٦٥	٤٠٦، ٤٥٦
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾	١٧٣	٣١٩
﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾	١٧٩	٣١٧، ٤٧٠
﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ﴾	١٩٠	٦٩٢
﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٩١	٦٩٣
﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾	١٩٥	٥٥
سورة النساء		
﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾	٥	٥٢٦
﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾	٢٥	٥٢٥
﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾	٣١	٧٢٨
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾	٣٥	٧٢٩
﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾	٤٣	٤٥
﴿كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٧٧	٢٨٠
﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾	٧٩	٤٥٦
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾	٨٠	٥٢٢، ٥٤٥
﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾	٨٢	٥٢٦
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾	٨٣	٥٣٣
﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾	٩٢	٥٦٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾	٩٤	٣٧٨، ٧٢٤
﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	١٠٠	٢٥٧، ٦٨١
﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ ﴾	١٥٦ ـ ١٥٨	٢٩٦، ٤١٣، ٦٩١
﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾	١٦٠	٢٣٢
﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾	١٦١	٢٣٢
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ ﴾	١٦٥	٦٩٤
سورة المائدة		
﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾	٢	٩٠، ٥٠٩
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾	٣	١٦٠، ٥٥١، ٦٢٠، ٦٢٣
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ ﴾	٤	٦٠٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ۚ ﴾	٦	٢٧١، ٢٧٢، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٦، ٧٠٩، ٧١٠
﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾	١٣	١٥١
﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾	٢٤	٢٩٦
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾	٢٥	٢٩٦
﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	٢٧	٦٨١
﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾	٣٣	٥٣١
﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ ﴾	٤١	٧٢٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٤٤	١٦١، ٣٠٣، ٥٢٧، ٥٢٨
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٤٥	٥٢٧، ٥٢٨
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	٤٧	١٦١، ٥٢٧، ٥٢٨
﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾	٤٩	٧٥٢
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٥٤	١٦١
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾	٦٤	٦١٤
﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟﴾	٧٠	٤١
﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾	٧٩	٢٣٢
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾	٨٢	٦١٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ﴾	٩٠	٢٤٩
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾	٩١	٢٤٩
﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾	٩٥	٧٢٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾	١٠١	٦٠٧
﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾	١٠٢	٦٠٧
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾	١٠٤	٦٨٩
سورة الأنعام		
﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾	١١	٦٩٣
﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾	٢٥	٢٧٤
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾	٣٨	٦٦٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾	٥٠	٦٩٢
﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾	٦٥	٢٧٤، ٤١٣
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾	٨٢	١٨٦، ٥٢٦، ٧٥٤، ٧٥٥
﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	١٧٤، ٢٤٣، ٢٦٩، ٣٩١
﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾	٩٨	٨٢، ٢٧٤، ٤١١
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٠١	٦٢٢
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	١٠٣	٦١٣
﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾	١٤١	٥٩٠
﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	١٤٣	٧٠٧
﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾	١٤٨	٧٠٧
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	٢٣١، ٣٧٢
﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٥٥	٢٥٠، ٥٦١
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾	١٦٢، ١٦٣	٢١، ١٠٠، ١٤٥، ٣٠٥، ٣٦٠، ٥٠٨
سورة الأعراف		
﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾	١٢	١٥٠
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	١٤٩، ٤٥٨
﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾	٥٨	٣٨٦
﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾	٨٢	١٩١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾	٩٦	٦٣٨
﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١٢٧ ـ ١٢٩	٢٩٥
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٧٣، ٤٣٧
﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾	١٦٩	٦٨٠
﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾	١٧٩	٨٢، ٢٧٤
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾	١٨٠	٦٥٧
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾	١٨١	٦، ١٥، ١٥٩، ١٧٤، ٢٤٣، ٢٦٩، ٣٩١
﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾	١٨٥	٦٩٢، ٦٩٣
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ﴾	١٨٧	٦٠٥، ٦٠٩
﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾	١٨٨	٦٤٤
سورة الأنفال		
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	١	٦٠٥
﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٢	٢٦٨
﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	١٢	٢٧٨، ٧٥٩، ٤٦٩
﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٢٦	٤٣٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾	٢٩	٥٤١
﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾	٤٦	٣٥١، ٥٠٩
﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾	٦٠	١٠٣، ١٦١، ٣٠٨، ٤٥٢، ٥٠٤، ٥١٥، ٧٥٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٦٢	٦، ١٠٠، ٢٧٧، ٣٣٥، ٤٦٩
﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا﴾	٦٣	٦، ١٠٠، ٢٧٧، ٣٣٥، ٤٦٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾	٦٥	٢٢٤، ٢٧٤، ٣٧١، ٤١٢
﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾	٦٧	٢٨٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمۡ﴾	٧٠	٢٥٦
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٌ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾	٧٣	٢٦، ٢٨، ١٧٩، ٢٣٧، ٣٨٢، ٤٠٣، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٥
سورة التوبة		
﴿وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	٦	٧٣١
﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِى ٱلدِّينِۗ﴾	١١	٧٦
﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ﴾	٢٤	١٦٤
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾	٣٢	٣٥، ٦١، ١٥٢، ١٨٣، ٢٠٤، ٤٦٤، ٥٦٧
﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾	٣٣	٤٦٤
﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٍۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ﴾	٦٧	٤٨١
﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾	٧١	٥٤، ٤٨١
﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	١٠٣	٢٨٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾	١٠٥	١٠، ٨٠، ١٩٥، ٢٥٢
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	١٠٧ ـ ١٠٩	٨٦
﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ﴾	١١٢	٥٢٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	١١٩	٢٥٩
﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ ﴾	١٢٢	٢٧٣، ٥٣٣، ٦٩٦
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ﴾	١٢٧	٢٧٤
﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ ﴾	١٢٨	٣٧٩
سورة يونس		
﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾	١٨	٦١٤، ٦٥٢
﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾	٣١	٦١٤، ٦٥١
﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴾	٣٦	٦٩١
﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	٦٢ ـ ٦٤	٥٠٤، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٦٨
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾	٦٣	٦٣٥، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٥، ٦٦٨
﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٦٦	٣٠٥
﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	٩٠	٦٧٣
﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾	٩١	٦٧٣
﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾	٩٩	٦٧٣
﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ ﴾	١٠١	٦٩٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة هود		
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾	٦	٢٧٩، ٦٦٥
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾	٧	٢٥٣
﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾	٤٠	٢٩٤
﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾	٦٠	٤٥٧
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾	٦١	٩٨
﴿أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾	٦٢	٦٨٨
﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾	٩٩	٤٥٧
سورة يوسف		
﴿إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ﴾	١٧	٦٤٤
﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ﴾	١٨	٦٤٤
﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٢٣	٤٢٤
﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	٤٧ ـ ٤٩	٢١٣، ٢١٤، ٣٧٤
﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾	٥٥	٢١٤
﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾	٨١ ـ ٨٣	٦٤٤
﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	١٤٨
﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾	١٠٦	٥٥٨
﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾	١٠٨	٧٨، ٧٠٨
سورة الرعد		
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾	٢	٦١٥، ٦١٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	٤	٦٩٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	١١	٢٤٩، ٢٧٥، ٤٨٦، ٤٨٩
﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾	١٧	٢٩٩
﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١٩	٦٩٢
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾	٢٨	١٨٦، ٤٦٣
سورة إبراهيم		
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾	١٨	٦١١، ٦٧٧
﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾	٢٢	٤١٥
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾	٢٤	٣٨٧
﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾	٢٥	٣٨٧
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	١٧٤
﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾	٢٩	٦٧٩
﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾	٥٦	١٤٨
﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾	٩٩	٦٤١، ٦٨٦
سورة النحل		
﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	١١	٦٩٢
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾	١٤	٦٦٥
﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾	٣١	٥٣٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	٤٣	٥٣٣، ٥٨٢
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾	٥٠	٦١٥
﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ ﴾	٦١	٤٥٦
﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾	٧٨	٧٠٧
﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	٨٩	٧٣
﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ ﴾	١٠٦	٧٣٨
﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ ﴾	١١٦	٥٤٦
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾	١٢٥	٣٤، ٣٧٩، ٦٣٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾	١٢٨	٢٥٣
سورة الإسراء		
﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ ﴾	٣٦	٧٠٧
﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾	٨١	٨٥، ٢٨٠، ٢٩٩
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾	٨٥	٦٠٥
سورة الكهف		
﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾	٧	٢٥٣
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾	١٠	٤٧٠
﴿ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾	١٣	١١٩
﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾	٢٢	٦٠٥
﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾	٢٥	٦٣٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾	٤٩	٧١٤
﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾	٥١	٧٠٧
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾	٥٤	٢٥٢
﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾	٧١	٢٨٧
﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾	٧٩	٢٨٧، ٥٤٩
﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾	٨٠	٥٤٩
﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾	٨١	٥٤٩
﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾	٨٢	٥٥٠، ٦٤٠
﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾	٩٤ ـ ٩٦	٢١٤
﴿ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾	٩٨	١٨٣، ٢١٥
سورة مريم		
﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾	٢٠	٤٥، ٥٩٣
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾	٦٤	٤٧، ٥٦٢، ٧٠٥
﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾	٨١	٦١٤
سورة طه		
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	٥	٦١٥، ٧١٥
﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝ هَٰرُونَ أَخِى ۝ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾	٢٩ ـ ٣٤	٩١، ٥٠٩
﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰٓ عَيْنِىٓ ﴾	٣٩	٦١٥
﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾	٤٤	٣٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾	٩٢، ٩٣	٢٨٦، ٦٢٨
﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ﴾	٩٤	٢٨٦، ٦٢٨
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾	١١٥	١٤٩
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾	١٣٢	١٣١
سورة الأنبياء		
﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٧	٣٥
﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾	٢٤	٧٨
﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾	٣٧	٢٨٠
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾	٥١	٢٥٩
﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٦٩	٧١٥
﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾	٩٥	٢٧٦
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾	١٠٥	١١٤
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	٧٣، ٢٣٩، ٢٥٨، ٤٣٧
سورة الحج		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾	٨	٢٥١
﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ﴾	٩	٢٥١
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾	١١	٣١٦
﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾	٢٨	٢٨٢
﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾	٣٢	٦٨١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾	٣٩	٢٨٠
﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾	٤٠	٢٧٧، ٢٨٠، ٤٢٢، ٤٤٣
﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٤١	٤٢٢
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾	٤٦	٦٩٣
﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۞ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾	٧٣، ٧٤	٢٥٠
سورة المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾	١، ٢	٢٤٧، ٦٨٧
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾	٦٠	٦٨٠
﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾	٦١	٦٨٠
سورة النور		
﴿فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾	٢	٥٣٧، ٥٧٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾	٢٧	٧٦
﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾	٣٠	٤٨
﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾	٣١	٢٣٣
﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	٣٣	٥٢٥، ٥٩٤
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾	٣٩	٦٧٧
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾	٥١	٥٢٢، ٥٤٥
﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾	٥٤	٥٢١، ٥٤٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾	٥٥	١٨٣، ٤٦٤
﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٦٣	٥٤٥
سورة الفرقان		
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	٧٣، ٤٣٧
﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾	٢٣	٦١١، ٦٧٧
﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾	٥٩	٥٣٣
سورة الشعراء		
﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾	٨٧ ـ ٨٩	١٤٤، ٢٥٦، ٦٧٩
﴿ فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	١٥٤	٦٩٥
﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾	١٩٣ ـ ١٩٥	٥٣٢
﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾	٢١٠ ـ ٢١٢	٥٣٣
﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾	٢٢٧	٤٨٩
سورة النمل		
﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾	٣٤	٣٢٥
﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	٦٥	٥٥٥
سورة القصص		
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴾	٨	٤٥٧
﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾	٢٣ ـ ٢٥	٥٥
﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾	٢٦	٢١٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾	٣٥	٩١
﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾	٤٠	٤٥٧
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	٥٠	٦٣٤
﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾	٧٨	٢٩٥
﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾	٨٨	٦١٥
سورة العنكبوت		
﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾	١ ـ ٣	٢٩٧
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾	٩	٦٣٥
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ ﴾	١٠	٣١٧
﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾	٤٥	٢٨٢
﴿ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ ﴾	٤٦	٤٤٠
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾	٦١	٦٥١
﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾	٦٩	٥٤١
سورة الروم		
﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾	١ ـ ٦	٥٧، ٤٣٢، ٤٣٨
﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ ﴾	٤ ـ ٦	٦٩، ١٨٣، ٣٥٦، ٣٨٤
﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾	٤١	٤٥٦
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾	٤٧	١٨١، ٢٩٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة لقمان		
﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾	١٣	٥٢٦، ٧٥٤، ٧٥٥
﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾	١٥	٢٠٣
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾	٢٥	٦١٤
سورة السجدة		
﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾	١٦	٣١٣
سورة الأحزاب		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ ﴾	٩	٤٦٩
﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾	٢٢	١٧، ١٠١، ٣١٩
﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾	٣٢	٤٨٠، ٤٩٧
﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾	٣٥	٤٨٠، ٤٨١
﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ﴾	٥٩	٢٣٣، ٣٧٦
﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾	٦٧	٦٨٩
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾	٦٨	٦٨٩
سورة سبأ		
﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾	٣١ ـ ٣٣	٦٨٩
﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾	٤٦	٦٩٣، ٦٩٤
سورة فاطر		
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرِۭ﴾	١٤	٥٣٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۞ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾	١٩، ٢٠	٦٩٨
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾	٢٨	٥٣٢، ٦٩٨
﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	٢٧٥
سورة ص		
﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾	٢٣	٤٣٠
﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾	٢٤	٤٣٠
﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٢٦	٦٣٤
﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾	٧٥	٦١٤
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	٨٧	٤٣٧
سورة الزمر		
﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾	٣	٦١٤، ٦٥٢
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٩	٦٩٧
﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾	١٧، ١٨	٢٥٤، ٦٩٢
﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٣٤	٥٣٤، ٥٣٥
﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾	٥٥	٢٥٤
سورة غافر		
﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾	٢٦ ـ ٢٨	٢٩٥
﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾	٤٠	٢٤٢
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	٦٥٠، ٦٥١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة فصلت		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾	٣٠ ـ ٣٢	٦٣٨
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٥٣٦، ٧٠٩
سورة الشورى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	١١	٦١٢، ٦١٦
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ﴾	٢٢	٥٣٤
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾	٣٠	٤٥٦
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾	٣٨	٥٦٣
﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾	٤٩	٥٣
سورة الزخرف		
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٩	٦١٤
﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾	١٩	٧٠٧
﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾	٢٢	٧٨
﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾	٢٣	٦٨٨، ٧٠٨
﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ﴾	٢٤	٦٨٨
﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾	٥٤	٤٥٧
سورة الجاثية		
﴿وَلَا نَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٨	٣٤٩
﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	١٩	٢٨، ٢٣٧، ٣٤٩

نسخة مجانية
غير مدققة
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحقاف		
﴿ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	٤	٧٠٧
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	١٣	٦٣٨
﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾	٣٥	٢٨٠، ٢٩٣، ٤١٣
سورة محمد		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	٧	٢٧٧
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾	١٢	٥٠٨
﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾	١٤	٧٨، ٧٠٨
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾	٣١	٢٩٣
سورة الفتح		
﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾	٢	٦٥٣
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾	٤	١٨٦، ٤٦٣
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾	١٨	٢٥٦
سورة الحجرات		
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾	٧، ٨	٢٥٩
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾	٩	٧٣٢، ٧٣٥
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	١٠	٦٠٢، ٧٣٣
﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾	١٢	٧٧، ٦٧٤
﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾	١٤	٦٨٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة ق		
﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ ﴾	٦	٦٩٢
﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾	٢٣	١٤٤، ٢٥٧، ٦٧٩
﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴾	٣٤	٢٥٧، ٥٣٤
﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾	٣٥	٥٣٤
﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾	٤٢	٥٣١
سورة الذاريات		
﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٢٠، ٢١	٦٩٣
سورة الطور		
﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾	٤٨	٦١٥
سورة النجم		
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾	٣، ٤	٥٧٨
﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾	٢٣	٦٩٢
﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾	٢٨	٦٩١
﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾	٤٢	١٠٠، ١٤٦
سورة القمر		
﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾	٩ ـ ١٤	٢٩٤
سورة الرحمن		
﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾	٢٦، ٢٧	٦١٥، ٦١٧

غير مرخص للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الواقعة		
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾	٧٥ ـ ٨٠	٥٣٢
﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۞ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۞ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾	٧٧ ـ ٧٩	٥٣٣، ٧٥٥
سورة الحديد		
﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾	١٦	١٥١، ٢٤٨
﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾	٢٣	٦٣٨
﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾	٢٥	٢٢٢، ٢٢٣، ٣٧٠، ٦٩٥
﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾	٢٧	٦٢٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾	٢٨	٥٤٢
سورة المجادلة		
﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾	١١	٦٩٨
سورة الحشر		
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾	٧	٥٠٤، ٥٢٢، ٥٤٥، ٥٧٩
﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾	٩	٥٠٨
﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾	١٠	٢١٧
﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾	١٣	٤١٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾	١٨	٢١٣
﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾	٢٤	٦١٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الممتحنة		
﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾	٤	٤٧٠
﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	٥	٤٧٠
سورة الصف		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٢	١٢٢
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٣	١٢٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾	٤	٢٧، ٨٣، ٩٢، ١٩٤، ٣١٨، ٣٥٣، ٣٨٠، ٤١٤، ٤٢٥، ٤٤٨، ٥٠٤، ٥٠٩
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨	١٨٣
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾	٩	١٨٣
سورة الجمعة		
﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾	٢	٦٨٤
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾	١٠	٢٧٨
سورة المنافقون		
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾	٣	٢٧٤
سورة التغابن		
﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ﴾	١	٢٩١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الطلاق		
﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾	٢	٥٤٢
﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشۡهُرٖ ﴾	٤	٧٥٥
سورة التحريم		
﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ ﴾	٥	٥٢٤
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾	٦	١٣١
سورة الملك		
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾	١	٦١٤، ٦١٧
﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾	٢	٢٥٣
سورة الحاقة		
﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴾	٣٠ ـ ٣٢	٢٤٨
سورة نوح		
﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۞ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾	٥ ـ ٩	٤١، ٢٩٤
﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾	٢٦	٢٩٤
﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ﴾	٢٧	٢٩٤
سورة الجن		
﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾	٢٦، ٢٧	٥٥٥
سورة المزمل		
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۞ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴾	١ ـ ٥	١٢٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المدثر		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾	١ ـ ٧	١٢٤
﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾	٤٦، ٤٧	٦٤١، ٦٨٧
سورة القيامة		
﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾	٢٢، ٢٣	٧١٥
سورة النبأ		
﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾	١، ٢	٥٣١
سورة التكوير		
﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾	٨، ٩	٥٣، ٢٧٦
سورة المطففين		
﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	١٤	٧٢٥
﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾	٢٦	٢٥٦
سورة الغاشية		
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾	١٧	٦٩٢
سورة الشمس		
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	٩، ١٠	٦٦٣
سورة العلق		
﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾	١	٧٨، ١٢٤، ٣٤٢، ٣٧٤
﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾	٩، ١٠	٢٧٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزلزلة		
﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾	٦ ـ ٨	٧١٣، ٧١٤
سورة القارعة		
﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾	٦ ـ ٩	٧١٣
سورة العصر		
﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	١ ـ ٣	١٦٧، ١٦٨، ٢٥٥، ٢٦١
سورة الماعون		
﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾	٤، ٥	٢٤٧
سورة الإخلاص		
﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾	٣، ٤	٦١٣، ٦١٦
سورة الفلق		
﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾	٤، ٥	٧٥٧

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

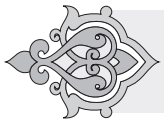

غير مرخصة للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
اتقِ الله حيثما كنت	٣٤١
اتَّقوا فِراسةَ المؤمن؛ فإنَّه ينظرُ بنور الله	٥٤٢
اثنتان في النَّاس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على المَيِّت	٧٢٩
اجتنبوا السبعَ المُوبقات. قالوا: يا رسولَ الله، وما هنَّ؟ قال: الشِّرْكُ بالله	٧٥٨
أجيزي ما صنع أبوك	٥٤
أحصوا لي عدد من يلفظ بالإسلام	٤٠، ٢١٦، ٣٧٤
إذا التقى المسلمان بسَيْفَيْهما فالقاتلُ والمقتولُ في النَّار	٧٣٣
إذا خرج ثلاثةٌ في سفرٍ فليُؤَمِّروا أحَدَهم	٤٥١
إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ	٦٥٦
إذا سألتم اللهَ الجنَّةَ فاسألوه الفردوسَ؛ فإنَّه أعلى الجنان، وفوقه عرش الرحمن	٢٥٤
إذا سمعت الرجل يقول: هلك الناس، فهو أهلكَهم، أو فهو أهلكُهم	١٩٢
إذا لقيتُموهم فاقتلوهم، مَنْ قتلهم فهو أولى بالله منهم	٧٣٤
إذا مَرِضَ العبدُ، أو سافر، كُتِب له مثلُ ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا	٦٨٢

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اذهبْ بنَعْلَيَّ هاتَيْن، فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلٰه إلَّا الله	٧٢٤
أرأيتَ لو مضمضتَ من الماء وأنت صائم؟ قلتُ: لا بأس به. قال: فمَهْ؟	٥٥٢
ارجع؛ فأضحكهما كما أبكيتهما	١٣٣
ارجع فالزمها؛ فإنَّ الجنة عند رجلها	١٣٤
استعنْ بالله ولا تعجز	٢٥٤
الإسلام علانية، والإيمان في القلب	٦٨٣
أشار بالخندق على رسول الله ﷺ	٧٠٣
اشتكت النَّارُ إلى ربِّها فقالت: ربِّ، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنَفَسَيْن	٧١١
اصبروا، فإنَّه لا يأتي عليكم زمان إلَّا والَّذي بعده شرٌّ منه، حتَّى تلقوا ربَّكم	٤٦٦
أصدقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمة لَبِيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل	٦٩٩
أعوذ بكلمات الله التامَّة، من كلِّ شيطان وهامَّة، ومن كلِّ عين لامَّة	٥٥٩
أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق	١٣٧
ألا أصلي بكم صلاة رسول الله ﷺ؟ فصلى، فلم يرفع يديه إلا في أول مرة	٥٨٧
ألا إن في الجسد مضغة؛ إذا صلحت صلح الجسد كله	١٤٧، ٦٧٩
ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟	٥١٩
ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون	٣٤٨
اللهمَّ آتِ محمَّدًا الوسيلةَ والفضيلة، وابْعَثْه المقام المحمود الَّذي وعدته	٦٥٩
اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عصمةُ أمري، وأصلحْ لي دُنياي	٧٤
اللهمَّ إنَّ هذا إقبال لَيْلِكَ وإدبارُ نهارِكَ، وأصواتُ دعائِكَ فاغفرْ لي	٦٣٤
اللهمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّكَ أنت اللهُ الَّذي لا إلٰه إلَّا أنت، الواحد الأحد	٦٥٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اللهمَّ إنِّي أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيتَ به نفسك	٦٥٦
اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن	٦٣٨
اللهم علمه الكتاب	٥٢٦
اللهم فقهه في الدين	٥٢٦
أليس إذا وضعها في حرام كان عليه وزر؟ قالوا: بلى	١٤٦
أُمرت أنْ أُقاتلَ النَّاسَ حتَّى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله	٧٢٤
أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟	١٤٠
إنَّ الَّذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته	٦٥١
إنَّ الله تعالى فرض فرائضَ فلا تُضيِّعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها	٥٦٤، ٧٠٥
إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس	١٤٨
إنَّ اللهَ كتب الإحسانَ ـ أي الإتقان ـ على كلِّ شيء	١٢٦، ٢٣٣، ٢٣٤، ٣٣٧، ٢٥٢
إنَّ الله يحب من أحدكم إذا عمل عملًا أنْ يتقنه	٢٣٤
إنَّ الله لا يجمع أُمَّتي على ضلالة	٢٤٣
إنَّ الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم	١٤٤، ٢٥٨، ٦٧٩
إنَّ الله لم يُنزل عليكم القرآن لتضربوا بعضه ببعض	١٢٢
إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها	٧، ٦٥، ١١٧، ١٣٠، ٢٤٢
إنَّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه	١٢٥، ٢٥٣، ٣٣٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ الله يحب أنْ تُؤتى رخصه، كما يحب أنْ تُؤتى عزائمه	٣٤
إنَّ اللهَ يحبُّ المؤمنَ المُحْتَرِف	٧٤٨
إنَّ أوَّلَ النَّاس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد فأُتيَ به فعرَّفه نعمَه فعرفها	١٤٥، ٦٨٥
إنَّ بأرض الحبشة ملكًا، لا يُظلم أحد عنده	٢١٥
إنَّ الدين يسر، ولن يشادَّ الدِّين أحد إلَّا غلبه	٤٧٢
أنَّ الذئب يأكل من الغنمِ القاصيةَ	٤٤٨
إنَّ الرجل قبلكم كان يُمْشَطُ بأمشاط الحديد ما دون عَظْمِه من لحمٍ وعَصَب	٢٨١
إنَّ الرُّقى والتَّمائمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ	٥٥٧
إن شئتَ أخَّرتُ ذلك، فهو أفضل لآخرتك، وإنْ شئتَ دعوتُ لك	٦٦٠
إنَّ العبدَ إذا أخطأ خطيئةً نُكِتَتْ في قلبه نُكْتَةٌ سوداءُ	٧٢٥
إن قامت الساعة وفي يدِ أحدِكم فسيلةٌ؛ فإن استطاع ألَّا تقوم حتَّى يغرسها فلْيَغْرِسْها	٧٤، ٦٠٩
إنَّ لبدنك عليك حقًّا	٤٨، ٧٤٧
إنَّ من أعظم النَّاس جُرمًا مَنْ سأل عن شيءٍ لم يُحرَّم فحُرِّم من أجل مسألته	٦٠٧
إنَّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى	٣٤٤
إنَّ المؤمنَ للمؤمنِ كالبُنيانِ يَشُدُّ بَعْضُه بَعْضًا	٧، ٤٤٨
أنَّ النبي ﷺ كان يومًا يحدث، وعنده رجل من أهل البادية	٥٣٤
أنا أخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكنِّي أقوم وأنام، وأصوم وأفطر	١٣٦
أنا أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني	٣٥٨
أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا	١٢٣
أنتم أعلم بأمر دُنْياكم	٦٢٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّكم سترون ربَّكم، كما ترون هذا القمر، لا تُضامون في رؤيته	٧١٥
إنَّكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنَّكم تدعون سميعًا قريبًا	٦٥٠
إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى	١٤٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٥٣٦، ٦٨٠
إنَّما الدُّنيا لأربعة نفر: عبدٍ رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتَّقي فيه ربَّه	٦٨٣
إنِّي خشيتُ أنْ تُفرض عليكم	٦٢٦
أوثق عُرَى الإيمان: الحبُّ في الله، والبغضُ في الله	٦٣٥
أُوصِيكم بتقوى الله، والسَّمْعِ والطاعة؛ وإن تأمَّر عليكم عبدٌ	٦٢٤
إيَّاكم والظَنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث	٦٩١
إيَّاكم والغلوَّ في الدين، فإنما أهلك من قبلكم: الغلوّ في الدين	٣٤٨، ٤٠٥
إيَّاكم ومُحدثاتِ الأمور، فإن كل مُحدثة بدعة، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة	٩٦، ٥١١
أيُّما رجلٍ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما	٧٢٠
أيُّ المدينتَيْن تُفتح أوَّلًا، قسطنطينيَّة أو روميَّة؟	٤٦٥
الإيمانُ بضعٌ وسبعون ـ أو بضع وستُّون ـ شعبةً	٨٢، ٩٧، ٣٧٥، ٤٠٨، ٧٢٦
أيُّها النَّاس، إنَّه لم يبقَ من مُبَشِّرات النبوَّة إلَّا الرؤيا الصالحة يراها المسلم	٥٥٠
ب	
بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء	٤٦٦
البكر تُستأذن، وإذنها صُمَاتُها	٢٨٣
بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادة أنْ لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله	٥١٩
بينا ثلاثةُ نَفَرٍ ممَّن كان قبلكم يمشون؛ إذ أصابهم مطر، فأوَوْا إلى غار	٦٥٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ت	
تسوية الصفوف من تمام الصلاة	٩٣
التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا	٦٨١
ث	
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه	١٦٤
ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوًى متبع، وإعجاب المرء بنفسه	١٤٦، ٦٨٤
ح	
حديث مشاورة النبي ﷺ في أسرى بدر	٢٨٨
الحكمة ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها	٦٩٨
الحلال بَيِّنٌ والحرام بيِّن	٥٢٣، ٥٣٦
الحُمَّى من فَيْحِ جهنَّمَ فأبردوها بالماء	٧١١
خ	
خمس صلوات في اليوم والليلة. فقال: هل عليَّ غيرها؟	١٣٦، ٤٠٨
د	
دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة	١٤٦، ٦٨٤
دعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ	٦٦٢
الدعاء هو العبادة	٦٥١
دعْهما؛ إنَّ لكل قومٍ عيدًا، وهذا عيدنا	٤٩٦
دعوني ما تركتكم، إنَّما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم	٥٠٥، ٦٠٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ر	
رُبَّ صائمٍ حظُّه من صيامه الجوع والعطش	٢٤٧
رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلَّا الجوع، وربَّ قائمٍ ليس له من قيامِه إلَّا السَّهَر	٢٨٢
الرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحةِ بُشرى من الله، ورُؤيا تحزينٌ من الشيطان	٥٤٦
ز	
زِدْ في الأجل، وزِدْ في المقدار	٤٣٢
س	
سدُّوا الفُرَج، وسوُّوا الصفوف	٩٢
السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين	٦٤٧
سَيْحان وجَيْحان والفُرات والنيلُ كلٌّ من أنهار الجنَّة	٧١٠
ش	
الشيطانُ ذئبُ الإنسان، وإنَّما يأكل الذئبُ من الغنم الشاردةَ أو القاصية	٩١
ص	
صبرًا آلَ ياسرٍ؛ فإنَّ موعدكم الجنَّة	٧٠، ٣٩٩
الصلوات الخمس إلَّا أنْ تطوع شيئًا، فقال: أخبرني ما فرض الله علي	٧٤٩
صَلُّوا كما رأيتُموني أُصلِّي	٢٧١
ض	
ضعْ يدَكَ على الَّذي تألَّم من جسدك، وقلْ باسم الله ثلاثًا	٥٥٩
ط	
طلب العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم	٦٩٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ع	
عُذِّبَتْ امرأةٌ في هرَّة سجنتها حتَّى ماتت، فدخلت فيها النار	٧٧
ف	
فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة	١٢٦
فإنَّها تُذَكِّرُكم بالآخرة	٦٤٧
فقدتُ رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته	٥٨٧
فمن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجاء	٤٩
فهل بعثتُم معها جارية تضرب بالدُّف وتغنِّي؟	٤٩٦
فيما سقت السماءُ العُشرُ	٥٩٠
ق	
قال رجلٌ: لَأتَصدَّقَنَّ الليلةَ بِصدَقةٍ. فخرجَ بِصدقتِه فوَضَعَها في يدِ سارِقٍ	٢٥٧، ٦٨٢
قد رأيتُ الَّذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم	٦٠٧
ك	
كاسيات عاريات، مميلات مائلات	٤١٧
كان أبيضَ مُشربًا بحمرة	٥٢٤
كان أجود الناس، وأشجع الناس	٥٢٤
كان أشد حياءً من العذراء في خدرها	٥٢٤
كان رسول الله ﷺ أخف الناس صلاة بالناس، وأطول الناس صلاة لنفسه	٥٢٣
كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ	٥٦٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النَّار	١٦١
كل سلامى من الناس عليه صدقة	٣٥٥
كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته: الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّته	١٩٥، ٥٢٣، ٤٥٩
كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟	٢٣٢، ٢٣٣
ل	
لا تخبرْ بتَلَعُّب الشيطانِ بك في المنام	٥٥٠
لا تختلفوا؛ فإنَّ مَنْ كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	٥٩٩
لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضرب بعضُكم رقابَ بعض	٧٢٩
لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرها من خذلها	١٥
لا تسبوا الريح، فإنها من روح الله	١٢٣
لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم	١٢٣
لا تُشَدِّدوا على أنفسكم فيُشَدَّدَ عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم	٦٢٣
لا تقل تعس الشيطان. فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت	١٢٣
لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود؛ فيقتلهم المسلمون	٣٦، ٦٨، ١٩٨، ٢٢٨، ٤٦١
لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إنْ أحسن النَّاس أحسنَّا، وإنْ ظلموا ظلمنا	٦٩١
لا تكونوا عونَ الشيطان على أخيكم	٧٥٠
لا تلعنوه، فواللهِ ما علمتُ إنَّه يحبُّ الله ورسوله	٧٥٠
لا تَنْسَنا يا أُخَيَّ من دعائك. وفي رواية: أشركنا يا أُخيَّ في دعائك	٦٥٨
لا صلاةَ لمُنْفَرِدٍ خلف الصفِّ	٩٠، ٤٤٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا ضرر ولا ضرار	٥٦٨
لا يا بنت الصِّدِّيق، ولكنَّهم الَّذين يصومون ويُصَلُّون ويتصدَّقون	٦٨٠
لا يبلغ عبد درجة المتقين؛ حتى يدَعَ ما لا بأس به، حذرًا مما به بأس	٤٠٩
لا يبولنَّ أحدُكم في الماء الدائم	٢٨٣
لا يحلُّ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلا بإذنه	٨٤، ١٣٨
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر	١٤٨، ٢٥٦، ٦٨٤
لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم	٧، ٢٦٩
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرق السارقُ حين يسرقُ	٧٢٩، ٧٣٠
لا يقْضِي القاضي بين اثنين وهو غضبانُ	٤٥٨
لا يمسُّ القرآنَ إلَّا طاهرٌ	٧٥٦
لتتبعُنَّ سَنَنَ من قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع	٣٢٦
لتعلم يهودُ أنَّ في ديننِا فُسْحة، إنِّي أرسلتُ بحنيفيَّة سَمْحة	٤٩٦
لتُفْتَحَنَّ القسطنطينيَّة، فلنعم الأميرُ أميرها، ولَنِعْم الجيشُ ذلك الجيش	٣٨٤، ٤٦٥، ٤٦٦
لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور	٦٤٧
لقَدْ كانَ فِيما قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحدَّثون، فإنْ يكُ في أُمَّتي أحدٌ، فإنَّه عُمَرُ	٥٤٢
لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابة، وإنِّي ادَّخرت دعوتي شفاعة لأُمَّتي يوم القيامة	٦٦١
لن يُفْلِحَ قومٌ ولَّوْا أمرهم امرأة	٥٣٩، ٧٦٦
لو قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة؛ فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها	٢٢٠
لولا أنِّي رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلُك ما قبَّلتُك	٢٥٠، ٢٧٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لولا حداثةُ عهد قومك بالكفر لنقضتُ الكعبة	٦٢٨
ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر	١٨٤، ٤٦٤
ليس كما تقولون، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، بشرك	٧٥٥
ليس لكَ من مالِكَ إلَّا ما تصدَّقتَ فأمضيتَ	٧٣٠
ليس هو كما تظنُّون، إنَّما هو كما قال لقمان لابنه	٥٢٦
ليستحلن ناس من أمتي الحِرَ والحرير، والخمر والمعازف	٤٧
ليشربن قوم من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها	٤٨، ٦٧٥
لِينُوا بأيدي إخوانكم	٩٣
م	
ما أحدث قومٌ بدعة إلا رفع مثلها من السُّنَّة	٦٢٥
ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام	٤٧، ٥٦٢، ٧٠٥
ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أنْ يأكل من عمل يده	٧٤٨
ما بين بيتي ومِنْبَري روضةٌ من رياض الجنَّة	٧١١
ما تقرب إليَّ عبدي بأفضل مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل	١٣٤
ما تقرَّب المتقربون إليَّ بمثل أداء ما افترضت عليهم	١٣٩
ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا	٥٩، ٣٤٩، ٣٧٧
ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل	١٢٢، ٢٥١، ٦٠٣
ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة	٦٠١
ما لك يا أبا هُرَيْرة؟ قلتُ: لقيتُ عمر، فأخبرته بالَّذي بعثتني به	٧٢٥
ما مِن مسلمٍ يدعو بدَعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رَحِمٍ إلَّا أعطاه اللهُ بها	٦٦١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما من مسلمٍ يعودُ مسلمًا فيقولُ سبعَ مرَّاتٍ: أسألُ اللهَ العظيمَ	٥٦٠
ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا؛ فيأكل منه طير أو إنسان	٢٢٠
ما هذا؟ قال: اتَّخذتها من الواهنة. قال: ما تَزِيدُكَ إلَّا وهنًا، انْبِذْها عنك	٥٥٧
مثل المؤمنِ يُصِيبه البلاءُ كمَثَلِ الحديدة تدخل النَّارَ، فيذهبُ خَبَثُها ويبقى طَيِّبُها	٣١٧
مدينة هرقل تفتح أولًا	١٨٤، ٣٨٣، ٣٨٤، ٤٦٥
مُرُوا أبا بكر فلْيُصَلِّ بالنَّاس	٦٨٧
مري غلامك النجار، أن يعمل لي أعوادا، أجلس عليهن إذا كلمت الناس	٧٠٤
مَن أتى فِراشَه وَهوَ ينوي أنْ يقومَ يُصَلِّي منَ اللَّيلِ، فغلَبتهُ عيناهُ	٦٨٢
من أتى كاهنًا أو عرَّافًا، فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد	٥٠٥
من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان	١٤٧، ٦٣٦
مَنْ أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ	٥١١، ٦٢٤
من أَسْلَم فلْيُسْلِمْ في كيلٍ معلوم، ووزنٍ معلوم، إلى أجلٍ معلوم	٦٦٦
مَنْ أمَّ الناس فليخفف؛ فإنَّ فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة	٣٤، ٣٤٩
من أمسى كالًّا من عمل يَدِه أمسى مغفورًا له	٧٤٨
مَنْ بدَّل دِينَهُ فاقتلوه	٧٣٣
من تعلَّقَ تميمةً فلا أتمَّ اللهُ لَهُ، ومنْ تعلَّقَ ودَعةً فلا وَدَعَ اللهُ لَه	٥٥٧
من دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدوُّ الله. وليس كذلك، إلَّا حار عليه	٧٢٠
مَنْ رآني في المنام فقد رآني حقًّا؛ فإنَّ الشيطانَ لا يتمثَّلُ بي	٥٥١
من رأى منكم مُنْكرًا فليُغَيِّرْه بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانِه	٥٠٥، ٦٢٨
مَن رغِب عن سنتي فليس مني	١٣٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من رمى مؤمنًا بكفرٍ فهو كقَتْلِه	٧٢٠
من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة؛ فلينظر إلى هذا	١٣٦، ٤٠٨، ٧٥٠
مَن صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا	٤٩١
مَنْ عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب	٦٦٨
مَن عَلَّقَ تَميمةً فقد أَشرَكَ	٥٥٧
مَنْ قاتلَ لتكون كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله	٦٨٦
مَن قرأ سورةَ الكَهفِ يومَ الجُمُعةِ أضاءَ له من النورِ ما بَينَ الجُمُعتينِ	٦٣١
مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُصَلِيَنَّ العصرَ إلَّا في بني قُرَيْظة	٥٢٣، ٥٩٥، ٧٦٢
مَنْ كذب عليَّ مُتَعَمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَه من النار	٥٣٦
من لم يَدَعْ قولَ الزُّور والعمل به، فليس لله حاجةٌ في أنْ يدعَ طعامَه وشرابَه	٢٨٢
من مات وليس في عنقه بَيْعةٌ لإمامٍ، مات مِيتَة جاهليَّة	٤٥٠
من يجدِّد لها دينها	٣٩١
من يرد الله به خيرًا يفقِّهه في الدين	٤١٢
المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا	٢٧، ٩١، ٩٢، ٤٢٥
ن	
نعم. قال: باسم الله أَرْقِيكَ، من كلِّ شيء يُؤذيكَ، من شرِّ كلِّ نَفْسٍ أو عين حاسد	٥٥٩
نِعْم المالُ الصَّالحُ للرجل الصالح	٧٤٨
نهى النبي ﷺ عن عُضَل المسائل	٦٠٦
نهيتُكم عن زيارة القبور فزُوروها	٦٤٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
هـ	
هذا سبيل الله مستقيمًا. ثم خط عن يمين هذا الخط وشماله خطوطًا متعرجة	٢٣١
هل أحد أبويك حي؟ قال: نعم كلاهما. قال: ارجع؛ ففيهما فجاهد	١٣٣
هل تجد رقبة تعتقها؟	٥٦٩
هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة	١٣٥
هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون	٤٠٥
و	
والله ما يخزيك الله أبدًا	٧٠
وفي بضع أحدكم صدقة	١٤٥
ولا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على الحق حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك	١١٧، ١٧٤، ٢٦٩، ٣٩١، ٤٦١
ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه	٢٠
وما يدريك أنَّ الله أكرمه؟ فقالت: بأبي أنت يا رسولَ الله، فمَنْ يكرمه الله؟	٦٥٣
ويحَكَ فمن يَعْدِلُ إذا أنا لم أعدل؟!	٧٣٤
ي	
يا أبا بَكْرة، زادك اللهُ حرصًا ولا تعُدْ	٣٧٩
يا أسامةُ، أقتلتَه بعدما قال: لا إلٰه إلا الله؟!	٧٢٤
يا أيُّها النَّاس، قد فرض الله عليكم الحجَّ، فحُجُّوا. فقال رجل: أكلَّ عامٍ	٦٠٧
يا أيُّها النَّاس...، لفَّت شَعرها لتذهب إلى النبيّ ﷺ، فقالت لها جاريتها	٤٧٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
يا رسولَ الله، هلكت الأموال فادعُ لنا. فكان يدعو لهم	٦٥٩
يا عائشةُ، أَشَعَرْتِ أنَّ الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان	٧٥٨
يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله	٧٢٢
يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه إلى صلاتهم، وقيامَه إلى قيامهم، وقراءتَه إلى قراءتهم	٧٣١
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين	١٥، ٢٤٣
يخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا الله، وفي قلبه وزن شَعِيرةٍ من خير	٧٢٦
يد الله مع الجماعة	٩٠، ٤٤٧
يدَعون أهلَ الأوثان، ويقتلون أهل الإسلام	٧٣١
يرحمُ الله أخي موسى، لقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر!	٢٩٦
يرقق بعضها بعضًا	٢٢٦
يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتَطَاوعا ولا تختلفا	٣٤٨
يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة	٧٣١

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

• **الصحوة الإسلامية** ٥

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** ٦

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** ٧

❖ **١ ـ الصحوة الإسلامية مظاهرها وخصائصها** ٩

الصحوة الإسلامية حديث الساعة ٩

الصحوة وغفلة المسلمين ١٠

الهزيمة السياسية والعسكرية ١١

الهزيمة الفكرية والروحية ١١

ظهور قوة الإسلام وقت الشدائد ١٣

حروب الردة ١٣

مواجهة التتار ١٤

المصلحون والمجددون في الأمة ١٥

المحن التي يتعرض لها المصلحون ١٧

ولادة الصحوة الإسلامية من رحم المحن ١٧

مظاهر الصحوة في الجانب العلمي والفكري ١٨

QaradawiBooks.com

مظاهر الصحوة في الجانب الخُلقي والسلوكي ١٩
مظاهر الصحوة في الجانب الجهادي ٢٠
مظاهر الصحوة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي ٢٢
مسألة تحريم الربا ٢٣
البديل الإسلامي عن الربا ٢٣
مظاهر الصحوة في الجانب التشريعي ٢٤
من خصائص الصحوة الإسلامية ٢٥
صحوة قائمة على علم وفكر ٢٥
الانتقال من القول إلى العمل ٢٦
الانتقال من الفردية إلى الجماعية ٢٦
الأخطار الخارجية ٢٧
الأخطار الداخلية ٢٩
أهمية أنْ يقف المسلمون صفًّا واحدًا ٢٩
مواجهة القوى المعادية بمثل أسلحتها ٣٠
ترك المعارك الجزئية والخلافات الجانبية ٣١
الإجابات عن أسئلة المحاضرة **٣٢**

❖ **٢ ـ واجبات الصحوة الإسلاميَّة** **٦٠**
مفهوم الصحوة ٦١
الاستعمار الحديث ٦٢
حركات التَّحَرُّر ٦٢
الإسلام يزرع والعِلمانيَّة تحصد ٦٣

نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

ظهور حركات التجديد ٦٥
ظهور الصحوة ٦٧
صحوة عقول ٦٧
صحوة عواطف ٦٧
صحوة عزائم ٦٨
صحوة شباب ٧٠
واجب الأمة نحو الصحوة ٧١
واجبات الصحوة ٧٢
(١) أخذ الإسلام بشموله ٧٢
(٢) الموازنة بين الحقوق والواجبات ٧٥
رعاية الحقوق في الإسلام ٧٥
(٣) الريادة في العلوم والصناعات ٧٧
(٤) العطاء والعمل ٨٠
(٥) رعاية فقه الأولويات ٨٢
(٦) رعاية فقه السنن ٨٤
كلمة ختام ٨٦

❖ ٣ ـ الحركة الإسلاميَّة وإنجازاتها ٨٧

مفهوم الحركة الإسلاميَّة ٨٨
العمل الشعبي ٨٨
العمل الرسمي ٨٩
العمل الجماعي الشعبي ٨٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

العمل الجماعي فريضة وضرورة ٩٠
العمل الجماعي المُنَظَّم ٩٢
بين الحركة والصحوة ٩٣
دوافع قيام الحركة الإسلاميَّة ٩٣
حركة الإخوان المسلمين ٩٤
من إنجازات الحركة الإسلاميَّة ٩٥
(١) تصحيح الفهم للإسلام ٩٦
الانتقاص من الإسلام ٩٦
اختلال النِّسب ٩٦
شمول الإسلام ٩٧
(٢) تكوين جيل جديد ٩٨
استخلاص العناصر ٩٩
جيل متكامل ١٠٠
الربَّانيَّة أبرز معالم التربية ١٠٠
في مواجهة المحن ١٠١
(٣) إحياء معنى الجهاد ١٠٢
(٤) إحياء معنى الأُمَّة ١٠٦
(٥) مقاومة تيار التغريب ١٠٨
التهوين من إنجازات الحركة ١١١
النقد الذاتي للحركة ١١٣
آفاق المستقبل ١١٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة معاينة
QaradawiBooks.com

❖ ٤ ـ الصحوة الإسلامية وماذا نريد منها؟ ١١٦
الأُمَّة الإسلامية لا تموت ١١٦
ميلاد الصحوة من رحم الآلام ١١٧
صحوة عالمية ١١٧
صحوة شاملة ١١٨
صحوة تنتشر بين الشباب ١١٩
أهمية ترشيد الصحوة ١٢٠
التحذير من الانحراف بالصحوة عن طريقها ١٢٠
خطوات مهمة نحو تجاوز المعوقات ١٢١
١ ـ الانتقال من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل ١٢٢
أهمية العمل في الإسلام ١٢٤
لماذا لا نعمل؟ ١٢٥
إتقان العمل وإحسانه ١٢٥
الاكتفاء بالحديث عن الماضي عجز ١٢٦
حاجتنا إلى معايشة الواقع ١٢٧
مجرد انتقاد الآخرين لا يصنع شيئًا ١٢٧
مجرد الانتظار نوع من السلبية ١٣٠
نريد صحوة عملية ١٣٠
أغلظ حجاب عن الإسلام ١٣١
٢ ـ الانتقال من النوافل إلى الواجبات والفرائض ١٣٢
الأوامر والنواهي درجات متفاوتة ١٣٢
فرض العين، وفرض الكفاية ١٣٣

QaradawiBooks.com

بين النوافل والفرائض ١٣٤
سنة النبي هي منهجه وطريقته ١٣٥
الناس درجات ومنازل ١٣٧
الانشغال بالنوافل عن الفرائض ١٣٧
فقه المراتب عند الغزالي ١٣٩
الاغترار بالعبادات الظاهرة عن حاجات المسلمين ١٤١
٣ ـ التركيز على أعمال القلوب مع أعمال الجوارح ١٤٣
النية أساس قبول الأعمال ١٤٤
صلاح النية تجعل العادات عبادات ١٤٥
العناية بأعمال القلوب ١٤٦
الحذر من معاصي القلوب (المهلكات) ١٤٧
خطر معاصي القلوب على المتدينين ١٤٨
تزكية النفوس ١٥٠

❖ **٥ ـ الصحوة الإسلامية حقيقة واقعة ١٥٣**
معنى الصحوة ١٥٤
تاريخ أمة الإسلام ١٥٥
أثر الاستعمار الغربي على المسلمين ١٥٦
غياب الوعي الإسلامي ١٥٧
الإسلام دين مُوقظ ١٥٨
المجددون في هذه الأُمَّة ١٥٩
من مظاهر الصحوة الإسلامية ١٦٠

غير مرخصة للطبعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من خصائص الصحوة الإسلامية ١٦٠
القاديانية ومحاولة الانتقاص من الإسلام ١٦٢
صحوة عقل وفكر ١٦٣
صحوة شعور وعاطفة ١٦٤
إحياء مشاعر الأخوة الإسلامية ١٦٥
صحوة دعوة وإرشاد ١٦٧

❖ ٦ ـ مستقبل الصحوة الإسلامية ١٧٠

تغيُّر أحوال الناس ١٧١
الصحوة الإسلامية حقيقة واقعة ١٧١
صحوة عقل ١٧٢
صحوة عواطف ومشاعر ١٧٢
صحوة الإرادة الحقيقية ١٧٣
تجديد أمر الدين ١٧٤
صحوة عالمية ١٧٥
جمهور الصحوة الأعظم من الشباب ١٧٥
صحوة عملية سلوكية ١٧٦
رصد مستقبل الصحوة الإسلامية ١٧٦
كيد أعداء الصحوة ومحاربتهم لها ١٧٧
تنوُّع أسلحة الأعداء وتطوُّرها ١٧٧
الحذر من ألاعيب الأعداء ١٧٨
معرفة أساليب الأعداء وإحباط مخططاتهم ١٧٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المقاتل لا يصنع شيئًا دون عقيدة ١٧٩
الصحوة الإسلامية هي المعبر عن روح الأُمَّة ١٨١
حقيقة الاستقلال ١٨٢
المستقبل لهذه الصحوة ١٨٢
المستقبل لهذا الدِّين ١٨٣
نحن لا نيئس ١٨٥
الإيمان مصدر السعادة ١٨٦
الأسئلة الخالدة ١٨٧
حاجة العالم إلى الإسلام ١٨٨
إنسان الحضارة الغربية ١٨٨
حاجة العالم الإسلامي إلى الإسلام ١٨٩
طريق الصحوة طويل ومليء بالعقبات ١٩٠
موقف الصحوة من أعداء الإسلام ١٩١
موقف الصحوة من الغافلين عن الإسلام ١٩١
ترك المعارك الجانبية والاهتمام بالأصول ١٩٢
يجب على الصحوة ألا تبدد قوتها ١٩٤
مسؤولية الجميع ١٩٤
إجابة أسئلة المحاضرة ١٩٦
السؤال الأول ١٩٦
الجواب ١٩٦

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كان مما صنعه صلاح الدين الأيوبي أمران ١٩٦
السؤال الثاني ١٩٩
الجواب ١٩٩
السؤال الثالث ٢٠٣
الجواب ٢٠٣
السؤال الرابع ٢٠٤
الجواب ٢٠٤

❖ **٧ ـ الصَّحوة الإسلامية ومستقبل الأُمَّة ٢٠٦**

التفسير العلمي للقرآن ٢٠٦
الصحوة الإسلامية ومستقبل الأُمَّة ٢٠٧
معنى الصحوة ٢٠٨
صحوة شاملة ٢٠٨
آثار الصحوة اليوم ٢١٠
الصحوة تيار ممتد ٢١٠
دور الصحوة في بناء المستقبل ٢١٢
الإنسان بين ذاتيته ومخيلته ٢١٢
توجيه القرآن للإعداد للمستقبل ٢١٣
إعداد ذي القرنين ٢١٤
تخطيط النبي ونظره إلى المستقبل ٢١٥
نظر الصحابة للمستقبل ٢١٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

حاجتنا إلى النظرة للمستقبل ٢١٨
مهمة الصحوة أن توعي أُمَّتها ٢١٩
التخلف لا يزول بمرور الزمن ٢١٩
لا نملك قوتنا ولا نصنع سلاحنا ٢٢٠
الدوافع الصليبية والعنصرية حاضرة ٢٢١
أمة الحديد لم تتعلم صناعة الحديد ٢٢٢
تحذير الصحوة مما يُكاد لها ٢٢٣
قضية تخلُّف الأمة ٢٢٤
الطاقة المعنوية ودورها ٢٢٤
مشكلات وهموم العالم الإسلامي ٢٢٥
التخاذل أمام العدوان الإسرائيلي ٢٢٦
معركتنا مع إسرائيل معركة دينية ٢٢٧
إعداد جيل النصر المنشود ٢٢٨
لا بدَّ من تربية الأبطال ٢٢٩
الأزمة الأخلاقية للأُمَّة ٢٣٠
تشتت المسلمين ٢٣١
تحقق أخلاق اليهود في الأُمَّة ٢٣٢
بناء إنسان العقيدة ٢٣٤
الإيمان يصنع المعجزات ٢٣٥
صناعة التكنولوجيا لا استيرادها ٢٣٦
قضايا الأُمَّة الكبرى ٢٣٧
مقومات النصر والنجاح ٢٣٩

غير مرخص للطباعة
نسخة مكتبية
QaradawiBooks.com

❖ ٨ ـ من فقه الصحوة الإسلامية ٢٤٠
معنى الصحوة الإسلامية ٢٤١
الصحوة جزء من حركة التجديد ٢٤٢
مقاومة الحملات الصليبية ٢٤٤
مقاومة التتار ٢٤٤
عصر الصحوة الإسلامية ٢٤٦
أولا: من الشكل والمظهر إلى الحقيقة والجوهر ٢٤٧
في الصلاة ٢٤٧
في الصيام ٢٤٧
في قراءة القرآن ٢٤٨
تغيير ما بالنفس ٢٤٨
التحرر من الوثنية والخبائث ٢٤٩
بركة القرآن والسنة ٢٥٠
ثانيًا: من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل ٢٥١
العمل النافع ٢٥٢
العمل المتقن ٢٥٢
العمل الأحسن ٢٥٣
شباب الصحوة ٢٥٤
جند الرحمن ٢٥٦
النية الصالحة ٢٥٧
وحدة الأمة ٢٥٨

غير مرخص للطباعة
نسخة وجيه
QaradawiBooks.com

❖ ٩ ـ حاجة الصحوة الإسلاميَّة إلى فقهٍ جديد ٢٦٢

الصحوة انبعاث جديد ٢٦٣

الصحوات تتبع المحن والشدائد ٢٦٣

حرب المُرْتَدِّين ومانعي الزكاة ٢٦٤

رد توغُّل الزحف الصليبي ٢٦٥

الانتصار على التتار ٢٦٥

اندلاع الصحوة المعاصرة ٢٦٦

انتشار الصحوة ٢٦٨

انشغالي بترشيد الصحوة ٢٦٩

حاجة الصحوة إلى فقه رشيد ٢٧٠

تضخُّم الفقه الاصطلاحي ٢٧١

بين الجهاد والطهارة ٢٧٢

حاجتنا إلى الفقه القرآني ٢٧٣

أنواع الفقه الَّذي نحتاج إليه ٢٧٥

(١) فقه السُّنن ٢٧٥

أولًا: سُنَّة التغيير ٢٧٥

بين الجاهلية والإسلام ٢٧٦

ثانيًا: سنة النصر ٢٧٧

ثالثًا: سُنَّة التدرج ٢٧٩

(٢) فقه المقاصد ٢٨٢

(٣) فقه الموازنات ٢٨٥

موسى وهارون ٢٨٦

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

موسى والخِضْر ٢٨٦
فقه الشرع ٢٨٩
فقه الواقع ٢٨٩
الفقر في المعلومات ٢٨٩

❖ ١٠ ـ المِحْنَة في واقع الحركة الإسلاميَّة المعاصرة ٢٩١

❖ مُقَدمة ٢٩١

المحنة في واقع الحركة الإسلاميَّة المعاصرة ٣٠٠
المقصود بالمحنة ٣٠٠
أسباب المحنة ٣٠١
شمولية الإسلام عند حسن البنَّا ٣٠٢
الإسلام لا يكون إلَّا سياسيًّا ٣٠٣
إسلام الحاكم أو حكم المسلم ٣٠٦
حسن البنَّا أرسى المفاهيم ونزل بها إلى أرض الواقع ٣٠٦
الفرق بين الإخوان وغيرهم من الجماعات ٣١٠
تخوف الغرب من حسن البنَّا ودعوته ٣١٠
المحنة الأولى ٣١٢
مدرسة «معتقل الطُّور» ٣١٢
من فوائد المحنة ٣١٥
١ ـ صقل الإخوان ٣١٥
٢ ـ تمييز الصفِّ ٣١٦
٣ ـ تلاحم الصفِّ ٣١٧

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

محنة لم تزد الإخوان إلا صلابة ٣١٩
أخصب فترات الدعوة ٣٢٠

❖ ١١ ـ الصحوة الإسلاميَّة بين الآمال والمحاذير ٣٢٣

معنى الصحوة ٣٢٤
المظهر الفكري للصحوة ٣٢٦
صحوة مشاعر وعواطف ٣٣٠
صحوة عمل وسلوك ٣٣١
صحوة المرأة المسلمة ٣٣٢
صحوة دعوة ٣٣٣
صحوة عالمية ٣٣٣
صحوة شباب ٣٣٣
الصحوة بين الأمل والخوف ٣٣٤
أملنا في الصحوة ٣٣٤
الصحوة ومعركة التحرير ٣٣٤
الصحوة ومعركة البناء والتقدم ٣٣٦
لا بدَّ من حسن الفهم للإسلام ٣٣٨
على الصحوة أن تمتد طولًا وعرضًا وعمقًا ٣٣٩
مبشرات ٣٤٥
مخاوفنا على الصحوة ٣٤٧
تيار الغلو والتشدد ٣٤٨
تيار التشرذم والتمزق ٣٥١

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

التعدد لا يعني التفرق ٣٥٣
تيار الاستعجال والتصادم ٣٥٤
تيار الاستغراق في السياسة ٣٥٤
إجابات الشيخ يوسف القرضاوي عن أسئلة المحاضرة ٣٥٧
❖ ١٢ ـ الصحوة الإسلاميَّة بين الواقع والمأمول ٣٦١
الصحوة الإسلاميَّة ٣٦١
في مجال الاقتصاد ٣٦٣
في مجال الجهاد ٣٦٤
الصحوة مؤهلة لقيادة الأمة ٣٦٥
الإسلام محرك الأُمَّة ٣٦٦
نكبة ١٩٦٧م ٣٦٧
معركة العاشر من رمضان ٣٦٩
دور الصحوة في معركة البناء ٣٦٩
الانشغال بالأصول والكليات ٣٧٢
من الارتجال إلى التخطيط ٣٧٤
فقه الأولويَّات ٣٧٥
الانشغال بالمتَّفق عليه لا بالمختلف فيه ٣٧٥
الأخذ بالأيسر ٣٧٧
فقه السنن ٣٧٧
الرِّفق واللِّين ٣٧٧
اختلاف بلا تفرُّق ٣٧٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تعدُّد التنوُّع لا التضاد ٣٨٠
الائتلاف والوحدة ٣٨١
المستقبل للإسلام ٣٨٣
❖ **١٣ ـ الصحوة الإسلامية بين الواقع والتحديات ٣٨٥**
ذكرى تأسيس جمعية الإصلاح بالكويت ٣٨٦
آفاق مستقبلية للصحوة الإسلامية ٣٨٧
نظرة إلى المستقبل ٣٨٨
آفاق المستقبل من خلال الواقع ٣٨٨
معنى الصحوة ٣٨٨
غربة الإسلام في أرضه ٣٨٩
الصحوة لم تُولد من فراغ ٣٩٠
أُمَّة الإسلام تنام ولا تموت ٣٩٠
القوة الذاتية للإسلام ٣٩٢
حروب الردة ٣٩٢
عدوان التتار ٣٩٣
احتلال الصليبيين ٣٩٤
مذاهب وأفكار وحلول مستوردة ٣٩٥
دعوى صناعة الصحوة ٣٩٦
صحوة عالمية ٣٩٧
صحوة شاملة ٣٩٧
صحوة عقل وعلم وفكر ٣٩٨

غير مخول للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دور المرأة في الصحوة ٣٩٨
صحوة دعوة وجهاد ٣٩٩
الصحوة الإسلامية حقيقة واقعة ٣٩٩
صحوة الشباب ٤٠٠
ظهور المؤسسات الإسلامية ٤٠٠
رموز التميز الثقافي ٤٠١
تحديات تواجه الصحوة ٤٠٢
القوى الخارجية ٤٠٣
القوى الداخلية ٤٠٥
اختلال النسب في موازين الأعمال ٤٠٧
الارتقاء الإيماني وسُنَّة التدرج ٤٠٨
المؤمنون ليسوا في درجة واحدة ٤٠٩
لا تُقبل النافلة حتى تُؤدَّى الفريضة ٤١٠
خلل في فهم سلم الأولويات ٤١٠
فقه مراتب الأعمال ٤١١
فقه سنن الكون ٤١٢
استعجال الثمار قبل أوانها ٤١٢
التمزق والتشرذم والتفرق ٤١٣
نحن في معركة مستمرة ٤١٤
ضرورة أن يوالي بعضنا بعضا ٤١٥
فجوة مع بعض شرائح المجتمع ٤١٦
أهمية العنصر النسائي ٤١٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

تعاون أعداء الإسلام فيما بينهم ٤١٧
ترشيد المسيرة وتسديد الخطوات ٤١٨
إجابات أسئلة المحاضرة ٤٢٠
الاهتمام المبكر بالصراع العالمي ٤٣٨
عدم معرفة حقيقة الإسلام ٤٣٩
أهمية الحوار مع المخالفين ٤٤٠
مسؤولية المسلمين وتقصيرهم ٤٤١
الاختلاف المشروع لا التفرق المذموم ٤٤٢
نبذ المعارك الجانبية والخلافات الجزئية ٤٤٣
دور جمعيَّة الإصلاح في الإصلاح ٤٤٥
❖ ١٤ ـ أولويَّات العمل الإسلامي في ظلِّ المُتغيِّرات الدوليَّة الراهنة ٤٤٥
قاعة عبد الرحمن الجودر ٤٤٦
أولويَّات العمل الإسلامي في ظلِّ المُتغيِّرات الدوليَّة الراهنة ٤٤٦
ما المقصود بالعمل الإسلامي؟ ٤٤٧
مُمَيِّزات العمل الإسلامي ٤٤٧
(١) عمل جماعي ٤٤٧
العمل الفردي محدود الإنتاج ٤٤٨
الإسلام يغرس في أتباعه الرُّوح الجماعيَّة ٤٤٨
(٢) عمل كبير ٤٥٠
(٣) عمل مُنَظَّم ٤٥٠
(٤) عمل شعبي تطوعي مُحْتَسِب ٤٥١

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

(٥) ينبثق من ضمير المجتمع المسلم ٤٥١
العمل الإسلامي انتشر في المشارق والمغارب ٤٥٢
مخطط لضرب العمل الإسلامي وتعويق مسيرته ٤٥٣
الغرب درس نتائج الحروب الصليبيَّة ٤٥٤
مآسٍ كبيرة حلَّت بالأُمَّة ٤٥٥
قل هو من عند أنفسكم ٤٥٥
حتَّى لا تتكرَّر المأساة ٤٥٧
لا بدَّ من الدراسة الهادئة ٤٥٨
من المسؤول عما حدث؟ ٤٥٨
من المستفيد من خسائرنا؟ ٤٥٩
قضايا الأُمَّة لا يجوز التخلي عنها ٤٦٠
لا بدَّ من معركة مع اليهود ٤٦١
سقوط الشيوعيَّة وضياع حتميات ماركس وتنبُّؤاته ٤٦٢
سفينة الإنقاذ للبشريَّة ٤٦٣
بشائر بظهور الإسلام على كل الأديان ٤٦٣
بشائر من القرآن ٤٦٤
بشائر من السُّنَّة ٤٦٤
بشائر من التاريخ ٤٦٦
بشائر من الواقع ٤٦٧
من المسؤول عن عدم انتشار الإسلام؟ ٤٦٨
تكوين الفرد الصالح ٤٦٩
وفي الختام ٤٦٩

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة **٤٧١**
الفوائد البنكيَّة وشبهات حول معاملات المؤسسات الإسلاميَّة ٤٧١
الاقتراض من البنوك الربويَّة ٤٧٣
❖ **١٥ ـ حوار حول قضايا الصحوة** **٤٧٦**
حركة التوحيد والإصلاح ٤٧٧
المرأة نصف المجتمع ٤٧٧
تأثير المرأة في المجتمع ٤٧٨
إفساح المجال للمرأة ٤٧٨
تفعيل دور المرأة ٤٧٩
إعانة المرأة على دورها ٤٨١
إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة **٤٨٣**
مستقبل الصحوة الإسلاميَّة، والأوضاع في بلاد الخليج ٤٨٣
مُبَشِّرات بانتصار الإسلام ٤٨٦
الأوضاع في بلاد الخليج ٤٨٧
الإصلاح بين المجاهدين الأفغان ٤٨٩
التقريب بين السُّنَّة والشيعة ٤٩٠
مقترحات للتقارب ٤٩١
ملاحظات على تجربة البنوك الإسلاميَّة ٤٩٢
مشاركة المرأة في الأعمال الفنِّيَّة ٤٩٤
نحن مهزومون في مجال الفن ٤٩٥
تضييق دائرة الحرام ٤٩٥

نسخة خاصة غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

غناء المرأة ٤٩٦
صوت المرأة ٤٩٧
تحسين الصوت ٤٩٧
استخدام الموسيقى ٤٩٨
المرأة والمسرح ٤٩٩
التمثيل والكذب ٤٩٩
العناصر النسائيَّة في الأعمال الفنِّيَّة ٥٠٠
التمكُّن في مجال الفن ٥٠٠

• أضواء على الأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البَنَّا ٥٠٣

❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٥٠٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥٠٥

❖ ١٦ ـ أضواء على الأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البَنَّا ٥٠٧

روابط لا بدَّ منها ٥٠٨
الرابط العاطفي والتنظيمي ٥٠٨
الرابط الفكري ٥٠٩
الأصول العشرين ٥١٠
(الأصل الأوَّل) **٥١١**
اتجاه الزيادة على الإسلام ٥١١
اتجاه النقص من الإسلام ٥١١
الإسلام وأصول الحكم ٥١٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة معاينة
QaradawiBooks.com

من هنا نبدأ ٥١٣
التأكيد على شمولية الإسلام ٥١٦
مراتب الأحكام ٥١٨
أصل الشمول ٥١٩
(الأصل الثاني) **٥٢١**
لماذا لم يذكر الإمام البنَّا الإجماع والقياس؟ ٥٢٩
(الأصل الثالث) **٥٤١**
(الأصل الرابع) **٥٥٥**
اتِّخاذ تمائم من القرآن ٥٦٠
(الأصل الخامس) **٥٦٢**
مجالات السياسة الشرعيَّة ٥٦٢
(١) ما لا نصَّ فيه ٥٦٢
(٢) ما يحتمل وجوهًا عدة ٥٦٤
(٣) المصالح المُرسَلة ٥٦٦
تغيُّر رأي الإمام ٥٧٢
(الأصل السادس) **٥٧٨**
(الأصل السابع) **٥٨١**
(١) مدرسة إيجاب التقليد ٥٨١
(٢) مدرسة إيجاب الاجتهاد ٥٨٣
(٣) المدرسة الوسطية ٥٨٤
(الأصل الثامن) **٥٩٢**
(الأصل التاسع) **٦٠٤**

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

(الأصل العاشر) **٦١١**
اتجاه السلف ٦١٥
اتجاه الخلف ٦١٦
(الأصل الحادي عشر) **٦٢٢**
(الأصل الثاني عشر) **٦٣١**
(الأصل الثالث عشر) **٦٣٥**
(الأصل الرابع عشر) **٦٤٦**
(الأصل الخامس عشر) **٦٥٥**
(الأصل السادس عشر) **٦٦٤**
(الأصل السابع عشر) **٦٧٧**
(الأصل الثامن عشر) **٦٨٨**
(الأصل التاسع عشر) **٧٠٦**
(الأصل العشرون) **٧١٩**
التكفير خطأ ديني ٧٢٠
التكفير خطأ علمي ٧٢٠
التكفير خطأ سياسي ٧٢١
إجابات الشيخ القرضاوي عن الأسئلة **٧٤٠**
مفهوم العلمانية ٧٤٠
تعدد الجماعات الإسلامية ٧٤٢
واقع الإخوان من الشمول ٧٤٤
تفاوت الصحابة ٧٤٩
أسباب الدعوة إلى شمول الإسلام ٧٥١

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الزيادة على الأصول العشرين والنقص منها ٧٥٣
تفسير القرآن بالقرآن ٧٥٤
مسُّ القرآن بغير طهارة ٧٥٥
الوصف بالمنكر والوصف بالشِّرك ٧٥٦
السحر والاستعانة به ٧٥٧
بين الإمام ورئيس الجماعة ٧٥٩
مخالفة الرأي الاجتهادي للإمام ٧٦١
معنى الأصول والفروع ٧٦٢
الإلزام في المسائل الخلافيَّة ٧٦٣
تدريس الفقه ٧٦٤
التقارب بين السُّنَّة والشيعة ٧٦٤
سبب تأخير الأصل العاشر ٧٦٦
موقف الإمام البنَّا من التفويض ٧٦٧

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٧٧٥**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٨٠٥**
- **فهرس الموضوعات ٨٢١**

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية